

٤٤٦
٤٨٩

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
الدراسات العليا
شعبة التفسير

تفسير

تفسير ابن كثير في تفسير القرآن العظيم
تفسير ابن كثير في تفسير القرآن العظيم

لأبي المظفر السمعاني

٤٤٦ - ٤٨٩

دراسة وتحقيق

الطالب / محمد صالح حسن شيخ الرويس "صالح"

لنيل درجة الماجستير

باشرف

الدكتور / عبدالعزيز الدردير موسى

الهدى

اللهم والدي العزيزين اللذين ربباني فأحسننا إلى أهدي

هذا العمل الذي كان بفضل الله تعالى ثمرة جهدهما ودعائهما

الذي لم ينقطع .

ولا أنسى ذلك الرجل الذي كان له عظيم

الأثر في نفسي وحياتي وكان مثل هذا العمل أمينة تراوده

دائما في أن يظفر به احد افراد الاسره الا هو الشيخ
« عمر على طر » رحمه الله .

ولا يفوتني أن أذكر هنا شقيق والدي

العم الفاضل « عثمان بن سعيد » لما له من أثر كبير في

حياتي العلمية .

لكن هؤلاء والأهل والبيت الذي فرغ هذا الجهد المبذول
سك الله تعالى قبولهم وراحمهم في يوم (نا في حاجهم) نوريس



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- شكر وتقدير -

غنى عن القول أن مثل هذا العمل لا يتم بجهد صاحبه وحده
فلا بد لكل مشتغل فيه من يد تسدى اليه ورأى يستفيدة ونصح يهتدى
به وكذلك كان عطى فى هذه الرسالة .

ولذا فان على الأستاذى الفاضل :

الأستاذ الدكتور / عبدالعزيز الدردى موسى

شكرا جميلا لاتجزئه الكلمات فقد أولانى من الرعاية والاهتمام

فوق ماكنت أرجوه وأتصوره .

وأشكر موصول لأستاذى الدكتور / محمد السيد طنطساوى

المشرف السابق على هذه الرسالة .

والتقدير لكل التقدير للقائمين على أمر الجامعة الاسلامية المباركة

الذين لست فيهم العناية والحرص على أبنائهم وأخص بالشكر والتقدير

ادارة قسم الدراسات العليا فيها الذين خصونى بكثير من الرعاية

والعناية وعاملونى خير معاملة .

جزاهم الله خير مايجزى به عن العلم وأهله .

مقدمة :-
 ~~~~~

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى  
 آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فعندما كنت في مدى حياتي العلمية أحتاج - لسبب من  
 الأسباب - لمراجعة كتب التفسير ، كنت أجد نفسي مشدودا اليها ،  
 واجدا فيها ضمة عظيمة وشفافية روحية ماكنت أجدها في  
 غيرها .

كيفلا ، وهي دوائر معارف تفتح للقارىء آفاقا رحبة من أسرار  
 اللفظة والاعجاز وتنمى فيه ملكة التذوق والابداع .

وعلى هدى من هذا الاحساس العميق أردت أن تكون رسالتى  
 هذه - بمد أن قدر الله لى أن أكون فى شعبة التفسير - فرصة  
 أخص فيها كتابا من كتب التفسير بالدراسة والبحث متفصلاً  
 ومطلما من خلاله على كتب التفسير الأخرى فكان لى - بتوفيق  
 الله ما أردت .

ولقد حز فى نفسى وأنا أطالع كتب الطبقات والتراجم وهسى  
 تشير الى كثرة وتنوع كتب التفسير فى القرن الخامس - والتي وصلنا الكثير  
 منها - حتى اذا راجعت مكتبة التفسير لم أجد فيها الا القليل السرى

نالت نصيبا من الدراسة والتحقيق فأردت أن أبرز كتابا من هذا العصر فكان تفسير أبي المظفر السمعاني ، لما يتمتع به تفسيره من عرض لمقيدة أهل السنة والجماعة ودفاعه عنها في وقت شرقت فيه وغربت عقائد الطل المنعرفه .

بالإضافة إلى أن تفسير السمعاني تفسيرًا وسطا ، بالرغم من أنه يعد من كتب المطولات في عصره - تجنب فيه صاحبه الإسهاب الممل والتقصير المخفل مع عنائه به - سرار وبنات والتي كانت تأتي في كثير من الأحيان على شكل سؤال يخلق في الذهن قضية ثم يجيب على ذلك السؤال وهو أسلوب أراه ذا فائدة عظيمة تسترعي الانتباه .

ولقد فادني تحقيقي لسورة آل عمران والنساء والمائدة من هذا الكتاب إلى دراسة تفسير أبي المظفر السمعاني دراسة كاملة من أوله إلى آخره وقد كلفني هذا - بالطبع - كثيرا من الوقت والجهد ، وكان عني أن ألاحظ كثيرا من الموضوعات وأدون كثيرا من الملاحظات والتي لم يكن لي أن أعصها كلها جطة واحدة .

ومع كل هذا لم يكن لي أن أزعج أنني هضمت كل هذا التفسير ولا أدعى أنني أحطت به وبمساظه . ولكنني أقول أن ما كان واجبا

---

عليّ حاولت أداءه وبذلت ما في وسعي وفي تطهيق خطتي السّتي  
رسمتها لنفسى .

هذا وقد قسمت بحثى الى قسمين :-

القسم الأول منه لدراسة حياة المؤلف وكتابه .

والقسم الثانى جعلته لتحقيق تفسير سورة آل عمران والنساء  
والمائدة .

أما القسم الأول فجعلته فى بابين :-

الباب الأول فى التمرّيف بالمؤلف .

وقد تعرّضت فيه للحياة فى القرن الخامس الهجرى وهو عصر  
المؤلف وحاولت فيه تحديد سماته السياسيه والعلميه والثقافيه  
مركزاً على دور الوزير المادل " نظام الملك " فى توطيد أركان  
دولة السلاجقه السنيه وازدهار الحركة العلميه والثقافيه فى  
عهدّه وتشجيعه للعلماء وتأسيسه للمدارس النظاميه والمكتبات  
والمساجد وكيف كانت هذه منتدًى للعلماء والأدباء وطلاب العلم  
فى عصره .

---

وأشرت لبعض العلماء في ذلك العصر في مختلف جوانب العلم  
وكيف كان لكل ذلك أثره المباشر وغير المباشر في تكوين شخصية  
الامام أبي المظفر السمعاني ونضوجها ، ثم تطرقت في هذا  
الباب بعد ذلك لمكان ولادته وزمانها في (صرو) المدينة التي خرجت  
كثيرا من العلماء والفقهاء .

ثم ذكرت اسمه ونسبه وصلته بالبيت السمعاني التميمي المروزي  
أحد البيوتات المعروفة في خراسان والمكانة العلمية التي يتمتع بها  
هذا البيت .

وبعد ذلك تعرضت لحياة الامام السمعاني وسيرته مستعرضا  
نشأته وكيف أنها كانت في محيط علمي أركي فيه روح العلم  
وأهله مما دفعه للرحلة في طلبه والأخذ من الشيوخ ومن ثم  
مناظرة كبار علماء عصره .

ثم ذكرت بعد ذلك أهم شيوخه وتلاميذه ليظهر لنا منها  
مدى تأثيره وتأثره .

---



ثم عرضت لمؤلفاته في التفسير والحديث والفقه والأصول  
وأشرت الى الموجود منها والمفقود .

وبعد ذلك تحدثت عن مكانته العلمية وثناؤه جهاذة العلماء عليه  
وشهادتهم له بالامامة .

أما الباب الثاني فقد جعلته لدراسة الكتاب وفيه تعرضت للمحة  
سريمة لحالة التفسير في القرن الخامس كدخيل لدراسة تفسير  
المسماني حتى يتسنى لنا معرفة مكانة الامام المسماني بين مفسري  
عصره .

ثم درست مصادر تفسيره حتى يتبين لنا تأثيره بمن قبله .  
ومن ثم عرضت لمنهجه في تفسير السور والآيات القرآنية وهذا  
في حد ذاتة يشكل جانباً مهماً من دراسة الكتاب حيث تحدثت  
عن منهجه في ايضاح القرآن بالقرآن وباللسنة مبينا حرصه على  
المأثور من التفسير وعنايته باللفظ وتسجيل للقراءات وعرضه  
للأحكام الفقهية مع تميزه بابرار عقيدة أهل السنة والجماعة  
والانتصار لها ورده على النحل والفرق الأخرى وذكره لأسباب  
النزول . . . الخ .

ثم عرضت بعد ذلك لأهمية تفسيره وأراء العلماء فيه وهي  
تمجيد ساطع وقبول حسن .

ومن ثم وثقت نسبة المخطوط للامام أبي المظفر السمعاني ،  
ثم بينت منهجي في تحقيق الكتاب .

وأخيرا وصفت النسخ الخطية التي اعتمدت عليها فسي  
التحقيق .

هذا كله في القسم الأول .

أما القسم الثاني فجعلته في تحقيق ودراسة النص وقد  
اجتهدت فيه في اخراج النص بالصورة التي أرادها صاحب الكتاب  
وذلك بمقابلة النسخ بعضها ببعض مع الاستعانة بكتب التفسير  
الأخرى وقارنت بين ما يقوله السمعاني وما يذكره غيره من  
المفسرين وحاولت عزو كل قول الى قائله - حسب المستطاع - كما  
حاولت الترجيح بين الأقوال المختلفة التي يسردها السمعاني  
دون ترجيح وحينما يذكر قولاً أو قولين في المسألة ويكون هناك  
قول آخر أتمرض له مع الترجيح ، كما ذكرت الراجع عندما يسرى  
قولا مرجوحا .

هذا بالانفاة الى أنى خرجت الآيات القرآنية من القرآن  
الكريم ، والأحاديث النبوية من كتب السنه ، وعزوت القسراءات  
الى الأئمة الذين رووها ، وشرحت المفردات اللغوية التي تحتاج  
الى بيان وايضاح ، وترجمت للأعلام الوارده في الأصل ، وعزوت  
الأشعار الى الدواوين الى قاطبيها ان وقفت على ذلك .

وأخيرا قمت بعمل فهرس للآيات القرآنية على حسب ترتيب  
القرآن الكريم وللأحاديث النبوية ، والأشعار والمراجع طسى  
حروف المعجم .

ويعد :

فقد بذلت جهدي ولا ادعى الكمال لمطى هذا وحسبى أنسى  
بذلت فيه من الجهد والوقت الشىء الكثير وكل ما أرجوه أن أكون  
قد وفقت فى خدمة هذا السفر العظيم والعناية به .

---

- القسم الأول -

الدراسة

=====

الباب الأول :-  
مممممممممممممممم

التعريف بالمؤلف - وفيه فصول :-

الفصل الأول : الحالة السياسية والعلمية في عصر المؤلف ،

- الحالة السياسيـة .

- الحالة الثقافيـة والملحيـة .

الفصل الثاني : سيرة المؤلف وحياتــــه .

- مكان ولادته وزمانها واسمه ونسبه .

- حياته وسيرته .

- شيوخه وتلاميذه .

- مؤلفاتــــه .

- مكانة العلمية وثناء العلماء عليه .

الباب الثاني :-  
مممممممممممممممم

في دراسة الكتاب ، وفيه فصول :-

الفصل الأول : التفسير في القرن الخامس .

الفصل الثاني : مصادره .

الفصل الثالث : منهجه .

الفصل الرابع : أهميته وثناء العلماء عليه .

الفصل الخامس : توثيق بسنة المخطوط للمؤلف .

الفصل السادس : منهجى فى تحقيق الكتاب .

الفصل السابع : وصف النسخ الخطية .

---

( ١١ )

- الباب الأول -

التعريف بالمؤلف

- الفصل الأول -

عن الحالة السياسية والعلمية

في عصر الامام السيماني



- الفصل الأول -

عن الحالة السياسية والعلمية في عصر الامام السمعاني

عاشي الامام السمعاني ( ٤٢٦ - ٤٨٩ هـ ) في القرن الخامس

للهجرة وهو عصر مليء بالأحداث من نواح شتى .

لذا نحاول الكلام على هذا العصر ادراكا منا أن البيئة  
والعصر وما فيهما من تيارات سياسية كانت أو دينية أو ثقافية  
لها دخل كبير في تكون شخصيات مجتمعها ، وما الانسان  
الا وليد العصر ونتاجا له مع اختلافهم - بالطبع - في مسدى  
تأثرهم أخذاً وعطاءً بمقدار ما وهبوا من ملكات الفطنة  
والادراك .

فالى الحالة السياسية :-

الحالة السياسية :-  
مهممممممممممممممممم

وقعت الخلافة العباسية تحت نفسون أسرة حاكمة بسوزت  
على مسرح الأحداث آنذاك وهى الأسرة البويهية ، والتي تنحدر

---

من أصول فارسيه ، كما ذكرت ذلك بعض المصادر التاريخيه واعتنقت  
المذهب الشيعي الزيدي (١) .

وتتكون هذه الأسرة من ثلاثة أخوة هم :-

١ - عماد الدولة / أبو الحسن علي . وهو أكبرهم والقويستنس الأول  
للدولة .

٢ - ركن الدولة / أبو علي حسن .

٣ - معز الدولة أحمد وهو أصغرهم (٢)

أتباع أبي شجاع بن بويه بن فناخسرو ، أحد زعماء قبائل

الديلم (٣) .

وقد تجح البويهيون في دخول بغداد سنة ٣٣٤ هـ ، وسيطروا

على الخلافة المباسنية هناك (٤) .

---

( ١ ) الكامل في التاريخ لابن الأثير ( ٢٦٤ / ٨ - ٢٦٥ ) .

( ٢ ) تاريخ الإسلام السياسي للدكتور حسن إبراهيم حسن ( ٣ / ٣٧ - ٤٨ ) .

( ٣ ) نفوس السلاجقة السياسي في الدولة المباسنية ( ٥٥ ) .

( ٤ ) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ( ٨ / ٤٤٩ ) .

وقد دعم هؤلاء المذهب الشيعي ونصروه على المذهب السني

السني<sup>(١)</sup>، وتمتبر هذه الفترة من أزهر فترات الشيعة<sup>(٢)</sup>.

غير أن نفوذ البويهيين أصيب بضعف شديد في أواخر

القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين ، في الوقت الذي

أخذ فيه السلاجقة يثبتون دعائم دولتهم في إيران في النصف

الأول من القرن الخامس الهجري حتى تم لهم الاستيلاء على

بغداد عام ( ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ) ، وبذلك انهار معسكر البويهيين

وسقطت دولتهم<sup>(٣)</sup>.

---

( ١ ) العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية

صفحة (٦٠) .

( ٢ ) المصدر السابق (٦٢-٦٣) .

( ٣ ) البندازي : مختصر تواريخ آل سلجوق صفح ٩-١٠ ، سلاجقة

إيران والمراق صفح (١٣) .

وكان قيام دولة السلاجقة حدثا جديدا في تاريخ العالم  
الاسلامى ، ان ظهروا على مسرح التاريخ فى صورة دولة قويمه  
سرعان ما لعبت دورا رئيسا فى توجيه سير الأحداث فى العالم  
الاسلامى ، وفى بلاد جيرانها من غير المسلمين ، ولم تلبسك أن  
سيطرت على جانب كبير من العالم الاسلامى فى عصرها ، وعلى كثير  
من ممتلكات دولة الروم " البيزنطيه " فى آسيا الصغرى والناطق  
المجاورة لآيران (١) .

وينحدر السلاجقة من قبيله " قنق " وتشمل هذه القبيلة مع  
ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفه  
بـ " الغز " (٢) .

وكانت تعيش فى الصحراء الواسعة والسهوب التى تبدأ عند  
حدود الصين ، وتمتد حتى شواطئ بحر الخزر .

---

( ١ ) سلاجقة آيران والعراق صفحة ( ٢٨ ) .

( ٢ ) الحسينى : أخبار الدولة السلجوقيه ( ٢-٣ ) ، ونفوذ السلاجقة

السياسى صفحه ( ٤١ ) .

وقد أخذت هذه القبائل التركيبة في ترك مواطنها ، وبدأت  
بالهجرة نحو الجنوب الشرقي بسبب جذب أراضيهم على  
ما يبدو .

كما يبدو أن هذا الفرع من قبيلة الغز " السلاجقة " قد  
حصل هذا الاسم عند ظهور جد هم " سلجوق بن دقاق " في  
النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حيث نجح في توحيد  
أفراد هذا الفرع فنسبوا إليه ، وسماوا بالسلاجقة (١) .

وقد كان السلاجقة على العكس من البويهيين يمتنعون المذهب  
السني ويحرصون على التمسك به ، وعلى جهاد أهل المذاهب  
والملة المنحرفة (٢) ، الذين كانت فرقهم الكثيرة منتشرة في خراسان  
وغيرها .

---

(١) دولة السلاجقة صفحته (١٨) عبد النعيم حسنين .

(٢) العلاقات السياسية صفحته (٨٠) .

وقد استطاع السلاجقة بقيادة قوة زعيمهم " طغرلبيك " تحقيق أهدافهم في إنشاء دولة شاسعة الأطراف ، بل انهم استطاعوا أن يصبغوا دولتهم بالصبغة الشرعية فيحصلوا على موافقة الخليفة العباسي ومباركته " القائم بأمر الله " على قيامها سنة (٤٣٢ هـ) (١) ، ثم دخلوا بغداد بجيوشهم في سنة (٤٤٧ هـ) ، وتوطدت أوضاعهم السود بين السلاجقة والخليفة العباسي برباط المصاهرة ، فستزوج الخليفة " القائم بأمر الله " من ابنته " جفوى بك " أخت طغرلبيك " سنة (٤٤٨ هـ) (٢) .

ثم أخذ السلاجقة يوطدون دعائم دولتهم بمد وفاة طغرلبيك " (٤٥٥ هـ) ، الذي خلفه ابن أخيه " ألب أرسلان " (٤٥٦ - ٤٦٥ هـ) فأخذ في تأمين حدود دولته بمساعدة وزيره المعادل " نظام الملك الطوسي " (٣) ، الذي عمل أيضا بمد وفاة " ألب أرسلان " وزيره لابنه " ملكشاه " ، والذي اعتمد عليه في تصريف أموره كما كان يفعل والده (٤) .

- 
- ( ١ ) سلاجقة العراق وایران ( ٣١-٣٥ ) ، نظام الوزارة في الدولة العباسية ( ٣٢-٣٣ ) .  
 ( ٢ ) الكامل لابن الأثير ( ٢٤/٨ - ٢٥ ) .  
 ( ٣ ) سلاجقة العراق وایران ( ٤٦-٥٠ ) ، تاريخ دولة آل سلجوق ( ٣٠-٣١ ) .  
 ( ٤ ) البداية والنهاية ( ١٢/١٠٦ ) ، سلاجقة العراق وایران ( ٥٩-٦٠ ) .

ولقد كان " نظام الطك " هذا من أهم المواضع التي مهدت  
 للإستتباب والاستقرار السياسي والديني في عهد السلاجقة، واليه  
 يرجع الفضل في فتوح الشام وتأسيس دولة سلاجقة الشام بدمشق،  
 والاستيلاء على " فونيه " و" أق " و" فتح " و" انطاكية " ، وتأسيس  
 دولة سلاجقة الروم، ثم الاستيلاء على بلاد النهر. وتتفق كلمة  
 المؤرخين على أن الوزير " نظام الملك الحسن بن علي الطوسي  
 ( ٤٠٨-٤٨٥ ) كان وراء أمجاد هذه الدولة على مدى ثلاثين عاماً  
 كان هو صاحب السياسة والتخطيط (١).

الا أن هذا الوزير المسلم العادل قتل على يد أحسن  
 الباطنية الحاقدين علي أهل السنة والجماعة سنة ( ٤٨٥ هـ ) وتهمته  
 في نفس العام السلطان " ملكشاه " .

ويقتل " نظام الطك " وموت " ملكشاه " انتهى عهد اتحاد وقوة  
 هذه الدولة وبدأ عهد الضعف والانقسام الذي أدى في النهاية  
 الى سقوط هذه الدولة .

( ١ ) طبقات السبكي ( ٧ / ٣١٦ - ٣١٧ ) .

العالة الثقافية والعلمية :-  
ممنمممممممممممممممممممممممممممممممممم

ونحن نعود بالذاكرة تسعة قرون من الزمان لتري ما سجله التاريخ من الجو الفكري والعلمي الذي عاش فيه امانا السمعاني وأثر وتأثيره ، سوف نرى في هذا الاسترجاع أن الفترة بين بزوغ حياة السمعاني وغروبها كانت من أعظم فترات التاريخ الاسلامي شراً بالعلم ونهوضا به ، إذ عاش امانا في القرون الخامس الهجرى .

ففى هذه الفترة كانت العلوم الدينية من تفسير وقراءات وعديت وفقه قد بسقت فروعها ، حيث استقرت دعائم المذاهب الفقهيية ، ووضعت الكتب الصحاح الستة فى الحديث منذ قسبون ضى .

وكانت روايات التفسير بالمشور تشرق وتغرب ، وجعل التفسير بالرأى يزاومها وينافسها .

أما العلوم اللغوية من نحو وصرف وعروض وأدب وبلاغه فقد نضجت واستقرت على مذاهب وآراء ومؤلفاتها تتوالى وتتنافس .



كما كانت قد وضعت كتب السيرة والمغازي والفتوح .  
وأما لنا السمعاني الذي نتحدث عنه عاش في القرن الخامس  
وفي فترة حكم السلاجقة للشرق الاسلامي وهم قوم عرفوا باهتمامهم  
بالمسلم والأدب وكان هيبهم للمعلم وخدمته شغلهم الشاغل ، وخاصة  
أولئك السلاطين الذين تولوا الحكم في ايام حيا  
السمعاني .

كما كان الوزير " نظام الملك الطوسي " الذي تولى الوزارة  
طيلة هذه الفترة عالما درس الحديث وعلوم السنة مهبا للمعلم  
والعلماء كثير الاحسان اليهم ، وقد حفظه أبوه القرآن ،  
وشغله في التفقه على مذهب الشافعي ، فنشأ عالما تقيا .<sup>(١)</sup>

كما كان مجلسه عامرا بالعلماء والفقهاء والقراء ، وله صدقات  
ووقوف كثيرة للصرف عليهم . وبلغ من عنايته بهم أنه كان يقضى  
جزءا كبيرا من وقته معهم حتى كانوا يشغلونه في بعض الأحيان  
عن أمور الدولة .<sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) طبقات السبكي ( ٤ / ٢ = ٣ ) ٣ ( ٣ ) والبداية والنهاية ( ١٢ / ١٤٠ ) .

( ٢ ) المنتظم ٦٥ / ٩ ، وفيات الأعيان ( ٢ / ١٢٨ - ١٢٩ ) ، البداية  
والنهاية ( ١٢ / ١٤٠ ) .

كما أنه رتب للعلماء رواتب ثابتة تصرف لهم بانتظام ، وكان  
يقوم بصرف مرتبات لاثني عشر ألف رجل من رجال العلم فسي  
مختلف أنحاء الدولة الإسلامية .<sup>(١)</sup>

---

(١) البنداري : آن سلجوق ( ٥٦ ) ؛

كذلك بنى الوزير نظام الطك مدرسة بنيسابور لئلا ما أبى المعالي

عبد الطك الجويني (١).

ولم يكتف الوزير نظام الملك بإنشاء المدارس في المدن الرئيسية

بل امتد نشاطه العلمي إلى القوي والمدن النائية ويتجلى لنا ذلك

من قول بعض المؤرخين : " ودارسه في العلم مشهوره لم يخل بلسد

من شئ منها حتى جزيرة ابن عمرو (٢) التي هي في زاوية مسن الأرض

- لا يوهيه لها - بنى فيها مدرسة كبيرة حسنة (٣).

---

(١) القزويني : أثار البلاد وأخبار العباد (٣٥٢ - ٣٥٣) .

(٢) جزيرة ابن عمر : بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام .

معجم البلدان (٢/١٣٨) .

(٣) نظام الوزارة في الدولة المباسية (١٩١) .

وقد اختير لهذه المدارس أساتذة من خيرة علماء العصر وجهابذة  
الفكر قدموا لطلابها ذخائر محصولاتهم .

وفي نظامية بغداد كان يدرس الامام الشحرآزى ( ٤٧٥هـ ) ،  
وأبو نصر الصباح ( ٤٧٧هـ ) وأبو حامد الغزآلى ( ٥٠٥هـ ) .

وفي نيسابور كان يدرس امام الحرمين الجوينى ( ٤٧٨هـ ) وغيره ،  
وفي نظامية مرو كان الامام أبوالمظفر السمعانى الذى نحسن  
بصدده وغيره .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى صرف رواتب من الدولة  
لطلاب هذه المدارس ليتفرغوا لطلب العلم ، ولقد أحرز " نظام الملك " <sup>(١)</sup>  
قصب السبق فى هذا على ما ذكره السبكى فى طبقاته ان يقول  
" وقد أدرت فكرى وغلب على ظنى أن " نظام الملك " أول من قدر  
المعاليم للطلبه فانه لم يتضح لى هل كانت المدارس قبله بمعاليم  
للطلبه أولا ، والأظهر أنه لم يكن لهم معلوم <sup>(٢)</sup> .

المساجد :-  
mmmmmmmmmm

الى جوار المدارس كانت المساجد في هذا العصر - كالجامع  
الأقدم بمر، ومسجد أبي بكر القفال بمر - مراكز اشماع علمية  
تضم العاء الى جانب الخاصة في حلقات الدرس حيث كان يدرس  
بها التفسير والحديث والفقهاء والقراءات . . . الخ .  
ويمقد فيها مجالس الإصلاء والوعظ والتذكير وغيرها مسن  
(١)  
العلوم .

المكتبات :-  
 ~~~~~

اتخذت المساجد مستودعات للكتب فكانت خزائنها غنية بالكتب
 التي كان الناس يهبونها أو يفتونها فيها للقراءة^(١).

كما كانت هناك خزائن للكتب - شبه عمومية - أنشأها الأغنياء
 والوجهاء^(٢) وكانت تضم كتباً في مواضع متنوعة . وكثيراً ما كانت
 هذه الدور منتدى للعلماء يتداولون فيها الأبحاث العلمية
 والمناظرات الأدبية^(٣).

هذا بالإضافة للخزائن التي ألحقت بالمدراس والتي كانت
 تشتمل على آلاف المصنفات . فقد كانت المدرسة النظامية ببغداد
 - مثلاً - تلهق بها مكتبة كبيرة تحقون على حوالي ستمائة ألف
 مجلد^(٤).

(١) سلاجقة ايران والعراق (١٨٩ - ١٩٠) .

(٢) تاريخ العرب (٥١١ / ٢) .

(٣) سلاجقة ايران والعراق (١٩٠) .

(٤) تاريخ الترييه الاسلاميه . أحمد شلبي (١٥٣) ، وصيد الخاطر

هذا بالاضافة الى خزائن كتب الخلفاء والحكام والوزارة التي كانت تعد من مكمّلات مظاهر الطك والأبهة .

ومما لاشك فيه أن وجود مثل هذه المكتبات الغنية بكتب التراث قد ساعد في وجود حركة علمية قومية وعلى تكامل جوانب نهضتها .

فعظم الاقبال على العلم واقتناء الكتب المصنفة في هذا العصر، كما راج سوق الوراقين وهوانيت الكتب (١) .

وامتدت الحركة العلمية الى أهد من ذلك لتشمل العلوم والدراسات الفلكية ان أمر السلطان " ملكشاه " بإنشاء " مرصد فلكي في نيسابور سنة (٦٧٤هـ) اشتغل فيه عمر الخيام مع جماعة من العلماء (٢) .

(١) سلاجقة ايران والعراق (١٩٠) .

(٢) الكامل لابن الأثير (١٠/٩٨) ، تاريخ الشعوب الاسلامية

٩ - أبو عطاء محمد بن أبي زيد بن أبي الأزهري بن المتوكل بن هلال

المتوكل الكلجيجاني ت (٤٧٨ هـ) .

١٠ - أبو المظفر المروزي / عمر بن محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن

أحمد التاجر المروزي .

١١ - محمد بن أحمد بن علي بن حامد أبو نصر الكركانجي العروزي .

١٢ - أبو سهل بريد بن محمد بن بريدة بن أوس بن عبد الله بن بريدة بن

الحصيب الأسلمي السبقذنجي (ت ٤٩٣ هـ) .

وطائفة غيرهم .

وبعد : فلا غرو فقد عاش الامام السمعاني عصره السياسي والعلمي

متأثر به ومؤثرا فيه ، وكان لكل ذلك أثره المباشر في تكوين شخصيته

وتشجيعه على الاهتمام بعلوم الكتاب والسنة ، دراسة وتصنيفا كما أنه نشأ بين

جهاذة علماء عصره الذين نهل من علمهم حتى استطاع أن يؤلف فسي

التفسير والحديث والأصول والعقيدة وغيرهم .

- الفصل الثاني -

سيرة المؤلف وحياته

- الفصل الثاني -

سيرة المؤلف وحياته

ولادته :-
مممممممممم

ولد وترعرع بمرور أعظم وأشهر مدن خراسان أرض المشرق
الإسلامي ، وهي مدينة خرجت كثيرا من العلماء أمثال أحمد
ابن حنبل الإمام ، وسفيان الثوري ، وإسحاق بن راهويه ، وعبد الله
ابن المبارك وغيرهم .

والإقليم الذي يشطه خراسان كما وصفه ياقوت أن " أول حدوده
ما يلي المصراق أزاورد قمصبة جوبين وبيهنق ، وآخر حدوده
ما يلي الهند طخارستان وغزنه وسجستان وكرمان (١) .

الأنه يبدو أن التعريف الجغرافي لبلاد خراسان كان يتفسر
بتفسير الظروف السياسية في البلاد ، أو بالأحرى تبعا لقسوة
السلطة الحاكمة .

(١) بلدان الخلافة الشرقية (٤٢٣) .

ولأن خراسان كانت تعني "بلاد المشرق" أو "أرض المشرق" فقد كانت تطلق أحيانا لتعني كل البلاد الواقعة شرق إيران ، وقد تضم أيضا بلاد ماوراء النهر^(١) .

هذا وقد اعترف الجغرافيون العربى بماقوت بهذه الحقيقة ولا حظ أن الجغرافيين العرب قد أخطأوا فى تعريف خراسان لأنهم ضموا إليها كل البلاد التى تقع تحت حكم ولاية خراسان^(٢) .

وقد فتح هذا الاقليم فى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب -رضى الله عنه - سنة ٢٢ هـ ، ثم أعيد الى طاعة المسلمين فى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان^(٣) .

(١) الثورة العباسية . محمد عبد الحى شهبان .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الكامل فى التاريخ (٣ / ٣٣ - ١٠١) ، الخراسانيون ودورهم

السياسى فى العصر العباسى الأول . ٢٠ .

اسمه ونسبه :-
~~~~~

أما اسمه فنصور ، وأما كنيته فأبو المطفر .

ولا خلاف بين المؤرخين في نسبه فهو منصور بن محمد بن

عبد الجبار ابن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار

ابن الفضل ابن الربيع بن سلم بن عبد الله التميمي (١) .

أما السمعاني - بفتح السين ، وسكون الميم ، وفتح الميم ، فهى

نسبة الى بطن من تميم يقال له سمعان (٢) .

ولد فى نى الحجه من سنة ست وعشرين وأربعمائة بمر ، وكانت

وفاته بمر أيضا فى الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة تسع

وثمانين وأربعمائة ( ٤٨٩ هـ ) (٣) .

---

(١) الأنساب (٢٢٢/٧) .

(٢) الأنساب (٢٢٢٥/٧) .

(٣) الأنساب (٢٢٥/٧) طبقات الشافعية للأسنوى (٣٠/٢) ،

البداية والنهاية (١٢/١٢ - ١٥٤ - ١٥٤) ، تاريخ الخلفاء (٤٣١) .

حياته وسيرته :-  
 ~~~~~

لم يكد امانا السمعاني يبلغ السن التي توهله للتعلم حتى تمهده
 والده طقنا اياه مبادئ العلم . وسرعان ما تفتح عظه وبدأت عليه
 مخايل التبوع والنجابه .

كيف لا وقد نشأ وترعرع في أسرة عريقة في العلم حيث كان
 اخوته وأبوه ثم من بعده أولاده وأولاد أولاده ، وأولاد اخوته ممن
 العلماء مما حدا بالخوارزمي أن يقول وهو يصف هذا البيت - عند
 ذكره لأبي سعد السمعاني " بيته أرفع بيت في بلاد الاسلام ،
 وأعظمه وأقدمه في المعلوم الشرعية والأموال دينيه ، وأسلاف هذا
 البيت وأخلافه قدوة العلماء ، وأسوة الفضلاء ، الامامة مدفوعة
 اليهم ، والرياسة موقوفة عليهم ، تقهوا على أئمة زمانهم في الأفق
 بالاستحقاق ، وترأسوا عليهم بالفضل والفقہ (١) .

وقال عنهم ابن الأثير " هم جماعة أئمة علماء فقهاء محدثون
 اجتمع لهم رياسته الدنيا والدين ، ونالوا الحظ الوافر الذي لم ينلوه
 غيرهم (٢) .

(١) طبقات الشافعية للسبكي (٢/١٨١) .

(٢) اللباب ٢/١٢٨ .

هذا بالاضافة الى نشأته في حجر العلم والمعرفة في " مرو " التي كانت تزدهر بعدد كبير من جهابذة العلم في شتى فنون المعرفة .

ويجتهد أبوالمظفر في الأخذ عن والده ، ثم من علماء خراسان وغيرها حتى يحدق علوم التفسير والحديث واللغة والأصول والفقه .

ثم يحدوه الكلف بالمعرفة الى أن يوهل في سبيلها ، فيشخص الى بغداد التي كانت حاضره العالم في ذلك الوقت ، ومهوى أفئدة العلماء ، فدخلها عام (٤٦١هـ) ^(١) ، فاذا هو يناقش وينظر ويأخذ من كبار علمائها أمثال اسحاق الشيرازي (٤٧٦ هـ) صاحب المذهب ، وأبونصر الصباغ (٤٧٧ هـ) ، اللذين كانت تشد اليهما الرحال في مذهب الامام الشافعي .

(١) طبقات السبكي (١٢٢/٥ - ١٣٤) ، طبقات ابن قاضي

فلما قضى من بغداد حاجته ، اندفع الى الحجاز تهبو نفسه
للحج فاذا به يلتقى بالامام الحافظ أبى القاسم الزنجاني أحد كبار
أئمة الشافعية ، فيدخل في صحبته ، ولم يزل معه حتى صار من
أصحاب الحديث .

وفي هذه الفترة ، ومن خلال أخذة ومناقشات واحتكاك بالعلماء
في كل من بغداد والحجاز ، ينتقل السمعاني من مذهب أبى حنيفة
- والذي عليه جل أسرته - الى مذهب الامام الشافعي .

الا أن حبه وشوقه لوالدة يخريه بالحنين والرجوع الى مرو
في عام (٤٦٨ هـ) ، بعد أن قضى زهاء السبع سنوات ينهل من مآهل
الملم عند يبابها .

وهنا يعلن أبوالمظفر رسميا وعلى الملأ انتقاله من مذهب
الامام أبى حنيفة الى مذهب الشافعي في ربيع الأول من سنة ثمان
وستين وأربعمائة (٤٦٨ هـ) .

فيسبب له ذلك اضطراب العوام وكادت أن تقوم فتنة بين الناس
الذين رأوا في ذلك ما لم يستوعبوه من حقائق الشرع .^(١)

(١) طبقات السبكي (٥/١٤٠ - ٣٤٤) طبقات الأسنوي (٢/٢٩) .

ووصل الأمر إلى أخيه أبي القاسم فهجره وأظهر الكراهة له (١) .
فمن لأبي المظفر الخروج من مرو ، فخرج منها منسحباً أهله
والشيخ ذو المجددين أبو القاسم الموسوي وجماعة من الأصحاب متجهين
إلى طوس ثم نيسابور ، حيث استقبل استقبالاً عظيماً كما رحب به
الوزير " نظام الملك " الذي كان شافعياً المذهب أيضاً فأكرمه وأحسن
شواهه ولم يكن ذلك غريباً من " نظام الملك " الذي عرف بحبه للمعلم
واكرامته للعلماء ، واكتسب أبو المظفر من هذا شهرة وصيتاً كما ألفه
العامة والخاصة .

ولكن أبا المظفر يعود إلى مسقط رأسه في سنة (٤٧٩ هـ) بعد أن
سكنت الفتنة وبعد أن صلح أمره فيكتسب مكانة مرموقة (٢) .

والجد ير بالذكر أن انتقال الإمام أبو المظفر السمعاني من
مذهب الحنفية إلى الشافعية قد نقل معه البيت السمعاني كله
من بعده تقريباً (٣) .

(١) الأنساب (٢٢٣ / ٧) .
(٢) منتخب السنيان (١٣٠) .
(٣) طبقات السبكي (٣٤١ / ٥) .

شيوخه :-
مممممممممم

أبو غانم : أحمد بن علي بن الحسين الكراعي ت (٤٤٤ هـ) (١) .

والده القاضي الامام محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد

ابن جعفر بن أحمد بن عبد الجبار بن الفضل بن الربيع بن مسلم بن

عبد الله السمعاني التميمي ت (٤٥٠ هـ) بصرو . (٢)

أبو بكر محمد بن عبد الصمد القرابي المعروف بأبي الهيثم ت (٤٦٣ هـ) . (٣)

كريمه بنت أحمد بن محمد بن حاتم العروزيه أم الكرام ت (٤٦٣ هـ) . (٤)

بكر بن محمد بن علي بن محمد بن حيد بن عبد الجبار بن النضر بن

مسافر بن قسي ، أبو منصور التاجر النيسابوري ت (٤٦٤ هـ) . (٥)

أبو جعفر بن المسلمه : محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن

السلمي البغدادي الحافظ ت (٤٦٥ هـ) . (٦)

(١) الأنساب (٢٢٤ / ٧) ، سير أعلام النبلاء (٢٦ / ١٢) .

(٢) الوافي بالوفيات (٢١٤ / ٣ - ٢١٥) الأنساب (٢٢٢ / ٧) .

(٣) الأنساب (٣٠ / ٣ - ٣١) (٢٢٤ / ٧) .

(٤) شذرات الذهب (٣١٤ / ٣) .

(٥) شذرات الذهب (٣١٨ / ٣) .

(٦) النجوم الزاهرة (٩٤ / ٥) وطبقات السبكي (٣٣٥ / ٥) .

أبو الحسين بن المهدي محمد بن علي بن محمد بن عبيد الله

ابن عبد الصمد بن محمد بن الخليفة المهدي بالله محمد بن الواثق

العباسي أنور الحسين الهاشمي الخطيب المعروف الفريق (٤٦٥ هـ). (١)

عبد الصمد بن علي بن محمد بن الحسن بن الفضل بن التأمون

(أبو الفنائم الهاشمي) ت (٤٦٥ هـ). (٢)

محمد بن اسماعيل بن محمد بن ابراهيم بن كثير الاستزادي

أبو حاجب ت (٤٦٨ هـ). (٣)

أحمد بن أسد بن أحمد بن بادل الكوفي . أبو العباس . (٤)

أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن

المجمع الصريفي ت (٤٦٩ هـ). (٥)

سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الشيخ الحافظ الزاهد

الورع أبو القاسم الزنجاني ت (٤٧٠ هـ). (٦)

(١) طبقات السبكي (٥٣٥/٥) ، شذرات الذهب (٣٢٤/٣) .

(٢) تاريخ بغداد (٤٦/١١) .

(٣) الأنساب (١٩٩/١ - ٢٠١) طبقات السبكي (١٩٩/٤) .

(٤) الأنساب (١١٦/١١) طبقات السبكي (٣٣٨/٥) .

(٥) تاريخ بغداد (١٤٦/١٠ - ١٤٧) الانساب (٣٠٢/٨) .

(٦) طبقات السبكي (٣٣٨/٥) .

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله أبو الحسين البزار المصروف

بأين النور بالتخفيف ت (٤٧٠ هـ) (١)

أبو صالح المؤذن أحمد بن عبد الطك بن علي الحافظ النيسابوري

ت (٤٧٠ هـ) (٢)

هياج بن عبيد بن الحسين الحطيني أبو محمد الفقيه الزاهد ت ٤٧٢ (٣)

أبو علي الشافعي : الحسن بن عبد الرحمن بن الحسن بن محمد

بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن العباس بن جعفر بن الخليفة

أبي جعفر المنصور العبّاسي أبو علي المكي الشافعي الحنـبـلـي

ت (٤٧٤ هـ) (٤)

إبراهيم بن علي بن يوسف جمال الدين . أبو اسحاق الفيروز آبادي

الشيرازي ت (٤٧٦ هـ) (٥)

عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر أبو نصر

ابن الصباغ ت (٤٧٧ هـ) (٦)

-
- (١) النجوم الزاهرة (١٠٦/٥ - ١٠٧) .
 - (٢) طبقات الأستوى (٤٠٨/٢) والنجوم الزاهرة (١٠٦/٥) .
 - (٣) الأنساب (١٩١/٤ - ١٩٢) .
 - (٤) الأنساب (٢٥/٨ - ٢٦) .
 - (٥) طبقات السبكي (٢١٥/٤ - ٢١٦) الأنساب (٢٧٧/١٠ - ٢٧٩) .
 - (٦) شذرات الذهب (٣٥٥/٣) النجوم الزاهرة (١١٩/٥) .

الفضل بن أحمد بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي بن رافغان بن

علي بن ابراهيم بن اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص (٤٧٨ هـ) (١)

أبونصر محمد بن محمد بن علي بن أبي تمام الحسن بن محمد بن

عبد الوهاب بن سليمان بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن

ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب

الهاشمي (٤٧٩ هـ) (٢)

أبو القاسم الخليلي ابراهيم بن عثمان بن ابراهيم الجرجاني

(٤٨١ هـ) (٣)

الحسن بن أحمد بن محمد بن القاسم بن جعفر السمرقندي . أبوه

(٤٩١ هـ) (٤)

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الثقفي ، أبو عبد الله (٥)

-
- (١) طبقات السبكي (٣٠٣/٥ - ٣٠٤)
 - (٢) تاريخ بغداد (٣٣٨/٣ - ٣٣٩) الأنساب (٣٧٢-٣٧١/٦)
 - (٣) سير أعلام النبلاء (١٩٧/١)
 - (٤) شذرات الذهب (٣٩٤/٣ - ٣٩٥) تذكرة الحفاظ (٢٧/٤)
 - (٥) طبقات المفسرين للسيوطي .

تلاميذه :-
مممممممممممم

- أبو بكر السمعاني محمد بن منصور بن محمد . . . السمعاني

ابن الامام أبي المظفر السمعاني ت (٥١٠ هـ) سمع والده . من

المشهورين من البيت السمعاني . (١)

- أبو المصالي الطوسي :

عبد الرزاق بن عبد الله بن اسحاق الطوسي الوزير ت (٥١٥ هـ) . (٢)

- أبو الرجاء الخمركي :

المؤمل بن مسرور بن أبي سهل بن مأمون الشاسي الخمركي

المأموني ت (٥١٦ هـ) . (٣)

- أبو المجد الشيرازي :

محمود بن عبد الرحمن بن ابراهيم الفارسي الشيرازي ت (٥٢٥ هـ) . (٤)

- أبو الفتح المهيمني :

أسعد بن محمد بن أبي نصر المهيمني ت (٥٢٧ هـ) . (٥)

(١) الأنساب ١ / ٢٢٨ ، طبقات السبكي (٣٠٣ / ٧ - ٣٠٤) .

(٢) طبقات السبكي (١٦٨ / ٧) النجوم الزاهرة (٢٢٤ / ٥) .

(٣) الأنساب (١٩٢ / ٥) طبقات السبكي (٣١٦ / ٧) .

(٤) التبحر (٢٨٢ / ٢ - ٢٨٣) .

(٥) طبقات السبكي (٤٢ / ٧ - ٤٣) .

- أبو الفضر السمعوني :

محمد بن سعيد بن مسعود السمعوني من أهل مرو ت (٢٨٥ هـ)^(١) .

- أبو محمد الفزرنوي :

عبد الله بن عمر بن محمد بن أبي معشر الفزرنوي^(٢) .

- أبو الفتوح الشجاعى :

فضل الله بن محمد بن محمود . . . بن علي بن شجاع السرخسى

المعروف بالسرة ولد من أهل سرخس^(٣) .

- أبو الفضل الجوببارى :

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي الفضل البيهقي الجوببارى

المروزي ت (٢٨٥ هـ)^(٤) .

- أبو بكر الشاشى :

عمر بن عبد الرحيم الشاشى ت (٢٩٥ هـ)^(٥) .

- أبو حفص الشيرازى :

عمر بن محمد بن علي بن أبي نصر الفقيه السرخسى الشيرازى

ت (٢٩٥ هـ)^(٦) .

(١) التحبير (١٣١ / ٢ - ١٣٢) .

(٢) التحبير (٣٧٢ / ١ - ٣٧٣) .

(٣) التحبير (٣٠ / ٢) .

(٤) التحبير (٤٠٨ / ١ - ٤١٠) .

(٥) التحبير (٥١٨ / ١ - ٥١٩) .

(٦) الأنساب ٢٢٥ / ٧ ، طبقات السبكي (٣٣٦ / ٥) .

- أبو عبد الله الخلوقي :

محمد بن عبد الواحد بن محمد . . بن يوسف الخلوقي المكسي

الهالسي ت (٥٢٠ هـ) (١) .

- أبو منصور التوثي :

محمد بن أحمد بن عبد الله بن منصور التوثي المروزي المعروف بفضيه

التوث وهي قرية بمروت (٥٣٠ هـ) (٢) .

- أبو القاسم المروزي :

محمود بن المظفر بن عبد الملك بن أبي توبه المروزي الوزيو من أهل

مروت (٥٣٠ هـ) (٣) .

- أبو عبد الله البيهقي :

الحسين بن أحمد بن علي بن الحسن بن فطيمه البيهقي ت (٥٣٠ هـ) (٤) .

- أبو محمد السمعاني :

الحسن بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ولد أبي المظفر

ت (٥٣١ هـ) (٥) .

(١) التحبير (١٦٦/٢ - ١٦٧) .

(٢) التحبير (٦٣/٢) طبقات السبكي (٧٩/٦ - ٨٠) .

(٣) التحبير (٢٨٨/٢ - ٢٨٩) .

(٤) طبقات السبكي (٧٣/٧) .

(٥) التحبير (٢١٦/١ - ٢١٩) طبقات السبكي (٦٩/٧) .

- أبو الفتح الدبوسي :

(١)
ميمون بن عبد الله بن محمد . . . الدبوسي السفدي ت (٥٣٢ هـ) بمرو .

- أبو عبد الله الفولغاني :

(٢)
محمد بن أبي القاسم بن عبد الفولغاني المروزي ت (٥٣٢ هـ) .

- أبو القاسم التبيي الحافظ :

اسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر التيمسي

(٣)
ت (٥٣٥ هـ) .

- أبو اسحاق المروزي :

(٤)
ابراهيم بن أحمد بن محمد المروزي ت (٥٣٦ هـ) .

- أبو منصور الأصبهاني :

محمود بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد بن محمود . . . بن مسلم

(٥)
ابن مشاده الواعظ الأصبهاني ت (٥٣٦ هـ) .

- أبو علي الطالقاني :

محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأعيبي الطالقاني ثم المروزي من

(٦)
أهل مرو ت (٥٤٢ هـ) .

-
- (١) التحبير (٣٢٦ / ٢) الأنساب (٣٠٨ - ٣٠٧ / ٥) .
 - (٢) الأنساب (٩٣ - ٩٢ / ١٠) طبقات السبكي (٣٠ / ٧) .
 - (٣) طبقات السبكي (٣٣٦ / ٥) النجوم الزاهرة (٢٦٧ / ٥) .
 - (٤) الأنساب (٢٢٥ / ٧) طبقات الأسنوي (٣٩٠ - ٣٩١) .
 - (٥) التحبير (٢٧٢ - ٢٧١ / ٢) طبقات السبكي (٥٨٥ / ٧) .
 - (٦) التحبير (١٧٦ - ١٧٥ / ٢) الأنساب (٣١٧ / ١) .

- أبو بكر الجزجردى :

أحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن ابراهيم بن بشار البوشنجى

الجزجردى البشارى (ت ٥٤٣هـ) (١)

- أبو الفتح الكشميهنى :

محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبى تويسه

الخطيب الكشميهنى (ت ٥٤٨هـ) (٢)

- أبو بكر الدرغانى :

محمد بن أبى سعيد بن محمد البراز الدرغانى المقصرى من أهليل

مرو يسكن سكة المقصر فنسب اليها (ت ٥٤٨هـ) (٣)

(١) التجميع (٢/٤٤٨-٤٥٠) الأنساب (٥/٨٣) .

(٢) طبقات الأستون (٢/٣٥) النجوم الزاهره (٥/٣٠٥) .

(٣) التجميع (٢/٦٥-٦٦) الأنساب (٥/١٢٩) .

٥ - المختصر المعروف بالاصطلاح في الرد على أبي زيد الدبوس فسي
"الأسرار" وتوجد منه نسخة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية
بالحمد لله المنوره . (١)

١ - الانتصار لأصحاب الحديث (٢)

٧ - الرد على القدرية ، وهو كتاب أهداه الى أخيه أبي القاسم فسي
عشرين جزءاً (٣)

٨ - الأحاديث الألف الحسان : وهو كتاب جمع فيه ألف حديث حسن
مسموعاته عن مائة شيخ عن كل شيخ عشرة أحاديث (٤)

٩ - كتاب العيد (٥)

١٠ - الرسالة القوامية : وهي رسالة صنّفها للوزير "نظام الطك" فسي
أدلة الامامه .

ويظهر أن هذه المصنفات - ماعدا ما أشرت بوجوده - في حكم المفقود

فمسي الأبطال فقد ها ، وأن يوفق الله الباحثين الى العثور عليهم -
واحياها .

(١) طبقات السبكي (٣٤٢/٥) ، سير أعلام النبلاء ٢٠ (الورق) ٢٦ .

(٢) طبقات السبكي (٣٤٢/٥) ، كشف الظنون (١٧٣) .

(٣) الأنساب (٢٢٣/٧) .

(٤) هديته الحارفين (٤٧٣/٢) .

(٥) وفيات الأعيان (٢١١/٣) ، الأنساب (٢٢٤/٧) .

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :-
~~~~~

نهى أبوالمظفر المعلم في فنون شتى وتذوقه من ينابيع شتى  
ما ساعده على فرض احترامه بين علماء عصره ، كيف لا وقد كان له  
بإع كبر في التفسير والفقه وأصوله وعلم الكلام<sup>(١)</sup> ، بالإضافة إلى نشوئه  
في بيت علم وفقه وروايته ودراسته<sup>(٢)</sup> مما حدا بالوزير السلجوقي " نظام الملك "  
إلى تقديمه على أقرانه<sup>(٣)</sup> وتكليفه بالتدريس في المدرسة النظامية  
بنيسابور ثم مرو .

ومعلوم أن هذه المدارس ما كان ليدرس فيها إلا من شهد له بالمعلم  
الغزير والاطلاع الواسع .

وها هو ذا امام الحرمين الجويني الذي عاصره يقول فيه " لو كان  
الفقه ثوباً مطويماً لكان أبوالمظفر طرازه<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) الأعلام ( ٤٤٤ / ٨ ) مجمع المؤلفين ( ٢٠ / ١٣ ) .

( ٢ ) التدوين ( ٣٤٩ / ٣ ) .

( ٣ ) طبقات ابن قاضي ( ١ / ٣٠٠ - ٣٠١ ) طبقات السبكي ( ٣٤٤ / ٥ ) .

( ٤ ) سير أعلام النبلاء ( ٢٧ / ١٢ ) طبقات السبكي ( ٣٤٢ / ٥ ) .

وابن خلكان يمدحه بقوله " امام عصره بلا مدافعه أقر بذلك العواقب

والمخالف (١) .

وفي هذا من الشهادة لأبي المظفر ولمكانته ما يكفي .

أما حفيده الاطام أبو سعيد المسمعي فقال عنه : " امام عصره

بلا مدافعه وعديم النظر في وقته ، ولا أقدر على أن أصنف بمسئ

مناقبه ، ومن طالع تصانيفه وأنصف عرف محله من العلم (٢) .

---

( ١ ) وفيات الأعيان ( ٣ / ٢١١ ) .

( ٢ ) طبقات الشافعية ( ٥ / ٣٠٢ ) .

- الباب الثاني -

في دراسة الكتاب

- الفصل الأول -

التفسير في القرن الخامس



- الفصل الأول -

التفسير في القرن الخامس

لم ينقطع العلماء خلال القرن الخامس الهجري كما هو الحال في القرون السابقة عن الكتابة والتأليف ، بل انهم نشطوا وخاصة في النصف الثاني من هذا القرن كنتيجة طبيعية لازدهار الحركة العلمية والتي أشرنا اليها فيما سبق ، ونكتفي هنا بالاشارة الى أهم المؤلفات التي كتبت في التفسير ملاحظين تنوعها وكثرتها .

فيطالعنا أول ما يطالعنا من كتب المطولات :-

١ - تفسير الكشاف والبيان لأبي اسحاق النيسابوري الثعلبي أحمد بن محمد ت ( ٤٢٧ هـ ) وقد كان من أشهر تفسيري هذا القرن وقد غنى فيه الثعلبي بالحديث وآثار الصحابة والتابعين بالاضافة الى منايته باللغة والقراءات والأحكام الفقهية ، كما أنه يمتد على السند في نقل الأخبار والآثار على ما فيه من حشر وآثار ضعيفه .

٢ - ( البرهان في علوم القرآن ) لأبي الحسن العوفي ( علي بن ابراهيم ) ت ( ٤٣٠ ) عنى فيه صاحبه بالاعراب واختلاف النحاة واللفظة

---

والنظائر والأضداد وبالوقف والابتداء .

٣ - التفسير البسيط للواحدى (علي بن محمد ت (٤٦٨) نازل فيه المعتزله والتدريسه واعتنى فيه عناية زائده بالاعراب والقراءات واللغة - كما أنه أكثر فيه من النقل عن تفسير أسستاده الشملى .

٤ - تفسير الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد والذي أفاد منسبه البيضاوى المتوفى سنة ٦٩١ هـ فى قول السبكى والأسنوى - أو سنة ٦١٥ هـ فى قول ابن كثير وغيره .

٥ - تفسير أبى جعفر الطوسى ( محمد بن الحسن ت . ٤٦٠ ) فقيه الشيعه والذي عنى به الزيديه فى اليمن كما يذكر صاحب نزهة الأَبصار .

٦ - تفسير أبى القاسم القشيري ت ( ٤٦٥ ) المسمى لطائف الاشارات وهو تفسير صوفى اشارى مطبوع .

٧ - تفسير أبى الفتح الديلمى ت ( ٤٤٤ ) .

٨ - تفسير الماوردى ت ( ٤٥٠ ) .

٩ - تفسير الحاكم الجشمى ت ( ٤٩٤ هـ ) وهو تفسير اعتزالى تميز بنقله عن كتب التفسير الاعتزاليه التى سبقته .

أما التفسير التي لم تملنا فانها أكثر من هذه بكثير كما نجد ذلك في الفهارس وفي كتب التراجم والطبقات وان كان يبدو أن من أهم هذه الكتب ( التفسير الكبير ) لأبي القاسم القشيري . والتفسير الكبير أيضا لأبي محمد الجويني والد امام الحرمين ( ت ٤٣٨ هـ ) ، والذي أثنى عليه ابن عساکر في تعيين كذب المفتري .

---

- الفصل الثاني -

مصادر السمعاني في تفسيره

لمحه سريعة عن الكتاب :-  
~~~~~

لم تشر كتب الطبقات والتراجم لاسم لكتاب السمعاني هذا في التفسير كما أننا لم نجد للكتاب مقدمة تعرفنا باسم الكتاب ودواعي تأليفه أو منهجه ومصادره غير أن الكتاب شديد الشبه في أسلوبه وطريقته بكتاب البغوي في التفسير لدرجة التطابق في بعض الأحيان مما يدعونا للقول بأن مصادر الكتابين واحدة أو أن أحدهما قد أخذ عن الآخر غير أننا لا نستطيع الجزم بتحديد من الناقل إذ كانا معاصرين .

مصادر السمعاني في تفسيره :-
~~~~~

لم يعهد الامام السمعي لتفسيره بمقدمة يكشف لنا فيها دواعي تأليفه لهذا التفسير ، ومنهجه الذي ارتضاه لنفسه ، ومصادره التي استقى منها لتفسيره هذا ، كما فعل غيره من المفسرين .  
لذا كان لنا علينا أن ننظر في تفسيره للتعرف على أهم مصادره ومنهجه الذي سار عليه .

أما بالنسبة لمصادره في تفسيره فهي كثيرة وعلى الأخص كتب التفسير بالمشهور وكتب الحديث والقراءات .

في التفسير :-  
~~~~~

(١) - تفسير مجاهد بن جبر المكي .

(٢) - تفسير سعيد بن جبيرة .

تأليفه الأمامان المذكوران في تفسيره بمقدمة يكشف لنا فيها دواعي

(٣) - تفسير عكرمة البربري .

تأليفه الأمامان المذكوران في تفسيره بمقدمة يكشف لنا فيها دواعي

المفسر منها لتفسيره هذا ، كما فعل غيره من المفسرين .

(١) انظر تفسير ابن المظفر القسم المحقق ١/٢٠٧ و٢/٢٠٣ و٣/٢٠٥ و٤/٢٠٧

وقد أكثر من الرواية عنه .

(٢) تفسيره (١٣٧ / ١) ، (٣٨٥ / ٢) .

(٣) انظروا تفسيره (١١٨ / ١) .

المفسر بالمشهور وسبب ذلك يعود إلى القراءات .

- ٤ - تفسير طاووس بن كيسان اليماني^(١) .
- ٥ - تفسير عطاء بن أبي رباح^(٢) .
- ٦ - تفسير زيد بن أسلم^(٣) .
- ٧ - تفسير محمد بن كعب القرظي^(٤) .
- ٨ - تفسير أبي العالبيه^(٥) ، رفيع بن مهران الرياحي .
- ٩ - تفسير الحسن البصري^(٦) : أبو سعيد .
- ١٠ - تفسير مسروق بن الأجدع الهمداني^(٧) .
- ١١ - تفسير عامر بن سراج بديل الشعبي^(٨) .
- ١٢ - تفسير قتادة بن دعامة السدوسي^(٩) .

-
- (١) انظر تفسيره (٢٩ / ١) ، (٣١٨ / ٢) .
 - (٢) انظر تفسيره (١٨٨ / ١) (١٩٠ / ٢) .
 - (٣) انظر تفسيره (٤١٧ / ٢) لم يكثر من الرواية عنه .
 - (٤) انظر تفسيره (٢٢٣ / ١) .
 - (٥) انظر تفسيره (١٩ / ١) .
 - (٦) انظر تفسيره (١٢ / ١) (٨٤ ، ٦٤ ، ١٢) .
 - (٧) انظر تفسيره ١ / الورقة ٧١ النسخة الأزهرية .
 - (٨) انظر بمعنى روايات السمعاني (١٨٣ ، ٢٢ / ١) لم يكثر من الرواية عنه .
 - (٩) انظر تفسيره (١٢ / ١) (٢٤ ، ٩٣) .

- ١٣ - الربيع بن أنس . (١)
١٤ - عبيد بن عمير . (٢)
١٥ - محمد بن سيرين . (٣)
١٦ - وهيب بن منبه . (٤)
١٧ - الزهاك بن مزاحم . (٥)
١٨ - تفسير عطاء بن السائب . (٦)
١٩ - السدي اسماعيل بن عبد الرحمن . (٧)
٢٠ - شريح بن الحارث القاضى . (٨)
٢١ - لاحق بن حميد السدوسى البصرى . (٩)
٢٢ - ابراهيم بن يزيد النخعى . (١٠)

-
- (١) انظر تفسيره (١٦/١) (٢/٣٤٥) .
(٢) انظر تفسيره (٩١/١) .
(٣) انظر تفسيره (٩٧/١) (٢/٤٢٧) .
(٤) انظر تفسيره (١١٦/١) .
(٥) انظر تفسيره (١٢٤/١) (٢/٢٥٣) .
(٦) انظر تفسيره (١٣٦/١) .
(٧) انظر تفسيره (١٦٣/١) (٢/٤٩٥) .
(٨) راجع تفسيره (١/٢٩٥) .
(٩) راجع تفسيره (١/٣٠٠) .
(١٠) راجع تفسيره (٢/٣٩٩) .

- ٢٣ - عروه بن الزبير .^(١)
٢٤ - الزهري محمد بن مسلم .^(٢)
٢٥ - عمر بن عبد العزيز .^(٣)
٢٦ - تفسير سعيد بن المسيب .^(٤)
٢٧ - تفسير مقاتل بن المسيب .^(٥)
٢٨ - تفسير ابن جرير .^(٦)
٢٩ - تفسير مقاتل بن حيان .^(٧)
٣٠ - تفسير الكلبي .^(٨)

-
- (١) انظر تفسيره (٢٨٤/١) (٤٢٤/٢) .
(٢) انظر تفسيره (٤٥٦/٢) .
(٣) انظر تفسيره ١/ الورقة ١٢٠/ ب ، ٢ / الورقة ١٩٤/ أ نسخة
الدار .
(٤) تفسير أبي المنذر (٤٦٨،٤٠٥/٢) .
(٥) انظر تفسيره ٢/ الورقة ٨٩/ ب الدار لم يفد السمعاني منه
الا قليلا .
(٦) انظر تفسيره ٣/ الورقة ٢٦١/ ب نسخة الدار ، لم يفد فيها الا قليلا .
(٧) انظر تفسيره ٢/ الورقة ٨٩/ ب نسخة الدار لم يفد منه الا قليلا .
(٨) انظر ٢/ الورقة ٢٢٣/ أ النسخة الأزهرية ، ٣/ الورقة ٩٦/ أ
نسخة دار الكتب لم يفد السمعاني منه الا قليلا .

- ٣١ - تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣١٠ هـ) (١) .
- ٣٢ - تفسير النحاس أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس أبو جعفر
(٣٣٨ هـ) (٢) .
- ٣٣ - تفسير النقاش أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد (٣٥١ هـ) (٢) .
- ٣٤ - تفسير القفال الشافعي محمد بن علي بن اسماعيل الامام (أبو بكر)
الشافعي المعروف بالقفال الكبير (٣٦٥ هـ) (٤) .

-
- (١) انظر نقل السمعاني من تفسير الطبري وتصريحه بذلك ١ / الورقة
١١٥ / ب الأزهريه ، والورقه ١١٨ / أ نسخة الدار ، وانظر
تفسير الطبري (٩٨ / ١٥) .
- (٢) انظر نقل السمعاني منه في تفسيره (٤٤٤ / ٢) والورقه ١٤ / ب ،
والورقه ٢٨٦ / ب نسخة الدار .
- (٣) انظر نقل السمعاني منه في تفسيره (٤١٠ / ٢) والورقه ٢٣١ / ب ،
والورقه ١١٩ / ب نسخة الدار .
- (٤) انظر نقل السمعاني في تفسيره الورقه ٢٤٣ / أ النسخة الأزهريه .

كتاب الحديث :-
 مmmmmmmmmmmmmmm

أكثر الامام السمعاني من ايواده للأحاديث المعانده للآيات
 القرآنيه ، أو المبينة لحكم أو تفسير لآيه . وكانت أهم مصادره في ذلك :-

- ١ - صحيح الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخارى (٢٥٦ هـ) .^(١)
- ٢ - صحيح الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى .^(٢)
- ٣ - سنن أبي داود (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدى) .^(٣)

(١) أكثر السمعاني من الافاده منه ، انظر تفسيره الورقة ١٧٢ / أ ،
 نسخه دار الكتب .

وانظر صحيح كاب التفسير سورة الحج باب (وترى الناس سكارى)

٠ (١١٥ - ١١٤ / ٣)

وانظر تفسير السمعاني على سبيل المثال أيضا الورقة . ١٢ / أ النسخة
 الأزهرية والورقة ١٢ / أ نسخة الدار وهنا ساق السمعاني الحديث
 بسنده الى البخارى الى النبي - صلى الله عليه وسلم - .

(٢) وهو من المصادر الرئيسية للسمعاني في تخريج الأحاديث ، انظر
 تفسير أبي المظفر الورقة ٦ / ب نسخة دار الكتب ، والورقة ١١ / أ من
 النسخة الأزهرية ، والورقة ٨٥ / أ ، والورقة ٢٩ / أ ، و (٢٢٣ / أ) .

(٣) لم يشتر السمعاني في تفسيره لسنن أبي داود الا في مواضع
 قليلة .

انظر تفسيره الورقة (١١ / أ) .

٤ - الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى

(١)

• ابن سوره (٢٩٢ هـ)

(٢)

٥ - الموطأ لإمام مالك بن أنس (١٧٩ هـ)

(٣)

٦ - سنن الدارقطني - علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥ هـ)

٧ - المستدرک علی الصحیحین للحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله

(٤)

• الحاكم النيسابوري

(١) أكثر الافادة منه . انظر تفسيره الورقة (٢٢٧ / أ) ، والورقة

• ١٧ / ب ، و (١٩٣ / ب) و (٧٩ / ب)

(٢) لم يفد الامام السمعاني من الموطأ الا في مواضع محدوده .

انظر تفسيره الورقة ٢١٥ / ب .

(٣) لم يفد منه الا قليلا .

راجع تفسيره الورقة ٢٦٨ / ب ، والورقة ٣٠٢ / أ .

(٤) لم يفد منه الا قليلا ، انظر تفسيره الورقة (١٩٥ / أ) .

الفقه :-
متممممممم

- ١ - استفاد من فقه الصحابة والتابعين (١).
- ٢ - كما استفاد من فقه المذاهب الأربعة وغيرها من المذاهب المشهورة (٢).

-
- (١) انظر تفسير السمعاني الورقة (١٣٠/أ) ، والقسم المحقق (٢٧٢/١) ، (٤٨٩/٢) ، (٤٨٨/٢) ، (٣٧٣/٢) ، (٢٧٧/٢) ، (١٨٨/١) ، (٣٧٣/٢) ، (١٥٥،١٥١/١) ، (٢٠/١) ، (٢٥/٣) ، (١٣٧/١) ، (٣٨٥/٢) ، (١١٨/١) ، (٢٩/١) ، (٣١٨٠/٢) .
 - (٢) انظر تفسيره (٣٢٨/٢ - ٣٣٠) القسم المحقق ، والورقة (٢٧/أ) والورقة (١٧٦/ب) والورقة (٢٢٨/ب) ، والورقة ٢٤٢/ب .

في اللِّغة والنحو :-
مممممممممممممممممممممم

١ - عيسى بن عمر النحوى / أبو عمر البصرى ت (١٤٩ هـ) له فى النحر

الاكمان والجماع .^(١)

٢ - الخليل بن أحمد الفراهيدى ت (١٧٥ هـ) وقيل غير ذلك ، له

كتاب العين فى اللغه .^(٢)

٣ - سيهويه - عمرو بن عثمان بن قنبر ت (١٨٠ هـ) صاحب الكتاب .^(٣)

٤ - الكسائى - على بن حمزة أبو الحسين .^(٤)

٥ - قطرب - محمد بن المستنير ت (٢٠٦ هـ) له معانى القرآن ، وغريب

الحديث والاشتقاق .^(٥)

(١) انظر الورقة ١٠٣ / ب ، و (٢٥٠ / ١) القسم المحقق وكانست افادته منه فى عدة مواضع .

(٢) انظر (٦ / ١) ، (٤٧١ / ٢) القسم المحقق ، والورقة ١٤١ / ب كانت افادته منه فى عدة مواضع .

(٣) انظر الورقة ١٣٥ / ب وقد اعتمد عليه فى عدة مواضع .

(٤) انظر (١٥٣ / ١) ، (١٧٠ / ١) القسم المحقق ، أفاده منه السمعانى فى عدة مواضع .

(٥) انظر (٣٣٤ / ٢) القسم المحقق .

- ٦ - الفراء - يحيى بن زياد (٢٠٧ هـ) له معانى القرآن ^(١) .
٧ - أبو عبيدہ معمر بن المشني . له مجاز القرآن ^(٢) .
٨ - الفضل بن خالد : أبو معاذ النهوي المورزي ت (٢١١ هـ) صنف
كتبا في معانى القرآن ^(٣) .

- ٩ - أبو زيد الأنصاري / سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن
كعب بن الخزرج (٢١٥ هـ) ^(٤) له لغات القرآن وغيره .
١٠ - الأحنف الأوسط - سعيد بن سعد ت (٢١٥ هـ) له معانى
القرآن ^(٥) .

- ١١ - أبو عبيدہ القاسم بن سلام ت (٢٢٤ هـ) له معانى القرآن وغريب
القرآن والحدیث ^(٦) .

-
- (١) انظر (٧٣ / ١) ، (٥٣ / ١) القسم المحقق .
(٢) انظر (١٢ / ١) ، (٣٤٤ / ٢) ، (٤٦٦ / ٢) القسم المحقق .
(٣) انظر (٢٥٦ / ١) القسم المحقق ، والورقة ٣١٦ ب .
(٤) انظر الورقة (١١٦ / ٩) .
(٥) انظر (١٠٣ / ١) ، (٢٧٣ / ١) القسم المحقق .
(٦) انظر (١٣ / ١) القسم المحقق .

١٢ - أبو محمد / عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) له غريب

القرآن ، وشكل القرآن ومعاني القرآن (١) .

١٣ - المهرج - محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ) له معاني القرآن (٢) .

١٤ - ابن كيسان :

محمد بن أحمد بن إبراهيم ، أبو الحسن النحوي (ت ٣٢٠ هـ)

له معاني القرآن (٣) .

١٥ - الزجاج :

أبو اسحاق . إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) له معاني القرآن

واعرابه (٤) .

١٦ - محمد بن القاسم بن محمد بن الأنباري أبو بكر (٣٢٨ هـ) له

تهذيب اللغة (٥) .

١٧ - أبو منصور الأزهري الشافعي ، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠ هـ) له

تهذيب اللغة (٦) .

(١) انظر الورقة (٢٢١) ب .

(٢) انظر (١/٥) ، (١/٢٩٦) ، (٢/٤٨٠) .

(٣) انظر (١/٧٣) .

(٤) انظر تفسيره (١/٢٤) ، (١/١١٨) ، (٢/٤٦٦) .

(٥) انظر تفسيره (١/٢٢٠) ، (١/٣٠٣) ، (٢/٣٤٢) .

(٦) انظر (١/١٠٢) ، (١/٢٩٠) ، (٢/٣١٤) .

١٨ - أبو الحسن بن فارس :

أحمد بن فارس من زكريات (٣٩٥ هـ) له مقاييس اللبنة (١) .

١٩ - أحمد بن محمد الهروي ت (٤٠١ هـ) له الغريبين (٢) .

٢٠ - أبو محمد جكي بن أبي طالب القيسي ت (٤٣٧ هـ) له مشكل

القرآن (٣) .

هذا وقد لا يذكر إلا امام السمعاني الأسماء ويكتفى بقوله

قال أهل المماني " "

(١) انظر تفسيره (٤٣٦ / ٢) . القسم المحقق .

(٢) انظر الورقة (١٤ / ب) و (١٥ / ب) .

(٣) انظر الورقة (٩ / أ) .

القراءات :-
مستعصمة

١ - أشار إلى قراءات من اشتهر من القراء بالقراءات ممن خلفوا

الصحابه والتابعين ، واتفقت الأئمة على اختيارهم ، كما

اتفقت الأمة على جواز القراءة بقراءاتهم .^(١)

٢ - أفاد من قراءات الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين ، كما

أنه يشير إلى القراءات في بعض المصاحف .^(٢)

(١) انظر تفسيره (١٣/١) (١٢٦/١) ، ٣٩/١ ، ٦٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، (١٢٦) ،

والورقه (٧٩/أ) و (١١١/ب) (١١٢/أ) ، (١٨٦/أ)

والورقه (٢٩/أ) (١١٦/٧ ، ١٢٤٧ ، ١٢٥) ، (١٢٦/٢) ، (١٢٦/٢) ،

٤٠١ .

(٢) انظر (٢١٢/٢) ، (٣٩٤/٢) ، (١٠٥٦/١) ، (٢٨٤/٢) ، (٣٨٧/٢) .

== الفصل الثالث ==

مفهوم الامام السمعاني في تفسيره

- الفصل الثالث -

منهج الامام السمعاني في تفسيره

لم يعتمد الامام السمعاني منهجا معينا يسير عليه في تفسير
كل آية يتعرض لها كما فعل الامام الطبري والقوطبي - مثلا -
في تفسيرهما .

الا أنه اذا نظرنا في طريقته التي يفسر بها السور القرآنية
ككل نجده يبدأ بذكر اسم السورة وعدد آياتها وبيان مكيتها
ومدنيها ثم يسوق أسباب نزول السورة - ان وجدت - كما يتعرض
لذلك عند الآيات أيضا .

ثم يشرح بعد ذلك في شرح معاني الآيات واقفا على الكلمات
والألفاظ التي تحتاج الى كشف وبيان كما يسوق الآيات والأحاديث
النبوية ورأى السلف السالحي في معنى تلك الآية وما أثار من تفسير
الصحابه والتابعين فيها .

ويتعرض كذلك لوجوه الاعراب في بعض الآيات وما يترتب على
ذلك من معنى كما يتعرض للقراءات المأثورة لبعض الآيات ، ويتوقف
عند آيات العقيدة موضعها رأى أهل السنة والجماعة داحضا لأراء

الفرق الأخرى .

كما أنه يتوقف أيضا عند آيات الأحكام مورد آراء الفقهاء

بإيجاز واختصار .

وقد عرض الامام السمعاني لكل ذلك بأسلوب سهل وواضح لا لبس

فيه ولا غموض وقد اهتم بتفسيره عن الاصطلاحات العلمية والمناقشات

المنطقية التي تقع في بعض كتب التفسير ، كما اهتم عن الاسباب

في المسائل وعن الخشو والتكرار .

ويمكن تحديد أبرز سمات تفسير السمعاني في الآتي :-

١ - تفسير القرآن بالقرآن :-

اعتمد الامام السمعاني في تفسيره أولا على كتاب الله تعالى

فهو يستشهد ويشمل بآيات القرآن لبيان معنى الآيات فمفسد

قوله تعالى - مثلا - من سورة البقرة (فتلقي آدم من ربه كلمات فتاب

عليه انه هو التواب الرحيم)^(١) يوضح معنى الكلمات والمراد بها

بقوله تعالى في سورة الأعراف (قالوا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تنفر لنا

وترحمنا لنكونن من الخاسرين)^(٢) (٣)

(١) آية ٣٧ .

(٢) آية ٢٣ .

(٣) راجع تفسيره (١/٩٠) .

وعند قوله تعالى : (توءتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن
تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ^(١)) قال : " بيدك
الخير " أى بيدك الخير والشو كما قال " سراييل تفيكم الحر ^(٢)
أى تفيكم الحر والبرد فاكتمفى بأحد المذكورين عن الآخر ^(٣) .

كما أن السمعاني يأتى فى تفسيره بالنظائر من الآيات لبيان

المعنى المطلوب .

فمعد قوله تعالى من سورة البقرة : (قال لا ينال عهدى
الظالمين ^(٤)) نجده يقول : قيل أراد بالظالم هاهنا المشرك . وهو
مثل قولن تعالى (الذين آمنوا ولم يلمسوا ايمانهم بظلم ^(٥)) أى
بشرك ^(٦) .

(١) آل عمران آيه ٢٦ .

(٢) النحل آيه ١٦ .

(٣) انظر صفحة ٤٨ تحقيق .

(٤) البقرة آيه ١٢٤ .

(٥) الانعام آيه ٨٢ .

(٦) راجع تفسيره (١ / ٢٣٢) .

وعند قوله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفروا بها ويستهمزاً بها . فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره) (١) . نجده يقول : هذا إشارة الى ما أنزل في سورة الأنعام " (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم . . .) (٢) الآية . نهى عن القعود معهم . (٣)

وفي قوله تعالى من سورة المنكبوت (يوم ينشأهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) (٤) نجده يقول : وهو مثل قوله تعالى في آية أخرى (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل . . . الآية) (٥) . فهين العذاب الذي غشيهم من فوقهم ومن تحتهم بأنه ظلل من النار (٦) .

(١) النساء آية ١٤٠ .

(٢) آية ٦٨ .

(٣) راجع تفسيره الحورقة ١٠٩ / ١ أ / الأزهرية .

(٤) آية ٥٥ .

(٥) الزمر آية ١٦ .

(٦) تفسيره ٨ / ب الدار .

ثم هو بعد ذلك يسوق الآية التي تخالف في ظاهرها - بمعنى الآية المفسره لبيان وايضاح هذا الاشكال . فمثلا عند قوله تعالى من سورة آل عمران (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات)^(١) قال : فان قال قائل كيف فرق هاهنا بين المحكمات والمتشابهات وسمى كل القرآن متشابهها في قوله تعالى : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابهات)^(٢) وسمى الكل محكما حيث قال (ألر كتاب أحكمت آياته)^(٣) .

قال : (قلنا انما ذكر هنالك كتابا متشابهها على معنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحقي والصدق ، وانما ذكر في الموضع الآخر أحكمت آياته على معنى أن الكل حقيق وجد ليس فيه عيب ولا هزل ، ثم ذكره مفصلا بعده فجعل البعض محكما والبعض متشابهها)^(٤) .

كما أن السمعاني يورد تفسير القرآن بالقرآن لبيان المصنوع اللانوي لبعض الكلمات التي يفسرها .

-
- (١) آل عمران آيه ٧ .
 - (٢) الزمر آيه ٢٣ .
 - (٣) هود آيه ١ .
 - (٤) انظر صفحة ١٣ تحقيق .

فعند قوله تعالى (كان الناس أمة واحدة ^(١)) نجده يقول :
فالأمة في اللغة على وجوه .

فالأمة بـ الفرقه من الناس وغيرهم .

فالترك أمة ، والروم أمة ، والفرس أمة .

قال الله تعالى (ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) ^(١) .
والأمة الحين .

قال الله تعالى : (وانك ربعد أمة ^(٣)) أي بعد حين ^(٤) .

٢ - تفسير القرآن بالسنة :-
~~~~~

ضمن الامام السمعاني تفسيره حنبلياً كبيرة من الأحاديث  
النبوية التي تفسر آيات القرآن والتي تعاضدها ، وقد ساعده  
على ذلك علمه الواسع بالحديث ، والمصنفات التي ألفها فيه ، الا  
أنه لم يتبع طريقة الاسناد الدقيقة في الأحاديث التي  
يورها .

---

( ١ ) البقرة آية ٢١٣ .  
( ٢ ) الأنعام آية ٣٨ .  
( ٣ ) يوسف آية ٤٥ .  
( ٤ ) راجع تفسيره الورقة ٧٠٧ / ١ أ نسخة الدار .

كما يلاحظ أنه يروى الحديث بالمعنى فى معنى الأحيان فعنيده  
قوله تعالى ( الله يستهزئ بهم )<sup>(١)</sup> ذكر قول أهل الرواية للمعنى  
الاستهزاء . ومن بينها قول بأن الله يقربهم من الجنة حتى اذا رأوا  
زهرتها وحسنها وبهجتها واستنشقوا رائحتها صرفهم الى النار  
فذلك الاستهزاء بهم .

قال : وقد نطق عليه الصلاة والسلام بمعناه ثم أورد فائلا حديث  
فى الصحاح<sup>(٢)</sup> .

وعند قوله تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس  
واحدة وخلق منها زوجها )<sup>(٣)</sup> قال : وفى الخبر المعروف " ان  
المرأة خلقت من نعل أعرج فان أردت أن تقيها كسرتها ، وان  
تركتها استتمعت بها على اعوجاج " .

---

( ١ ) البقرة آية ١٥ .

( ٢ ) تفسيره ( ٤٤ - ٤٥ ) .

( ٣ ) النساء آية ١ .

كما أنه يكفي مرة بقوله وفي الخير أو الحديث ويسوق الحديث  
 كما في قوله تعالى ( قل أوتيتكم بخير من ذالكم للذين اتقوا عند  
 ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أزواج مطهرة  
 ورضوان من الله ) (١) . قال : وفي الخير عن النبي - صلى الله عليه  
 وسلم - أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة يقول الله تعالى :

( ان لكم عندى موعدا وانا لمنجزكموه فيقولون قد أعطيتنا كل ما نتمنى  
 فما هو يارب فيقول أنزل عليكم رضوانى ولا أسخط عليكم أبدا ) (٢) .

كما أنه مره يذكر اسم الصحابي الذي روى الحديث كما في قوله  
 تعالى : ( وانى أعيدهما بك وذريتها من الشيطان الرجيم ) (٣) قال :  
 الشيطان المطرود . والرجيم المرحوم بالشهب .

ثم قال : وروى أبوهريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه  
 قال " ما من ولد يولد الا ويطعم الشيطان في خاصرته فيستقبل  
 صارخا الا مريم وابنها فانه ضربها فوق الضرب في الحجاب  
 وقرأ قوله تعالى : ( وانى أعيدها بك وذريتها من الشيطان

(٤)(٥)  
 . (الرجيم)

- 
- (١) آل عمران آية ١٥ .  
 (٢) انظر صفحة ٣٢ تحقيق .  
 (٣) آل عمران آية ٣٦ .  
 (٤) آل عمران آية ٣٦ .  
 (٥) انظر صفحة ٦١ تحقيق .

هذا وقد استعمل السمعاني عبارات مختلفة مثل وقد ثبت  
عن النسيب - صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> - ومثل قوله وفي معنى الأخبار  
المرفوعة عن النبي - صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> - ومثل وروي عن رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> - وهكذا .

وفي الغالب الأعم أن السمعاني لم يخزن الأحاديث المستترة  
بورها في تفسيره إلا أننا رأينا في كثير من الأحيان يحكم على  
الأحاديث ويشير لمن أخرجها - فمثلا - عند قوله تعالى : ( وترون  
الناس سكارى وما هم بسكارى )<sup>(٤)</sup> قال ، وفي الآية خبر صحيح  
أورده البخاري وغيره وهو ما رواه البخاري . . . وساق الحديث .<sup>(٥)</sup>

وعند قوله تعالى ( فهب لي من لدنك وليا يرثني )<sup>(٦)</sup> ساق حديثا  
بسند ثم قال الخبر خرجه مسلم في الصحيح ولم يخرجه البخاري  
لأنه لم يرو عن حماد بن سلمة<sup>(٧)</sup> .

- 
- ( ١ ) تفسيره الورقة ( ١١ / أ ) و ( ١١٥ / أ ) نسخة الدار .
  - ( ٢ ) تفسيره الورقة ( ١١ / أ ) نسخة الدار .
  - ( ٣ ) تفسيره ( ٢ / ٤٢٩ )
  - ( ٤ ) الحج آية ٢ .
  - ( ٥ ) تفسيره الورقة ( ١٧٢ / أ ) الدار والورقة ( ١٢ / أ ) نسخة الدار .
  - ( ٦ ) مريم آية ٥ .
  - ( ٧ ) تفسيره ٢ / الورقة ١٢٩ / أ الدار .

الى جانب كل هذا كان الامام السمعاني يذكر الأحاديث المروية  
 في فضائل السور في رأس كل سورة ، ويظهر أنه قد انتفى لذلك  
 ما يصلح للاحتجاج والاستشهاد دون المتروك والواهي ففي مقدمة  
 تفسيره لسورة النساء يقول : وفي الحديث : من قرأ سورة البقرة  
 وآل عمران والنساء في ليلة كتب من القانتين . ثم قال وعن  
 عمر - رضي الله عنه - أنه قال " تملوا سورة البقرة والنساء والمائدة  
 وسورة النور والأحزاب فان فيهن الفرائض " (١) .

هذا بالإضافة لإبراهه للأحاديث لشرح بعض المعاني  
 اللغوية وتوضيحها كما في قوله تعالى ( وكذلك جعلناكم أمة وسطاً )  
 قال عدلا خيارا ثم قال وقد ورد في الخبر عنه - صلى الله عليه  
 وسلم - أنه قال " خير الدين النمط الأوسط " (٢) .

---

( )

( ١ ) البقرة آية ١٤٣ .

( ٢ ) تفسيره ( ١ / ٢٦١ - ٢٦٢ ) و ( ٢ / ٤٠٩ ) .

حرصه على المأثور من التفسير :-  
~~~~~

ذلك أنه اعتمد في تفسيره اعتمادا كبيرا على التفسير المأثور

فلا نكاد نجد آية الا وأورد خلالها آراء الصحابة والتابعين .

فضلا عند قوله تعالى (غير المنضوب عليهم ولا الضالين) (١) نجد

يقول : المنضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى .

ثم ساق الحديث فقال : وروى عن عدي بن حاتم أنه جاء النبي

النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال يا رسول الله من المنضوب عليهم ؟

فقال اليهود وقال فمن الضالون ؟ فقال النصارى ، قال عدي :

أشهد أني حنيف مسلم . . . الحديث . (٢)

وعند قوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) (٣)

قال : من قوه فيه أقوال أهدها : طارق عقة بن عامر أن النبي

صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال : ألا ان

القوة الرمي ، وأورده مسلم في الصحيح (٤) .

(١) الخاتمة آية ٢ .

(٢) تفسيره (١ / ١٩ - ٢٠) .

(٣) الانفال آية ٦٠ .

(٤) تفسيره الورقة (٢١٩ / ب) و (٣٢٠ / أ) الدار .

وعند قوله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات) (١) قال : اختلفوا في المحكمات والمتشابهات .

قال ابن عباس : المحكمات هي الآيات الثلاث في آخر سورة

الأنعام وذلك قوله تعالى (قل تعالوا . . .) (٢) إلى آخر الآيات .

أما المتشابهات هروء التهجى في أوائل السور .

وقال عكرمة ومباهد : المحكمات الحلال والحرام ، وما سواه كلمة

من المتشابهات لأنه يشبه بعضها بعضها في الحق والتعديق يصدق بعضها بعضها .

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري : المحكمات : ما أوقف الله

تعالى الخلق على معناها والمتشابهات ما لا يعقل معناها ، ولا يعلمها إلا الله (٣) . . . الخ .

(١) آل عمران آية ٧ .

(٢) الأنعام الآيات ١٥١ ، ١٥٣ .

(٣) انظر صفة ١١ ، ١١ تحقيق .

عنايته باللغة والنحو واستشهاده بالشعر :-
~~~~~

كانت عناية الامام السمعاني بمسائل النحو والاعراب في تفسيره  
سريعة وقليلة فهو يمس المسألة مساً خفيفاً ولا يطيل الوقوف عليها  
بل يعرضها بايجاز واختصار .

فمثلاً عند قوله تعالى ( الذين يقولون )<sup>(١)</sup> نجد يقول : فقوله  
" الذين يقولون " يحتمل أن يكون في موضع الخفض وتقديره بالعباد  
الذين يقولون ، ويحتمل أن يكون في موضع الرفع وتقديره يقولون على  
الابتداء ، ويحتمل أن يكون في موضع النسب وتقديره أعني الذين  
يقولون .<sup>(٢)</sup>

وعند قوله تعالى ( ربنا آمانا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار ،  
الصابرين )<sup>(٣)</sup> قال : يحتمل أن يكون في موضع الخفض ، ويحتمل أن  
يكون في موقع النسب يعني الصابرين على الشدائد والمصائب  
وعلى الطاعات وعن المعاصي .<sup>(٤)</sup>

---

(١) آل عمران آيه ١٥ ، ١٦ .  
(٢) تفسيره الورقة ١٦٢ / ١ الأزهرية .  
(٣) آل عمران آيه ١٦ .  
(٤) انظر صفحته ٣٢ ، ٣٣ تحقيق .



هذا وقد حاول الامام السمعاني أن يفسر اللفاظ القرآن الكريم وأن يوضحها مستعرضا في تفسيره مباحث لغويه كثيره تبين مدلول اللفظ القرآني ، وكثيرا ما اعتمد في هذا على الشعر في بيان المعنى المراد من النظم ناكرا لاسم الشاعر تارة ، والنص الشعري مجردا عن الاسم تارة أخرى .

فمثلا عند قوله تعالى ( واذ قضى أمرا )<sup>(١)</sup> نجده يقول : أى أحكم وأتقن .

وأصل القضاء : الفراغ ، ومنه يقال لمن مات قضى نفيه لفراغه من الدنيا ومنه قضاء القاضى لأنه فصل عن فصل الحكومه ، ومنه قضاء الله وقدره لأنه فرغ عنه تقديرا وتدبيراً . قال الشاعر :-  
وعليهما مسرودتان قضاهما  
داود أوضع السوابق تباع  
أى ضلح السوابق .

وقوله قضاها داود : أى أحكمهما . فكذلك قوله ( واذ قضى أمرا ) أى أحكم وأتقن .<sup>(٢)</sup>

(١) البقره آيه ١١٧ .

(٢) تفسيره (١/٢١٩ - ٢٢٠) وراجع (١/٣٢ ، ٢٠٤) و(٢/٤١٥)

(٢/٤٨٠) و(٢/٥٣٤) .

وعند قوله تعاللى ( ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين )<sup>(١)</sup>

قال : الابتهاال : الاللمان . ومنه البهله وهى اللعنه ، يقال عليك بهله الله أى لعنة الله .

والابتهال : الاجتهال فى دعاء اللعنه ، واللعنة الابعاد والطرد عن الرمة بطريق العقوبة .

قال لبيد :

وكهول شاه بن عامر      نظر الدهر اليهم فابتهل

أى نظر الدهر اليهم بالمهالك فأفاهم فيه<sup>(٢)</sup> .

وعند قوله تعاللى " قال الحواريون نحن أنصار الله<sup>(٣)</sup> " قال : أصل

الحوارى المنقاء والنظافة فسموا حواريين لنقاء قلوبهم ، ومنه يقال لسناء الأمسار حواريات .

قال الشاعر :

فقل للحواريات تبكين غمرنا      ولا تبكين الا الكلاب النواصب<sup>(٤)</sup>

(١) آل عمران آيه ٦١ .

(٢) انظر صفحة ١٠١ ، ١٠٢ تحقيق .

(٣) آل عمران آيه ( ٥٢ ) .

(٤) انظر صفحة ٨٩ ، ٩٠ تحقيق .

تسجيل القراءات :-  
~~~~~

اعتنى الامام السمعاني بالقراءات ووقف عليهما كثيرا خـسـلـل
تفسيره فما نزل آية وردت فيهما قراءة أو قراءات الا ونه اليها مع
التوجيه .

فمثلا عند قوله تعالى (ولو ترى الذين ظالموا انه يرون العذاب)^(١)
قال : قرئ هذا بقراءتين (ولو يرون بالياء) ولم يترى بالتاء .
والمعنى : أعلم .

جواب لو هاهنا محذوف .

ثم قال : ومثله كثير في القرآن .

قال الله تعالى : (ولو ترى ان الظالمون موقوفون عند ربهم)^(٢)
وقال (ولو ان قرآنا سيرت به الجبال - الآية)^(٣) ثم حذف الجواب
اختصارا لسببه الى الأفهام .

(١) البقره آيه ٦٥ .
(٢) سبأ آيه - ٣١ .
(٣) الرعد آيه - ٣١ .

ثم من قرأ : (ولو يرى) بالياء تقديره : ولو يرى الذين
ظلموا شدة عذاب الله وعقوبته حين يرون العذاب لعرفوا أن ما اتخذوه
من الأصنام لا يضرهم ولا ينفعهم .

ومن قرأ (ولو ترى) بالتاء . ففي معناه : قولان :-

أحدهما : ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في شدة العذاب حسين
وأوا العذاب لرأيت أمرا عجبا .

والثاني : معناه فقل يا محمد : أيها الظالم ولو ترى الذين ظلموا
في شدة العذاب لتعجبت ولرأيت أمرا قطيعا^(١) .

وعند قوله تعالى (ان الدين عند الله الاسلام)^(٢) قال : ويقرأ
(أن الدين) بفتح الألف ، فمن قرأ بكسر الألف فهو على الابتداء .
وقرأ الكسائي بالنصب وتقديره شهدا الله أن الدين عند
الله الاسلام فانه لا اله الا هو^(٣) .

(١) تفسيره (١ / ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨) .

(٢) آ ن عمران آيه - ١٩ .

(٣) انظر صفحة (٤٠) تحقيق .

وعند قوله تعالى (وَكَلَّمَهَا زَكْرِيَّا)^(١) قال : وكَلَّمَهَا سُدُود (زَكْرِيَّا)

بنصب الألف .

ويقرأ مخففاً (وكَلَّمَهَا) . (زَكْرِيَّا) بضم الألف . ثم قال : ومعنى

الكفالة الضم يعني ونسبها زكريا الى نفسه .

ومن قرأ بالتشديد معناه نسبها الله الى زكريا^(٢) كما كان الامام

السمعاني يشير - أيضا - الى القراءات المشابهة في أحكام كثيرة .

فمثلاً عند قوله تعالى (وَقَالُوا قلوبنا غلّت)^(٣) . قال : قرأ

ابن عباس : غلّت بضم الهمزة ، وهي قراءة الأعرج وابن محيصن

ثم قال : وهي من الشوائب^(٤) .

وعند قوله (الله لا اله الا هو الحي القيوم)^(٥) قال : وقرأ عسر

وابن مسعود : (الحي القيوم) ثم قال : فهي في الشوائب^(٦) .

(١) آل عمران آية (٣٧) .

(٢) انظر صفحة ٦٣ تحقيق .

(٣) البقرة آية ٨٨ .

(٤) تفسيره (١٦٨ / ١) وراجع (٤٠١ / ٢) .

(٥) آل عمران آية - ٢ .

(٦) انظر صفحة (٥) تحقيق .

عربي الأحكام الفقهيہ :-
میں

علمنا أن الامام السمعاني كان فقيها دارسا للمذاهب الفقهيہ ،
متبحرا في المذهيبيں الحنفی والشافعی ، ناقدا متبصرا . لذا كان
من البدیهی أن يظهر أثر ذلك في تفسيره من خلال آیات الأحكام .

فمند قوله تعالی (فمن كان منكم مریضا أو علی سفر فعدة من أيام
آخر) (١) . نجده يقول : قال داود وأهل الظاهر يجب علی المسافر
سوم عدة أيام آخر وان صام رمضان . قولا بظاهر الآية .

والجمهور علی أن فيه انحصارا وتقديره فأفطر فعدة من أيام آخر
ثم اختلفوا في حد المرض الذي يبيح الفطر : فقال : داود وأهل
الظاهر : هو ما ينطلي عليه اسم المرض وهو قول ابن سيرين من السلف .

وقال الحسن : هو المرض الذي تجوز معه الصلاة قاعدا .

ومذهب الشافعي : هو المرض الذي يخاف من الصوم معه

الزياده في المرض .

ثم قال : فأما حد السفر الذي يبيح الفطر اختلفوا فيه :-

(١) البقره آیه -

فقال داود ومن تابعه : هو ما ينطلق عليه اسم السفر .
ومذهب الشافعي : أنه مسافة القصر ستة عشر فرسخا .
ومذهب أبي حنيفة - رضي الله عنه - أنه مسيرة ثلاثة أيام كما فسى
القصر . (١)

كما كان الامام السمعاني يستنبط الأحكام من الآيات .
فمثلا عند قوله تعالى (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم) (٢) قال :
بعد أن ساق سبب نزول الآية ، وأقوال المفسرين . اعلم أن فيما سبق
من التمثيل على جواز القياس دليل على أن القياس هو رد فرع النسي
أصل بنوع شبهه ، وقد رد الله تعالى عيسى الى آدم بنوع فدل على
جواز القياس . (٣)

وعند قوله تعالى : (وأهل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم) (٤)
قال - رحمه الله تعالى - وفيه دليل على أن استحلال البضع لا يخلو
عن بعضي . (٥)

وعند قوله تعالى : (فمن ماملكت أيما نكم من فتياتكم المؤمنات) (٦) قال :
وفيه دليل على أن نكاح الأمه الكتابية باطل . (٧)

- (١)
- (٢) آل عمران آية - ٥٩ .
- (٣) الورقة ١٦٨ / أ - الأزهريه .
- (٤) النساء آية - ٢٤ .
- (٥) تفسيره الورقة ١٨٩ / ب الأزهريه .
- (٦) النساء آية ٢٥ .
- (٧) الورقة ١٨٩ / ب الأزهريه .

المقيدة :-
مممممممممممم

تميز تفسير الامام السمعاني بابراره لمقيدة أهل السنة والجماعة
والانتصار لها. والرد على أهل الفرق الأخرى من معتزله وشيعه
وغيرهم .

وما نكاد نجد آية تتصل بأمر المقيدة والا والسمعاني يشبههما
توضيحا لمذهب أهل السنة والجماعة والأمثله على ذلك كثيرة جدا .

فمثلا عند قوله تعالى (ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض
في ستة أيام ثم استوى على العرش) (١) نجده يقول : أول المعتزلية
الاستواء بالاستيلاء وأنشد فيه :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مبراق

وأما أهل السنة يتبرءون من هذا التأويل ويقولون ان الاستواء
على العرش صفه لله تعالى بلا كيف والايان به واجب كذلك .

يحكى عن مالك بن أنس وغيره من السلف أنهم قالوا في هذه
الآيه الايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه . (٢)

(١) الاعراف آيه - ٥٤ .

(٢) تفسيره الورقه ١٥٧/أ الأزهريه ، والورقه ٢٠٢/ب و ٢٠٣/أ

وعند تفسيره لقوله تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت

أيديهم ولمنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) (١) .

قال : قال أهل العلم : ليس في هذا رد على اليهود في اثباتهم

اليد لله تعالى ، وإنما الرد عليهم في نسبتهم إلى النجل .

وأما اليد صفة لله تعالى بلا كيف ، وله يدان .

وقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : كتبت يداي

يمين والله أعلم بكيفية المراد (٢) .

وعند قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليماً) (٣) تجده يقول : انما

كلمه بنفسه من غير واسطة ولا وحي وفيه دليل على من قال ان الله خلق

كلاما في الشجره فسمعه موسى وذلك لأنه قال (وكلم الله موسى تكليماً)

قال الفراء وشعلب : ان المحبوب تسمى ما توصل إلى الانسان كلاما بأى

طريق وصل إليه ولكن لا يحققه بالمصدر فاذن حقق الكلام بالمصدر لم

يكن الا حقيقة الكلام ، وهذا كالارادة يقال أراد فلان ارادة فيكون حقيقة

(٤)
الارادة .

(١) المائدة آية - ٦٤ .

(٢) تفسيره الورقة ١٢٤ / ب الأزهري .

(٣) النساء آية ١٦٤ .

(٤) تفسيره ١١١ / أ الأزهري .

ذكره لأسباب النزول :-
 ~~~~~

هذا والامام السمعاني في تفسيره نجده يقف - دائما - عند  
 أسباب النزول والآيات والسور التي تكون لها سبب خاص في نزولها ان  
 أن ذلك من لوازم التفسير ان لا يعرف المراد من تلك السور والآيات  
 الا بمعرفة سبب نزولها الذي يبين على فهم الحكمة التي اشتمل  
 عليها التشريع .

فمنذ قوله تعالى ( قل من كان عدوا لجبريل (٢) نجده يقول :

في سبب نزول قولان :-

أحدهما : أن عمر - رضى الله عنه - قال لليهود أنشدكم بالرحمن الذي

أنزل التوراة على موسى ، هل تجدون محمدا في كتابكم ؟

فسكتوا ، ثم عاودهم ثانيا ، فقالوا نعم . قال عمر - رضى ،

الله عنه - فلم لم تكونوا تؤمنوا به ؟ قالوا لأنه ينزل عليه

جبريل وهو عدونا وهو الذي يأتي بالعذاب ، ولو نزل

عليه ميكائيل لأمننا به .

فقال عمر : أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو

لميكائيل ، ومن كان عدوا لهما فالله عدوله فنزلت الآية

على وفق عمر - ثم انتقل للقول الثاني (١) .

وعند قوله تعالى ( فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل  
تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم  
نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ) (١) .

قال : هذا في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بنى نجران الى

المباهلة .

روى محمد بن أبي وقاص أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيده  
الحسن والحسين وفاطمة وعلى ثم دعاهم الى المباهلة (٢) .

وعند قوله تعالى ( يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم ) قال (٤) :

سبب نزول الآية أن اليهود والنصارى اختصموا لدى النبي - صلى الله  
عليه وسلم - في إبراهيم فقالت اليهود هو منا ، وقالت النصارى لا بل  
منا فنزل قوله ( لم تحاجون في إبراهيم ) (٥) .

---

(١) انظر تفسيره (١/١٧٨ - ١٧٩) .  
(٢) آل عمران آية - ٦١ .  
(٣) انظر صفحة (١٠٠) تحقيق .  
(٤) آل عمران آية - ٦٥ .  
(٥) آل عمران آية - ٦٥ .

هذا وقد درج الامام السمعاني في تفسيره على ايراد معنى  
الاشكالات في الآيات التي يتعرض لها على صيغة سؤال ثم يجيب  
عليها .

فمثلا عند قوله تعالى ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني  
يحيبكم الله ويفر لكم دنوبكم والله غفور رحيم ) ( ١ ) .

قال : فان قال قائل لم كبر اسم الله مرارا وكان يكفيه ان يقول  
فانه لا يحبالكافرين ؟ .

قال : قيل هو على عادة العرب فان من عادتهم انهم اذا عظموا  
شيئا كرروا ذكره . وأنشد سيبويه في ذلك :-  
لا أرى الموت يسبق الموت شيئا \* نفس الموت اذا الغنى والفقر ( ٢ ) .

( ٣ )  
وعند قوله تعالى ( وانى سميتها مريم ) :

قال : فان قال قائل ما معنى قولها وانى سميتها مريم ؟ قال :  
قيل معناه حتى يعرف هل وقع ذلك الاسم برضا الله تعالى حتى يغير  
أو يقرر . ( ٤ )

---

( ١ ) آل عمران آية ( ٢١ ) .

( ٢ ) انظر صفحة ( ٥٦ ) تحقيق .

( ٣ ) آل عمران آية - ٣٦ .

( ٤ ) انظر صفحته ( ٦١ ) تحقيق .

كما رأينا السمعاني لا يفسر بعض الآيات اذا بدا له الوضوح فيها  
ويكتفى بقوله ظاهر المعنى .

فعند قوله تعالى : ( ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب<sup>(١)</sup> )  
قال : ظاهر المعنى<sup>(٢)</sup> .

كما في قوله تعالى ( ويعلم ما فى السموات وما فى الأرضي والله على  
كل شئ<sup>(٣)</sup> قدير ) .

قال : ظاهر المعنى<sup>(٤)</sup> . وأمثال ذلك من الآيات .

الاسرائيليات في تفسيره :-  
ممممممممممممممممممممممممممممممممممممممممممممممممم

لم يخل تفسير الامام السمعاني من الاسرائيليات فقد اشتمل على  
نقول كثيرة منها ولكن - ومما لاشك فيه - أن الاسرائيليات في تفسيره - على  
كثرتها - أقل منها عند غيره . فمن ذلك - مثلا - عند قوله تعالى :

( وقلنا اهبطوا منها جميعا<sup>(٥)</sup> ) نجمده يقول : الهبوط : هو النزول من

الأعلى الى الأسفل والخطاب مع آدم وابليس وهواء والحد

والحيه : وهى الحميه التى كانت من خزان لجنه فخدعها ابليس حتى

أدخلته الجنة<sup>(٦)</sup> .

- (١) آل عمران آيه ١٩ .
- (٢) انظر صفحة (٤٠) تحقيق .
- (٣) آل عمران آيسه ( ٢٩ ) .
- (٤) انظر صفحة ( ٥٤ ) تحقيق .
- (٥) البقرة آيه - ٣٦ .
- (٦) (١/١٨٩-٩٠)

وعند قوله تعالى : من سورة البقرة " وما أنزل على الملكين <sup>(١)</sup> قال :  
والقصة في ذلك ما حكى ابن عمر عن كعب الأحمار وهو قول عطاء بن  
أبي رباح وجماعة من المفسرين .

قالوا : إن الملائكة تعجبوا من كثرة معاصي بني آدم فقال لهم الله  
تعالى لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيكم ماركت فيهم لفعلتم مثل ما فعلوا  
فاختاروا من خيارهم ملكين هاروت وماروت فأنزلهما الله تعالى إلى  
الأرض وأخذ عليهما أن لا يشركا ولا يقتلا ولا يزنيا .

قال كعب : فما مضى يوماً واقعا الكل .

وفي القصة أن المزنى بها كانت زهرة فسخت شهابا ورفعت إلى

السماء ، فكان ابن عمر كلما رآها لعنهما <sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) آي ٢ - ١٠٢ .

( ٢ ) ١٩٠ - ٨٨ / ١ .

- الفصل الرابع -

قيمه تفسيه

- الفصل الرابع -

قيمة تفسيره

- لقد اتضح لنا قيمة تفسير السمعاني من خلال دراستنا له بصورة عامة . وانا كان لنا أن نعدد هنا أهم ميزات وقيمه فنقول :-
- ففي الوقت الذي يعد تفسير أبي المنظر السمعاني من المتلوات الا أنه تجنب فيه الدخول في مناقشات ومساائل لا جدوى منها ، مع عدم اهماله للمسائل التي تحتاج الي بحث وبيان .
  - عنايته بعقيدة أهل السنة والجماعة وانتصاره لها ورده على الفرق الأخرى فكان تفسيره - بحق - يعبر عن حاجسة عصره الي تفسير يعتمد به عن الحشو والتكرار ، ويكون سهل التناول ، ويهتم بأمر العقيدة في وقت كانت الفرق الأخرى قد سيطرت على الساحة الاسلاميه فتره ليستبالقصيره وألف مفكروها كتبهم في هذا المجال فكان لابد من تفسير وانح المعنى والدلاله فكان تفسير السمعاني .
  - عدم اقفاله لروح القرن الخامس في العناية باللغة والشعر والقراءات واستدلاله بهما في كثير من الأحيان على عادة هذا العصر .
  - عدم نقل السمعاني في تفسيره لأراء فقط وانما كان ينصب نفسه حكما عدلا في كثير من الأحيان فيتيح بذلك للقارىء أن يميز الحق



من الباطل وقد ساعدته على ذلك غزارة محصلته في الفقه والأصول  
والحدِيث والعقيدة إلى جانب التفسير ، وهي علوم يكمل بعضها  
بعضاً .

هنا وقد أثنى كثير من العلماء على تفسير الامام السمعاني ومدحه  
ولم أقف على عالم ترجم له الا وقد مدح تفسيره .

فهذا حفيده أبو سعدة يقول " صنف التفسير المليح الذي استحسنته  
كل من طالعته . (١)

وقال ابن خلكان : " وله تفسير القرآن ثم قال : " وهو كتاب  
نفيس . (٢)

وقال ابن العماد الحنبلِي عند ترجمته له : " وله تفسير جيد حسن (٣)  
وكذلك قال السبكي . (٤)

أما تأثيره فيمن بعده من المفسرين فلم أقف على شيء واضح فسي  
نذكر .

---

(١) الأنساب (٢٢٤/٧) .  
(٢) وفيات الأعيان (٢١١/٣) .  
(٣) شذرات الذهب (٣٩٣/٣) .  
(٤) طبقات النافعية (٣٤٢/٥) .

- الفصل الخامس -

توثيق نسبة المخطوط لأبي المظفر السمعاني

- الفصل الخامس -

توثيق نسبة المخطوط لأبي المظفر السمعاني

( ١ ) اجتمعت كتب التراجم والطبقات والتي ترجمت لأبي المظفر

السمعاني على أن له كتابا في التفسير ، حتى وصفه الداودي بأنه

في ثلاث مجلدات (١) كما هو الحال في نسخة دار الكتب المصرية .

( ٢ ) جاء في الورقة الأولى من تفسير أبي المظفر السمعاني ما يلي :-

الحمد لله رب العالمين (والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام

على رسوله محمد وآله أجمعين ولاعدوان الا على الظالمين .

القول في تفسير فاتحة الكتاب :

قال الشيخ الامام الأجل الزاهد جمال الأئمة أبو المظفر

منصور بن محمد السمعاني رحمه الله تعالى .

فهذا اثبات أكيد لنسبة الكتاب اليه .

( ٣ ) كما ورد اسم أبي المظفر السمعاني عدة مرات خلال تفسيره ، وكذلك

عند روايته للأحاديث عن شيوخه . ( ٢ )

( ١ ) طبقات المفسرين للداودي ( ٢ / ٣٤٠ ) .

وانظر الأنساب ( ٧ / ٢٢٤ ) وشذرات الذهب ( ٣ / ٣٩٣ ) والنجوم

الزاهرة ( ٥ / ١٦٠ ) ووفيات الأعيان ( ٣ / ٢١١ ) وطبقات الشافعية

للسبكي ( ٥ / ٣٤٢ ) ومعجم المؤلفين ( ١٣ / ٢٠ ) .

( ٢ ) انظر تفسيره الورقة ٦ / ب من نسخة الدار ، والورقة ٨٧ / أ .

عملى فى التحققين :-  
مــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

- حاولت تقويم النسخ واخراجها بصورة واضحة كما وضعه المؤلف وذلك بمقابلة النسخ .
  - عزوت الأقوال الى مصادرها ،
  - خرجت الآيات القرآنية من القرآن الكريم ،
  - خرجت الأحاديث النبوية من كتب السنة ،
  - عزوت القراءات الى الأئمة الذين رووها ،
  - خرجت الآثار من الكتب التى تعنى بالتفسير بالمأثور ،
  - شرحت المفردات اللغوية الصحيبه ،
  - رجعت بين الأقوال المختلفه .
  - ذكرت الراجع عند ما يورد المؤلف قولاً مرجوحاً .
  - وضحت الاسرائيليات الوارده وقمت بالرد عليها ،
  - قمت بالرد على كل قول لا يعتمد على دليل قوى ،
  - ترجمت للأعلام الوارده فى الأصل .
  - عزوت الأشعار للداوين ولأصحابها ان وقفت على ذلك .
  - قمت بعمل فهرس للآيات القرآنيه على ترتيب المصحف وللأحادىث النبوية والآثار والأشعار والأعلام والمراجع على حروف المعجم .
-

- الفصل السابع -

وصف النسخ الخطية

- الفصل السابع -

وصف النسخ الخطية

توافر لى من كتاب التفسير للسمعاني نسختان فيما يلي الكلام  
عليها والتعريف بهما .

الأولى منهما مصورة عن النسخة الأزهرية الأصلية المحفوظة  
في المكتبة الأزهرية بالجامع الأزهر وهي التي اعتمدها ورمزت لها  
بحرف ( أ ) لأن النص فيها مستقيم ويظهر أنها الأقدم كما أنه  
لا يوجد فيها تحريف أو تصحيف .

وهي عبارة عن مجلد بين كبيرين المجلد الأول وعدد أوراقه ( ٢٨٨ )  
ورقه يبدأ من سورة الفاتحة وينتهي عند قوله تعالى من سورة  
الاسراء ( وما أوتيتهم من العلم الا قليلا ) آيه - ٨٥ .

والمجلد الثاني يبدأ من سورة مريم الى آخر المصحف - فان  
هناك سقط بين المجلدين وهو من آخر الآيه التي ذكرنا من سورة  
الاسراء الى آخر سورة الكهف - فسورة الكهف ساقطه بكاملها .

ويحتوى هذا المجلد على ( ٣٤٩ ) ورقه .

---

ونوع الخط في هذه النسخة ( نسخ معتاد ) وعدد سطور كل  
وجه ( ٢٥ سطرا ، وعدد الكلمات في كل سطر بمعدل ( ١٨ كلمة  
تقريبا ورقمها في الأزهريّة ( ٢٠٩٥ ) تفسير .

وفي مكتبة الجامعة الاسلاميه المخطوطات وليس عليها تاريخ  
الكتابة ولا اسم النسخ .

وعلى الورقة الأولى من المجلد الثاني كتب اسم المالك للكتاب  
" من كتب العبد الفقير اليه / السيد محمد الشهير محمود زاد . . عفى  
عنهما " .

كما أنه توجد تعليقات على هذه النسخة بعضها بالفارسية ليست  
هي المؤلف بالطبع لأنهم في بعض هذه التعليقات يصرحون بالأخذ عن  
الكشاف للمزمخشري ومعروف أن الزمخشري ولد سنة ٤٦٧ هـ وتوفي سنة ٥٣٨ هـ .  
أما النسخة الثانية فهي نسخة دار الكتب المصرية ورمزت لها بحرف  
( ب ) وهي عبارة عن ثلاث مجلدات كبيره .

المجلد الأول يبدأ من سورة الفاتحة وينتهي بنهاية سورة التوبه ،  
ويحتوى على ( ٢٥٩ ) ورقة وكل ورقة من وجهين .

---

والمجلد الثاني يبدأ من سورة يونس وينتهي بنهاية سورة القصص  
وتحتون على ( ٢٦٢ ) ورقة كل ورقة من وجهين .

وفيه سقط كما في النسخة الأزهرية من آخر سورة الاسراء التي  
نهاية سورة الكهف .

وأما المجلد الثالث فيبدأ من سورة العنكبوت الى نهايسة  
المصحف ويحتوي على ( ٣٣٠ ) ورقة .

ولا يوجد اسم الناسخ على هذه النسخة أيضا .

أما تاريخ النسخ ففي سنة ١٢٧١ هـ بالنسبة للمجلد الأول  
والثاني بدون تحديد ، .

وأما الثالث فتاريخ نسخة كما دون على آخر ورقة فيسـه  
١٠ جماد أول سنة ١٢٧١ هـ .

أما عدد السطور في كل وجه من الورقة ( ٢٧ ) سطرا ، وعدد  
الكلمات في كل سطر ( ١٥ ) كلمة تقريبا .

ونوع الخط ( نسخ معتاد ) ولا يوجد على هذه النسخة

---



هواشي ، وبها تحريف وتصحيف في بعض الكلمات .

هذا ولا شك أن هذه النسخة منقولة من النسخة الأزهريه ذلك

لأن السقط من النسختين واحد بالاضافه الى سهو الناسخ الناقل

أحيانا .

بالاضافه الى سقط سورة الكهف بكاملها في النسختين وقسم

من سورة الاسراء .

---

القصة السامية

الشقيق

( ١ )

تفسير سورة آل عمران : وهي مدنية :-

بسم الله الرحمن الرحيم .

قال الشيخ الامام الأجل - رضى الله عنه - : لقد ورد في فضل هذه

السورة وسورة البقرة أخبار منها :-

ماروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " تعلموا البقرة

وآل عمران فانهما الزهراوان <sup>(١)</sup> تظلان صاحبيهما يوم القيامة <sup>(٢)</sup> .

وروى عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : تجي البقرة وآل عمران يوم

القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان <sup>(٣)</sup> ، أو فرقان <sup>(٤)</sup> من غير صواف <sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) الزهراوان : المنيرتان ، واحدهت هما زهراء .

انظر النهاية ( ٣٢١ / ٢ ) .

( ٢ ) أخرجه الامام أحمد في مسنده ( ٣٤٨ / ٥ ) ، والدارمي في سننه مسن

كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة وآل عمران ( ٤٥٠ / ٢ ) -

• ( ٤٥١ )

( ٣ ) الغيايبية : كل شئ <sup>أظلم</sup> الانسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها .

النهاية لابن الاثير ( ٤٠٣ / ٣ ) .

( ٤ ) أى قطعتان . النهاية ( ٤٤٠ / ٣ ) .

( ٥ ) الحديث جزء من حديث طويل أخرجه الامام مسلم في صحيحه ، مسن

كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن وسورة

البقرة ( ١٩٧ / ٢ ) .

قوله تعالى : ( الم الله ) فلاكف هو الله ، والام جبريل ،  
 والميم محمد - صلى الله عليه وسلم - وفيه اشارة الى ما أنزل على لسان  
 جبريل على محمد .

وقد ذكرنا الأَقوال في حروف التهجي . ( ٢ )

( ١ ) آل عمران آية ١ .

( ٢ ) ذكر الامام السعدي عند تفسيره لسورة البقرة الم ذلك " الكتاب "

آراء العلماء في حروف التهجي في فواتح السور فقال ما ملخصه :-

١ - قال الشعبي وجماعة من المتقدمين في هذا وسائر حروف التهجي  
 في فواتح السور : " والفائدة في أوائل السور لا يعرف معناها ،  
 وهي سر القرآن ، ولكل كتاب سر وسر القرآن حروف التهجي من  
 فواتح السور ، والفائدة من ذكر طلب الايمان بها أن يعلم أنها  
 من عند الله تعالى .

٢ - وقال غيرهم هي معلومة المعنى :

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - معنى قوله " الم " أنسا  
 الله أعلم ، وكل حرف يدل على معنى فلاكف وليد قوله أنسا ،  
 والام وليد قوله الله ، والميم وليد قوله أعلم . وكذا قال في  
 أمثاله فقال في " المص " معناه : أنا الله أعلم وأفضل . وفي  
 " الصر " أنا الله أعلم وأرى ، وفي " السر " أنا الله أرى .

وقال قتادة في حروف التهجي : أنها اسم للقرآن .

وقال مجاهد : أنها أسماء للسور .

وقال غيرهم : هو قسم ، أقسم الله تعالى بهذه الحروف

لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة .

والذي أرجحه في أوائل السور ما ذهب اليه الامام ابن كثير  
 - رحمه الله - من أن هذه الحروف ذكرت في بعض السور بياناً  
 لا عجاز القرآن الكريم ، وأن الخلق عاجزون عن معارضته ، هذا مع  
 أنه من هذه الحروف المقابلة التي يتخاطبون بها . ولهذا كل  
 سورة افتتحت بالحروف لا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان  
 أعجازه وعظمته .

وهذا معلوم بالاستقراء ، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة .

وانما فتح الميم عند الوصل وان كان الساكن اذا حرك حرك الى الكسر  
لأنهم استثقلوا الكسر بعد الجزم ، والهاء فيه جزم . ( ١ )

" لا اله الا هو " لا معبود سواه ( ٢ ) الحق القويم ( ٣ ) فالحق الدائم  
الذي لم يزل . ( ٤ )

( ١ ) اختار الفراء وكثير من البصريين وصاحب الكشاف أن أسماء الحسروف  
موقوفة الأواخر تقول الفلام ميم ، كما تقول واحد واثنان ثلاثة ، وعلو  
هذا وجب الابتداء بقوله " الله " فاذا ابتدأنا به تثبت الهمزة متحركة  
الا انهم اسقطوا الهمزة للتخفيف وألغيت حركتها على الميم لتدل حركتها  
على أنها في حكم الصقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها ، فكان  
الهمزة ساقلة بصورتها باقية بمعناها ، وهذا هو ما ذهب اليه المؤلف .

وثانها قول سيبويه ، وهو أنه لما وصل الله بألم التقى ساكنان  
بل سواكن ضرورة سقوط الهمزة في الدرج ، فوجب تحريك الأول  
- أعنى الوسطاني - منها وهو الميم - كان الأصل هو الكسر - الا أنهم  
فتحوا الميم محافظة على التشخيص فالفتحة على هذا القول ليست هي  
المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليها ما يرد على القول الأول من  
أن الهمزة حيث لا وجود لها في الأصل أصلاً فكيف تثقل حركتها .

راجع معاني القرآن للفراء ( ١ / ٩ - ١٠ ) ، غرائب القرآن للنعيماني .  
( ١ / ١١٩ ) .

( ٢ ) أخبر عبادة أن الألوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والأنداد ،  
وأن العبادة لا تصلح ولا تجوز الا له لانفراده بالربوبية ، وتوحيده بالألوهية  
وأن كل ما دونه فطكه وأن كل ما سواه فخلقه لاشريك له في سلطانه  
ملكه . احتجاجاً منه تعالى ذكره عليهم بأن ذلك اذا كان كذلك ففيه  
جائز لهم عبادة غيره ، ولا أشراك أحد معه في سلطانه ان كان  
كل معبود سواه فطكه ، وكل معظم غيره فخلقه .  
تفسير الطبري / ٦

( ٣ ) آل عمران آية ٢ .

( ٤ ) انظر اشتقاق أسماء الله للزجاجي صفحة ( ١٦٨ - ١٧٢ ) .

أما القيوم فقد سبق تفسيره . ( ١ )

وقيل ( ٢ ) هو الذي لا يزول ولا يحول .

وقال محمد بن جعفر الزبير : هو دائم الوجود . ( ٤ )

---

( ١ ) انظر تفسيره لسورة البقرة قوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم .

( ٢ ) نسبه صاحب البحر لابن عباس . البحر المحيط ( ٢٧٧/٢ ) .

( ٣ ) محمد بن جعفر الزبير بن العوام الأُسدي المدني .

قال ابن سعد : كان عالما وله أحاديث .

وقال البخاري : قال لي زهير عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن ابن اسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير . وقال كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم .

وقال الدارقطني : مدني ثقة .

وذكره البخاري في الأوسط في فضل من مات بين عشر ومائة الى عشرين ومائة .

تهذيب التهذيب ( ٩٣/٩ ) .

( ٤ ) وهو قول لابن جبير والضحاك .

البحر المحيط ( ٢٧٧/٢ ) ، تفسير الأوسى ( ٧/٣ ) .

وقرأ عمر وابن مسعود " الحسنى القليام " فهي في الشواذ (٣) .

( ١ ) أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، وأمه خثمة بنت هاشم ابن المضيره .

أسلم سنة ست من النبوة ، وقيل ستة خمسين ، وكان عمره ست وعشرين سنة بعد أربعين رجلا وعشرون سنة ، وقيل بعد خمسة وأربعين رجلا وأحدى عشرة امرأة ، قال أهل العلم لما أسلم عمر عز الاسلام وهاجر جبراً وشهد بدرأ وأحداً والمشاهد كلها ، وهو أول خليفة دعى بأمر المؤمنين ، وعن عائشة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال قد كان في الأمم محدثون ، فإن يكن من أمتي فمصر . توفى مقتولاً يوم الأحد صبيحة هلال المحرم وكان عمره ثلاث وستين سنة .

أسد الغابة (٤/١٤٥/١٨١) .

( ٢ ) الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل - رضى الله عنه - ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن ، من السابقين الأولين ، ومن كبار العلماء من الصحابة ، مناقبه جمه ، أمره عمر - رضى الله عنه - على الكوفة هاجر الهجرتين للحبشة ، وصلى إلى القيلتين ، وشهد جميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الذي أجهز على أبي جهل اللعين .

شهد له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة . توفى بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ، أو في التي بعدها وكان عمره بضعاً وستين سنة رحمه الله تعالى ، ورضى الله عنه .

أسد الغابة (٣/٣٨٤ - ٣٩٠) والاصابه (٤/٢٣٣ - ٢٣٦) .

( ٣ ) وهو قراءة ابن عمر وطقسه والنخعي والأعمش .

المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات لابن جنى (١/٢٤٠) .

قوله تعالى ( نزل عليك الكتاب بالحق ) القرآن ، وسمى كتاباً لأنه يجمع الآتى والعروف ، وهو من الكتب ، وهو الجمع ، ومنه الكتيبة وهي السرية لاجتماعهم ، ومنه يقال : كتبت البفله اذا جمع بين شفرينها بحلقه<sup>(١)</sup>.

وقوله ( بالحق ) أى بالصدق فى الدلالات والاخبارات والوعود والوعد .

وقوله ( صدقاً لما بين يديه ) يعنى القرآن صادق لما قبله من التوراة والانجيل ، وانما قال ( لما بين يديه ) لأنه فى تصديق ما قبله واظهار صدقه كالشئ<sup>٢</sup> الحا ضر بين يديه .

( وأنزل التوراة والانجيل<sup>(٢)</sup> من قبل هدى للناس ) فذكر هاهنا أنزل : وذكر فى الابتداء<sup>٣</sup> ( نزل الكتاب ) لأنه أنزل التوراة جملة والانجيل جملة ، ونزل القرآن فصلاً ، والتخزيل للتكثير<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) يقال كتبت السقاء ، وكتبت البفله جمع بين شفرينها بحلقه ، وفى التمارف ضم الحروف بعضها الى بعض بالخط ، وقد يقال ذلك للمضمون بعضها الى بعض باللفظ ، فالأصل فى الكتابة النظم بالخط ، لكن يستمار كل واحد للآخر ، ولهذا<sup>سعى</sup> كلام الله وان لم يكتب كتاباً .  
الفردات ( ٤٢٣ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ٣ .

( ٣ ) انظر البفوى ( ٣١٧/١ ) ، وانظر مسائل الرازى وأجوبتها صفحة ( ٢٦ ) وكذا أجاب الزمخشرى وغيره .



وأما التوراة أصلها ووريه من الوري ، من قولهم وري الزند اذا  
أضأ ، وخرجت ناره ، ويقال وري زندي عند فلان اذا أضأ أمده عنده  
فسمى ووريه لضيائها وكونها نورا ، وقلبت الواو تاء فصارت توراه .

وأما الانجيل من النجيل ، وهو الأصل ، فسمى به لأنه كان أصلا من  
الأصول في العلم .<sup>(١)</sup>

( وأنزل الفرقان ) قيل<sup>(٢)</sup> هو القرآن ، وهو الفرق بين الحلال  
والحرام .

وقيل كل ما أنزل الله فهو فرقان لكونه خرقا بين الحلال والحرام .<sup>(٣)</sup>  
وفي الآية تقديم وتأخير ، وتقديره ، وأنزل التوراة والانجيل من قبل ،  
وأنزل الفرقان هدى للناس .<sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) هناك فريق من العلماء يرى : أن هذين اللفظين لا يدخلهما الاشتقاق  
والتصريف ، لأنهما اسمان أعجميان لهذين الكتابين الشريفين .

قال الفخر الرازي : فالتوراة والانجيل اسمان أعجميان أحدهما  
بالعبرية ، والآخر بالسريانية فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بتطبيقهما  
على أوزان لفة العرب ، فظهر أن الأولى بالعاقل أن لا يلغضت  
الى هذه المباحث .

التفسير الكبير ( ١٧١ / ٧ ) وراجع المحرر الوجيز ( ٣٢٨ / ٢ ) .

( ٢ ) هو قول لقتادة والربيع بن أنس . تفسير الطبري ( ١٦٣ / ٦ ) .

( ٣ ) انظر تفسير الخازن ( ٣١٨ / ١ ) .

( ٤ ) هو قول للسدي . تفسير البهوي ( ٣١٨ / ١ ) .

قوله تعالى ( ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد ) نزل في وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيهم السيد<sup>(١)</sup> والمناقب<sup>(٢)</sup> . كانا رجلين منهم وهم ستون راكبا . وقبيل قريبا من عشرين راكبا فدخلوا المسجد والنبي - صلى الله عليه وسلم - قصد صلى المصرف فوقوا يصلون نحو المشرق صلاتهم ، فلما فرغوا سألهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عيسى فاختلفوا فيه . فقال بعضهم : الله ، وقال بعضهم : ابن الله . وقال بعضهم : ثالث ثلاثة . فقال - صلى الله عليه وسلم - قالوا : نحن مسلمون . فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم بمنكم من ذلك قولكم عيسى ولد الله فأنزل الله تعالى فيهم بضع وثمانين آية من أول سورة آل عمران في الحجاج والدلالة عليهم ورد قولهم ، وهذه الآية من جعلتها نزلت فيهم<sup>(٣)</sup> .

- ( ١ ) السيد : كان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم . ابن كثير ( ٤٠ / ٢ ) .  
 ( ٢ ) المناقب : أمير القوم وصاحب مشورتهم والرأى فيهم . ابن كثير ( ٤٠ / ٢ ) .  
 وفي النهاية لابن الأثير : المناقب والسيد : هما رؤسائهم وأصحاب مراتبهم . والمناقب يتلوا السيد . النهاية ( ٢٦٨ / ٣ ) .

( ٣ ) ذكر غير واحد من المفسرين سبب نزول هذه السورة ، ورغم اختلافهم في رواية وفد نجران على الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا أنهم مجمعون على أن صدر هذه السورة نزل في وفد نجران بسبب مجادلتهم الرسول في أمر المسيح وألوهيته - وقد ذكر الرواية كاملة ابن اسحاق وذكرها ابن جرير الطبري عن ابن اسحاق في تفسيره .

وذكر النيسابوري في ( أسباب النزول ) نفس الرواية مع اختلاف في بعض الألفاظ وأشار إليها السيوطي في ( لباب النقول ) صفحة ٤٣ ، باختصار شديد وقال أخرجه البيهقي في الدلائل .

وقد ثبت في الصحاح حديث وفد نجران فأوردته البخاري مختصرا من كتاب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، باب مناقب أبي عبيدة ابن الجراح ( ٢١٦ / ٤ ) وأخرجه الامام مسلم برواية زفر بن حذيفة من كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح ( ١٢٩ / ٧ ) .

( ١ ) ( والله عزيز ذو انتقام ) فالعزيز المنيع الذي لا يقدر عليه ومنه الأرض المزار وهي الصلبة الشاقة المسلك .

وقيل العزيز الغالب الذي لا يفوت شيء . ومنه يقال : من عزيز ، أي من غلب سلب . ( ٢ ) والمستقم : المحافظ على الخيانة ، والنقمية ( ٣ ) المقوية .

قوله تعالى ( ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ) ( ٤ ) وهذا لا شك فيه . ( ٥ )

( هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء ) وهذا في الرد على فسد نجران حيث قالوا عيسى ولد الله ، فكأنه يقول والذي صوره في الرحم فكيف يكون ولدا له . ( ٦ )

---

( ١ ) آل عمران آية ٤ .

( ٢ ) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ( ٢ / ٢٨٨ ) .

( ٣ ) الانتقام المبالغة في العقوبة . الخازن ( ١ / ٣١٨ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ٥ .

( ٥ ) تكرر في سياق النفس فتعم ، وهي دالة على علمه تعالى بالأشياء على التفصيل فهو العالم بما كان وما يكون فكيف يكون عيسى الهيا أو ابن اله وهو تخفى عليه الأشياء .

القرطبي ( ٢ / ٧ ) وأنظر البحر المحیط ( ٢ / ٣٧٩ ) والمحرد ( ٢ / ٣٣٢ ) .

( ٦ ) في نسخة ب ( فكيف يكون له ولدا ) .

وقد روى عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : " إن النطفة إذا وقعت في الرحم تكون أرهين يوما نطفه ثم أرهين يوما علقه ، ثم أرهين يوما مضغه ، ثم يبعث الله ملكا يأخذ ترابا بين أصبعيه فيخلطه بالصفه ، ثم يصوره باذن الله كيف يشاء الله أحمر أو أسود أو أبيض طويلا أو قصيرا حسنا أو قبيحا ، ثم يكتب رزقه وعطسه وأثره وأجله وشقى أو سعيد ، ثم إذا مات يدفن في التربة التي أخذ منها التراب . (١)

( لا اله الا هو العزيز ) في أمره ( الحكيم ) في سلطانه . (٢)

قوله تعالى ( هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ) اختلفوا في المحكمات والمتشابهات :-

قال ابن عباس : (٣) المحكمات هي الآيات الثلاث التي في آخر سورة الانعام .

وذلك قوله تعالى ( قل تعالوا . . . ) الى آخر الآيات الثلاث . (٤)

(١) الحديث أخرجه ابن جرير الطبري (٦/١٦٧-١٦٨) من طريق السدي عن أبي مالك ، وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن عيسى بن مسعود ، وحديث خلق آدم في بطن أمه بخير هذا اللفظ وبخير هذا الاسناد في صحيح الامام مسلم كتاب القدر ، باب خلط خلق آدم في بطن أمه (٨/٤٤-٤٥) وفي صحيح الامام البخاري في كتاب بدء الخلق (٦) ، باب ذكر الملائكة (٤/٢٨-٢٩) وفي كتاب الحميض (٧) باب مخلقه وغير مخلقه (١/٨٢) وأخرجه الامام أحمد في مسنده (٣٧٤/١) .

(٢) آل عمران آية ٦ .

(٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي ، يكنى أبا العباس ، ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان ابن ثلاث عشرة سنة ، إذ توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل خمس عشرة سنة ، وقيل غير ذلك . توفي بالطفائف سنة ثمان وستين ، وله من العمر سبعون سنة ، وصلى عليه ابن الحنفية ، وقيل اليوم مات رباني هذه الأمة ، وقد دعا له النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله " اللهم فقهه في الدين وطمه التأويل - وكان عمر - رضي الله عنه يقول : ابن عباس فتى الكهول .

وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

أسد الغابة (٣/٢٨٩) الاستيعاب (٣/٩٣٣) الاصابه (٤/١٤١) .

(٤) الأنعام الآيات ١٥١ - ١٥٣ .

أما المتشابهات حروف التهجى فى أوائل السور (٢) .  
وقال عكرمة ومجاهد (٣) (٤) : المحكمات - الحلال والحرام ، وما سواه كله  
من المتشابهات لأنه يشبه بعضها بعضها فى الحق والتصديق ، ويصدق  
بعضه بعضا .

وقال الضحاك (٥) : المحكمات الناسخات ، والمتشابهات المنسوخات (٦) .

---

( ١ ) يبلغ عدد السور القرآنية التى افتتحت بالحروف المقطعة تسعا وعشرين  
سوره .

فى أسرار الفواتح ( ٧٥-٨٣ ) .

( ٢ ) قال ابن عطية : وهذا عندى مثال أصطاه فى المحكمات ، الجامع لأحكام  
القرآن ( ١٠ / ٤ )

( ٣ ) عكرمة البربرى : أبو عبد الله المدنى ، مولى ابن عباس ، أصله من البربر ،  
توفى سنة أربع ومائة من الهجرة بالمدينة .  
تهذيب التهذيب ( ٧ / ٢٦٣ - ٢٧٣ ) .

( ٤ ) مجاهد بن جبر المكي المقرئ ، الحنظلي أبو الحجاج المخزومي ، مولى  
السائب بن أبي السائب ، كان أعد الاطلام الأثبات .  
ولد سنة احدى وعشرين من الهجرة من خلافة عمر بن الخطاب - رضى الله  
عنه - وكانت وفاته بمكة وهو ساجد سنة أربع ومائة طى الأشهر ، وعمره  
ثلاث وثمانون سنة .

تهذيب التهذيب ( ١٠ / ٤٢ - ٤٣ ) والمعارف لابن قتيبة ( ٤٤٥ ) .

( ٥ ) الضحاك بن مزاحم الهلالي : أبو القاسم ، ويقال أبو محمد الخراساني .  
روى عن ابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد وزيد بن أرقم  
وأبى بن مالك .

تهذيب التهذيب ( ٤ / ٤٥٣ - ٤٥٤ ) .

( ٦ ) وهو قول ابن عباس وابن مسعود النكث والعيون ( ١ / ٣٠٤ ) .

وقال جابر بن عبد الله الأنصاري<sup>(١)</sup> : المحكمات ما أوقف الله تعالى الخلق على معناها والمتشابهات ما لا يعقل معناها ، ولا يعلمها إلا الله<sup>(٢)</sup> .

وفيه قولان آخران : أحدهما أن المحكمات ما لا يشتهب معناها ، والمتشابهات ما يشتهب ويلتبس معناها<sup>(٣)</sup> .

والقول الثاني : أن المحكمات ما يستقل بنفسه في المعنى ، والمتشابهات ما لا يستقل بنفسه في المعنى ، إلا بنوع استدلال أورد إلى غيره<sup>(٤)</sup> .

وإنما سميت محكمات من الأحكام لأنه أحكامها تمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها .

( ١ ) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي ، يكنى أبا عبد الله وأبا عبد الرحمن وأبا محمد .

أخذ الكثيرين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - .

روى عن جماعة من الصحابة ، وله ولأبيه صحبة .

مات جابر سنة ثمان وسبعمين ، وقال علي بن المديني : مات جابر بمسجد

أن عرفاً وصلى ألا يصل على الحجاج .

أسد الغابة ( ٢١٩ / ) والاسماعيل ( ٤٣٤ - ٤٣٦ ) .

( ٢ ) هو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري .

قال القرطبي : هذا أحسن ما قيل في التشابه .

الجامع لأحكام القرآن ( ١٠ / ٤ ) .

( ٣ ) هذا قول مجاهد وابن اسحاق ومحمد بن جعفر الزبير .

قال ابن عطية : وهذا أحسن الأقوال في هذه الآية .

الجامع لأحكام القرآن ( ١١ / ٤ ) .

( ٤ ) الفكت ( ٣٠٥ / ١ ) وتفسير البهوي ( ٣٢٠ / ١ ) .

( هُنَّ أم الكتاب ) أى أصل الكتاب . فان قال قائل لم لم يقل هُنَّ  
أصهار الكتاب ؟ .

قيل قال الفراء<sup>(١)</sup> : تقديره هُنَّ الشئ الذى هو أصل الكتاب<sup>(٢)</sup> .  
وقال غيره<sup>(٣)</sup> : معناه كل واحدة منهن أصل الكتاب . كما يقال القوم أشد  
عليّ ، أى كل واحد منهم أشد عليّ ، ومعناه هُنَّ أصل الكتاب ، لأن الخلق  
يفرغون إليه كما تنزع الفروع إلى الأصول .

فان قال قائل كيف فرق هاهنا بين المحكمات والمتشابهات وسوى كل  
القرآن متشابهها فن قوله تعالى ( الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها<sup>(٤)</sup> )  
وسوى الكل محكما حيث قال : ( المر كتاب أحكمت آياته<sup>(٥)</sup> ) ؟ .

قلنا : إنسما ذكر هنالك كتابا متشابها على معنى أنه يشبه بعضها  
بعضا فى الحق والصدق ، وإنما ذكر فى الموضع الآخر أحكمت آياته طمس  
معنى أن الكل حق وجد ليس فيه عيب ولا هزل ، ثم ذكر فضلا آخر يحمده  
فجعل الهمز محكما ، والهمز متشابها<sup>(٦)</sup> .

---

( ١ ) يحيى بن زباد بن عبد الله بن خنيسر الديلمى ، امام الصرية ، أبو زكريا  
المعروف بالفراء .

ولد بالكوفة سنة ١٤٤ هـ . فى عهد أبي جعفر المنصور ، وتوفى سنة  
سبع ومائتين .

بنيّة الوعاة ( ٢ / ٣٣٣ ) .

( ٢ ) معانى القرآن ( ١ / ١٩٠ ) .

( ٣ ) راجع تفسير الطبرى ( ١ / ١٠٧ - ١٠٨ ) ( ٦ / ١٧٠ - ١٧١ ) .

( ٤ ) الزمر آية ٢٣ .

( ٥ ) هود آية ١ .

( ٦ ) راجع مسائل الرازى وأجوبتها صفحته ( ٢٦ ) .

( ١ ) فأما الذين في قلوبهم زيغ ( قال مجاهد : الزيغ اللبس ، وقيل )  
هو الشرك ، وقيل ( ٢ ) هو المشبهات التي تتعلق بالقلب . ( ٣ )

( فيبتغون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ) يعني ان الذين  
في قلوبهم زيغ يخلون في طلب التأويل للمتشابه فيقيمون على التأويل العظم ،  
فذلك ابتغاء الفتنة لأن من غلا في الدين وطلب تأويل ما لا يعلمه الا الله يقع  
في الفتنة ، ويكون مفتونا ، وخير الدين النمط الأوسط الذي ليس فيه غمسو  
ولا تقصير ، ثم اختلفوا في الذين يتبعون ما تشابه من هم ؟ .

( ٤ ) قيل : هم اليهود الذين قالوا مدة أمة محمد على حروف التهجي فسي  
أوائل السور فهم الذين اتبعوا ما تشابه من حروف التهجي .

( ٥ ) وقيل هم النصارى من وفد نجران حيث قالوا لرسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - ما تقول في عيسى ؟ فقال : عبد الله ورسوله . قالوا : فهل تقول انه  
كلمة الله وروح منه ؟ فقال : نعم . فقالوا حسبنا فاتبعوا ما تشابه من قولسه  
كلمة الله وروح منه .

( ١ ) ذكره السدي .

( ٢ ) انظر النكت والعيون ( ١ / ٣٠٦ ) .

( ٣ ) الزيغ : الميل عن الاستقامة . والترايع : التعايل ، ورجل زائغ

وقوم زائغه وزائغون .

الفرديات للأصفهاني ( ٢١٧ ) .

( ٤ ) ذكره الكلبي وجماعة . تفسير الهنوي ( ١ / ٣٢١ ) .

( ٥ ) ذكره الربيع بن أنس النكت والعيون ( ١ / ٣٠٦ ) .



وقيل هم المنافون في طلب التأويل واتباع المتشابه .<sup>(١)</sup>

وروت عائشة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه الآية ثم قال

" إذا رأيتم الذين يجادلون في الآيات فأحذروهم " .<sup>(٢)</sup>

(١) قال القرطبي : " وهذه الآية تعم كل طائفة من كافر وزنديق وجاهل وصاحب بدعة " . الجامع لاحكام القرآن (١٦/٢) .

(٢) عائشة بنت أبي بكر الصديق ، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - ، تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة قبل الهجرة بسنتين ، هذا قول أبي عبيدة .

وقال غيره بثلاث سنين وهي بنت ست سنين ، وقيل بنت سبع ، وابتنى بها بالمدينة وهي ابنة تسع .

لم ينكح - صلى الله عليه وسلم - بكراً غيرها .

قال مطاوع بن أبي رباح : كانت عائشة أفقه الناس ، وأعلم النساء ، وأحسن الناس رأياً في العامة .

وقال هشام بن عروة عن أبيه : ما رأيت أحدا أطم بفقده ولا بطب ولا بشيء من عائشة .

توفيت سنة سبع وخمسين ، وقيل ثمان وخمسين ، وأمرت أن تدفن ليلاً . فدفنت بعد الوتر بالبيقع ، صلى عليها أبو هريرة .

الاستيعاب (١٨٨/٤) ، أسد الغابة (١٨٨/٧) الاصابه (١٦/٨) .

(٣) الحديث رواه الامام أحمد في مسنده (٤٨/٦) وابن ماجه في مقدسة

الباب السابع صفحه (١٩) من الجزء الأول بلفظ قريب من هذا " إذا رأيتم الذين يجادلون فيهم الذين عنى الله عز وجل فأحذروهم " .

وهكذا رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٨٩/٦) وسرده بأحد عشر اسناداً (١٨٩/٦-١٩٥) بألفاظ مختلفة ، وأصل الحديث فسي الصحيحين بلفظ فاذا رأيتم الذين يتيمون ما تشابه منه فأولئك الذين سئى الله فأحذروهم .

راجع صحيح الامام البخاري من كتاب التفسير ، تفسير سورة آل عمران (١٦٥-١٦٦) وصحيح الامام مسلم من كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (٥٦/٨-٥٧) .

قوله تعالى ( وما يعلم تأويله الا الله ) استأثر الله تعالى بمعنى التأويل ، وقيل ان فهم العباد عنه .

والفرق بين التأويل والتفسير أن التفسير : هو ذكر المعنى الواضح كما تقول ( لا ريب فيه ) أى لا شك فيه .

فأما التأويل هو ما يؤول المعنى اليه ويستقر عليه . ( ١ )

( ١ ) هذا أحد الملاحظات ثلاث تطلق على التأويل .

الثانى : أنه يراد به التفسير والبيان ومنه بهذا المعنى قوله - صلى الله عليه وسلم - فى ابن عباس : " اللهم فقهه فى الدين ، وطمه التأويل " .

وقول ابن جرير وغيره من العلماء القول فى تأويل قوله تعالى : كذا وكذا أى : تفسيره وبيانه ، وقول عائشة الثابت فسوس الصحيح : وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى " بتأويل القرآن تمنى بمثله ويمثل به ، والله تعالى أعلم .

الثالث : هو معناه المتعارف فى اصطلاح الأصوليين ، وهو صرف اللفظ من ظاهره المتبادر منه الذى محتل مرجوح بدليل يدل على ذلك ، وحاصل تحرير مسألة التأويل عند أهل الأصول أنه لا يخلو من واحدة من ثلاث حالات بالتقسيم الصحيح .

الأولى : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح فى نفس الأمر يدل على ذلك وهذا هو التأويل القريب المسمى عندهم بالتأويل الصحيح ، والتأويل القريب كقوله - صلى الله عليه وسلم - الثابت فى الصحيح : " الجار أحق بصقبه " فان ظاهرة المتبادر منه

---

••/••

ثبوت الشفحة للجار ، وحمل الجار في هذا الحديث على خصوص  
الشريك المقاسم حمل له على معتدل مرجوح ، إلا أنه دل عليه  
الحديث الصحيح المصحح بأنه إذا صرفت البارق وضربت الحسدود  
فلا شفحة .

الحالة الثانية : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً  
وليس بدليل في نفس الأمر ، وهذا هو المسمى عند هـمسم  
بالتأويل الفاسد ، والتأويل الحميد ، ومثل له الشافعية ،  
والمالكية ، والحنابلة مجمل الامام أبو حنيفة - رحمه الله -  
المرأة في قوله - صلى الله عليه وسلم - : " أيما امرأة تكهنت  
بخير اذن وليها فنكاحها باطل ، باطل " على المكاتبسة  
والصغيره ، وجعله أيضا - رحمه الله - على المسكين في قوله  
" ستين مسكينا " على المد ، فأجاز اعطاء ستين مداً للمسكين  
واحد .

الحالة الثالثة : أن يكون صرف اللفظ عن ظاهره لا لدليل أصلاً ، وهذا يسمى  
في اصطلاح الأصوليين لمبها ، تقول بمعنى الشبهة وإن الله  
بأمركم أن تذبحوا بقرة ( بمعنى عائشة - رضي الله عنها - )  
أضواء البيان ( ١ / ٢٦٧ - ٢٦٨ ) .

ثم الكلام في الوقف ، فاعلم أن أبي بن كعب وعائشه وابن عباس ( فني

رواية طاووس عنه الوقف على قول "إلا الله" وهو قول المسنين (٣) (٤)

(١) أبو بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مسعود  
ابن النجار الأنصاري الخزرجي ، أبو المنذر ، ويقال أبو الطفيسل ،  
سيد القراء ، عرض القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم .

وهو من فضلاء الصحابة - رضوان الله عليهم - .  
اختلف في سنة وفاته اختلافا كثيرا ، فقيل سنة تسع عشرة ، وقيل اثنتين  
وثلاثين ، وقيل غير ذلك .

تقريب التهذيب صفحته (٢٥) أسد الغابة (١/٦١-٦٣) والأصابع  
• (٢٧/١ - ٢٨)

(٢) طاووس بن كيسان اليماني : أبو عبد الرحمن الحميري الجندي .  
أدرك خمسين من الصحابة - رضي الله عنهم - .  
مات سنة ست ومائة ، وقيل غير ذلك .  
تهذيب التهذيب (٥/٨-١٠) .

(٣) هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري - مولى الأنصار ،  
وأمه خيرة مولاة أم سلمة .  
ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر - رضي الله عنه - ونشأ بوادي القرى  
وكان فصيحاً ورعاً زاهداً لا يسبق في وعظه أو يداني في مبلغ تأثيره على  
قلوب سامعيه .

توفي - رحمه الله تعالى - سنة عشر ومائة ، وهو ابن ثمان وثمانين  
سنة .

تهذيب التهذيب (٢/٢٦٣ - ٢٧٠) ميزان الاعتدال (١/٥٢٧) .

(٤) ما بين القوسين ساقتل من "أ" .

وأكثر التابعين وه قال الكسائي (١) والقراء والأخفش (٢) وأبو حاتم (٤)

- (١) علو بن حمزة بن عبدالله بن عثمان الإمام ، أبو الحسن الكسائي ،  
 مولى بنى أسد ، امام الكوفيين فى النحو واللغة ، وأحد القراء  
 السبعة المشهورين ، وسمى بالكسائي لأنه أحرم فى كساء ، وقيل لغير  
 ذلك .  
 مات بالرى سنة تسع وثمانين ومائة ، وقيل غير ذلك . وقيل انه عاش  
 سبعمين سنة ولما مات محمد بن الحسن والكسائي قال الرشيد دفن  
 الفقه والنحو بالرى .  
 مصرفة القراء الكبار للذهى (١٠٠/١ - ١٧٠) بضم الوجة (١٦٢/٢ - ١٦٢) .
- (٢) هو سعيد بن مسعدة . أبو الحسن الأخفش الأوسط .  
 كان مولى بنى مجاشع بن دارم من أهل بلخ .  
 سكن البصرة . قرأ النحو على سيبويه .  
 له عدة مصنفات : منها معانى القرآن .  
 مات سنة خمس عشرة ، وقيل احدى وعشرين ومائتين .  
 بضم الوجة (١٠٠/١٠ - ٥٩٠) .
- (٣) هو القاسم بن سلام بتشديد الام . أبو عبيد البغدادي . الامام  
 المشهور .  
 ثقة فاضل ، مشهور .  
 له مصنف غريب الحديث ، وغريب القرآن ، ومعانى القرآن ، والقراءات  
 وغير هذا كثير .  
 مات سنة أربع وعشرين ومائتين ، وقيل غير ذلك ، وكان موته بحكة المكرسة  
 وبلغ من العمر سبعا وستين سنة .  
 تقريب التهذيب (٢٧٨) نزهة الأولياء (١٣٦ - ١٤١) بضم الوجة  
 (٢٠٤ - ٢٥٤) .
- (٤) هو سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم ، أبو حاتم السجستاني النحوى  
 المقرئ البصرى .  
 كان اماما فى علوم القرآن ، واللغة والشعر .  
 صدوق .  
 له مصنفات كثيرة منها : اعراب القرآن .  
 توفى سنة خمس وخمسين ومائتين ، وقيل غير ذلك ، وقد قارب  
 التسعين .  
 تقريب التهذيب (١٣٩) بضم الوجة (١/١ - ٦٠٦ - ٦٠٧) طبقات القراء  
 (١/١ - ٣٢٠ - ٣٢١) .

وقالوا إن الواو في قوله ( والراسخون ) واو الابتداء .  
والدليل على صحة قراءة ابن عباس ( ويقول الراسخون في المجلس  
أضابه ) .

( ١ )  
وروى ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس في رواية أخرى أنه قال :  
الواو للنسق ولا وقف على قوله ( الا الله ) ( ٢ ) وأن الراسخين في المجلس  
يعلمون التأويل .

قال ابن عباس : وأنا من يعلم تأويله . وقد ثبت عن النبي - صلى  
الله عليه وسلم - أنه قال : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ( ٣ ) .

---

( ١ ) هو عبد الطك بن عبد العزيز بن جريج الأموي . مولا هم المكي .  
ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويوسل .  
مات سنة تسع وأربعين وقيل سنة خمسين ومائة .  
تقريب التهذيب ( ٢١٩ ) غاية النهاية في طبقات القراء ( ٤٦٩ / ١ ) .

( ٢ ) القطع والإشتفاف لأبي جعفر النحاس صفحه ( ٢١٢ - ٢١٥ ) .

( ٣ ) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الوضوء ( ١٠ ) باب وضع الماء عند  
الخلا ( ٤٥ / ١ ) ورواه الامام مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة  
باب فضائل عبد الله بن عباس ( ١٥٨ / ٧ ) والامام أحمد في مسنده  
( ٣١٤٠ ٢٦٦ / ١ ) .

قالوا : والصحيح رواية طاووس عن ابن عباس كما ذكرنا . وطلبه اجماع القراء . ولأن علي قضيت قول مجاهد لا يستقيم قوله والراسخون في العلم يقولون .

قالت النحاة : وانما يستقيم أن نقول ( وما يعلم تأويله ) والراسخون في العلم قائلين آمنة به . ولأنه قال ( والراسخون في العلم يقولون آمنة به كل من عند ربنا ) ولو طموا التأويل لم يكن لقولهم هذا معنى (١) .

وقد روى عن ابن عباس أنه قال : انزل القرآن على أربعة أوجسه ، الحلال والحرام ، ومربيه بصرفها العرب ، وما يعلم الصناد تأويله ، وما لا يعلم تأويله الا الله وهذا يشهد لما قلنا فدل أن الوقف على قوله ( الا الله ) والواو واو الابتداء في قوله ( والراسخون في العلم يقولون آمنة به كل من عند ربنا ) قالوا : ومن رسوخهم في العلم يقولون ذلك . ( وما يذكر الا أوليا الأكتاب ) (٢) .

(١) قال القرطبي : قول عامة المفسرين مع ساعده مذاهب النحويين له أول من قول مجاهد وحده ، وأيضا فإنه لا يجوز أن ينفى الله شيئا عن الخلق ويثبت لنفسه ثم يكون له في ذلك شريك . الا تسرى قوله عز وجل ( قل لا يعلم من في السموات السبع الا الله ) وقوله ( لا يعلمها لوقتها الا هو ) وقوله ( كل شيء هالك الا وجهه ) فكيف هذا كله ما استأثر الله بحلمه لا يشركه فيه غيره وكذلك قوله تبارك وتعالى ( وما يعلم تأويله الا الله ولو كانت الواو في قوله ( والراسخون ) للنسيق لم يكن لقوله ( كل من عند ربنا ) فائده والله أعلم .

القرطبي (١٩/٢) .

(٢) آل عمران آية ٧ .

- قوله تعالى : ( ربنا لا تزغ عقولنا ) أى لا تقل عقولنا <sup>(١)</sup> .  
( بعد إذ هديتنا ) وهذا دواء للشبوت والادامة عليه .  
وقد روت أم سلمة <sup>(٢)</sup> عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول :  
" يا مغيب القلوب ثبت قلبى على دينك <sup>(٣)</sup> .  
( وهب لنا من لدنك رحمة ) نصرة ومعونة <sup>(٤)</sup> ( انك أنت الوهاب ) <sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) راجع تفسير الطبرى ( ٦ / ٢١١ - ٢١٢ ) .

( ٢ ) هى : هند بنت أسبه بن الصفييرة المغزومية أم المؤمنين .  
تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد أبي سلمة ، وعاش بعد  
ذلك ستين سنة .

ماتت سنة اثنين وستين رحمها الله .

أسد الغابة ( ٧ / ٨٩ - ٢٩٠ ) الاصابه ( ٨ / ١٥٠ ) .

( ٣ ) الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده ( ٦ / ٢٩٤ ) و ( ٦ / ٣٠١ - ٣٠٢ ) ،  
ورواه الامام الترمذى فى كتاب القدر الباب السابع حديث رقم ( ٢١٤ ) وفى  
كتاب الدعوات الباب رقم ٩٠ حديث رقم ( ٣٥٢٣ ) وفى الباب رقم  
( ١٢٤ ) حديث رقم ( ٣٥٨٧ ) .

( ٤ ) قال صاحب البحر المحيط : ( سألوا بلفظ الهبة الشجرة بالفضيل  
والاحسان اليهم من غير سبب ولا صل ولا معاوضه ، لأن الهبه كذلك  
تكون ، وخصوها بأنها هبه ) .

( ٢ / ٣٨٦ ) .

( ٥ ) آل عمران آية ٨ .



قوله تعالى ( ربنا انك جامع الناس ليقيم لاربياب فيه ) أي لاشك فيس  
عند أهل الحق .

وقيل أراد لاربياب فيه يوم القيامة اذا قامت وظهورت (١) ان الله لا يخلف  
الميعاد (٢) فلا تزغ قلوبنا وارحنا لكنه أوجزه ولم يذكر تمام الدعاء .

قوله تعالى : ( ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم  
من الله شيئاً ) وهو قول الكافرين يوم القيامة شغلنا عن الحق أموالنا  
وأهلونا يقول لا طر لهم فيه ولا يغنيهم ذلك . ( وأولئك هم وقود النار ) (٣) (٤)

قوله تعالى ( كدأب آل فرعون ) الدأب الشأن ، والدأب العارء (٥) .

( ١ ) قال صاحب البحر لما سأله تعالى أن لا يزغ قلوبهم بعد الهداية ،  
وكانت شجرة انغاف الزبغ والهداية ، انما تظهر في يوم القيامة أخسجروا  
أنهم موقوفون بيوم القيامة ، واليهت فيه للمجازاة ، وأن امتقاد صحة  
الوعد به هو الذي هداهم الى سؤال أن لا يزغ قلوبهم .  
البحر المحيط ( ٢ / ٣٨٧ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ٩ .

( ٣ ) اتى بلفظ هم المشعور بالاختصاص ، وجمليهم نفس الوقود مهالفة في الاحتراق  
كأن النار ليس لها ما يضر بها الا هم .  
البحر المحيط ( ٢ / ٣٨٨ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ١٠ .

( ٥ ) تقول دأب الرجل في عمله يدأب دأبا ودأبا : اذا جد واجتهد .  
وأدأبته أنا وأدأب بحيره : اذا جهد في السير ، والدأبسان :  
اللبلب والنهار .  
قال امرؤ القيس :

كدأبك من أم الجويوث قبلها وجارتها أم الريان بمأسسل  
والمعنى كما دأبك في أم الجويوث حين أهلكت نفسك في حبها .  
وبكيت دارها ووسمها .

معاني القرآن للأهفص الأوسط ( ١ / ١٩٤ ) وراجع الجامع لأحكام  
القرآن ( ٤ / ٢٢ - ٢٣ ) .

ومعنى الآية : أن عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسول وجحد الحسق والتظاهر على الكفر كمادة آل فرعون وقومه . ( والذين من قبلهم ) بمعنى عادا وثمودا . ( كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ) عاقبهم الله بجرائمهم . ( والله شديد العقاب )<sup>(١)</sup> لأنه دائم عقابه لا ينقطع وكل دائم شديد .

قوله تعالى ( قل للذين كفروا ) قال ابن عباس : وسبب نزول الآية ما روى أنه لما فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قتال المشركين يوم بدر جمع اليهود بقينقاع<sup>(٢)</sup> وقال لهم أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بالمشركين من بأس الله فقالوا : انك لقيت قوما أغمارا<sup>(٣)</sup> لا يعرفون القتال فلبسوا قاطنتا لوليت<sup>(٤)</sup> . فنزل قوله تعالى ( قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم ) بمعنى ستغلبون في الدنيا وتحشرون في الآخرة إلى جهنم وبئس المهاد<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) آل عمران آية ١١ .

( ٢ ) لعل مراده جمع يهود بني قينقاع . وفي سنن أبي داود جمع اليهود في سوق بني قينقاع .

( ٣ ) الأغمار : جمع غمره بالضم . وهو الجاهل الغر الذي لم يتجرب الأمور .  
النهاية ( ٣ / ٣٨٥ ) .

( ٤ ) الحديث : أخرجه أبو داود في سننه من كتاب الخراج والامارة والفسق باب كيف كان اخراج اليهود من المدينة .

( عون المصنوع ٨ / ٢٣٠ - ٢٣١ ط . المكتبة السلفية ، وراجع أسباب

الغزول للنيسابوري ٥٤ ) .

( ٥ ) آل عمران آية ١٢ .

وقال مقاتل<sup>(١)</sup> وجماعة : هو خطاب لأولئك المشركين يوم بدر .  
يقول الله ( قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون ) بمعنى الذين  
كفروا منهم ستغلبون وتحشرون الى جهنم ) . وقد حضروا الى جهنم  
ويقرأ<sup>(٢)</sup> سيغلبون ويحشرون بالياء .

قال الفراء : وهو مثل قول الرجل قل لزيد انك قائم هو معنى قوله  
قل لزيد انه قائم فهو فى المعنى سواء<sup>(٣)</sup> . ويحتمل أن يكون خطأ لليهود  
بمعنى قل للذين كفروا من اليهود سيغلب المشركون ويحشرون الى جهنم  
" وبس المهاد " أى بسما مهدوا لأنفسهم أو بسما مهد لهم .<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى ( قد كان لكم آية ) أى معجزة وعلامة ( فوفيتون ) فتوى  
فرقتين<sup>(٥)</sup> ( التقتا ) اجتمعتا من الالتقاء . وصنه يوم التلاق . لأنه يجتمع  
فيه أهل السماء والأرض<sup>(٦)</sup> ففة تقاطع فى سبيل الله بمعنى المسلمين يوم بدر  
( وأخرى كافر ) بمعنى المشركين .

( ١ ) مقاتل بن سلمان بن بشير الأزدي الخراساني المفسر ، أبو الحسن  
البلخي - رمى بالتجسيم .

مات سنة خمسين ومائة ولم يكن تفسيره موضع ثقة .

تهذيب التهذيب ( ١٠ / ٢٩٩ - ٢٨٥ ) .

( ٢ ) هو قراءة حمزة والكسائي وخلف : انظر التشرى فى القراءات المشهر  
( ٢ / ٢٣٨ ) .

( ٣ ) معانى القرآن ( ١ / ١٩١ - ١٩٢ ) .

( ٤ ) أقول وبالله التوفيق أن هذه الآيتة وان كانت قد نزلت فى يهود بنى  
قينقاع نظراً لتظاهر الروايات على ذلك الا أنها تشمل جميع الكفار الى  
يوم الدين . ان المعبرة بضموم اللفظ لا بخصوص السبب .

( ٥ ) الففة : الجماعة من الناس ، وسميت الجماعة من الناس ففة لأنها يفا  
اليها ، أى يوجع اليها فى وقت الشدة .

تفسير القرطبي ( ٤ / ٢٥ ) والهازن ( ١ / ٣٢٥ ) .

( ٦ ) انظر المفردات للراغب الاصفهاني ( ٤٥٣ ) .

( يرونهم مثلهم رأى العين ) يعنى المسلمين رأوا المشركين مثلوا  
عددهم وكانوا ثلاثة أمثالهم لأن عدد المسلمين يوم بدر كان ثلاثمائة وثلاثة  
عشر نفرا أو أربعة عشر ، وكان عدد المشركين تسعمائة وخمسين نفرا .

وعن علي<sup>(١)</sup> وابن مسعود أن عدد المشركين كانوا ألفا فرأهم المسلمون  
نيفا وستمكة .

قال ابن مسعود رأيناهم ضعفى عددنا ثم رأيناهم مثل عددنا رجل فرجل  
وهذا معنى قوله تعالى فى سورة الأنفال ( وان يريكموهم ان التقيتم فسي  
أعينكم قليلا ويقتلكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا<sup>(٢)</sup> ) . فرأهم المسلمون  
أقل من عددهم وكذلك المشركون رأوا المسلمين أقل من عددهم . وكانت  
الحكمة فيه اذا رأوهم أقل مما كانوا لا يجمعون ولا يفترقون عن القتال لأن الله  
تعالى كان قد أخبرهم أن الواحد منهم يقاوم اثنين من المشركين<sup>(٣)</sup> ، وكذلك  
المشركون اذا رأوا المسلمين أقل مما كانوا لا يمتنعون عن القتال ( ليقضسى  
الله أمرا كان مفعولا<sup>(٤)</sup> ) وذلك من قتل رؤسائهم وقادتهم بأذن الله  
تعالى .

( ١ ) طوى بن أبى طالب - رضى الله عنه - ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد  
مناف بن قصى القرشى الهاشمي يكنى أبا الحسن .  
وأم طوى بن أبى طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف .  
وهو من المشرة المشهود لهم بالجنة ، وزوجه رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - فى سنة اثنتين من الهجرة وإبنته فاطمة سيدة نساء أهل  
الجنة .

الاستيعاب ( ١١٠٠ / ٣ ) أسد الغابة ( ٩١ / ٤ ) .

( ٢ ) الأنفال آية ٤٤ .

( ٣ ) يشير الى قوله تعالى فى سورة الأنفال ( فان يكن منكم مائة صابرة  
يغلبوا مائتين ) .

( ٤ ) الأنفال آية ٤٤ .

قال الفراء : إنما رأيتهم على عددهم كما كانوا ، وإنما قال (برونهم  
 مثلهم ) بمعنى مثلهم سوى عددهم وهذا مثل قول الرجل وعندك درهم وأنا  
 أحتاج إلى مثل هذا الدرهم يعني إلى مثله سواء (١) . والأول أصح وقسوى (٢)  
 ترونيهم بالتاء فيكون خطاباً لليهود ، وكان جماعة منهم حضروا قتال بدر  
 لينظروا على من في الديرة فرأوا المشركين مثل عددهم . ورأوا النصره  
 مع ذلك للمسلمين ، وكان ذلك معجزة وآية للرسول في أعينهم ، وعلى القراءة  
 الأولى يكون الخطاب مع المسلمين في قوله " قد كان لكم آية " ( والله يؤيد  
 ينصره من يشاء ) لأنه نصر المؤمنين يومئذ ( ان في ذلك لمنبرة لأولى  
 الألبصار ) (٣) أي علامة لأولى البصائر في الدين ولذوى العقول أجمعين .

قوله تعالى ( زين للناس حب الشهوات (٤) من النساء والبنين ) قال  
 الحسن : المزين هو الشيطان لأن الله تعالى زامل الدنيا بأبلغ زخا يزينه فسي  
 (٥) .  
 الأفيين .

- (١) معاني القرآن (١/١٩٤) .  
 (٢) وهى قراءة نافع وأبو جعفر ويعقوب . الكشاف من وجوه القراءات السبع  
 (١/٤٣٦) والنشر (٢/٢٣٨) .  
 (٣) آل عمران آية ١٣ .  
 (٤) الشهوات جمع شهوة وهو نزوع النفس إلى ما تريد وتوقان النفس المس  
 الشىء المشتبه والمراد هنا المشتبهات . عبر عنها بالشهوات صالحة  
 فى كونها مرغوباً فيها أو تحقيراً لها لكونها مستزلة عند العقلاء .  
 المفردات فى غريب القرآن للنيسابورى (٢٧٠) البحر المحيط (٢/٣٩٦ -  
 ٣٩٧) .  
 (٥) وهو قول طائفة من المعتزلة . . . ونقل عن ابي علي الجبائى من المعتزلة  
 أن كل ما كان حراماً كان المزين له هو الشيطان ، والصحيح ما ذهب إليه  
 أهل السنة لأن الله تعالى خالق كل شىء ولا شريك له فى ملكه .  
 تفسير الخازن (١٢/٣٢٦) .

قلت : ويمكن أن يكون الشيطان هو المزين بمعنى المتسبب  
 بأمر الله وهو الفاعل الحقيقي كما تقول شفى الطبيب المريض وكما فس  
 قوله تعالى وان زين لهم الشيطان أعمالهم . . . الآية .

وقال عامة المفسرين : المزين هو الله تعالى وتزيينه أنه حبيب في قلوبهم  
شهوة النساء والبنين .

(والقطاير المقنطرة من الذهب والفضة) فالقطاير جمع القططار  
وهو مال كثير .

ثم اخطفوا قال : معاذ<sup>(١)</sup> وأبو بن كعب القطاير ألف ومائتا أوقية .  
وقال ابن عباس والضحاك هو ألف دينار واثنا عشر ألف درهم .  
وقال سعيد بن المسيب هو ثمانون ألف درهم<sup>(٢)</sup> .  
وقال مجاهد هو سبعون ألف دينار .  
وقال قتادة هو مائة رطل من ذهب أو فضة .

---

(١) معاذ بن جهل بن عمرو بن أوس ، امام الفقهاء ، وكثر العلماء ، شهيد  
الحقبة يدرا والمشاهد ، وكان من أفضل شباب الأنصار حلما وحميما  
وسخيا ، وكان جميلا وسيما .

مناقبه كثيرة جدا ، اهتمت به الرسول صلى الله عليه وسلم الى اليمين ، وقدم  
منها في خلافة أبي بكر الصديق ، وكانت وفاته بالطاهون في الشام  
سنة سبع عشرة أو التي بعدها ، وهو قول الأكثر ، وعاش أربعين  
وثلاثين سنة ، وقيل غير ذلك .

الاصابة (٦/١٣٦-١٣٨) أسد الغابة (٥/١٩٤-١٩٧) الاستيعاب  
(٣/١٤٠٢-١٤٠٧) .

(٢) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن مالك بن  
منزوم القرشي المدني .

أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان سعيد سيد التلميح من الطراز  
الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع .  
توفي بالمدينة سنة إحدى وقيل اثنتين ، وقيل ثلاث وقيل أربع وقيل  
خمس وتسعين المهجره ، وقيل انه توفي سنة خمس ومائة والله أعلم  
الله عنه .

وفيات الأعيان (٢/٣٧٥-٣٧٨) .

وقال أبو نضرة <sup>(١)</sup> : هو مملو مسك ثور من ذهب أو فضة <sup>(٢)</sup> .  
وسمى قتلبارا من الأحكام والتوثيق ، ومنه القنطرة ، وأما القنطرة فهي  
المجموعة المملوكة <sup>(٤)</sup> .

قال الفراء : القاطير ثلاثة المقطرة تسعة .  
قوله ( والخيل المسوية ) قال سياهد هي الحسان الطهر .

---

( ١ ) أبو نضرة العبدي . وأسه الخنزير بن مالك بن قلعة الصوفى البصرى .

كان من فصحاء الناس .

ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث  
واسمين كل أحد يحتج به .

مات سنة ثمان ومائة ، وقيل تسع ومائة .

تهذيب التهذيب ( ١٠ / ٣٠٢ - ٣٠٣ ) .

( ٢ ) مسك الثور والكشاحلده . النهاية ( ٤ / ٣٣١ ) .

( ٣ ) قال ابن جرير الطبرى : ( قد ذكر أهل العلم بكلام العرب أن العرب

لا تجد القناطر بمقدار معلوم من الوزن ، ولكنها تقول هو قدر ووزن ،  
وقد ينهى أن يكون ذلك كذلك ، لأن ذلك لو كان محدودا فسذره  
عندها لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف

فالصواب أن يقال هو المال الكثير ، ولا يحد قدر وزنه بحد على تصنف ) .

تفسير الطبرى ( ٦ / ٢٤٩ ) وراجع السفسير الكبير ( ٧ / ٢١٠ ) ومجاز

القرآن ( ١ / ٨٨ ) .

( ٤ ) معانى القرآن ( ١ / ١٩٥ ) .

- وقال سعيد<sup>(١)</sup> بن جبير : المسومة الراعية ، يقال اسام الخيل من الرعى .  
 وفيه قول ثالث<sup>(٢)</sup> المسومة = المملحة من السبه وهي الملامه .  
 ومنهم من قال<sup>(٣)</sup> سبها الشبه .  
 ومنهم من قال سبها الكسى<sup>(٤)</sup> .  
 ( والأنعام ) هي الابل والبقر والغنم<sup>(٥)</sup> ( والحراث ) وهي الأرض المهيأه للزراعة .

- ( ١ ) هو أبو محمد ، وأبو عبد الله ، سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي مولا هم .  
 كان حبشي الأصل ، أسود اللون ، أبيض الخصال ، صنع جماعة من أئمة الصحابة . روى عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما .  
 كان رحمه الله من كبار التابعين ومتقدمهم في التفسير والحديث والفقهاء ، قتل في شعبان سنة ٩٥ هـ ، خمس وتسعين من الهجرة ، وهو ابن تميم وأربعين سنة ، قطعه الحجاج صبرا ، رضي الله عنه وأرضاه .  
 وفيات الأعيان ( ٣٦٤/١ ) تهذيب التهذيب ( ١٤٠-١٤١ ) .  
 ( ٢ ) مروى عن الحسن وأبي عبيد . تفسير الجفوى ( ٣٢٧/١ ) .  
 ( ٣ ) مروى عن قتادة . تفسير الجفوى ( ٣٢٧/١ ) .  
 ( ٤ ) قال ابن جرير . . . وأولوا من الأقوال بالصواب في تأويل قوله ( والخيل المسومة ) المملحة بالشبهات الحسان الرائجة حسنا من رآها ، لأن التسوم في كلام العرب هو الاعلام فالخيل الحسان مملحة باعلام الله إياها بالحسن من ألوانها وشبهاتها وهيئاتها .  
 تفسير الطبري ( ٢٥٤/٦ ) .

- ( ٥ ) في المفردات الأنعام يقال للابل والبقر والغنم ، ولا يقال لها أنعام حتى يكون في جطتها الابل والنعم مختبرا بالابل ، وجمعت أنعام وتسميته بذلك لكوك الابل عندهم أعظم نعمه .  
 انظر المفردات للراغب الاصفهاني ( ٤٩٩ ) .

- ( ٦ ) الحراث التاء البذر في الأرض وتجهوها للزراعة المحسوت عرشا .



( ذلك متاع الحياة الدنيا ) فيه إشارة الى أنه متاع يفنى (١)

( والله عنده حسن العاقب ) (٢) (٣) فيه تهديد في الدنيا وترغيب في الآخرة .

ثم أكد بقوله تعالى ( قل أوتيتكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله )

وقرى (٤) رُضوان بضم الواو وهما في المعنى سواء ، يقال رضى بوضو رضى رضى

ورضوانا ورضواناً (٥) ونسب الخبر من النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة

(١) قال سيد قطب - رحمه الله - : " والتمبير لا يدعو الى استقذارها وكراهيتها

" أي الشهوات " إنما يدعو فقط الى معرفة طبيعتها ووعايتها ووضعها

في مكانها لا تتمدها ، ولا تطغى على ما هو أكرم من الحياة وأطوب . والتطلع

الى آفاق أخرى بعد أخذ الضروري من تلك الشهوات في غير استفراق

ولا اغراق .

وهنا يتنازلا سلام بمراحات للفطرة البشرية وقبولها بواقعتها ،

ومحاولة تهذيبها ورفعها لاكتباتها وقصصها . . . . .

ظلال القرآن ( ١ / ٥٤٩ - ٥٥٠ ) .

(٢) آل عمران آية ١٤ .

(٣) المآب : المرجع تقول آبا الوجيل بيو وب منه قول الشاعر اسرود

القيس :-

وقد طوقت في الآفاق حتى رضيت من الفنيمسة بالاسباب

السعور الوجيز ( ٢ / ٣٥٨ ) تفسير القرطبي ( ٤ / ٣٧ ) .

(٤) وهي قراءة أبوبكر ، وقراءة الجمهور بالكسر ، وهما مصدران بمعنى واحد

فالكسر كالحرمان والضم كالسكران .

الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ١ / ٣٣٧ ) .

(٥) الرضوان مصدر رضى ، وكسر راء لفة الحجاز ، وضمها لفة تصحيح

وكسر وقيس .

البحر المحيط ( ٢ / ٣٩٨ ) .

إذا دخلوا الجنة يقول الله تعالى ( إن لكم عندى موعدا ، وأنا فضجركموه ،  
فيقولون قد أعلمتكم كل ما نتمنى فما هو يا رب فيقول أنزل عليكم رضوانى  
ولا أسخط عليكم أبدا<sup>(١)</sup> .

قوله ( والله بصير بالمعاد<sup>(٢)</sup> ، الذين يقولون ) في قوله الذين يقولون<sup>(٣)</sup> يحتمل  
أن يكون فى موضع الخفض ، وتقديره بالمعاد الذين يقولون ، ويحتمل أن تكون  
فى موضع الرفع ، وتقديره يقولون طرأ الابتداء ، ويحتمل أن تكون فى موضع  
التصب وتقديره أعتى الذين تقولون . ( ربنا اننا آثمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا  
عذاب النار )<sup>(٤)</sup> الصابرين يحتمل أن يكون فى موضع الخفض ، ويحتمل

( ١ ) رواه البخارى فى كتاب الرقاق ( ٥١ ) ، باب صفة الجنة والنار ( ٢٠٠ / ٧ )  
ورواه أيضا فى كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل مع أهل الجنة  
( ٢٦٨ / ٩ ، ٢٦٩ ) ، ورواه الامام مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنة  
وصفة نعيمها وأهلها ، باب احلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط  
عليهم أبدا ( ١٤٤ / ٨ ) ، ورواه الامام الترمذى فى سننه كتاب صفة  
الجنة باب ( ١٨ ) حديث رقم ( ٢٥٥٥ ) صفحة ( ١٨٩ / ٤ - ٦٩٠ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ١٥ .

( ٣ ) فى حكاية هذا القول عنهم بصيغة المضارع ( يقولون ) اشعار بأنهم  
يجدون التوبة الى الله دائما لقوة إيمانهم ، وصفاء نفوسهم ، واحسانهم  
بأنهم مهما قدموا من المعاصى فهى طيب بجانب فضل الله عليهم ،  
ولذلك يلتصون منه الستر والفقران والوقاية من النار وهوا شهيان  
الأخبار من الناس .

( ٤ ) آل عمران آية ١٦ .

أن يكون في موضع النصب. يعنى الصابرين على الشدائد والمصائب وطس  
الظلمات وعن المحاصي ، ( الصادقين ) الذين استقامت أحوالهم وأفعالهم .  
( والقانتين ) المقيمين على الطاعة ، الداومين عليها . ( والحنفيين ) يعنى  
المصدقين . قيل في الجهاد وقيل في كل أنواع الجبر . ( المستغفرين بالأشجار )<sup>(١)</sup>

قال ابن عباس : هم المصلون بالليل . وقال أنس : هم السائلون  
المنفرة . وقال زيد بن أسلم : المصلون صلاة الصبح في الجماعة ، وإنما قيل  
بالأشجار لقرب صلاة الصبح من السحر .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) آل عمران آية ١٧٠ .

( ٢ ) هو الصحابي الجليل أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن هرام  
بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري . أبو حمزة المدني .  
خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عمره لما قدم المدينة مهاجراً  
عشر سنين وتوفي سنة ثلاث وتسعين وعمره مائة سنة وثلاث سنين وهو  
آخر من توفي من الصحابة - رضوان الله عليهم - بالبصرة .  
الإصابة ( ١ / ١٢٦ - ١٢٩ ) أسد الغابة ( ١ / ١٥١ - ١٥٢ ) .

( ٣ ) هو أبو أسامة ، أو أبو عبد الله - زيد بن أسلم المدوني الفقيه  
الفسر مولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كان من كبار التابعين  
الذين عرفوا بالقول في التفسير وأشهر من أخذ التفسير عنه من علماء  
المدينة .

ابنه عبد الرحمن بن زيد . ومالك بن أنس امام دار الهجرة .  
كانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائة من الهجرة وقيل غير ذلك .  
تهذيب التهذيب ( ٣ / ٣٩٥ - ٣٩٧ ) .

( ٤ ) رجح الامام ابن جرير الطبري القول الثاني حيث قال : ( وأولس  
الأقوال بتأويل قوله " والمستغفرين بالأشجار قول من قال هم السائلون  
رهبهم أن يستتر عليهم فضيحتهم بها . ثم قال بعد ذلك : ( وأظهر  
معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء ، وقد يحتمل أن يكون معناه  
تمرضهم لمنفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من  
الدعاء ) .

تفسير الطبري ( ٦ / ٢٦٧ ) .

قوله تعالى ( شهد الله ) أى بين وأطم<sup>(١)</sup> . وكل شاهد مسنون  
ومعلم .

( أنه لا اله الا هو ) شهد أنه لا اله الا هو لنفسه بالوحدانية ،  
وذلك أن وفد بنى نجران كانوا قد أنكروا وحدانيته ، وهذه الآية مسن  
الآيات التي نزلت في شأنهم والحجاج عليهم .

---

( ١ ) قال شيخ الاسلام ابن تيمية : توعدت عبارات المفسرين في لفظ  
" شهد " :-

فقال طائفة منهم مجاهد والفراء وأبو عبيدة : أى حكم وقضى .  
وقالت طائفة منهم ثعلب والزجاج : أى بين .  
وقالت طائفة : أى أطم .

وكذلك قالت طائفة : معنى شهادة الله الاختيار والاعلام ، ومعنى  
شهادة الملائكة والمؤمنين الاقرار .

وعن ابن عباس : أنه شهد بنفسه لنفسه قبل أن يخلق الخلق  
حين كان ولم يكن سما ولا أرض ولا بحر فقال : شهد الله أنسه  
لا اله الا هو .

وكل هذه الأقوال وافق معناها صحيحه . وذلك أن الشهادة  
تتضمن كلام الشاهد ،

وقوله وخبره عما شهد به . وهذا يكون مع أن الشاهد نفسه  
يتكلم بذلك ويقول ويذكره ، وإن لم يكن معلما به لخبره ، ولا يخبره به  
لسواه ، فهذه أول مراتب الشهادة .

ثم قد يخبره ويعلمه بذلك فتكون الشهادة اطلاقا لخبره وأخباره  
له . ومن أخبر غيره بشئ " فقد شهد به سواه " كان بلفظ الشهادة أولم  
.../...

••/••

يكن •• كما في قوله تعالى : ( وجعلوا الملائكة الذين هم رسل الله اناسا ،  
أشهدوا خلقهم سنكتب شهادتهم ويسألون ) الزخرف : ١٩ .  
وقوله تعالى : ( وما شهدنا الا بما علمنا ) الآية . ففي كلا الموضعين  
انما أخبروا خبرا مجردا وقد قال : واجتنبوا قول الزور ، حنفاً لله  
غير مشركين به ) الحج آية - ٣٠ .

فالشهادة تضمنت مرتبتين :-

احدهما : تكلم الشاهد وقوله وذكره لما شهد في نفسه به •  
والثانيه : اخباره واعلامه لغيره بما شهد به فمن قال : حكم وتضمن فهذا  
من باب اللزام ، فان الحكم والقضاء هو الزام وأمر •

ولكن الكلام في دلالة لفظ الشهادة على ذلك ، وذلك أنه اذا شهد  
أنه لا اله الا هو فقد أخبر وبين وأعلم أن ما سواه ليس بهاله فلا يعبد وأنه  
وعده الاله الذي يستحق العبادة وهذا يتضمن الأمر بعبادته والنهي عن  
عبادة ما سواه ، فان النفس والاثبات في مثل هذا يتضمن الامر والنهي •

راجع دقائق التفسير ( ١٦ / ٢ - ٢١ ) •

( والملائكة ) أى وشهدت الملائكة . ( وأولوا العلم ) قيل (١) هم  
علماء بني إسرائيل ، وذلك مثل عبد الله بن سلام ، ومن آمن معه وقبيل (٢)  
هم المهاجرون والأنصار ، وقبيل (٣) هم جميع علماء الأمة . (٤)

(١) قال القرطبي ( في هذه الآية دليل على فضل العلم وشرف العلماء  
وفضلهم فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم  
ملائكته كما قرن اسم العلماء ) .  
تفسير القرطبي (٤/٤١) .

(٢) قاله مقاتل - تفسير البهوي (١/٣٢٩) .

(٣) عبد الله بن سلام بتخفيف ابن الحارث أبو يوسف ، من ذرية يوسف النبي  
عليه الصلاة والسلام حليف القوافل من الخزرج الأسراةيلي ثم الأنصاري  
كان حليفا لهم .  
قيل كان اسمه الحسين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله .  
أسلم أول ما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة .  
مات سنثلاث وأربعين .  
الاصابة (٤/١١٨-١٢٠) ، أسد الغابة (٣/٢٦٤-٢٦٥) ، تقريب  
التهذيب (١٧٦) .

(٤) قاله ابن كيسان - تفسير البهوي (١/٩٢٩) .

(٥) قاله السدي والكلبى - تفسير البهوي (١/٩٢٩) .

(٦) قلت ما ذهب إليه السدي والكلبى من أن المعنى من أولى العلم  
هنا جميع علماء الأمة هو الذى تلمسنى اليه النفس ان لا وجه للتخصيص  
وفى ذلك فتميلة لأهل العلم وفيضمية نبيلة لقرهم باسمه واسم ملائكته .  
والمراد بهم علماء الكتاب والسنة وما يتوصل به الى معرفتها ان لا اعتداد  
معلم لا مدخل له فى العلم الذى اشتمل عليه الكتاب والسنة .

( قائما بالقسط ) نُصِبَ على الحال وهو الله تعالى قائم بتدبير  
الخلق ( بالقسط ) بالعدل ، يقال قسط يقسط اذا جار ، وأقسط يقسط  
اذا عدل ، فالقسط الجاهر <sup>(١)</sup> ومنه قوله تعالى ( وأما القاسطون فكانوا لجهنم  
حطباً ) <sup>(٢)</sup> والقسط العادل ، ومنه قوله تعالى : ( ان الله يحب المقسطين ) <sup>(٣)</sup> .

( لا اله الا هو العزيز الحكيم ) <sup>(٥)</sup>

( ان الدين عند الله الاسلام ) وقرأ <sup>(٦)</sup> ( أن الدين ) بفتح الألف ، فمن قرأ <sup>(٧)</sup>  
بكسر الألف فهو على الابتداء . وقرأ الكسائي بالنصب وتقديره شهد الله

---

( ١ ) انظر المفردات للراغب الأصفهاني ( ٤٠٣ ) .

( ٢ ) الجن آية ١٥ .

( ٣ ) المائدة آية ٤٢ ، الحجرات آية ٩ ، الممتحنة آية ٨ .

( ٤ ) قال صاحب فتح البيان ( كرر ( الشهادة ) لأن الأولى حلت محل  
الدعوى ، والشهادة الثانية حلت محل الحكم .

وقال جعفر الصادق . الأولى وصف وتوحيد والثانية رسم وتعليم ، بمعنى  
قولوا لا اله الا الله العزيز الحكيم .

فتح البيان ( ٣١ / ٢ ) .

( ٥ ) آل عمران آية ١٨ .

( ٦ ) وهي قراءة الكسائي . الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٣٣٨ / ١ ) .

( ٧ ) وهم الجمهور .

انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ٣٣٨ / ١ ) .

ان الدين عند الله الاسلام<sup>(١)</sup> فانه لا اله الا هو .

والا سلام هو الا نقيض والا استسلام ، وقد يكون مجرد الاستسلام من غير المقيدة فرقا بينه وبين الايمان طوى ما سأتى .<sup>(٢)</sup>

والا سلام المصروف في الشرع هو الاتقان بالشهادتين مع سائر الاركان الخمس .

وفي الاخبار انه يؤتى بالأعمال يوم القيامة ، فيؤتى بالصلاة طوى صورته ، فتقول يا رب انى الصلاة ، فيقول الله تعالى انك بخير ( ويؤتى بالزكاة طوى صورة فتقول يا رب انى الزكاة فيقول الله تعالى انك بخير )<sup>(٣)</sup> وهكذا الصوم والحج ، ثم يؤتى بالاسلام طوى أحسن الصور فيقول

---

( ١ ) قال بعض العلماء " في اضافة الدين الى الله تعالى بقوله (عند الله) واعتبار الاسلام وحده هو دين الله - كما يدل على ذلك تعريف الطرفين - اشعار بفضل الاسلام ، لأن له ذلك الشرف الاضافى الى خالق هذا الكون ومسريسه ، فهو دين الله الذى شرعه لخلق .  
التفسير الوسيط تفسير سورة آل عمران للدكتور سيد الخطاوى (٧٣ ، ٧٤) .

( ٢ ) الاصل في معنى الايمان والاسلام التمايز ، لحديث جبريل ، وقد يكون بمعنى المرادفه ، فيسمى كل واحد منهما باسم الآخر . . ويكون أيضا بمعنى التداخل وهو أن يطلق أحدهما ويراد به معناه في الأصل ومسمى الآخر كما في هذه الآية اذا قد دخل فيها التصديق والأعمال . تفسير القرطبي ( ٤٤ / ٤ ) وانظر تفصيل ذلك في شرح المقيدة الطحاوية ( ٣٩٢ - ٣٩٥ ) .

( ٣ ) ما بين القوسين سابقا من ب .



بارب انى الاسلام . فمقول الله تعالى انك الى خير بك أخذ اليوم ربك  
أعطى (١) .

وعكس عن غالب القطان (٢) أنه قال : ° أثبت الكوفة فخرت قريبا من الأئمة (٣)  
فكنت اختطف اليه وأسمع منه الحديث فقصدت ليلة أن أتحدث (٤) الى البصريه  
فوجدت يتعبد في المسجد فمر بهذه الآية ( شهد الله أنه لا اله الا  
هو والمدةكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم )  
ثم قال : وأشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة لتكون وديعة  
لى عنده ثم قال ( ان الدين عند الله الاسلام ) وكرره مرارا فقلت فى نفسى  
لقد سمع فيه شيئا فمكنت وصليت معه الصبح ، ثم قلت له مرت بهذه الآية  
وكنت تكررها . فقال أما بلىك ماورد فيها ؟ قلت أنا عندك منذ ستين

( ١ ) لم أجده .

( ٢ ) غالب بن خطاب ، بضم الميم ، وقيل بفتحها وهو ابن غيلان القطان .  
أبو سليمان البصرى صدوق .  
تقريب التمهيد ( ٢ / ١٠٤ ) .

( ٣ ) أبو محمد سليمان بن مهران مولى بنى كاهل من ولد أسد . المعروف  
بالأعمش الكوفى . الامام المشهور كان ثقة عالما فاضلا لقي كبار  
التابعين رضوا الله عنهم .

ولد سنة ستين للهجرة وتوفى فى سنة ثمان وأربعين واثم فى شهر  
ربيع الأول وقيل سنة سبع وأربعين ، وقيل سنة تسع وأربعين رحمه الله  
تعالى .

وفيات الأئمة ( ٢ / ٤٠٠ - ٤٠٣ ) .

( ٤ ) أى أطلع من هذا المكان .

ولم تحدثني وقد قصدت الانحدار الى البصره فقال : والله لا أحدثك سنة  
فمكت بالكوفة وكتبت علي بايه ذلك اليوم فلما تمت السنه انتبه فقال : يا أبا محمد  
قد تمت السنه ، فقال حدثني أبو وائل<sup>(١)</sup> عن عبد الله بن مسعود عن النبي  
- صلى الله عليه وسلم - أنه قال : بما حبهما يوم القيامة فيقول الله تعالى  
ان لحبدي هذا عندي عهدا وأنا أعق من وفى بالمهد ادخلوا عهدي الجنة<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( وما اخطف الذين أتوا الكتاب ) بمعنى اليهود والنصارى  
( الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ) أى حسداً بينهم<sup>(٣)</sup> ( ومن يكفر  
بآيات الله فان الله سريع الحساب )<sup>(٤)</sup> ظاهر المعنى قوله تعالى ( فان حاجوك  
فان جادلوك )<sup>(٥)</sup> ( فقل أسلمت وجهي لله ومن اتهمن ) أى قصدت بمهادتسي  
الى الله تعالى<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) أبو وائل شقيق بن أبي سلمه الكوفي . أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم ولم  
يروه . كان ثقة كثير الحديث .  
قال الواقدي : مات في خلافة عمر بن عبد العزيز .  
سكن الكوفة وكان من مهاجرة .  
تهذيب التهذيب ( ٤ / ٣٦٢ - ٣٦٣ ) .

( ٢ ) قال البيهقي في مجمع الزوائد ( ٦ / ٣٢٦ ) رواه التبراني وفيه مر بسن  
المختار وهو ضعيف .

( ٣ ) أخبر تعالى عن اختلاف أهل الكتاب أنه كان على طم ضهم بالحقائيق  
وأنه كان بغيا وطلباً للدنيا قاله ابن عمر . المحرر الوجيز ( ٢ / ٣٦٦ ) .

( ٤ ) آل عمران آيه - ١٩ .

( ٥ ) في ب فان جادلوك فيه بزيادة فيه .

( ٦ ) ( وجهي ) يحتمل أن يراد بها المقصد ، كما تقول وخرج فلان في وجه  
كذا ، فيكون معنى الآية جعلت مقصدى لله ، ويحتمل أن يكون معنى الآية  
أسلمت شخصي وذاتي وكلمتي وجعلت ذلك لله . وهو بالوجه  
الوجه أشرف أعضاء الشخص وأجمعها للحواس .  
قال الشاعر :

أسلمت وجهي لمن أسلمت . . . له العز من تحمل فديها زلا

المحرر الوجيز ( ٢ / ٣٦٧ ) فتح البیان ( ٢ / ٣٣ ) .

قوله تعالى ( ان الذين يكفرون بآيات الله ) أراد به اليهود من بنى اسرائيل .  
 ( ويقتلون النبيين بغير حق ) انما قال بغير حق توكيدا لأن قتل النبيين  
 لا ينقسم الى الحق والباطل .

وروى أبو عبيدة بن الجراح <sup>(١)</sup> من النص . صلى الله عليه وسلم . أنه قال :  
 " أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا أو قتله نبي . ثم روى في هذا  
 الخبر أنه قال : قتلت بنو اسرائيل اثني وأربعين نبيا في ساعة واحدة فقام  
 اليهم مائة وثلاثا عشر رجلا من زهادهم وعبادهم وأمروا بالمصروف فقطوهم فهذا  
 قوله تعالى <sup>(٢)</sup> ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بمذاب <sup>(٣)</sup> ألم .

( ١ ) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن صنبه بن الحارث  
 ابن فهر بن مالك بن النضر القرشي القهري .  
 قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " لكل أمة أمين وأمين هذه  
 الأمة أبو عبيدة بن الجراح .  
 وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة - شهد بدرا وأحدا وسائر  
 المشاهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهاجر الى الحبشة  
 الهجرة الثانية .  
 توفي في طاعون عمواس سنة ثمان مائة وعشرة وصلى عليه معاذ بن جبل .  
 أسد الغابة ( ٢٠٥ / ٦ - ٢٠٦ ) الاصابه ( ٢٦٩ / ٧ ) الاستيعاب ( ١٣٠ / ٤ )  
 . ( ١٧١١ )

( ٢ ) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٢٨٥ / ٦ - ٢٨٦ ) ورواه السيوطي في  
 الدر المنثور ( ١٣ / ٢ ) عن أبي عبيدة بن الجراح بلفظ قال قلت يا رسول  
 الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجل أسر  
 بمصروف ونهى عن منكر ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( وتقتلون  
 النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى قوله  
 ومالهم من ناصرين ) .  
 ثم قال أيها أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا أول النهار  
 في ساعة واحدة فقام مائة رجل وسبعمون رجلا من عباد بنى اسرائيل  
 فأمروا من قتلهم بالمصروف ونهوه عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار  
 من ذلك اليوم فهم الذين ذكر الله ) .

( ٣ ) آل عمران آية ٢١ .

وانما غاطب أبناءهم به مع أن الخيانة وجدت من آبائهم لأنهم رضوا  
بفعلهم ودانوا بدينهم فاستوجبوا هذا المصاب .

قوله تعالى ( أولئك الذين حبطت أعمالهم ) أي تطلب العسوط  
والبطلان في الدنيا والآخرة وبتلان العمل في الدنيا أن لا يقبل ، وفي الآخرة  
أن لا يجازى عليه بالشواب .<sup>(١)</sup>

( وما لهم من ناصرين )<sup>(٢)</sup> من يمنع منهم العذاب .<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى ( ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ) قيل ورد  
هذا في اليهود وبني قريظة والنضير ، فان النبي - صلى الله عليه وسلم - أت  
بيت مدراسهم ،<sup>(٤)</sup> فقال له نعيم بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي طقأت؟  
فقال صلى الله عليه وسلم - على طة ابراهيم فقال نعيم : ان ابراهيم كان  
يهوديا . فقال صلى الله عليه وسلم : بيني وبينكم التوراة أخرجوا التوراة  
فأبيا أن يخرجوها<sup>(٥)</sup> فهذا قوله ( يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم )  
يعنى التوراة . وفيه قول آخر أن الآية في نصارى وفد نجران .

---

( ١ ) راجع تفسير البغوى ( ١ / ٣٣٢ ) بهامش الخازن .

( ٢ ) آل عمران آية ٢٢ .

( ٣ ) راجع تفسير الخازن ( ١ / ٣٣٢ ) .

( ٤ ) في النهاية ( ٢ / ١١٣ ) المدارس : هو البيت الذى يدرسون فيه .  
ومفعل غريب فى المكان .

( ٥ ) الأثر رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ٦ / ٢٨٨ - ٢٨٩ ) ، وذكره

السيوطى فى الدر المنثور ( ٢ / ١٤ ) وهو فى سيرة ابن هشام

( ٢ / ٢٠١ ) وتفسير القرطبى ( ٤ / ٥٠ ) .

وقوله ( يدعون الى كتاب الله ) يعنى القرآن . ( ليحكم بينهم  
ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون )<sup>(١)</sup> وذلك أن بعضهم قد أسلموا<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ذلك بأنهم قالوا لن نؤمن النار الا أياما معدودات ) ويرجع  
هذا الى اليهود وقد ذكرناه من قبل<sup>(٣)</sup> ( وفرهم فى دينهم ) النور هو الاجماع  
فيما لا يحصل فيه شيء ، والنور : الشيطان ، وفر : الثوب : عليه ، وأمس  
الثوب الى غره : أى الى طيه .

والنور ركون المخاطر ، ( ما كانوا يفترون )<sup>(٤)</sup> الافتراء : اختلاف الكذب ،  
ومنه الفرية : تسوية الكذب<sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) آل عمران آية ٢٣ .

( ٢ ) قال ابن جرير ما ملخصه : وأول الأقوال فى تأويل ذلك عندى أن يقال إن  
الله تعالى قد أخبر عن طائفة من اليهود المعاصرين للنبي - صلى الله عليه  
وسلم - أنهم دعوا الى التوراة للتحاكم اليها فى بعض ما تنازعوا فيه مع  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبوا . ويجوز أن يكون هذا التنازع  
فى أمر نبوته أو فى أمر ابراهيم ودينه . أو فى حد من الحدود فبان  
كل ذلك مما تنازعوا فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .  
تفسير الطبرى ( ٦ / ٢٩٠ - ٢٩١ ) .

والذى نراه أن الآية الكريمة تشمل طائفتى اليهود والنصارى  
لأنهم امتنعوا عن التحاكم الى كتاب الله .

( ٣ ) عند تفسيره لقوله تعالى : ( وقالوا لن نؤمن النار الا أياما معدودات )  
معدودات ) من سورة البقرة .

( ٤ ) انظر القاموس المحيط ( ٢ / ١٠٤ ) .

( ٥ ) آل عمران آية ٢٤ .

( ٦ ) انظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبه ( ١٤٨ ) والقاموس المحيط ( ٣٧٦٤ )  
والفردات للأصفهاني ( ٣٧٩ ) .

قال الشاعر :<sup>(١)</sup>

ولا أنت غرى ما خلقت . . . . . ويمضى القوم يخلق ثم لا يفرى  
أى لا يكذب ولا يموى .

قوله تعالى ( فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس  
ما كسبت ) من الجزء<sup>(٢)</sup> ( وهم لا يظلمون )<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( قل اللهم مالك الملك ) فى سبب نزول الآية<sup>(٤)</sup> قولان :  
أحدهما أنه لما فتح مكة وعد أصحابه طاك فارس والروم فسمعه اليهود ،  
وقالوا هيهات فارس والروم أغر وأمنع جانبنا ما تظنون  
فنزلت هذه الآية<sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) البيت لزهير بن أبي سلمى وهو فى ديوانه صفحه ( ٩٤ ) ومختار  
الشعر الجاهلى ( ٢٦٥ / ١ ) والكتاب ( ٢٨٩ / ٢ ) ومقاييس اللغه  
( ٢١٤ / ٢ ) والجوهري ( ٢٤٠ / ٢ ) .

( ٢ ) أى فكيف يكون حال هؤلاء الفخرين بالأبطال اذا حشروا بسوء  
القيامة واضمحلت تلك الزخارف التى ادعوا فى الدنيا ، وجوزوا بما  
اكتسبوا من كفرهم وأعمالهم القبيحه .  
انظر تفسير القرطبي ( ٥١ / ٤ ) وانظر المحرر الوجيز ( ٣٧٣ / ٢ ) .

( ٣ ) آل عمران آيه ٢٥ .

( ٤ ) ما بين القوسين ساقط من أ .

( ٥ ) هذا قول لابن عباس وأبى بن مالك - رضى الله عنهما - وراجع

أسباب النزول للنيسابورى صفحه ( ٥٥ ) .

وقال الحسن : انه صلى الله عليه وسلم - سأل ربه لأصحابه ملك  
فارس والروم . ( ١ )

فأما قوله ( قل اللهم ) فأصله يا الله ، فلما حذف حرف النداء  
زيدت الميم في آخره . ( ٢ )

قال الفراء : للميم فيه معنى ، ومعناه يا الله ايها بالصفرة . أى  
اقصدنا ملك الملك . تقديره يا مالك الملك ، ومعناه مالك المسار  
ومالكوه . ( ٣ )

---

( ١ ) ذكره السيوطي في لباب النقول صفحه ( ٥٢ ) وقال : أخرجه ابن أبي حاتم  
من قتاده .

( ٢ ) اختلف النحويون في تركيب لفظه اللهم ، بعد اجماعهم على أنها  
مضمومة الياء مشددة الميم المفتوحة ، وأنها ضاى - ودليل ذلك أنها  
لا تأتي مستمطة في معنى الخبر :-

أ ( فذهب الخليل وسيبويه والبصريين أن الأصل ( يا الله ) فلمسا  
استعملت الكلمة دون حرف النداء<sup>الذي</sup> هو ( يا ) جعلوا بدل حرف  
النداء هذه الميم المشددة ، والضمة في الياء هي ضمة الاسم  
الضادى المفرد وذهب عرفان فغوض بحرفين .

ب ( ومذهب الكوفيين أن أصل اللهم : يا الله أم ، أى أم يخسبر  
وأن ضمة الياء هي ضمة الهمزة التي كانت في أم نقلت .

ورد الزجاج على هذا القول وقال : محال أن يترك الضم الذي  
هو دليل على النداء المفرد ، وأن تجعل في اسم الله ضمة أم ،  
هذا الحاد في اسم الله تعالى .

تفسير الطبري ( ١٤٧/٣ - ١٤٨ ) والمحرم الوجيز ( ٣٧٤/٢ - ٣٧٥ ) وشرح  
ابن عقيل ( ٢٦٥/٣ ) .

( ٣ ) معاني القرآن ( ٢٠٣/١ - ٢٠٤ ) .

- (١) وقيل أراد بالملك النبوه ، وقيل ملك السموات والأرض (٢) .  
(٣) (٤) (توتر الملك من تشاء) أى من تشاء أن توتيه من المسلمين .  
وتنزع الملك من تشاء) أى من تشاء أن تنزعه وهم فارس والروم (٥) وتمسز  
من تشاء وتذل من تشاء) فيه ثلاثة أقوال :-

- 
- (١) ذكره مجاهد النكت والميون (٣١٥/١) .  
(٢) قال صاحب المحرر الوجيز والصحيح أنه مالک الملك كله مطلقا فنى  
جميع أنواعه .  
المحرر الوجيز (٣٧٤/٢) .  
(٣) عبر بالآيتاء الذى هو مجرد الاعطاء دون التطيک المؤذن بشبهت الطيک  
للتعبیه على أن الطيکيه على الحقيقه انما هى مختصة باللهرب المالمين  
أما ما يعطيه لغيره من ملك فهو عاربه مسترده ، وهو شىء زائل لا يدوم .  
التفسير الوسيط د . طنطاوى آل عمران (٩١) .  
(٤) قال صاحب البحر الطک هنا ظاهره السلطان والغلبه وطى هذا التفسير  
جاءت أسباب النزول .  
البحر المحيط (٤١٨/٢) .  
(٥) التمييز عن ازالة الملك بقوله (وتنزع) يشمر بأنه سبحانه فنى قدرته  
أن يسلب هذا العطاء من أى مخلوق مهما بلغت سعة ملكه ، ومهما  
اشتدت قوته ، وذلك لأن لفظ النزع يدل على أن المنزوع منه الشىء  
الذات كان متمسكا به ، فسلبه الله منه فمقتضى قدرته وحكمته .  
التفسير الوسيط (٩١) .



- أحدهما : تمز من تشاء بالنصر ، وتذل من تشاء بالقهر .
- الثانى : تمز من تشاء بالفضى ، وتذل من تشاء بالفقر .
- الثالث : تمز من تشاء بالهداية ، وتذل من تشاء بالضلالة<sup>(٢)</sup> .

( بيدك الخير ) أى بيدك الخير والشر ، كما قال ( سوابيل  
تقيكم الحر ) أى تقيكم الحر والبرد فاكفى بأحد المذكورين عن الآخر<sup>(٣)</sup>  
( انك على كل شىء قدير ) .

---

( ١ ) راجع النكت والميون ( ٣١٦ / ١ ) .

( ٢ ) ينبغى حمل هذه الأقوال على التمثيل ، لأنه لا مخصص فى الآية ،  
بل الذى يقع به المز والذل مسكوت عنه .  
البحر المحيط . ( ٤١٩ / ٢ ) .

قلت : وهو يشغل ما أشار اليه المؤلف ، كما يشمل غيره كالصحة  
والمرض - مثلا - .

( ٣ ) قال الخازن فى تفسيره : فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر ؟  
قلت : لأن الكلام انما وقع فى الخبر الذى يسوقه الله تعالى الى عباده  
المؤمنين ، وهو الذى أنكرته اليهود والمنافقون ، فقال ( بيدك الخير )  
توئته أولياءك على رغم أعدائك .  
تفسير الخازن ( ٣٣٤ / ١ ) .

وقال الماوردى : وانما خير الخير بالذكر ، وان كان قادرا على  
الخير والشر لأنه المرغوب فى فعله .  
النكت والميون ( ٣١٦ / ١ ) .

وقد ورد في فضل هذه الآية من الأخبار ما روى عن جعفر بن محمد الصادق<sup>(١)</sup> عن أبيه عن علي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتان من آل عمران ( شهد الله ) وهذه الآية تشفعان لمن قرأها يوم القيامة ليست بهنهما وبين الله حجاب .

وروى في هذا الخبر أنه قال لما أنزل الله تعالى هذه الآيات تعلقن بالعرش وظلت يارب تهبطنا الى أرضك وعبادك فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي وما قرأكن عبد من عبادي الا أسكنته جنتي على ما كان عليه ، وقضيت له كل يوم سبعمين حاجة أدناها المنفرة<sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) أبو عبد الله جعفر بن محمد بن علوي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني المعروف بالصادق وأمه فزوة بنت القاسم بن محمد ابن أبي بكر وأمه أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر فلذلك كان يقول ولدني أبو بكر . . . . . أحد الأئمة الاثنى عشر على مذهب الإمامية ، كان من سادات أهل البيت ، ولقب بالصادق في مقالة وفضله أشهر من أن يذكر .

كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة ، وقيل بل ولد يوم الثلاثاء قبيل طلوع الشمس ثامن من شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين . وتوفي رحمه الله في شوال من سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ، ودفن بالبقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعم جده الحسن بن علي رضي الله عنهم أجمعين .  
الوافي بالوفيات ( ١ / ٣٢٧ - ٣٢٨ ) .

( ٢ ) أخرجه ابن السنن في عمل اليوم والليلة صفحه ( ٥٦ ) ط . دار المعرفة بيروت . وقد نقل الذهبي في الميزان عن البستي أن هذا الحديث موضوع لا أصل له . وقد وضعه الحارث بن عمير .

قوله تعالى ( تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل )  
 والابلاج : الادخال ، ومعناه ينقر من أحدهما ويزيد في الآخر ، وتيسل<sup>(١)</sup>  
 معناه : يخطو الليل بالنهار ، والنهار بالليل<sup>(٢)</sup> .

( تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ) .

قال الحسن معناه : تخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر .  
 والقول الثاني معناه : يخرج النطفة من الحي ، والحي من النطفة<sup>(٣)</sup>  
 وفيه قول غريب : معناه يخرج الفطن الكثير من البلبد الحاجر ، والبلبد  
 من الفطن لأن البلبد ميت فهما . والفطن حي فهما<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) ذكره بعض المتأخرين . النكت والعيون ( ٣١٦ / ١ ) .

( ٢ ) قال ابن كثير : ( أي تأخذ من طول هذا فتزیده في قصره هذا فيمتدلا ،  
 ثم تأخذ من هذا في هذا فيمتدلان ، ثم يمتدلان ، وهكذا فصول السنة  
 ربيما وصيفا وشتاء ) .  
 تفسير ابن كثير ( ٢٧ / ٢ )

( ٣ ) هو قول ابن مسعود ومجاهد وقتادة والسدي . النكت والعيون ( ٣١٧ / ١ )

( ٤ ) قال ابن جرير الطبري : وتولى التأويلات في هذه الآية بالصواب ،  
 تأويل من قال يخرج الانسان الحي والانعام والبهائم الأحياء  
 من النطفة الميتة ، وذلك اخراج الميت من الحي ، وذلك أن كل حي  
 فارقه شيء من جسده فذلك الذي فارقه منه ميت ، فالنطفة ميتة  
 لفارقتها من جسد من خرجت منه ، ثم ينشئ الله منها انسانا حيا  
 وبهائم وأنعاما أحياء ، وكذلك حكم كل شيء زايله شيء منه فالذي  
 زايله منه ميت .

تفسير الطبري ( ٣٠٩ / ٦ ) .

ويقرأ ( من الميت ) مخففاً ومشدداً<sup>(١)</sup> . وفرق نحاة الكوفة بين الميت  
والميت فقالوا الميت بالتشديد هو الحي الذي يموت ، والميت مخففاً هو  
هو الذي مات ، واستدلوا بقوله تعالى ( انك ميت وانهم ميتون )<sup>(٢)</sup> وأنكر ذلك  
نحاة البصرة ، وقالوا هما بمعنى واحد .

وأشد المبرد<sup>(٣)</sup> ليمش الشمر<sup>(٤)</sup>

ليس من مات فاستراح يميت ... انما الميت ميت الأعمى  
انما الميت من يميش كثيباً<sup>(٥)</sup> ... كاسفاً باله قليل الرجاء  
فجمع بين الميت والميت على معنى واحد .

( ١ ) التخفيف قراءة ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ، والتشديد  
قراءة نافع وحمزة والكسائي .  
الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ١ / ٣٣٩ ) .

( ٢ ) الزمر آية ٣٠ .

( ٣ ) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري ، أبو العباس المبرد .  
امام العربية ببغداد في زمانه . كان فصيحاً بليغاً مفرماً ، ثقة .  
مولده سنة ثمان ومائتين ، مات سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد .  
بغية الوعاة ( ١ / ٢٦٩ - ٢٧١ ) .

( ٤ ) الأبيات منسوبة في اللسان لعدي بن الرعلاء ويحده .

فأناس يمضون شامداً ... وأناس حلوقهم في المساء

( ٥ ) في اللسان .

..... انما الميت من يميش شقياً

( وتوزق من تشاء بخير حساب ) من غير تضيق ولا تقثير . (٢)

قوله تعالى ( لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين )  
 هذا في قوم مخصوصين أسلموا على موالاة<sup>(٣)</sup> اليهود والمشركين فنهاهم عن  
 ذلك ، وهو معنى قوله ( لا تسجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون  
 من حاد الله ورسوله<sup>(٤)</sup> ) ( ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ) ( أى ليس  
 من حزب الله .

( إلا أن تتقوا منهم تقاة ) وقرئ<sup>(٥)</sup> تقيه ومعناها واحد ، يعنى إلا  
 أن يقيح فيخافهم فيوافقهم باللسان وعليه ما حثن بالايمان فلا بأس به ، ولكن  
 لو صبر حتى قتل فله من الأجر العظيم ، الله به عليم .

( ١ ) آل عمران آية ٢٧ .

( ٢ ) قال الرمخشى : ذكر قدرته الباهرة ، فذكر حال الليل والنهار فسو  
 المماقبة بينهما ، وحال الحي والميت فو أخراج أحدهما من الآخر ،  
 وعطف عليه رزقه بخير حساب دلالة على أن من قدر على تسلك  
 الأفعال الصالحة المميزة الأتباع ، ثم قدر أن يوزق بخير حساب من  
 يشاء من عباده ، فهو قادر على أن يخرج الملك من المعجم ويوتيه المر  
 ويحزهم .  
 الكشاف .

( ٣ ) لعل مراده أنهم أسلموا وكانوا يوالون اليهود والمشركين .

( ٤ ) المجادلة آية ٢٢ .

( ٥ ) قرأ يعقوب تقيه بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الباء مفتوحة بمدها .

وقرأ الهاقون بضم التاء وألف بمد القاف فى اللفظ .

انظر النشر فى القراءات المشرقة ( ٢ / ٢٣١ ) .

وقد روى أن مسيلمة الكذاب لعنه الله أخذ رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأحدهما : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال نعم ، فقال أتشهد أنى رسول الله ؟ قال نعم تقيه منه فخلو سبيله ، ثم قال للأخر أتشهد أن محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم ، قال أتشهد أنى رسول الله فقال أنا أصم فقطه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر درجة الذى صبر على القتل ، وقال ان الأول أخذ برخصة الله (١) .

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " أفضل الجهاد كلمة عند سلطان جائر " (٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم " ان أفضل الشهداء بعد شهداء أحد من قام الى سلطان جائر وأمره بالمعروف فقطه عليه " (٣) .

(ويحذركم الله نفسه ) أى يخوفكم إياه ( والله الله المصير ) أى المرجع (٤)

(١) لم أجده .

(٢) الحديث رواه النسائى (١٦١/٧) ، وقد حسنه المنذرى فى الترفيب والترغيب (١٦٨/٣) .

(٣) لم أجده بهذا اللفظ ، ولكن ورد فى مجمع الزوائد للمهيمى (٢٧٢/٧) خيرا قريبا من هذا عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه فقطه .

ثم قال المهيمى رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه شخص ضعيف .

(٤) آل عمران آية ٢٨ .

قوله تعالى ( قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله )  
أى يجازي عليه .

( ١ ) ( ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير )  
ظاهر المعنى . ( ٢ )

قوله تعالى ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضوا ) أى محضو  
لها ما عملت من الخير والشر مهسر بما عملت من الخير ( وما عملت من سوء تود لو  
أن بينها وبينه أمداً بعيداً ) أى غاية مد يد . ( ٣ )

قال السدي ( ٤ ) ما بين المشرق والمغرب ، وفي الاخبار أن الاعمال  
يؤتى بها يوم القيامة على صور فما كان حسناً فملى الصورة الحسنه ،  
وما كان قبيحاً فملى الصورة القبيحه . ( ٥ )

---

( ١ ) آل عمران آية ٢٩ .

( ٢ ) قال صاحب البحر ( هذا دليل على سعة علمه ، وذكر عموم بعد خصوص  
فصار علمه بما في صدورهم مذكوراً مرتين على سبيل التوكيد أحدهما  
بالخصوص ، والآخر بالعموم إذ هم ممن في الأرض .  
البحر المحيط ( ٢ / ٤٢٥ ) .

( ٣ ) قال السيوطي أى غاية في نهاية الحمد فلا يصل اليها .

( ٤ ) السدي : اسم اعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي أبو محمد  
القرشي مولى لهم الكوفي الأهور وهو السدي الكبير .  
كان يقعد في سدة باب الجامع فسوى السدي .  
وقال المجلس ثقة عالم بالتفسير روية له .  
مات سنة ١٢٧ هـ .

تهذيب التهذيب ( ١ / ٣١٣ - ٣١٤ ) .

( ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد )<sup>(١)</sup> ومن رأفته أن حذرهم ورغبتهم  
ورهبهم ووعدهم وأوعدهم .<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله )  
في سبب نزول الآية قولان :-<sup>(٣)</sup>

أحدهما : أنه خطاب لليهود والنصارى من وفد نجران وذلك أنهم قالوا  
نحن أبناء الله وأحباؤه . فنزل قوله ( قل ان كنتم تحبون  
الله فاتبعوني يحببكم )<sup>(٤)</sup> .

والثاني<sup>(٥)</sup> : أنه خطاب للمشركي قريش فإنه - صلى الله عليه وسلم - رأاهم  
يعبدون الأصنام فقال لهم خالفتم طة أبيكم إبراهيم فقالوا  
انما نعبدهم تقربا الى الله فانا نعبد فتنزل قوله تعالى<sup>(٦)</sup>

---

(١) آل عمران آية ٣٠ .

(٢) لما ذكر صفة التخويف وكررها كان ذلك مزعجا للقلوب ومنها على ايقاع  
المعذور مع ما قرن بذلك من اطلاقه على خفايا الأعمال واحضاره لها يوم  
الحساب وهذا هو الا تصاف بالعلم والقدرة اللذين يجب ان يحسذر  
لأجلهما فذكر صفة الرحمة ليوضح في احسانه وليسهل الرجاء فسوس  
افضاله .

البحر المحيط (٢/٤٣٠) .

(٣) هو قول محمد بن جعفر الزبير . التبيري (٦/٢٢٣) .

(٤) راجع تفسير ابن جرير التبيري (٦/٢٢٢ - ٢٢٣) .

(٥) ذكره الضحاك عن ابن عباس .

(٦) راجع تفسير البهوي بهامش الخازن (١/٢٢٧) .



قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (١) ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٢)

وأطمأن محبة الله العبد ، وسعامة العبد الله لا يكون بلذة وشهوة ، ولكن محبة العبد في حق الله هو اتيان طاعته وابتغاء مرضاه ، واتباع أمره . ومحبة الله في حق العبد هو العفو عنه والمغفرة والثناء الحسن (٣)

وأكد قوله تعالى ( قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) بين أن محبة في طاعة وطاعة رسوله ( فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ) (٤)

---

( ١ ) روي ابن جرير الطبري القول الأول فقال وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير لأنه لم يجز لغيره وقد نجران في هذه السورة ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادعوا أنهم يحبون الله ، ولا أنهم يمتثلون له فيكون قوله ( ان كنتم تحبون الله فاتبعوني ) جواباً لقولهم . الطبري ( ٢٢٤ / ٦ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ٣١ .

( ٣ ) قال ابن كثير : ( هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية ، بأنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في كل أقوال وأعماله ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .

ولهذا قال ( قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبة إياكم ، وهو أعظم من الأول كما قال بعض الحكماء العلماء : ليس الشأن أن تحب انما الشأن أن تحب . تفسير ابن كثير ( ٥٢ / ٢ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ٣٢ .

فان قال قائل لم كرر اسم الله مرارا وكان يكفيه أن يقول فانه لا يجب الكافرين ؟ .

قيل هو على عادة العرب ، فان من عادتهم أنهم اذا عظموا شئاً كرروا ذكره وأنشد سبويه في مثل ذلك :-  
( لا أرى الموت )<sup>(٢)</sup> يسبق الموت شئ . . . تغنى الموت ذا الضنى والفقير<sup>(٣)</sup>

قوله تعالى ( ان الله اصطفى آدم ونوحا ) الاصفاء ؛ الاغتصاب الصفة الخيره ولم اختار آدم ؟ اخطفوا منهم من قال اختاره للديسن .  
ومنهم من قال<sup>(٥)</sup> اختاره للنبوته . فان قال قائل الى من كان مهوشا ؟ قيل الى الملائكة حتى علمهم الاسماء والى اولاده .

( ١ ) عمرو بن عثمان بن قنبر ، امام البصريين المعروف بسبويه ، أبو البشر ويقال أبو الحسن مولى بنى الحارث بن كعب ، ثم مولى آل الربيع ابن زياد الحارثي .

كان أصله من البهلاء من أرض فارس ونشأ بالبصرة وأخذ من الخليل ويونس وأبي الخطاب الأعمش وعمرو بن عمرو .

توفى - رحمه الله - بالبهلاء من أرض فارس ، وقيل بشيراز سنة ثمانين ومائة ، وكان عمره اثنتان وثلاثون سنة ، وقيل نيف على الأربعين ، وقيل مات بالبصرة سنة احدى وستين .

بضفة الوعاة ( ٢ / ٢٢٩ - ٣٣٠ ) .

( ٢ ) مابين القوسين سا قبل من ب .

( ٣ ) البيت لسواده بن عدى ، وقيل لأبيه بن أبي الصلت .

( ٤ ) ذكره الفراء . معاني القرآن ( ١ / ٢٠٧ ) .

( ٥ ) ذكره الزجاج . النكت والعيون ( ١ / ٣١٨ ) .

( وآل ابراهيم ) هم اسماعيل واسحاق ويعقوب ، ( وآل عمران )

موسى وهارون ، يعنى وآل عمران من آل ابراهيم .

وقيل (١) أراد به عيسى لأنه ابن مريم بنت عمران (٢) ( طوى العالمين ) (٣)

طوى عالم أهل زمانهم .

قوله تعالى ( ذرية بعضها من بعض ) قيل مشتق من ذراة بمعنى

خلق ، وقيل من الذر لأنه خلقهم واستخرجهم من صلب آدم كالذر ،

والأبناء يسمون ذرية ، وكذلك الآباء .

قوله الله تعالى ( وآية لهم أنا حطنا ذريتهم من الفلك المشحون ) (٤)

يعنى آباءهم .

---

(١) ذكره الحسن : النكت والميون (٣١٧/١) .

(٢) قال ابن جرير الطبري ( إنما عنى بالآل ابراهيم وآل عمران المؤمنين

وإن دللنا على أن آل الرجل أقباه وقومه ، ومن هو طوى ذمته ) .

قلت : وهو مروى عن ابن عباس .

تفسير الطبري (٢٣٤/٣) .

(٣) آل عمران آية ٣٣ .

(٤) يسن آية ٤١ .

والأبناء ذرية لأنه ذراهم - والأبنا ذرية لأنه ذرا الأبناء منهم  
بعضاً من بعض في التفاضل وقيل في التماسل (٢) (والله سميع) بما قالوا (طيم) (٣)  
بما أضربوا .

(١) قال ابن جرير الطبري إنما جعل (بعضهم من بعض) في المسئلة  
في الدين ، والموازية على الإسلام والحق ، كما قال جل ثناؤه :  
( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ) التوبة : ٦٧ .

وقال في موضع آخر : ( المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض )  
التوبة : ٦٧ . بمعنى أن دينهم واحد وطريقتهم واحدة فذلك قوله  
( ذرية بعضها من بعض ) ، إنما معناه : ذرية دين بعضها دين  
بعض ، وكلمتهم واحدة ، ووطنهم واحدة في توحيد الله وطاعته ،  
تفسير الطبري ( ٦ / ٣٢٧ - ٣٢٨ ) .

(٢) قال ابن جنى أبو الفتح عثمان - فيما نقله عنه القرطبي عند تفسيره  
هذه الآية - : يحتل أصل هذا الحرف أربعة ألفاظ :-  
أحدها : ذراً ، والثاني : ذرراً ، والثالث : ذرراً ، والرابع : ذرى ،  
فأما الهوزة فمن ذرا الله الخلق ، وأما ذرر فمن لفظ الذر ،  
ومعناه ، وذلك لما ورد في الخير ( أن الخلق كان كالذر ) وأما  
الواو والياء فمن ذروت الحب وذريته يقالان جميعاً وذلك قوله تعالى  
( فأصبح هشياً تذروه الرياح ) وهذا للطفه وخصية وتلك حال  
الذر أيضاً .

قال الجوهري : ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا  
وذرياً أي نسفت ، ومنه قولهم : ذرى الناس الحنطة ، وأذريست  
الشيء إذا ألقيته كالقائل الحب للزرع ، ولحنه فأذراه عن ظهر  
دايته ، أي ألقاه .

الجامع لأحكام القرآن ( ٢ / ١٠٧ - ١٠٨ ) .

(٣) آل عمران آية - ٣٤ .

قوله تعالى ( واذا قالت امرأة عمران ) وهي حنة زوجة عمران<sup>(١)</sup>،  
وكانت أختها تحت زكريا ( رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ) .

قال الشعبي<sup>(٢)</sup> معناه : مخلصا لعبادة الله تعالى .  
وقال مجاهد معناه : مسوا لغدمة البهيمة مفرغا لها من سسائر  
الأشغال ( فتقبل منى انك أنت السميع العليم )<sup>(٣)</sup> ظاهر المعنى .

قوله تعالى ( فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انشى ) وذلك  
أن زوجها عمران كان قد عاتبها على ما نذرت وقال لها لا تدريين انه  
خلق ولدك زكرا أو أنشى ، وقد نذرت مطلقا ( والله أعلم بما وضعت ) هذا  
أخبار من الله تعالى عن علمه . ويقرأ<sup>(٤)</sup> ( والله أعلم بما وضعت ) على الخبر  
وذلك من قول المرأة .

---

( ١ ) قال ابن جرير : كان اسمها فيما ذكر لنا حنة ابنة فاقوذ بن قبيل وهي  
والدة مريم ابنة عمران أم عيسى بن مريم - صلوات الله عليه - .  
تفسير الطبري ( ٦ / ٣٢٨ ) .

( ٢ ) الشعبي هو عامر بن شراحيل بن عبد ، وقيل ابن عبد الله بن شراحيل  
الشعبي الحميري أبو عامر الكوفي التميمي الجليل . قاضي الكوفة .  
ولد سنة عشرين وتوفى سنة تسع ومانه من الهجرة .  
تهذيب التهذيب ( ٥ / ٦٥ - ٦٩ ) .

( ٣ ) آل عمران آيه ٣٥ .

( ٤ ) قرأ ابن عامر ويعقوب وأبو بكر باسكان الميم وضم التاء ، وقسرا  
الباقون بفتح الميم واسكان التاء .  
النشر في القراءات المشروحة ( ٢ / ٢٣١ ) .

( وليس الذكر كالأنثى ) فان الذكر أقوم وأقوى بخدمة البهيمة من  
الأنثى ، وقيل لأنه أهدى عن الموانع من العبادة بخلاف الأنثى ينمها  
الحيث والنفاس<sup>(١)</sup> . ( واني سميتها مريم ) ( فان قال قائل ما معنى قولها  
( واني سميتها مريم ) قيل : معناه حتى يعرف هل وقع ذلك الاسم برضا  
الله تعالى حتى يغير أو يقرر . ( واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان  
الرجيم )<sup>(٢)</sup> فالشيطان المطرود ، والرجيم المرجوم بالشهب .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " ما من ولد يولد  
الا ويظعن الشيطان في خاصرته فيستهل صارخا الا مريم وابنها فانسه  
ضربهما فوق الضرب في الحجاب . وقرأ قوله ( واني أعيدها بك وذريتها  
من الشيطان الرجيم )<sup>(٣)</sup> .

(١) قالت ( وليس الذكر كالأنثى اعتذارا الى ربها ما كانت تذرت فسي  
حطها ) .

انثار تفسير الطبري (٣٣٤/٦) .

(٢) آل عمران آية ٣٦ .

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب التفسير ، باب واني أعيدها بك

وذريتها من الشيطان الرجيم (١٦٦/٥) عن أبي هريرة بلفظ  
ما من مولود يولد الا والشيطان يمه حين يولد فيستهل صارخا  
من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقسموا  
ان شئتم واني أعيدها بك وذريتها من الشيطان الرجيم .

ورواه أيضا الامام مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل ، باب فضائل

عيسى عليه السلام (٩٦/٧ - ٩٧) .

ورواه الامام أحمد في مسنده (٢٣٣/٢) (٢٧٤/٢) .

قوله تعالى ( فتقبلها ربها بقبول حسن ) أى رضى بها وقبلها<sup>(١)</sup> ( وأنبثها نباتا حسنا<sup>(٢)</sup> أى وأنبثها فنبتت نباتا حسنا .

قال أبو العباس الصوفى<sup>(٣)</sup> : لما أنبتها الله نباتا حسنا فانظرُوا إلى شمره كيف أثمرت النبات يعنى عيسى - صلوات الله عليه - ( وكفلها ) مشدد

---

( ١ ) ينقل صاحب زاد المسير عند هذه الآية أن الزجاج قال : ( الأصل فى العربية فتقبلها يتقبل حسن ولكن ( قبول ) محمول على قبلها قبولا يقال قبلت الشيء قبولا ويجوز قبولا إذا رضيته ) .  
زاد المسير ( ٣٧٧ / ١ ) .

( ٢ ) يشير المؤلف هنا إلى أن ( نباتا ) مصدر لفعل مضموم موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا . ولكنى أميل إلى أن ( نباتا ) مصدر الفمصل مؤكدا للفعل المذكور عن غير لفظه فحذف الزوائد ولو كان على لفظه لكان انباتا حسنا .

قال الامام الطبرى قد فعل العرب ذلك كثيرا أن يأتوا بالمصادر على أصول الأفعال وان اختلفت ألفاظها فى الأفعال بالزيادة تكلم فلان كلاما . ولو أخرج المصدر على الفعل لقبه تكلم فلان تكلمنا .  
الطبرى ( ٣٤٤ / ٦ ) .

( زكريا ) بنصب الألف . ويقرأ مخففاً ( وكلفها ) ( زكريا ) بضم الألف<sup>(١)</sup> ومعنى الكفالة الضم يعني وضعها زكريا الى نفسه .

ومن قرأ بالتشديد معناه ضمها الله الى زكريا .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم " أنا وكافل اليتيم كهاتين"<sup>(٢)</sup> . مسن الأسباب التي خص بها زكريا بكفالة مريم أن خالتها كانت تحتها وهي أخت حنثه امرأة عمران ، ولكفالة زكريا مريم قصة معروفة ستأتى في سورة مريم ان شاء الله تعالى .

( كلما دخل عليها زكريا المحراب ) يقرأ ( زكريا ) بالسند والقصر .<sup>(٣)</sup>

والمحراب غرفة يرتقى إليها بالسلم ( وكان زكريا قد اتخذ لمريم مثل تلك الخرفة وكان يرتقى إليها بالسلم)<sup>(٤)</sup> . قال الشاعر في معناه :-

(١) قرأ الكوفيون بتشديد الفاء في ( كلفها ) وقرأ الباقون بتخفيفها ، أما " زكريا " فترأ حمزة والكسائي وحذف بالتسمر من غير همز ، وقرأ الباقون بالمد والهمز الا أن أبا بكر نصبه بمد كلفها على أنه مفعول ثانى لكلفها ، ورفع الباقون من خفف .

النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٣١ ) .

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه من كتاب الأدب ( ٢٤ ) باب فضل من يعول يتيم ( ٧ / ٧٦ ) .

وأخرجه أيضا في كتاب الطلاق ( ٢٥ ) ، باب اللعان ( ٦ / ١٧٨ ) . وأخرجه الامام مسلم في صحيحه من كتاب الزهد ، باب الاحسان الى الأرملة والمسكين واليتيم ( ٨ / ٢٢١ ) .

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحذف بالقصر من غير همز ، وقرأ الباقون بالمد والهمز .

النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٣١ ) .

(٤) ما بين القوسين ساقل من ب .

(٥) البيت لوضاح اليمن واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل وهو من قصيدة أتيها صاحب الأغاني ( ٦ / ٢٢٣ ) .



ربة محراب اذا عيبتها لم ألقها أو التقى السلما  
أى ربة غرفة .

وقيل المحراب أشرف المجالس ، وقيل هو المحراب المصروف .<sup>(١)</sup>

( وجد عندها رزقا ) والرزق ما يؤكل .

قال قتادة فأكبه الشتاء في الصيف ، فأكبه الصيف في الشتاء كان  
قد رأى عندها .

قال الحسن حين ولدت مريم لم تلطم ثديا وكان يأتمها الله تعالى<sup>(٢)</sup>  
برزقها .<sup>(٣)</sup>

---

( ١ ) قال ابن جرير الطبري المحراب " مقدم كل مجلس ووصل ، وهو سيد  
المجالس وأشرفها وأكرمها وكذلك هو من المساجد ومنه قول عدي  
ابن زيد

كدمي الحاج في الصحا ويب أو كال الميس في الروض زهرة مستير  
الطبري ( ٣٥٧/٦ ) وسجا ز القرآن ( ٩١/١ ) .

( ٢ ) كيف هذا والقرآن يتحدث عما كان بيده زكريا عندها وهي في المحراب  
في غداة المسجد فهل ذهبت لخدمة المسجد وهو رضية في المهد ؟

( ٣ ) قلت : الآية دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى على كل شئ  
وعلى رهايته لرسم فقد رزقها من حيث لا تحتسب ، ودليل على  
وقوع الكرامة لأوليائه تعالى .

(قال يا مريم أنى لك هذا ) .

قال أبو عبيدة <sup>(١)</sup> من أنى لك هذا <sup>(٢)</sup> . وأنكرت النحاة <sup>(٣)</sup> هذا وقالوا

هذا تساهل من أبو عبيدة وبينهما فرق ، وأنى للسؤال عن الجهة ،

وأنى للسؤال عن المكان وأنشد العبري لبعضهم <sup>(٤)</sup>

أنى ومن أين أنك الطرب .....

فوق بينهما فمضى قوله (أنى لك هذا ) أى من أى جهة لك هذا ( قالت

هو من ضد الله ان الله يوزق من يشاء بنير حساب ) <sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) هو محمر بن العثنى التميمي .

ولد سنة عشر ومائة فى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى ، وكان  
من أعلم الناس باللغة وأخبار العرب وأنسابها ، وهو أول من صنّف  
غريب الحديث .

مات سنة تسع وقيل ثمان ، وقيل عشر وقيل احدى عشر ومائتين .

بنية الوفاة ( ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٦ ) نزهة الأوليا \* ( ١٠٤ - ١١١ ) .

( ٢ ) مجاز القرآن ( ١ / ٤١ ) .

( ٣ ) راجع معانى القرآن .

( ٤ ) هذا البيت للكثير بن زيد ومحمد :-

حيث لا صهوة ولا رمسبب .....

وهو مطلع قصيدة له يمدح بها رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - .

القرطبي ٧٢ / ٤ ، واللسان ٣٢٢ / ٢ .

( ٥ ) آل عمران آية ٣٧ .

قوله تعالى ( هنالك دعا زكريا ربه ) وذلك أن زكريا لما رأى مريم  
 بأثنا رزقها في غير حينه فهو فاكهة الصيف في الشتاء طمع أن يورث  
 الولد في غير حينه طوى الكبر فدها الله أن يرزقه ولداً وكان قد بلغ  
 مائة وعشرين سنة ، وبلغت امرأتان وتسمين سنة . ( قال رب هب  
 لي من لدنك ) من عندك ( ذرية طيبة ) أي ولداً صالحاً تقياً نقيماً .  
 والذرية تشتل على الذكر والأنثى <sup>(١)</sup> ، وإنما قال طيبة بنمت الموءنث على  
 على لفظ الذرية <sup>(٢)</sup> ( انك سمع الدعاء ) <sup>(٣)</sup> .

( فنادت الملائكة ) وقرأ فناداه الملائكة بالأكف <sup>(٤)</sup> واخطفوا في

المنادى .

( ١ ) قال ابن جرير ( وأما الذرية فأنها جمع ، وقد تكون في معنى الواحد ،  
 وهي في هذا الموضع الواحد ، وذلك أن الله عز وجل قال في موضع آخر  
 مخيراً عن دعا زكريا ( فهب لي من لدنك ولداً ) ولم يقل أوليساً  
 فدل على أنه سأل واحداً .  
 جامع البيان للطبري ( ٢٤٨ / ٣ ) .

( ٢ ) كما قال الشاعر :

هبوك خليفة ولدته أخسرى وأنت خليفة ذاك الكسسال  
 فأنت ولدته لتأنيث لفظ الخليفة .

تفسير القرطبي ( ٧٢ / ٤ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ٣٨ .

( ٤ ) قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر فناداه بالتاء . وقروا  
 حمزة والكسائي وخلف فناداه بالالف .

النشر في القراءات المشروطة ( ٢٣١ / ٢ ) .

منهم من قال كان جبريل ومنهم من قال جمع من الملائكة . (٢)

( وهو قائم يصل في المحراب ان الله يبشرك ) يقرأ ان بكسر الألف

وفتحها ، فمن قرأ بالكسر فتقديره فنادت الملائكة وقالوا ان الله

يبشرك ومن قرأ بالفتح فهو على النسق . ( يبشرك ) يقرأ مخففا

وشددا (٤) وهما في المعنى سواء . (٥)

(١) ووجهه أن العرب تخبر عن الواحد بلفظ الجمع، تقول وكبت في السفن  
وسمعت هذا من الناس.

(٢) وأرن أن الراجع ما صوبه الطبري حيث قال ( أما الصواب من القول  
في تأويله فأن يقال ان الله جل ثناؤه ، أخبر أن الملائكة نادته ، والظاهر  
من ذلك أنها جماعة من الملائكة دون الواحد وجبريل واحد ، فلن يجوز  
أن يحمل تأويل القرآن الا على الأظهر الاكثر من الكلام المستعمل في  
السنن العرب دون الأقل ما وجد في ذلك سبيلا ، ولم يضطرونا حاجة الى  
صرف ذلك الى أنه بمعنى واحد فيحتاج له الى طلب المخرج بالخفي  
من الكلام والمعاني ) .

جامع البيان للطبري (٦/٣٦٥) .

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة بكسر الهمزة ، وقرأ الباقر بفتحها .  
انظر النشر (٢/٢٣١) .

(٤) التخفيف في نبشرك قراءة حمزة والكسائي ، والباقر بالتشديد .  
النشر (١/٣٤٤) .

(٥) قال الزجاج فيما ينقله عنه صاحب زاد المسير: وفي ( يبشرك ) ثلاث لفات  
أولها : ( يبشرك ) بفتح الباء وتشديد الشين .  
والثانية : ( يبشرك ) بأسكان الباء وضم الشين .  
والثالثة : ( يبشرك ) بضم الياء وأسكان الباء فمعنى ( يبشرك ) بالتشديد  
( يبشرك ) بضم الياء البشارة . ومعنى ( يبشرك ) بفتح الياء يبشرك  
ويفرجك ، يقال بشرك الرجل أبشره ، اذا أفروجه ، وبشرك الرجل يبشرك  
اذا فرج .

وأشدد الألفش والكسائي :

واذا لقيت الباهسين الى المولى . . . غربا أكفهم بقاع محمسل  
فأعنيهم وأبشركما بشروا بسسه . . . واذا هم نزلوا بفضك فانزل

قال الطبري : معترضاً على التفريق بين معنى التخفيف في ذلك  
( فلم نجد أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه الصحيح (أى التفريق)  
فلا معنى لما حكى من ذلك عنه ( يعني عن معاذ الكوفي من الفرق بسين  
التخفيف والتشديد ) .

وقد قال جرير بن عطية :

يا بشر حق ، لبشرك التبشير . . . هلا غضبت لنا وأنت أمير

فقد ظم أنه أراد بقوله التبشير الجمال والنضارة والسرور فقال التبشير  
ولم يقل البشر ، فقد بين ذلك أن معنى التخفيف والتفضيل في ذلك  
واحد .

زاد المسير ( ٣٨٢ / ١ ) جامع البيان ( ٢٥٢ / ٣ ) .

وفى الكشف : والتخفيف والتشديد لفتان مشهورتان ، يقال بشر  
ببشر وبشراً ببشر وبشوراً . وأنكر أبو حاتم التخفيف وقال لا تعرف فيه  
أصلاً يعتمد عليه ، وهو لغة مشهورة .

الكشف من وجوه القراءات السبع ( ٣٤٤ / ١ ) .

والبشارة خير سار وصدق يظهر أثره على بشرة الوجه \* ( نبشرك  
بمحيى ) سماه يحيى قبل أن ولد (١) . ( صدقا بكلمة من الله ) قيل صدقا  
بكتاب الله وكلامه . وقيل (٢) . معناه صدقا بمحيى وهو كلمة الله . (٤) فان قال  
قال كلمة الله لا تكون مخلوقة . وقد أنكرنا على النصارى قولهم المسيح ابن الله  
وقولهم ( ان الله ثالث ثلاثة \* فكيف يعرف أن عيسى كلمة الله ؟ قيل فيه  
ثلاثة أقوال :-

( ١ ) في النكت والميون : قيل انما سماه يحيى لأن الله تعالى أحياه  
بالإيمان ، وسماه بهذا الاسم قبل مولده .  
( ٣٢٠ / ١ )

( ٢ ) هذا قول لأبي عبيدة وأهل البصرة وجاز القرآن ( ١ / ١ ) .

( ٣ ) قول ابن عباس ومجاهد وقتاده والربيع والضحاك والسدي .

( ٤ ) بيدولي أن الاتجاه الثاني أقرب إلى الصواب لأن القرآن قد وصف  
عيسى بأنه كلمة الله في أكثر من موضع فيه .

ومن ذلك قوله تعالى ( يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا  
على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها  
إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله . . . ) وقوله تعالى ( يا مريم  
ان الله يبشرك بكلمة منه اسم المسيح عيسى بن مريم . . . ) .

ولأن في التعبير عن عيسى الذي صدقه يحيى بأنه كلمة من الله  
اشعاراً بأن ولادتهما متقاربتان من حيث الزمن وأما السبب  
زكريا - عليه السلام - قد أوتى ظمناً بأن المسيح عبده قريب  
وأن يحيى - عليه السلام - يمتدح حتى يدرك عيسى .

أحدهما : أنه كلمة الله على معنى أنه يكون بكلمة من الله حيث قال له كن فكان من غير سبب ولا علة وصنع بشر والقاء نذفه .

الثاني : أن كلمة على معنى أنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله .

الثالث<sup>(١)</sup> : أن الله تعالى كان قد أظهر سائر الأنبياء ووعدهم في كتبهم أنه يخلق نبيا بلا أب فلما تكون عيسى ساء كلمة الله لأنه حصل بتمام الكلمة وذلك الوعد وهو كما تقول الصرب أنشد في كلمتك أي قصيدتك ، وقيل لحسان<sup>(٢)</sup> أن ان الحويد يره أنشأ قصيده فقال لمن الله كلمتك أي قصيدتك . فلما حصلت القصيدة بكلمته سمى ذلك كلمة .

قوله ( وسيدا وحضورا ونبيا من الصالحين )<sup>(٣)</sup> أما السيد قال سعيد بن

جبير السيد المتقى .

قال مجاهد هو الكريم ، وقيل<sup>(٤)</sup> هو الحليم الذي لا يفضبه شيء ، وقيل هو الذي

( ١ ) هذه الأقوال ذكرها البغوي في تفسيره ( ٣٤٣ / ١ ) والطبري في النكت دون نسبة لقاتلها ( ٣٢٠ / ١ ) .

( ٢ ) هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو الأنصاري البخاري .

أبو عبد الرحمن شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

توفي في خلافة معاوية وله عشرون ومائة سنة .

انظر تهذيب التهذيب ( ٢٤٧ / ٢ - ٢٤٨ ) الاصابه ( ٦٢ / ٢ - ٦٤ )

أسد الغابة ( ٧٠ / ٢ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ٣٩ .

( ٤ ) هو قول لقنادة ورواية من سعيد بن جبير : سبقت الترجمة له .

( ٥ ) تفسير البغوي بهامش الخازن ( ٣٤٤ / ١ ) .

( ١ )  
يفوق قومه في جميع خصال الخير .

وأما الحصور قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وعطاء وجماعة :  
وهو الذي لا يأتي النساء<sup>(٢)</sup> ، والحصور بمعنى المحصور<sup>(٣)</sup> لأنه ممنوع من النساء ومثله قول  
الشاعر :<sup>(٤)</sup>

فيها اثنتان وأربعون حلسوبة<sup>(٥)</sup> سودا كخافية الخراب الأحمم  
فالحلوبة بمعنى المحلوب .

( ١ ) السيد - كما يقول القراء - الذي يسود قومه وتنتسب اليه قوله - وأصله سيود . يقال فلان أسود من فلان على وزن أفضل من السيادة ، ففيه دلالة على تسمية الانسان سيدنا وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبني قريظة عندما دخل سعد بن معاذ " قوموا الي سيديكم وفي الصحيحين أنه قال في الحسن " ان ابني هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٧٧ / ٤ ) .  
قلت والمزاد أن يحيى - عليه السلام - من صفاته أنه سيكون سيدي ، أي يفوق غيره في الشرف والتقوى وحقبة النفس بأن يكون مالكها لزمانيها ، وسيطرها على أهوائها .

( ٢ ) " حصورا " أصله من الحصر وهو الحبس . حصروني الشيء وأحصروني إذا حبسني . قال ابن سيادة :  
وما هجر ليلى أن تكون تعاهدت عليك ولا أن أحصرتك شغول وناقصة حصور : ضيقة الاحليل . والحصور الذي لا يأتي النساء كأنسه محجم عنهن ، كما يقال : رجل حصور وحصير إذا حبس رفته ولم يخرج ما يخرج الندامى .  
يقال شرب القوم فحصر عليهم فلان ، أي بخل .  
قال الأخطل :  
وشارب مريح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها السوار  
وفي التنزيل ( وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ) أي محبسا .

( ٣ ) يشير الي أن فعول بمعنى مفعول .

( ٤ ) الميت لمنقرة العيسى في مملقته .  
وراجع مختار الشعر الجاهلي ( ٣٧١ / ١ ) .



وقال سعيد بن المسيب (١) كان له مثل هدية الثوب وقد تزوج مع ذلك  
ليكون أغنى لبصره (٢) .

وقال الشعبي : الحصور العين - وفيه قول آخر (٣) أن الحصور هو الممتع من  
الوطن مع القدرة عليه .

---

(١) أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبو وهب بن عمرو بن مائد  
ابن مخزوم القوشى المدني .

أحد الفقهاء السبعة بالمدينة . كان سعيد سيد التابعين من الطراز  
الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد والمباودة والورع .  
توفى بالمدينة سنة إحدى وقليل اثنتين ، وقليل ثلاث وقليل أربع وتسعين  
للمهجرة ، وقليل أنه توفى سنة خمس ومائة والله أعلى - رضى الله عنه - .  
وفيات الأعيان (٢/٣٧٥-٣٧٨) .

(٢) رواه الطبرى فى تفسيره (٦/٣٧٧-٣٧٨) عن سعيد بن المسيب .  
قال حدثنى ابن الماص مرفوعا برواه موقوفا على ابن الماص مع الشك  
فى أنه " عبد الله بن عمرو بن الماص " أو أبوه .  
وذكره ابن كثير (٢/٣٠) من رواية ابن أبى حاتم بهذا الشك ولكنسه  
مرفوع ، وذكره من رواية ابن أبى حاتم أيضا عن عبد الله بن عمرو بن الماص  
موقوفا . ووصف المرفوع بأنه : " غريب جدا " ثم قال بعد الموقوف " فهذا  
أصح أسنادا من المرفوع " .  
تهذيب التهذيب (٥/٦٥-٦٩) .

(٣) هو قول ابن مسعود وابن عباس وابن جبير ومطأ وأبو الشمشاء والحسين  
والسدى وابن زيد .  
الجامع لأحكام القرآن (٤/٧٨) .

وهذا يوافق قول الشافعي<sup>(١)</sup> في مسألة التخلي لعبادة الله<sup>(٢)</sup> . واختاروا

هذا القول لوجهين :-

أحدهما : أن يكون أقرب الى استحقاق البناء لأن الكلام خرج مخرج  
البناء .

( ١ ) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب

ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف الشافعي .  
ولد سنة خمسين ومائة بنخوة وحمل الى مكة .

بزع في الشعر واللغة وأيام العرب والفقه والحديث وجود القرآن .  
توفي في أول شعبان سنة أربع ومائتين بمصر .

تذكرة الحفاظ ( ١ / ٣٦١ - ٣٦٢ ) .

( ٢ ) في مختصر المزني بهامش الأم ( ٣ / ٢٥٥ - ٢٥٦ ) قال الشافعي رحمه الله

وأحب للرجل والمرأة أن يتزوجا اذا تآقت أنفسهما اليه لأن الله تعالى  
أمر به ورضيه وتدب اليه وبلغنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال  
تآكفوا تكاثروا فأنى أباهى بكم الأمم حتى بالسقط وأنه قال من أحب  
فطرتي فليستن بسنتي ، ومن سنتي النكاح ، ويقال ان الرجل ليرفع  
بدعا<sup>١</sup> ولده من بعده .

ثم قال : ومن لم تتق نفسه الى ذلك فأحب الي<sup>٢</sup> أن يتخلى

لعبادة الله تعالى .

قال : وقد ذكر الله تعالى القواعد من النساء . وذكر عيسى

أكرمه فقال سيدا وحسورا والحصور الذي لا يأتي النساء ولم يند بهن  
النكاح فدل أن الحنوب اليه من يحتاج اليه .

الثاني : أن يكون أحمد من الحاق الآفة بالأنبياء ليمدهم عن  
الآفات<sup>(١)</sup>.

(١) هذا القول هو الذي تطمئن اليه النفس المؤمنة وتسكن ذلك أن  
الاقوال الأخرى أقوال واهية لم تثبت ولا دليل عليها ولو وصف  
بها أعدد الموام لكان ذلك مسبة فكيف في حق من اصطفاه الله ! ؟  
ثم ان المقام مقام مدح والمدح لا يكون الا على أمر مكتسب يقدر فاعليه  
على خلافة لا على ما كان من أصل الخلقه وفي نفس الحيله .

قال القرطبي " وهذا أصح الأقوال لوجهين :-  
أحدهما : أنه مدح وثناء عليه ، والثناء إنما يكون من الفعل المكتسب  
دون الجبلة في الخالب .

الثاني : ان فعولا في اللفظة من صنع الفاعلين كما قال :  
ضروب ينصل السيف سوق سمانها اذا عمدوا زادا فانك فاقسير

فالمعنى أني يحصر نفسه من الشهوات ، ولعل هذا كان  
شره . فأما شرهنا فالنكاح .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٧٨ / ٤ ) .

ونقل الايام ابن كثير عن القاضى عياض في كتابه الشفاء قوله  
في هذه المسألة ( أطم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان حصورا  
ليس كما قاله بعضهم ؛ انه كان هيويا ، أو لا ذكر له ، بل قد أنكر  
هذا حذاق المفسرين ونقاد الملما ، وقالوا هذه نقيصة وميب لا تطبق  
بالأنبياء - عليهم السلام - وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب أى لا يأتيهم  
كأنه حصر عنها ، وقيل مانعا نفسه من الشهوات ، وقيل : ليست  
له شهوة النساء ثم أورد قائل :

---

••/••

وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمصها ، أما بمجاهدة كحمي أو بكفاية من الله - عز وجل - كحمي عليه السلام . . . ثم هي في حق من أقدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشمله عن ربه درجة طيبا ، وهي درجة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الذي لم تشمله كترتهن عن عبادة ربه ، بل زاده ذلك عبادة بتحصينهن ، وقيامه عليهن ، واكتسابه لهن ، وهدايتهم إياهن ، بل قد صرح أنها ليست من حظوظ دنياه هو ، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره . فقال حبيب النبي من دنياكم .

هذا لفظه ، والمقصود أن مدح يحيى بأنه حصون ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه كما قاله هو : أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات ولا ينجس ذلك من تزوجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال " وهب لي من لدنا ذرية طيبة " لأنه قال : ولدا له ذرية ونسل وعصب . والله سبحانه وتعالى أظم .

تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣١ ) .

قوله تعالى : ( قال ربّ أنى يكون لى غلام وقد بلغت الكبرى وامرأتى  
عاقراً ) وإنما قال بلغنى الكبر لأن الكبر فى طلب الانسان ، فساذا  
أصابه فقد بلغه . وأما العاقرة فهى التى عقب رحمها من الكبر .<sup>(١)</sup>

فان قيل أكان شاكاً فى وعد الله تعالى حين قال ( ربّ أنى يكون لى  
غلام ) قيل<sup>(٢)</sup> إنما قاله على سبيل التواضع يعنى مثلنى على هذا الكسبر  
من مثل هذه المسجوز يكون له الولد .

وقيل<sup>(٣)</sup> : معناه كيف يكون لى هذا الغلام أتدنى الى حالة الشباب  
أم يكون الغلام على حال الكبر .  
( قال كذلك الله يفعل ما يشاء )<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) يقال رجل عاقرة ، وامرأة عاقرة بمنّة المقر ، وقد عقرت وعقر ( بضم القاف  
فيهما ) تعقر عقرًا صارت عاقرة ، مثل حسنت تحسن حسنة .  
عن أبى زيد وعقاره أيضا .  
راجع الجامع لأحكام القرآن ( ٤ / ٧٩ - ٨٠ ) .

( ٢ ) البهوى ( ١ / ٣٤٤ ) .

( ٣ ) مروى الحسن . النكت والعيون ( ١ / ٣٢١ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ٤٠ .

وقوله تعالى ( قال رب اجعل لي آية ) أى علامه .  
قيل : (١) انما سأل العلامة لأن اهلجس وسوس اليه أن الذى ناداك  
هو الشيطان دون الملاك ، وكان يديسم عليه وسوسه فسأل العلامة دفمسا  
لتلك الوسوسة . (٢)

وقيل : انما سأل العلامة لمصرفه وقت الولاده حتى يزاد الله  
شكرا ، ( قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام ) .

وقيل ( أنه أمسك الله لسانه ) (٣) وهبسه عن الكلام ثلاثة أيام وهو  
سوى صحيح . وطيه دل قوله تعالى فى سورة عريم ( ثلاثة لمسأل  
سويا ) (٤)

( الا رمزا ) أى اشارة (٥) ، والاشارة تكون باللسان ، وتكون باليد ،  
وتكون بالعين ، والمراد بها هاهنا الاشارة بالأصبع المسبحة .

---

( ١ ) مروى من عكرمه والسدى . تفسير البهوى ( ١ / ٣٤٥ ) .

( ٢ ) قلت : هذا القول مردود ، إذ لو كان الأمر كذلك لما كان الأنبياء  
يشقون فيما يوحى إليهم ، إذ الجميع كان يمكن للشيطان أن يشككهم  
فيه ولا يرفع الوثوق بأخبارهم من الوحي السماوى .

( ٣ ) فى ب ( وقيل ان الله أمسك لسانه ) كذا .

( ٤ ) آيه ١٠ .

( ٥ ) أصل الرمز الحركة ، يقال ارتمز ، أى تحرك ، ومنه قيل للبحر الراسموز  
وفعله من باب نصر وضرب ثم أطلق الرمز على الايما بالشفيتين أو الحاجبين  
وطى الاشارة باليدين وهو المراد هنا .

قال قتادة (١) : إنما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له على ما سأل من الآية  
بمجد ما أوحى الله تعالى إليه وشافهته باللائحة بالبشارة (٢) .

( واذكر ربك كثيرا ) قيل : إنما أمسك لسانه عن الكلام مع الناس ،  
ولم يمسه عن ذكر الله تعالى فأمره بالذكر .

( وسبح بالمشى والابتكار ) (٣) والبراد بالتسبيح الصلاة ، وأما المشى ،  
ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس ، ومنه سمي صلاة الظهر والمصبر  
صلاتي الحشاء ، وأما الابتكار ، ما بين طلوع الفجر إلى الضحى الأظنى .

---

( ١ ) هو أبو الخطاب ، قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز بن عمرو بن  
ربيعة بن عمرو بن الحارث السديوسي الأكمه ، عربي الأصل ،  
كان يسكن بالبصرة .  
ولد سنة إحدى وستين . وكان فصحاً وفقهاً عالماً بالشعر والأنساب .  
وهو من التابعين .  
توفي سنة سبع عشرة ومائة .  
تهذيب التهذيب ( ٨ / ٣٥١ - ٣٥٦ ) .

( ٢ ) قال صاحب الكشاف : " فإن قلت لم يحبس لسانه عن كلام الناس ؟  
قلت : لم يخلص المدء لذكر الله لا يشغل لسانه بخبره توفراً منه على  
قضاة حق تلك النعمة الجسيمه وشكرها الذي طلب الآبه ، كأنه لما  
طلب الآية من أجل الشكر قيل له آتيك أن تحبس لسانك إلا عن الشكر .  
وأحسن الجواب وأوقمه ما كان مشتقاً من السؤال ومتزطاً منه ) .  
الكشاف ( ١ / ٣٦١ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ٤١ .

قوله تعالى ( واذا قالت الملائكة يا مريم ) أى واذا كان قالست

الملائكة يا مريم ( ان الله اصطفاك ) اختارك . ( وطهرتك ) بمعنى من الحيض  
والنفاس ، وقيل من الذنوب . ( واظطفاك على نساء العالمين ) منهم من قال :  
على نساء عالم زمانها<sup>(٢)</sup> ، ومنهم من قال : على جميع نساء العالمين<sup>(٣)</sup> فى أنها  
ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من نساء العالم .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) قال الفخر الرازى ما ملخصه : والاصطفاة الأول اشارة الى ما اغتق لها  
من الأمور الحسنه فى أول عمرها بأن قبل الله تحريرها - أى خدمتها  
لبيتها - مع أنها أنثى ولم يحصل مثل هذا المعنى لتحريرها من الانثى ،  
وبأن فرغها لعبادته وخصها فى هذا المعنى بأنواع اللطف والهداية  
والعصمة ، وبأن كفلها أمر مميشتها فكان بآتيها رزقها من عند الله ...  
وأما الاصطفاة الثانى فالمراد به أنه تعالى وهب لها عيسى - عليه السلام -  
من غير أب وجعلها وابنها آية للعالمين .  
التفسير الكبير ( ٤٦ / ٨ ) .

( ٢ ) هو قول للحسن . النكت والميون ( ٣٢٢ / ١ ) .

( ٣ ) ذكره الزجاج . النكت والميون ( ٣٢٢ / ١ ) .

( ٤ ) قلت : لاشك أن ولادة مريم - عليها السلام - من غير أب ، ودون أن  
يمسها بشر أمر اختصت به وحدها ، ولم تشاركها فيه امرأة قط فى  
أى زمان أو مكان . فهى أفضل من هذه الحيثية .

أما عن حيث قوة الايمان ، وصلاح الأعمال ، فيجوز أن يحصل  
اصطفاؤها على نساء العالمين على معنى تفضيلها على عالم زمانها من  
النساء . وهو ما ذهب اليه أكثر المفسرين .

أما الهمض الآخر منهم فيرى أفضليتها على جميع النساء فى سائر  
الأعصار كالقرطبي فى تفسيره ( ٨٢ / ٤ - ٨٤ ) .

هذا وقد ذكر الامام ابن كثير عددا من الأحاديث التى وردت فى هذا  
المعنى .



قوله تعالى ( يا مريم اقنتي لربك ) أى اطعنى ربك وقومى لطاعتى .  
والقنوت طول القيام .

قال مجاهد : معناه : أطول القيام لديك .  
وقيل (١) : أنها قامت حتى انتفضت اقدامها وتورمت . وسمى القنوت  
فى الصلاة لأنه فى حال القيام .

ومن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال :  
" طول القنوت " (٢) أى طول القيام . ( واسجدى وازكسى مع الراكمين ) . (٣)

قيل : إنما قدم السجود طوى الركوع لأنه كان ذلك فى شريعتهم .  
وقيل : لا بل الركوع قبل السجود فى جميع الشرائع ، وليس السجود  
للترتيب بل للجمع ، ويجوز أن يقول الرجل رأيت زيدا وعمرا وان كان قيد  
رأى عمرا قبل زيدا ويجوز أن يقول رأيت عمرا وزيدا ، أى زيدا وعمرا .  
قال الشاعر : (٤)

ألا يا نخله من ذات عسرق ... طيك وبرحمية الله السلام  
أى عليك السلام وبرحمة الله .

---

(١) ذكره الأوزاعى . الجامع لأحكام ٢/١ .  
(٢) رواه الأمام مسلم فى صحيحه من كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب  
أفضل الصلاة طول القنوت (١٧٥/٢) .  
(٣) آل عمران آية ٤٣ .  
(٤) من أبيات الأعرابي ، وقيل : لا يعرف لها قائل . ورواية ثعلب للبيت :  
ألا يا نخله من ذات عسرق برود الظل شاهكم السلام  
ولا شاهد فيها .  
وبرى ابن جنى أن المطلق على الضمير فى طيك ، وهو خبر مقيد  
ولا تقديم فيه .  
شرح جمل الزجا جى لابن عصفور (٢٤٥/١) بهامشه .

فكذلك قوله ( واسجدى واركمى ) أى واركمى واسجدى ، وإنما قال  
( مع الراكمين ) ولم يقل مع الراكمات ، ليكون أعم وأشمل . وقيل : معناه  
مع المصلين فى الجماعة .

قوله تعالى ( ذلك من أنباء الشيب نوحى إليك ) يقول لمحمد  
ﷺ صلى الله عليه وسلم - ذلك من أخبار الشيب نوحى إليه <sup>(١)</sup> ~~الرسول~~ <sup>(٢)</sup> ،  
( وما كتبت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كتبت لديهم إذ يختصمون )  
فألا قلام السهام ، وإنما سمى قلاماً لأنه يقطع ويبرأ ، وأصل القلم القطع ومنه قلم  
الظفر ، والقصة فى ذلك أنهم تشاحوا واختصموا فى كفاية مريم ، فقال زكريا :  
( ١ ) يعنى بالشيب أنها من خفى أخبار القوم التى لم تطلع أنت يا محمد  
عليها ولا قومك ، ولم يعلمها الا قليل من أخبار أهل الكتابيين  
ورهبانهم .  
جامع البيان للطبرى ( ٢٦٦ / ٣ ) .

( ٢ ) قال ابن جرير : أُخبرَ تعالى ذكره نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم  
أنه أوحى ذلك إليه حجة على نبوته وتحقيقاً لصدقه ، وقلما منه  
به عذر منكروى رسالته من كفار أهل الكتابيين الذين يعلمون أن محمد  
لم يصل إلى علم هذه الأنباء مع خفائها ، ولم يدرك معرفتها مع  
عند أهلها الا باطلاع الله ذلك إياها اذا كان معلوماً عندهم أن محمداً  
- صلى الله عليه وسلم - أوحى لا يكتب فيقرأ الكتب ، فيصل السوي  
طم ذلك من قبل ، الكتب ، ولا صاحب أهل الكتب فيما أخذ علمه  
من قبلهم .

تفسير الطبرى ( ٤٠٤ / ٦ ) .

( ٣ ) انظر العمدة فى غريب القرآن صفحة ( ٩٩ ) ، وانظر الجامع لأحكام القرآن  
( ٨٦ / ٤ ) لسان العرب ( مادة ظم ) .

أنا أولى بكفالتها منك لأن خالتها ضدى ، وقال أحبارهم : وقيل أنبياءهم :  
نحن أولى بكفالتها لأن أباهما كان أماننا وحبونا ، فاخترموا واستهموا على  
أن من يثبت قلمه في الماء وضعد فهو أولى بكفالتها ، فالتقوا الأقبلام  
على الماء ، وعلى كل قلم اسم واحد منهم فأنحدرت أقلامهم تجري في الماء وجرى  
قلم زكريا وبقوا فوق الماء (١) ،

وقيل (٢) : أنا اختصموا في كفالتها لأنه كان قد أصابهم قحط وأزمة  
كانت تضيق بهم النفقة فاستمحووا على كفالتها تدافعا حتى ان من خرج  
سهمه هو الذي يعولها وينفق عليها والأول أصح وأشهر .

قوله تعالى ( إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه )  
وقيل (٣) : ان الملائكة قالوا اليها ذلك مشافهة وعيانا . ( اسببه  
المسيح عيسى بن مريم ) قال ابن عباس : إنما سمي مسيحا لأنه ما مسح ذا  
عاهة الا برأ .

رتل الحسن رسالة : سمي مسيحا لأنه/ بالبركة ، وقيل المسيح :  
الصديق ، ويكون المسيح بمعنى الكذاب ، وهو من الأضداد .

( وقيل سمي مسيحا لأنه كان يمسخ وجه الأرض ويمسح فيها ) وقيل (٤)  
إنما سمي مسيحا لأنه كان ممسوح القدم لا أخصى لقدميه

( ١ ) انزل لمكرمة والحسن والربيع . النكت والميون ( ١ / ٣٢٣ ) .

( ٢ ) ذكره سعيد بن جبير . النكت ( ١ / ٣٢٣ ) .

( ٣ ) هذا ما ذكره القرطبي ورجعه الا أن هناك قولا أخذ وهو أن الملائكة  
قلت لها ذلك كلاما .

الجامع لا ختام القرآن ( ٤ / ٨٨ ) .

( ٤ ) ما بين القوسين ساقط من أ .

( ٥ ) الأخص من القدم : الموضع الذي لا يلمق بالأرض منها عند المشي .

ومنه قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

بان يقاسيها غلام كالزئيم خدج الساقين مسوح القيد

ومن ذلك سمي الدجال مسيحا لأنه مسح أحد شق وجهه لا عين

(٢)  
فيه .

( وجيها في الدنيا والآخرة ) أي رغبنا زنا جاه عند الله (ومسن

المقربين ويكلم الناس في المهدي وكهلا ومن الصالحين ) . أما كلامه قيس

المهدي هو قوله في سورة مريم ( اني عبد الله )<sup>(٣)</sup> وأنكر النصارى كلامه في المهدي

وسياتى بيانه .

---

( ١ ) القائل هو رشيد بن رميح المنزى .

( ١٩٤٣/٥ ) مادة زلم . الصحاح للجوهري .

( ٢ ) قال أبو السعود : والمسح لقيه . عليه الصلاة والسلام . وهو مسن

الألقاب المشرفة كالصديق . وأصله بالمعبره شيحا ومعناه المبارك ،

وعيسى مصرب من اشموع والتصدى لاشتقاقها من المسح والميس وتعليه

بأنه عليه الصلاة والسلام مسح بالجره أو بهما يطهره من الذنوب ، أو

مسحه جبريل . عليه الصلاة والسلام أو مسح الأرض ولم يبق في موضع أو

كان عليه الصلاة والسلام ينسح زنا العاهة فييراً . . . من قبيل الرقيم

على الماء .

( ٤٨٢/١ ) تفسير أبو السعود .

راجع تفسير القرطبي ( ٨٨/٤ - ٨٩ ) .

( ٣ ) آية ٣٠ .

أما كلامه وهو كهبل قيل هو اختياره من الأشياء المصحزة ، وقيل هو  
كلامه بحد نزوله من السماء ، والكهبل قيل هو مافوق الغلام ودون الشيخ  
وهو ابن أربع وثلاثين سنة وأصله الطول ، ومنه اكتهل الثبات اذا  
طال .

قوله تعالى ( قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر ) قالت  
ذلك تصعبا إذ لم يكن حرت المادة بأن يولد ولد بلا (١) .

( ٢ ) قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون  
أى لا تمسر عليه شىء يفعل ما يشاء بحكم ما يريد .

قوله تعالى ( ويعلمه الكتاب ) تقرأ بالياء والنون ( والكتاب ) الخبر  
( والحكمة ) العلم والفقه ( والتوراة والانجيل ) (٤) علمه الله التوراة والانجيل  
( ورسولا الى بنى اسرائيل ) منهم من قال كان رسولا

---

( ١ ) قلت : صدرت اجابتها بالنداء لله تعالى للاشمار بكمال تسليمها  
للقدره الالهيه ، وأن استفرابها وتمجيبها انما هو من الكيفية لا انكارا  
لقدره الله تعالى .

( ٢ ) آل عمران آية ٤٧ .

( ٣ ) قرأ المدائن وعاصم ويمقوب بالياء وقرأ الباقون بالنون .  
النشر ( ٢٣٢ / ٢ ) الكشاف ( ٣٤٤ / ١ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ٤٨ .

في حالة الصبا ، <sup>(١)</sup> ومنهم من قال : انما كان رسولا بعد البلوغ .

( انى قد جئتم بآيه من ربكم ) معناه آيات من ربكم ، وانما اكتفى

بذكر الآية لأنه دال على شىء واحد .

( أنى أخلق لكم من الظنين ) أى أقدر وأصور . ( كهيئة الطير فأنفخ

فيه فيكون طيرا باذن الله ) قيل ان عيسى قال لهم : أى شىء أشهد

خلقا قالوا الخفاش فقدر من الظنين خفاشا وصوره ونفخ فيه فقام بطير

باذن الله ( وابرى\* الاكمه ) قال أبو عبيدة : الاكمة الذى ولد أعشى ، <sup>(٢)</sup>

وقيل <sup>(٣)</sup> : هو الأعمى الذى يبصر بالنهار ولا يبصر

---

(١) هذا القول لا يصح البتة ان قد بين القرآن الكريم ما تكلم به عيسى عليه السلام في حالة الصبا في آيات أخرى من سورة مريم ( فأشارت اليه قالوا كيف تكلم من كان في العهد صيبا ؟ قال : انى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ) ، ولم يزد على ذلك حتى بلغ السن التى يتكلم فيها أمثاله ، والله أعلم .

(٢) مجاز القرآن (١/٩٣) .

(٣) وهو قول عكرمة وسجاهد . تفسير القرطبي (٤/٩٤) .

(١) بالليل ( والأبصر ) الذي به وضع ( وأحق الموتى باذن الله )  
قال ابن عباس : قد أحيا أريمة عاذر وأبن العجوز وبنيت العاشر وسام  
ابن نوح - عليه السلام - فأما عاذر فكان صديقا لعيسى فأخبر بموته  
فدعا الله تعالى فأحياه ، وأما ابن العجوز كان على السرير يحمل الس  
المقبرة فراه عيسى فأمر بوضع السرير ودعا فأحياه فأخذ لباسه  
ولبسها ورجع الى البيت ، وأما بنت العاشر فقد كان رجل يأخذ  
المشور ماتت له ابنة فدعا الله فأحياها ، وأما سام بن نوح  
فان عيسى جاء<sup>(٢)</sup> الى قبره ودعا الله فأحياه . فقام اليه وقال : أقامت  
القيامة وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة فقال : لا أنا عيسو .  
ابن مريم فكلمه ومات من ساعته .

وأما الثلاثة الذين أحياهم عاشوا وولد لهم ( وأنبيئكم بما تأكلون  
وما تدخرون في بيوتكم ) كان عيسى يخبر الرجل ما أكل ( في بيته )<sup>(٣)</sup>  
البارحة وما يأكل اليوم وما أدخره للمشاء ، وقيل : أنه كان في المكتب يخبر  
الصبي بما يأكل وما خبأت له أمه من الطعام حتى كان الصبي يأتي الوائمين

( ١ ) يعني اذا اعتربه ظلمه تطمس عليه ، ذكر أهل اللغة أن الكفة يكسو  
خلقه ويكون حادثا بعد بصره وربما قالوا : للمسلوب المقل أكمه .  
انظر الجامع لاحكام القرآن ( ٩٤ / ٤ ) ولسان العرب مادة كفه .  
والصمد في عزب القرآن صفحة ( ٩٩ ) .

( ٢ ) في ب ( فان عيسى صار ) كذا .

( ٣ ) الزيادة بين القوسين من ب .

حتى تصليه الطعام فيعطه إلى عيسى فحبسوا الصبيان من المكتب فجاءه  
عيسى في طلبهم وكانوا في دار فقال : من هؤلاء الذين في الدار فقيل :  
خنازير فقال عيسى : يكونون ذلك فصاروا خنازير ( بأمر الله تعالى )  
( ١ ) ( ٢ )  
( ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ) ( ٣ )

قوله تعالى ( ومصدقاً لما بين يدي من التوراة ) بمعنى وأكون صدقاً  
( ولأجل لكم بعض الذي حرم عليكم ) . قال أبو عبدة : أراد بالهمزة  
الكل ( ٤ ) بمعنى كل الذي حرم عليكم وشبهه قول الشاعر :  
..... أو يرتبط بعض النفوس عطشها ( ٥ )

( ١ ) سا قطه من أ .

( ٢ ) أقول وبالله التوفيق ان كل هذه الأقوال التي ذكرها المؤلف لا دليل  
عليها ولا تثبت بل هي أشبه بالخرافة منها إلى الحقيقة .

ولكننا نقول أننا ندين الله ونؤمن بأن عيسى - عليه السلام - كان  
يخلق من الطين كهية الطير فينفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وأنه  
كان يبرى الأكمة والأبرص وأنه كان يحيى الموت باذن الله وأنه كان  
ينهى قومه بما يأكلون وما يدخرون وليس من فائده بعد هذا أن نبحث  
في من الذي أحياه أو الذي صوره أو الذي كان ينهى قومه به وما  
إلى ذلك .

( ٣ ) آل عمران آية ٤٩ .

( ٤ ) مجاز القرآن ( ١ / ٩٤ ) .

( ٥ ) البهت للميد بن ربيعة وصدرة

تراك أمكبه إذ لم أرضها .....

وهو من معلقته في شرح العشر ( ٨ ) ، ومجاز القرآن ( ١ / ٩٤ ) وشواهد  
الكشاف ٢٢٧ والجامع لأحكام القرآن ( ٤ / ٩٦ ) .



أى كل النفوس ، وقيل هو على حقيقته وقد كان أهل لهم بعض ما حرم عليهم فى التوراة من لحوم الابل وشروتها .<sup>(١)</sup>

( وجئبكم بأية من ربكم ) بمعنى بآيات كما بينا ( فاتقوا الله وأطيعون )<sup>(٢)</sup>

( ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم )<sup>(٣)</sup> أى طريق واضح .

( فلما أحسن عيسى منهم الكفر ) أى أبصر ووجد منهم الكفر .<sup>(٤)</sup>

( قال من أنصارى الى الله ) قيل معناه من أنصارى مع الله . وقال

النحويون/ فى موضعها ولمست بمعنى مع ، وإنما معناه من يضم نصرته الى نصرته الله<sup>(٥)</sup> .

(١) قال الامام القرطبي : فى معرض الرد على قول أبي عبيده : وهذا القول غلط عند أهل النظر من أهل اللغفة ، لأن الهمز والجزء لا يكونان بمعنى الكلى ، ولأن عيسى لم يحلل لهم جميع<sup>الاحكام</sup> الثابت فى الانجيل مع كونها ثابتة فى التوراة وهى كثيرة يعرف ذلك من يعرف الكتابين ولكنه قد يقع الهمز موقع الكلى مع القرينة كقول الشاعر :

أبا منذر أفنيت بعضاً حنانيك بعض الشر أهون من بعض

أى بعض الشر أهون من كله .

الجامع لا حكام القرآن (٤/٦٦) .

(٢) آل عمران آية ٥٠ .

(٣) آل عمران آية ٥١ .

(٤) راجع معانى القرآن للقرا\* (١/٢١٦ - ٢١٧) .

(٥) قال القرا\* : المفسرون يقولون : من أنصارى مع الله ، وهو وجه حسن .

وإنما يجوز أن تجعل الى موضع مع اذا غمست الشئ الى الشئ مما

لم يكن معه ، كقول العرب ، ان الذود الى الذود اهل أى اذا

أغمست الذود الى الذود صارت اهلاً فاذا كان الشئ مع الشئ لسم

تصلح مكان مع الى ، ألا ترى أنك تقول : قدم فلان ومعه مال كثير ،

ولا تقول : فى هذا الموضع قدم فلان واليه مال كثير : وكذلك تقول :

قدم فلان الى أهله ، ولا تقول : مع أهله ومنه قوله : ( ولا تأكلوا

أموالهم الى أموالكم ) معناه : ولا تضيعوا أموالهم الى أموالكم .

معانى القرآن (١/٢١٨) .

( ١ ) قال الحواريون نحن أنصار الله ( قال ابن نجيب : الحواريون كانوا قوما قصارين ، سموا بذلك لأنهم كانوا يقصرون الشباب . وقيل : كانوا صيادين بصطادون السمك والصحيح أن الحواري صفة كل شئ . وخالسته ومنه قوله - صلى الله عليه وسلم في الزبير " هو ابن عمق وحواري من امتي " .

( ١ ) عبد الله بن يسار الأعرج الحكي مولى ابن عمر الجهمي الكوفي .  
روى عن حذيفة وطلح وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطه وقتله بسن  
صفي وعبد الرحمن بن أبي ليلة .  
وعنه ابن عمار والأشعث ومنصور وجامع بن شداد وسعيد بن خالد  
وجابر الجعفي وغيرهم .  
قال النسائي : ثقة .  
وذكره ابن حبان في الثقات .  
تهذيب التهذيب ( ٦ / ٨٤ - ٨٥ ) .

( ٢ ) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب المناقب ، باب مناقب الزبير بسن  
الموام ( ٥ / ٩٣ ) .  
ورواه الامام أحمد في المسند ( ١ / ٨٩ ) ( ١ / ١٠٢ ) وابن ماجه في  
سننه المقدمة ١١ ، باب فضل الزبير ( ١ / ٤٥ ) . كلهم طفقوا لكنا  
بنو حواري وحواري من امتي الزبير .

أى صفوتى وخالصتى وأصل الحوارى النقاء والنظافة قسموا حواريين  
لنقاء ظوهم ، ومنه يقال لنساء الأماص حواريات قال الشاعر (١) :-  
فقل للحواريات ! تكسين غيرنا ولا تكسين الا الكلاب النوايح (٢)  
ومنه الخير الحوارى لغاوته وبياضه (٣) .

وأما قوله ( نحن أنصار الله ) لأنهم اذا نصروا عيسى فكأنهم نصروا  
الله .

(٤) آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون .

قوله تعالى ( ربنا آمنا ما أنزلت واتهمنا الرسول فاكتننا مع الشاهدين (٥)  
قبل مع الشاهدين من أمة محمد لأنهم يشهدون للرسول بالبلاغ .  
وقيل مع الشاهدين على نبوة عيسى (٦) .

قوله تعالى ( ومكروا ومكر الله ) المكر من المبد الخب والخبذ  
ومن الله تعالى أن يأخذ المبد بفتة من حيث لا يعلم ، وإنما سماه  
مكرا على المقابلة لأنه جزاء مكرهم كما قال : ( وجزاء سيئة سيئة مثلها ) (٧)

- 
- ( ١ ) الهيثم لأبى جلدة بن عبدة بن معاذ المشكرى ، من شعراء الدولاب  
الأموية ، كان من أخص الناس بالحجاج ، ثم فارقه وخرج من  
ابن الأشعث ، وصار من أشد الناس تعريضا على الحجاج . فلما قتل  
وأتى الحجاج برأسه ووضع بين يديه ، مكث ينظر إليه طويلا ثم قال :  
كم من سر أودعت هذا الرأس فلم يخرج منه حتى أتيت به مقطوعا .
- ( ٢ ) الموطأ والمختف للأمامى : ٢٩٩ ، والأغانى ١١ : ٣١١ ، الوهشييات  
٢٣٦ ، حماسة ابن الشجرى ٦٥٠ واللسان مادة ( حور ) .
- ( ٣ ) انظر الجامع لأحكام القرآن ( ٩٧ / ٤ ) وانظر لسان العرب ( مادة حور ) .
- ( ٤ ) آل عمران آية ٥٢ .
- ( ٥ ) آل عمران آية ٥٣ .
- ( ٦ ) ذكر الامام ابن كثير فى تفسيره القول الأول دون غيره وقال : بعد أن ذكر  
سنده " وهذا اسناد جيد " تفسير ابن كثير ( ٣٧ / ٢ ) .
- ( ٧ ) الشورى آية ٤٠ .

والعراء بحكرهم ها هنا أنهم احتالوا لقتل عيسى فقال رجسلا : الا  
 أركم على البيت الذي فيه عيسى فجاءوا معه البيت الذي كان فيه عيسى  
 فدفعه الله الى السماء وألقى شبهه عيسى على من دلهم عليه فأغذوه وهو يصيح  
 لست بعيسى فقتلوه . وقيل ان الدال كان واحدا من السواريين فذلك مكر الله<sup>(١)</sup>  
 ( والله خير الماكرين )<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : ( ان قال الله يا عيسى انى متوفيك ) أى واذكر قول الله  
 لعيسى انى متوفيك ( ورافعك الي ) فان قال قائل : ما معنى التوفى وعيسى  
 في الأحياء طى زعمكم ؟ قلنا فيه أقوال قال الحسن البصرى معناه : السى  
 قابضك من الأرض وهو صحيح عند أهل اللغة . يقال توفيت حقى من فلان أى  
 قبضت .

قال الأزهري<sup>(٣)</sup> كأنه يقول : انى متوفى عدد ايامك فى الأرض وكل شىء تم فهو  
 متوفى وستوفى . وقال الغداء : فيه تقديم وتأخير وتقديره انى رافعك السى  
 ومتوفيك أى بعد السنزول من السماء<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) راجع تفسير الطبرى ( ٤٥٣-٤٥٤ ) وتفسير ابن كثير ( ٣٧/٢ ) .  
 ( ٢ ) آن عمران آيه - ٥٤ .  
 ( ٣ ) الأزهري : محمد بن أحمد الأزهري بن طلحة بن نوح الأزهري اللخوى الأديب  
 النهروى الشافعى أبو منصور .  
 ولد سنة اثنتين وثمانين ومائتين - وكان رأسا فى اللغة ، أخذ عن النهروى  
 صاحب الخريسين . وهو صاحب الكتاب العظيم تهذيب اللغة ، وكان عارفا  
 بالحديث عالى الاسناد .  
 مات فى ربيع الآخر سنة سبعين وثلاثمائة .  
 ( الرواة للسيوطى ١/١٩-٢٠ انباء الرواة ٤/١٧١-١٧٥ ) .  
 ( ٤ ) معانى القرآن ( ٢١٩/١ ) .

وقد ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لييهبطسن

عميسى بن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير" (١)

وفى رواية أنه يقتل الدجال بباب لد من دمشق (٢)

وفى الأخبار أنه يميش بعد ذلك فى الأرض سبع سنين ويترج ويولد له

ثم يموت ويصلو عليه المؤمنون من هذه الأمة (٣)

وهذا التقديم والتأخير الذى ذكرنا فى الآية محكى من ابن عباس .

وله قول آخر أن الآية على حقيقة الموت وأن عميسى قد مات ثم أحياه الله

تعالى ورفعها الى السماء .

---

( ١ ) رواه الامام البخارى فى صحيحه من كتاب الأنبياء ، باب نزول

عميسى بن مريم (٣٢٤/٤) .

ورواه الامام مسلم فى صحيحه من كتاب الايمان ، باب نزول عميسى

ابن مريم .

وابن ماجه فى كتاب الفتن حديث رقم (٤٠٧٨) (١٣٦٣/٢) كلمهم عن

أبي هريرة بلفظ " ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا

فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى

لا يقبله أحد .

( ٢ ) رواية الترمذى فى باب ماجاء فى قتل عميسى بن مريم الحد جسال

حديث رقم (٢٣٤٥) (٣٥٠/٣) .

( ٣ ) أحمد فى المسند (٤٠٦/١) .

وقال وهب بن منبه <sup>(١)</sup> : أماته الله ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه  
الله ورفع له اليه . <sup>(٢)</sup>

وقال الربيع بن أنس <sup>(٣)</sup> : التوفي هو النوم ، وكان عيسى قد نام فرفعه  
الله نائما إلى السماء <sup>(٤)</sup> .

والمصروف القولان الأولان <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن زى كزاز اليماني الصنعمانى الذمارى  
أبو عبد الله الأيماوى .

كان يتهم بشق من القدر ثم ترك القول فيه .  
ولد سنة أربع وثلاثين فى خلافة عثمان - رضى الله عنه - أما وفاته  
فقد اختلفوا فيه .

فقال خليفة : مات سنة عشر ومائة . وقيل غير ذلك .  
تهذيب التهذيب ( ١١ / ١٦٦ - ١٦٨ ) .

( ٢ ) قلت هذه دعوى ينقصها الدليل .

( ٣ ) الربيع بن أنس البكرى ، ويقال الحنفى البصرى ثم الخرسانى .  
هرب من البصرة إلى مرو خوفا من بطش الحجاج . روى عن أنس بن مالك  
وأبى العالىة والحسن البصرى .  
توفى سنة ١٣٩ هـ .

تهذيب التهذيب ( ٣ / ٢٣٨ - ٢٣٩ ) المعارف لابن قتيبة ( ٤٦٦ - ٤٦٧ ) .

( ٤ ) يستأنس لهذا التفسير بالآيات التى جاء فيها اطلاق الوفاة على النوم  
كقوله : " وهو الذى يتوفاكم بالليل " الآية . وقوله " الله يتوفى الأنفس  
حين موتها والتى لم تمت فى منامها " .

( ٥ ) قلت : أرى أن الراجح هو ما ذهب إليه الحسن البصرى .  
وأينما ما ذهب إليه الربيع بن أنس لأن هذه المعانى هى التى تحتلها  
اللغة .

ولتواتر الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :  
ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث فى الأرض مدة ثم يموت  
ويصلو عليه المسلمون ويهدفون به .

أما ما ذهب إليه القسرا فففيه نوع تكلف .

الفريقين قد ذهب ملكهم فلا يعود أبدا ، وملك النصارى دائم الى قريب  
من قيام الساعة<sup>(١)</sup> .

وقيل<sup>(٢)</sup> أراد بالذين اتبعوه أمة محمد صلى الله عليه وسلم

( ١ ) قال شيخ الاسلام ابن تيمية " وهذا حق " ، كما أخبر الله به ،  
فمن اتبع المسيح - عليه السلام - حمله الله فوق الذين كفروا الى يوم  
القيامة ، وكان الذين اتبعوه على دينه الذى لم يبدل قد جعلهم الله  
فوق اليهود ، وأيضا فالنصارى فوق اليهود الذين كفروا به الى يوم  
القيامة .

وأما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به ، بل لما بسد  
النصارى دينه وبعث الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - بدين الله  
الذى بعث به المسيح وغيره من الأنبياء جعل الله محمدا وأُمَّته فسوق  
النصارى الى يوم القيامة ، كما فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى  
- صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " انا مآشر الأنبياء ديننا واحد  
وان أولى الناس بابن مريم لأننا ولأنه ليس بينى وبينه نبى " .

واليهود كذبوا المسيح ومحمدا - صلى الله عليه وسلم - كما قال فيه  
" بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله  
من فضله على من يشاء من عباده فبئس ما بغوا بغضب على غضب " البقرة : ٩٠ .

فالغضب الأول تكذيبهم المسيح ، والثانى محمد صلى الله عليه وسلم  
والنصارى لم يكذبوا المسيح وكانوا منصورين على اليهود ، والمسلمون  
منصورون على اليهود والنصارى .

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ( ١ / ٢٥٣ - ٢٥٥ ) باختصار .

( ٢ ) قول الحسن وقتاده والربيع وابن خريج . النكت والميون ( ١ / ٣٢٦ ) .

حيث صدقون ووافقوه على دين التوحيد فهم فوق الذين كفروا الى يوم القيامة (١)  
وفيه قولان .

أحدهما : أنهم فوقهم بالحجة .  
والثاني : بالعز وبالخلقة (٢) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم \* أنا أولى بعيسى بن مريم ليس بعيسى  
ومعناه نبي (٣) .

( ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ) (٤) .

قوله تعالى ( فأما الذين كفروا فأعد لهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة  
والله عذاب العاصين ) والآخرة في الدنيا القتل والأسر والجزية ، وفي الآخرة عذاب  
النار ( وما لهم من ناصرين ) (٥) .

(١) قال ابن جرير : يعني بذلك وجاعل الذين اتهموك على منهاجك  
وملتك من الاسلام وفطرتهم فوق الذين جحدوا ههناك وخالفوا سبيلك  
من جميع أهل الملل فكذبوا بما جئت به وصدوا عن الأقرار به فمصيبرهم  
فوقهم ظاهرين عليهم .  
انظر جامع البيان (٤٦٢/٥) .

(٢) المراد بالفوقية ما يتناول الناحيتين الروحية والمادية ، أي هو فوقهم  
بقوة إيمانهم وحسن أدراكهم ، وسلامة عقولهم ، وهم فوقهم كذلك بشجاعتهم  
وحسن أخذهم للأسباب التي شرعها الله لوسائل النصر والفوز .

(٣) رواه الامام مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل باب فضائل عيسى عليه  
السلام (٩٦/٧) . بطرق مختلفة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) آل عمران آية ٥٥ .

(٥) أكد سبحانه شدة هذا المذاب بعدة تأكيدات ، منها نسبة المذاب اليه  
سبحانه وهو القوى القهار الخالب على كل شيء ، ومنها التأكيد بالمصدر ،  
ومنها الوصف بالشدة ومنها الاخبار بأنه لا ناصر لهم ينصرهم من هذا  
المذاب الشديد في قوله تعالى ( وما لهم من ناصرين ) .

(٦) آل عمران آية ٥٦ .



قوله تعالى ( وأما الذين آمنوا وعطوا الصالحات فيوفىهم أجورهم )  
 أي جزاء أعمالهم . ( والله لا يحب الظالمين )<sup>(١)</sup> أي لا يرحم الكافرين ولا يمشي  
 عليهم بالجميل<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ذلك نطوه عليك من الآيات ) يعني القرآن<sup>(٣)</sup> (والذكر الحكيم)<sup>(٤)</sup>  
 أي الذكر ذي الحكمة ، وقيل الذكر المحكم الذي لا يتخلله الفساد .

قوله تعالى ( إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ) سبب نزول الآية ما روى  
 أن وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم أسلموا فقالوا  
 نحن مسلمون قال كذبتم بمنكم من ذلك ثلاث قولكم إن الله اتخذنا وليداً ،

( ١ ) قال عمران آية ٥٧ .

( ٢ ) قال ابن جرير " يعني والله لا يحب من ظلم غيره حقاً له أو وضع شيئاً  
 في غير موضعه فنفس جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده فيجازي  
 المسوء من كفر جزاء المحسنين من أمن به ، أو يجازي المحسن من  
 آمن به واتبع أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه جزاء المسيئين من كفر  
 به وكذب رسليه وخالف أمره ونهيه فقال اني لا أحب الظالمين فكيف  
 أظلم خلقي ؟ " .  
 تفسير الطبري ( ٦ / ٤٦٦ ) .

( ٣ ) قال صاحب المحرر " من الآيات " ظاهره آيات القرآن ، ويحتمل أن  
 يريد بقوله " من الآيات " من المعجزات والمستغربات أن تأتيهم بهذه  
 الفيوب من قبلنا ، وبسبب تلاوتها وأنت أسي لا تقرأ ولست من صحب  
 أهل الكتاب ، فالمعنى أنها آيات لنبيوك وهذا الاحتمال انما يتمكن  
 مع كون نطوه حالاً " .

انظر المحرر الوجيز / ٢

( ٤ ) آل عمران آية ٥٨ .

وسجودكم للصليب ، وأكلكم الخنزير فقالوا من أبو عيسى ؟ فنزلت هذه الآية (١) .

وفي الآية دليل عليهم ورد لقولهم فقوله " وان مثل عيسى " أى صفة عيسى عند الله ( كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن ) بمعنى أن خلق عيسى بلا أب مثل خلق آدم بلا أب ولا أم ، وخلق عيسى بسلا أب ليس بابدع من خلق آدم بلا أب ولا أم (٢) ، فأما قوله ( ثم قال له كن فيكون ) (٣) راجع الى آدم .

فان قال قائل لما ذكر أنه خلقه من تراب فما معنى قوله بعده " ثم قال له كن فيكون " بعد الخلق ؟ .

( ١ ) تكلمنا عن سبب أنزول في أول السورة .

( ٢ ) قال صاحب الكشاف : " فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو (بمعنى عيسى ) من غير أب ووجد آدم من غير أب وأم ؟ .

قلت : هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه بوجهه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف ، ولأنه شبه به لأنه وجد وجوداً خارجاً عن المادة المستمدة ، وهما في ذلك نظيران . ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للمادة من الوجود بخير أب ، فشبهه التخريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم ، وأحسم لمادة شبيهة اذا نظر فلم هو أغرب مما أستغرب به .

انظر تفسير الكشاف ( ١ / ٣٦٧ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ٥٩ .

قيل : معناه خلقه من تراب ثم أخبركم أني قلت له كن فكان من غير  
ترتيب في الخلق كما يكون في أولاده ، وهو مثل قول الرجل أعطيتك اليوم  
درهما ، ثم أعطيتك أمس درهما ، أي ثم أخبرك أني أعطيتك أمس  
درهما .

قوله تعالى ( الحق من ربك فلا تكن من الممتريين ) (١) .

فإن قيل أكان شاكاً في الحق حتى نهاه عن الشك ؟ قيل :

الخطاب مع النبي - صلى الله عليه وسلم - والمراد به الأمت ، وقيل معناه  
قل للشاك فيه الحق من ربك فلا تكن من الشاكين . (٢)

(١) آل عمران آية ٦٠ .

(٢) الامتراء : كما يقول الرازي - مأخوذ من قول العرب مريت الناقصة  
والشاة ، إذا أردت حلها ، فكأن الشاك يجتذب بشكها ، كالمسكين  
الذي يجتذب عند الحلب . يقال : قد ماري فلان فلانا إذا حاوله  
كأنه يستخرج فضبه .  
انظر التفسير الكبير للفخر الرازي (٨٠/٨) .

(٣) قال الأكوسي : " وقوله " فلا تكن من الممتريين " خطاب له - صلى الله  
عليه وسلم - ولا يفسر فيه استحالة وقوع الامتراء منه - عليه الصلاة والسلام -  
بل تذكر في هذا الأسلوب فائدتين : -  
أحدهما : أنه - صلى الله عليه وسلم - إذا سمع مثل هذا الخطاب  
تحركت فيه الأرحية فمزاد في الثبات على اليقين  
نوراً في نور .

وثانها : أن السامع يتشبه بهذا الخطاب على أمر عظيم فيسترع  
ويجزع عما يورث الامتراء ، لأنه - صلى الله عليه وسلم -  
مع جلالته التي لا تصل إليها الأمانى - إذا خوطب  
بشئله فما يظن بغيره ؟ ففي ذلك ثبات له - صلى الله  
عليه وسلم - ولطف بغيره .

انظر تفسير الأكوسي (١٨٧/٣) .

وأظلم أن فيما سبق من التمثيل طوى جواز القياس دليل على أن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبيه . (١)

وقد رد الله تعالى عيسى إلى آدم بنوع/فدل على جواز القياس .  
والمثل هو ذكر سائر يستدل به على غيره في معناه . (٢)

قوله تعالى ( فمن جاءك فيه ) أى جادلك في الحق ( من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسأكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لمنة الله على الكافرين ) . (٣)

هذا في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بنو نجران إلى المباهلة وروى سعد بن أبي وقاص أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ بيدي الحسين والحسين وفاطمة وعيسى

( ١ ) القياس هو تحصيل حكم الأصل في الفرع لاشتباههما في طة الحكم عند المجتهد .

انظر المحصول في علم أصول الفقه القسم الثاني ( ١٧ / ٢ ) .

( ٢ ) راجع الاشارة ( ٣٣ - ٤٤ ) لأبي عبيد القاسم من سلام .

( ٣ ) آل عمران آية ٦١ .

( ٤ ) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي - سيد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحد سیدی شہان أهل الجنة .

ولد في رمضان في السنة الثالثة من الهجرة وقيل غير ذلك . وكسان أشبه الناس برسول الله . ولو الخلافة بعد مقتل والده على ثم تنازل عنها لسيدنا معاوية حقنا لدماء المسلمين وكان ذلك عام ٤١ هـ .

توفي سنة ٤٩ هـ . وقيل غير ذلك .

تهذيب التهذيب ( ٢ / ٢٩٩ - ٣٠١ ) .

( ٥ ) الحسين بن علي بن أبي طالب . سيد النبي - صلى الله عليه وسلم - من الدنيا وأحد سیدی شہان أهل الجنة .

ولد في شعبان سنة أربع . وتوفي مقتولا بكرسلا .

تهذيب التهذيب ٣٤٥ .

ثم دعاهم الى المباهلة<sup>(١)</sup> .

فقوله " ندع أبنينا " أراد به الحسن والحسين ، وقوله " نسائنا "   
بمعنى فاطمة ، وأنفسنا بمعنى نفسه وطيبها<sup>(٢)</sup> .

فان قال قائل كيف قال " وأنفسنا " وطى رضى الله عنه غيره ؟ قيل :   
المرب تسمى ابن عم الرجل نفسه ، وطى كان ابن عمه .

وقيل ذكره طى العموم لجماعة أهل الدين .

والابتهاال : الالتئام ، ومنه المهله وهي اللئنه ، ويقال طيك بهلهة   
الله أى لعنة الله والابتهاال الاجتهاد فى دعاء اللئنه ، واللئنة الابهام   
والطرد عن الرحمه بطريق العقوبة<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) انظر ما سبق فى تخريج حديث وفد نجران . وقد ذكر الحافظ ابن كثير   
فى تفسير هذه الآيات قصة وفد نجران مفصلة عن سيرة ابن اسحاق   
ومن رواية ابن مردويه ، ومن دلائل النبوة للبيهقى ( ٤٥ / ٢ - ٤٥ ) .   
والحديث رواه الحاكم فى المستدرک ( ٥٩٣ / ٢ - ٥٩٤ ) وقيل   
صحيح طى شرط مسلم ولم يخرجاه .

( ٢ ) رواه الحاكم فى المستدرک ( ٥٩٣ / ٢ - ٥٩٤ ) وقال طى شرط   
مسلم .

( ٣ ) انظر الجامع لاحكام القرآن ( ١٠٤ / ٤ ) وانظر اللسان مادة بهل .

قال لبيد (١)

وكهول شادة من عامر      نظر الدهر اليهم فابتهل (٢)

أى نظر الدهر اليهم بالهلاك فافناهم بجهاد فيه ، وفي القصة  
أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى الابتغال ، وجعل اللمنسة  
على الكاذب من الفريقين فقال الأسقف لهم لا تاهلوا فانكم لو ابتهلتهم  
لاخطبوم عليكم الوادى نارا ، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم - وهل غير  
العاملة ؟ قال الاسلام أو الحرب أو الجزية فقبلوا الجزية وانصرفوا .

(١) لبيد : هو لبيد بن ربيعة بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن

ربيعة بن عامر من صمصمة العامري ثم الجعفري أبو عقيل : الشاعر  
المشهور وكان من فحول الشعراء .

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع وفد قومه بنو جعفر ،  
فأسلم وحسن اسلامه .

توفي رحمه الله تعالى بالكوفة أيام الوليد بن عقبة في خلافة عثمان  
رضي الله عنه .

هذا ما ترجمه ابن الاثير وابن عبد البر . وذهب ابن حجر الى

أنه مات في سنة احدى وأربعين لما دخل معاوية الكوفة .

أسد الغابة (٤/٥١٤-٥١٦) الاستيعاب في معرفة الاصحاب

(٣/١٣٣٥-١٣٣٨) الاصابة (٥/٦٧٥-٦٨٠) .

(٢) البيت في الديوان :

فوق قروم سادة من قومه      نظر الدهر اليهم فابتهل

انظر الديوان قصيد ٣٩٥ ، وانظر أساس البلاغة (بهل) وانظر أمالي السي  
الشريف (١/٤٥) من قصيدة مضي بعض أهباتها ، وهي من شعره الذي  
رهب منه أريد .

وأرى أريد قد فارقني      ومن الأزرار رزء ذو حليل

مقر من على أعدائه      وطى الأديب هلوا كالمنسل

في قروم سادة من قومه      البيت . . . . .

وقال صلى الله عليه وسلم - " لو تلاعنوا لصاروا قردة وخنازير " (١)  
وفى رواية " لو تلاعنوا لم يبق في الدنيا نصراني ولا نصرانية الى يوم  
القيامة " (٢)

قوله تعالى ( ان هذا ليهو القصص الحق ) أى النبأ الحقيق .  
( وما من اله الا الله ) من صلة وتقديره وما اله الا الله (٣) وان الله  
لهو المنزى الحكيم (٤) فان تولوا ( أى عرضوا ) فان الله طيبهم  
بالفسدين (٥) أى من يفسد ضمهم . (٦)

( ١ ) هذا ليهو من قول النبي صلى الله عليه وسلم .

المحدث أخرجه الحاكم فى المستدرک ( ٥٩٤-٥٩٤ ) وإنما فى المستدر  
الرنثور ( ٢٣٣/١ ) وتفسير الطبرى عن عليا بن أحمد النشكرى قال :  
" لما نزلت هذه الآية " قل تمالوا ندع أبنائنا وأبنائكم . . . الآية  
ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على وفاطمة وأبنائها الحسن  
والحسين ودعا اليهود لمبلاضهم فقال شاب من اليهود ويحكم الممس  
عهدكم بالأمر اخوانكم الذين مسحوا قردة وخنازير ؟ لا تلاعنوا . فانتبهوا .

( ٢ ) لم أجده هذه الرواية بهذا اللفظ لكن وردت روايات بهذا المعنى ومنها  
وذكره السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٣٢/١ ) قال أخرجه عبد الله بن حميد  
وابن جرير وأبو نعيم فى الدلائل عن قتادة فمن حاجك فيه " فى عيسى  
فقل تمالوا .

( ٣ ) قال الزجاج : دخلت " من " ما هنا لتوكيداء . ودليل على نفي جميع ما ادعى  
المشركون من الالهة .

انتظار زاد المسير ( ٤٠٠/١ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ٦٢ .

( ٥ ) آل عمران آية ٦٣ .

( ٦ ) ما بين القوسين ساقط من أ .

قوله تعالى ( قل يا أهل الكتاب ) الخطاب مع اليهود والنصارى  
( تعالىوا الذكوة ) العرب تسمى كل قصة لها شرح كلمة ، ومنه سميت  
القصيدة كلمة ( ١ ) سواً بيننا وبينكم ) أى عدل ومنه قول زهير بن أبى سلمى . ( ٢ )  
أرونى غبطة لا غم فيها      تستوى بيننا فيها السوا  
فإن تراءى السوا فليس بينى      وبينكم بنى عمرو لقسا ( ٣ )  
وأراد بالسوا الخذل .

---

( ١ ) تقول العرب قال زهير فى كلمته يراد فى قصيدته . قالت الخنساء :  
وقافية مثل حدّ السينا      ن تبقى ويذهب من قالهيا  
تقد الذوابة من يذبل      أثبت أن تزايل أوعالميا  
نطقت ابن عمرو فسهلتها      ولم ينطق الناس أمثالها  
فأوقمت القافية على القصيدة كلها ، والغالب على القافية أن تكون فى  
آخر كلمة من البيت ، وإنما سميت قافية لأن الكلمة تتبع البيت وتقع آخره  
فسميت قافية من قول العرب قفوت فلانا إذا اهتمت .  
انظر زاد المسير ( ١ / ٤٠١ ) .

( ٢ ) زهير بن أبى سلمى بن وهبة بن رباح بن مرة بن الحارث المزني  
المضرى . شاعر جاهلى .  
ولد فى بلاد مزينة . ويعرف بحكيم الشعراء . وكان يقيم فى الحجاز  
من ديار نجد .

توفى سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة ٦٠٩ م .

الاعلام ٣ / ٨٧ ، طبقات الشعراء للجمعى ( ١ / ٦٦-٦٣ ) .

( ٣ ) البيت فى ديوانه صفحة ( ١٥ ) ، وفيه :

أرونى سنة لا عيب فيها      يستوى بيننا فيها السوا  
فإن تدعوا السوا فليس بينى      وبينكم بنى حصن لقسا



( أن لا نعبد الا الله ) سبب هذا ان اليهود قالوا لا يريد محمد  
خا الا أن نعبده وكذلك قالت النصارى فنزلت الآية <sup>(١)</sup> " قل يا أهل الكتاب  
تعالوا الى كلمة سواء " أى أمر سواء " بيننا وبينكم " معناه تعالوا الى أمر  
تستوى فيه وهو " أن لا نعبد الا الله " لنطق جميعا على عبادته .  
( ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ) .

قال مكرمة أن لا يسجد بعضنا لبعضى فان من سجد لغيره فقد اتخذه

ربا . .

وقيل <sup>(٢)</sup> : هو طاعة الخلق من معصية الخالق <sup>(٣)</sup> . ( فان تولوا ) أى  
فان أعرضوا ( فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون ) <sup>(٤)</sup> أى بهذه الكلمة وهذا  
الأمر <sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) تفسير الظهيرى ( ٤٨٣/٦ - ٤٨٤ ) .

( ٢ ) ذكر ابن جرير . الركت والميمون ( ٣٢٧/١ ) .

( ٣ ) يقول ولا يدين بعضنا لبعضى بالطاعة فيما أمر به من محاصو اللسه  
ويمظمه بالسجود كما يسجد لربه .  
انظر جامع البيان ( ٤٨٣/٦ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ٦٤ .

( ٤ ) امر بالاطلام بمخالفتهم ومواجهتهم بذلك ، واشهادهم : فيه  
مضى التوبيخ والتهديد ، أى سترون أيها العقولون عاقبة توليكس  
كيف تكون .

انظر المحرر ( ٤٥٥/٢ ) .

قوله تعالى ( يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم ) سبب نزول الآية أن اليهود والنصارى اختلفوا لدى النبي - صلى الله عليه وسلم - في إبراهيم فقالت اليهود : هو منا ، وقالت النصارى : لا بل منا فنزل قوله : " لم تحاجون " لم تجادلون في إبراهيم .<sup>(١)</sup>

( وما أنزلت التوراة والأنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون )<sup>(٢)</sup> معناه أن اليهودية محرفة من التوراة ، والنصرانية محرفة من الانجيل والتوراة والانجيل أنزلتا بعد إبراهيم فكيف تدعون أنه على اليهودية أو على النصرانية ؟

وأما التوراة والانجيل فقد ذكرنا اشتقاقهما<sup>(٣)</sup> ، وقيل ليس لهما اشتقاق وهما اسمان بالعبرانية .

قوله تعالى ( ها أنتم هؤلاء ) ها للتبنيه ومعناه يا هؤلاء \* أنتم ( ها جئتكم ) جادلتم ( فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ) أي جادلتم في أمر موسى وعيسى وادعيتهم أنا على دين موسى وعيسى وقد أنزلت أمره عليكم فلم تجادلون في أمر إبراهيم ولم أنزله عليكم ولا علم لكم به ( والله يعلم وأنتم لا تعلمون )<sup>(٤)</sup> .

(١) الأثر سيرة ابن هشام (٢/٢٠١، ٢٠٢) وفي الدر المنثور للسيوطي روى اسحاق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال : اجتمعت نصارى نجران ، وأخبار يهود عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فتنازروا عنده فقالت : الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً فانزل الله " يا أهل الكتاب لم تحاجون " الآية وقال أخرجه البيهقي في الدلائل .

انظر لسبب النقول في أسباب النزول صفحة (٥٣) .

(٢) آل عمران آية ٦٥ .

(٣) انظر صفحة وقد أشونا إلى الراجع في ذلك .

(٤) آل عمران آية ٦٦ .

قوله تعالى ( ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ) أخبر الله تعالى أنه ليس على ما ادعوا من اليهودية والنصرانية ( ولكن كان حنيفا مسلما ) والحنيف هو المائل الى الدين المستقيم عليه ، وهذه الأحنف هو المائل القدم .

وقال مجاهد الحنيف المتبع .

وقال الضحاك الحنيف الحاج<sup>(١)</sup> . فان قال قائل لم قال حنيفا مسلما ، والمسلم هو الذى يكون على جميع ما أتى به محمد رسول الله و ابراهيم لم يكن على جملة شريعته ؟ .

قيل : قد كان على بعض شريعته فيكون بذلك مسلما كمن مات من هذه الأمة في بدو الأمر كان مسلما ببعض شريعته فانها انما تمت واستقرت في آخر الأمر ، ويحتمل أن يكون قوله مسلما بمعنى الانقياد من قوله " أسلم " قال " أسلمت لرب العالمين<sup>(٢)</sup> " فلذلك قال حنيفا مسلما ، وما كان من الشركين<sup>(٣)</sup> .

---

(١) قلت والحنيف هو المائل عن الأديان الباطلة الى الحق .

انظر الجامع لاحكام القرآن (٢/٣١٩) .

(٢) آل عمران آية ٦٢ .

(٣) البقرة آية ١٣١ .

قوله تعالى : ( ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ) من اتبعه  
 في زمانه ( وهذا النبي ) يعنى محمد - صلى الله عليه وسلم - ( ٢ )  
 أيضا ) يعنى من هذه الأمة ( والله ولي المؤمنين ) ( ٣ )

قوله تعالى ( ودت طائفة من اهل الكتاب ) أى عننت طائفة  
 من اهل الكتاب ( لو يضلونكم ) لو يردونكم الى الضلالة وما هم عليه من  
 اليهودية والنصرانية ( وما يضلون الا انفسهم وما يشمرون ) ( ٤ )

قوله تعالى ( يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون ) ( ٥ )

فيه قولان :-

أحدهما معناه لم تكفرون ببعث محمد وصفته وانتم تشهدونه في التوراة  
 والانجيل .

والثاني معناه لم تكفرون بما يأتى محمد من الدلالات والمعجزات وانتم  
 تكفرون . بمثلها ما أتى به موسى وعيسى . ( ٦ )

( ١ ) قال ابن جرير " يعنى الذين سلكوا طريقه ومنهاجه ، فوجدوا الله  
 مخلصين له الدين وسنوا سنته ، وشرعوا شرائعه وكانوا لله حنفاً  
 مسلمين غير مشركين به " .

انوار جامع البيان ( ٤٩٧ / ٦ ) .

( ٢ ) الجطة الكريمة من عطف الخائن على السمام للاهتمام به ، وللأشعار  
 بأنه - صلى الله عليه وسلم - قد طفق الهداية من السماء كما طفاها  
 ابراهيم عليه السلام .

( ٣ ) آل عمران آيه ٦٨ .

( ٤ ) آل عمران آيه ٦٩ .

( ٥ ) آل عمران آيه ٧٠ .

( ٦ ) قال صاحب المحرر " والتأويل الأول أقوى لأنه روى أن اهل الكتاب  
 كانوا قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم يخبرون بصفة النبي الخناس  
 وحاله فلما ظهر كفروا به حسداً ، فأخبارهم المتقدم بظهوره هو الشهادة  
 التي وقفوا عليها " .

انوار المحرر الوجيز ( ٤٦٢ / ٢ ) .

قوله تعالى ( يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتُمون الحق وأنتم تعلمون )<sup>(١)</sup> معناه لم تخلصون إلايمان بحيسى وهو الحق بالكفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وهو الباطل .

وقيل معناه لم تخلصون الحق من نعت محمد بالتفسير الباطل<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون )<sup>(٣)</sup> أما وجه النهار أوله<sup>(٤)</sup> ونسبه قول الشاعر<sup>(٥)</sup> :-

(١) آل عمران آية ٧١ .

(٢) قال ابن جرير ( وكان يخلطهم الحق بالباطل ، اظهراهم بالسنتهم من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله غير السدى فى قلوبهم من اليهودية والنصرانية ) .

وروى فى ذلك أثرا عن ابن عباس فى سبب نزول هذه الآية قال : قال " فهد الله بن الصيف وعدى بن زيد ، والعمارة بن عوف بعضهم لبعض فقالوا " توأمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة وتكفر به عشية حتى تلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما تصنع فيرجعوا " من دينهم فأنزل الله عز وجل فيهم " يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل " الى قوله " والله واسع عليم " .

انظر جامع البيان

(٣) آل عمران آية ٧٢ .

(٤) من أوله وجهها له لأنه أحسنه وأول ما يواجهه الناظر فيراه منه كما يقال لأول الثوب وجهه .

(٥) الربيع بن زياد بن عبد الله بن شعبة بن ناشب الحيسى ، وأحد دهاة العرب وشجعانهم ورواياتهم فى الجاهلية . اتصل بالنعمان بن المنذر ونادى به مدة .

من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتا بوجه نهسار<sup>(١)</sup>

أى أول النهار وهذا فى اليهود قالوا : نو من بمحمد فنى أول  
النهار ثم تكلم به فى آخر النهار حتى نهبت الناس ويقولوا قد ظهر منه  
شئ حتى كسروا به<sup>(٢)</sup> .

وقيل انهم قالوا نصدقه فى البهش ونكذبه فى البهش حتى يقسول  
الناس صدقوه فيما كان صادقا وكذبوه فيما كان كاذبا فيسترقبون بحاله  
"لملمهم برجصون" أى من تبعه فى دينه ، ويكون وجه النهار وآخره بمصنى  
البهش على القول الثانى<sup>(٣)</sup> .

(١) البيت فى شرح الحماسة (٢٦/٣) وفى سباج القرآن (١٧/١) ، والأغانى  
(٢٧/١٦) واللسان (٤٥٤/١٧) وغرائب القرآن وغرائب الفرقان  
(٢٢١/٣) من أبيات قالها حين قتل حميمه مالك بن زهير ومحمى  
لقظه واستمد لطلب ثأره ويبدأ البيت .

يجد النساء حواصرا - يندبنه بيكين قبل تليح الأسيهار  
قد كنا يشبان الوجوه تستترا فالنيوم سرزن للنظسار  
بخمشن حرات الوجوه طوامدن سهل الخليفة طيب الأخبسار  
(٢) هذا قول الحسن وقتادة والسدى .  
انظر تفسير الطبرى (٥٠٦/٦) وزاد المسير (٤٠٥/١) .

(٣) هذا السبب الأخير فى نزول الآية والذي ذكره الامام السمعانى لم  
أجده فى كتب التفسير ولا فى كتب أسباب النزول .

هذا وقد أجمعت هذه الكتب على روايتين فى الآية الأولى وهى  
التي طيها الجمهور أنه قد تواطأ اثنا عشر خبرا من يهود خيبر  
وقرى عربنه . وقال بعضهم لمضى ان خلوا فى دين محمد - صلى الله عليه  
وسلم - أول الشبار باللسان ، وكفروا آخره . وقولوا انا نظرنا فى

٠٠/٠٠٠

كتبتنا وشأيرنا طمأننا ، فوجدنا محمد ليس بذلك ، فهشك أصحابه فوس  
دينهم ويقولون هم أهل الكتاب وهم أعلم منا ، فيرجعون الي دينكم .

الثانية وهي قول مجاهد ومقاتل والكشي . أن هذا في شأن  
القبلة لما صرفت الي الكعبة فقد شق ذلك على اليهود . فقالوا نؤمن  
بالذي أنزل على محمد من أمر الكعبة ونصلي اليها أول النهار ويكسر  
بها آخره .

لعلهم يقولون هو "أهل الكتاب وهم أعلم فيرجعون الي دينكم"  
فنزلت الآية قلت فيكون "وجه النهار" أولى على الروايتين ، ولا مكان  
لما ذكره السمعاني من القول الثاني .  
انظر تفسير الطبري ( ٥٠٦/٦ - ٥١٠ ) وانظر زاد المسير ( ٤٠٥/١ ) ،  
انظر تفسير البضوي بحاشية الخازن ( ٣٦٦/١ ) ، والدر المنثور ( ٤٣/٢ )  
وأسباب النزول للواحدي ( ١٠٤-١٠٥ ) .

قوله تعالى ( ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ) أى لا تصدقوا إلا من تبع دينكم واللام فيه زائدة<sup>(١)</sup> كما قال : " قل عسى أن يكون ردف لكم<sup>(٢)</sup> أى ردفكم ، وهذا فى اليهود أيضا قالوا : لا تصدقوا إلا من وافقكم فى طاعتكم .

ثم ابتدأ الله تعالى فقال ( قل إن الهدى هدى الله ) أى إن البيان بيان الله .

( أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ) أى لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بقوله للمسلمين ( أو يحاجوكم عند ربكم ) أى ولا يحاجوكم عند ربكم فان الحجاة لكم عليهم وليست لهم طيكم عند الله .

وقال محمد بن يزيد المبرد : فى الآية تقديم وتأخير ( وتقديره ) " ولا تؤمنوا " أى لا تصدقوا " أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدلالات والآيات من العن والسلوى ونحوه " إلا لمن تبع دينكم " إلا لمن وافقكم فى اليهوديه " أو يحاجوكم عند ربكم " أى أن صدقتوهم يحاجوكم يوم القيامة عند ربكم فيقولون نحن مثلكم أو غير منكم فلا تصدقوهم حتى لا يحاجوكم عند ربكم .

( ١ ) قوله " ولا تصدقوا " اشأ رقالى أحد وجهين فى تقديم الآية وبهنى

طيه قوله الام زائدة .

والوجه الثانى " لا تؤمنوا " لا تقروا وينبنى على هذا الوجه أن الام غير

زائدة .

( ٢ ) النمل آية ٧٢ .



الى هاهنا كلام اليهود ، ثم ابتدأ الله تعالى (١) فقال " قل ان  
الهدى هدى الله " .

وقيل معناه : لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم " أى ولا تصدقوا ان  
النبوّة فى غير بنى اسحاق وأنها فى بنى اسماعيل .

( ١ ) فسر بعض المفسرين قوله تعالى " ولا تؤمنوا " بمعنى ولا تقروا أو لا تعترفوا  
فتكون اللام فى قوله " الا لمن تبع دينكم أصليه " .

وعليه يكون المعنى : أن بعض اليهود قد قالوا لبعض وأظهروا  
اسلامكم أول النهار واكفروا آخره ، ولعل هذا العمل منكم يجعل بعض  
المسلمين على أن يتركوا دينهم ، ويعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر .  
والم يكفوا بهذا القول بل قالوا أيضا على سبيل المكر والخديعة ،  
ولا تقروا ولا تعترفوا بأن أحدا من المسلمين أو من غيرهم يؤتى مثل  
ما أوتيتم من الكتاب والنبوّة والفضائل ، أو بأن أحدا فى قدرته أن  
يهاججكم أى يبادلكم الحجة عند ربكم يوم القيامة ، ولا تقروا ولا تعترفوا  
بشيء من ذلك " الا لمن تبع دينكم " أى الا لمن كان على ملتكم  
اليهودية دون غيرها .

فالمستثنى منه على هذا التفسير محذوف ، والتقدير : ولا تؤمنوا  
أى تقروا وتعترفوا لأحد من الناس بأن أحدا يؤتى مثل ما أوتيتهم  
أو بأن أحدا يهاججكم عند ربكم الا لمن تبع دينكم ، لأن اقترابكم بذلك  
أمام المسلمين أو غيرهم من هو على غير ملتكم سيؤدى الى ضمفكنم  
والى قوة المسلمين .

فهم على هذا الوجه من التفسير يحملون ويعتقدون بأن المؤمنين  
قد أوتوا مثلهم من الدين والفضائل ، ولكنهم لشدة حسد هم وبغضهم

••/••

للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولأصحابه قد تواصلوا فيما بينهم بأن يكتبوا هذا العلم وتلك المصروفة ، ولا يظهروا ذلك الا فيما بينهم .

وهناك وجه آخر يرى أصحابا به أن قوله تعالى " ولا تؤمنوا " بمعنى ولا تصدقوا أو ولا تمتدوا ، فتكون اللام في قوله " لمن تبع دينكم " زائفة للتقوية .

فيصير المعنى على هذا الوجه : أن بعض اليهود قد قالوا لبعضهم أظهروا الاسلام أول النهار وأكفروا آخره لعل عطفكم هذا يجعل بعض المسلمين يترك دينه ويعود الى الكفر الذي كان عليه ، ولا تصدقوا أن أحدا من البشر يوتى مثل ما أوتيتم يا بني اسرائيل من الكتاب والنبوة ، أو أن أحدا في قدرته أن يحاجكم عند ربكم فأنتم الأطون في الدنيا والآخرة ، وأنتم الذين لا تخرج النبوة من بينكم الى الصرب ، وما دام الأمر كذلك فلا تتحموا الا نبيا منكم يقرر شرائع التوراة ، أما من حاد بتفسيره من أحكامها أو كان من غير بني اسرائيل كمحمد - صلى الله عليه وسلم - فلا تصدقوه .

فالمستثنى منه على هذا الوجه هو قوله " أحد " المذكور في الآية والمستثنى هو قوله " الا لمن تبع دينكم " .

والتقدير : ولا تصدقوا أن أحدا يمكن أن يوتى مثل ما أوتيتم أو يمكنه أن يحاجكم عند ربكم " الا لمن تبع دينكم " أي الا من كان على ملتكم اليهودية أما أن يكون من غيركم كهذا النبي المرسل فلا يمكن أن يوتى مثل ما أوتيتم من الكتاب والنبوة ، لأنها - في زعمهم - حكر على بني اسرائيل .

فهم على هذا الوجه من التفسير يزعمون أنهم غير صدقون ولا ممتثلين بأن المسلمين قد أوتوا كتابها ودينها وفوائدها مثل ما أوتوا هم أي اليهود وسرون أنهم - لضرورتهم وانطوائهم بصيرتهم - أنهم أهدي سبيلا من كل من سواهم من البشر .

••/••

---

.. / ..

وعلى كل من الوجهين يكون قوله تعالى - أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم  
أو يحاجوكم عند ربكم - منقول به لتؤمنوا .

والتقدير : ولا تصدقوا أو لا تقروا لأحد بأن أحدا يوتى مثل ما أوتيتم  
أو بأن أحدا يحاجبكم عند ربكم .

وعلى كل من الوجهين - أيضا - يكون قوله تعالى - : " ولا تؤمنوا الا لمن  
تبع دينكم " وقوله " أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم " حكاية  
من الله - تعالى - لما تولى به بعض اليهود فيما بينهم من أقوال خبيثة وأفكار  
ماكرة .

ويكون قوله تعالى " قل ان الهدى هدى الله " كلاما مستقرا بين أقوالهم  
ساقه الله تعالى - للمسارة بالرد على أقوالهم الذميمة حتى يزداد المؤمنون  
إيمانا على إيمانهم ويزدادوا هم رجسا على رجسهم وينكشف ما احتجروه  
وما بينوه للمؤمنين من سوء وحقد .

هذا ، ويرى بعض المفسرين أن أقوال اليهود التي حكاها القرآن عنهم  
قد انتهت بنهاية قوله تعالى " ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم " وأما قوله تعالى  
" قل ان الهدى هدى الله أن يوتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم "  
فهو من كلام الله - تعالى - وقد ساقه - سبحانه - للرد عليهم .

قالوا : ويؤيد هذا الوجه من التفسير للآية قراءة ابن كثير " أن يوتى  
أحد مثل ما أوتيتم . . . " بهجرتين أولا هما للاستفهام الذي قصد به التصريح  
والانكار والثانية هي همزة أن المصدرية .

انظر : تفسير الطبري ( ٥١١ / ٦ - ٥١٥ ) ، وانظر التفسير الكمسيير  
( ١٠٢ / ٨ ) ، وانظر الكشاف ( ٣٧٣ / ١ ) .

( ١ ) قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم .

( يشاء برحمته من يشاء ) .

قال ابن عباس : هو الدين .

وقال مجاهد : هو النبوة .

وقال ابن جرير : هو القرآن والاسلام . ( ٢ ) ( ٣ )

( والله ذو الفضل

( ٤ )  
العظيم ) .

قوله تعالى ( ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقطار يومه اليك )

قد ذكرنا الأقوال في القطار . ( ٥ )

---

( ١ ) آل عمران آية ٧٣ .

( ٢ ) عبد الطك بن عبد المزيز بن جريح الأيموي مولا هم . أبو خالد المكي .

أحد الاعلام الثقات . يدلس وهو في نفسه مجمع على ثقته .

ولد سنة ٨٦ هـ وتوفي ببغداد سنة ١٥٠ وقيل ١٥١ .

تهذيب التهذيب ( ٦ / ٤٠٢ - ٤٠٦ ) ، ميزان الاعتدال ( ٢ / ٦٥٩ ) .

( ٣ ) قال ابن جرير : " وأما رحمته في هذا الموضع فالاسلام والقرآن مع النبوه " .

انظر تفسير الطبري ( ٦ / ٥١٧ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ٧٤ .

( ٥ ) انظر تفسير السمعاني عند قوله تعالى من سورة آل عمران " زين

للناس حب الشهوات من النساء والقناطير المقطورة من الذهب

والفضه " الآية .

آية ١٤ .

وقال عطاء بن أبو رباح : هو سبعة آلاف دينار .  
وهذا هو عبدالله بن سلام<sup>(١)</sup> أودعه رجل ألفا وما تبقى أوقيه من ذهب  
فأدى الأمانة فيه .

ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يوده اليك ( .  
هذا هو فخص بن عازوراء اليهودي أودعه رجل ديناراً فخصك  
فيه .<sup>(٢)</sup>

( إلا ما دمت عليه قائماً ) أي لا يوده اليك إلا ما دمت طسي  
رأسه قائماً تلالبه .

---

( ١ ) عبدالله بن سلام : - بتخفيف - بن الحارث . أبو يوسف . من  
درية يوسف النبي - طيه الصلاة والسلام - حليف القوافل من الخسزج  
الأسرائيلسي ثم الأنصاري .  
كان حليفا لهم .  
قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي - صلى الله عليه وسلم - عبدالله -  
أسلم أول ما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة .  
مات سنة ثلاث وأربعين .  
الاصابة ( ١١٨/٤ - ١٢٠ ) أسد الغابة ( ٢٦٤/٣ - ٢٦٥ ) .

( ٢ ) يروي عن عبدالله بن عباس زاد المسير ( ٤٠٨/١ ) التفسير  
الكبير ( ١٠٧/٨ ) وتفسير القرطبي ( ١١٥/٤ ) وتفسير البهقي  
• ( ٣٦٨/١ )

وقيل أراد بالقيام الاحاح والمطالبة<sup>(١)</sup> .

( ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ) .

قالت : اليهود ليس علينا في أخذ أموال العرب حرج ، كأنهم استحلوا  
أموال الأميين وهم العرب محمد وأصحاب . ( ويقولون طوى الله الكسب  
وهم يحملون )<sup>(٢)</sup> .

( بلر ) يعني بلو عليهم سبيل ، ذكره جوابا لقولهم . قالت النخعيه  
وهو وقف تام ثم ابتدأ فقال ( من أوفى بمعهده واتقى ) .

قال ابن عباس واتقى الشرك<sup>(٤)</sup> ( فان الله يحب المتقين )<sup>(٥)</sup> أى

الموحدين .

( ١ ) قال ابن جرير " وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال " معنى ذلك  
الا ما دمت عليه قائما بالمطالبة والاقتضا ، من قولهم قام فلان بحق طوى  
فلان حتى استخرجه لى ، أى عمل فى تخليصه ، وسمى فى استخراجه  
منه حتى استخرجه . لأن الله عز وجل انما وصفهم باستحلالهم أموال  
الأميين وأن منهم من لا يقضى ما عليه الا بالاقتضا الشديد والمطالبة  
وليس القيام طوى رأس الذى عليه الدين بموجب له النكح مما هو عليه من  
استحلال ما هو له مستحل . . . . "

تفسير الطبرى ( ٦ / ٩٢١ ) .

( ٢ ) آل عمران آيه ٧٥ .

( ٣ ) قال الزجاج : وهو عندى وقف التمام ثم استأنف فقال " من أوفى بمعهده " .  
زاد المسير ( ١ / ٤١٠ ) .

( ٤ ) قلت : الأولى أن يكون الاتقاء من الشرك ومن غيره من المعاصى التى  
نهى الله عنها وطوى رأسها الخيانة .

( ٥ ) آل عمران آيه ٧٦ .

قوله تعالى ( أن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا )  
 روى أبو وائل وهو شقيق بن سلمة عن ابن مسعود عن رسول الله - صلى  
 الله عليه وسلم - أنه قال " من ملغطى عين كاذبه ليقطع بها مال أميري  
 مسلم لقي الله وهو عليه غضبان وتلا هذه الآية .

قال : وكان الأشعث بن قيس<sup>(١)</sup> حاضرا فقال : فو نزلت الآية  
 وذكر قصته وهذا حديث في الصحيحين<sup>(٢)</sup> ورواه مسلم في صحيحه برواية  
 أخرى وزاد فيه أنه قيل : يا رسول الله وإن كان في شئ يسير ،  
 قال وإن كان في قضيب من أراك<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) الأشعث بن قيس بن معدى كرب الكندي أبو محمد . الصحابي .  
 نزل الكوفة .

- قال ابن سعد : وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم - بسبعين رجلا  
 من كنده وكان اسمه معد يركب ولقب الأشعث لشعث رأسه .  
 مات بالكوفة حين صالح الحسن معاوية فطلق عليه .  
 توفي سنة أربعين وهو ابن ثلاث وسبعين .  
 تهذيب التهذيب ( ٣٥٩ / ١ ) .
- ( ٢ ) انظر أسباب النزول للواحدى صفحة ( ١٠٤ / ١٠٥ ) .
- ( ٣ ) أخرجه الامام مسلم في صحيحه من كتاب الايمان ، باب وعيد من اقتطع  
 حق مسلم يمين فاجره بالنار ( ٨٥ / ١ ) .  
 انظر صحيح الامام البخارى من كتاب التوحيد ، باب وجوه يومئذ  
 ناظره الى ربها ناظره .  
 ورواه أيضا في مواضع أخرى فتح الباري ( ٤٢٣ / ١٣ ) .  
 صحيح الامام البخارى من كتاب التفسير ، باب " أن الذين يشرون "
- ( ٤ ) انظر صحيح الامام مسلم من كتاب الايمان ، باب وعيد من اقتطع  
 حق مسلم يمين فاجره بالنار ( ٨٥ / ١ ) .

وروى مسلم أيضا في كتابه برواية ثالثة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -  
أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم المنان  
بما أعطى والمسبل أزاره والمنفق سلحت باليمين الكاذبه (١).

فقوله " ان الذين يشترون بصهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا " أى شيئا قليلا  
من حطام الدنيا ( أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ) أى لا حظ لهم  
فيها ( ولا يكلمهم الله ) أى ولا يكلمهم كما يكلم المؤمنين وقد صح أنه جل  
جلاله يكلم المؤمنين يوم القيامة من غير ترجمان (٢).

وقيل هو بمعنى الغضب كما يقال أنا لا أكلم فلانا اذا كان غضبانا  
عليه (٣).

( ولا ينظر إليهم يوم القيامة ) بمعنى لا ينظر إليهم بالرحمة ( ولا يزكهم )  
لا يثنى عليهم بالجمل ولا يظهرهم من الذنوب ( ولهم عذاب أليم ) (٤).

---

( ١ ) انظر صحيح الامام مسلم من كتاب الايمان ، باب غلظ تحريم اسبال الازار  
والدين بالمطية وتسفيق السلمة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم  
الله يوم القيامة ( ٧١ / ١ ) .

( ٢ ) انظر صحيح الامام البخارى من كتاب التوحيد ، باب كلام الرب عز وجل  
مع أهل الجنة ٢٦٨ / ٩ - ٢٦٩ ) ومن كتاب الرقاق ، باب صفة  
الجنة والنار ( ٢٠٥ / ٨ ) .  
وانظر صحيح الامام مسلم من كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،  
باب اجلال الرضوان على أهل الجنة ولا يسخط عليهم أبدا ( ٢١٧٦٤ )

( ٣ ) رواه صاحب زاد المسير من الترجاج ( ٤١١ / ١ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ٧٧ .



قوله تعالى ( وأن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب ) أى يخسرون  
ويحرفون الكتاب بألسنتهم ، وقيل : يمدلون بألسنتهم عن الكتيب<sup>(١)</sup>  
( لتحسبوه ) لتظنوه من الكتاب ( وما هو من الكتاب ) ويقولون هو من  
عند الله وما هو من عند الله ويقولون طى الله الكذب وهم يعلمون<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوءه )  
سبب نزول الآية أن اليهود والنصارى اجتمعوا عند النبي - صلى الله عليه  
وسلم - واختلفوا في إبراهيم فقالت كل فرقة هو منا فقال صلى الله عليه  
وسلم كذبتم فخصبوا وقالوا يا محمد لا تريد منا إلا أن نتخذك ربا فنزلت الآية<sup>(٣)</sup>  
" ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب بمعنى القرآن " والحكم " والاحكام والحكمة  
السنة " والنبوءه " المنزله الرفيعه بالأنبياء " .

( ١ ) أصل " اللوى " الغفل والقلب . من قول القائل " لوى فلان يد فلان اذا  
فطمها وقلبها ومنه قول فرعان من الأعراف السعدى التميمى :-  
تخون مالى ظالما ولوى بسدى لوى يده الله الذى هو ظالمه  
يقال منه " لوى يده ولسانه يلوى ليمًا " وما لوى ظهر فلان أحد " اذا  
لم يصره أحد ، ولم يقتل ظهره انسان ، وانه لو لوى بعبد المستر اذا  
كان شديد الخصومه صابرا عليها ، لا يخلب فيها ، قال مجنون بسن  
عامر :

فلو كان فى ليلى شدا من خصومة للويت أفتاق الخصوم الملاويسا  
انار جامع البيان ( ٦ / ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ٧٨ .

( ٣ ) قال ابن عباس فى رواية الكلبى ومطرا : ان أبا رافع اليهودى والرئيس  
من نصارى نجران ، قالا يا محمد أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا ؟ فقال  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : معاذ الله أن يعبد غير الله  
أو تأمر بحياة غير الله ، بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى ، فأنزل الله  
تعالى هذه الآية .

انار أسباب النزول لداوقدى صفحه ( ١٠٨ ) و زاد المسير ( ١ / ٤١٣ ) .

( ثم يقول للناس كونوا عباد لى من دون الله ) أى عبدا لى من دون

الله .

وقيل : أراد بالبشر عيسى صلوات الله عليه لأنهم كانوا يدعون  
أن عيسى أمرهم أن يعبدوه ويتخذوه ربا فقال " ما كان ليشر " يعنى  
عيسى " أن يوتيه الله الكتاب " يعنى الانجيل " والحكم والنبوه " ثم  
يقول للناس كونوا عباد لى من دون الله<sup>(١)</sup> ( ولكن كونوا ربانيين بما كنتم  
تعلمون الكتاب ) .

قال سعيد بن جبى الربانى : الفقيه المالم الذى يحمل بملحه .

وقال : الضحاك الربانى المالم الحكم .

وفى الخبر كونوا طبا<sup>(٢)</sup> علما<sup>(٢)</sup> والربانى من طريق المعنى هو أن يكون  
طى دين الرب وعلو طريق الرب ، وقيل<sup>(٣)</sup> هو من التربة ، فالربانى هو الذى  
ربى بصفاء العلم حتى بلغ كباره .

وروى أن ابن عباس لما توفى قام محمد بن الحنفية<sup>(٤)</sup> طى قبره وقال يا مومن

ما ربانى هذه الامه<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) هذا قول فو سبب نزول الآية للضحاك ومقاتل قالا ونزلت فى نصارى

نجران حين عبدوا عيسى .

انوار اسباب النزول للواحدى صفحه ( ١٠٨ ) وانظر زاد المسير ( ٤١٣ / ١ ) .

( ٢ ) هذا قول لابن عباس . أخرجه ابن جرير وابن حاتم من طريق مكرمه .

الدر المنثور ( ٤٧ / ٢ ) .

( ٣ ) النكت والصيون ( ١ / ٣٣٢ ) .

( ٤ ) محمد بن الحنفية . هو محمد بن طى بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، المعروف

بأبن الحنفية أمه المنفبه خوله . كان كثير العلم والورع شديد القوه .

وكانت ولايته لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضى الله عنه . وتوفى رحمه الله

فى أول المحرم سنة احدى وثمانين للهجرة وقيل غير ذلك ، وكانت وفاته

بالمدينة ودفن بالمقيع ، وقيل غير ذلك .

انظر وفيات الأيمان ( ٤ / ١٦٩ - ١٧٣ ) والمعارف ٢١٦ .

( ٥ ) فى رواية جبر هذه الامه .

وقال مجاهد : الرهانيون فوق الأخبار/العلماء ، والرهانيون الذين  
جمعوا مع العلم البصارة بسياسة الناس .<sup>(١)</sup>

( بما كنتم تعلمون الكتاب ) ، التشديد من تعليم القرآن وبالتخفيف<sup>(٢)</sup>  
من العلم .

( وما كنتم تدرسون )<sup>(٣)</sup> تقرؤون<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) قال ابن جرير ( الرهانيون " وهم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور  
الدين والدنيا ولذلك قال مجاهد : " وهم فوق الأخبار " لأن الأخبار  
هم العلماء " والرهاني " الجامع بين العلم والفقه المصير بالسياسة  
والتدبير والقيام بأمر الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم " .  
تفسير الطبري ( ٦ / ٥٤٠ ، ٥٤٤ ) .

( ٢ ) قرأ ابن عسرو الكوفيين بضم التاء وفتح العين وكسر اللام مشددة  
وقرأ الباقون بفتح التاء واللام واسكان العين مخففا .  
النشر ( ٢ / ٢٣٢ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ٧٩ .

( ٤ ) قال الفخر الرازي " دللت الآيه على أن العلم والتعليم والدراسة  
توجب كون الانسان رهانيا ، فمن اشتغل بذلك لا لهذا المقصد  
ضاع سمعه وخان عمله وكان مثله كمثل من غرس شجرة حسنة موقفة  
منظرها ولا منفعة بشرها ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " نعوذ  
بالله من ظملا ينفيع وطملا لا يفسد " .

انظر التفسير الكبير ج ص طهمة

قوله تعالى ( ولا يأمركم ) تارة بالرفع على الابتداء أى ولا يأمركم  
الله ويقرأ بنصب السراة على السمنق أى ولا يأمركم ذلك البشر (١) أن تتخذوا  
الملائكة والنبيين أرباباً (٢) فالنصارى هم الذين اتخذوا النبيين أرباباً ،  
والصائبون هم الذين اتخذوا الملائكة أرباباً . (٢)

( أيامركم بالكفر بمدان أنتم مسلمون ) (٣) أى لا يأمركم بالكفر بمد  
السلام . (٤)

قوله تعالى ( وإذا أخذ الله ميثاق النبيين ) قرأ ابن مسعود وإن أخذ  
الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب " لئلا أتيتكم من كتاب وحكمه " وهو أحد  
القولين فى معنى القراءة المعروفة .

قال ابن عباس : معنى الآية وإن أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب  
مع النبيين .

( ١ ) قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة وخلف يعقوب بنصب الواو ، وقرأ الهاقسون  
بالرفع .

انظر النشر فى القراءات العشر ( ٢ / ٢٣٢ ) .

( ٢ ) خصص الملائكة والنبيين بالذكر لأن عبادتهم قد شاعت عند كثير من  
الناس وقد وقع فى عبادة الملائكة " الصابئة " الذين كانوا يقيمون فى  
بلاد الكلدان ، وتبعهم بعض المشركين من العرب ، ووقع فى عبادة  
بعض النبيين كثير من النصارى فقد اتخذوا المسيح الهأ بعد وزعموه  
ابن الله ، وكثير من اليهود عبدوا هزبوا وزعموه ابن الله .

( ٣ ) آل عمران آية ٨٠ .

( ٤ ) الاستفهام فى الآية للانكار الذى بمعنى النفس .

قال ابن عباس لما استخرج الله الذريرة من صلب آدم كالذر والانبيا كانوا  
فيهم كالمصابيح والسرج أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا بمحمد  
- صلى الله عليه وسلم - وأن يصدقوه وينصروه أن أدركوه فهذا معنى  
قوله " واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمه " .  
وقرأ حمزه (١) لما أتيتكم مخففا بكسر اللام ، وقرأ غيره لما أتيتكم  
بفتح اللام مشددا ، والقراءة المعروفة بفتح اللام مخففا (٢) ومعناه للذي  
أتيتكم بمعنى الخبر .

وقيل معناه لئن أتيتكم بمعنى الشرط .

( ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به وتنتصرنه ) يعنى محمداً  
صلى الله عليه وسلم .

( وقال أقررتم ) أى أقرروا ( وأخذتم على ذلكم أصرى ) أى عهدى ،  
والأصر المهد الثقيل (٣) .

( قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين (٤) ) .

( ١ ) هو أبو عمار حمزه بن حبيب الزيات الكوفي مولى عكرمة بن ربيع التميمي .  
كان ورعاً عالماً بكتاب الله مجوداً له ، عارفاً بالفرائض والمهربية حافظاً  
للحديث .  
توفى بحلول سنة ( ١٥٦ ) .

( ٢ ) انظر الكشف عن وجوه القراءات المشروحة ( ١ / ٣٥١ ) .

( ٣ ) الأصر المهد . وأصله من الأصر - أى الحبال التى يعقد بها الشيء -  
ويشد ويسمى المهد أصر لأنه تقوى به الأقوال والمعقود .  
انظر تفسير الطبرى ( ٦ / ١٣٥ - ١٣٨ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ٨١ .

وقال الضحاك : إنما أخذ الميثاق على النبيين خاصة كما نطقت به الآية فأخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بالذي يأتي بعده من الأنبياء وينصره فأخذ الميثاق على موسى صلوات الله عليه وسلم - أن يؤمن بمسئس بميسى ، وعلسى عيسى أن يؤمن بمحمد ونحو ذلك ثم قال :

( ١ ) قلت : اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة على أقوال يمكن تلخيصها في قولين :-

القول الأول : أن المراد أن الله تعالى أخذ الميثاق من النبيين .  
القول الثاني : أن المراد أن الأنبياء الذين أخذوا الميثاق هم غيرهم .

ويرى فريق من أصحاب القول الأول - منهم الحسن والسدي وسعيد بن جبير أن الله تعالى - أخذ الميثاق من النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ، وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده من الأنبياء وينصره ان أدركه ، فان لم يدركه يأمر قومه بنصرته ان أدركوه . فأخذ الميثاق من موسى أن يؤمن بميسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد - صلوات الله وسلامه عليهم جميعا - واذا كان هذا حكم الأنبياء كانت الامم بذلك أخرى وأولى .

ويرى فريق آخر من أصحاب هذا القول منهم طي وابن عباس وقتادة : أن الله تعالى - أخذ الميثاق من النبيين أن يؤمنوا بمحمد - صلوات الله عليه وسلم - اذا أدركوه ، وأن يأمرؤا أقوامهم بالايمان به .

قالوا ويؤيد هذا ما أخرجه ابن جرير الطبري عن طي بن أبي طالب قال : لم يبعث الله نبيا : آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد في محمد - صلوات الله عليه وسلم - لئن بعث وهو هو ليؤمنن ولنصرته ، وبأسرته

.. / ..

فياخذ الحهد على قومه ، ثم تلا الآية .

فأصحاب هذا القول الأول متفقون فيما بينهم على أن الميثاق افنا أخذه الله من النبيين ، إلا أن بعضهم يرى أن هذا الميثاق أخذه الله منهم لكسب بصدق بعضهم بعضا . . . والبعض الآخر يرى أن هذا الميثاق أخذه الله منهم في شأن محمد - صلى الله عليه وسلم - خاصة .

قال ابن كثير : " وهذا لا يخاد ما قاله علي وابن عباس ولا ينفية " - يعني قول الحسن والسدي وسعيد بن جبير - ثم قال " وقد قال الامام أحمد : حدثنا . . . . . عن عبد الله بن ثابت قال جاء عمر الى النبي - صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، انى مررت بأخ لى من قريظة ، فكتب لى جوامع من التوراة ، ألا أمرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال عبد الله بن ثابت : قلت له ألا ترى ما يوجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقال عمر : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا ، وبمحمد رسولا - قال : فسرى عسن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : والذي نفسى محمد بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام ثم اتهمتموه وتركتمونى لضللتكم ، انكم حظى من الأمم ، وأنا حظكم من النبيين " .

ثم قال " وعن جابر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ، فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا ، وانكم اما أن تصدقوا بها طل وأما أن تكذبوا بحق وانه - والله - لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتهمنى .

وفى بعض الأحاديث ، لو كان موسى وعيسى حينئذ لما وسعهما إلا اتباعى فالرسول محمد خاتم الأنبيات - صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ، وهو الامام الأعظم الذى لو وجد فى أى عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدم على الأنبياء كلهم ، ولهذا كان امامهم ليلة الاسراء لما اجتمعوا بهيبت المقدس . . . . . ) تفسير ابن كثير ( ٥٦ / ٢ ) .

.. / ..

---

••/••

أما أصحاب الرأي الثانى الذين يرون أن المراد من الآية أن الأنبياء هم الذين أخذوا الميثاق من غيرهم ، فالمعنى عليه :

وان ذكر يا محمد أو أيهما المخاطب وقت أن أخذ الأنبياء العهد على أقوالهم بأنه اذا بحث محمد - صلى الله عليه وسلم - وأدركوه ، فعلمهم أن يؤمنوا به ويصدقوه وينصروه .

انظر تفسير الطبرى ( ٥٥٣/٦ - ٥٥٩ ) وزاد المسير ( ٤١٥/١ ) ، والكشاف ( ٣٧٩/١ ) وتفسير الأكوسى ( ٢٠٩/٣ ) .

والذى تسكن اليه فى معنى الآية هو الرأى الأول . وذلك لأن الآيات الكريمة مسوقة - كما يقول الفخر الرازى لتحديد تقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب كما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم - قطعاً لعذرهم ، وإظهاراً لعنادهم وبين جملة هذه الأشياء ما ذكره - سبحانه - فى هذه الآية . وهو أنه تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء بأنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه ، وأخبر أنهم قبلوا ذلك ، وحكم - سبحانه - بأنه من رجع من ذلك كان من الفاسقين . فحاصل الكلام أنه تعالى أوجب على جميع الأنبياء الايمان بكل رسول جاء مصدقاً لما معهم ، ولا شك أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - قد جاء مصدقاً لما معهم فوجب على الجميع أن يؤمنوا به . التفسير الكبير ٨/ ١٢٢ .

ولأن هذا المعنى هو الظاهر من الآية الكريمة ، ولا تحتاج الى تفسير مضاف أو غيره ، والأخذ بالمعنى الظاهر أولى من الأخذ بغيره .

ولأن أخذ العهد من الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - أعلى وأشرف بقدره - صلى الله عليه وسلم - من أخذه على أمتهم وأقوامهم .

ولأن أخذ العهد على الأنبياء أخذ له على الأمم ، ان كل أمة يجب أن تصدق بما جاءها به نبيها .



- ( ١ )  
• ( فمن تولوا بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون )  
• ( أفغير دين الله يبغون ) يطلبون .  
يقرأ بالياء والتاء . ( وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها )  
قال ابن عباس : لما خاطبهم بقوله " ألسنت بزيكم " أسلم الكل وقالوا  
بلى ولكن بعضهم قالوا بلى طوعا وبعضهم كرها لخوف السيوف  
( واليه ترجعون ) .

( ١ ) آل عمران آية ٨٢ .

( ٢ ) يقال بغى الأمر يبغيه بغيا - بضم الباء - أى طلبه ، والاستبهام فسى  
الآية للانكار والتوبيخ .

( ٣ ) قرأ البصريان وحقق " يبغون " بالياء " وقرأ الباقون " تبغون " بالياء .  
النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٣٣ ) .

( ٤ ) ساق الفخر الرازي جملة أراء في معنى الآية الكريمة ثم اختار أحدها  
فقال ما طعنه :-

في خضوع من في السموات والأرض لله وجوه :-  
أهمها عندي أن كل ما سوى الله سبحانه ممكن لذاته وكل ممكن لذاته  
فانه لا يوجد إلا بايجاد ، ولا يعدم الا باعدامه فان كل ما سوى الله فهو  
منقاد خاضع لجلال الله في طرفي وجوده وعدمه وهذا هو نهاية الخضوع  
والانقياد ثم ان في هذا الوجه لطيفة أخرى وهي أن قوله " وله أسلم " .  
يفيد المعصر ، أى وله كمل ما في السموات والأرض لا لغيره .

فهذه الآية الكريمة ضد أن واجب الوجود واحد وأن كل

ما سواه فانه لا يوجد بتكوينه ولا يفتنى الا بانفائه . . . . .  
التفسير الكبير ( ٨ / ١٣٠ ) .

( ٥ ) راجع زاد المسير ( ١ / ٤١٧ ) .

( ٦ ) آل عمران آية ٨٤ .

قوله تعالى ( قل آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ) لما ذكر الملك والأديان واضطراب الناس فيهما أمر رسوله أن يقول آمنّا بالله الآيه .

وقد ذكرنا معنى الأسباط وما قيل فيه <sup>(١)</sup> ( وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ) <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ) . وحق لمن يتبع غير دين الاسلام أن يصبح غداً من الخاسرين .

قوله تعالى : ( كيف يهدى الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات ) يعنى لا يهديهم الله وهو مثل قول عبد الله بن قيس الرقيبات

كيف نومى على الفســـــــــــــــــاش ولما يسل الشمام غارة شمواء  
أى لا نوم لى على الفرائض والآية نزلت فى الحارث بن أوس بن الصامت <sup>(٤)</sup>  
فانه ارتد عن الاسلام ولحق بكه وأقام مدة ثم أرسل إلى المسلمين

( ١ ) انذار تفسيره للأية ( ١٤٠ ) من سورة البقرة .

( ٢ ) آل عمران آيه ٨٤ .

( ٣ ) آل عمران آيه ٨٥ .

( ٤ ) فى تفسير الطبرى وابن كثير وزاد المسير وأسباب الخول للواحدى الحارث بن سويد الأنصارى .

فمن أن يرجع إلى الاسلام فنزلت الآية<sup>(١)</sup> كيف يهدى الله قوما كفروا بعد  
إيمانهم<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال :-

أحدهما : ما أخرجه النسائي عن ابن عباس قال : إن رجلا من الأنصار  
أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم قدم ، فأرسل إلى قومه أن سلوا  
لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هل لي من توبه ؟ فجاء  
قومه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا هل له من  
توبه ؟ فنزلت هذه الآيات ، فأرسل إليه قومه فأسلم .

الثاني : عن مجاهد قال : جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي - صلى  
الله عليه وسلم - ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه فأنزل الله هذه  
الآيات ، قال فجعلها إليه رجل من قومه فقرأها عليه ، فقال  
الحارث : انك والله ما طمت لصدوق ، وإن رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - لأصدق منك ، وإن الله - عز وجل - لأصدق الثلاثة  
قال فرجع الحارث فأسلم فحسن اسلامه .

الثالث : عن الحسن البصرى أنه قال : أنهم أخذ الكتاب من اليهود  
والنصارى ، رأوا نعمت النبي - صلى الله عليه وسلم - في كتابهم  
وأقروا به ، وشهدوا أنه حق فلما بحث من غيرهم حسدا والصرح  
على ذلك فأنكروه وكفروا بعد إقرارهم حسدا للصرح حين  
بحث من غيرهم .

تفسير ابن كثير ( ٥٩ / ٢ ) وزاد المسير ( ٤١٧ / ١ - ٤١٨ ) وتفسير الأمامي  
٥٧٢ / ٦ - ٥٧٥ .

ويبدو لنا أن أقرب هذه الروايات إلى سياق الآيات هي الرواية  
التي جاءت عن الحسن البصرى بأن المقصود بالآيات أهل الكتاب ، وذلك  
لأن الحديث معهم من أول السورة ، ولأن القرآن قد ذكر في غير موضع

قال الزجاج : يعنى أنهم يستحقون الضلالة ولا يستحقون الهداية  
" والله لا يهدى القوم الظالمين " (١)

( ٢ )  
( أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين )  
فان قال قائل لم قال " والناس أجمعين " فذلك يتناول نفسه أيضا ، فكيف  
يلعن طوى نفسه ؟ .

قيل : أراد في القيامة يلعن بعضهم بعضا ويلعنون أنفسهم .  
وقيل : أنهم يلعنون الظالمين والكافرين فذلك لعنهم طوى أنفسهم  
لأن من يلعن الظالمين والكافرين وهو ظالم وكافر فقد لعن نفسه . ( ٣ )

( ٤ )  
( خالد بن قيس فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ) ( الا الذين  
تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ) ( ٥ ) . يعنى ههنا

( ١ ) آل عمران آية ٨٦ .

( ٢ ) آل عمران آية ٨٧ .

( ٣ ) قال الفخر الرازى ما ملخصه : فان قيل لم عم جميع الناس مع أن من  
وافقهم في كفرهم لا يلعنهم ؟ قلنا فيه وجوه :  
منها أنهم في الآخرة يلعن بعضهم بعضا كما قال تعالى " كلما  
دخلت أمة لظننت أخذتها " .

فعلى هذا التقدير يكون اللعن قد حصل للكفار من الكفار .  
ومنها كان الناس هم المؤمنون ، والكفار ليسوا من الناس ، ثم لما ذكر  
لعن الثلاث قال " أجمعين " .  
ومنها وهو الأصح ضدى : أن جميع الخلق يلعنون المبطل والكافر ، ولكنه  
يعتقد في نفسه به ليس بمبطل ولا كافر ، فاذا لعن الكافر وكان هو في ظم  
الله كافر فقد لعن نفسه وان كان لا يعلم ذلك . التفسير الكبير ٨ / ١٣٧ .

( ٤ ) آل عمران آية ٨٨ .

( ٥ ) آل عمران آية ٨٩ .

الحارث بن أوس فإنه تاب وأسلم فقبلت توبته (١) .

قوله تعالى ( ان الذين كفروا بعمد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل

توبتهم ) .

هذا في قوم كانوا مع الحارث بن أوس وارتدوا فلما رجع هو الى الاسلام

أسكوا عن الاسلام أولئك القوم وقالوا : نترهب الدهر بمحمد فان ساعدته

الزمان ونفذ أمره نرجع الى دينه فنزلت الآية \* ان الذين كفروا بعمد ايمانهم (٢)

اي ارتدوا عن الاسلام بعمد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا \* بقولهم انا نترهب

بمحمد ريب المضمون لن تقبل توبتهم .

قال أبو المالبة (٣) : لأنهم لم يكونوا محققين للتوبة بل كانوا مترهصين

( وأولئك هم الضالون ) (٤) .

(١) في الآية اغراء للكافرين بأن يلقوا عن كفرهم وللمذنبين بسنان

يتوبوا الى رشدهم وبأن يتوبوا الى ربهم فإنه - سبحانه - يفر الذنوب

جميعا لمن يتوب ويحسن التوبة فهو القائل " قل يا عبادي الذين

أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يفر الذنوب جميعا

انه هو الغفور الرحيم " الزمر آية ٥٣ .

(٢) انار غشير ابن كثير (٥٩/٢) وزاد المسير (٤١٩/١) .

(٣) أبو المالبة : رفيع بالتصغير ابن مهران أبو المالبة الرياحي بكسر الراء

والتحتانية .

ثقة كثير الارسال اسلمسنتين مضمنا من خلافة أبي بكر - رض الله عنه -

مات سنة ثلاث وتسمين وقيل بعد ذلك .

التقريب (١٠٤) .

(٤) آل عمران آية ٩٠ .

وقيل : أراد به الذين كفروا بعد ايمانهم بصيسى ثم ازدادوا كفرا  
بمحمد لن تقبل توبتهم عند الناس<sup>(١)</sup> وأولئك هم الضالون<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم  
طس<sup>(٣)</sup> الأرض ذهباً ولو اقتدى به ) يعنى لو اقتدى به والواو زائدة مقحمة ،

---

( ١ ) انظر أسباب النزول للواحدى صفحه ( ١١٠ ) وزاد المسير ( ٤١٩ / ١ ) .

( ٢ ) يمكن أن يقال : ان الآية الكريمة على عمومها غيب تتناول كل من آمن  
ثم ارتد عن الايمان الى الكفر ، وازداد كفرا بمقاومته للحق ، وابتدائه  
لأتباعه ، واصراره على كفره وعناده وجموده .

( ٣ ) قال الزجاج : هذا غلط ، لأن فائدة الواو بينه فليست ما يلقى .  
انظر زاد المسير ( ٤٢٠ / ١ ) .

قلت : يشير الزجاج الى أن الواو هنا للحال .  
وقوله تعالى " ولو اقتدى به " جملة حاله . أى لا يقبل  
من الذى مات على كفره هذا الفداء ولو فى حال افتراض تحقق  
هذا الفداء ، فو يده وتقديمه اياه لكى يدفعه لخالقه ونجوه من  
المقوبه التى توعد به .

وقد أشار ابن الضير الى هذا المعنى بقوله : " قبول الفدية  
التي هو طس<sup>(٣)</sup> الأرض ذهباً يكون على أحوال :  
منها : أن يؤخذ منه على وجه القهر فدية عن نفسه كما تؤخذ  
الدية قهراً من مال القاتل على قول .

•••/•••

ومنها : أن يقول المفتدى في التقدير : أفدى نفسي بكذا وقد لا يفعل .  
ومنها : أن يقول هذا القول وينجز المقدار الذي يفدى به نفسه ويجمله  
حاضرا متيدا ، وقد يسلمه مثلا لمن يأمن منه قبول فديته .  
وإذا تمددت الأحوال فالمراد من الآية أبلغ الأحوال وأحذرهما  
بالقبول ، وهو أن يفدى بطون الأرض زهبا افتداء حقيقا بيان  
يقدر على هذا الأمر العظيم ويسلمه وينجزه اختاراً وضع ذلك لا يقبل  
منه ، فجرد ابدال المال وأقدر عليه أو ما يجري هذا المجرى  
بطريق الأولي . فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها  
تتمها على أن ثم أحوالا أخرى لا ينفع فيها القبول بطريق الأولي  
بالنسبة إلى الحالة المذكورة . . . وهذا كله تسجيل بأنسه  
لا محيش ولا مخلص لهم من المذاب ، والا فمن المعلوم أنهم سم  
أعجز من الفليس في ذلك اليوم . ونظير هذا التقدير من الأمثلة  
أن يقول القائل : لا أهبك هذا الثوب بألف دينار ولو سلعتيها  
في يدي هذه .

حاشية ابن الخير طي الكشاف ( ١ / ٣٨٣ ) .

وقيل : تقدير الآية فلن يقبل من أحدهم ان يتجرع بطنه الأرض ذهباً  
ولو افتدى به أيضاً لا يقبل (١) ( أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ) (٢)

قوله تعالى ( لن تتألموا البر حتى تتفقوا ما تحبون )

قال ابن مسعود وعمر بن ميمون ومسروق بن الأجدع وأبو عاصم (٣)

البر : الجنة هاهنا .

وقيل (٥) : هو العمل الصالح .

وقيل (٦) : هو الثواب (٧) وفي الخبر " طمكم بالصدق فإنه يهدي إلى

(١) انظر تفسير الطبري (٥٨٦/٦) .

(٢) آل عمران آية ٩١ .

(٣) عمرو بن ميمون الأودي أبو عبد الله ويقال أبو يحيى .

أدرك الجاهلية ولم يلق النبي - صلى الله عليه وسلم - .

قال ابن معين والنسائي : ثقة .

مات سنة اربع وسبعين ويقال خمس وسبعين .

قال ابن معين : ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب فقال أدرك النسبي

- صلى الله عليه وسلم - وصدق اليه وكان مسلماً في حياته . وذكره ابن حبان

في ثقات التابعين .

تهذيب التهذيب (٨/١٠٩-١١٠) .

(٤) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن مر بن سلامان بن

مصر بن الحارث بن سمد بن وداعة الهمداني الوداعي الكوفي العابد

أبو عاصم الفقيهي .

تابع ثقة . وكان أحد أصحاب عبد الله بن مسعود الذين يقرئون

ويفتون .

مات سنة ثلاث وستين وله ثلاث وستون سنة . مناقبه كثيرة .

تهذيب التهذيب (٨/١٠٩-١١٠) .

(٥) النكت والميون (١/٣٣٣) .

(٦) النكت والميون (١/٣٣٣) .

(٧) ظت : لا تمارض بين هذه الأقوال .



البر ، والبر يهدى الى الجنة وايام الكذب والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور ،  
والفجور يهدى الى النار<sup>(١)</sup> . " حتى تتفقوا ما تحبون " . قيل : اراد  
بالانفاق اداء الزكاة .

وقيل : اراد جميع الصدقات .

وقيل : كل انفاق يبتغى به مرضات الله تعالى ينال به هذا البر .<sup>(٢)</sup>

وروى أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو طلحة<sup>(٣)</sup> : يا رسول الله انى أرى

أن الله يسألنا من أموالنا فأشهدك أنى جعلت حائلاً كذا لله تعالى  
فقال - صلى الله عليه وسلم - أقسمه بين الفقراء وقرايتك فقسمة بين أبى وحسان .<sup>(٤)</sup>

( ١ ) أخرجه الامام البخارى من كتاب الأذب ، باب قوله تعالى " يا أيها  
الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ، وما ينهى عن الكذب  
( ١ / ٩٤ ) ط . استنبول .

وأخرجه الامام مسلم من كتاب البر باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله .  
والترمذى من أبواب البر والصله ، باب ما جاء فى الصدق والكذب ، ووقع  
أول الحديث عند البخارى " ان الصدق يهدى " من رواية منصور عن  
أبى وائل .

( ٢ ) قلت : الأولى أن تكون الآية عامة فى كل انفاق يبتغى به وجه الله  
- سبحانه وتعالى - .

( ٣ ) أبو طلحة الأنصارى واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حوام بن  
عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصارى البخارى  
الخزرجى .

شهد الحقبة ، ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد .  
كان من الرواة المذكورين من الصحابة وفضلائهم .  
اختلف فى وفاته فقيل : توفى سنة احدى وثلاثين ، وقيل أربع وثلاثين  
وهو ابن سهمين سنة وصلى عليه عثمان بن عفان .

الاستيعاب ( ٤ / ١٦٩٧ - ١٦٩٩ ) الاصابه ( ٢ / ٦٠٧ - ٦٠٩ ) .

( ٤ ) رواه الامام أحمد فى مسنده ( ٣ / ٢٨٥ ) بنحوه .  
ورواه البخارى من كتاب المغير ، تفسير آل عمران ، باب لن تتالوا البر  
حتى تتفقوا ما تحبون .

وأخرجه الامام مسلم من كتاب الزكاة باب فضل النفقة على الأقرنين  
والزوج والأولاد .

وروى أن ابن عمر - رضوا الله عنهما - اشترى جارية كان قد هواها فلما نظر اليها أعتقها وزوجها رجلا وطلا قوله تعالى " لن تالوا البرحتى تتفقوا مما تحبون ( وما تتفقوا من شيء فإن الله به عليم ) (٢) أى يملكه أى يجازى عليه .

قوله تعالى ( كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل ) سبب نزول الآية أن اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم - انك تزعم أنك على طهارة ابراهيم وكان لا يأكل لحوم الابل والبانها وأنت تأكلها فلست على طهارة ابراهيم فنزلت الآية " كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل " ( الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة ) بمعنى ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابراهيم بل كان الكل حلالاً له ولبني اسرائيل وإنما حرمها بمقتوب على نفسه قبل نزول التوراة بمعنى أن حرمتها لم يست في التوراة ولا من شرع ابراهيم وإنما هو شيء حرمه اسرائيل على نفسه ، وسبب تحريمه ذلك على نفسه أنه اشتكى عرق النساء (٤) وكان له من ذلك زقا ، أى صياح فقال : ان شفاني الله منه لأحرم من أحب الطعام الي لحوم الابل والبانها فشفاه الله فحرمها على نفسه . (٥)

(١) قال البيهقي في مجمع الزوائد (٢٢٦/٦) رواه البزار وفيه من لم أعرفه .

(٢) آل عمران آية ٩٢ .

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول صفحته (١١٠) راجع تفسير الطبري

(١٥-١٢/٧)

(٤) عرق النساء : هو العرق الذي يخرج من الورك ، فيستبطن الفخذين ،

ثم يمر حتى يبلغ الكعب .

(٥) انظر أسباب النزول للواحدي صفحته (١١٠) وتفسير الطبري (٩/٧) -

(١٧) وتفسير الألبوسي (٣/٤) .

(١) قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين (١) طالعهم بالاتباع بالتوراة حجة على ما ادعوا فلم يأتوا بها ان لم يكن تحريمها في التوراة فمجزوا من الأتباع بالتوراه وكان ذلك كالمجزة للرسول عليهم .

قوله تعالى ( فمن اقتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ) (٢) وقد ذكرنا معنى الافتراء والظلم (٣)

قوله تعالى ( قل صدق الله ) يمتنى فيما أخبر وأنزل ( فاتبعوا طاعة ابراهيم حنيفا ) وانما دعاهم الى اتباع طاعة ابراهيم لأن في اتباع طعته اتباعه وفي اتباعه اتباع طعته ( وما كان من المشركين ) (٤)

قوله تعالى ( ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا ) وروى أبو زر (٥) أنه سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي المساجد وضع أولا فقال : المسجد الحرام ، قلت ثم أي قال : المسجد الأقصى

(١) آل عمران آية ٩٣ .

(٢) آل عمران آية ٩٤ .

(٣) راجع تفسيره للآية (٢٤٤ ، ٢٥) من نفس السورة .

(٤) آل عمران آية ٩٥ .

(٥) أبو زر الففارى الصحابى المشهور اسمه جندب بن جنادة على الأصح

تقدم اسلامه ، وتأخرت هجرته فلم يشهد بدرا ، ونبأه كثيره جدا .

وكانت وفاته بالري سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان

- رضى الله عنهم - .

أسد الغابة (٦/٩٩-١٠١) الاصابه (٧/١٢٥-١٣٠) .

قلت كم بينهما قال : أريحون عاماً ثم قال : أينما أدركتكم الصلاة  
فصل فانهلك مسجداً .<sup>(١)</sup>

وروى خالد بن عروسة<sup>(٢)</sup> عن علي - رضي الله عنه - أنه قال : أراد به أن  
أول بيت وضع للناس مباركاً مع الرحمة والبركة والآيات البينات للذي بهكته .<sup>(٣)</sup>

وقيل :<sup>(٤)</sup> أول ما خلق الله تعالى من الأرض موضع البيت ثم خلق خلق جميع  
الأرض وأول ما خلق من الجبال جبل أبي قبيس .

وفى القصة أن الله تعالى أمر الملائكة ببناء البيت قبل خلق آدم بألفي عام  
وكانت الملائكة يحجونه فلما حججه آدم قالت الملائكة : بهر حجك ، حججنا هذا  
البيت قبلك بألفي عام .<sup>(٥)</sup>

وأما بهكته . فالصحيح أن بهكته بمعنى واحد<sup>(٦)</sup> وهو قول ابن السكيت  
ومثله طين لا زب ولا زم . وسمل رأسه وسهل بمعنى واحد .

---

( ١ ) أخرجه الامام البخارى فى صحيحه من كتاب الأنبياء ، باب يرمون النسلان  
فى المشى .

وأخرجه الامام مسلم فى صحيحه من كتاب المساجد ومواضع الصلاة ( ٦٣ / ٢ ) .  
ورواه الامام أحمد فى مسنده ( ١٥٠ / ٥ ) ( ١٦٦ / ٥ - ١٦٧ ) .

( ٢ ) لم أجده .

( ٣ ) رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١٩ / ٧ ) .

( ٤ ) هو قول لمجاهد . الخازن ( ٣٨٣ / ١ ) .

( ٥ ) ذكر البهفوى والخازن هذه القصة ولم يذكرها قائلها وإنما أوردها  
بلفظ وروى تفسير الخازن ( ٣٨٣ / ١ ) وبها مشه تفسير البهفوى .

( ٦ ) قلت : هو كذا عند أكثر المفسرين .

وقيل : ان بكة موضع البيت وبكة جمع القرية . وقيل : انما سميت بكة لأن الناس يتهاكسون فيها أى يزدحمون وطه قول الشاعر :  
 اذا الشريف أخذت أكسه فخله حتى ثيك يكسسه

وقوله ( مباركاً وهدى للمالعين )<sup>(٢)</sup> أى وضع ذلك البيت ذا بركة وهدى للمالعين . ( فيه آيات بينات مقام ابراهيم ) وقرئ فيه آية بينة على الوجدان وهو مقام ابراهيم ، والمصروف فيه آيات بينات (مقام ابراهيم)<sup>(٣)</sup> من تلك الآيات مقام ابراهيم وهو الحجر الذى فيه أثر اصابع قدم ابراهيم وكان قد بقى أثره فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيسدى .

وقيل<sup>(٤)</sup> مقام ابراهيم جميع الحرم .<sup>(٥)</sup>

ومن الآيات في البيت أيضا أن الطير تطير فلا تملوا فوقه كذا قيل :  
 ومنها أن الجارحه اذا قصدت صيدا فاذا دخل الصيد الحرم كفت عنه .

ومنها أنه ما قصده جبار الا قصه الله تعالى .

ومنها أن المطر اذا أصاب الركن اليماني كان الغصب باليمن ، واذا أصاب

جانب الشام كان الغصب بالشام وان أصاب جميع الجوانب كان الغصب بجميع الجوانب<sup>(٦)</sup>

( ١ ) البيت لم أعرف له قائل وهو في الصحاح للجوهري مادة ( بك ) .

( ٢ ) آل عمران آية ٩٦ .

( ٣ )

( ٤ ) هو قول مجاهد . القرطبي ( ١٣٩ / ٢ ) .

( ٥ ) قال ابن هبلية - فيما نقله منه الجمل - والراجح عندي أن المقام وأسمين الداغليين عجملا مثلا لما في حرم الله من الآيات . وخصا بالذكر لمقتضيهما وأنهما تقوم بهما الحجج على الكفار انهم مذركون لها بين الآيتين بحواسنهم . حاشية الجمل على الجلالين ( ٢٩٧ / ١ ) .

( ٦ ) ذكر هذه الأقوال كثير من المفسرين ولم ينسبوها الي قائلها والظاهر أنها اجتهادات ومشاهدات لقائلها فيها الصحيح وفيها غير ذلك .  
 راجع فتح القدير ( ٣٦٢ / ١ ) القرطبي ( ١٣٩ / ٢ ) .

وسبب هذا أن اليهود قالوا قبلتنا أولى من قبلتكم فبين الله تعالى للمسلمين شرف قبلتهم فأنها غصت بأشياء لم يستطع لقبلتهم (١) وأن بيت المقدس قد حرق وهدم ، وأما الكعبة فما قصدتها جباراً إلا قصه الله تعالى .

( ومن دخله كان آمناً ) .

قال ابن عباس : هو الجاني يدخله فيصير أمناً من القتل فيه لكنه لا يواكل ولا يشرب ولا يبيع ولا يشتري حتى يخرج فيقتل (٢) .

وقال الحسن وقتادة وعامة المفسرين : وهو الأصح أنه أراد الأمن من الخطف للكفار بالقتل والفسار (٣) .

وقيل : أراد به ومن دخله كان آمناً في القيامه من المذاب (٤) .

- 
- ( ١ ) انظر أسباب النزول للواجدي صفحته ( ١١٠ ) .  
( ٢ ) هو قول لأبي حنيفة وأحمد بن حنبل . وروى عنه أنه قال يقع التصاميم في الأطراف في الحرم .  
انظر أحكام القرآن لأبي بكر الصوري ( ٢٨٥ / ١ ) .  
( ٣ ) وهو قول مالك والشافعي .  
( ٤ ) مروى عن يحيى بن جعدة بن هبيرة المخزومي .  
انظر تفسير الطبري ( ٣٣ / ٧ ) .

( ٥ ) قلت وما وجهه إلا ما سمعنا من هو الأصح وهو ما ذهب إليه الامام ابن جرير الداجري حيث يقول : " وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ، ومن قال : " معنى ذلك : ومن دخله من غيره ممن لجأ إليه عاقداً به ، كان أمناً ما كان فيه ، ولكنه يخرج منه فيقام عليه الحد ، إن كان أصاب ما يستوجبه في غيره ثم لجأ إليه ، وإن

••/••

كان أصابه فيه أقيم عليه فيه " .

ثم قال " فان قال قائل : وما منكم من الأمة الحد عليه فيه ؟ .  
قيل : لا تضاق جميع السلف على أن من كانت جريته في غيره ثم عاد به  
فانه لا يؤخذ بجريته فيه ، وانما اختلفوا في صفة اخراجه منه الأخذ بهما فقال  
بعضهم : صفة ذلك : منحه المعاني التي يضطر مع منحه ونقده اليه  
الخروج منه .

وقال آخرون : لاصفة لذلك غير اخراجه منه بما أمكن اخراجه مسين  
المعاني التي توصف اليه اقامة حد الله عليه معها .

فلذلك قلنا : غير جائز اقامة الحد عليه فيه الا بعد اخراجه منه .  
فأما من أصاب الحد فيه ، فانه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه  
الحد فكلتا المسألتين أصل مجمع على حكمها على ما وصفنا " .

انظر تفسير البكري ( ٣٥ / ٧ ) .

(١) قوله تعالى ( ولله طوى الناس حج البيت ) قد ذكرنا معنى الحج  
( من استطاع اليه سبيلا ) .

(٢) روى الحسن مرسلا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه سئل عن  
الاستطاعة فقال : الزاد والراحلة . (٣)

وروى ابن عمر أنه - صلى الله عليه وسلم - سئل أى الحج أفضل ؟ فقال :  
الشحمت القليل أى الحج أفضل فقال الصج والشج ، قيل ما  
السبيل قال الزاد والراحلة . (٤)

وقال مالك (٥) الاستطاعة بقوة البدن فمضى وجد الزاد وقوى طوى العشى  
لزومه الحج ، والأصح أن الاستطاعة هى القدرة على ما يوصله الى الحج فمنها  
الزاد والراحلة ومنها أمن الطريق ونفقة الأهل ونحو ذلك .

---

(١) راجع تفسيره للإمام ( ١٥٨ ) من سورة البقرة .

(٢) الحسن : سبقت الترجمة له .

(٣) رواه ابن جرير ( ٣٩ / ٧ ) .

(٤) فى المقصد المولى فى زوائد أبى يعلى الموصلى من كتاب الحج ،  
باب أى الحج أفضل عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - أفضل الحج العج والشج ، فأما العج فالتطيم ، وأما  
الشج فنحر البدن ( صفحة ٥٠٧ - ٥٠٨ ) .

(٥) رواه ابن ماجه من كتاب المناسك ، باب ما يوجب الحج صفحه ( ٩٦٧ ) .



( ومن كفر فان الله غنى عن العالمين )<sup>(١)</sup> الاُصح أنه أراد بالكفر انكار  
وجوب الحج ، وقيل<sup>(٢)</sup> انه لما نزل قوله " ولله على الناس حج البيت " .  
جمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من جميع الأديان<sup>(٣)</sup> وقال " ان الله  
كتب عليكم الحج أيها الناس فحجوا فصدقته المؤمنون وكذبه الكافرون فنزل  
قوله " ومن كفر فان الله غنى عن العالمين " .

قوله تعالى ( قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على  
ما تعملون )<sup>(٤)</sup> أي لا يخفى<sup>(٥)</sup> عليه ما تعملون ويجازيكم عليه .

قوله تعالى ( قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن )  
أي لم تمنعون من آمن عن سبيل الله لكتمان نعت محمد .

---

( ١ ) آل عمران آية ٩٧ .

( ٢ ) انظر تفسير الطبري ( ٤٩ / ٧ ) .

( ٣ ) يعني أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جمع من أهل الأديان  
كلهم ، وهو قول للمصنف .

( ٤ ) آل عمران آية ٩٨ .

( ٥ ) قال ابن قتيبة " الشهيد " بمعنى الشاهد . وقال الخطابي :  
هو الذي لا يخيب منه شيء . كأنه الحاضر الشاهد .

انظر زاد المسير ١ / ٤٢٩ .

( تهنونها عوجا ) أى تظلمون الزمخ عن السبيل والمدول عنها  
بتفسير صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - ( وأنتم شهداء ) بمعنى أنتم  
عالمون<sup>(٢)</sup> أنه حق طوى ماورد نمت وصفته ( وما الله بخافل عما تعملون )<sup>(٣)</sup>  
قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أن تطهروا فريقا من الذين أوتوا  
الكتاب يردوكم بمد أيمانكم كافرين )<sup>(٤)</sup> بمعنى يردونكم إلى اليهودية والنصرانية<sup>(٥)</sup>.

( ١ ) يقال : بخيت له كذا أى طلبته . والموج - بكسر الميم - الميل والزمخ  
فى الدين والقول والميل وكل ماخرج من طريق الهدى إلى طريق  
الضلال فهو موج .

والموج - بفتح الميم - يكون فى المحسوسات كالميل فى الحائض  
والرصح وكل شىء منتصب قائم . أى أن مكسور الميم يكون فى المعاني  
ومفتوحها يكون فى الايمان .

( ٢ ) قال القرطبي : أى عقلا .

انظر تفسير القرطبي ١٥٥/٢ .

( ٣ ) آل عمران آية ٩٩ .

( ٤ ) آل عمران آية ١٠٠ .

( ٥ ) خاطب الله المؤمنين بذاته فى هذه الآية بمد أن أمرسوله صلى

الله عليه وسلم بأن يخاطب أهل الكتاب فى الآيتين السابقتين ، اظهارا

لجلالة قدرهم واشعارا بأنهم الأحق بالخطبة من الله تعالى .

وناداهم بحفة الايمان لتحريك حرارة المقيدة فى قلوبهم وتوجيه

عقولهم إلى ما استدعيه الايمان من فطنة ويقظة .

التفسير للمسيط . المطاوى آل عمران ٢٥٤ .

قوله تعالى ( وكيف تكفرون ) .

قال الأُخفش سعيد بن مسعدة : طوى أى حال تكفرون .<sup>(١)</sup>

وقال غيره لم يكفرون ( وأنتم تتلون طيكم آيات الله وفيكم رسوله ) فسان

قال قائل منعه إياهم من الكفر بكون الرسول فيهم يوهم إباحة الكفر فـ

حال لا يكون الرسول فيهم ؟ .

قيل ولا يخلو حال من كون الرسول فيهم فإنه اليوم وإن كان خارجا

من بينهم فشره قائم بينهم فيكون كأنه فيهم .

( ومن يمتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم )<sup>(٢)</sup> أى ومن يمتسنع

بالله . قيل ومن يتق بالله فقد أرشد إلى طريق مستقيم .<sup>(٣)</sup>

---

(١) الاستفهام للإنكار ، والاستفهام كرههم فـ حال اجتماعهم فيها كـ

الأسباب الداعية إلى الأيمان .

(٢) آل عمران آية ١٠١ .

(٣) قال ابن جرير ما ملخصه : أصل العصم : المنع . فكل مانع شيئا

فهو عاصمه ، والمتنع به فمتصم به .

ولذلك قيل للحبل : عصام ، وللسبب الذى يتسبب به الرجس

إلى حاجته عصام وأفصح اللختين : إدخال الباء كما قال مز وجعل

" واعتصموا بحبل الله جميعا " وقد جاء اعتصمته .

تفسير الطبري ( ٤ / ٢٦ ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ) .

قال ابن مسمود : " هو أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر . (١)

وقال قتادة : الآية منسوخة بقوله " فاتقوا الله ما استطعتم (٢)

قال أهل الممانى لا يستقيم النسخ فيه ، (٤)

وقوله " فاتقوا الله ما استطعتم " غدير لهذه الآية لأن من أطاع الله في وقت وجوب الطاعة ، وذكره في وقت وجوب الذكر وشكره في موضع وجوب الشكر فقد اتقى الله حق تقاته ، وهذا لم يصير منسوخا .

وقوله " فاتقوا الله ما استطعتم " موافق له لأن التقوى إن كان في موضع الأمر والوجوب ، والأوامر والواجبات على قدر الاستطاعة فيكون اهتدى الآيتين موافقه للأخرى فلا يستقيم فيه النسخ . (٥)

---

(١) رواه ابن أبي عمير في "الغدير" والحاكم في المستدرک ٢/٢٩٤ موقوف غير مرفوع .

قلت : اسناده صحيح .

ورواه ابن مردويه مرفوعا ، قال ابن كثير : والأظهر أنه موقوف .

(٢) وهو مروى عن ابن عباس ، وسعيد بن جبیر ، وابن زيد ، والسبيدي ، ومقاتل .

زاد السير ١/٤٣٢ .

(٣) التخالفين آيه ١٦ .

(٤) وهو مروى أيضا عن ابن عباس . زاد السير ١/٤٣٢ .

(٥) وهذا الرأي الثاني الذي لا يقول بالنسخ بين الآيتين ، وهو الذي تلمسناه إليه النفس ، لأنه لا يوجد تعارض يوجب النسخ .

( ولا تموتن الا وأنتم مسلمون )<sup>(١)</sup> فان قال قائل كيف نهاهم عن الموت  
على الكفر والموت لا يدخل تحت الأمر والنهي .

قيل معناه دوماً على الاسلام حتى اذا وافاكم الموت لقاكم على الاسلام  
هذا كما يقول الرجل لغيره لا أرىك تفعل كذا معناه لا تفعل كذا حتى اذا  
رأيتك لا أراك على فعله .<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعا ) .

قال ابن عباس : حبل الله هو الصهد .

وقال قتادة والسدي : حبل الله القرآن .

وفى الخبر : القرآن حبل ممدود طرف بيد الله وطرف بأيديكم .<sup>(٣)</sup>

وقيل الحبل الطريق ، حبل الله طريق الله وأنشدوا في ذكر الناقة قول الشاعر :<sup>(٤)</sup>

(١) آل عمران - ١٠٢ .

(٢) قال صاحب الكشاف في هذا المعنى " ولا تكونن على حال سوى حال  
الاسلام اذا أدرككم الموت ، وذلك كأن تقول لمن تستعين به على لقاء  
المدو : لا تأتني الا وأنت على حصان فأنت لا تنهيه من الاتيان ،  
ولكنك تنهيه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان ،  
تفسير الكشاف ١ / ٣٩٤ .

(٣) الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه من كتاب العلم ، ذكر نفى الضلال  
عن الأخذ بالقرآن ( ١٨٦ / ١ ) الطبعة السلفية حديث رقم ١٢٢ - ١٢٣ .  
وذكره المهيمن في مجمع الزوائد ( ١٦٣ / ٩ ) مطولاً ثم قال رواه الطبراني  
في الأوسط - وفي أسناده رجال مختلف فيهم .

(٤) البيت للأعشى وروايته في ديوانه صفحته ٢٧ .  
وإذا تجاوزها حبال قبيلة  
من قصيدته في قيس بن معد يكرب ، وهذا البيت في ذكر ناقته . يقسول  
اذا ما أخذت من قبيلة عهودها حتى اجتاز ديارها أمنا أعطتها القبيلة  
التي ظمها عهداً وزطماً أن تخترق ديارها أمناً لا ينالها أحد بسوء ،  
وذلك أن القبائل كلها ترهب قيساً وتخافه فكل قاصد اليه واجد الأمان  
حيث سار .

والبيت في مشكل القرآن : ٣٥٨ ، واللسان ( حبل ) .

وإذا أجوزها حبال قبيلته      نزلت من الأخرى اليك حبالها  
أى طريقها .

وأصل الحبل كل ما يوصلك الى الشيء فيمورد به ، والمعهد حبل والقرآن  
حبل ومنه الحبل المعروف لأنه يوصل الى المقصود . ( ١ )

( ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ) سبب نزول الآية ما روى أن  
رجلين أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج تسابا فدعا كل واحد منهما  
بقبيلته فثار الحيمان وضربوا بأيديهم الى السيوف وكان يكون بينهم قتال  
فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج عليهم وهو على حمار وقام  
بينهم فنزلت الآية وتلا عليهم فبكوا وشى كل واحد الى صاحبه وتعانقوا  
واصطلحوا وكفوا عن القتال . ( ٢ )

قال جابر ما كان يوم أقبح أولا من ذلك اليوم ولا أحسن آخرها من  
ذلك اليوم . فقوله " ولا تفرقوا " الخطاب لهم . " واذكروا نعمة الله  
عليكم " يعنى بالاسلام وبمعث الرسول وأنزل الكتاب ( ان كنتم أعسدا )

( ١ ) قال القرطبي : " الحبل لفظ مشترك ، وأصله فى اللفظة السبب الذى يوصل  
الى المنة والحاجة والحبل : حبل العائق . والحبل : مستليل من  
الرمل . ومنه الحديث " والله وما تركت من حبل الا وقتت عليه فهل لى  
من حج ، والحبل : الرسن . والحبل : العهد والحبل : الداهية .  
قال كثير

فلا تصجدى يا أمز أن تتفهمسى      ينمى أتى الواشون أم بحبسول  
والعباله : حباله الصائد ، وكلها ليس مرادا فى الآية الا الذى يعنى العهد .  
الجامع لاحكام القرآن ٢ / ١٥٨ ، ١٥٩ .

( ٢ ) انظر : أسباب النزول للواحدى صفحه ( ١١٣ ) ، وانظر الدر المنثور ( ٥٨ / ٢ ) .

لأن الأوس والخزرج كان بينهم قتال دلو بينهم مائة وعشرين سنة ( فالف  
 بين قلوبكم ) يعنى بالاسلام ( فأصبحتم بنعمته اخوانا ) يعنى  
 بالدين ( وكنتم على شفا حفرة ) أى طرف حفرة <sup>(١)</sup> ( من النار فأنقذكم منها )  
 " وقيل نزلت الآية فى مشركى العرب والأول أصح <sup>(٢)</sup> وهو قول كرمسنة  
 " كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون <sup>(٣)</sup> أى ترشدون وتسلكون طريقه  
 الحق .

( ١ ) الشفا طرف الشىء وحرفه مثل شفا البئر، وشفا الحفرة ، ومنه يقسمال :  
 فلان أشفا على الشىء اذا أشرف عليه ، كأنه بلغ شفاه أى حده وحرفه .

( ٢ ) قال ابن كثير : " هذا السياق فى شأن الأوس والخزرج ، فإنه كان بينهم  
 حروب كثيرة فى الجاهلية وعداوة شديدة وضغائن واجن طال بسببها  
 قتالهم والوقائع بينهم ، فلما جاء الله بالاسلام فدخل فيه من دخل  
 منهم ، صاروا اخوانا متحابين بجلال الله ، متواصلين فى ذات الله  
 متعاونين على البر والتقوى وكانوا على شفا حفرة من النار بسبب كفرهم  
 فانقذهم الله منها إذ هداهم للإيمان وقد امتن عليهم بذلك برسول  
 الله - صلى الله عليه وسلم - يوم قسم غنائم حنين ، فعلم من عتب منهم  
 بما فُضد عليهم فى القسمة بما أراه ، فخطبهم فقال يا معشر الأنصار  
 ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله فى وكنتم متفرقين فألفكم الله فى وعالمة  
 فأغناكم الله فى فكانوا كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله  
 أمّن " .

انظر تفسير ابن كثير ٣٨٩/١ .

( ٣ ) آل عمران آية ١٠٣ .

قوله تعالى ( ولتكن منكم أمة ) أى كونوا أمة وكلمة من فيه للجنس  
 ولا للتبميز وهو مثل قوله " فاجتنبوا الرجس من الأوثان <sup>(١)</sup> " والمراد به  
 الاجتناب من جنس الأوثان كلها لا من بعض الأوثان كذلك قوله " ولتكن  
 منكم أمة " أى كونوا أمة <sup>(٢)</sup> ، يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون  
 عن المنكر وأولئك هم المفلحون <sup>(٣)</sup> ) أى وأنتم المفلحون .

( ١ ) الحج آية ٢٠ .

( ٢ ) قال القرطبي - ما ملغصه - " من " فى قوله " منكم " للتبميز . وممنناه  
 أن الأمرين يجب أن يكونوا طما ، وليس كل الناس طما . وهو يسدل  
 طى أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض على الكفاية ، وقد عينهم  
 الله بقوله " الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة " الآية . وليس  
 كل الناس مكنوا .

انظر الجا مع لأحكام القرآن ١٦٥/٢ .

أقول : وما ذهب إليه القرطبي من أن من للتبميز هو الذى ت  
 تيل إليه النفس ، لأن الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أفراد  
 معينون من الأمة يجب أن تتوفر فيهم شروط معينة .

قال الامام الفخرالى فيما نظه عنه القاسمى : فى هذه الآية بيان  
 الايجاب . فان قوله " ولتكن " أمر . وظاهر الأمر الايجاب ، وفيها بيان  
 أن الفلاح منوط به . ان حصر وقال : " وأولئك هم المفلحون " وفيها  
 بيان أنه فرضى كفاية لا فرضى عين ، وأنه اذا قام به البعض سقط  
 الفرض عن الآخرين ، ان لم يقل كونوا كلكم أمرين بالمعروف ، بل قال :  
 ولتكن منكم أمة . . . وان تقاعد الخلق جميعا عم الاثم كافة القادرين عليه  
 لا محاله .

تفسير القاسمى ٩٢١/٤ .

( ٣ ) آل عمران الآية ١٠٤ .



قوله تعالى ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ) بمعنى اليهود والنصارى  
( من بعد ما جاءهم البينات فأولئك لهم عذاب عظيم ) (١) ( يوم تبيض وجوه )  
بمعنى وأولئك لهم عذاب عظيم يوم القيامة ثم وصف ذلك اليوم فقال " يوم تبيض  
وجوه " يعنى بالتوحيد " وتسود وجوه " بالشرك .

وقيل تبيض وجوه بالسنة ، وتسود وجوه بالبدعة .

وقيل أراد به في الدنيا تبيض وجوه بالقناعة وتسود وجوه بالطمع والأول  
أصح ويشهد لذلك قوله تعالى " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة " الآية (٢) .

وفي رواية أبي أمامة (٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم تسود وجوه  
الخبثاء (٤) (٥) .

(١) آل عمران آية ١٠٥ .

(٢) عيسى آية ٣٨ ، ٣٩ .

(٣) أبو أمامة بن ثعلبة الأنصاري الحارثي : قيل اسمه اياس ، وقيل ثعلبه  
وقيل عبد الله ولا يصح فيه غير اياس بن ثعلبه ، وكان قد أجمع الخزرج ليدر  
مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال له خاله أبو بردة : أقم على أمك  
قال بل أنت أقم على أخيك وكانت فريضة . ثم أمره رسول الله صلى الله عليه  
وسلم بالمقام على أمه .  
مات بعد غزوة أحد ولم ألق على تحديد الحام .  
الطبري ٧ / ٩٤ .

(٤) رواه الطبري في تفسيره من حماد بن سلمة والرفيع بن صحيح عن أبي مجالد  
عن أبي أمامة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم كلهم عن أبي أمامة .

(٥) يبدو لي أن ما ذكره من ابيضاض الوجوه واسودادها بالتوحيد والشرك  
والسنة والبدعة وما إلى ذلك تشبيل للأمة وليس تفسيراً لها ، والأولى أن  
تكون الآية عامة في أن أهل الحق يؤمنون ببياض الوجه وأشار المشيرة  
تشريفاً لهم يوم القيامة . ويوسم أهل الباطل بعد ذلك .

( فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتهم بحد أيمانكم ) أى يقال لهم أكفرتهم (٢)  
 بحد أيمانكم فإن قال قائل كيف كفروا بحد الأيمان ولم يكونوا مؤمنين قط؟ قيل  
 أراد به أيمان يوم الميثاق وكفروا بعهده .

وقيل أراد به اليهود أضوا بما كان في التوراة من نعمت محمد ثم كفروا  
 وغيروا (٣) فذوقوا المذاب بما كنتم تكفرون (٤) .

قوله تعالى ( وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ) أى في ثواب  
 الله . ( هم فيها خالدون ) (٦) ( تلك آيات الله نتطوها طيبك بالحق وما الله  
 يريد ظلما للمؤمنين ) (٧) .

(١) يشير بقوله " أى يقال لهم أكفرتهم " الى حذف هذا القول المقدر والذي  
 هو جواباً أما لدلالة الكلام عليه ، كقوله تعالى ( واسماعيل ربنا تقبل منا )  
 المقرة ١٢٧ أى : ويقولان ربنا تقبل منا ، ومثله من كل باب - سلام  
 عليكم . الرعد ٢٥ ، ٢٦ ، والمحنى يقولون سلام عليكم .

(٢) الا استفهام فى قوله ( أكفرتهم ) للتوبيخ والتعجب من حالهم .  
 (٣) قال الأوسى بعد أن ذكر القبولين السابقين : والظاهر من السياق  
 والسياق أن هؤلاء هم أهل الكتاب وكفرهم بحد أيمانهم ، هو كفرهم  
 برسول الله صلى الله عليه وسلم بحد الأيمان به قبل بيئته الحرب .  
 انظر تفسير الأوسى ٤ / ٢٦ .

(٤) آل عمران آية ١٠٦ .

(٥) " رحمة الله " جنته . قال ابن قتية : وسمى الجنة رحمة لأن دخولهم  
 اياها كان برحمته .

قلت : وهو من باب التمييز بالحال عن المحل فتكون الظرفية حقيقية .  
 وانا أريد برحمة الله ثوابه - كما ذكر المؤلف - تكون الظرفية مجازية ،  
 والأولى حمل الآية على الحقيقية .

(٦) آل عمران آية ١٠٧ .

(٧) آل عمران آية ١٠٨ .

لأنه يماقِب من يماقِب عن استحقاق بالعدل . (١)

( والله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور ) (٢) .

قوله تعالى ( كنتم خير أمة ) فان قال قائل ما معنى قوله " كنتم خير أمة " ومتى كانوا بتلك الصفة ؟ قيل أراد به كنتم خير أمة في اللوح المحفوظ .

وقيل أراد به صرتم خير أمة اذا آتتم وقيل يقال لهم يوم القيامة

---

( ١ ) يعني أنه لا يحدبهم بخير ذنب .

وفي الآية نفى للظلم عن الله بأبلغ وجه فانه سبحانه لم ينف فقط  
الظلم عن ذاته ، بل نفى عن ذاته ارادة الظلم ، ان هو أمر لا يلحق  
به سبحانه ولا يتصور وقوعه منه .

قال تعالى : ( ان الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون )  
وقال تعالى : ( ما يفعل الله بحذا بكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله  
شاكراً طيباً ) سورة النساء .

"كنتم خير أمة أخرجت للناس" ( أخرجت للناس تأمرؤن بالمعروف وتنهون عن المنكر )  
فالمعروف ما عرفه الشرع والمنكر ما أنكره الشرع .

( ١ ) ذكر المفسرون في قوله تعالى " كنتم " عدة أقوال يمكن تخصيصها في

أربع :-

١ - أن " كان " هنا طرأ أصلها والمراد بها الماضي . وهذا فيه ثلاثة أقوال :-

أ ) أن معناها " خلقت " ووجدتم " وهي لا تحتاج إلى تفسير فيكون المصنى وجدتم خير أمة أخرجت للناس ، وبكسوف قوله " خير أمة " بمعنى الحال . وهذا قال جمع من المفسرين .

ب ) أن معناها : كنتم في اللوح المحفوظ .

ج ) أن المصنى : كنتم منذ كنتم ، ذكره ابن الأنباري .

٢ - أن تكون من كان الناقصة التي هي - كما يقول الزمخشري - عبارة عن وجود الشيء في زمان ما مضى على سبيل الإبهام ، وليس في دليل على عدم سابق ولا عن انقطاع طاري ، فمكون المصنى : قدرتم في علم الله - تعالى - خير أمة أخرجت للناس .

٣ - يجوز أن تكون ، بمعنى صار . أي تحولتم يا معشر المؤمنين الذين عاصرتهم النبي صلى الله عليه وسلم من جاهل بتكم النبي أن صرتم خير أمة .

٤ - أن كان هنا زائده والتقدير : أنتم خير أمة ، ذكره الفراء والزجاج .

ويبدو لي أن الرأي الأول " أ " الذي يقول ان " كنتم " هنا من كان التامة والتي هي بمعنى خلقتم ووجدتم أقرب الأقوال السي الصواب .

وفي الحديث " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو يوشك أن يمسكم  
الله بحمقته " (١)

وقال صلى الله عليه وسلم "أفضل الشهداء بعد شهداء أحد رجسلا  
قام إلى امام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقطه عليه " (٢)

قوله " ( وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم ) وهذا الاشك  
فيه ( منهم المؤمنون وأكبرهم الفاسقون ) (٣) لأنه آمن بعضهم وكفر أكثرهم .

( لن يضروكم الا أذى ) بمعنى لا يضروكم بأكثر من أذى وهو ضرار  
يسير وأذى بوقحة باللسان (٤)

( وان يقاتلوكم يولوكم الا دياركم لا يفترون ) أي لا يهزمون وتكون النصرة  
لكم عليهم (٦)

---

( ١ ) رواه الترمذى ( ٢١٧٠ ) وقال بحديث حسن ، ورواه الطبرانى فى الأوسط  
من حديث ابن عمرو من حديث أبي هريرة .

( ٢ ) سبق تخريجه .

( ٣ ) آل عمران آية ١١٠ .

( ٤ ) الآية وعد من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين أن أهل الكتاب  
لا يظلمونهم وأنهم منصورون عليهم لا يغالهم منهم اصطلام الا ايسذا  
بالبهت والتعريف ، وأما العاقبة فتكون للمؤمنين . وفى هذا تشبث  
للمؤمنين ، وطمانينة لظهورهم .

( ٥ ) آل عمران آية ١١١ .

( ٦ ) قال القرطبي : فى هذه الآية معجزتان صلى الله عليه وسلم لأن من  
اليهود ولاه دبره .

انظر الجامع لأحكام القرآن ١٧٤ / ٢ .

قوله تعالى ( ضربت عليهم الذلة ) بمعنى ذل الكفر بالقتل والسيء  
والأغتمام<sup>(١)</sup> ( أينما ثقفوا ) أى وجدوا ( الا يحمل من الله ) بمعنى عهد  
الذمة<sup>(٢)</sup> ( وحمل من الناس ) وهو عهد الأمان بمعنى أنهم يقتتلون  
ويؤسرون الا أن يكون لهم ذمة وأمان<sup>(٣)</sup> ( وما وا يفض من الله ) رجموا  
واحتلوا غضب الله .

( ١ ) أصل الضرب فى كلام العرب يرجع الى معنى التقاء ظاهر جسم بظاهر  
جسم آخر بشدة .  
يقال : ضرب فلان بيده الأرض اذا ألصقها بها ، وتفرعت عن هذا  
المعنى معان أخرى ترجع الى شدة اللصوق .  
والذلة على وزن فملة من قول القائل : ذل فلان يذل ذلة وزلا  
والمراد بها الصفار والبهوان والحقارة . فضرب الذلة عليهم تصيير  
لزومها ليهود<sup>١</sup> اليهود واحاطتها بهم ، كما يحيط السراق بمسكن  
يكون فى داخله .

( ٢ ) وهو عقد الجزية التى يربط بينهم وبين المسلمين . وانما كان عقد  
الجزية عهدا من الله لهم ، لأنه سبحانه هو الذى شرعه ، وما شرعه  
الله فالوفاء به واجب . وكان عهدا من المسلمين لهم لأنهم أحسد  
طرفيه فهم الذين باشروه مع اليهود ، وبمقتضاه يحفظون حقوقهم  
ودما<sup>٢</sup>هم وأموالهم .

( ٣ ) أى الذمة والأمان التى يعيشون بمقتضاها فرأى أمة من أمم  
الأرض مسلمة كانت هذه الأمة أو كافرة - وهى اليهود - فان كانت  
تلك اليهود صا درة من المسلمين جاز أى يطلق عليها عهد الذمة  
أيضا باعتبار أن الله هو الذى شرعها - وان كانت من غير المسلمين  
فهو عهد من الناس سوا<sup>٣</sup> أو افقت شريعة الله تعالى أم لا .

وقيل لزمهم غضب الله من قولهم تنوأ مكان كذا أى لزمه (١) وضربت  
عليهم المسكاه ( أى ذل الكفر بزي الفقر وذلك على اليهود حتى لا يرى  
يهودى الا طى زى الفقسير وان كان غنياً ) (٢) ذلك بأنهم كانوا يكفرون  
بآيات الله ويقتضون الأُنبياء بخير حق ذلك بما عصوا وكانوا يمتسدون (٣)

(١) قال ابن جرير : " وبأءوا بفضب من الله " أى انصرفوا ورجعوا ،  
ولا يقال باءوا الا موصولا اما بخير واما بشره . يقال منه : يسأء  
فلان بذنبه يهبوء به بواء وبواء . ومنه قوله تعالى " انى اريد أن تنوأ  
بأسمى واثمك " يعنى تنصرف متحملهما ، وترجع بهما قد صارا طيبك  
دونى . فمعنى الكلام اذا : ورجعوا منصرفين متحملين غضب الله ،  
قد صار عليهم من الله غضب ، ووهي عليهم منه صخط " .  
انظر جامع البيان للطبرى ١/٢٥١ .

(٢) قال شيخنا الدكتور محمد صيد طنطاوى " فان قال قائل انهم الآن - أى  
اليهود - أصحاب جاه وسلطان ، بعد أن أنشأوا دولتهم بفلسطين ؟ .  
والجواب : أنهم مع قيام هذه الدوله يعيشون تحت حماية غيرهم من  
دول الكفر الكبرى فهى التى تحميهم وتمدهم بأسباب الحياة والقوة ،  
فينطبق على هذه الحالة - أيضا - أنها بحبل من الناس ، فاليهود  
لا سلطان لهم ، ولا غيره تكمن فى نفوسهم ، ولكنهم مأمورون مسخرون  
أن يحيشوا فى تلك البقعه من الأرض لتكون مركزا لتك الأمم الستى  
تعهدت بحمايتهم ليقتزوا منها الى محاربة المسلمين اذا أتجحت لهم  
فرصة . انتهى مختصرا .  
انظر التفسير الوسيط . د . طنطاوى . آل عمران صفحہ ٢٨٩ / ٢٩٠ .

(٣) آل عمران آية ١١٢ .

( ليسوا سوا ) بمعنى المؤمنين والكافرين ليسوا سوا<sup>(١)</sup> وهذا وقف

تام ثم ابتدأ ( من أهل الكتاب أمة قائمة ) أى عادله .

وقيل قائمة مستقيمة على الحق .

وقيل الأمة الطريقة المستقيمة وهى طريقة الحق وتقديره من أهبل

الكتاب ذواته قائمة ومنه قول النابغة<sup>(٢)</sup> :

الكفتنى ذنب امرى وتركتسه وهل بأئمن ذواته وهو طامع

أى ذودين وطريقه<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) قال ابن كثير : والمشهور عند كثير من المفسرين أن هذه الآيات نزلت  
فبين أمن من أهبأر أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ، وأسد بن عبيد ،  
وشلمبه بن شعبة وغيرهم . أى لا يستوى من تقدم ذكرهم بالذم من أهل  
الكتاب وهو "الذين أسلموا" ، ولهذا قال تعالى " ليسوا سوا " أى  
ليسوا كلهم على حد سوا ، هل منهم المؤمن ، ومنهم المجرم .  
تفسير ابن كثير ١ / ٣٩٧ .

( ٢ ) النابغة : هو زياد بن معاوية بن ضباب الذيبانى . كنىه أبوا ماسبه  
ولقبه النابغة لقب به لنبوته فى الشعر واكثاره منه ، وهو من الطبقة  
الأولى المقدمين على سائر الشعراء .  
انظر طبقات فحول الشعراء للجمعى ( ١ / ٥١ ) .  
والهيت فى ديوانه صفحه ( ٨١ ) وتفسير الطبرى ( ٤ / ٢٧٦ ) .

( ٣ ) قال صاحب البحر " أمة قائمة : أى مستقيمة من أقيت الحدود فقيام  
أى استقام .

قال مجاهد والحسن وابن جرير عادله .  
وقال ابن عباس وقتاده والربيع قائمة على كتاب الله وحدوده مهتديه .  
وقال السدى قائمة مطبحة . وكلها راجع للقول الأول .  
البحر المحيط ٣ / ٣٤ .



( ١ ) يتلون آيات الله آناء الليل ( ساعات الليل واحدها إنى ) وهم

( ٢ )  
يسجدون

( ٣ ) قال ابن مسعود يحنى يملون صلاة العتمة .

وقيل أراد به الصلاة ما بين الضروب والعشاء وهو من آناء الليل . ( ٤ )

---

( ١ ) " آناء الليل " أوقات وساعات .

والآناء جمع إنى - كعماء وأسماء - أو جمع أنى - كمصا - أو جمع أنى وإنى وإنى وإنو . فالهزة في آناء متقلبة من يا كرداء : أو من واو ككساء .

( ٢ ) آل عمران آية ١١٣ .

( ٣ ) أخرجه الامام أحمد حديث رقم ٣٧٦ ، وذكره البيهقي في مجموع الزوائد ( ٣١٢/١ ) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والمزار والطبراني في الكبير .

( ٤ ) قال الشوكاني " وهم يسجدون " ظاهره أن التلاوة كائنة منهم في حال السجود ولا يصح ذلك اذا كان الحراء بهذه الأمة الموصوفة في الآية من قد أسلم من أهل الكتاب ، لأنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم النهي عن قراءة القرآن في السجود ، فلا بد من تأويل هذا الظاهر بأن الحراء بقوله " وهم يسجدون " وهم يملون كما قاله الفراء والزجاج ، وإنما عبر بالسجود من مجموع الصلاة لما فيه من الخضوع والتذلل .

وظاهر هذا أنهم يتلون آيات الله في صلواتهم من غير تخصيص لتسلك

الصلاة بصلاة معينه .

فتح القدير ( ٣٧٤/١ )

( يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمنون بالمعروف وينهون عن المنكر  
ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ) (١) وصفهم الله تعالى وشكرهم . (٢)

( وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ) أي يجازون عليه والله تعالى إذا  
جازى العبد على صنمه فقد شكره ( والله طيب بالمتقين ) . (٣)

---

( ١ ) آل عمران آية ١١٤ .

( ٢ ) قال الفخر الرازي : وأطمأن وصفهم بالصلاح في غاية المدح ، ويسدل  
عليه القرآن والمعقول .

أما القرآن فهو أن الله تعالى مدح بهذا الوصف أكابر الأنبياء ،  
فقال بمدح ذكر آدم وإسماعيل ونوح الكفل وغيرهم " وأدخلناهم في  
رحمتنا منهم من الصالحين " .

وذكر حكاية عن سليمان أنه قال : " وأدخلني برحمتك في  
عبادك الصالحين " .

وأما المعقول ، فهو أن الصلاح ضد الفساد ، وكل ما لا ينجس  
أن يكون فهو فساد سواء كان ذلك في العقائد أو في الأعمال  
فإذا كان كل ما حصل من باب ما ينجس أن يكون فقد حصل الصلاح  
، فكان الصلاح لا على أكمل الدرجات .

انظر التفسير الكبير ٨ / ٢٠٣ .

( ٣ ) آل عمران آية ١١٥ .

قوله تعالى ( ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا ) أى لا يدفع أموالهم بالفديه ولا أولادهم بالنصره من عذاب الله شيئا ، وذلك أن الانسان يدفع عن نفسه بهذا المال زياده بالأستمانه بالأولاد<sup>(١)</sup> ( وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون )<sup>(٢)</sup> .

قوله ( مثل ما ينفقون فى هذه العميأة الدنيا كمثل ريح فيها صر )  
الصر فى الريح السجود<sup>(٣)</sup> ومنه قول الشاعر<sup>(٤)</sup> :

أوقد فان الليل لسيل قـر      والريح ياوقد ريح صـر  
عسى بزي نازكن يمسـر      ان جلبت ضيفا فانت حسـر

( ١ ) حس الأموال والأولاد بالذكر لأن الكفار ، كانوا أكثر ما يكونون اغترارا بالأموال والأولاد ، وقد حكى القرآن غرورهم هذا بأموالهم وأولادهم فى كثير من الآيات ، ومن ذلك قوله تعالى " وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا " .

( ٢ ) آل عمران آيه ١١٦ .

( ٣ ) وهو قول ابن عباس ، وعكرمة ، وسعيد بن جبيرة ، وقتادة ، والحسن والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم .  
ويكى عن ابن عباس فيها " صر " أى نار .

قال ابن كثير : وهو يرجع إلى الأول - " يعنى رواية ابن عباس الثانية " فان البرد الشديد - سيما الجليد - يحرق الزروع والشمار ، كما يحرق الشئ بالنار - .

ابن كثير ( ٢ / ٨٨ ) .

( ٤ ) انظر تفسير الطبرى ( ٧ / ١١٧ ) .

( ٥ ) لم أعرف له قائل .

( أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فوهلكه ) شبه انفاقهم بسبب  
اجتاحتهم . فاتحه أو أصابتهم دريح بارده فأهلكته واخطفوا غي تلك النفقة .  
قال بعضهم أراد به انفاق أبي سفيان <sup>(١)</sup> يوم بدر وأهد على المشركين  
في قتال المسلمين .

وقيل أراد به انفاق الحر الذي ينفق ماله ربما وسعة لا يتنفس  
وجه الله <sup>(٢)</sup> . ( وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون ) <sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ) أي  
خواص من غير أهل ملتكم ، وبطانة الرجل خاصته والذين يستطيعون أمره

---

( ١ ) أبو سفيان : صحابي حربي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف  
الأبوي القرشي .

ولد قبل الفيل بمشركين ، وكان من أشرف قريش في الجاهلية .  
أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حنيناً وأطاه  
من غنائمها . وفقت عنه يوم الطائف ، فلم يزل أمور حتى فقتت عينيه  
الأخرى يوم اليرموك .

أصابها حجر فشد عنها فموت .

مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان ، وقيل غير ذلك - وصلى عليه  
ابنه معاوية - وقيل بل صلى عليه عثمان بموضع الجنائز ، ودفن بالمقبر  
وكان راحة وحداه - أي قصير سمياً - داهية عظيمة .

الاستيعاب ( ٤ / ١٦٧٧ - ١٦٨٠ ) .

( ٢ ) الجبلة : تعود على أولئك الكافرين الذين ينفقون أموالهم مقرونة بالوجوه  
المائعة من قبولها .

( ٣ ) آل عمران آية ١١٨ .

ومنه البطانة في الثوب لأنه ليس البطن والباطن وهذا في النهي عن موالاة الكفار<sup>(١)</sup> . ( لا يأتونكم خيالا ) أي يقصرون في أموركم فيفسدون طيكم وأمركم ، والغيبال الفساد<sup>(٢)</sup> . ( ودواما هضم ) أي يودون ما يشق عليكم ، والعمت المشقة ، ومنه الاكهم العنوت ؛ وهو الشاقة الصعود .

قال السدي ؛ أراد به أنهم يودون رذكم إلى الكفر والضلاله .

( قد بدت البغضا من أفواههم ) بمعنى الوقيمة باللسان ( وما تخفى صدورهم أكبر ) من الضيظ أعظمهم من الوقيمة باللسان<sup>(٣)</sup> ( قد بينسا لكم الآيات ان كنتم تعقلون )<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قال القرطبي : " البطانة مصدر يسمى به الواحد والجمع ، وبطانة الرجل خاصته الذين يستنظون أمره ، وأصله من البطن الذي هو خلاف الظهر . وبين فلان بفلان ببطون وبطانة اذا كان خاصا به قال الشاعر :  
أولئك غلظائي نعم وبطانتى وهم ميمتى من دونك قريسيب  
انظر الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/٢ .

( ٢ ) الغيبال الشر والفساد . وأصله ما يلحق الحيوان من مرض وفقر فيورثه فسادا واضطرابا .  
يقال غبله وخبيله فهو غابل . والجمع الغبل ورجل مخبيل اذا أصيب بمرض أوثره اضطرابا وفسادا في قواه العقلية والفكرية .  
راجع تفسير أبي السمود ( ٥٤٢/١ ) وتفسير القرطبي ( ١٧٩/٤ ) .

( ٣ ) المعنى قد ظهرت أماراة العداوة لكم من فلتات ألسنتهم ، وطفح البغض الباطن في قلوبهم لكم حتى خرج من أفواههم ، ولاح على صفحات وجوههم ، وقد قيل : كوامن النفوس تظهر على صفعات الوجوه وقلبات اللسان ، ومع هذا فان ما تخفيه نفوسهم المريضة لكم من أعتاد واجن أكبر مما نطقت به ألسنتهم من بغضا .

وغنى الألفاظ بالذكر دون الألسنة ، للإشارة إلى تشدقهم وشرتهم في أقوالهم ، فهم أشد جرما من المستتر الذي تهدوا البغضا في قلوبهم .

التفسير الوسيط ( ٢٠٩ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ١١٨ .

قوله تعالى ( هأنتم أولاء \* ) بمعنى أنتم يا هؤلاء<sup>(١)</sup> ( تحبونهم ) أي  
 تحبون إيمانهم ( ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا )  
 يعني باللسان ( وإذا خلوا حضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا  
 بغيظكم ) هو عبارة عن شدة الغيظ<sup>(٢)</sup> ( إن الله عليم بذات الصدور )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) يشير إلى أنها جملة مصدره بحرف التثنية أي تشبيه المؤمنين المخاطبين  
 على غنائمهم في موالاة الكفار .

( ٢ ) العنق هو الأوساك بالأسنان أي تعامل الأسنان بعضها على بعض .  
 يقال: عنق بعض مضا وعضفا إذا تعامل بأسنانه على الشيء . وهسو  
 عبارة عن شدة الغيظ مع عدم القدرة على إنفاذه ، ومنه قول الشاعر:  
 إذا رأوني أظلم الله غيظهم عضوا من الغيظ أطراف الأباهيم  
 والغيظ : أشد الغضب . ومعهم الأنامل : تعبير عن شدة غضبهم  
 وتحسرهم وحنقهم على المؤمنين .

قال القرطبي : " فإن قيل كيف لم يموتوا والله تعالى إذا قال لشيء كن  
 فيكون ؟ قيل عنه جوابان .

أحدهما قال فيه الطبري وكثير من المفسرين هو دعاء طيبهم . أي قبل  
 بإحسان أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا ، فعملوا هذا بتجسس أي بدعسو  
 طيبهم بهذا مواجهة وغير مواجهة بخلاف اللعنة .

الثاني أن المعنى أخبرهم أنهم لا يدركون بأبوابهم فان الموت دون  
 ذلك .

الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٨٢ ، ١٨٣ .

( ٣ ) آل عمران آية ١١٩ .

قوله تعالى ( ان تمسككم حسنة ) أى خصب ونصره ( تسوءهم وان  
 تصبكم سيئة ) أى قعط وبلاء<sup>(١)</sup> ( يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا ) بمعنى  
 طوى الشدة والبلاء ( لا يضركم كيدهم شيئاً ) ويقراً لا يضركم بكسر الضاد  
 مخفياً<sup>(٢)</sup> ، والمعنى واحد ( ان الله بما يعملون محيط )<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( وان غدوت من اهلك ) بمعنى • وانكرا ان غدوت<sup>(٤)</sup>  
 ومعناه ( خرجت غدوة من اهلك )<sup>(٥)</sup> أى من بيت عائشه (تهوى\* المؤمن )  
 أى تنزل المؤمن ( مقاعد للقتال ) بمعنى تنزلهم فى مواضع القتال ومراكزه .  
 يقال هوأ فلان مكان كذا اذا أنزله فيه .<sup>(٦)</sup>

( ١ ) اللفظ عام فى كل ما يحسن ويسوء • وما ذكره من الخصب والجذب مشال  
 لذلك .

( ٢ ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو يضركم بكسر الضاد وتخفيف الراء • وقرأ عاصم  
 وابن عامر وحمزه والكسائي لا يضركم بضم الضاد وتشديد الراء •  
 النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٣٣ - ٢٣٤ .

( ٣ ) آل عمران آية ١٢٠ .

( ٤ ) يشير الى أن الحامل فى " ان " فعل مضوم تقديره وانكرو •

( ٥ ) فى ب خرجت من غدوة اهلك •

( ٦ ) " تهوى " أصله من التيسر وهو اتخاذ المنزل يقال : هوأته • وهوأته  
 له منزلاً ، أى : أنزلته فيه والمراد به هنا تنظيم المؤمن وتسويتهم  
 وتثبيتهم للقتال ، حتى يكونوا صفوا واحداً •

قال ابن عباس : كان النبي صلى الله عليه وسلم يسي لكل واحد من المسلمين مكانا من القتل وهذا كان في حرب أحد وهذه الآية التي قريب من آخر السورة في حرب أحد<sup>(١)</sup> ( والله سمع عليم )<sup>(٢)</sup> أي سمع بما قاله المنافقون " عليم " بما أضمرُوا فيكون على وجه التهديد .

وقيل معناه " والله سمع " بما قاله المؤمنون " عليم " بما أضمرُوا فيكون على وجه المدح .

قوله تعالى ( إذ همت الطائفتان منكم أن غشلا ) بمعنى أزدات وقصدت والهم القصد .<sup>(٣)</sup> وأما الطائفتان وقد صح عن جابر أنه قال : أراد به بنو سلمة وبنو حارثة والقصة في ذلك ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شجعنا أصحابه في الخروج إلى حرب أحد فأشار بعضهم بالخروج وبعضهم بالمكث بالمدينة فاختار الخروج . وكان جيش المسلمين ألفا فأنزل عبد الله بن أبي بن مسلول بثلاث الجيوش فهمت هاتان الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة

( ١ ) قال القرطبي " وهذا إنما كان يوم أحد ، وكان المشركون قصدوا المدينة في ثلاثة آلاف رجل ليأخذوا بثأرهم في يوم بدر فنزلوا عند أحد على شفير الوادي بقناة مقابل المدينة ، يوم الأربعاء الثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة ، على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة فأقاموا هنالك يوم الخميس والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه أن في سيقه ثلثة ، وأن يقرأ تذيح ، وأن يدخل يده في درع حصينه فتأولها أن نفرا من أصحابه يقتلون ، وأن رجلا من أهل بيته يصاب ، وأن الدرع الحصينه المدينة . ثم قال القرطبي أخرجه مسلم .

الجامع لأحكام القرآن ١٨٥/٢ .

( ٢ ) آل عمران آية ١٢١ .

( ٣ ) الهم : هو حديث النفس واتجاهها إلى شيء معين دون أن تأخذ في تنفيذها فإذا أخذت في تنفيذها صار إرادة وعزما وتضمينا .



أن يرجعنا معهم فثبتهما الله تعالى على المضى معه فلم يرجعوا فهذا  
معنى قوله " إذ همت طائفتان منكم أن تغشلا " (١) أي أن تضعفا وتجهنبا  
( والله وليهما ) أي ناصرهما ومثبتهما على الحرب .

قال جابر : ما وردنا أن لا تغشلا (٢) (٣) وقد قال الله " والله  
وليها " ( وطمى الله فليتوكل المؤمنون ) (٤)

قوله تعالى ( ولقد نصركم الله ببدر ) يذكر عليهم مقتته بالنصصرة  
يوم بدر ، وهو موضع بين مكة والمدينة (٥) . وسمى بدرًا باسم المواضع ، وقيل  
سمى بدرًا باسم رجل ، وقيل باسم بئر .

- 
- ( ١ ) تغشلا من الغشل وهو الجبن والخور والضعف . يقال فشل يفشل فشلا  
فهو فشل أي جبان ضعيف القلب .
- ( ٢ ) الحديث رواه البخاري من كتاب التفسير باب إذ همت طائفتان ، وأخرجه  
مسلم في كتاب فضائل الصحابة .
- ( ٣ ) بمعنى : وما نحب أن لو لم تكن همنا لقول الله عز وجل " والله وليهما " .
- ( ٤ ) النساء آية ١٢٢ .
- ( ٥ ) يقع جنوب غربى المدينة ، والمسافة بينها وبين المدينة - بطرسيق  
القوافل القديمة التى سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم حوالى ٦٠ ميلا  
ويقع شمال مكة ، والمسافة بينهما - بطريق القوافل التى سلكها المشركون  
حوالى ٢٥٠ ميلا .
- انظر ( غزوة بدر ) للاستاذ باسئيل .
- قلت والمسافة اليوم بين المدينة وبدر بطريق السيارات فهو ١٠٠ كم ،  
وبين مكة وبدر ٣٤٣ كم .

( وأنتم أذل ) أى قليل العدد ولأنهم كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة

عشرون نفراً .

قال طوى : ولم يكن فيها فارس إلا المقداد<sup>(١)</sup> ، وكان منهم سيمسة

وسهمون من المهاجرين والباقيون من الأنصار وكان صاحب رأية المهاجرين

أمير المؤمنين طوى رضى الله عنه وصاحب رأية الأنصار قيس بن سمد بن عباد<sup>(٢)</sup>

وكان لهم يومئذ قليل سلاح فمن الله عليهم بالنصرة لهم مع قلة عدد هبهم

وعدتهم ( فاتقوا الله لعلكم تشكرون )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة المعروف بالمقداد بن الأسود .

وهذا الأسود الذى ينسب اليه هو الأسود بن عبد يخون الزهرى ، وإنما نسب اليه لأن المقداد حالفه ففتناه الأسود فنسب اليه . ويقال أيضا المقداد الكندى . وإنما قيل له ذلك لأنه أصاب دما فى بهرا فهرب منهم الى كنده فخالقهم ثم أصاب قبيهم دما فهرب الى مكة فخالف الأسود بن عبد يخون .

كنية أبو سعيد . وقيل أبو الأسود . وهو قديم الاسلام مسن السابقين . شهد بدرا وله فيها مقام مشهور وشهد أحدا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مناقبه كثيرة . كانسبت وفاته بالمدينة فى خلافة عثمان وكان عمره سبعين سنة . أسد الغابه ( ٢٥١/٥ - ٢٥٤ ) .

( ٢ ) قيس بن سمد بن عباد بن رديم بن حارثة الأنصارى الساعدى ، يكنى أبا الفضل . وقيل أبا عبد الله ، وقيل أبا عبد الملك .

كان من كرام أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأسخياهم ودهانتهم .

كان شريفاً قومه غير مدافع هو وأبوه وجمده ، صاحب قيس بن سمسند النبى - صلى الله عليه وسلم - هو وأبوه وأخوه سعيد بن سمد مسن عبادة .

قال أنس بن مالك : كان قيس بن سمد بن عبادة من النبى - صلى الله عليه وسلم - مكان صاحب الشرطة من الأمير .

الاستيعاب ( ١٢٨٩/٣ - ١٢٩٣ ) .

( ٣ ) آل عمران آيه ١٢٢ .

قوله تعالى ( اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ) قيل أراد به فسي  
يوم بدر ، وقيل فسي يوم أحد .

قال ابن عباس : ما قاتلت الملائكة في المعركة الا يوم بدر . (١) أي يكفيكم  
( أن يمدكم بكم ) الامداد هو اعانة الجيش بالجيش ، ومنه الصدود  
( بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ) . (٢)

قوله تعالى ( بلى ان تصبروا ) يعني بلى وعدكم أن تصبروا طويلاً  
المدو ( وتتقوا ) أي وتحذروا مخالفة الرسول ( ويأتوكم من فورهم  
هذا ) .

قال ابن عباس والحسن وأكثر المفسرين معناه : يأتوكم من وجوههم  
هذا .

---

( ١ ) قال ابن كثير بعد أن ساق الخلاف بين الفريقين في هذا الوعد متى  
كان قال " فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر . . . " . وهذا ما تسكن  
اليه النفس ، لأن الوعد بنصرة الملائكة للمؤمنين كان يوم بدر لا يوم  
أحد فقد كانوا في بدر قليلاً العدد والعدد ، وكانت غزوة بدر أول  
معركة حربية يلتقى فيها المؤمنون بالكافرين . ولأن سياق الآيات  
يشعر بأن الله - تعالى - قد ساقها ليستحضر في أذهان المؤمنين  
مستشهد غزوة بدر وما تم فيها من نصر بسبب صدق إيمانهم ،  
وطاعتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم حتى لا يعودوا إلى ما حدث من  
بعضهم في غزوة أحد من مخالفة للرسول صلى الله عليه وسلم .

( ٢ ) آل عمران آية ١٢٤ .

وقيل<sup>(١)</sup> معناه من غضبهم هذا لأنهم انما رجموا للحرب يوم أحد من  
 غضبهم ليوم بدر<sup>(٢)</sup> ( يمددكم ربكم بخمسة آلاف ) لم يود به خمسة آلاف سوى  
 ما ذكر من ثلاثة آلاف لأنهم أجمعوا<sup>(٣)</sup> على أن عدد الملائكة يومئذ خمسة آلاف

( ١ ) ذكره مجاهد والضحاك وأبو صالح . النكت والعيون ( ١ / ٣٤٢ ) .

( ٢ ) أصل الغور : القصد الى الشيء والأخذ فيه بجد ، وهو من قولهم  
 فارت القدر غور فوراً وفوراناً اذا غلت ، والخوز الغليان ، وفار  
 غضبة اذا جاش وفعله من فوره أى قبل أن يسكن ، والفوارة ما يفسور  
 من القدر ، واستمير للسرعة ؛ أى ان يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم  
 ربكم بالملائكة من حال أتيانهم لا يتأخر عن ذلك .

قال ابن جرير الطبري : " فالذى قال فى هذه الآية معنى قوله  
 تعالى : " من فورهم هذا " من وجههم هذا قصد الى تأويله :  
 ويأتوكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتدا\* مخرجهم السدى  
 خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين . وأما الذين قالوا : معنى  
 ذلك : من غضبهم هذا ، فانما عنوا أن تأويل ذلك ، ويأتوكم كفسار  
 قريب واتماعهم يوم أحد من ابتدا\* غضبهم الذى غضبوه لقتالهم الذين  
 قتلوا يوم بدر بها " .

( ٧ / ١٨٣-١٨٤ ) .

( ٣ ) دعوى الاجماع باطله ، لأن من الملما\* من يرى أن عدد الملائكة يومئذ  
 أربعة آلاف .

أخرج ابن جرير ( ١٧٤ / ٤ ) عن الشيبى أنه لما كان يوم بدر بلسخ  
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن كرز بن جابر الحنابلى يمدد  
 المشركين فشق ذلك عليه فأنزل الله ( ويأتوكم من قدرهم هذا ) ،  
 يعنى كرزاً وأصحابه المهزومة ، فلم يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين )  
 فبلغ كرزاً وأصحابه المهزومة ، فلم يمددكم ولم ينزل الخمسة وأمسدوا  
 بعد ذلك بألف منهم أربعة آلاف .

فكانه جعل ما وعدهم من ثلاثة آلاف خمسة آلاف وهذا نظير قوله تعالى  
 " بالذى خلق الأرض فى يومين <sup>(١)</sup> ثم قال بعده " وجعل فيها رواسى من  
 فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام <sup>(٢)</sup> ولم يرد به أربعة  
 أيام سوى ذلك اليومين لأنه قال بعده " فقضاهن سبع سموات فى يومين <sup>(٣)</sup>  
 وأجمعوا على أن خلق الكل كان فى ستة أيام لافى ثمانية  
 أيام بل أراد به أربعة أيام مع ذلك اليومين كذا <sup>(٤)</sup> هذا

( ١ ) سورة فصلت : الآية رقم ٩ .

( ٢ ) " " " " رقم ١٠ .

( ٣ ) " " " " رقم ١٢ .

( ٤ ) بعض المفسرين يرى أن الله تعالى قد أمد المؤمنين فى بدر بخمسة  
 آلاف من الملائكة ، لأنهم صبروا واتقوا وأتاهم المشركون من مكة فسروا  
 حين استفرهم أبو سفيان لانتقاذ الحير ، فكان المدد خمسة آلاف على  
 سبيل التدرج ، أى أمدوا أولاً بألف ، ثم صاروا ألفين ، ثم صاروا  
 ثلاثة آلاف . ثم صاروا خمسة آلاف لا غير . والى هذا الرواى ذهب الحسن  
 وقتادة .

وقال الشيبى : ان المدد لم يزد على الألف ، لأن المسلمين كان  
 قد بلغهم أن كرز بن جابر المحاربى يريد أن يمد المشركين بسلاح  
 وجند ، فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى " أن يكفكم أن  
 يمدكم بهم . . . الى قوله " مسومين " فبلغ كرز الهزيمة فرجع ولم يمدهم  
 فلم يمد الله المسلمين بالخمسة الآلاف أيضا .

أما ابن جرير الطبرى فقد اختار أن المسلمين وعدوا بالمسدد  
 بعد الألف ، ولا دلالة فى الآية على أنهم أمدوا بما زاد عن ذلك  
 ولا على أنهم لم يمدوا به ولا يثبت شئ من ذلك الا بنص . فقد قال

.../...

رحمه الله : " وأولوا الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : ان الله أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم - : أنه قال للمؤمنين " أكن بكمهكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة " . . . فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة ممددا لهم ثم وعدهم بمد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف ، ان صبروا لأعدائهم واتقوا الله ، ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ، ولا بالخمسة الآلاف ولا على أنهم لم يمدوا بهم .

وقد يجوز أن يكون الله - تعالى - أمدهم على نحو ما رواه الذين من أنبتوا أنه أمدهم ، وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك وغير جائز أن يقال في ذلك قول الا بخبر تقوم الحجة به ، ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله . غير أن في القرآن دلالة على أنهم أمدوا يوم بدر بألف ، وذلك قوله تعالى : " ان تستفيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين .

أما في أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أيمن منها في أنهم أمدوا ، ذلك لأنهم لو أمدوا لم يهزموا ونيل منهم ما نيل منهم . . . " .

والذي نراه أن رأى ابن جرير هو أقرب الآراء إلى الصواب .

( من الملائكة مسومين )<sup>(١)</sup> يقرأ بفتح الواو والمراد به المعلمين ، ويقرأ بكسر الواو فيكون فعل التسويم من الملائكة والتسويم الاطلاق بالعلامه<sup>(٢)</sup> وهو من السومه والسما وهو الحلامه<sup>(٣)</sup> .

واختفوا في علامة الملائكة يومئذ كيف كانت قال : عروة بن الزبير<sup>(٤)</sup> :

كانت الملائكة طوي خيل بلق عليهم عمام صفر<sup>(٥)</sup> .

وقال الحسن كانت عمام بيني مرسله خلف الظهور<sup>(٦)</sup> .

---

(١) آل عمران آية ١٢٥ .

(٢) قرأ ابن كثير والمصريان وعاصم بكسر الواو ، والباقون بفتحها .  
الغشرف في القوافل المشرقة ( ٢٢٤ / ٢ ) .

(٣) يقال : هي سيما حسنة ، وسيماء حسنة كما قال الشاعر :

غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيماء لا تشق طوي البصر .

يعني بذلك علامة من حسن ، فاذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها فسو حرب أو غيره قبل " سؤم نفسه فهو يسؤمها تسويماً " .

انظر تفسير الطبري ( ٧ / ١٩٠ ) شاعر .

(٤) عروة بن الزبير بن الصوام القرشي بن عويلد الاسدي أبو عبد الله المدني .

أحد الفقهاء السبعة وأحد طوائف التابعين - أخو عبد الله بن الزبير وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهم - .

مات سنة أربع وتسعين طوي الصحيح .

تقريب التهذيب ( ٢٣٨ ) مشاهير طوائف الأئمة ( ٦٤ ) .

(٥) رواه ابن جرير الطبري ( ٧ / ١٨٨ ) .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ( ٢ / ٩٥ ) .

وقال مجاهد : كانوا قد أطعوا من الصوف على أذناب الخيل ونواصيها  
وذلك سنة في خلق الشجران<sup>(١)</sup> وقد قال صلى الله عليه وسلم " سوموا فسان  
الملائكة قد سويت<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( وما جعله الله الا بشئ لكم ) أى بشارة لكم ( ولتطمئن  
قلوبكم به ) أى بوعده النصره ( وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم<sup>(٣)</sup> )  
يعنى بالضر على الملائكة والجند وأعرفوا النصر من عند الله<sup>(٤)</sup> .

(١) تفسير الطبري (٧/١٨٧) .

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧/١٨٦) عن عمير بن اسحاق قال  
" ان أول ما كان الصوف ليومئذ يعنى ليوم بدر - قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم " تسوموا فان الملائكة قد تسويت " .

قال الشيخ أحمد شاكر . وعمير بن اسحاق أبو محمد مولى بني  
هاشم ، روى عن المقداد بن الأسود وعمرو بن العاص ، وكان قسيس  
الحدِيث .

وقال أبو حاتم والنسائي : لا نعلم من روى عنه غير ابن عون .  
قال ابن معين ثقة . وقال أيضا : لا يساوى حديثه شيئا ، ولكن يكتب  
حديثه ، فهذا الحديث كما ترى مرسل وعن رجل يكتب حديثه فضلا  
يحتاج به .

(٣) آل عمران آية ١٢٦ .

(٤) البقرة الكريمة المقصود منها غرس الاعتماد على الله في قلوب المؤمنين  
، وتثبيت أمورهم اليه وبهتان أن النصر انما هو من الله وحده ، وليس  
من الملائكة أو من غيرهم ، لأن الملائكة أو غيرهم أسباب عاديه بمسئل  
عن التأثير الا اذا أراد الله ذلك .

فهو الخالق للأسباب والمسببات .

ولقد عرض القرآن في كثير من آياته على تثبت هذا المعنى فسوى  
قلوب المؤمنين عني لا يعتمدوا على الأسباب والسوائل التي يمسسون  
أيديهم ، ويختروا بها دون أن يلتفتوا إلى قدرة خالق الأسباب  
والوسائل ، ونسوا خالقهما أتاهم الفشل من حيث لم يحتسبوا  
وكان أمرهم فرطاً .



( ١ ) لمقطع طرفا من الذين كفروا ( أى قطعه منهم )  
ومنه أطراف الانسان لأنها قطع النفس . ( ٢ ) ثم من حمل الآيه على  
حرب بدر فقد كان ذلك القطع منهم يوم بدر فإنه قتل منهم سبعون وأسر  
سبعون أكثرهم رؤسا وهم .

ومن حمل الآيه على حرب أحد فقد قتل منهم سبعة عشر فيهم  
أصحاب الرايات فكانت النصرة للمسلمين ما لم يخالفوا أمر رسول الله فلما  
خالفوا أمره ذهب النصر منهم .

قوله ( أو يكتهم ) قال أبو عبيدة : أى يهلكهم . ( ٣ )

وقيل ( ٤ ) معناه يخزيهم وهو أصح .

وقيل ( ٥ ) معناه أو يصرعهم .

---

( ١ ) القطع كما يقول الراغب - فصل الشئ مدركا بالبصر كالأجسام ، أو مدركا  
بالبصيرة كالاشياء المحقولة . والمراد به هنا الاملاك والقتل .

( ٢ ) الطرف - بفتح الواو - جانب الشئ ، أو الجزء المتطرف منه كاليد اليمن  
والرجلين والرأس والمراد به هنا طائفة من المشركين .

( ٣ ) أبو عبيدة في معجم القرآن ( ١ / ١٠٣ ) .

( ٤ ) وهو قول لمقاتل وقتاده .

زاد المسير ( ١ / ٤٥٤ ) .

( ٥ ) وهو قول لأبي عبيد ، والبزوى والخليل .

زاد المسير ( ١ / ٤٥٤ ) .

والكبد والكبت الصرع على الوجه .

وفيه قول رابع \* يكبتهم <sup>(١)</sup> بمعنى يكبدهم وذلك أن يخزبهم حتى

وصل الحزن إلى أكبادهم .

والعرب تسمي الحزين أسود الكبد من تأثير الحزن وفيه قول الشاعر <sup>(٢)</sup>:

الأعداء والأكباد سود .....

( فينظبوا خائبين ) <sup>(٣)</sup> أي لا يدركون ما أطوا - يقال \* رجح فلان

من الضيعة بالضيعة <sup>(٤)</sup> إذا لم يدرك أطمه .

---

( ١ ) وهو قول للبهريين شميل ، واختاره ابن قتيبة .

زاد المسير ( ١ / ٤٥٥ ) .

( ٢ ) البيت للأعشى وقد سبقت ترجمته .

وهو في ديوانه صفحة ٣٢٣ ، وروايته .

فما أجمت من اثيان قوم هم الأعداء والأكباد سود .

وأعسيت : على البناء للمجهول من أجمه الأمر : إذا كلفه آياه

فتحطه بشقة .

وإثيان قوم : يقصد يوم صاحبت التي انصرفت عنه . عدو أسود

الكبد : أحرقت كبده المداوه .

( ٣ ) آل عمران آية ١٢٧ .

( ٤ ) الأرنؤال لإبن سائد .

قوله تعالى ( ليس لك من الأمور شيء ) روى الزهري<sup>(١)</sup> عن سالم<sup>(٢)</sup>  
من أبيه عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم كان يلعب في  
القنوت قوماً من المشركين مده فغزل قوله " ليس لك من الأمور شيء " فمترك  
اللعن في القنوت .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) الزهري : محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب بن  
عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الفقيه . أبو بكر .  
الحافظ ، المدني .  
أحد الأئمة الأعلام ، وعالم المعجاز والشام متفق على جلالته  
واعتماده .

توفي سنة خمس وعشرين ومائة . وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين .  
تهذيب التهذيب ( ٤٤٥ / ٦ ) .

( ٢ ) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب المدوني ، أبو عمر ، ويقال  
أبو عبد الله المدني الفقيه .

قال ابن المسيب كان عبد الله بن عمر أشبه ولد عمر به ، وكان سالم أشبه  
ولد عبد الله به .

وقال مالك : لم يكن أحد في زمان سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من  
الصالحين في الزهد والفضل والحيث منه .

وقال أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه : أصح الأسانيد الزهري عن  
سالم عن أبيه .

قال ابن سعد : كان ثقة كثير الحديث عاليه من الرجال .

مات سنة ست ومائة في ذي القعدة أوزى الحجة .

تهذيب التهذيب ٣ / ٤٣٧ - ٤٣٨ .

( ٣ ) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده ( ٩٣ / ٢ ) والإمام البخاري في صحيحه

من كتاب التفسير ، باب آل عمران ( ٤٧ / ٦ ) .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم شج رأسه يوم أحد ، وكسرت رباهيته ،  
وأدمى وجهه ، وكان يأخذ الدم بكفه ويقول : كيف يفلح قوم غضبوا وجسسه  
نبيهم فنزل قوله " ليس لك من الأمر شيء " .

وقيل : أراد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو عليهم بدعا  
الاستئصال فنزل قوله " ليس لك من الأمر شيء " وذلك أنه تعالى علم أن فيهم  
من يسلم .

( أو يتوب عليهم أو يعذبهم ) انما نصبه على قوله " ليقطع طرفا " .  
ومعناه : ليس لك من الأمر فان يتوب عليهم أو يعذبهم فأمرك متابع لأمرى .  
أى أن تهت عليهم فبرحمتى وان عذبتهم فبظلمهم . فان قال قائل أى اتصال  
لقوله " أو يتوب عليهم " بقوله " ليس لك من الأمر شيء " ؟ قيل : معناه ليس  
لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم ، أو الى أن يتوب عليهم ومثلسه  
قول عمرو القيس :  
( ٢ )

فقلت له لا تترك عينك انما تحاول طكاً أو نموت فتمذرا  
أى حتى نموت فتمذرا .

( ١ ) أخرجه الامام مسلم فى صحيحه من كتاب الجهاد والسير ، باب  
غزوة أحد ( ١٢٩ / ٥ ) .

( ٢ ) عمرو القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر - أكل المرار - بن  
مسرو بن معاوية بن يفرود بن شور بن مرتع بن معاوية بن  
كندة .

والبيت فى ديوانه ( ٦٦ ) ، والكتاب ( ٤٢٧ / ١ ) المقتضب ( ٢٨٢ )  
ومختار الشعر الجاهلى ( ٥٨ / ١ ) .

وبحتمل<sup>(١)</sup> أنه على نسق قوله " ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكذبهم

أو يتوب عليهم أو يعذبهم " .

( فإنهم ظالمون ) : ليس لك في الأمر شيء ، والأمر أمرى في ذلك كله .

قوله تعالى ( والله يافس السبوات وما فى الأرض يخفون لمن يشاء ) ويعذب من

يشاء والله غفور رحيم ) . ( ما أمها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة )

قد ذكرنا الربا فى سورة البقرة<sup>(٤)</sup> وأعاد ذكره هاهنا<sup>(٥)</sup> تأكيداً .

( ١ ) قلت : رجح صاحب الكشاف هذا الوجه الذى عبر به المؤلف بقولسه :

" وبحتمل . . . فقال : " وقوله ليست لك من الأمر شيء " اعتراض . والمضى

أن الله مالك أمرهم ، فإما أن يهلكهم أو يهزمهم " أو يتوب عليهم " .

ان أسلموا ، " أو يعذبهم " ان أصروا على الكفر ، وليس لك من أمرهم

شيء ، إنما أنت عبيد مبغوث لا تذارهم ومجاهد تهم . . . " .

تفسير الكشاف ( ٤١٣ / ١ ) بتلخيص .

( ٢ ) آل عمران آية ١٢٨ .

( ٣ ) آل عمران آية ١٢٩ .

( ٤ ) الآيات من ( ٢٧٥ - ٢٧٩ ) .

( ٥ ) قلت : كلام المؤلف يوهم بأن هذه الآية نزلت قبل آيات البقرة فى

الربا والصحيح أن آيات الربا التى فى سورة البقرة هى من آخر

ما نزل على النبى - صلى الله عليه وسلم - من قرآن .

قال القفال : يحتمل أن تكون هذه الآية متصلة بما قبلها من

جهة أن المشركين فى غزوة أحد اغتفوا على عساكرهم أموالا كثيرة

جمعوها من الربا ، ولعل ذلك يصير داعياً للمسلمين إلى الاقدام

على الربا حتى يجمعوا المال وينفقوه على المسكر ، ويتمكنوا من

الانتقام منهم فلا جرم نهاهم الله عن ذلك .

والأضماف المضاعفة هو ما كانوا يفعلونه من تهديد الأجل بزيادة الدين (١) . ( واتقوا الله لعلمكم تفلحون ) (٢) أى كونوا على رجاء الفلاح ، بمنع من ترك الريا وفيه الفلاح ، وفى إعطاء الريا الهلاك .

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - " ما هلك قوم الا وقد فشا فيهم الريا والزنا " وهذه أيضا " كثرة الريا الى الله " .

قوله تعالى ( واتقوا النار التى أعدت للكافرين ) (٣) وهى معدة للكافرين فانها دار الخلود لهم (٤) . ( وأطيعوا الله والرسول لعلمكم ترحمسون ) (٥) أى كونوا على رجاء الرحمة .

قوله تعالى ( وسارعوا الى مغفرة ) أى بادروا الى مغفرة ( من ربكم ) . قال ابن عباس : معناه بادروا الى التوبه التى هى سبب المغفرة .

(١) كان الرجل فى الجاهلية اذا كان له على انسان مائة درهم - مثلا - الى أجل فاذا حل الأجل ولم يكن المدين واجدا لذلك المال ، قال زدنى فى المال حتى أزيد فى الأجل فربما جمعه مائتين ثم اذا حل الأجل الثانى جمعه مثل ذلك ، ثم الى آجال كثيرة فمأخذ بسبب تلك المائى أضمافها .

وقد حرم الله أصل الريا ومضاعفته ونقرضه تفسيراً شديداً فقال تعالى " الذين يأكلون الريا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبط به الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الريا وأهل الله البيع وحرم الريا " .

(٢) آل عمران آيه ١٣٠ .

(٣) آل عمران آيه ١٣١ .

(٤) فى ب ( فانها ذات الخلود فيهم ) كذا .

(٥) آل عمران آيه ١٣٢ .

وقيل : أراد به سؤال المغفرة . وفيه قول غريب أنه التكبيرة الأولى (٢) .

( وجنة عرضها السموات والأرض ) أي سمعتها كسعة السموات والأرض ( وفي الخبر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سئل إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض ) فأين النار ؟ قال : عليه السلام فإذا جاء الليل فأبسن يذهب النهار ؟ وإذا جاء النهار فأبسن يذهب الليل ؟ " ومعناه والله أعلم أنه حيث يشاء الله . (٥)

فإن قيل قد قال الله تعالى " وفي السماء رزقكم وما توعدون " (٦) وأراد بالذي وعدنا ، الجنة فإذا كانت في السماء فكيف يكون عرضها السموات والأرض ؟ .

قيل : إن باب الجنة في السماء وعرضها السموات والأرض كما أخبر .

- 
- ( ١ ) هو قول أنس بن مالك ومكحول . زاد المسير ( ١ / ٤٦٠ ) .  
 ( ٢ ) قال القرطبي : الآية عامة في الجميع ومعناها معنى " فاستهقسوا الخيرات " ( ٢ / ٢٠٣ ) .  
 قلت : أي سارعوا إلى كل قول أو عمل يقربكم إلى مغفرة الله .  
 ( ٣ ) ما بين القوسين ساقط من ب .  
 ( ٤ ) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند ( ٢ / ٣٣٥ ) وهو في تفسير الطبري ( ٧ / ٢١٠-٢١٢ ) .  
 ( ٥ ) قال ابن كثير في تفسيره لمعنى الحديث : " وهذا يحتمل معنيين ، أحدهما : أن يكون المعنى في ذلك : أنه لا يلزم من عدم مشاهدتها الليل إذا جاء النهار أن لا يكون في مكان ، وإن كنا لانعلمه ، وكذلك النار تكون حيث يشاء الله عز وجل ، وهذا أظهر .  
 والثاني : أن يكون المعنى : أن النهار ، إذا تنفس وجه المالم من هذا الجانب ، فإن الليل يكون من الجانب الآخر ... " ( ٢ / ٩٩ ) .  
 ( ٦ ) الذاريات آية ٢٢ .

وقيل : أراد به في القيامة فان الله يزيد فيها فيصير عرضها السموات والأرض اذا وصلت السموات والأرض بعضها ببعض وأما طولها فلا يعلمه الا الله (١) ( أعدت للمتقين ) (٢) . ( الذين ينفقون في السراء والضراء ) (أى في المسر والمسر) (٣).

(١) قلت : أجاب الفخر الرازي على هذا التساؤل بقوله و قال عليه السلام : فوق صفة الفردوس " ستقها هوش الرحمن " وروى أن رسول هرقل سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال انك تدعو الى الجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار ؟ فقال النسبي - صلى الله عليه وسلم - سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار .

والمعنى والله أعلم أنه اذا دار الغلظك حصل النهار فسي جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب ، فكذا الجنة في جهة الملو والنار في جهة السفلى ، وسئل أيس بن مسالك عن الجنة أفي الأرض أم في السماء ؟ فقال وأى أرض وسما تسع الجنة ، قيل فأين هي ؟ قال فوق السموات السبع تحت المرش .  
التفسير الكبير (٦/٥) .

(٢) آل عمران آية ١٣٣ .

(٣) معنى الجنة الكريمة أنهرغفوا في تعامله الله ، فلم يبظروهم الرخاء فينسيهم ولم تنعمهم الضراء فيمخلوا .



( والكاذمين الغيظ ) كظم الغيظ هو أن يبتلى غيظاً فيمنع نفوذه من قلوبهم كظم الهمير لحدث إذا ردها إلى جوفه .<sup>(١)</sup>

وفى الخبر " من امتلأ غيظاً وكظمه غيظه الله في الحور المسكين <sup>(٢)</sup>

(١) قال القرطبي : " كظم الغيظ رده في الجوف . يقال كظم غيظه إذا سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إبقائه محذوه . وكلمت السقاء : أي ملأت وسودت عليه . والكظام : ما سد به مجرى الماء . ومنيسه الكظام للسور الذي يسد به فم الرّف والغربة . وكظم الهمير حرته إذا ردها في جوفه .

وقد يقال لحمسه الجره قبل أن يرسلها إلى فيه كظم حكاة الزجاج يقال كظم الهمير والناقة إذا لم يجترأ ، ومنه قول الراعي :  
فاضن بمد كظومهن بجرة من ذى الأبارق إذا رعين خفيلاً  
ومنه رجل كظيم ومكظوم إذا كان متلثاً غماً وحرناً .  
وفى التنزيل " وابتضت عبقة من الحزن فهو كظيم " ظل وجهه مسوداً وهو كظيم " إذ نادى وهو مكظوم " والمغيظ أصل الغضب ، وكثيراً ما يتلازمان لكن فرقان ما بينهما أن الغيظ لا يظهر في الجوارح بخلاف الغضب فإنه يظهر في الجوارح مع فعل ما ولا يد ، ولهذا جاء أسنان الغضب إلى الله تعالى إذ هو عبارة عن أفعاله في الغضب عليهم .

الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٠٦ - ٢٠٧) بتلخيص .

(٢) الحديث أخرجه أبو داود من كتاب الأدب ، باب من كظم غيظاً (١٣٧/٥) حديث رقم ٤٧٧٧ ط . دار الحديث حمص سورية .

ورواه الترمذي من أبواب السهر والصلة ، باب من كظم الغيظ . وقال هذا حديث حسن غريب (٣/٢٥١) .

وابن ماجه من أبواب الزهد ، باب الحلم ٤٢٣/٢ ، كليم بلفظ " من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، حتى غيره في أي الحور شاء " .

( والعافين عن الناس ) قيل عن المالِكِ سوءُ الأدبِ . وقيل طس  
العموم من كافة الناس<sup>(١)</sup> ( والله يحب المحسنين ) .

قوله تعالى ( والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم ضادون  
الزنا من القبلة والممانقة واللمس والصنم ونحوه ) ذكروا الله فاستغفروا  
لذنوبهم ) سبب نزول الآية ما روى أن رجلا بالمدينة يقال له نهبسان  
كان تمارا فجاءته امرأة تشتري منه الثغر فأعجبه جمالها فقبلها فذكر الله  
وندم واستغفر فنزلت الآية " والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا أنفسهم  
ذكروا الله<sup>(٢)</sup> أى ذكروا وعيد الله " فاستغفروا لذنوبهم<sup>(٣)</sup> ( ومن يخفى سر  
الذنوب الا الله ولم يصدروا على ما فعلوا ) الاصرار هو المقام على المعصية

( ١ ) قال ابن عطية " هذا حسن على جهة المثال . قلت وما عثر منه الشيخ  
يقيل هو الذى تلمس الى النفس وهو أنها على العموم .

( ٢ ) آل عمران آية ١٣٤ .

( ٣ ) ذكره الواجدى فى أسباب النزول بدون سند صفحه ( ١١٨ ) .

( ٤ ) قال الفخر الرازى : واطمأن وجه النظام من وجهين :-  
الأول : أنه تعالى لما وصف الجنة بأنها معدة للمتقين بتسعين أن  
المتقين قسمان : أحدهما الذين أقبلوا على الطاعات  
والعبادات ، وهم الذين وصفهم بالانفاق فى السر والنجوى  
والضراء ، وكثام الفيض والمفوء عن الناس .  
وثانيهما : الذين أنذبوا ثم تابوا وهو المراد بقولنسه  
تعالى " والذين اذا فعلوا فاحشة " .  
وبين سبحانه أن هذه الفرقة كالفرقة الأولى  
فى كونها متقيه .

الثانى : أنه فى الآية الأولى تدب الى الاحسان الى الخير ،  
وتدب فى هذه الآية الى الاحسان الى النفس فان المذنب  
اذا تاب كانت توبته احسانا منه الى نفسه .

انظر التفسير الكبير ( ٩ / ٩ ) .

من غير توبه ، فقله " ولم يصبوا " أى لم يقيموا ولم يمشوا على ما فعلوا<sup>(١)</sup>  
 " وهم يعلمون " أن الله لا يتعاطاه المفوع عن الذنب وان كثر الذنوب .  
 وقد روى عن محمد بن صبيح<sup>(٢)</sup> أنه قال : " صليت خلف عثمان ، فلما انصرف  
 من صلاته قال : ان الله تعالى يقول " ولم يصبوا على ما فعلوا وأنا قد صليت  
 من غير طهارة ناسيا وها أنا أتوضأ ، فذهب وأعاد الصلاة " .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) قال القرطبي : " ولم يصبوا " أى ولم يشبهوا ويصرفوا على ما فعلوا .  
 وقال مجاهد : أى ولم يمشوا .  
 الجامع لأحكام القرآن ( ٢ / ٢١١ ) وانظر ترجيح الطبري لهذا  
 القول ( ٢ / ٢٢٥ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ١٣٥ .

( ٣ ) محمد بن صبيح ، بصرى ، روى عنه الحسن البصرى ، رأى النبي - صلى  
 الله عليه وسلم - وهو صفيير ، لما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم -  
 وأبو بكر ومرا بخيبر أم محمد ، فبعث النبي - صلى الله عليه وسلم -  
 محبدا وهو صفيير ، فقال : أدع هذه الشاة ، ثم قال : يا غلام هات  
 فرقا - " أنا " يسع ستة عشر مدا " فأرسلت أن لا لبن فيها فقسا  
 النبي - صلى الله عليه وسلم - هات فمسح ظهرها فاجترت ودوت ثم  
 حلب فشرب وسقى أبا بكر وعامرا ومحمد بن أبي محمد ثم رد  
 الشاة .

الاصابه ( ٥ / ٢١٩ - ٢٢٠ ) والاستحمام ( ٣ / ١٤٢٦ - ١٤٢٧ ) .

( ٤ ) لم أجده .

( وأولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها ونعم أجر العاملين ) .<sup>(١)</sup>

ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ جِزَاءَ الذَّاكِرِينَ الْمُسْتَغْفِرِينَ .<sup>(٢)</sup>

وَقَدْ وَرَدَ فِي الِاسْتِغْفَارِ أَخْبَارٌ نَحْوُ : مَا رَوَى مَرْقُوطٌ " مَا أَصْرَ مِنْ اسْتِغْفَرٍ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً " .<sup>(٣)</sup>

وَرَوَى أَسْمَاءُ بِنْتُ الْحَكَمِ الْفَزَارِيَّةُ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَدِيثًا يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهِ مَا شَاءَ ، وَإِذَا سَمِعْتَ مِنْ غَيْرِهِ فَلْيَقْبِهِ عَلَيْهِ فَإِذَا حَلَفَ صِدْقَتَهُ ، وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ صَادِقٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ " مَا مِنْ عَبْدٍ يَذُنُّ فِتْوَاهُ وَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ " .<sup>(٤)</sup>

(١) آل عمران آية ١٣٦ .

(٢) قال القرطبي : " رتب الله بفعله وكرمه غفران الذنوب لمن أخلص في توبته ولم يصر على ذنبه " .  
الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٥) .

(٣) رواه أبو داود من باب الاستغفار حديث رقم (١٥٠٠) - عون المصنف (٣٧٨/٤) ورواه الترمذي من أبواب الدعوات ، باب رقم (١) ٢١٨/٥ بلفظ ( ما أصر من استغفر ولو فعله في اليوم سبعين مرة " .  
وقال : هذا حديث غريب إنما تصرفه من حديث أبي بصير وليس أسناده بالقوى .

(٤) أسماء بنت الحكم الفزارية . وقيل السلمي ، أبو حسان الكوفي . قال السجلى : كوفي تابعي ثقة .  
تهذيب التهذيب (١/٢٦٧ - ٢٦٩) .

(٥) الحديث : رواه الإمام أحمد في المسند برقم (٤٨) و(٥٦) . وكذلك رواه الترمذي من كتاب التفسير تفسير آل عمران (٤/٢٩٦) .

وأعلم أن الاستغفار تسهيل للأمر على هذه الأمة ، فإن الذين قبلنا كان الواحد منهم إذا أذوب زنبواً يظهر على بابه ( ان اقطع )<sup>(١)</sup> مسن نفسك عضو كذا ، وكان لا بد له منه .

وقد أخرج الله تعالى هذه الأمة عن الذنوب بالاستغفار كراهية لهم وتيسيراً عليهم .

وسئل ابن المعتز إذا كان الله تعالى واسع الصفرة ، وسعت رحمته كل شيء ، فما منعه أن يرحم الكافر ؟ فقال : ان رحمته لا تغلب حكمته<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( قد خلقت من قبلكم سنن ) قرأ ابن مسعود : " قدمضت " وهو بمعنى خلقت<sup>(٣)</sup> .

السنة : هي الطريقة المتبعة في الخير والشر .<sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) في ب ( فاذن اقطع ) كذا .

( ٢ ) تفسير الطبري ( ٢١٩ / ٧ ) .

( ٣ ) أصل الخلو في اللفه : الانفراد ، والمكان الخالي هو المنفرد مسن يسكن فيه ، ويستعمل أيضاً في الزمان بمعنى المضي ، لأن ماضي انفراد عن الوجود وخلا عنه ، وكذا الأمم الخالية .  
راجع الجامع لأحكام القرآن ( ٢١٦ / ٤ ) .

( ٤ ) السنن : هي المشال المتبع ، والامام المؤمن به ، يقال منه " سن فلان فينا سنة حسنة ، وسن سنة سيئة اذا عمل عملاً اتبع عليه من خير وشر " .  
تفسير الطبري ( ٢٣٠ / ٧ ) .

وقد قال صلى الله عليه وسلم في المجوس \* سنوا بهم سنة أهل  
الكتاب<sup>(١)</sup> وكانت شراً لهم . قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :-  
وان الأئمة بالطيف من آل هاشم      تأسوا فسنوا للكرام التأسيا

قال ابن عباس : سنن من قبلهم ، وهو وقائع الله على الكفار .  
وقال غيره : هي الأعلام والآثار التي كانت .  
وحقيقة المصنف أنها طرائق الله في الكفار بقطبهم وسببهم وتخريب  
ديارهم ونحوه .

قال الزجاج : قد خلت من قبلهم سنن أي أهل سنن .  
( فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين )<sup>(٣)</sup>

---

( ١ ) رواه الامام مالك في الموالأ من كتاب الزكاة .

( ٢ ) الشاعر هو سليمان بن قتية .

رقته أمه ، وهو مولى لتميم قريش ، وهو من التميميين .  
روى عن أبي سعيد الغدري ، وابن عمر ، وابن عباس ، وعمر بن العاص ،  
ومعاوية .

ترجم له البخاري في الكبير ( ٣٣ / ٢ / ٢ ) وابن أبي حاتم ( ١٣٦ / ١ / ٢ )  
والمصنف في تفسير الطبري ( ٢٣١ / ٧ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ١٣٧ .

قوله تعالى ( هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ) (١) .

قال الشمسي : بيان من الصمى وهدى من الضلالة وموعظة من الجهل .  
فالبيان هو اظهار معنى الكلام ، والموعظة هي الدعاء الى الحق بالترقيب والترهيب .

قوله تعالى ( ولا تهنوا ولا تحزنوا ) أى ولا تضعفوا ولا تجبنوا ولا تحزنوا (٢)  
( وأنتم الأظون ) أى يكون لكم الماقبة والنصره .

وقيل انما قال " وأنتم الأظون " لأن المسلمين كانوا على أعلى الجبل  
والمشركين فى أسفل الجبل . (٤)

---

(١) آل عمران آيه ١٣٨ .

(٢) البيان : الكشف عن الشئ ، وبيان الشئ : اوضح ، وفلان أبين  
من فلان ، أى : أفصح .  
زاد المسير ١ / ٤٦٥ .

(٣) انوار غدير القرطبي (٤ / ٢١٦) .

(٤) " وأنتم الأظون " جملة عالية من ضمير الجماعه فى ولا تهنوا ولا تحزنوا  
والمقصود بها بشارتهم وتسليةهم وادخال الطمأنينه على قلوبهم .  
أى لا تضعفوا ولا تحزنوا والحال أنكم أنتم الأظون الغالبون دون  
عدوكم ، فأنتم قد أصبتم منهم فى غزوة بدر أكثر مما أصابوا منكم  
فوزوا بحد وأنتم تقاطون من أجل اعلاء كلمة الله وهم يقاطون فى  
سهل الطافوت .

وقوله ( ان كنتم مؤمنين ) (١) أى ولا تهنوا ان كنتم مؤمنين لأن الايمان  
يزيد القوة فلا يورث الوهن . (٢)

قوله تعالى ( ان يمسيكم قرح ) يقرأ بفتح القاف وضمها . (٣)

وقال الفراء : القرح بالفتح الجواحه والقرح الأكم .

وقال الكسائى : هما عبارتان عن معنى واحد ، والاكترون على القول

الأول .

وقوله " ان يمسيكم قرح " خطاب للمسلمين فيما مسهم يوم أحسب

( فقد من القوم قرح مثله ) أى مس الكفار يوم بدر قرح مثل ما مسكم يوم

أخذ ( وطك الأيام نداولها بين الناس ) فتارة تكون الدولة للمسلمين

على الكفار ، وتارة للكفار على المسلمين .

قال الزجاج : الدولة تكون للمسلمين على الكفار ، وقد كانت الدولة

للكفار على المسلمين لما خالفوا أمر الرسول ، فان لم يخالفوا أسره

---

(١) آل عمران آية ١٣٩ .

(٢) قال القرطبي " فى هذه الآية بيان فضل هذه الأمة ، لأنه خاطبهم بما

خاطب به أنبياءه ، لأنه قال لموسى : " انك أنت الأطفى " وقال لهذه

الأمة : " وأنتم الأطفون " وهذه اللفظة مشتقة من اسم الأطفى فهسو

سبحانه العلى ، وقال للمؤمنين : " وأنتم الأطفون " .

انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/٢١٧) .

(٣) قرأ حمزة والكسائى وخلف وأبو بكر بضم القاف ، وقرأ الباقر بفتحها .

النشر فى القراءات المشروحة (٢/٢٣٤) .



كانت الدولة للمسلمين أبدا لقوله تعالى (١) وان جندنا لهم الغالبون (٢) وقوله  
تعالى " فان حزب الله هم الغالبون " (٣) وليعلم الله الذين آمنوا (٤) وقرأ ابن مسعود وليلى الله الذى آمنوا ، والقرأة المعروفة " ولعلهم " .

فان قال قائل ما معنى قوله " ويعلم الله الذين آمنوا " وهو عالم بهم  
أبدا ؟ قيل معناه ويعلم الصابرين على الجهاد فى مواطن الجهاد  
ويعلمهم معاملة من يظيهم فيعلمهم ، والعلم بالجهاد فى مواطن الجهاد  
انما يقع بعد وقوع الجهاد . وقيل العلم الأول علم الوقوع الغيب .

( ١ ) الصافات آية ١٧٣ .

( ٢ ) المائدة آية ٥٦ .

( ٣ ) تكلم الامام الروزى عن الحكمة فى مداولة الأيام بين الناس فقال ما ملخصه :  
وأعلم أنه ليس المراد من هذه المداولة أن الله - تعالى - ينصر المؤمنين  
وأخرى ينصر الكافرين ، وذلك لأن نصرة الله منصب شريف ، واغترار  
عظيم فلا يليق بالكافر ، بل المراد من هذه المداولة أنه تارة يشدد المحنة  
على الكفار وأخرى على المؤمنين والفائدة فيه من وجوه :-  
الأول : أنه - سبحانه - لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الأوقات  
وأزالها عن المؤمنين فى جميع الأوقات بالحصل العلى  
الاضطرارى بأن الايمان حق وما سواه باطل ، ولو كان كذلك  
ليبطل التكليف والثواب والعقاب ، فلهذا المعنى تارة يسلب  
الله المحنة على أهل الايمان وأخرى على أهل الكفر لتكسبون  
الشبهات باقية ، والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل  
الدالة على صحة الاسلام فيحظم ثوابه عند الله .  
والثانى : أن المؤمن قد يقدم على بعض المصائب ، فيكون تشديد  
المحنة عليه فى الدنيا أبدا ، وأما تشديد المحنة على الكافر  
فانه يكون غضبا من الله عليه . . . . .

انظر التفسير الكبير ١٥/٩ .

وقوله " وليعلم " بمعنى علم المشاهدة والوقوع والمجازاة على طس  
 الوقوع لا على علم الغيب ( ويتخذ منكم شهداء ) والله لا يحب الظالمين (١)  
 بمعنى أنه ما جعل اليد للكفار يوم أحد لمحبه إياهم ولكن ليبتليكم ويجعلكم  
 شهداء .

قوله تعالى ( وليعلم الله الذين آمنوا ) وكل هذا على نسق قولته  
 " ليقطع طرفا وكذلك قوله " وليعلم الله الذين آمنوا " والتحصين ، قيل :  
 هو التخليص وهو قول الحسن . (٢)  
 وقال مجاهد : هو بمعنى الإبلاء ، وحقيقته . (٣)

ومعنى التحصين : التطهير من الذنوب .

تقول الحرب : معنى فنا ذنوبنا ، أى طهرنا من الذنوب (٤) وبمعنى  
 الكافرين (٥) ومعنى الآية أنهم ان قتلوكم فذلك تطهير لكم ، وان قتلتموهم  
 فذلك محق لهم واستئصال (٦)

(١) آل عمران آية ١٤٠ .

(٢) وهو قول الزجاج والخليل وحكى عن المبرد .

زاد المسير (٤٦٧/١) وفتح القدير (٣٨٥/١) .

(٣) وهو قول السدى ومقاتل والحسن وابن عباس .

تفسير الجبى (٢٤٤/٧-٢٤٥) وزاد المسير (٤٦٧/١) .

(٤) التحصين من المعنى ، بمعنى التقية والتخليص . يقال محصت الذهب  
 بالنار ومحصته إذا أزلت منه ما يشوبه من خبث . أو من التحصين بمعنى  
 الإبلاء .

(٥) آل عمران آية ١٤١ .

(٦) "ومحق الكافرين " أى ينقصهم ويفنيهم .

يقال منه " محق فلان هذا الطعام " إذا نقصه أو أفناه ، ومحقه محقا .  
 ومنه قيل للمحاق القمر محاق ، وذلك نقصانه وفناؤه .

تفسير الجبى (٢٤٥/٧) .

قوله تعالى ( أم حسبتم ) أي حسبتم <sup>(١)</sup> ) أن تدخلوا الجنة ولما يعلم  
الله الذين جاهدوا منكم ) أي ولم يعلم الله الذين وقع منهم الجهاد  
( ويعلم الصابرين ) <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ولقد كنتم تمنون الموت ) سبب نزول الآية أن الذين  
تحلفوا من حرب بدر من المسلمين قالوا لما انقضت حرب بدر لو كان لنا يوم  
مثله فنقاتل ونقتل ونستشهد فلما كان يوم أحد انهزموا وهربوا فزلت  
الآية " ولقد كنتم تمنون الموت " <sup>(٣)</sup> أي سبب الموت وهو الجهاد

---

( ١ ) يرى كثير من العلماء أن " أم " هنا منقطعة ، بمعنى بل الانتقالية  
لأن الكلام انتقل من تسليتهم إلى معاتبتهم على ما حدث منهم فسب  
غزوة أحد من مخالفة بعضهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وفراهم عنه في ساعة الشدة . كما قال تعالى في سورة البقرة :  
( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم  
مستهم البأساء والضراء ) الآية . وقال تعالى : ألم أحسب  
الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ) .

انظر فتح القدير ( ٣٨٥ / ١ ) وابن كثير ( ١٠٧ / ٢ - ١٠٨ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ١٤٢ .

( ٣ ) انظر لباب النقول صفحته ( ٥٩ ، ٥٨ ) ، وانظر تفسير الطبري  
( ٢٤٩ / ٧ - ٢٥٠ ) .

از لا يجوز أن يتعنى الموت بقتل الكافر (١) ( من قبل أن تلقوه ) أى يلقون  
 سببه من الجهاد ( فقد رأيتهم وأنتم تنظرون ) (٢) فان قبل ما معنى قوله  
 " وأنتم تنظرون " وقد قال " فقد رأيتهم " قبل يحتفل الرواية بمعنى  
 العلم فقال " وأنتم تنظرون ليعلم أن المراد بالرواية هاهنا الشكر قاله  
 الأُخفش ، وقيل انما قاله تأكيداً وقيل معناه " وأنتم تنظرون " الى  
 (٣)  
 محمد .

(١) قليل القرظي " تعنى الموت يرجع من المسلمين الى تعنى الشهادة  
 المبينة على الثبات والصبر على الجهاد ، لا الى قتل الكفار لهم ،  
 لأنه معصية وكفر ولا يجوز ارادة المعصية ، وعلى هذا يحمل سسؤال  
 المسلمين من الله أن يرزقهم الشهادة ، فيسألون الصبر على الجهاد  
 وان أدى الى القتل .

تفسير الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٢١ .

(٢) آل عمران آية ١٤٣ .

(٣) " وأنتم تنظرون " جملة حالية من ضمير المخاطبين مؤكدة لمعنى رأيتهم .  
 أى رأيتهم مما يبين له ، وهذا على حد قولك : رأيت وليس في بيتي  
 عليه . أى رأيت رؤيته حقيقة لا خفاً فيها ولا التباس .

والنظر الذي قرره الله تعالى بقوله " وأنتم تنظرون " يتضمن النظر  
 الى الموقعة كلها ، وكيف كان البصر في أول الأمر للمسلمين ، ثم كيف  
 كانت الهزيمة بعد ذلك بسبب تطلع بعضهم الى أعراض الدنيا ، ثم كيف  
 تفرقت صفوفهم بعد اجتماعها ، وكيف تفضضت بعض الفرائس  
 بعد مضائها وقوتها .

قوله تعالى ( وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ) سبب  
 نزول الآية أن المسلمين يوم أحد لما وقعت الهزيمة عليهم ، ووقع القتل  
 فيهم ، صاح الشيطان - عليه ما يستحق - ألا أن محمداً ( قد ) قتل (١) ،  
 فقال المسلمون خذوا لنا الأمان من أبي سفيان ، وقال من كان في قلبه  
 نفاق ارجعوا الي دينكم الأول فإن محمداً قد قتل فنزله (٢) قوله " وما محمد  
 الا رسول قد خلت من قبله الرسل " ( أفائن مات أو قتل ) يعني الرسول مات  
 أو قتل ( انقلبتم على أعقابكم ) يعني هو على رسالته وثبوت مات أو قتل ،  
 فلما انقلبتم على أعقابكم ( ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئاً ) انما  
 يضر نفسه ( وسيجزى الله الشاكرين ) (٣) .

وروي أن أنس بن النضر لما سمع قول الشيطان أن محمداً قتل ،  
 اخترب سيفه وتوجه الى الكفار وقال ان قاتل محمد وقتل ووصل الي ما وصل  
 فأنا أقاتل حتى أقتل وأصل الي ما وصل اليه ، فقاتل حتى قتل .

( ١ ) زيادة من ب .

( ٢ ) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن عطية العوفى دون سند ( ١٢٠ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ١٤٤ .

( ٤ ) أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم

بن مدي بن النجار الأنصاري - عم أنس بن مالك الأنصاري .

قتل يوم أحد شهيداً .

الاستيعاب ( ١ / ١٠٨ - ١٠٩ ) .

( ٥ ) تفسير الطبري ( ٧ / ٢٥٣ - ٢٥٥ ) .

وقال كعب<sup>(١)</sup> بن مالك : أنا أول من رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم أحد بعد صباح الشيطان ، وعرفته بعينيه تمت المفسر فقلت هذا رسول الله هو ، فأشار إلي أن أسكت .

قوله تعالى ( وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ) تقديره وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله بقضائه وقدره<sup>(٢)</sup> ( كتابها مؤجلا ) تقديره كتسب كتابها مؤجلا<sup>(٣)</sup> ( ومن يرد ثواب الدنيا نوءه منها ) فان قيل نحن نرى من يريد الدنيا فلا يؤتى . قيل معناه لا تمنع منه ما قدر له من ثواب الدنيا

( ١ ) كعب بن مالك بن أبي كعب . واسم أبي كعب ، عمرو بن القيسين

ابن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعيد بن علي بن أسد ابن سارده بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصاري يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أبا عبد الرحمن .

شهد العقبة الثانية ، واختلف في شهوده بدرًا .

كان أحد شعراء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين كانوا يردون الأذى عنه . وكان مجودًا مطبوعًا .

توفي زمن معاوية سنة خمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين وهو ابن سبع وسبعين وكان قد هوى وذهب بصره في آخر عمره .

الاستيعاب ( ٣ / ١٣٢٣ - ١٣٢٤ ) .

( ٢ ) هذا حش على الجهاد ، وإعلام أن الموت لا بد منه وأن كل انسان مقتول أو غير مقتول ميت إذا بلغ أجله المكتوب له ، لأن معنى مؤجلا<sup>(٣)</sup> إلى أجل .

الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٢٢٦ .

( ٣ ) توكيد ، والمعنى : كتب الله ذلك كتابها مؤجلا ، أي كتابها زنا أجل .

بسبب كسره (١) ( ومن يود ثواب الآخرة نومه منها ) فان قيل وهل يوتى  
ثواب الآخرة لجرد الارادة ؟ .

وقيل محتاه ومن يود بالعمل وهذا كما يقال فلان يريد الجنة أى يعمل  
للجنة ( وسنجزى الشاكرين ) بمعنى المؤمنون (٢) .

قال علي رضي الله عنه \* أبوبكر امام الشاكرين (٣) أى امام المؤمنون  
رضي الله عنه .

قوله تعالى ( وكأين من نبي قاتل ) معه رجون كثير (٤) أى وكم ممن  
نبي قاتل : قال جرير : (٦)

وكأين بالأبطال من صد ينسق يرانى ان أصيب هو المصائبنا

(١) هذا تمريض بمن شغلوا بجمع الفنائم من الجهاد مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم - أو بمن تركوا أماكنهم التي وصفهم فيها رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - وسارعوا إلى جمع حطام الدنيا ، فنتج من ذلك هزيمة  
المسلمين في غزوة أحد .

(٢) آل عمران آية ١٤٥ .

(٣) الأثر : في تفسير الطبري (٢٥٢/٧) وسيرة ابن اسحاق (١١٨/٣) .

(٤) سقط من الآية في ب .

(٥) \* كأين \* بمعنى كم .

قال الخليل وسيبويه : هي أى دخلت عليها كاف التشبيه وبينت معها فصار  
في الكلام معنى كم وصورت في المصنف نونا ، لأنها كلمة نقلت عن أصلها  
فغير لفظها لتغير معناها ثم كثر استعمالها فطمعت بها العرب  
وتصرفت فيها بالقلب والحذف فحصل فيها لفات أربع قرى بها .  
وقرأ ابن كثير \* وكأين \* مثل وكأمن ، على وزن فاعل وأصله كى ، فطمعت  
الياء ألفا كما طمعت في بيأس فقيل ياأس .

الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/٢ .

(٦) ديوانه (٢١) ط . بيروت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .

قال عكرمه : هذا وقف تام ومعناه كم نبي قاتل ومعه أصحابه ( فمسا  
وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ) أي ما جنهوا " وما ضعفوا " ( وما استكانوا )  
أي وما ذلوا وما خضعوا .

وقال الحسن ما قتل نبي في معركة قتل وإنما بمعنى الآية " وكأين من  
نبي قاتل معه ربيون كثير " . وأما القراءة الأخرى وكأين من نبي قاتل  
معه ربيون كثير <sup>(١)</sup> فمعناه ظاهر .

وأما الربيون ، قال ابن مسعود : هم ألوف . وقيل : هم مشرة  
الاف .

قال الحسن : الربيون الملما ، مأخوذ من الرب ، لأنهم على دين  
الرب وطريقه . <sup>(٢)</sup>

(١) قرأ ابن كثير وأبو جعفر بألف مدودة بعد الكاف ، ويحدها همزة  
مكسورة .

وقرأ الباقر بهمزة مفتوحة بعد الكاف ويحدها يا مكسورة مشددة .  
الفشرف في القراءات العشر ( ٢ / ٢٣٤ ) .

(٢) قال القرطبي ما ملخصه : والربيون - بكسر الراء - قرأ الجمهور . وقرأها  
بعضهم بضم الراء وقرأها بعضهم بفتحها .

والربيون : الجماعة الكثيره ، نسبة إلى الرب - بكسر الراء وضمها وهى  
الجماعة . . . ومنه يقال للخرقه التى تجمع فيها القداح ربه ورهسه .  
والرباب قهائل تجمعت .

وقال ابن عباس : ربيون - بفتح الراء - منسوب إلى الرب .

وقال الخليل : الربى - بكسر الراء - الواحد من الصباد الذين صبوا  
مع الأنبياء ، وهم الربانيون نسبوا إلى التأله والعباده ومعرفة الربوبية  
لله تعالى .

الجامع لأحكام القرآن ( ٢ / ٢٣٠ ) .



(١) . ( والله يحب الصابرين ) .

قوله تعالى ( وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا ) أى  
الصفائر ( واسرافنا فو أمرنا ) أى الكباشير ( وثبت أقدامنا وانصرنا طس  
القوم الكافرين ) (٢) .

قوله تعالى ( فأناهم الله ثواب الدنيا ) بمعنى النصرة والغنيمية  
( وحسن ثواب الآخرة ) .

قال ابن عباس : هو ان الله يهزل النبي وأصحابه فو قهاب مسن  
در وباقوت حتى يفصل بين الخلق (٣) .

وقيل : حسن ثواب الآخرة : أن يجازيهم على عملهم ويزيدهم  
من فضله ( والله يحب المحسنين ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا الذين كفروا ) بمعنى  
المجود والنصارى ( يردوكم على أعقابكم ) بمعنى اليهودية والنصرانية .

---

(١) آل عمران آيه ١٤٦ .

(٢) آل عمران آيه ١٤٧ .

(٣) لم أجد هذا القول لابن عباس فو كتب التفسير .

(٤) آل عمران آيه ١٤٨ .

وتقبل اراد به الضافين الذين قالوا يوم ارجعوا الي ديناكم  
الاول فان محمدا قد قتل فهذا معنى قوله تعالى " يردوكم على اعدائكم (١)  
( فتقبلوا خاسرين ) (٢) أي مضمونين . ( بل الله مولاكم وهو خير  
الناصرين ) (٤)

---

( ١ ) قال الألويسي ما ملخصه " والمراد من الذين كفروا أما المنافقون لأنهم  
هم الذين قالوا للمؤمنين عند هزيمتهم في أحد : ارجعوا الواخوانكم  
وانخلوا في دينهم .

وأما أبو سفيان وأصحابه وحينئذ فالمراد باطاعتهم الاستكانة  
لهم وطلب الأمان منهم . .

وأما اليهود والنصارى لأنهم هم الذين كانوا يلقبون بالشبه فسوي  
الدين ويقولون : لو كان محمد نبيا حقا لما غلبه أعداؤه .

وأما سائر الكفار .

تفسير الألويسي ٨٧/٤ .

( ٢ ) آل عمران آية ١٤٩ .

( ٣ ) التفسير بقوله " فتقبلوا " . . . يفيد أن اطاعة الكافرين يودي بالمؤمنين

الى انقلاب حالهم وانتكاس أمرهم ، وجمع أعلام أسفلهم . . وفي ذلك

مأنية من التفسير عن اطاعة الكافرين والاستماع الي وساوسهم .

( ٤ ) آل عمران آية ١٥٠ .

قوله تعالى ( سنلقن في قلوب الذين كفروا الرعب ) يعنى الخوف .  
قال صلى الله عليه وسلم : " نصرت بالرعب مسيرة شهر " . ( بما أشركوا  
بالله ) أى بشركهم بالله ( ما لم ينزل به سلطانا ) أى الذى لم ينزل به  
حجة . والسلطان الحجة .<sup>(١)</sup>

قال الله تعالى " هلك منى سلطانيه " أى حجتى . ( وماأواهم النار )  
مكانهم النار ( وبئس شوى الظالمين ) سبب نزول الآية أن الهزيمة  
لما وقعت على المسلمين يوم أحد ووقع القتل فيهم ، تشاور المشركون فيما بينهم  
وأجمعوا على أن يمودوا للقتال فمستأصلوا محمدا وأصحابه

---

( ١ ) الحديث رواه الامام مسلم فى صحيحه من كتاب المساجد ومواضع الصلاة  
٠ ( ٦٣ / ٢ )

وأخرجه الامام البخارى من كتاب المساجد ، باب قول النبى - صلى الله  
عليه وسلم - جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ومن كتاب الجهاد ، باب  
قول النبى - صلى الله عليه وسلم - نصرت بالرعب مسيرة شهر .

( ٢ ) تحليل ، أى كان سبب القاء الرعب فى قلوبهم اشراكهم . فما للمصدر .  
ويقال أشرك به أى عدل به غيره ليحمله شريكا .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٢ / ٢٣٣ ) .

( ٣ ) الحاقه آه ٢٩ .

( ٤ ) " سلطانا " حجة تبانا وعذرا وبرهاننا ، ومن هذا قيل للوالى سلطان ،  
لأنه حجة الله عز وجل فى الأرض .  
ويقال انه مأخوذ من السكب ، وهو ما يضاف به السراج وهو دهن  
السمسم .

( ٥ ) آل عمران آه ١٥١ .

فألقي الله تعالى الرعب في قلوبهم فمروا على وجوههم لا يلوون على شيء\*  
حتى يلقوا مكة فذلك قوله تعالى " سنلقي في قلوب الذين كفروا  
الرعب" (٢)

(١) انظر أسباب النزول للواحدى صفحه (١٢١) ، والدر الثمور (٨٣/٢)  
والطبرى (٢٨٠/٢) .

(٢) قال الفخر الرازى ما يخصه قوله " سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب.."  
اختلفوا في أن هذا الوعد هل هو مختص بيوم أحد ، أو هو عام فسي  
بجميع الاوقات ؟ .

قال كثير من المفسرين : انه مختص بهذا اليوم ، وذلك لأن جميع  
الآيات المتقدمه انما وردت في هذه الواقعه .

ثم القائلون بهذا القول ذكروا في كيفية القاء الرعب في قلوب  
المشركين في هذا اليوم وجهين :

الأول : أن الكفار لما استولوا على المسلمين وهزموهم أوقع الله  
الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم عن غير سبب .

والثانى : أن الكفار لما ذهبوا الى مكة ، فلما كانوا في بعض الطريق  
قالوا ما صدمنا شيئا ، فلما الأكثرين منهم ثم تركناهم ونحن  
قاهرون . أرجعوا حتى تستأصلهم بالكيبه فلما عزموا على  
ذلك ألقي الله الرعب في قلوبهم .

والقول الثانى : أن هذا الوعد غير مختص بيوم أحد ، بل هو  
عام ، كأنه قيل : انه وان لكم هذه الواقعه في يوم أحد ، الا أن الله  
- تعالى - سلقى الرعب منكم بعد ذلك في قلوب الكافرين حتى يقهر  
الكفار ، ويظهر دينكم على سائر الأديان .

وقد فعل الله ذلك حتى صار دين الاسلام قاهر الجميع الأديان والطل .  
انظر التفسير الكبير ٣٢/٩ .

قوله تعالى ( ولقد صدقكم الله وعده ) أى وعده صدقكم بالظفر والنصره .  
 وقد كانت النصره فى الابتداء للمسلمين يوم أحد (١) ( ان تحسونهم باذنيه )  
 أى تقتلونهم بقضا الله وقدره . والحسن : القتل . (٢) ومنه قول الشاعر (٣)  
 تحسهم السيف كما تحسهم  
 لهيب النار أجسم الحصين  
 ( حتى اذا فشلتم ) أى جبنتم ( وتنازعتم فى الأمر ) تقديره حتى اذا  
 فشلتم تنازعتم فى الأمر . والواو مقحمة قاله الفراء (٤) .

وقيل : فيه تقديم وتأخير وتقديره حتى اذا تنازعتم فى الأمر  
 فشلتم .

- ( ١ ) قال محمد بن كعب القرظى : لما رجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى المدينة بعد أحد وقد قال بعضهم لهم من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر ! فنزلت الآية .
- الجامع لأحكام القرآن ( ٢ / ٢٣٣ ) وأنظر أسباب النزول للواحدى ( ١٢١ ) .
- ( ٢ ) قال أبو عبيد : الحسن : الاستئصال بالقتل . يقال جراد محسوس اذا قطه البرد .  
 والبرد محسوس للهب ، أى محرقة له ذاهية به . وسنة حسوس أى جديته  
 تأكل كل شئ .  
 قال روييه :  
 اذا شكونا سنة حسوسيا تأكل بعد الأخضر اليسوسيا  
 وأصله من الحسن الذى هو الادراك بالحاسه . فمضى حسه أذهب  
 حسه بالقتل .  
 الجامع لأحكام القرآن ( ٢ / ٣٣٥ ) .
- ( ٣ ) البيت لجربور ، وهو فى ديوانه صفحه ( ٩٦ ) وروايته :  
 تحسهم السيف كما تحسهم  
 حريق النار فى الأجم الحصين .
- ( ٤ ) معاني القرآن ( ١ / ٢٣٨ ) .

( ١ ) وصيتم من بعد ما أراكم ماتحبون ) يعنى من الظفر والنفثيمسه  
 ( منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ) لأنهم اختلفوا على ما سذكرو  
 ( ثم صرفكم عنهم ليعتظكم ) أى كف أيديكم عنهم ليعتصمكم .

وقيل : لينزل البلاء عليكم ( ولقد غا عنكم والله ذو فضل ) عظيم  
 ( على المؤمنين ) <sup>(٢)</sup> والقصة فى ذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
 رأى فى منامه أنه ليس درهما حصينة حين نزل المشركون بأحد فأولها على  
 المدينة وشاور أصحابه فى الخروج الواحد فقالوا ان هذه بلدة ما دخل  
 علينا فيها أحد ولا تبع حين قدم وحتى يخرج اليهم ، فليس رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم درعين ووضع المنفر على رأسه وخرج فندسوا  
 وطموا أنه كان مراده أن يقيم فقالوا يا رسول الله تبع لرأيك وطلبوا منه  
 أن يرجع ان شاء فقال ما كان لنبى اذا ليس لأمة أن ينزعها حتى يقاتل  
 أو يحكم الله . ومضى معه ألف نفر فانخرل عبد الله بن أبى بن سلول  
 بثلاث الجيش ثلاثمائة نفر وبقى سبعمائة فلما وصل الى أحد بحث قوما  
 من الرماة وأجلسهم على موضع من جبل يخاف منه الكمين وأمر عليهم عبد الله  
 بن جبير الأنصارى <sup>(٣)</sup> ثم ابتدأ القتال مع المشركين فظفر عليهم وقتل جماعة

( ١ ) قال الفخر الرازى : فان قيل ما الفائدة فى قوله " من بعد ما أراكم  
 ماتحبون " ؟ فالجواب منه أن المقصود منه التبيه على عظام المعصية  
 لأنهم لما شاهدوا أن الله تعالى أكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم  
 أن يمتنعوا عن المعصية ، فلما أقدموا عليها لا جرم سلبهم الله ذلك  
 الاكرام وأزاقهم وبال أمرهم .

التفسير الكبير ( ٣٧ / ٩ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ١٥٢ .

( ٣ ) عبد الله بن جبير : بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة  
 ابن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصارى .

شهد الحقة وبدرا ، واستشهد بأحد ، وكان أمير الرفاة يومئذ .

الاصابة ( ٣٥ / ٤ ) .

من رؤسائهم وانهمزوا ولاح الظفر للمسلمين وساروا في أثرهم للفتنيمه  
 فلما رآه الرماة فقالوا ان المشركين قد انهمزوا ولاح الظفر حتى تسيير  
 على أثرهم ونضتم فقال لهم عبد الله بن جبير " لا تغارقوا هذا المكسبان  
 فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمركم أن تزموا هذا المكان فالزموه  
 فاخطفوا عليه وذهب أكثرهم ويقى عبد الله بن جبير مع نفر قليل من أصحابه  
 فلما مرى موضع الكمين من الرماة خرج عليهم خالد بن الوليد<sup>(١)</sup> من الكمين  
 وحمل عليهم بالقتل فاستشهدوا عبد الله بن جبير ومن يقى معه وعساكر  
 المشركون للقتال ووقع القتل في المسلمين وقتل منهم سبعون نفرا وانهمز  
 الباقون ويقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر قليل فذلك قوله  
 " ولقد صدقكم الله وعده " أى في الابتداء بالظفر والنصره " ان تحسونهم  
 باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر " يعنى أولئك الرماة الذين  
 اخطفوا " وعصيتهم " يعنى عصيتهم الرسول وخالفتم أمره " من بعد ما أراكم  
 يعنى من بعد ما أراكم الله تعالى ما تحبون من الظفر " منكم من يريد الدينار  
 هم الذين ذهبوا للفتنيمه " ومنكم من يريد الآخرة " الذين صبروا مع  
 عبد الله بن جبير .

( ١ ) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي  
 المخزومي أبو سليمان ، ويقال الوليد . كان أحد أشرف قريش في  
 الجاهلية .

شهد مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتح مكة فأهلوا فيها .  
 وأمره أبو بكر الصديق على الجيوش ففتح الله عليه اليمن وغيرها . وقتل  
 على يده أكثر أهل الردة منهم مسيلمة ومالك بن نويرة .  
 توفي بمصر ، وقيل بل توفي بالمدينة سنة إحدى وعشرين أو اثنتين  
 وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .  
 الاستيعاب ( ٢ / ٢٧٢ - ٤٣٠ ) .

( ٢ ) انظر تاريخ الطبري ( ٣ / ١٤ - ١٥ ) وتفسيره ( ٧ / ٢٥٤ ) ( ٧ / ٢٨٢ ) .

قال ابن مسعود : ما عطفنا أن أحدا منا يريد الدنيا حتى أنزل الله  
 هذه الآية <sup>(١)</sup> ثم صرفكم عنهم ليبيطكم\* بمعنى في الدفعة الثانية حين عاد  
 الشركون .

وهذا دليل لأهل السنة على أن أفعال العباد مخلوقة له حيث نسب  
 الله تعالى هزيمة المسلمين التي نفسه مع وقوع الفعل منهم قال \* ثم صرفكم  
 عنهم <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( إذ تصمدون ) وتقرأ بفتح التاء <sup>(٣)</sup> والصين ، فالاصماد  
 هو المشى في مستوى من الأرض ، والصمود : المشى في مرتفع من الأرض <sup>(٤)</sup> .

( ١ ) الأثر في تفسير الطبري ( ٢٩٤ / ٧ - ٢٩٦ ) .

( ٢ )

( ٣ ) أكثر القراء طو، ضم التاء وكسر الميم من " يصمدون " وهو مسن  
 الاصماد .

وروي إبان عن ثعلب عن عاصم فتحها . وهي قراءة الحسن ومجاهد  
 وهو من الصمود .

( ٤ ) انوار الجامع لأحكام القرآن وانوار تفسير الطبري ( ٣٠٠ / ٧ )

وفي فتح القدير \* قال أبو حاتم : أصمدت إذا مضيت حبال وجهك .  
 وصعدت إذا ارتقيت في جبل .

فالاصماد السير في مستوى الأرض ويطون الأودية .

والصمود : الارشاع على الجبال والسهول والسهول والدرج . فمحتمل  
 أن يكون صمودهم في الجبل بعد اصمادهم في الوادي . فيص  
 المعنى على القراءتين .

( ٣٨٩ / ١ ) .



والخطاب مع المسلمين الذين انهزموا بقوله " ان تصمدون ( ولا تطون على أحد ) أى تمطفون الى أحد ، ثم منهم من قال : أراد بالأحد الرسول ومنهم من قال : معناه ولا تطون على أحد من الناس ( والرسول يدعوكم فى أغراكم ) يعنى فى آخر الجيش وكان يدعوهم عباد الله إلى أنما رسول الله ، فلم يلتفتوا اليه ومضوا .

( فأتاكم غما بضم ) أى جازاكم . ثم اختطفوا :-

منهم من قال : الغم الأول هو القتل والهزيمة التى وقعت على المسلمين ، والغم الثانى هو الأرجاف من قول الشيطان أن محمدا قد قتل وقيل<sup>(٥)</sup> الغم الأول هو القتل والهزيمة ، والغم الثانى هو فسوات الظفر على المدو .

وقال الزجاج : معناه غموا الرسول بمخالفة أمره فجا زاهم الله تعالى بذلك الغم غم القتل والهزيمة<sup>(٦)</sup> " وانما سماه ثوابا لأنه موضع

- 
- ( ١ ) انظر تفسير الطبرى ( ٣٠٢ / ٧ ) .  
 ( ٢ ) هو قول لابن عباس . زاد المسير ( ٤٧٧ / ١ ) .  
 ( ٣ ) انظر تفسير ابن كثير ( ١١٨ / ٢ ) .  
 ( ٤ ) وهو قول لقتاده ومجاهد . تفسير الطبرى ( ١٥٢ / ٧ - ١٥٣ ) .  
 ( ٥ ) وهو قول السدى والزهرى . الطبرى ( ١٠ / ٧ - ٣١٢ ) .  
 ( ٦ ) قال ابن جرير الطبرى " وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : ( فأتاكم غما بضم ) فأتاكم بضمك أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم ، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ - بعد الذى أراكم فى كل ذلك ما تحبون - بمصيبتكم ربكم ، وغلافكم أمر النبى - صلى الله عليه وسلم - رغم غفكم أن نبيكم قد قتل ، وميل المدو عليكم بعد غلولكم منهم " .  
 تفسير ! لطفى ( ٣١٣ / ٧ ) .

الثواب كما قال " فبشرهم بمذاب اليم<sup>(١)</sup> " سعى المذاب بشاره لأنه وضمه  
موضع البشارة<sup>(٢)</sup> ( لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم ) من القتل والهزيمة  
منهم الله تعالى من الحزن على شيء " ابتلاهم الله به ووعده الثواب عليهم  
( والله خبير بما تعملون )<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة ) .

قيل : الامن والأمنه بمعنى واحسد<sup>(٤)</sup> .

وقيل : يكون مع زوال سبب الخوف ، فأما ما هنا فقال " أمنة نعماسا

يفشى طائفة منكم ) . قيل : فيه تقديم وتأخير ، وتقديره نعماسا أمنة .

وقيل : هو على نظمه مستقيم .

( ١ ) آل عمران آية ٢١ ، التوبة آية ٣٤ ، الانشقاق آية ٢٤ .

( ٢ ) قال ابن جرير " وسعى المقوية التي عاقبتهم بها " من تسليط عدوهم  
عليهم حتى نال منهم ما نال " ثوابا " ، ان كان عوضا من عليهم الذي  
سخطه ولم يرضه منهم ، فدل بذلك جل ثناؤه أن كل عوض كان لمعوض  
من شيء من الصل ، خيرا كان أو شرا ، أو العوض الذي بذله رجل  
لرجل ، أو يد سلفت له إليه ، فإنه مستحق اسم " ثواب " كان ذلك  
المعوض تكرة أو عقوبة ، ونظير ذلك قول الشاعر الفرزدق :  
أخاف زيادا أن يكون عطساؤه أدارهم سودا أو محدرجة سمسرا  
فجعل " الصل " القيود . وذلك كقول القائل لآخر سلف إليه  
منه مكروه " لأجازينك على فملك ، ولأشيتك ثوابك " .  
تفسير الطبري ( ٣٠٤ / ٧ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ١٥٣ .

( ٤ ) الامنه : - بفتحتين - مصدر كالامن . يقال أمن أمننا وأماننا  
وأمنة .

راجع تفسير الطبري ( ٢٩ / ٣ ) ( ٨٧ / ٤ ) .

ومعنى الآية أن الله تعالى أراد تمييز المؤمنين من المنافقين فأوسع  
النماس على المؤمنين أمانة لهم حتى آمنوا ولم يوقعه على المنافقين  
فبقوا على الخوف .

قال أبو طلحة <sup>(١)</sup> : أوقع الله تعالى علينا النماس ونحن تحت الحجر <sup>(٢)</sup>  
وقيل : أوقع النماس عليهم حتى كان تسقط السيوف من أيديهم ،  
وكذلك عبد الرحمن بن عوف <sup>(٣)</sup> والزبير أخيراً عن ذلك النماس كما أخبر  
أبو طلحة .

( ١ ) أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود بن حوام الأنصاري البخاري  
مشهور باسمه وكنيته . كان من فضلاء الصحابة وهو زوج أم سليم ، واختلف  
في وفاته فقيل : مات سنة أربع وثلاثين وصى عليه عثمان وقيل قبله  
بستين . الاصابه ( ٤ / ٥٦٦ - ٥٦٧ ) .

( ٢ ) روى البخاري في صحيحه عن أنس ، أن أبا طلحة قال : فخبنا النماس ونحن  
فمن مصافنا يوم أحد . قال : فجعل سيفي يسقط من يدي وأخذته ، ويسقط وأخذته .  
وروى ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٧ / ٣١٧ ) والترمذي ( ٢ / ١٢٥ ) عن أنس  
من أبي طلحة قال : رفعت رأسي يوم أحد ، فجعلت أنظر وما منهم يومئذ  
أحد إلا يمد تحت حجفته من النماس ، فذلك قوله تعالى " ثم أنزل عليكم  
من بعد الفم أمانة نماساً " قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

( ٣ ) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث ، ويقال بن عبد الحارث  
ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . القشيري ، الزمهرى  
يكنى أبا محمد .

ولد بحد الغيل بحشر سنين ، وأسلم قبل أن يدخل رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - دار الأرقم . وكان من المهاجرين الأولين .  
شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو أحد  
العشرة الذين شهد لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنسية .  
توفي سنة إحدى وثلاثين ، وقيل سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن خمس وسبعين  
سنة بالمدينة .

الاستيعاب ( ٢ / ٨٤٤ - ٨٥٠ ) .

وعن الزبير أنه قال : لما أوقع الله النماس علينا سمعنا محتب بن  
 قشير يقول : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا وكنت كاف فسي  
 النوم أسمع فذلك قوله " يمشى طائفة منكم " بمعنى المؤمنين ( وطائفة  
 قد أهتمهم أنفسهم ) بمعنى المنافقين ( يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية  
 يقولون هل لنا من الأمر شيء ) قال ( قل ان الأمر كله لله يخفون فسي  
 أنفسهم ما لا يهدون لك ) ثم فسر ذلك فقال ( يقولون لو كان لنا من الأمر  
 شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى  
 مضاجعهم ) أي خرج الذين كتب عليهم القتل الى مصارعهم . وفي هذا  
 دليل على أن الأجل في القتل والموت واحد كما قال أهل السنة .

قوله تعالى ( وليبئس الله ما في صدوركم ولبيئس ما في قلوبكم والله  
 عليم بذات الصدور ) (٣)

قوله تعالى ( ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ) يعني الذين  
 انهزموا من المسلمين يوم أحد . فانه لما وقعت الهزيمة على المسلمين انهزم  
 أكثرهم ولم يبقى مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الا أربعة عشر نفرا ، سبعة

( ١ ) روى ابن جرير عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه قال : سألت  
 عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل " ثم أنزل عليكم من بعد الغم  
 أمفة نماسا " قال : ألقى علينا النوم يوم أحد .  
 تفسير الطبري ( ٣١٨ / ٧ ) .

( ٢ ) رواه ابن جرير ( ٣٢٣ / ٧ ) وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي .

( ٣ ) آل عمران آية ١٥٤ .

من المهاجرين . وسهقة من الأنصار .

وقيل : ثلاثة عشر وستة من المهاجرين ، وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة  
وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص (١) .

وهي الرواية الأولى كان السابع الزبير ، وكان طلحة أشد نكابة من  
الكار يومئذ .

وقيل ان يوم أحد لطلحة .

وقيل ان كان وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد ضرب  
طوى يده فشلت وبقيت كذلك .

وأما سعد وهو رامي ، وكان يرمى بين يديه ويقول له الرسول ارم  
فداك أبي وأمي .

وأما الذين انهزموا فقد لحق بعضهم بالمدينة فيهم عثمان ورجسج  
بعضهم طوى الطريق فيهم عمر فذلك قوله ( انما استزلهم الشيطان ) أى  
اللبزلتهم يقال استعجل فلان أى طلب عجلته ومعناه ان الشيطان  
استزلمهم واستزلهم حتى انهزموا (٢) .

(١) هو سعد بن مالك بن أهيب ، ويقال له ابن وهيب ، بن عبد مناف بن زهرة  
ابن كلاب القرشى . أبو اسحاق ، ابن أبي وقاص . أحد المشركين ، وآخروهم  
موتا . كان أحد الفرسان وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله . وهو  
أحد الستة أهل الشورى . كان مجاب الدعوة مشهورا بذلك .  
مات سنة احدى وخمسين . وقيل ست ، وقيل سبع ، وقيل ثمان ، والثاني أشهر .  
الاصابه (٢/٧٣-٧٧) .

(٢) قال الراغب : " استزله اذا تعزى زلت " وقوله تعالى " انما استزلهم الشيطان  
بهمش ماكبوا " أى استجرهم الشيطان حتى زلوا فان الخطيئة الصغرى  
اذا ترغى الانسان فيها تصير سهله بسبيل الشيطان طوى نفسه " والزلمة  
فى الأصل : استرسال الرجل من غير قصد .  
مفردات القرآن للراغب الاصفهاني صفحه (٢١٤) .

وقوله ( بمعنى ما كسبوا ) بمعنى من مخالفة الرسول ( ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلِيم ) ( ١ ) .

قال الزجاج : كان سبب انهزامهم ان الشيطان وسوس اليهم ان عليكم ذنوبا فكرهوا القتل قيل ان يتوبوا من الذنوب فذلك قوله انما استرلهم الشيطان بمعنى ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلِيم .

روى أن رجلا جاء الى ابن عمر وقيل الى ابن عباس ، والأصح الحسن بن عباس . وقال الحسن بن عثمان لم يشهد بدرًا قال نعم . فقال الحسن لم يشهد بيعة الرضوان قال نعم قال الحسن انهزم يوم أحد قال نعم فقال الرجل الله أكبر .

فصرف ابن عباس أنه أراد الفتنة فدعاها قال علام يوم بدر ؟ فان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد خلفه على ابنته كانت مريضة وقال له لك أجر من شهد وسهم واحد من شهد وهو بدرى بقول الرسول ، وأما بيعة الرضوان فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث عثمان الى مكة رسولا ولو كان بينهم في الوادي أعز منه لبعثه ، ولما بايعهم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله على يمينه وقال هذه يد عثمان

---

( ١ ) آل عمران آية ١٥٥ .

وهذه يدي ، أما انهزامه يوم أحد فقد عفا الله عنه ولا يهيبني شيء

( ١ )  
عفا الله عنه .

### - فصل -

وأما ما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فإنه كان قد  
هشمت البيضة التي كانت على رأسه وأدى وجهه وكسر جبينه فجاء  
الى المدينة وكانت فائمة تغسل وجهه وطفى رضى الله عنه يأتي بالما في  
المجن وكان يخلب الدم ، حتى احترقت حصىا فلما صار رمادا جملوه  
في الجراحه فاستمسك الدم .

( ١ ) لم أجد هذا الأثر ولكن جاء في الدر المنثور : " أخرج أحمد وابن المنذر  
عن شقيق قال لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد  
مالى أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان فقال له عبد الرحمن أخبره أنسى  
لم أفر يوم عينين يقول يوم أحد ، ولم أتخلف عن بدر ، ولم أترك سنة عمرو  
فانطلق فخبير بذلك عثمان فقال أما قوله انى لم أنس يوم عينين فكيف يميونى  
بذلك وقد عفا الله عنى فقال : " ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان  
انما استزلبهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ، وأما قوله  
انى تخلفت يوم بدر فانى كتبت أمرى رقبته بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
وسلم - حتى ماتت وقد ضرب لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسهم  
ومن ضرب لى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسهم فقد شهد ، وأما قوله  
لم أنزل سنة مر فانى لا أطيقها ولا هو فإنه محدث بذلك ( ١٩ / ٢ ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ) يحسن  
 المنافقين ( وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الأرض ) أراد اخوانهم في النسب  
 لا في الدين . ( ١ )

" ضربوا في الأرض " أي سافروا ( ٢ ) ( أو كانوا غزاة ) جمع غساز  
 ( لو كانوا عندنا ماتوا وما قتلوا ) وهذا قول المعتب بن قشير وعبد الله  
 ابن أبي بن سلول وجد بن قيس ( ليحمل الله ذلك حسرة في قلوبهم  
 والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ) ( ٤ )

قوله تعالى ( ولئن قتلتهم في سهل الله أو مت ) لئن خرجتم فقطلتهم  
 أولم تخرجوا فتمت ( لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ) ( ٥ ) من الدنيا  
 وتطلبون الحياة الآجلة .

( ١ ) قلت : هذا رأى المؤلف ووافق عليه بعض المفسرين ، ويرى بعضهم  
 أن المراد بالأخوة هنا الاخوة في النفاق والاتجاه والمذهب ، ولعل  
 هذا هو الأولى ، لأن هذا القول دار بين المنافقين وليس يلزم أن  
 تكون بينهم جميعا رابطة نسب ودم .

( ٢ ) نقل صاحب زاد المسير عن الزجاج أنه قال : " وانما قال " اذا ضربوا "   
 ولم يقل " ان ضربوا ، لأنه يريد : شأنهم هذا ، هذا . تقول فلان  
 اذا حدث صدق ، واذا ضرب صبر . " واذا " لما يستقبل ، والا انه  
 لم يحكم له بهذا المستقبل الا لما قد خبر منه فيما مضى .  
 زاد المسير ( ١ / ٤٨٤ ) .

( ٣ ) كراخ وركح ، وصائم وصوم ، ونائم ونوم .

( ٤ ) آل عمران آية ١٥٦ .

( ٥ ) آل عمران آية ١٥٧ .



قوله تعالى ( ولئن تم أو قتلتم لآلى الله تحشرون ) <sup>(١)</sup> بمعنى كيف ما خرجتم من الدنيا فمشركم الى الله تعالى .

قوله تعالى ( فيما رحمة من الله ) أى فبرحمة ، وما للمصلحة ، ( لنت لهم ) وهذه صفة المؤمنيين وقد قال صلى الله عليه وسلم : المؤمنون هينون لهيئون كالجمل الأنثى ان قيد انقاد وان استتيخ على صخرة استتاخ (ولو كتمت فظا ) وهو الجافى غموظ القلب ، أى قاسى القلب .

(١) آل عمران آية ١٥٨ .

(٢) قال القرطبي : " ما " صلة فيها معنى التأكيد ، أى فبرحمة كقوله " ما قليل " " فيما نقصهم ميثاقهم " " جند ما هنالك مهزوم " ولمست بزائده طسسى الاطلاق . وانما اطلق عليها سمويه معنى الزيادة من حيث زوال عطيا .  
الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٤٨) .

(٣) رواه الامام أحمد فى المسند (٤/١٢٦) وابن ماجه فى المقدمة بساب رقم (٦) .

(٤) فى زاد المسير (١/٤٨٦) قال الركباج : الفظ : الضليظ الجانب السى " الخلق ، يقال فظظت شظ فظاظية وفظيظا . والفظ : ماء الكرش والفورث ، وانما سعى فظا لفظ مشبه . فأما الضليظ : القلب فقيل : هو القاسى القلب ، فيكون ذكر الفظاظية والضليظ . وان كانا بمعنى واحد . توكيدا .

وقال ابن عباس : الفظ فى القول والضليظ القلب فى الفعل .

( لا نفصوا ) لثغر قوا . ( من حولك فأعرف عنهم واستخفروا لهم وشاورهم في الأمر ) المشاوره هي استخراج الرأي . وكانت المشاوره جائزته للثغر صلى الله عليه وسلم . في أمور الدنيا ، فأما في أمور الدين فملى التفصيل ، أن كان في شئين يجوز كلاهما ، جازت المشاوره ، كما شاورهم في أسارى بدر حيث كان يجوز القتل والفداء .

والثاني في أمور تثبت نضا كالصوم والصلاة ولا يجوز فيها المشاوره .  
الثالث في شئ \* لأنه فيه فهو بناءً على ان اجتهاده هل كان سابقاً أم لا ؟ فإن ساء اجتهاده جازت شاورته والا فلا . ولأى شئ كسان يشاور ؟ .

قال الضحاك : لمعتد به وليستين بسنته وهو قول لسفيان الثوري .  
وقال قتاده : ثلثها لظواهرهم .

( ١ ) يقال انه من شرت المسمل ، واتشدوا :-

وقاسمها بالله حقاً لأنتم الد من السلوى اذا ما نشئوها  
قال الزجاج : يقال شاورت الرجل مشاورة ومشورا ، وما يكون عن ذلك  
اسمه المشوره وبعضهم يقول : المشوره . ويقال فلان حسن الصوره والشوره  
أى حسن الهيئة واللباس . ومعنى قولهم شاورت فلانا أظهرت ما هتسده  
وما عندي .

وشرت الدابه ، اذا امتحنتها فمرفت هي فتها في سيرها . وشرت المسمل  
اذا أخذته من مواضع النحل . وعسل مشار . قال الأضوي :  
كأن القرنفل والزنجبيل باقا بنفيها وأرنا مشــــــــــــاراً  
زاد المسير ( ٤٨٦ / ١ - ٤٨٧ ) .

( ٢ ) في تفسير الباجري وزاد المسير وهو قول لسفيان بن عيينه .

( ٣ ) وهو قول الزهني وابن اسحاق ومقاتل : زاد المسير ( ٤٨٨ / ١ ) .

( فاذا عزمت فتوكل على الله ) أى لا تتوكل على المشاورة ، وإنما توكل

على الله ( ان الله يحب المتوكلين ) (١)

( ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم

من بعده ) لأن الامتناع عن النصرة عند الحاجة ( وطمى الله فليتوكل

المؤمنون ) (٢)

قوله تعالى ( وما كان لنهى أن يخجل ) يقرأ بقراءتين فمن قرأ بفتح

الياء وضم الضمين فمعناه أن يخون (٣)

قال ابن عباس : سبب نزول الآية ان يوم بدر فقدت قطيفة حمراء

فقال بعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرسول أخذها فنزل قوله (٤)

(١) آل عمران آية ١٥٩ .

(٢) آل عمران آية ١٦٠ .

(٣) قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو بفتح الياء ، وضم الضمين ومعناها يخون

- كما ذكر المؤلف - وقرأ الباقر بنضم الياء وفتح الضمين ولها وجهان :-

أحدهما : أن يكون المعنى يخان ، ويجوز أن يكون يلغى خائناً .

يقال أغلقت فلاناً ، أى وجدته غالا ، كما يقال أحقته وجدته

أحسق . وأحمدته وجدته محموداً قاله الحسن بن

وابن قتيبة .

والثانى : يخون قال الفرأ ، وأجازة الزجاج ورد ابن قتيبة فقال :

لو أراد يخون ، يقال يخلل كما يقال يفسق ويخون

ويفجر .

زاد المسير ( ٤٩١ / ١ ) .

(٤) رواه أبو داود والترمذى وابن أبي عاتم وقال الترمذى حسن غريب . وانظر

أسباب النزول للواحدى ( ١٢١ ) ولباب النقول ( ٥٩ ) .

" وما كان لنبي أن يخذل " .

وقال محمد بن كعب القرظي : معناه وما كان لنبي أن يكتم شيئا  
من الوحي ويخون فيه .<sup>(١)</sup>

وفيه قول ثالث<sup>(٢)</sup> : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان قد همست  
بلائح فهم أن لا يمطهم من الفنائم شيئا فنزل<sup>(٣)</sup> قوله " وما كان لنبي  
أن يخذل " أي يخان .

قال قتاده : أن يخان منه ، أي لا تخونوه .

وقيل : معناه أن ينسب إلى الفلول .

وقيل : معناه أن يفسد غالا وهذا غريب من معنى القراءة الأولى .

والفلول الخيانة . والفعل الحقد . والفعل : الماء الذي يجري بين  
الشجر ، ومنه قول الشاعر<sup>(٤)</sup> :

لمب السيف به فأصبح ساوّه      غلا يقطع في أصول الخسروع

---

(١) انظر تفسير الطبري والأثر الذي رواه في ذلك ( ٣٥٢/٧ ) عن  
سلمة بن ابن اسحاق .

(٢) ذكره الضحاك . تفسير الخازن ( ١/٤٤٠ ) .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري من طريق سلمة بن نبيل عن الضحاك .  
وهو في أسباب النزول للواحدى صفحه ( ١٢٢ ) .

(٤) البيت للمعويذره . وهو في اللسان مادة ( غل ) .

وفى الخبر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم ، اخلاص الى الله ، ونصيحة ولاة الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين فان دعوتهم تحييل من وراءها ( ومن يخلل ) أى ومن يخن ( يأت بها غل يوم القيامة ) .

قيل : يأت بها غل بيمينه يوم القيامة وذلك . معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - فيها روى عنه لا ألفين أحدكم يأتى يوم القيامة وعلو رقبة فرس له حمحمه قد غلته فيقول يا محمد يا محمد فأقول لا أغنى عنك من الله شيئاً إلا قد بلغت ولا ألفين أحدكم يأتى يوم القيامة وعلو رقبة شاة لها شفا<sup>(٤)</sup> قد غلها فيقول يا محمد يا محمد فأقول لا أغنى عنك من الله شيئاً إلا قد بلغت . ولا ألفين أحدكم يأتى يوم القيامة وعلو رقبة بخير له رغاء<sup>(٥)</sup> قد غلته

( ١ ) رواه ابن ماجه فى المقدمة باب رقم ( ١٨ ) ( ١٨٤ / ١ ) ، ومن كتاب المناسك باب رقم ( ٧٦ ) ، وأخرجه الدارمى فى المقدمة باب رقم ( ٢٤ ) ، والاصم أحمد فى المسند ( ٢٢٥ / ١ ) ( ٨٠ / ٤ ) - ( ٨١ ) ( ١٨٣ / ٥ ) .

( ٢ ) ألفين : بضم الهمزة وبالفاء المكسورة ، أى لا أجدن أحدكم على هذه الصفة .

( ٣ ) الحمحمه : صوت الفرس دون الصهيل كالذى يكون منه اذا طلب الحلف ، أو رأى صاحبه الذى كان ألفه ستأنس اليه . مسلم شرح النووى ( ٢١٦ / ١٢ ) ط دار الفكر بيروت .

( ٤ ) الشفا : صوت الشاة والماعز والظبا وما شاكلها . شفت الشاة تشفو . صاحت . يقال : ماله ثاغيه ولا راغيه . الثاغيسية الشاه والراغيه الابل .

( ٥ ) الرغاء : صوت ذات الخبز كالابل ، وقد يستعار لغيره : رغسا البحر يرغو .

فيقول يا محمد يا محمد فأقول لا أغنى عنك من الله شيئاً ألا قد بلغت (١) .

والقول الثاني أنه أراد به يأتي باسم ماغل يوم القيامة (٢) .

وقى الخبر أن رجلاً كان طوى ثقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فاستشهد فقال الناس هوفى الجنة . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -

هوفى النار فطلب فإذا هو قد غل عبادة من المنضم (٣) ثم توفى كسل

نفس ماكسبت ( أى جزاء ماكسبت ) وهم لا يظلمون (٤) .

---

(١) رواه الامام البخارى من كتاب الجهاد والسير ، باب الخلول وقول الله

تعالى ومن يغفل يأت بما غل (٣٧/٤)

والامام مسلم فى صحيحه كتاب الامارة ، باب غلظة تحريم الخلول ١٠/٦

(٢) قلت : جمهور الملمة على أن الخان يأت بما غل يوم القيامة بمعنى على

سبيل الحق يقه لأن ظواهر النصوص من الكتاب والسنة تؤيد ذلك ،

ولأنه لا موجب لصرف الألفاظ عن ظواهرها .

قال الفخر الرازى فى رده على القول الثانى " وأطم أن هذا

التأويل مجازى ومحتمل إلا أن الأصل المعتبر فى علم القرآن أنه

يجب اجراء اللفظ على الحقيقة إلا اذا قام دليل يمنع منه . وهنا

لا مانع من هذا الظاهر فوجب اثباته .

التفسير الكبير (٧٣/٩) .

(٣) أخرجه الامام مسلم من كتاب الايمان ، باب غلظة تحريم الخلول وأنه

لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (٧٥/١) .

(٤) آل عمران آيه ١٦١ .

قوله تعالى ( أفمن اتبع رضوان الله ) يعنى بترك الضلول ( كمن باء بسخط من الله ) يعنى بالضلول . وقيل (١) : معناه " أفمن اتبع رضوان الله " بمخالفة الرسول " كمن باء بسخط من الله " بمخالفة الرسول (٣) (٤)

( ١ ) ذكره سعيد بن جبير والضحاك والجمهور . زاد المسير ( ٤٩٣ / ١ ) .

( ٢ ) ذكره ابن اسحاق والزجاج . تفسير الطبري ( ٣٦٥ - ٣٦٦ / ٧ ) وزاد المسير ( ٤٩٣ / ١ ) .

( ٣ ) رجح الامام ابن جرير الطبري القول الأول فقال : " وأولى التأويلين بتأويل الآية عندى قول الضحاك بن مزاحم ، لأن ذلك عقيب وعيبه الله على الضلول ونهيه عباده عنه ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده : أسوأ المطيع لله فيما أمر ونهاه والماضي لغير ذلك ؟ أى انهما لا يستويان ولا تستوى حالتهما عنده لأن لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه الجنة ، ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار . تفسير الطبري ( ٣٦٦ / ٧ ) .

قلت : وما رجحه الطبري الصق لمناسبة الآية ، وإن كان يمكن حمل الآية على المصوم فلا يستوى من اتبع رضوان الله فيما شرعه فاستحق رضوان الله ، ومن استحق غضب الله وألزم به فلا محيد له عنه .

( ٤ ) قلت : ساق سبحانه هذا الكلام الحكيم بصيغة الاستفهام الانكسارى للتشبيه على أن عدم المساواة بين المحسن والمسيء أمر بدهى واضح لا تختلف فيه المقول والأفهام وأن أى انسان عاقل لو سئل عن ذلك لأجاب بأنه لا يستوى من اتبع رضوان الله مع من رجح بسخط عظيم نفسه بسبب كفره أو فسقه . وشبهه بهذه الآية قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستويون .

وقوله " أم نجعل الذين آمنوا وعلوا الصالحات كالفسادين فى الأرض " .

( وما واه جهنم وشم المصير )<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( هم درجات عند الله ) .

قال مجاهد : لهم درجات عند الله ، بمعنى المؤمنين .

وقال غيره تقديره هم ذو درجات عند الله ، بمعنى المؤمنين والمنافقين

فالمؤمنون ذو الدرجات الرفيعة ، والمنافقون ذو الدرجات الخسيسة

ومثله قول الشاعر :<sup>(٢)</sup>

أنصب للمنية تترهبهم رجالى ، أم هم درج السيول ؟

أى ذو درج السيول ( والله بصير بما يحطون )<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( لقد من الله على المؤمنين ) أى أنعم والمنة النعمة

والعن القطع<sup>(٤)</sup> ومنه قوله تعالى " لهم أجر غير ممنون"<sup>(٥)</sup> أى غير مقطوع

---

( ١ ) آل عمران آية ١٦٢ .

( ٢ ) البيت لابن هرمه وهو إبراهيم بن علي بن سلمه بن هرمه ، وهو من مشغرمو الدولتين يكنى أبا اسحاق .

والبيت فى تفسير الطبرى ( ٣٦٨ / ٧ ) ومجاز القرآن ( ١٠٧ / ١ ) والخزانة ( ٢٠٣ / ١ ) واللسان ( درج ) ولغته ضد الطبرى وأبو عبيدة .

أرجعاً للمنون يكون قومى لربب الدهر أم درج السيول ؟

( ٣ ) آل عمران آية ١٦٣ .

( ٤ ) قال الرازى : قال الواحدى : للمن فى كلام العرب معان :

أعدها : الذى يسقط من السماء ، وهو قوله : " وأنزلنا عليكم المسن والسلوى " .

وثانيتها : أن تمن بما أعطيت كما فى قوله " لا تبألوا صدقاتكم بالمسن والأذى " .

وثالثتها : القطع كما فى قوله " وإن لك لأجراً غير ممنون " .

ورابعها : الانعام والاحسان الى من لا تطلب الجزاء منه - وهو المراد هنا .

التفسير الكبير ( ٨٧ / ٩ ) .



وسميت النعمة منه لأنها مقطوعة عن الحسن والشدائد .

وقوله تعالى ( ان بحث فيهم رسولا من أنفسهم ) قيل (١) هذا في العرب خاصة لأن الرسول بحث من بني اسماعيل الى العرب ، وقيل (٢) هو على العموم في حق الكافة فإنه بحث بشور مثلهم وموضع المنه في بحثه من أنفسهم للعرب أنه كان شرفا لهم حيث بحث الرسول منهم وأيضا فان القرآن نزل بلسان العرب إذ كان الرسول عربيا وكان التعلم سهلا عليهم لكونه أقرب الى أفهامهم ، فالمنة في السهولة عليهم ولأنه لصا نشأ فيهم وعرفوا صدقه وأمانته وكان أميا مثلهم ، كان يحسن الحظ ولا يعلم شيئا ولا سافر ثم أتى بكتاب يخبر عن القرون الماضية وقصص الأولين ووافق الكتب المنزلة قبله كان أقرب الى قلوبهم فكان يسهل طريق الايمان عليهم . (٣)

وقوله ( يطوا عليهم آياته ويزكيهم ) أي يشهد بتزكية سائر الأمم ويجعلهم أذكيا . وقيل يطهرهم من الذنوب (٤) ويعلمهم الكتاب .  
يعنى القرآن ( والحكمة ) .

قال ابن عباس : الفقه والشرايع . وقال غيره : السنه ( وان كانوا من قبل لغو خلال ميين ) (٥) أي ما كانوا من قبل الا في خلال ميين .

( ١ ) ذكر هذا عن عائشه والجمهور . زاد السير ( ١ / ٤٩٤ ) .

( ٢ ) وهو اختيار الزجاج . زاد السير ( ١ / ٤٩٤ ) .

( ٣ ) ووجه المنه على القول الثاني أنهم يأنسون به بجامع البشرية ولو كان ملكا لم يحصل كمال الانس به لا اختلاف الجنس . فتح القدير ( ١ / ٣٩٥ ) .

( ٤ ) قلت : وما ذكره بقوله " قيل " ، هو الراجح لأن التزكية في اللغظة التقوية والتطهير .

( ٥ ) آل عمران آيه ١٦٤ .

قوله تعالى ( أولما أصابتكم مصيبة ) بمعنى يوم أحد ( قد أصبتم  
 مثيلاً ) بمعنى يوم بدر نزلت الآية في تسليمة المؤمنين <sup>(١)</sup> و <sup>(٢)</sup> وذلك أن يوم  
 أحد قتل من المسلمين سبعون ، وقد أصاب المسلمون منهم يوم بدر سبعين  
 بالقتل ، وسبعين بالأسر فذلك مثلهم فجعل الأسر مثل القتل حيث جعل  
 القتل والأسر في بدر مثل قتل أحد ( قلت أمي هذا ) من أين هذا <sup>(٣)</sup>  
 ( قل هو من عند أنفسكم ) أي بخالفة الرسول منكم <sup>(٤)</sup> .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال في تفسير قوله تعالى ( قل هو من عند  
 أنفسكم ) . أي باختياركم الفدا وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خير  
 المسلمين يوم بدر في الأسارى بين القتل والفدا . وقال لهم ان اخترتم  
 الفدا أصيب منكم بمدتهم في العام القابل فاخاروا الفدا ، وقالوا نتقوى به

( ١ ) قلت : الحجة الكريمة تبيح للمؤمنين على ما قالوه بمد أحد ، لأنه  
 ما كان ينبغي أن يصدر منهم إذ هم قد قتلوا من المشركين في بدر  
 سبعين من صناديدهم ، وأسروا منهم قريبا من هذا العدد ، وفسى  
 أحد كذلك كان لهم النصر في أول المعركة على المشركين وقتلوا منهم  
 قريبا من عشرين إلا أنهم حين خالفوا وصية رسولهم - صلى الله عليه وسلم  
 وتطلخوا إلى الخنائم فتح الله عنهم نصره فقتل المشركون منهم قريبا من  
 سبعين .

( ٢ ) انظر أسباب النزول للواحدى صفحه ( ١٢٣ ) .

( ٣ ) قلت : وهو موضع التوبيخ والتعجيب من شأنهم .

( ٤ ) ذكره ابن اسحاق ، وابن جرير ، والرفيع بن أنس والسدى ابن كثير

( ٢ / ١٣٨ ) ، وزاد المسير ( ١ / ٤٩٦ ) وتفسير الطبري ( ٧ / ٣٧٢ -

على العدو ويستشهد منا فذلك قوله " قل هو من عند أنفسكم " أي باختباركم<sup>(١)</sup>  
وهو قول طوى رض الله عنه ( ان الله طوى كل شي " قدير )<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) الأثر : رواه الامام أحمد في مسنده ( ٣٠ / ١ ، ٣١ ) وهو سبب النزول  
الذى ذكره الواحدى لآله صفحه ( ١٢٣ ) وهو عن ابن كثير عن ابن  
أبي عاتم ( ١٣٧ / ٢ ) .

( ٢ ) قال ابن جرير : حدثنا القاسم قال ، حدثنا الحسين قال حدثتني  
اسماعيل عن ابن عون عن محمد بن عبيدة السمانى ، وحدثني حجاج  
عن جرير بن محمد ، عن عبيدة السمانى عن علي قال : جاء جبريل  
الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال له : يا محمد ، ان الله قد  
كره ما صنع قومك في أخذهم الاسارى وقد أمرك أن تخبرهم بسين  
أمرين :  
أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا الفداء ، على أن يقتل  
منهم عدتهم قال : فدعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس  
فذكر ذلك لهم ، فقالوا : يا رسول الله ، عشائرتنا واخواننا ، لا بل  
نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم  
فليس في ذلك ما نكره ، قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا مسددة  
أسارى أهل بدر .

قلت : والأثر ذكره ابن كثير ( ١٣٧ / ٢ ) وقال : رواه الترمذى  
والنسائى ، وابن حبان في صحيحه من حديث الثورى به ، وهذا حديث  
غريب جدا .

وذكره السيوطى في " الدر المنثور " ( ٩٩ / ٢ ) وعزاه الى ابن  
أبي شيبه ، والترمذى وابن جرير وابن مردويه ، ونقل تحسينه عن  
الترمذى .

( ٣ ) آل عمران آيه ١٦٥ .

قوله تعالى ( وما أصابكم يوم التقا الجمعان ) بمعنى يوم أحد (فهازن الله ) أى يعلم الله <sup>(١)</sup> .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم - لما نزل المشركون بأحد - رأى نفس مناهه أن يقرأ تتحر فأوله على أن يستشهد بمن أصحابه ، ورأى أن سيفه ذا الفقار انفصم فأولمه على قتل حمزه ورأى أن كعبا أغر قتل فأولمه على قتل مبارز الكفار .

وقتل يوم أحد مبارزهم عثمان بن أبي طلحة الميموني من بني عبد الدار <sup>(٢)</sup> ( وليلم المؤمن ) <sup>(٣)</sup> . ( وليلم الذين نافقوا ) بمعنى طم المشاهد ، وان كان عليهم طم الضيب <sup>(٤)</sup> . ( وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو انقموا )

---

( ١ ) فى زاد السير ( ١ / ٤٩٧ ) قال فى قوله تعالى " فهازن الله " قال :

" فيه ثلاثة أقوال :-

أحدها : أمره .

والثانى : قضاؤه ، وروى عن ابن عباس .

والثالث : طمه ، قاله الزجاج .

قلت : وازن الله يشمل الكل فهو أمره وقضاؤه وعله .

( ٢ ) أخرجه ابن جرير الطبري فى تفسيره ( ٧ / ٣٧٢ - ٣٧٣ ) .

( ٣ ) آل عمران آيه ١٦٦ .

( ٤ ) بمعنى أن المراد بالعلم هنا التمييز والاطهار لأن علمه تعالى ثابت قبل ذلك .

وهنا حكمة ثانية لما حدث فى غزوة أحد ، أى أنه حدث ما حدث

فى الغزوة ليلم سبحانه المؤمنين من المنافقين طم عيان وروميه

وظهور بحيث يتميز منه عند الناس كل فريق من الآخر تمييزا

ظاهرا .

قائل ذلك القول عبد الله بن حرام <sup>(١)</sup> أبو جابر قال للحنافيين قاتلوا في سبيل  
الله وإن لم تقاتلوا لأجل الدين فادفعوا عن الأهل والحرث قالوا ( لو نعلم  
قتالا لا تمنناكم ) فرجموا وهم يقولون لا قتال لا قتال ، حتى يفشل  
المسلمون <sup>(٢)</sup> ( هم الكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان ) يعني بعد رجوعهم  
ومقاتلتهم تلك لأنهم كانوا من قبل بين المؤمنين في الظاهر وإن كانوا  
منافقين في الباطن فلما فارقوا المؤمنين صاروا أقرب إلى الكفر منهم إلى  
الإيمان ( يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ) .

قوله تعالى ( الذين قالوا لاخوانهم يعني في النسب لا في الدين ،  
وهم المنافقون قالوا للمسلمين لو قعدوا كما قعدنا لما تطلوا كما لم نقتل فوذلك  
قوله " الذين قالوا لاخوانهم " (وقعدوا لو أولناونا ما قتلوا قل فادروا عس  
أنفسكم الموت إن كنتم صا دقين ) يعني إن قدرتم على دفع القتل ويقدر  
على دفع الموت فادفعوا الموت عن أنفسكم . والدرو : الدفع ، ومنه قول الشاعر :  
أقول وقد درأت لها وضميني      أهذا دينكم أبدا وديني

( ١ ) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب  
ابن سلمة الأنصاري يكنى أبو جابر . شهد المعقب ثم بدر . وقتل يوم  
أحد شهيدا . وهو أول قتيل قتل من المسلمين . ودفن وعمرو بن الجموح  
في قبر واحد . الاستيعاب ( ٣ / ٦٥٤ - ٦٥٦ ) .

( ٢ ) الأثر في سيرة ابن هشام ٣ / ٦٨ - ٢٥ ( وفي تفسير الطبري ٣٧٩ / ٣٨٠ -  
( ٣ ) أي هم يوم أن قالوا هذا القول الباطل قد بينوا حالهم وهتكوا أستارهم  
وكشفوا عن نفاقهم لمن كان يظن أنهم مؤمنون لأنهم قبل أن يقولوا  
لو نعلم قتالا لا تمنناكم كانوا يتظاهرون بالإيمان ، وما ظهرت منهم أمارة  
تجبي بكرهم ، فلما انحدروا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا  
بذلك عن الإيمان المتلون بهم واقتربوا من الكفر .

أو المعنى هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن  
تظهير سواد المسلمين بالانحزال تقوية للمشركين .

- ( ٤ ) آل عمران آية ١٦٧ . ( ٥ ) ذكره مقاتل . زاد المسير ( ١ / ٤٩٩ ) .  
( ٦ ) آل عمران آية ١٦٨ . ( ٧ ) انظر تفسير الطبري ( ٧ / ٣٨٣ ) .  
( ٨ ) البيت للمثقب العبدي . وهو في المفصليات ( ) .

فقال : تمن على " الحديث (١) .

وروى أن شهداء<sup>١</sup> أحد قالوا من يبلغ نبينا واخواننا ما وصلنا اليه ،  
فقال الله تعالى أنا أبلغهم .

وفى رواية أنا رسولكم وأنزل هذه الآية " بل أحياء عند ربهم "  
(٢)  
( برزقون ) .

( فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم  
من خلفهم ) قيل : ممناء أنه يدفع اليهم كتاب فيه أسماء اخوانهم  
الذين يستشهدون من بعدهم فيستبشرون بهم .

وقوله " ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم " وقدر عليهم أن  
يلحقوا بهم فيه قول آخر ان الشهداء<sup>١</sup> يقولون باليت اخواننا أصيبوا مثل  
ما أصبنا فيصلون الي ما وصلنا فذلك قوله " ويستبشرون بالذين لم يلحقوا  
بهم من خلفهم " ( إلا خوف عليهم ) أى بأن لا خوف عليهم ( ولا هم  
يحزنون ) .

---

(١) أخرجه الترمذى من كتاب التفسير ، تفسير آل عمران (٢٩٨/٤)  
وأين ما جه من كتاب الجهاد (١٦) باب فضل الشهادة فى سبيل  
الله .

(٢) آل عمران آية ١٦٩ .

(ويستبشرون بنعمة من الله وفضل ) وقيل أراد بالنعمة قدر الكفاية

وبالفضل ما زاد على الكفاية . ومعناه لا يضيق عليهم بل يوسع في المطالب

وقيل ذكر الفضل تأكيدا للنعمة <sup>(١)</sup> ( وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ) <sup>(٢)</sup> قسرا  
ابن مسعود والله لا يضيع أجر المؤمن <sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( الذين استجابوا لله والرسول ) قيل <sup>(٤)</sup> : سبب نزول الآية

أن أبا سفيان لما رجع إلى مكة يوم أحد قال الكفار بعضهم له عز في الطريق ،  
نرجع فنستأصل محمدا وأصحابه فبلغ ذلك رسول الله فقال : من ينتدب إلى  
الخرج ، فانتدب نفرا فيهم أبو بكر والزبير .

وقد قالت عائشة لمرورة أن أبا بكر من الذين استجابوا لله والرسول .

وأرادت أبا بكر والزبير كانا في السهيمين . فخرجوا إلى حمراء الأسد

وهو على ثمانية أميال من المدينة فلما وصلوا كان الله قد ألقى الرعب في قلوب  
المشركين ، وكانوا قد مضوا إلى مكة <sup>(٥)</sup> .

(١) استئناف مبين لما هم عليه من سرور يتعلق بذواتهم ، يمد أن يستبشرون

سبحانه سرورهم بحال الذين لم يلحقوا بهم ، والمصنف أن هو لا .

الشهداء يستبشرون بحال اخواتهم الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم . كما

أنهم يستبشرون أيضا لأنفسهم بسبب ما أنعم الله عليهم به من نعم جزيله .

وسبب ما فضل به عليهم من زيادة الكرامة ، وسمو المنزل .

قال القرطبي " يستبشرون بنعمة من الله وفضل " أي بجنة من الله . ويقال

بمخفرة من الله . " وفضل " هذا لزيادة البيان . والفضل داخل في النعمة

وفيه دليل على اتساعها ، وانها ليست كنعم الدنيا . وقيل جاهر الفضل

بمد النعمة على وجه التأكيد " .

القرطبي (٢/٢٧٥) .

(٢) آل عمران آية ١٧١ .

(٣) انظر معاني القرآن للشراء (١/٢٤٧) .

(٤) مروى عن مجاهد وعكرمة . زاد المسير (١/٥٠٣) .

(٥) رواه الواحدي في أسباب النزول بأسناده إلى عمرو بن دينار صفحه

(١٢٥-١٢٦) .

وقال ابن عباس قول آخر أن أبا سفيان لما أراد أن يرجع يوم أحد قال موعدا وموعداكم العام القابل بهدر ثم لم يفتق له الخروج في المسام القابل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده التي بهدر مع أصحابه فأولئك الذين استجابوا لله والرسول<sup>(١)(٢)</sup> ( من بعد ما أصابهم القرح )

( ١ ) جاء في " الدر المنثور " ج ٢ / ١٠١ . وأخرج النسائي ، وابن أبي حاتم ، والطبراني بسند صحيح من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما رجس المشركون عن أحد ، قالوا لا محمدا قلتم ولا الكوا عن أرد فتم ، بمسما صنعتم . ارجعوا ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمرا الأسد ، أو بشر أبي عيينة - شك سفيان - فقال المشركون نرجع قابل ، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت تمت غزوة فأنزل الله الذين استجابوا لله والرسول ، الآية .

وقد كان أبو سفيان قد قال للنبي صلى الله عليه وسلم موعداكم موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ أهبه القتال والتجاره ، فأتوه فلم يجدوا به أحدا وتسوقوا فأنزل الله تعالى ( فانظروا فبئس ما من الله وفضل ) الآية .

( ٢ ) قال الفخر الرازي مرجحا القول الأول في سبب نزول الآية : أظن أن الله - تعالى - مدح المؤمنين على غزوتين تصرف احدهما بغزوة حمرا الأسد ، والثانية : بغزوة بدر الصغرى وكلاهما متصلة بغزوة أحد .

أما غزوة حمرا الأسد فهي المرادة من هذه الآية ، فإن الأصح في سبب نزولها أن أبا سفيان وأصحابه بعد أن انصرفوا من أحد وبلغوا الروحا ندموا وقالوا : انا قبلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم ؟ بل الواجب أن نرجع ونستأصلهم فبهجوا بالرجوع .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يهرب الكفار ويذهبهم من نفسه ومن أصحابه قوة . . .



ولم يمتصوا من الخروج فقوله " الذين قال لهم الناس " هو تمسيم  
ابن مسعود وحده ، وهذا قول عكرمة ومجاهد ومقاتل والكلبى .

وقال ابن عباس : هو قول نفر قليل من عهد القيس .

وقولهم ( فزادهم ايمانا ) منهم من قال معناه زادهم ايمانا بتثويتهم  
وقولهم حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقيل معناه زادهم يقينا بما وعدهم الله  
من النصر ( وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ) وهذا قول ابراهيم حين ألقى  
في النار فانه قال " حسبنا الله ونعم الوكيل " .

( ١ ) قال القرطبي : " أى فزادهم قول الناس ايمانا ، أى تصديقنا  
ويقينا في دينهم واقامة على نصرتهم وقوة وجراة واستعدادا .  
الجامع لأحكام القرآن .

( ٢ ) آل عمران آية ١٧٣ .

( ٣ ) روى البخارى ( ١٧٢ / ٨ ) عن ابن عباس " حسبنا الله ونعم الوكيل " .  
قالها ابراهيم - عليه السلام - حين ألقى في النار ، وقالها محمد  
- صلى الله عليه وسلم - حين قالوا " ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم  
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل " .

وروى الامام أحمد في مسنده ( ٢٤ / ٦ ) بسند حسن عن صفوان  
ابن مالك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قضى بين رجلين ، ففسال  
المقضى عليه لما أدبر حسبي الله ونعم الوكيل ، فقال النبي - صلى الله  
عليه وسلم - " ردوا علي الرجل ، فقال : ما قلت ؟ قال قلت حسبي الله  
ونعم الوكيل . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - " ان الله يلوم على  
العجز ولكن عليك بالكيس ، فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل " .

قوله تعالى ( فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ) معنى الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه خرجوا لمؤعد أبي سفيان إلى بدر وهو مجتمع سوق الحرب فلم يلقوا هناك أحداً إذ لم يفتق خروجهم فاتجروا هناك ورجعوا وانصرفوا فذلك قوله " فانقلبوا بنعمة من الله وفضل " فالنعمة المانسية . والفضل ربح التجارة ( لم يمسسهم سوء ) واتعموا رضوان الله والله ذو الفضل العظيم ( ٢ ) .

قوله تعالى ( إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ) فالشيطان كل ما يتعد من الجن والانس . والمراد بالشيطان هاهنا ، نعيم بن مسعود . وقيل : هو الشيطان المعروف فانه وسوس اليهم أن لا يخرجوا لذلك الوعد .

وقوله " يخوف أولياءه " قال ابراهيم النخعي ( ٢ ) : تقديره يخفوكم أولياءه أي من أوليائه ، وهم الكفار .

---

( ١ ) قال القرطبي : " قال طحاوي : لما فوضوا أسورهم إليه ، واعتمدوا بتلويهم عليه أملاكهم من الجزاء " أرمية معان ، النعمة ، والفضل ، وصرف السوء ، واتباع الرضا ، فراضاهم عنه ، ورضى عنهم . انظر تفسير القرطبي ٢ / ٢٨٢ .

( ٢ ) آل عمران آية ١٧٤ .

( ٣ ) ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن زهل النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه .  
شقة إلا أنه يرسل كثيراً .  
كان مولده سنة خمسين ومات سنة ست وتسعين وهو متوار من الحجاج ودفن ليلاً .  
تهذيب التهذيب ( ١ / ١٧٧-١٧٨ ) .

وقال أهل المعاني : هو قول حسن .

وقال الفراء : معناه يخوفكم بأولياكم<sup>(١)</sup> ، وكذا قرأ أبو بن كعب  
ومثله قوله تعالى " لتتذربأسا شديدا<sup>(٢)</sup> " أي ببأس .

وقال الشاعر :-

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركت هذا مال وذا نسب

لأمرتك بالغير فترع الياء ( فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ) .

قوله تعالى ( ولا يحزنك ) وبقراً ولا يحزنك بضم الياء ومعناها واحسد<sup>(٦)</sup>

( الذين يسارعون في الكفر ) يعنى قول الذين يسارعون في الكفر ( انهم لن

يضروا الله شيئا ) أى لن ينقصوا الله شيئا ( يريد الله أن لا يجعل لهم حظا

في الآخرة ) أى نصيبا في الآخرة ( ولهم عذاب عظيم )<sup>(٧)</sup> .

قوله تعالى ( ان الذين اشتروا الكفر بالايمان ) أى استبدلوا وكل شرا

استبدال بدولتهم كل استبدال شرا<sup>(٨)</sup> ( لن يضروا الله شيئا ) لن ينقصوا الله

شيئا ( ولهم عذاب أليم )<sup>(٩)</sup> .

( ١ ) معاني القرآن ( ١ / ٢٤٨ ) .

( ٢ ) الكهف آية ٤ .

( ٣ ) لم أعرف قائله .

( ٤ ) في زاد المسير ( ١ / ٥٠٧ ) " قال ابن الأنباري : " والذي نخشاه نفسي

الآية أن المعنى : يخوفكم بأولياكم . تقول المرب أعطيت الأموال يريدون

أعطيت القوم الأموال فيعذفون القوم ويقتصرون على ذكر الفصول الثاني ،

فهذا أشبه من ادعاء " با " ما عليها دليل ولا تدعوا اليها ضروره " .

( ٥ ) آل عمران آية ١٧٥ .

( ٦ ) قرأ نافع " يحزنك " بضم الياء وكسر الزاي ، وقرأ الهاقون بفتح الياء

وضم الزاي .

انظر زاد المسير ( ١ / ٥٠٧ ) .

( ٧ ) آل عمران آية ١٧٦ .

( ٨ ) انظر تفسير الطبري ( ١ / ٣١٢ ) ، ( ٢ / ٣٤١ ، ٣٤٢ ) ( ٣ / ٢٢٨ ) .

( ٩ ) آل عمران آية ١٧٧ .

قوله تعالى ( ولا تحسبن الذين كفروا ) أى تظنن من الحساب فهو  
الظن ( إنما نطق لهم خير لأنفسهم ) الاملاء الطالة الصغر ، والامهسال  
التأخير ويقال لليل والنهار طوان ( إنما نطق لهم ليزدادوا إنما ) أى  
إنما نطق عمرهم ليزدادوا إنما . ( ١ )

روى الأسود ( ٢ ) عن ابن مسعود ما من أحد الا والموت خير له برا كان  
أوفأخرا ، أما البر لقوله تعالى " وما عند الله خير للاسرار " ( ٣ ) وأما الفاجسر  
لقوله تعالى " إنما نطق لهم كيزدادوا إنما " وذلك أنه إذا ازداد إنما  
اشتدت عقوبته ( ٤ ) ولهم عذابا مهين ( ٥ ) .

( ٦ ) قال ابن الأنبارى : " اشتقاق " نطق لهم " من الطوة ، وهى المدة  
من الزمان يقال طوة من الدهر ، وطوة ، وطوة ، وملاوه ، وملاوه ، وملاوه ،  
بمضى واحد ومنه قولهم : أليس جديدا وتعل صبيها ، أى لتظل أيامك  
بعمرك . قال مقيم بن نويره :

بوتى لو أتى تلتيت عمره  
يمالى من مال طريق ومالكسد  
زاد المسير ( ٥٠٩ / ١ ) .

( ٢ ) الأسود بن يزيد بن قيس النخعى أبو عمرو ، ويقال أبو عبد الرحمن .  
قال أبو طالب عن أحمد ثقة وله أحاد يشالحه .  
وقال أبو اسحاق : توفى الأسود بن يزيد بالكوفة سنة خمس وسبعين .  
قال ابن حبان عنه فى الثقات كان فقيها زاهدا .  
تهذيب التهذيب ( ٣٤٢ / ١ - ٣٤٣ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ١٩٨ .

( ٤ ) الحديث : أخرجه عبد الرزاق وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وأبو بكر المروزي  
فى البناظر وابن جرير ( ٤٢٣ / ٧ ) وابن الصذر وابن أبى عمير والطبرانى  
والحاكم وصححه عن ابن مسعود .  
قال شاكر " وهذا الحديث وإن كان موقوفا لفظا فإنه - عندنا - مرفوع  
عكفا لأنه ما لا يدرك بالرأى " .

( ٥ ) آل عمران آية ١٧٨ .

قوله تعالى ( ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه ) يعني على  
 اختلاط المنافقين بكم فانهم كانوا مخططين بالمؤمنين ( حتى يميز النبيث  
 من الطيب ) .

قال مجاهد : حتى يميز الكافرين من المؤمنين .

وقال قتادة : حتى يميز المنافق من المؤمن <sup>(١)</sup> .

ويقرأ " يميز " مشدداً <sup>(٢)</sup> ، يقال ما ز يميز ، ويميز يميز بمعنى واحد <sup>(٣)</sup> .

وفي الحديث " من ما ز أذى من الطريق فهو له صدقه " <sup>(٤)</sup> ( وما كسان

الله ليظلمكم على النبيث ) . سبب نزوله أن أصحاب رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - قالوا يا رسول الله أخبرنا بمن يموت على الايمان ، ومن يموت

على الكفر فنزل " وما كان الله ليظلمكم على النبيث ( ولكن الله يجتبي من

رسله من يشاء ) يعني فيظلمه على النبيث بما شاء ، وهذا كما قال فسي

آخر سورة الجن " فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول <sup>(٦)</sup>

(١) قال ابن كثير : أى لا بد أن يقصد سبباً من المعنى يظهر فيه وليس  
 ويفضح به عدوه . يعرف به المؤمن الصاير والنافق الفاجر ، يعنى بذلك  
 يوم أحد الذي امتحن الله به المؤمنين فظهر به ايمانهم وصبرهم  
 وجلد هم وشباتهم وطلاعتهم لله ولرسوله ، وهتك به ستار المنافقين فظهرت  
 مخالفتهم ونكولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله . . .  
 تفسير ابن كثير (٤٢٢/١) .

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر حتى يميز بفتح اليا والتخفيف .

وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويحقوق بيميز بالتشديد وضم اليا .

زاد المسمر (٥١١/١) الكشاف عن وجوه القراءات العشر (٣٦٩/١) .

(٣) انظر الكشاف عن وجوه القراءات العشر (٣٦٩/١) .

(٤)

(٥) رواه الواحدى في أسباب النزول صفحته (١٢٧) .

(٦) الجن آية ٢٦ ، ٢٧ .

( فأمنوا بالله ورسوله وإن تولّونوا ) وتتنقوا فلکم أجر عظیم ( ١ ) .

قوله تعالى ( ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ) بمعنى هو يكون خيرا لهم ( ٢ ) ( بل هو شر لهم ) في معنى الآية قولان :

أحدهما أنه في اليهود حيث كتبوا بعت محمد وبخلوا به فعلى هذا معنى قوله ( سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ) أى اثم ما بخلوا به يوم القيامة .

والقول الثاني : ان الآية في مانع الزكاة وقوله " سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة " على حقيقتة وهو معنى ما روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال من منع الزكاة جاء يوم القيامة فيمتد له ماله شجاعا أقرع فيطوق في رقبتة فينهبه من قرنه ، أى من قدمه ، ثم قرأ هذه الآية .

( ١ ) آل عمران آية ١٢٩ .

( ٢ ) الذين في موضع رفع والضمول الأول مكذوف .

قال الخليل وسيبويه والفرّاء : ألقى البخل خيرا لهم ، أى لا تحسبن الباخلون البخل خيرا لهم . وإنما حذف الدلالة ببخلون على البخل ، وهو كقوله : من صدق كان خيرا له . أى كان الصدق خيرا له . ومن هذا قول الشاعر :-

إذا نهى السّفية جرى اليه وخالف والسّفية إلى خيلاف

فالمعنى : جرى إلى السّمعة ، فالسّفية دلّ على السّفه .

الجامع لأحكام القرآن ٢ / ٢٩٠ .

( والله ميراث السموات والأرض ) فان قال قائل كيف يكون له ميراث السموات والأرض ؟ قيل : العرب تسمى كل ما انتقل من أحد الى غيره ميراثا بما سبب كان ، فلما خلصت السموات والأرض لله تعالى بعد هلاك العباد سماه ميراثا كأنه انتقل منهم اليه ( والله بما تعملون خبير ) .

قوله تعالى ( لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياً ) قيل سبب نزول الآية أنه لما نزل قوله تعالى " من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً " (٤) قالت اليهود : ان الله يستقرض منا أموالنا فاذا هو فقير ونحن أغنياً وما قالوا ذلك عن اعتقاد ولكن تمويهاً على المسلمين وتشكيكاً لهم فيها جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله " لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياً " (٥) وفيه قول آخر أنه طيه السلام لما

( ١ ) أخرجه الترمذي ( ٨٥ / ٤ ) وابن ماجه حديث رقم ١٧٨٤ ، والحاكم وصححه وابن جرير الطبري في تفسيره ( ٤٣٧ / ٧ ) .

( ٢ ) قلت : يرى جمهور المفسرين أن المراد بالبخل هنا ، البخل بالمال لأنه هو الذي يتفق مع السياق . ويرى بعضهم أن المراد بالبخل هنا بالمعلم وكتابه وذلك لأن اليهود كتبوا صفات النبي - صلى الله عليه وسلم - التي جاءت بها التوراه .

والذي نراه أن ما عليه الجمهور هو الأرجح لأنه هو المتبادر من معنى الآية وهو المتفق مع سياق الكلام ، وان كنا لانزع أن يدخل في هذا الوعيد كل من بخل باظهار الحق الذي أمره الله باظهاره .

( ٣ ) آل عمران آيه ١٨٠ .

( ٤ ) البقره آيه ٢٤٥ .

( ٥ ) انظر : زاد المسير ( ٥١٤ / ١ ) وتفسير الطبري ( ٤٤٣ / ٧ ) وهو

قول للحسن وقتاده قول الحسن وقتاده .

استعان بيهود بنى قينقاع فى الحرب قالوا ان الله فقير اذا حيث يستعين بنا فى نصره دينه ونحن أغنياء فنزلت الآية (١) .

( ١ ) قلت : والزواية الثانية فى سبب نزول الآية والتي ذكرها السمعاني لم أجد لها والمشهور فى سبب نزول الآية روايتان .  
أحدهما : التي ذكرها .

والثانية : ماورد فى أسباب النزول للواحدى ومعظم كتب التفسير أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل ذات يوم بيت مدراس اليهود فوجد ناسا من اليهود قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له : فنخاس بن عازوراه وكان من علمائهم ، فقال أبو بكر لفنخاس : اتق الله وأسلم ، فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عند الله ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة ، فأمن وصدق ، وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ، ويضاعف لك الثواب فقال فنخاس : يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا ، وما يستقرض الا الفقير من الضئى ، فان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن أغنياء ، ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا . فنضب أبو بكر ، رضى الله عنه ، وضرب وجهه فنخاس ضربة شديده وقال : والذي نفسى بيده لولا المهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ، فذهب فنخاس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال يا محمد انظر الى ما صنع بنى صابك ؟ فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لأبى بكر : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فنضبت لله وضربت وجهه . فوجد ذلك فنخاس فأنزل الله عز وجل ردا على فنخاس ، وتصديقا لأبى بكر : ( لقد سمع الله قول الذين قالوا . . . ) الآية .

أسباب النزول للواحدى صفحة ١٢٨ ، وانبار تفسير الطبرى ( ٧ / ٤٤١ ) -



( سنكتب ما قالوا ) هو الكتابة فوصحائف الأعمال .  
وقيل : معناه يحصى ما قالوا ويجازى عليه ويقرأ<sup>(٢)</sup> سيكتب ما قالوا .  
بضم اليا ( وقتلهم الأنبياء ) بالرفع ، أى ونكتب قتلهم الأنبياء<sup>(٤)</sup>  
( بخير حق ويقول ذوقوا عذاب الحريق )<sup>(٥)</sup> أى بعذاب النار ، لأن عذاب  
النار محرق .

( ذلك بما قدمت أيديكم ) يحصى بما قدمت وذكر أيديكم تأكيداً<sup>(٦)</sup>  
( وأن الله ليس بظلام للمصيبين )<sup>(٧)</sup> يحصى أنه يفعل ما يفعل بهم مجازاة  
لهم على أعمالهم .

(١) ذكره قتاده ( زاد المسير / ١ / ٥١٥ ) .  
(٢) هو قول لابن عباس ( زاد المسير / ١ / ٥١٥ ) .  
(٣) قرأ حمزة وحده " سيكتب " بها " مضمومة " وقتلهم " بالرفع " ويقسول " بالياء .  
وقرأ الباقيون " سنكتب ما قالوا " بالنون " وقتلهم " بالنصب " وتقول " بالنون " .

(٤) قون سبحانه قولهم الضكر هذا بفعل شنيع من أفعال أسلافهم وهو قتلهم الأنبياء بخير حق وذلك لإثبات أصلاتهم في الشر واستهانتهم بالحقوق الدينية ، وللتنبه على أن قولهم هذا ليس أول جريمة ارتكبوها ومعصية استباحوها فقد سبق لأسلافهم أن قتلوا الأنبياء بخير حق وللإشعار بأن هاتين الجريمتين من نوع واحد وهو التجروء على الله .

(٥) آل عمران آية ١٨١ .

(٦) خصت الأيدي بالذكر للدلالة على التعكن من الفعل وإرادته ولأن أكثر الأفعال تكون عن طريق اليأس بالأيدي ، لأن نسبة الفعل إلى اليد تفيد الالتصاق به والاتصال به .

(٧) آل عمران آية ١٨٢ .

قوله تعالى ( الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن من لرسول حتى ياتينا

بقربان تأكله النار ) الآية في اليهود .

قال السدي كان الله تعالى عهد الى اليهود ان لا يؤمنوا لرسول

حتى يأتهم بقربان تأكله النار سوى عيسى ويحمد - صلى الله عليه وسلم -

فانه أمرهم أن يؤمنوا بهما من غير هذه الشريطة .<sup>(١)</sup>

وقال غيره<sup>(٢)</sup> : كانوا يتقربون بالقربان ثم يأخذون أطياب لحمه

فيضمونها في بيت ثم يقوم بينهم في ذلك يناجى ربه فتأتو نار بيضا

- لها حفيف من السماء فتأكل ويكون ذلك علامة قبول القربان .

( قل قد جاءكم رسول من قبلى بالبينات ) أى بالدلالات والمعجزات ( وما الذى

ظنتم ) يعنى من الاتيان بقربان تأكله النار ( فلم قتلتموهم ) أى فلم كذبتموهم

وقتلتموهم ( ان كنتم صادقين ) في دعوتكم ذلك العهد .

( ١ ) قال صاحب زاد المسير نزلت في كعب بن الأشرف ومالك بن الصنف وهي

ابن أخطب وجماعه من اليهود . أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فقالوا ان الله عهد الينا أى أمرنا في التوراه أن لا نؤمن لرسول أى

لا نصدق رسولا يزعم أنه رسول حتى يأتينا بقربان .

زاد المسير ( ١ / ٥١٦ ) .

( ٢ ) ذكره عطاء . زاد المسير ( ١ / ٥١٦ ) .

( ٣ ) آل عمران آية ١٨٣ .

( ٤ ) قال الفخر الرازي : " قد بين الله بهذه الدلائل أنهم يطلبون هذه

المعجزة لا طمى سبيل الاسترشاد وإنما على سبيل التعمنت وذلك لأن

اسلافهم طلبوا هذه المعجزة من الأنبياء المتقدمين مثل زكريا ويحسى

وعيسى فلما أظهروا لهم هذا المعجز سمعوا في قلوبهم بعد أن قابلوههم

بالتكذيب والمخالفة والممانده وذلك على أن مطالبهم كانت على

سبيل التعمنت ان لولم يكن الأمر كذلك لما سمعوا في قلوبهم . وتأخسرو

اليهود راضون بفعل متقدميهم وهذا يقتضى كونهم أيضا في مطالبهم

ولهذا لم يجيبهم الله فيها .

التفسير الكبير ( ٩ / ١٢٢ ) .

قوله تعالى ( فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات )

أى بالدلالات والمعجزات ( والزير ) جمع الزبور وهو كتاب فيه الحكمة وبه

سمى كتاب داود زبوراً .<sup>(١)</sup>

وفى مصحف أهل الشام " وبالزير " <sup>(٢)</sup> فان قال قائل أى فرق بين الزير والكتاب

وقد قال ( والزير ) والكتاب المنصر <sup>(٣)</sup>

قيل : الكتاب اسم لما كتب وضم به بعض الكلمات فيه الى الهمز من

الكتب وهو الضم .

وأما الزير مأخوذ من الزسر وهو الزجر فالزبور كتاب فيه مزاجر .<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى ( كل نفس ذائقة الموت ) والذوق فى الموت مجاز وحقيقة

الذوق هو الاحساس بالشئ . فلما كان يحس بالموت سماه ذوقاً مجازاً قال

الشاعر :-<sup>(٥)</sup>

من لم يمت غبطة يمت هرمسيا فالموت كأس وكل الناس ذائقها

( ١ ) قال تعالى " وأتينا داود زبوراً " الآية .

( ٢ ) وهى قراءة ابن عامر ووجهه ان اعادة الباء ضرب من التأكيد . ووجهه قراءة الجمهور أن الواو قد أغنت عن تكرير المامل . تقول مررت بزيد وعمر .

( ٣ ) آل عمران آية ١٨٤ .

( ٤ ) انوار غمير الطبرى ( ٧ / ٤٥٠ - ٤٥١ ) .

( ٥ ) البيت لأمية بن أبى صلت الثقفى من شعراء الطوائف ويمد من أشعرهم وكان كثير المجازب يذكر فى شعره خلق السموات والأرض والملائكة ويذكر من ذلك ما لم يذكره أحد من الشعراء وكان قد قرأ الكتاب ورغب من عبادة الأوثان .

وكان يخبر بأن نبيا يبعث قد أظلم زمانه فلما سمع بخروج النبى - صلى الله عليه وسلم - كفر حسدا له . ولما أُنشِد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شعره قال : " أمن لسانه وكفر قلبه " . جواهر الأدب ( ٢ / ٩٨ - ١٠٠ ) . والبيت فى ديوانه رقم ( ٤٠ ) وميون الأخبار ( ٢ / ٣٧٤ ) والأغانى ( ١٧٦٣ ) والكامل ( ١٧٦٣ ) وغمير القرطبي ( ٤ / ٢٩٧ ) واللسان ( غيل ) .

فإن قال قائل لا يخفى أن كل نفس تموت فائش الفائدة في قوله " كل

نفس ذائقة الموت " ؟ .

قيل : أراد به التزهيد ، بمعنى أن النفوس التي الفناء فتزهدوا في الدنيا ( وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زهزج عن النار ) أي نجس ويعد من النار<sup>(١)</sup> ( وأدخل الجنة فقد فاز ) أي نجا ( وما الحياة الدنيا إلا متاع الزور ) لأنها تضر الإنسان وهي التي الانقطاع .

قوله تعالى ( لتبلون ) أي لتختبرن . وقيل : لتصابن<sup>(٤)</sup> ( في أموالكم وأنفسكم ) في أموالكم بالانفاق وأنفسكم بالجهاد . ( وقيل في أموالكم وأنفسكم بالمصائب والأمراض . وقال بعض أصحاب الخواطر<sup>(٧)</sup> ) في أموالكم بالمنع من الحق وأنفسكم باتباع الهوى<sup>(٩)</sup> ( ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا ) .

( ١ ) زاد المسير ( ٥١٧/١ ) وتفسير الطبري ( ٣٧٥/٢ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ١٨٥ .

( ٣ ) الزور : مصدر من قول القائل " غرقت فلان فهو يخرق غرورا بضم الفين وأما إذا فتح الفين من الزور فهو صفة للشيطان الزور الذي يخرق ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب بن عقوبته " . تفسير الطبري ( ٤٥٣/٧ ) .

( ٤ ) انظر تفسير البتلا عند الطبري ( ٤٩/٢ ) .

( ٥ ) انظر زاد المسير ( ٥٢٠/١ ) ( ٦ ) انظر زاد المسير ( ٥٢٠/١ ) .

( ٧ ) لم أجد هذا القول في كتب التفسير .

( ٨ ) ما بين المحققتين ساقط من ب .

( ٩ ) قلت : يمكن أن تكون الآية شاملة للأقوال التي ذكرها المؤلف والمعنى لتظنون أيها المؤمنون ولتختبرن في أموالكم بما يصيبها من الآفات وبما تظالبون به من انفاق في سبيل إعلاء كلمة الله . ولتختبرن - أيضا - في أنفسكم بسبب ما يصيبكم من جراح وآلام من قبل أعدائكم وبسبب ما تتعرضون له من حروب ومناهب وشدائد .

قال الزهري : هذا في كتب بن الأشرف كان يهجو النبي - صلى  
الله عليه وسلم - ويسمع المسلمين هجاءه . ( ١ )

وقيل ( ٢ ) هو قول اليهود عزيز بن الله وقول النصارى المسيح ابن الله .

وقيل : هو قول أولئك الذين قالوا " ان الله فقير " ( وان تصبروا )

يعنى على الأذى ( وتتقوا ) يعنى من مخالفة الرسول ( فان ذلك من

عزم الأمور ) ( ٣ ) أى من حقائق الأمور وشدايده .

قوله تعالى ( وان أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس

ولا تكتمونه ) . قيل : أراد به اليهود ، أخذ الله ميثاقهم أن يبينوا نعت

محمد للناس ولا يكتمونه .

وقيل ( ٥ ) هو فى جميع العلماء . أخذ الله ميثاق العلماء أن يبينوا العلم

للناس ولا يكتمونه . وفى الحديث " من سئل عن ظم فكتمه ألجم بلجام من نار " ( ٦ )

---

( ١ ) رواه الواحدى فى أسباب النزول صفحه ( ١٢٩ - ١٣٠ ) وانظر المصدر

المنشور ( ١٠٧ / ٢ ) .

( ٢ ) انظر تفسير الطبرى ( ٤٥٥ / ٧ ) .

( ٣ ) آل عمران آيه ١٨٦ .

( ٤ ) ذكره ابن عباس وابن جبير والسدى ومقاتل . زاد المسير ( ٥٢١ / ١ )

والطبرى ( ٤٥٩ - ٤٦٠ / ٧ ) .

( ٥ ) هو قول لقتادة وأبي عبيده . تفسير الطبرى ( ٤٦١ / ٧ ) .

( ٦ ) قال الشوكانى : " والظا هران المراد بأهل الكتاب كل من آتاه الله ظم

شئ " من الكتاب أى كتاب كان كما يفيدہ التعريف الجدى فى الكتاب " .

فتح القدير ( ٤٠٨ / ١ ) .

( ٧ ) الحديث ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ( ١٦٣ / ١ ) وقال : رواه أبو يعلى

والطبرانى فى الكبير وأورده ابن حجر فى المطالب العالى وعزاه لأبى يعلى

وصححه . وأخرجه الحاكم واستدركه على الشيخين ( المستدرک ) ( ١٠١ / ١ ) .

( فنيدوه ورا<sup>١</sup> ظهورهم ) أى تركوه ورا<sup>١</sup> ظهورهم ( واشتروا به ثنا قليلا )  
يعنى الرشأ<sup>(٢)</sup> . ( فبعض ما يشترون )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) فى زاد المسير ( ١ / ٥٢١ - ٥٢٢ ) قال الزجاج : أى وموا به . يقال  
للذى يباح الشئ ولا يباع به قد جعلت هذا الأمر يظهر . يقال  
الفرزدق :

تميم بن قيس لا تكونن من حاجتى بظرو ولا يعبأ عليّ جوارهنسا  
ومعناه لا تكونن حاجتى مهبطه عندك مطرحه .

( ٢ ) قال ابن كثير عند تفسيره للآية الكريمة : " هذا توبيخ من الله وتهديد  
لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على السنة الأنبياء أن يؤمنوا  
بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأن ينوهوا بذكره فى الناس فيكونوا طمس  
أهبة من أمره ، فاذا أرسله الله تأبوه فكتموا ذلك وتموضوا عما  
وعدوا عليه من الخير فى الدنيا والآخرة بالدون الطفيف والحسنة  
الدنيوى السخيف فبئست الصفقة صفقتهم ، وبئست البيعة بهمتهم  
وفى هذا تحذير للعلماء من أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم  
ويسلك بهم مسلكهم فطس العلماء أن يبدلوا ما بأيديهم من  
العلم النافع ولا يكتسوا منه شيئا . . . " .  
تفسير ابن كثير ( ٢ / ١٥٧ ) .

( ٣ ) آل عمران آه ١٨٧ .

قوله تعالى ( لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ) يعنى اليهود بما أتوا من العلم والكتاب ولم يقوموا بموجبه وما يقتضيه .

وقيل : هوفى المنافقين يفرحون بما أتوا من التغلف من رسول الله (٢) ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ) يعنى بالأعذار الكاذبه

(١) ذكره سعيد بن جبير ( ١٧٤/٥ ) .

(٢) رواه البخارى من كتاب التفسير ، تفسير آل عمران ( ١٧٤/٥ ) ومسلم من كتاب صفات المنافقين ، باب رقم (٧) ( ١٢١/٨ - ١٢٢ ) وأحمد فى مسنده ( ٢٦٧/١ ) .

ولفظه ضد البخارى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رجالا من المنافقين علم عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان اذا خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى الفزرو تخلفوا عنه وفرحوا بمقصد هم خلاف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاذا قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اعتذروا اليه وحلفوا واحبط أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت " ولا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا " .

هذا وقد ذكر كثير من العلماء أن هذه الآية الكريمة نزلت فى شأن أخبار اليهود .

ففى أسباب النزول للواحدى صفحة ( ١٣٢ ) عن ابن أبى مليكة أن طلحة بن وقاص أخبره أن مروان لرافع وبوابه اذهب الى ابن عباس وقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى ، وأحب أن يحمد بما لم يفعل عذب لنخذ بن أجمعين .

فقال ابن عباس - الكم ولهذا ؟ انما دعا النبى - صلى الله عليه وسلم - اليهود فسألهم عن شئ " فكنتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا اليه بما أخبروه فيما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتابهم اياه قثم قرأ ابن عباس " وان أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس " .

رواه البخارى عن ابراهيم بن موسى عن هشام ، ورواه مسلم عن زهير ابن حرب عن حجاج كلاهما عن ابن جريج .

قلت : ولا منافاة بين الروايتين لأن الظاهر شمول الآية لكل من حصل منه ما تضمنته عملا بصوم اللفظ إذ هو الممتزج من خصوص السبب وقد تتمدد الأسباب والتازل واحد .

( فلا تحسبنهم بفضارة من العذاب ) أى بنجاة من العذاب ( ولهم عذاب أليم ) (١) .

وروى أن مروان<sup>(٢)</sup> بحث الو عائشة هلكتا اذا فانا نفرح بما يأتي ونحب أن نحمد بما لم نعمل والله تعالى يقول " فلا تحسبنهم بفضارة من العذاب " فذكرت عائشة أن الآية غيى اليهود<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( والله ملك السموات والأرض والله على كل شئ قدير )<sup>(٤)</sup> ذكر هذا ردا لقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء<sup>(٥)</sup> .

قوله تعالى ( ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب )<sup>(٦)</sup> بمعنى أن فيها دلالات وحدانية لذوى العقول .

(١) آل عمران آيه ١٨٨ .

(٢) هو مروان بن الحكم بن أبى الحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي . الأبي أبو عبد الطك . ويقال : أبو القاسم ، ويقال أبو الحكم ولد بعد الهجرة بستين وثم بأربع .  
ولى امرة المدينة أيام معاوية ويبيع له بالخلافة بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية . وكانت ولايته تسعة أشهر .  
تهذيب التهذيب ( ١٠ / ٩١-٩٢ ) .

(٣) قلت : والروايات خلاف ما ذكر المؤلف من أن مروان أرسل الو عائشة بل انه أرسل الو ابن عباس كما ذكرنا والله أعلم .

(٤) آل عمران آيه ١٨٩ .

(٥) انظر زاد المسير ( ١ / ٥٧٥ ) وتفسير الطبري ( ٢ / ٤٧٣ ) .

(٦) آل عمران آيه ١٩٠ .



قوله تعالى ( الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ) روى  
ابن مسعود وعمران بن الحصين <sup>(١)</sup> أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :  
صل قائما فان لم تستطع فقامدا فان لم تستطع فعلى جنبك يومئذ <sup>(٢)</sup>  
فهذا معنى الآية .

وقيل : معناه الذين يوحدون الله على كل حال <sup>(٣)</sup> ويشكرون في خلق  
السموات والأرض ) فيستدلون به على وحدانيته .

وفي الحديث "تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق" <sup>(٤)</sup> روي  
ما خلقت هذا باطلا ) أي عبثا . وقيل : باطلا أي بهيطل (سبحانك) هو

---

( ١ ) عمران بن حصين بن عبيد بن خلف بن عبد نهم بن سالم بن غاضرة بن  
سلول بن جشيه بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي الكعبي . يكنى  
أبا نجيد بابنه نجيد بن عمران .  
أسلم عام خيبر . وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم . سكن البصرة ،  
ومات بها سنة ثنتين وخمسين في خلافة معاوية .  
الاستيعاب ( ٣ / ١٢٠٨ ) .

( ٢ ) أخرجه الإمام البخاري من كتاب تقصير ، باب اذا لم يطق قاعدا صلى  
على جنب ( ٤١ / ٢ ) ورواه الامام أحمد في مسنده ( ٤٢٦ / ٤ ) .

( ٣ ) قال أكثر المفسرين أن المراد المداومة على الذكر في غالب الأحوال لأن  
الإنسان قل أن يخلو من إحدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود  
وكونه نائما على جنبه ( ٤٦٧ / ١ ) .

( ٤ ) رواه السيوطي في الدر المنثور ( ١١٠ / ١ ) وقال : أخرجه ابن أبي الدنيا  
في كتاب التذكر والأصبهاني في الترغيب عن عمرو بن مرة .

الغزبية عن كل سورة ( فقا عذاب النار ) (١) .

روى عن ابن عباس أنه قال : " بنت هند خالتي ميمونة (٢) فنام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهله عن عرض الوسادة وأنا على طولها ثم قام من الليل وقرأ هذه الآيات المشروحة (٣) . وفي رواية قال سبحان الله الصلوك القدوس رب الخلافة والروح . وقرأ هذه الآيات المشروحة إلى آخر السورة (٥) .

(١) آل عمران آية ١٩١ .

(٢) ميمونة بنت الحارث الهلالية . زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن حماطه بن حمير .  
وقيل : من كنانة . وهي التي وهبت نفسها للنبي - صلى الله عليه وسلم -  
وفيهما نزلت " وامرأة مؤمنة " ان وهبت نفسها للنبي " الآية . وتوفيت  
بسرف في الموضع الذي ائتمنى بها فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
وذلك سنة احدى وخمسين . وقيل : سنة ست وستين وصلى عليها سبعا  
ابن عباس .

الاستيعاب (٤/ ١٩١٧ - ١٩١٨) .

(٣) رواه الامام البخاري في صحيحه من كتاب التفسير ، تفسير آل عمران .

(٤) أحمد في مسنده (١/ ٢٤٢) .

(٥) قال الفخر الرازي : " دلائل التوحيد محصورة في قسمين :-

دلائل الاقلاق ، ودلائل الانفس ، ولا شك أن دلائل الاقلاق أجل وأعظم  
كما قال تعالى : " لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس . . . " .  
ولما كان الأمر كذلك لا جرم أمر في هذه الآية بالفكر في خلق السموات  
والأرض لأن دلائلها أمجيب ، وشواهدا أعظم . . . " .  
التفسير الكبير (٩/ ١١٠) .

قوله تعالى ( ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت ) أى أهلكته (١) .

فإن قال قائل أليس تقولون ان المؤمنين يدخلون النار ولا يخلدون فيها فكيف يكون ذلك اهلاكا .

قيل : قال قتادة : معنى الآية انك من تدخل النار للخلود فقد أخزيت ،  
أى أهلكته (٢) .

وقال الضحاك : معنى الآية انك من تدخل النار فقد أخزيت أى فضحت  
ومتكت ستره فعلى هذا يستوى فيه كل من دخل النار وان لم يخلد فيها (٣)  
( وما للظالمين من أنصار ) (٤) .

( ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ) أكثر  
المفسرين طوا أن المنادى هو الرسول . (٥)

وقيل : هو القرآن قاله محمد بن كعب القرظي لأن كثيرا من الناس (٦)

---

(١) فى زاد المسير (٥٢٨/١) " قال الزجاج : المخزى فى اللغظة والمذا  
المحفوظ بأمر قد لزمه وريحه . يقال : أخزيت ، أى ألزمت حجة أزللتها  
مها " .

(٢) انظر تفسير الطبري (٤٧٧/٧) وهو قول أنس بن مالك وسعيد بن  
المسيب وابن جبير وابن جرير ومقاتل .  
زاد المسير (٥٢٨/١) .

(٣) انظر تفسير الخازن (٤٦٧/١ - ٤٦٨) .

(٤) آل عمران آية ١٩٢ .

(٥) ذكره ابن جرير وابن زيد . تفسير الطبري (٤٨١/٧) .

(٦) محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي . المدني وكان قسدا  
نزل الكوفة مدة .

ولد سنة أربعين طي الصحيح وهم من قال ولد فى عهد النبي - صلى  
الله عليه وسلم - وهو من عباد أهل المدينة وعلمائهم .

مات سنة عشرين ومائة وقيل قبل ذلك .

تقريب التهذيب (٣١٦ - ٣١٧) .

لم ير الرسول ولم يسمه<sup>(٢)</sup> ( ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ) أى كباثرتنا ( وكسر  
عنا سيئاتنا ) أى صفائرتنا .

وقيل : " الذنوب " المماضى ، والسيئات التقصير فى الطاعات<sup>(٣)</sup>  
( وتوفنا مع الأبرار ) السر<sup>(٤)</sup> : المطيع . وفى الآثار الجبر لا يؤمى الذر<sup>(٥)</sup>  
بمنى النمل الصفار .

( ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ) أى على السنة رسلك ( ولا تخزنا بمسوم  
القيامة ) أى لا تفضحننا ولا تهلكنا ( انك لا تخلف الميعاد )<sup>(٦)</sup> وهو على سبيل  
المدح له لأننا على القالع نعلم اننا لا تخلف الميعاد<sup>(٧)</sup> .

( ١ ) تفسير الطبرى ( ٧ / ٤٨٠ ) .

( ٢ ) رجح الامام ابن جرير الطبرى قول محمد بن كعب فقال : " وأولسى  
القوليين فى ذلك بالصواب قول محمد بن كعب القرظى ، وهو أن يكون  
" المنادى " القرآن لأن كثيراً من وصفهم الله بهذه الصفة فى هئذ  
الآيات ، ليسوا من رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - ولا عاينه فسمعوا  
دعاه الى الله تبارك وتعالى ونداه ، ولكنه القرآن . . . ٧ / ٤٨١ .

قلت : وأكثر المفسرين على القول الأول كما ذكر المؤلف .

( ٣ ) قال الشوكانى : والظاهر عدم اختصاص أحد اللفظين بأحد الأمرين  
والآخر بل يكون الممضى من الذنوب والسيئات واحداً ، والتكرير للمبالغة  
والتأكيد كما أن ممضى الشفر ، والكفر والستر " فتح القدير ( ١ / ٤١١ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ١٩٣ .

( ٥ ) الأبرار : جمع بار أو بر أو أصله من الاتساع فكان البار متسع فى طاعة الله  
ومتسعه له رحمة .

( ٦ ) لم أجده . ( ٧ ) آل عمران آية ١٩٤ .

( ٨ ) قال صاحب الكشاف : " فان قلت كيف دعو الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف  
الميعاد ؟ قلت : معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز  
الميعاد أو هو من باب الطجأ الى الله والخضوع له كما كان الأنبياء  
- عليهم الصلاة والسلام - يستغفرون مع عظمهم بأنهم مغفور لهم يقصدون  
بذلك التزلل لهم والتضرع اليه والطجأ الذى هو سبب العبودية .  
الكشاف ( ١ / ٣٥١ ) .

قوله تعالى ( فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ) . روى أن أم سلمة قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - انسى أرى الله لا يذكر النساء فى القرآن فنزل<sup>(١)</sup> قوله " من ذكر أو أنثى ( بعضكم من بعض ) أى كلكم كفؤ واحد فلا أضيع عمل واحد منكم . ( فالذي بين هاجر وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا ) وقرأ حمزة<sup>(٢)</sup> والكسائى وقتلوا وقاتلوا<sup>(٣)</sup> ( لا تكفون عنهم سيئاتهم ولا تدخلتم جنات تجرى من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله ) أى جزاء من عند الله ( والله عنده حسن الثواب )<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) رواه الحاكم فى المستدرک ( ٢٠٠ / ٢ ) وقال : صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه .

( ٢ ) هو أبو عمار حمزة بن حبيب الزيات الكوفى مولى عكرمة بن رميح التميمى .

كان ورعاً عالماً بكتاب الله مجوداً له ، عارفاً بالفرائض والحرمية حافظاً للحديث .

توفى بجلوان سنة ( ١٥٦ ) .

( ٣ ) قرأ ابن كثير وابن عامر ( وقاتلوا وقتلوا ) شدة التاء . وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم " وقاتلوا وقتلوا " خفيفة . وقرأ حمزة والكسائى " وقاتلوا وقاتلوا " .

الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ١ / ٣٢٣ ) .

( ٤ ) آل عمران آية ١٩٥ .

قوله تعالى ( لا يخرنك تقلب الذين كفروا في البلاد<sup>(١)</sup> ) متاع ) بمعنى  
 على مراد ههنا مصيروهم الى النار ( متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد<sup>(٢)</sup> )  
 وفيه دليل على أن أقل الظمير من الجنة خير من الدنيا . وفي الحديث  
 " لموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها<sup>(٣)</sup> " .

قوله تعالى ( لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار  
 خالدين فيها نزلا من عند الله ) النزول : هو ما يمد للضيف من النعمة فسمى  
 الله تعالى ما أهداه للمؤمنين من نعيم الجنة " نزلا من عند الله<sup>(٣)</sup> " ( وما عند  
 الله خير للأبرار<sup>(٤)</sup> ) .

قوله تعالى ( وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله ) وقيل : أراد النجاشي .  
 وروى أنه لما مات قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه " صلوا على أخ لكم  
 مات أصخمة النجاشي فقال المنافقون انظروا يصلون على طح<sup>(٥)</sup> من النصارى ويبدعونه

( ١ ) آل عمران آية ١٩٦ .

( ٢ ) آل عمران آية ١٩٧ .

( ٣ ) رواه الامام البخاري في صحيحه من كتاب الجهاد ، باب فضل رباط  
 يوم في سبيل الله ( ٢٢٤ / ٣ ) ومن كتاب بدء الخلق ، باب ماجاء  
 في صفة الجنة وأنها مخلوقة ( ٨٧ / ٤ ) ومن كتاب الرقاق ، باب  
 مثل الدنيا في الآخرة ( ١٧٠ / ٧ ) .

( ٤ ) في زاد المسير ( ٥٣٢ / ١ ) " قال ابن عباس : " النزول " الثواب .

قال ابن فارس : " النزول " ما يهب للنزول والنزول الضيف .

( ٥ ) آل عمران آية ١٩٨ .

( ٦ ) الملج : الرجل من كسار المعجم ، غير العرب ، والجمع طلوج  
 وأطلاج .

فَنزَلَتْ آيَاتِهِ . وَقِيلَ : هُوَ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَمَنْ أَسْلَمَ مَعَهُ <sup>(٢)</sup> فَذَلِكَ قَوْلُهُ  
" لَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ <sup>(٣)</sup> ( وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ ) أَيْ  
مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ ( لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا ظَنِيمًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ مِمَّا  
رَبَّهِمْ أَنْ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) <sup>(٤)</sup> .

قَوْلُهُ تَمَالَى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا ) يَعْنِي طَى الْجَهْدِ

( وَصَابِرُوا ) أَيْ مَعَ الْأَعْدَاءِ ( وَرَابَطُوا ) أَيْ فِي الشُّغْرِ بِالْمَلَاذِمَةِ .

وَقِيلَ : " اصْبِرُوا " طَى دِينِكُمْ ، وَصَابِرُوا " مَعَ الْأَعْدَاءِ " ، وَرَابَطُوا "

بِالْحَفَافَةِ طَى الصَّلَاةِ .

وَفِي الْحَدِيثِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَلَا أَدُلُّكُمْ طَى مَا يَمْحُو

اللَّهُ بِهِ السَّيِّئَاتِ وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ قِيلَ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَسْبَاغُ الْوُضُوءِ طَى

السَّيِّئَاتِ وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ

الرَّهَاطُ ، فَذَلِكَ الرَّهَاطُ ، فَذَلِكَ الرَّهَاطُ <sup>(٥)</sup> ( وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) أَيْ كُونُوا

طَى رَجَاءِ الْفَلَاحِ .

---

( ١ ) أَخْرَجَهُ الْوَاجِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ صَفْحَهُ ( ١٣٤ ) وَابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ

فِي تَفْسِيرِهِ ( ٤٩٧/٧ - ٤٩٨ ) .

( ٢ ) انظُرْ أَسْبَابَ النُّزُولِ لِلْوَاحِدِيِّ ( ١٣٤ ) وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَابْنِ جَرِيرٍ -

وَابْنِ زَيْدٍ .

( ٣ ) ظَلَّتْ : الْآيَةُ عَامَةٌ فِي كُلِّ أَهْلِ الْكِتَابِ .

( ٤ ) آلُ عِمْرَانَ آيَةٌ ١٩٩ .

( ٥ ) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ كِتَابِ الطَّهَارَةِ ، بِأَنَّ فِضْلَ أَسْبَاغِ الْوُضُوءِ

طَى الْمَكَارِهِ ( ١٥١/١ ) وَالْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي سُنَنِهِ مِنْ كِتَابِ الطَّهَارَةِ ،

بَابِ مَا جَاءَ فِي أَسْبَاغِ الْوُضُوءِ ( ٣٦/١ ) وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِهِ ( ٢٧٧/٢ ) .

( ٦ ) آلُ عِمْرَانَ آيَةٌ ٢٠٠ .

المملكة العربية السعودية  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة  
الدراسات العليا  
شعبة التفسير

تفسير

تفسير ابن كثير  
في تفسير القرآن الكريم  
المجلد الثاني

لأبي المظفر السمعاني

٤٦٦ - ٤٨٩

الجزء الثاني

دراسة وتحقيق

الأستاذ محمد صالح عيسى شيخ دار الحديث  
«صالح»

لنيل درجة الماجستير

باشرف

الدكتور عبد العزيز الدردير موسى



تفسير سورة النساء

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أعلم أن هذه السورة تسمى سورة النساء ، وتسمى سورة الأحكام وهي  
مدنية على قول أكثر المفسرين الا قوله تعالى " ان الله يأمركم أن تؤدوا  
الأمانات الى أهلها ... (١) فان هذه الآية نزلت بمكة في مفاتيح الكعبة .  
وأورد النحاس أن السورة مكية (٢) .  
(٣)

(١) النساء آية ٥٨ .

(٢) أحمد بن محمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحاس ، أبو جعفر  
النحوي المصري .  
مات في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بمصر .  
بغية الوعاة (١/٣٦٢) وفيات الأعيان (١/٩٩-١٠٠) .

(٣) يؤيد أنها مدنية ما رواه الامام البخاري عن عائشة - رضي الله عنها -  
قالت : ما نزلت سورة البقرة والنساء الا وأنا عند رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - ومن المتفق عليه عند العلماء أن دخوله - صلى الله عليه  
وسلم - طي عائشة كان بعد الهجرة . والحق أن الذي يقرأ سورة  
النساء من أولها الى آخرها يتدبر وامعان يورى في أسلوبها وموضوعاتها  
سمات القرآن المدني فهي زاخرة بالحديث عن الاحكام الشرعية من  
عبادات ومعاملات وحدود . ومن علاقة المسلمين ببعضهم وبغيرهم  
وعن أحوال أهل الكتاب والمنافقين وعن الجهاد في سبيل الله الى غير  
ذلك من الموضوعات التي يكثر ورودها في القرآن المدني ومن هنا قال  
القرطبي : " ومن تبين أحكامها علم انها مدنية لا شك فيها " (١/٥) .

ونزول قوله تعالى " ان الله يأمركم ... لا يمنع من كونها  
مدنية لأن الرأي الصحيح في تعريف المدني : أنه ما نزل بعد  
الهجرة ولو كان نزوله في غير المدينة .

وفي الحديث من قرأ سورة البقرة ( وآل عمران والنساء ) في ليلة كتب من القانتين (١) . وعن عمر -رضي الله عنه - أنه قال " تعلموا سورة البقرة (٢) والنساء والمائدة وسورة النور والأحزاب فان فيهن الفرائض (٣) .

قوله تعالى ( يا أيها الناس ) قال علقمة : كل ما نزل في القرآن يا أيها الناس فانما نزل بمكة وكل ما ورد في القرآن " يا أيها الذين آمنوا " فانما نزل بالمدينة (٤) .

---

(١) في جامع الأحاديث للسانيد والمراسيل للسيوطي (١٣٤/٢) حديث رقم (١٩٣٠) قال : رواه أبو عبيد وسعيد بن منصور في سننه وعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من ب .

(٣) رواه السيوطي في جامع الأحاديث للسانيد والمراسيل (١٣٥/٢) حديث رقم (١٣٥) قال رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان .

(٤) قلت : هذا التعريف غير مطرد في جميع موارد الصيغتين المذكورتين لأن هناك آيات مدنية صدرت بصيغة " يا أيها الناس " وهناك آيات مكية صدرت بصيغة " يا أيها الذين آمنوا " مثال الأولى سورة النساء هذه فانها مدنية وأولها " يا أيها الناس " وكذلك سورة البقرة مدنية وفيها " يا أيها الناس اعبدوا ربكم " ، ومثال الثانية سورة الحج فانها مكية مع أن في آخرها " يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا .. الخ .

والتعريف الصحيح الضابط المطرد ان يقال ان المكي ما نزل قبل هجرته - صلى الله عليه وسلم الى المدينة وان كان نزوله بغير مكيه . والمدني ما نزل بعد الهجرة وان كان نزوله بمكة .  
مناهل العرفان في علوم القرآن (١٨٢/١) .

وقوله " يا أيها " يا للنداء ، وأن للاشارة ، وها للتنبيه ( اتقوا ربكم )  
وقرأ ابن مسعود : اتقوا الله ربكم . بدأ من السورة بالوعظ والتحذير فقال  
اتقوا ربكم ( الذي خلقكم من نفس واحدة ) وأراد بالنفس الواحدة آدم - صلوات  
الله عليه - وإنما قال " واحدة " على التانيث لأجل اللفظ لأن النفس مؤنثه  
وهذا مثل قول الشاعر (١) :

أبوك خليفة ولدته أخسرى وأنت خليفة ذاك الكمال  
وإنما قال " ولدته " للفظ الخليفة ، وإن كان معناه الذكر .

( ٢ ) ( وخلق منها زوجها ) يعنى حواء . وسميت حواء لأنها خلقت من حي  
وفي القصص أن الله تعالى خلق حواء من ضلع لآدم في جنبه الأيسر يسمى  
القصير (٤) .

---

( ١ ) البيت في تفسير الطبري ( ٣٦٢ / ٦ ) ( ٥١٤ / ٧ ) ومعاني القرآن للفراء  
غير منسوب . وقد رجعت الى بعض المظان ولم أعر على قائله ، على أننا  
نؤمن أنه من شعراء البادية الذين يحتج بكلامهم ، والذين كانوا يعدون  
الخلفاء في عهد العباسيين وعسى أن يكون المدوح المهدى بهن الهادى  
ابن المنصور .

( ٢ ) لعنه يقصد بالحق آدم عليه السلام .

( ٣ ) قلت : وهذا القصص بيد وأنه من الاسرائيليات لأنه لم يرد حديث  
صحيح بذلك وأن الذي ورد في الحديث الصحيح هو ما ذكره  
بعد ذلك .

( ٤ ) القصير : أسفل الأضلاع . وقيل : الضمير الذى على الشاكلة  
بين الجنب والبطن .

وفي الخبر المعروف " ان المرأة خلقت من ضلع أعوج فان أردت أن تقيمها  
كسرتها ، وان تركتها ، استتمت بها على اعوجاج <sup>(١)</sup> .

وقيل <sup>(٢)</sup> ان حواء خلقت من التراب .

وقوله " وخلق منها زوجها " معناه : وخلق من جنسها زوجها بمعنى  
التراب . والأصح الا <sup>(٣)</sup> اول .

وفي الخبر ان الله تعالى لما خلق آدم ألقي عليه النوم ثم أخذ ضلعاً  
من أضلاعه وخلق منه حواء فجلست لجنبه فلما انتبه رآها جالسة لجنبه <sup>(٤)</sup> .

---

(١) البخارى من كتاب الأنبياء (١) باب خلق آدم (٤/١٠١) ومسلم من  
كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء (٤/١٧٨) وأحمد في مسنده  
(٨/٥) .

(٢) ذكره ابن حجر . زاد المسير (١/٢) .

(٣) ما ذهب اليه المؤلف ، من أن الأصح الأول هو الذى نوّده لأن الحد  
بئوئده . ولأن ظاهر قوله تعالى (منها) يقتضى أنها أخرجت من  
آدم .

قال الفخر الرازى " والقول الأول أقوى لكى يصبح قوله " خلقكم من نفس  
واحدة " ان لو كانت حواء مخلوقة ابتداءً لكان الناس مخلوقين من نفسين  
لا من نفس واحدة " .

التفسير الكبير (٩/١٦١) .

(٣) الطبرى (٧/٥١٥-٥١٦) وتفسير ابن كثير (٢/١١٩) .

وقيل انه لم يؤنه أخذ الضلع شيئا ولو أذاه لما عطف رجل على امرأة

أبدا .

وعن ابن عباس ان الله تعالى خلق الرجل من التراب <sup>(١)</sup> فنهضته في التراب  
وخلق المرأة من الرجل فنهضتها في الرجل فاحبسوا نساءكم <sup>(٢)</sup> .

( وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ) ذكر هذا كله لبيان القدرة واظهار  
المنه ( واتقوا الله الذي تسألون به ) أي تتسألون <sup>(٣)</sup> به وذلك مثل قول الرجل  
أسألك بالله ونشدتك بالله ، وقيل <sup>(٤)</sup> معناه : واتقوا الله الذي تعاهدون  
به وذلك أن تقون عليكم عهد الله وعلي عهد الله ونحو ذلك . وأما قوله  
" والأرحام " قرأ حمزة الأرحام بكسر الميم . وتقديره تسألون به والأرحام .

---

( ١ ) النهمة : الحاجة .

( ٢ ) أخرجه ابن كثير في تفسيره ( ١٧٩ / ٢ ) .

( ٣ ) هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي . وقرأ الباقر " تسألون " بالتشديد

بادغام تاء التفاعل في السين لتقاربها في الهمس .

النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٣٩ ) الكشف ( ١ / ٣٧٥ ) .

( ٤ ) ذكره الضحاك والربيع .

زاد المسير ( ٢ / ٢ ) .

( ٥ ) الكشف ( ١ / ٣٧٥ ) والنشر ( ٢ / ٢٣٩ ) .

قال ابراهيم النخعي : تقول المرء بشدتك بالله وبالرحم وضعفوا<sup>(١)</sup>  
 هذه القراءة . والقراءة المعروفة بنصب الميم وتقديره واتقوا الأرحام أن  
 تقطعوها .

( ١ ) الذين ضعفوا هذه القراءة طائفة من النحويين وقالوا انها تخالف القواعد  
 النحوية التي تقول ان عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور المتصل  
 بدون اعادة الجار لا يصح . لأن الضمير المجرور المتصل بمنزلة الحرف  
 والحرف لا يصح عطف الاسم الظاهر عليه . ولأن الضمير المجرور كـعـ  
 الكلمة لشدة اتصاله بها وكما أن لا يجوز أن يعطف على بعض الكلمة  
 فكذلك لا يجوز أن يعطف عليه . . . الى غير ذلك مما قالوه في تضعيف  
 هذه القراءة .

وقد دافع كثير من المفسرين عن هذه القراءة التي قرأها حمزة  
 وأنكروا على النحويين تشنيعهم عليه . ومما قاله القرطبي في دفاعه عن  
 صحة هذه القراءة : " ومثل هذا الكلام - أي من النحويين - مردود عند  
 أئمة الدين لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي - صلى  
 الله عليه وسلم - فمن رد ذلك فقد رد على النبي - صلى الله عليه وسلم -  
 واستقبح ما قرأ به . وهذا مقام محذور ، ولا يقدر فيه أئمة اللغة والنحو  
 فان العربية تتلقى من النبي صلى الله عليه وسلم - ولا يشك أحد في  
 فصاحته . .

ثم قال : والكوفي يجيز عطف الظاهر على الضمير المجرور ولا يمنع  
 منه ومنه قولهم : . . . . . قاناهو فما بك من الأيام من عجب  
 الجامع لأحكام القرآن ( ٣ / ١٠ ) .

ومما قاله الفخر الرازي في ذلك : " واعلم أن هذه الوجوه التي اشتهر  
 بها النحويون في تضعيف قراءة حمزة ليست وجوها قوية في رفع الروايات  
 الواردة في اللغات ، وذلك لأن حمزة أحد القراء السبعة ولم يأت بهذه  
 القراءة من عند نفسه بل رواها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
 وذلك يوجب لقطع بصحة هذه اللغة والقياس يتضاءل عند السماع لا سيما  
 يعثل هذه الأقيسة التي هي أو هن من بيتا المنكبوت . وأيضا ظهر منه  
 القراءة وجهان :-

أحدهما : أنها على تقدير تكرير الجار ، كأنه قيل تسألون به وبالأرحام .  
 وثانيهما : أنه ورد ذلك في الشعر ومنه :-

تعلق مثل السوارى سيوفنا وما بينهما والكعب عوط نغانف

ثم قال " والمعجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون اثبات هذه اللغة  
 بمثل هذه الأبيات المجهولة ولا يستحسنون اثباتها بقراءة حمزة ومجاهد مع  
 أنها كانا من أكابر علماء السلف في علم القرآن " التفسير الكبير ( ١٦٣ / ٩ ) .

وفي الخبر يقول الله تعالى " أنا الرحمن وخلقنا الرحم واشتقت لهما  
اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته (١) .

وروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال إن الله تعالى يمرر  
الذي يار، ويكثر أموالهم، ولم ينظر اليهم من خلفهم بغضا لهم فليلم ذلك  
يارسول الله قال بصلة الأرحام (٢) ( إن الله كان عليكم رقيبا ) (٣) أي حفيظا .

---

(١) رواه أبو داود في سننه من كتاب الزكاة (٤٥) باب في صلة الرحم .  
قال الامام النووي في عون المعبود (١١٣/٥) .  
قال المنذرى : وأخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وفي تصحيحه نذر .  
فسيان يحيى بن معين قال : أبوسلمة  
ابن عبد الرحمن لسم يسمع من أبيه شيئا وذكر غيره أن أبا سلمه  
وأخاه حميدا لم يصح لهما سماع من أبيهما . انتهى . والحدِيث أخرجه  
أيضا أحمد والبخارى في الأدب المفرد والحاكم عن عبد الرحمن بن عوف  
والحاكم أيضا عن أبي هريرة والله أعلم .

(٢) رواه المنذرى في الترغيب والترهيب (٢٠-٢١/٥) من كتاب الجبر ، باب  
الترغيب في صلة الرحم وإن قطعت . وقال : رواه الطبراني باسناد  
حسن والحاكم وقال تفرد به عمران بن موسى الرطبي الزاهد عن  
أبي خالد فإن كان حفظة فهو صحيح .

(٣) النساء آية ١ .

قوله تعالى : ( وأتوا اليتامى أموالهم ) أراد به دفع المال إليهم بعد

البلوغ .

( ١ )

وسماهم بعد البلوغ يتامى لقرب عهدهم باليتيم .

وكانت قریش تسمى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتيم أبي طالب ( ٢ )

لذلك .

( ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ) وفي قسوة شاذه ولا تشتروا الخبيث

بالطيب فالخبيث الحرام ، والطيب الحلال .

ومعنى الكلام : ولا تأكلوا أموال اليتامى حراما وتدعوا أموالكم الحلال .

وقال مجاهد : معناه : ولا تستمجلوا أكل الحرام فان الحلال يأتيكم .

---

( ١ ) قال صاحب الكشاف : " وحق هذا الاسم أن يقع على الضفار والكبار لبقاء

معنى الانفراد عن الأباء ، إلا أنه قد غلب أن يسما به قبل أن يبلغوا

مبلغ الرجاء فاذا استغنوا بأنفسهم عن كافل وقائم عليهم ، وانتصبوا كفاه

يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكان تقيس تقول : رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - يتيم أبي طالب اما على القياس ، واما

حكاية للحال التي كان عليها صغيرا في حجر عمه . وأما قوله

صلى الله عليه وسلم : " لا يتم بمد الحلم " فهو تعليم شريفة .

لا لفه . أى أنه اذا احتلم لم تجر عليه أحكام الضفار ( ١ / ٤٦٣ ) .

( ٢ ) زاد المسير ( ٢ / ٤ ) .



- ( ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم )
- قال الفراء : مع أموالكم<sup>(١)</sup>
- وقال غيره<sup>(٢)</sup> : إلى لا تكون بمعنى مع وهي على حقيقتها ومعناها :
- ولا تأكلوا أموالهم مضافة إلى أموالكم<sup>(٣)</sup> ( انه كان حوبا كسيرا<sup>(٤)</sup> )

( ١ ) معانى القرآن ( ٢٥٣ / ١ ) .

( ٢ ) القرطبي ( ١٠ / ٥ ) .

( ٣ ) قلت : الجملة الكريمة صريحة في النهي عن خلط مال اليتيم القاصر بمال الموصى عليه بقصد أكله لأن هذا لون من ألوان الاستيلاء المحرم على أموال اليتامى ، كما أنهى تتضمن النهي عن خلط مال اليتيم بمال الموصى عليه ولو لم يقصد أكله ، لأن هذا الخلط قد يؤدي إلى ضياعه وعدم تمييزه فقد يموت الموصى فلا يعرف مال اليتيم ، فيؤدي الأمر إلى أكله وإن لم يكن مقصودا .

هذا وليس قيد " إلى أموالكم " محط النهي بل النهي واقع على أكل أموال اليتامى مطلقا سواء أكل من الأكل مال يضم إليه مال اليتيم أم لم يكن ، ولكن لما كان الغالب وجود أموال للأوصياء ، وأنهم يريدون من أكل أموال اليتامى التكرار أو توفير أموالهم جيء بهذا القيد رعاية لهذا الغالب وليكون ذمهم على جشعهم وضعف دينهم أشد وأشنع حيث أكلوا حقوق اليتامى مع أنهم في غنى عنهم مما رزقهم الله من أموال .

( ٤ ) النساء آية ٢ .

(١) فالجواب : الأشم .

وفي الخبر أن أبا أيوب الأنصاري (٢) أراد أن يطلق امرأته أم أيوب (٣) فقال  
النبي - صلى الله عليه وسلم - : إن طلاق أم أيوب لحوب . (٤)

(١) الحوب : اسم مصدر من حاب يحوب حوبا إذا اكتسب اثما . يقال فلان  
يتحوب أي يتأثم . والحوبا : النفس المرتكبة للأثم . ويقال في الدعاء :  
اللهم اغفر حوبتي ، أن اثم وأصله الزجر للذليل فسمى الأثم حوبنا  
لأنه - يزجر عنه وب . راجع التفسير الكبير (١٧٦/٥ - ١٧٧) .  
قال ابن كثير : وقد روى ابن مردويه عن ابن هريبه - رضي الله عنه - قال  
سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قوله : " حوبا كبيرا " قال  
اثما كبيرا .

ثم قال : ولكن في أسناده محمد بن يونس الكندي وهو ضعيف ،  
وهكذا روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ، والحسن ، وابن سيرين ،  
وقتادة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان ، وأبي مالك ، وزيد بن أسلم  
وأبي سنان . تفسير ابن كثير (١٨١/٢) .

(٢) خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار  
أبو أيوب الأنصاري البخاري . من السابقين . شهد العقبة ودارا وما بعد  
ونزل عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - لما قدم المدينة وأقام عنده حتى  
بيوته ومسجده وأخى بينه وبين مصعب بن عمير وشهد الفتح وداوم الغزوات  
توفي في غزاة القسطنطينية سنة خمس مائة ، وقيل احدى وقيل اثنتين  
وخمسين وهو الأكثر .  
الإصابة (٤٠٥/٤ - ٤٠٦) .

(٣) أم أيوب بنت قيس بن عمرو بن امرئ القيس الخزرجية الأنصارية . أخت  
الترمذي من طريق ابن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد عن أبيه . أن  
أم أيوب أخبرته قالت نزل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
وتكلمنا له بلعاطا فيه بمر هذه البقور فكره أكله وقال لأصحابه كلوه  
إني لست كأحدكم إني أخاف أن أؤذي صاحبى .  
الإصابة (٤٣٤/٤) ط . دار احياء التراث العربي - بيروت - الطبعة  
الأولى .

(٤) رواه ابن كثير في تفسيره (١٨١/٢) .

قوله تعالى ( وان خفتن ان لاتقسطوا في اليتامى ) أى أن لاتعدلوا  
يقال أقسط اذا عدل وقسط اذا جار . وفي معنى الآية قولان :-

أحدهما : أورده البخاري في الصحيح<sup>(١)</sup> وهو ما روى الزهري عن عروة أنه سأل  
عائشه عن شأن هذه الآية فقالت : يا ابن أختي نزلت الآية في يتيمة  
تكون في حجر وليها يرغب في مالها وجمالها ولا يقسط في صداقها فنهوا عن  
نكاحهن ، وأمروا أن ينكحوا غيرهن . فعلى هذا تقدير الآية " وان خفتن  
أن لاتقسطوا نكاح اليتامى ( فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث  
ورباع ) .

وقال ابن عباس : قصر نكاح النساء على الأربع من أجل أموال اليتامى .  
فان قيل كيف يعرف هذا وكيف يلتئم بذاك ؟ قيل معناه : ان الله تعالى  
لما شدد في أموال اليتامى تحرج المسلمون عنها غاية الحرج وشرعوا في  
نكاح النساء واستهانوا به فنزلت الآية<sup>(٢)</sup> . وأراد أنكم كما تخرجتم عن أموال

---

(١) من كتاب التفسير (١) باب " وان خفتن ان لاتقسطوا في اليتامى  
٠ (١٢٧/٥)

(٢) رواه بمعدناه عن سعيد بن جبير الطبري (٥٣٦/٧) ونسبه السيوطي  
في الدر (١١٨/٢) الى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر  
وابن أبي حاتم .

اليتامى خوفا من الجور ، فخرجوا عن الزيادة على الأربع خوفا من الجور ،  
 والمييل<sup>(١)</sup> فهذا معنى قوله " فأنكحوا ما طاب لكم " أن ما حد لكم من النساء  
 " مشى وثلاث ورباع " أى لا تجاوزوا الأربع .

( ١ ) انتصر الامام ابن جرير الطبري لهذا القول لمروى عن ابن عباس وعده  
 أرجح الأقوال فقال ما ملخصه : " وانما قلنا ان ذلك أولى بتأويل  
 الآيه لأن الله تعالى افتتح الآيه التى قبلها بالنهى عن أكل أموال  
 اليتامى بغير حقها . . . ثم أعلمهم هنا المخلص من الجور فى أموال  
 اليتامى فقال انكحوا ان أنتمم الجور فى النساء على أنفسكم يا أبحت  
 لكم منهن وحللتن مشى وثلاث ورباع فان خفتن أيضا الجور على أنفسكم  
 فى أمر الواحدة فلا تنكحوها ، ولكن تسروا من المطايك فانكم أحمرء ،  
 ألا تجوروا عليهن لانهن أمركم وأموالكم ولا يلزمكم لهن من الحقوق  
 كالأول يلزمكم للحرائر فيكون ذلك أقرب لكم الى السلامة من الاثتم  
 والجور .

تفسير الطبري ( ٧ / ٥٤٠ - ٥٤١ ) .

ويبدو لى أن الزجاج هو قول عائشة لأنه هو الظاهر من معنى  
 الآيه ، ولأن الغالب أن السیده عائشة رضى الله عنها - ما فسرت الآيه  
 بهذا التفسير الذى قالته لابن اختها عروة الا عن توقيف ومعاينه  
 لحام النزول ، ولأن الملازمة بين الشرط والجزاء فى الآيه على هذا  
 الوجه تكون ظاهره ان التقدير هو ان خفتن أيها الأولياء الجور والظلم  
 فى نكاح اليتامى الا ترى فى ولا يتكمن فأنكحوا من غيرهن ما طاب لكم من  
 النساء .

أما على القول الثانى فمحمل الملازمة بين الشرط والجزاء ان  
 هو فيما تفرغ عن الجزاء وهو قوله " فان خفتن ألا تعدلوا فواحد  
 أو ما طكك أيمانكم " .

ونذهب بعض الناس الى أن نكاح التسع جائز بظاهر هذه الآية لأن  
الاثنين والثلاث والرباع يكون تسما . وليس بصحيح <sup>(١)</sup> بل فيه قولان :

(١) قال الامام القرطبي : " اعلم أن هذا المديد مشني وثلاث ورباع لا يدل  
على اباحة التسع كما قاله من بعد فهمه عن الكتاب والسنة ، وأعرض عما  
كان عليه سلف هذه الأمة وزعم أن الواو جامع وعقد ذلك بأن النبي  
- صلى الله عليه وسلم - نكح تسما وجمع بينهما في عصمته . والذي صرر  
الى هذه الجهالة وقال هذه المقالة ، الرافضة وبعض أهل الظاهر  
فجعلوا مشني مثل اثنين وكذلك ثلاث ورباع .

وهذا كله جهل باللسان والسنة ومخالفة لاجماع الأمة ، ان لم  
يسمع عن أحد من الصحابة ولا التابعين أنه جمع في عصمته أكثر من أربع .  
وأخرج مالك في الموطأ والنسائي والدارقطني في سننهما أن النبي  
- صلى الله عليه وسلم - قال لغيلان بن أمية الثقفي وقد أسلم وتحتيته  
عشر نسوة " اخترت منهن أربعاً وفارق سائرهن " .

وأما ما أبيح من ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فذلك ممن  
خصوصياته .

وأما قولهم ان الواو جامع . فقد قيل ذلك - ولكن الله تعالى  
خاطب العرب بأفصح اللغات والعرب لا تدع أن تقول تسعة ويقول اثنين  
وثلاثة وأربعة ، وكذلك تستمقح ممن يقول أعط فلانا أربعة فسوته  
ثمانية ولا تقول ثمانية عشر .

وانما قال الواو في هذا الموضع بدل ، أي انكحوا ثلاثاً ببديلا  
من مشني ، ورباع بدلا من ثلاث وبذلك عطف بالواو ولم يعطف بأو ،  
ولو جاء بأولجاز ألا يكون لصاحب المشني ثلاث ولا لصاحب الثلاث رباع .  
وقد قال مالك والشافعي في الذي يتزوج خاصة وعنده أربع طيه الحد ان  
كان عالما . وقال الزهري : يبرجم ان كان عالما ، وان كان جاهلا فعليه  
أدنى الحد الذي هو الجلد ولها مهرها ، ويفرق بينهما ولا يجتمعان  
أبداً .

أحدهما : قال الزجاج : مشني مشني ، وثلاث ثلاث ورباع رباع يصني لكل الناس<sup>(١)</sup> .

وقيل الواو بمعنى أو ، بمعنى مشني أو ثلاث أو رباع . ولأن على التقدير الذي ذكروا عيبا في الكلام لأن من أراد أن يذكر التسع فيقول مشني وثلاث ورباع عد ذلك عيبا في الكلام<sup>(٢)</sup> وقد قال ( فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة ) لأنه أخف موهبه ( أو ما ملكت أيما نكم ) لأن حقوق ملك اليمين أدنى من حقوق ملك النكاح وهو معنى قوله ( ذلك أدنى ألا تعدلوا<sup>(٣)</sup> ) أي ذلك أقربا لا تجوروا يقال

( ١ ) زاد المسير ( ٨ / ٢ ) .

( ٢ ) قال صاحب الكشاف فان قلت الذي أطلق للنكاح في الجمع أن يجمع بين شنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مشني وثلاث ورباع ؟ .

قلت الخطاب للجمع . فوجب التكرير ليصيب كل نكاح يريد الجمع ما أراد من المدد الذي أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال - وهو ألف درهم - درهمين درهمين وثلاثة وثلاثة وأربعة أربعة ، ولو أفردت لم يكن له معنى .

فان قلت . فلم جاء بالمطرف بالواو دون أو ؟ .

قلت : كما جاء بالواو في المثال الذي جذوته لك . ولو ذهبست تقول : اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة ، أعلمت أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه الا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينهما ، فيجعلوا بعض القسمة على ثنية ، وبعض على ثلثيت وبعض على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دل عليه الواو ، وتحريمه أن الواو دلت على اطلاق أن يأخذ الناكحون من أراد نكاحها من النساء عن طريق الجمع ان شاءوا مختلفين في تلك الأعداد وان شاءوا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك .  
الكشاف ( ٤٦٨ / ١ ) .

( ٣ ) النساء آية ٣ .

عال يعول اذا جار ، وأعال يعيد اذا كثر عياله . قال الشاعر (١) :  
انا اتبعنا الرسول واطرحموا أمر الرسول وعالوا في الموازين  
أى جاروا ، وروى أن أهل الكوفة عتبوا على عثمان في شئ فقال : لست  
بقسطا فلا أعول (٢) .

أى لست بقسطاس فلا أجور .

وقال الشافعي معناه : ذلك أدنى ألا يكثر عيالكم (٣) .  
وحكى الأزهري عن الكسائي أنه حكى عن العرب عال يعول اذا كثر  
عياله وهذا يؤيد قول الشافعي (٤) .

---

(١) البيت في الصحاح مادة عمول وكذا في اللسان وروايته فيهما :  
قالوا اتبعنا رسول الله .  
ولم أعثره على قائل .

(٢) رواه ابن جرير (٥٥١/٧) وابن كثير (١٨٥/٢) .

(٣) قلت : وهو قول زيد بن أسلم وسفيان بن عيينه .  
ابن كثير (١٨٤/٢) .

(٤) قلت : ذكر ابن العربي أن عال تأتي لسبعة معان :  
الأول : عال ، مال .  
الثاني : عال زاد .  
الثالث : عال : جار .  
الرابع : عال : افتقر .  
الخامس : أُنْقِل .  
السادس : قام بمؤونة العيال .  
السابع : عال : غلب .

.. / ..

قال : ويقال أعمال الرجل كثر عياله .

وأما عال بمعنى كثر عياله فلا يصح .

أحكام القرآن ( ٣١٤ / ١ - ٣١٥ ) .

وقد أجاب الشوكاني على ذلك بأنه قد سبق الشافعي إلى القول به  
زيد بن أسلم وجابر بن زيد وهما إمامان من أئمة المسلمين لا يفسران القرآن  
وهما الإمام الشافعي بما لا وجه له في المربيه وقد أخرج ذلك عنهم  
الداقطنى في سننه .

وقد حكاه القرطبي عن الكسائي وأبي عمرو والدوري وابن الأعرابي .

وقال أبو حاتم : كان الشافعي أعلم بلغة المرب منا ولعله لغة .

وقال الثعلبي : قال أستاذنا أبو القاسم بن حبيب : سألت أبا عمرو

الدوري عن هذا وكان إماما في اللغة غير مدافع ، فقال هي لغة حمير  
وأُنشد :

وان الموت يأخذ كل حسي بلا شك وان أشسى وعــــالاً

ثم قال الإمام الشوكاني بعد ذلك : وقد ورد عال لعمان غير السبعة

التي ذكرها ابن العربي منها عال : اشتد وثفاقم ، حكاه الجوهري .

وعال الرجل في الأعراس إذا ضرب فيها حكاه الهروي .

وعال إذا عجز ، حكاه الأحمس .

فهذه الثلاثة معان غير السبعة ، والرابع عال : كثر عياله ، فجعله

معاني عال أحد عشر معنى .

فتح القدير ( ٤٢١ / ١ - ٤٢٢ ) .



( وأتوا النساء صدقاتهن نحله ) الصدقة والصداق واحد . نحلة

أى ديانة .

وقال ابن عباس معناه . فريضة والخطاب مع الأزواج على الأصح ، وقيل هو خطاب مع الأولياء ، وكان أهل الجاهلية لا يعطون المرأة صداقها وإنما يأخذ الأولياء فخطب الأولياء باعطاء المرأة صداقها نحلة أى هو عطية لها من الله (١) .

(١) رجح الامام ابن جرير أيضا كون الخطاب للأزواج فقال : " وذلك لأن الله تعالى ابتداء ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين للنساء ، ونهاهم عن ظلمهن ، ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم الى غيرهم .

فان كان ذلك ، فمعلوم أن الذين قيل لهم : " فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع " هم الذين قيل لهم : " زوا وأتوا النساء صدقاتهن نحله " . . . " وأن معناه : " وأتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة ، لأنه قال في الأول : " فأنكحوا ما طاب لكم من النساء " . ولم يقل " فأنكحوا " حتى يكون قوله : " وأتوا النساء صدقاتهن " مصروفا الى أنه معنى به أولياء النساء دون أزواجهن . وهذا أمر من الله لأزواج النساء المسمى لهن الصداق أن يؤتوهن صدقاتهن . . . " .

والذي أراه أن الخطاب في الآية الكريمة يتناول كل من له علاقة بالنساء من الأزواج أو الأولياء وغيرهم من الحكام الذين اليهم المرجع في رد الحقوق الى ذويها ، والضرب على أيدي المعتدين والطامعين في حقوق النساء ، وذلك لأن الخطاب من أول السورة موجه الى الأولياء والأزواج فناسب أن يكون الخطاب هنا شاملا لكليهما فان أعطوهن رضا كان حسنا والا أجبرهم الحكام على ذلك .

( فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ) أى فان أعطيين عن طيب نفس  
من الصداق شيئا ومن للتخيير هاهنا لا للتبديف حتى يجوز للمرأة هبة  
كل الصداق .

( فلكوه هنيئا مريئا )<sup>(١)</sup> فالهني ما أكلت من غير تبديف ، والمري  
هو المحمود الماقيه وذلك أن لا يورث تخمه .<sup>(٢)</sup>

وعن على رضى الله عنه أنه قال : " اذا مرض أحدكم فليستقرض من امرأته  
ثلاثة دراهم من صداقها وليشتر بها عسلا وليخلطه بها السما ليأكل فانه  
الشفاء المبارك والهني المرى"<sup>(٣)</sup> .

(١) النساء ٢٤٤ .

(٢) هنيئا مأخوذ من "هنأت البمير بالقطران" اذا جرب فمدولج به كما  
قال الشاعر :

متيدلا تبدو مجاشه يضع الهنا مواضع النقيب

فكان معنى قوله : " فلكوه هنيئا مريئا " فلكوه دوا شافيا .

يقال منه : دهتأنى الطمام ومرأنى " أى صار لى دوا وعلاج  
شافيا ، " وهنتنى ومرئنى بالكسر ، وهى ظيله ، والذين يقولون  
هذا القول ، يقولون " بهتأنى ويعرانى " والذين يقولون " هنأنسى "  
يقولون " بهننى ويعرينى " فاذا أفردوا قالوا : " قد أمرأنى هذا  
الطمام امراء " ويقال : " هنأت القوم " اذا علتهم سمع من العرب  
من يقول " انما سميت هانئا لنهنا " ، بمعنى : لتمول وتكفسى

الطبرى (٧/٥٥٩-٥٦٠) .

(٣) زواه ابن كثير فى تفسيره (٢/١٨٥) .

قوله تعالى ( ولا توتوا السفهاء أموالكم ) أكثر المفسرين على أن المراد بالسفهاء<sup>(١)</sup> الصبيان والنساء هاهنا .

وقال الشعبي : المرأة أسفه من كل سفية .

قال سعيد بن جبیر : معنى الآية قيمة البيت في المماشيل كونوا أنتم قوامين على النساء في المماشيل<sup>(٢)</sup> .

وقوله ( التي جعل الله لكم قياما ) فالقيام والقوام واحد بمعنى أموالكم التي جعلها الله قواما لمماشلكم<sup>(٣)</sup> .

---

(١) راجع معنى "السفيه" والسفهاء في الطبري (١/٢٩٣-٢٩٥) .  
(٢) قلت : وقد قيل إن من السفهاء : اليتامى الذين لا يحسنون التصرف في أموالهم لصغرهم أو لضعف عقولهم ، واضطراب أفكارهم .

والذي أراه - والله أعلم - أن المراد بالسفهاء هنا ما يمكن أن يشمل كل من لا يحسن المحافظة على ماله لصغره ، أو لضعف عقله أو لسوء تصرفاته ، لأن التميم في الألفاظ عند عدم موجود المخصص - أولى ، ولأنه أوفر معنى ، وأوسع تشريحا .

(٣) "قيام" و "قيما" و "قواما" في معنى واحد . وإنما "القيام" أصله "القوام" غير أن "القاف" التي قبل "الواو" لما كانت مكسورة جعلت "الواو" "ياء" لكسرة ما قبلها كما يقال : "صمت صياما ، وصدتصبالا" ويقال منه : "فلان قوام أهل بيته" و "قيام أهمل بيته" .

الطبري (٧/٥٦٨-٥٦٩) .

وقال الزجاج : تقديره الأموال التي تقيمكم فتقومون به قياما ( وارزقوهم فيها واكسوهم ) قيل معناه وارزقوهم منها . وقيل كلمة في على حقيقتها ومعناه اجملوا وظائفهم من الرزق والكسوة فيها<sup>(١)</sup> ( وقلوا لهم قولا معروفا<sup>(٢)</sup> ) قيل معناه تعلمهم الدين والشرائع .

وقيل أراد به وعد الجميل وذلك أن يقول لهم ان سافرت وربحت أعطيتكم كذا وان غزوت فغنمت أعطيتكم كذا فهذا هو القول المعروف<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( وابتلوا اليتامى ) بمعنى واختبروا اليتامى ثم منهم من قال انما نختبرهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم باليتيم ، والصحيح أنه أراد به الاختيار قبل البلوغ . ثم اختلفوا فأما الفقهاء قالوا يدفع اليه شيئا يسيرا وينتفضه الى السوق حتى يستام السلمه ثم اذا آل الأمر الى المقدم يعقد الولي ، ومنهم من قال يعقد الصبي ويجوز ذلك في الشيء اليسير لأجل الاختيار<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) قلت وهذا القول الثاني هو الأولى لأنه انما قال " وارزقوهم فيها " ولم يقل " منها " لئلا يكون ذلك أمرا بأن يجعلوا بمحض أموالهم رزقا لهم ، بل أمرهم أن يجعلوا أموالهم مكانا لرزقهم بأن ينجزوا فيها ويستثمروها ، فيجعلوا أرزاقهم من الأرباح لا من أصول الأموال .

( ٢ ) النساء آية ٨ .

( ٣ ) قلت وهو يشمل كل ما ذكر . وكل ما تسكن اليه النفس لموافقته الشرع والمقول السليم هو قول بالمعروف .

( ٤ ) قال أبو حنيفة - رضي الله عنه - تصرفات الصبي الماقل المميز بان الولي صحيحه ، وقال الشافعي - رضي الله عنه - غير صحيحه ، احتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك لأن قوله " وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح " يقتضى أن هذا الابتلاء انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في أنه هل له تصرف صالح للبيع والشراء . وهذا الاختبار انما يحصل اذا أذن له في البيع

٠٠/٠٠

والشراء ، وان لم يكن هذا المعنى نفس الاختبار فهو داخل في الاختبار  
بدليل أنه يصح الاستثناء ، يقال : وابتلوا اليتامى الا في البيع والشراء  
وحكم الاستثناء اخراج ما لولاه دخل ، فثبت أن قوله " وابتلوا اليتامى " أمر  
للأولياء بأن يأذنوا لهم في البيع والشراء قبل البلوغ وذلك يقتضى صحة  
تصرفاتهم .

أجاب الشافعي - رضي الله عنه - بأن قال : ليس المراد بقوله " وابتلوا  
اليتامى " الاذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله تعالى بعد ذلك  
" فان أنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم " فانما أمر بدفع المال اليهم  
بعد البلوغ وابتلاء الرشدا ، واذا ثبت بموجب هذه الآية أنه لا يجوز دفع  
المال اليهم حال الصغر ، وجب أن لا يجوز تصرفه حال الصغر ، لأنه لا قائل  
بالفرق فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على قول الشافعي .

وأما الذي احتجوا به فجوابه : أن المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء  
حاله في أنه هل له فهم وعقل وقدره في معرفة المصالح والمفاسد ، وذلك اذا  
باع الولي واشترى بحضور الصبي ثم يستكشف من الصبي أحوال ذلك البيع والشراء  
وما فيها من المصالح والمفاسد ولا شك أن بهذا القدر يحصل الاختبار والابتلاء  
وأياها هب أنا سلمنا أنه يدفع اليه شيئا ليبيع أو يشتري فلم قلت ان هذا القدر  
يدل على صحة ذلك البيع والشراء بل اذا باع واشترى وحصل به اختبار عقله  
فالولي بعد ذلك يتسم البيع وذلك الشراء ، وهذا محتمل والله أعلم .

التفسير الكبير ( ١٩٤/٥ - ١٩٥ ) .

وأما الذي قاله المفسرون <sup>(١)</sup> انه يدفع اليه مالا ويجعل اليه نفقة البيت ويختبره منها .

( حتى اذا بلفوا النكاح ) يعنى أو ان الحلم <sup>(٢)</sup> ( فان أنستم ) أى أحسستم ووجدتم <sup>(٣)</sup> ( منهم رشدا ) قال مجاهد عقلا .  
وقال سفيان الثوري عقلا واصلاها فى المال .

ومذهب الشافعى أن الرشد هو الصلاح فى الدين والاصلاح فى المال <sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) راجع الجامع لأحكام القرآن ( ٣٤ / ٥ ) .

( ٢ ) قال القرطبي فى بيان كيفية هذا الاختبار ما ملخصه لا بأس فى أن يدفع الولى الى اليتيم شيئا من ماله يبيح له التصرف فيه ، فان نطاه وحسن النظر فيه فقد وقع الاختيار ، ووجب على الوصى تسليم ماله اليه - أى بعد بلوغه - وان أساء النظر فثب وجب عليه اساك المال عنده .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٣٤ / ٧ ) .

( ٣ ) " أنستم " أى أبصرتهم ورأيتم ومنه قوله تعالى : " فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس من جانب الطور نارا " أى أبصر ورأى وتقول العرب : انهب فاستأنس هل ترى أحدا ، معناه : تبصر ، وقيل : أنست وأحسست ووجدت معنى واحد .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٣٦ / ٥ ) .

( ٤ ) الجامع لأحكام القرآن ( ٣٧ / ٥ - ٣٨ ) .

( فادفموا اليهم أموالهم ) أمر الأولياء بدفع المال اليهم عند البلوغ والرشد  
( ولا تأكلوها اسرافا ) أي لا تأكلوها مسرفين <sup>(١)</sup> ( وبدارا أن يكبروا ) أي  
لاتبادروا الى أكل أموال اليتامى خوفا من أن يكبروا فيأخذوا أموالهم ) ومن  
كان غنيا فليستغفف <sup>(٢)</sup> أي فليستغفف بماله عن مال اليتيم ( ومن كان  
فقيرا فليأكل بالمعروف ) قال عمر رضی الله عنه : ( اذا كان الولي فقيرا <sup>(٣)</sup>  
لا يأكل من مال اليتيم الا بقدر الحاجة .

وقال أيضا أنا في هذا المال كولي اليتيم ان استغفنت استغففت  
وان احتجت اكلت <sup>(٣)</sup> .

والى هذا ذهب قوم من الملما <sup>(٤)</sup> ان له ان يأكل بقدر ما يسد

---

(١) الاسراف في الأصل - كما يقول الألويس - تجاوز الحد المباح الى ما لا  
يسح - وربط كان ذلك في الافراط ، وربط كان في التقصير ، غير  
أنه اذا كان في الافراط منه ، يقال : أسرف ييسرف ، اسرافا ، واذا  
كان في التقصير يقال : سرف ييسرف سرفا . . . . .  
تفسير الألويس (٧٠١/٤) .

(٢) في باب " واذا كان الفقير وليا " كذا .

(٣) رواه ابن كثير في تفسيره (١٩٠/٢) .

(٤) مروى عن ابن عباس والحسن وعكرمة وعطاء والنخعي وقتاده والسيد  
وهو قول جمهور الملما .

زاد المسير (١٦/٢) الجامع (٤١/٥) .

به الخلفه (١)

وقال بعضهم عبا غلبظا وخبز الشمير .

وقال الشعبي وجماعة يأكل من مال اليتيم على سبيل الخرف (٢)

وقال مجاهد : لا يأكل أصلا لا قرضا ولا غير قرض قال والآية منسوخة (٣)

بقوله تعالى \* ولا تأكلوا أموالكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراض منكم (٤)

---

(١) في صحيح البخارى (١٨١/٨) عن عائشه - رضى الله عنها - فسئله  
قوله تعالى : \* ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف \*  
أنها نزلت في مال اليتيم اذا كان فقيرا أنه يأكل منه مكان قيامه عليه  
بمعروف .

وروى الامام أحمد (١٨٦/٣) عن عمر بن شمير عن أبيه عن جده  
أن رجلا سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : ليس لى مال  
ولى يتيم ، فقال : \* يك من مال يتيمك غير مسرف ولا منذر ولا متأثل  
مالا ، ومن غير أن تقي مالك \* أو قال : \* تفدى مالك بماله \* ورواه  
أبو داود (١٥٦/٣) والنسائى (١٣١/٢) وابن ماجه (٨٣/٢) بنحوه .

(٢) وهو قول عمر بن الخطاب وابن عباس وعبيدة السلماني وابن جبير ومجاهد  
وأبو المألىة والأوزاعى .

الجامع لأحكام القرآن (٤١/٥) - ١٠٤٢ .

(٣) قلت : دعوى النسخ لا تصح ولا دليل عليها .

(٤) النساء آيه ٢٩ .



والى هذا ذهب أكثر العلما\* وطيه الفتوى أنه لا يأكل أصلا ومن قال يأكل  
يقول يأخذ بقدر أجرته على القيام (١).

وقد روى أن رجلا جاء الى ابن عباس وقال ان لى يتيما وله ابل فماذا  
أصيب منها فقال أتلوط حوضها وتهنتأ جرباها (٢) ، قال نعم فقال ابن عباس  
أصب من رسلها غير مضر بنسل ولا نساهاك فى حلب (٣) . وفيه قول رابح (٤)  
أن معنى قوله " فليأكل بالمعروف " يعنى يأكل الفقير من قوت نفسه بالمعروف  
ولا يستكثر منه حتى ينفذ ماله فيحتاج الى مال اليتيم ، ( فاذا دفعتم اليهم  
أموالهم فاشهدوا عليهم ) نذب الى الاشهاد كيلا يجحدوا ( وكفى بالله  
حسبيا ) (٥) أى شهيدا .

( ١ ) قول لابن عباس وأبى العالية والشمس .

الجامع لأحكام القرآن ( ٤٢ / ٥ ) .

( ٢ ) هنا البعير طلاه بالهنا - بكسر الهاء - وهو القطران ، ويعالج  
من الجرب ، ولاط الحوض : طلاه بالطين .

( ٣ ) الأثر فى تفسير البغوى والخازن ( ٤٨٢ / ١ ) .

( ٤ ) هو قول لابن عباس أيضا والنخعي .

قال النحاس : وهذا من أحسن ما روى فى تفسير الآية لأن أموال  
الناس محظورة لا يطلق شئ منها الا بحجة قاطعة .

الجامع لأحكام القرآن ( ٤٣ / ٥ ) .

( ٥ ) النساء آية ٦ .

قوله تعالى ( للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ) سبب نزول الآية أن أوس بن ثابت الأنصاري مات وخلف ثلاث بنات وامرأة يقال لها أم كعبه وابنى عم عرفجه (٣) وسويد فجاء ابنا عمه وأخذوا جميع المال وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء من الميت ويقولون لا يورث أموالنا إلا من طاعن بالرمح وضارب بالسيف فنزلت الآية وهذه أول آية نزلت في توريث النساء المال (٥) ( مما قل منه أو أكثر نصيبا مفروضاً ) (٦) وقد بينا الأنصبا المفروضة في آية الموارث (٧)

(١) أوس بن ثابت الأنصاري : روى أبو الشيخ في تفسيره من طريق عبد الله ابن الأجلح الكندي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الأولاد الصغار حتى يدركوا فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك بنتين وابنا صغيرا فجاء ابنا عمه خالد وعرفطه فأخذ ميراثه فقالت امرأته للنبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك فانزل الله " للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون فأرسل الى خالد وعرفطه فقال لا تحركا من الميراث .  
الاصابة ( ١ / ٨٠ ) .

(٢) أم كعبه لها ذكر في الاصابة ( ٤ / ٤٨٧ - ٤٨٨ ) .

(٣) في الاصابة ( ٢ / ٤٧٥ ) عرفطه ، ويقال عرفجه .

(٤) فوكره صاحب الاصابة ( ٢ / ٩٨ ) .

(٥) انظر أسباب النزول للواحدى صفحه ( ١٣٧ - ١٣٨ ) ولياب النقل صفحه ( ٦٤ ) .

(٦) النساء آية ٧ .

(٧) آية الموارث " يوصيكم الله في أولادكم \* الإناث ١١١ ، ١٢٠ من سورة النساء .

قوله تعالى ( واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم  
منه ) يعنى قسمة التركة فى الموارث اذا حضرها من لا يرث الميت من أقاربه  
والمساكين " فارزقوهم منه " ، فاعطوهم شيئا ( وقولوا لهم قولا معروفاً ) ( ١ ) أى  
قولوا لهم بورك فيكم .

ثم اختلفوا فقال بعضهم الآية منسوخة فيجوز أن يعطوا ويجوز أن لا يعطوا ،  
وقيل هو على الندب ويستحب أن يعطيهم شيئا ( ٢ ) .

( ١ ) النساء آية ٨ .

( ٢ ) رجح القرطبي كون الأمر فى الآية للندب لا للوجوب . وهذا مانراه -  
حيث قال " والصحيح أن هذا على الندب لأنه /فرضا لو كان استحقاقا  
فى التركة ومشاركة فى الميراث ، لأحد الجهتين معلوم ، والآخرة  
مجهول ، وذلك مناقض للحكمة وسبب للتنازع والتقاطع .

وقد رد الامام القرطبي على الذين قالوا بالنسخ فقال ما ملخصه :  
" بين الله تعالى فى هذه الآية أن من لم يستحق شيئا وحضر القسمة  
وكان من الأقارب أو اليتامى والفقراء الذين لا يرثون أن يكرموا  
ولا يجرموا ، ان كان المال كثيرا ، والاعتذار اليهم ان كان عقارا أو  
قليل لا يقبل الرضخ - أى المطأء القليل - . . . فالآية على هذا  
القول محكمة . قاله ابن عباس .

واشئل ذلك جماعة من التابعين : عروة بن الزبير وغيره . وأمر به  
موسى الأشعري .

وروى عن ابن عباس أنها منسوخة نسخها قوله تعالى " يوصيكم  
الله فى أولادكم . . . " ومن قال انها منسوخة : أبو مالك وعكرمة  
والضحاك .

.../...

والأول أصح ، فإنها بينة استحقاق الورثة لنصيبهم ، واستحباب المشاركة لمن لا نصيب له ممن حضرهم .

وفي البخاري عن ابن عباس انه قال : هي محكمة وليست منسوخة .  
وفي رواية قال : ان ناسا يزعمون ان هذه الآية نسخت ، لا والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس .  
الجامع لاحكام القرآن (٤٩/٥) .

وفي ابن كثير " قال عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق قسم ميراث أبيه عبد الرحمن ، وعائشه حيه ، فلم يبدع في الدار مسكينا ولا ذا قرابه الا أعطاه من ميراث أبيه وتلا هذه الآية : " وَاِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ اُولُو الْقَرْبَىٰ . . . . . " .  
تفسير ابن كثير (١٩٢/٢) .

ومنهم من قال ان قسموا العيين والورق ونحوه يوضح لهم وان قسموا الدور  
والعقار والمبيد والثياب ونحوها ( يقول ) لهم بورك فيكم .

قوله تعالى ( وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا  
عليهم فليتقوا الله ) .

سبب نزول الآية أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الرجل  
منهم اذا حضره الموت يأتون اليه ويقولون له أنظر لنفسك أيها الرجل وأوص  
بمالك وان ورثتك لا يفتنون عنك من الله شيئا وربما يحطونه على أن يوصى  
بجميع المال فنزلت الآية " وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا "  
أي أولاد ا صفارا " خافوا عليهم " أو على أولادهم ( فليخافوا على أولاد  
الناس كما يخافون على أولادهم ) ( ٢ ) فان أولاد الميت أحق  
بماله من الأجانب فهذا معنى قوله ( فليتقوا الله ) ( ٣ )

( ١ ) في ب " يقال لهم " كذا .

( ٢ ) ما بين القوسين ساقط من ب .

( ٣ ) للمفسرين في تفسير هذه الآية أقوال :-

١ - أن الآية الكريمة أمر للأوصياء بأن يخشوا الله تعالى ويتقوه في  
أمر اليتامى فيفعلوا بهم مثل ما يحبون أن يفعل بذريبتهم الضعاف  
بمدد وفاتهم . فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه قال في قوله  
تعالى " وليخش الذين لو تركوا . . . الخ " يعني بذلك الرجل يموت  
وله أولاد صفار ضعاف يخاف عليهم المعيلة والضيعة ويخشف  
بمدد الأ يحسن اليهم من يلهم يقول : فان ولي مثل ذريبتسه  
ضعافا يتامى فليحسن اليهم ولا يأكل أموالهم استرافا وبدارا خشية  
أن يكبروا . . . " .

قال الأوسى : " والآية الكريمة على هذا الوجه تكون مرتبطة بما قبلها لأن قوله تعالى " للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ... الخ " فى معنى الأمر للورثه . أى أعطوهم حقهم دفعا لأمر الجاهليه ، وليحفظ الأوصياء ما أعطوه ويخافوا عليهم كما يخافون على أولادهم .

وعلى هذا الوجه يكون المقصود من الآية الكريمة حذر الأوصياء على المحافظة على أموال اليتامى بأبلغ تعبير لأنه سبحانه قد نهىهم بحسب أنفسهم وذرياتهم من بعدهم ليتصوروها ويعرفوا مكان العبرة فيها ، ولا شك أن ذلك من أقوال الدواعى والبواعث فى هذا المقصود لأنه سبحانه كأنه يقول لهم ادعوا باليتامى الفعل الذى تحبون أن يفعل مع ذرياتكم الضعفاء من بعدكم فجعل سبحانه من شعورهم بالحنان على ذرياتهم باعثا لهم على الحنان على أيتامهم .

هذا ومن المفسرين الذين استحسنا هذا القول الامام ابن كثير ، فقد قال بعد أن حكى هذا القول : وهو قول حسن يتأيد بما بعده من التهديد فى أكل أموال اليتامى ظلما .

٢ - أما القول الثانى فىرى أصحابه أن الآية الكريمة أمر المن حضر المريض من الصواد عند الايضا بأن يخشوا ربهم ، فيوصوا المريض فى أولاده خيرا ويشفقوا عليهم كما يشفقون على أولادهم . وهو ما ذكره شيخنا السمعاني .

وقد رجح هذا الوجه الامام ابن جرير فقال : وأولى التأويلات بالآية قول من قال تأويل ذلك : وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعيفا خافوا عليهم الميله لو كانوا فرقوا أموالهم فى حياتهم ، أو قسموها وصية منهم لأولى قرابتهم وأهل البيت والمسكنه ، فأبقوا أموالهم لولدهم خشية الميله عليهم من بعدهم فليأمروا من حضره وهو يوصى لذوى قرابته وفى اليتامى والمساكين وفى غير ذلك بماله بالمدل ، وليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وهو أن يعرفوه ما أباحه الله له من الوصية ، وما اختاره المؤمنون من أهل الايمان بالله وبكتابه وسنته . . .

... / ...

٣ - والقول الثالث يرى أصحابه أن الخطاب في الآية للموصين ، وأن الآية تأمرهم بأن يشفقوا على ورثتهم ، فلا يسرفوا في الوصية لغيرهم لأن الاسراف في ذلك يؤدى الى ترك الورثة فقراء .

والذى نراه أن الأمر بالخشية من الله يتناول جميع الأصناف المتقدمه : من الأوصياء وعواد المريض والموصين وغيرهم ممن هو أهد لهذا الخطاب لأن هؤلاء جميعا داخلون تحت الأمر بالخشية من الله تعالى وبالقول السيد الذى يحبه سبحانه وبيضاء .

انظر تفسير ابن جرير ٢٧٢/٤ ، وانظر الأئوس ٢١/٤ .

وليقولوا قولا سديدا<sup>(١)</sup> أي عدلا .

قوله تعالى ( ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ) نزلت الآية  
في حنظلة بن الشمر<sup>(٢)</sup> كان قد ولي يتيما فأكل جميع ماله<sup>(٣)</sup> .

وقيل الآية نزلت ابتداء<sup>(٤)</sup> في حوال الكافة ( انما يأكلون في بطونهم نار )  
لأنه لما كان أكلهم ذلك يؤدى الى النار سماهم أكليين للنار<sup>(٤)</sup> وهذا

---

(١) النساء آية ٩ .

(٢) لم أجد ترجمة له .

(٣) زاد المسير (٢/٢٣) .

وقال القرطبي : روى أن هذه الآية نزلت في رجل من غطفان  
يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم بن أخيه وهو يتيم صغير فأكله ،  
فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية ، ولهذا قال الجمهور : ان المراد  
الأوصياء الذين يأكلون ما لم يبيح لهم من مال يتيم .

انظر تفسير القرطبي (٥/٥٣) اسباب النزول للواحد ن صفحته (١٣٨) .

(٣) قلت : الجملة الكريمة على حقيقتها فقد ورد عن أبي سعيد الخدري  
قال : قلنا يا رسول الله ما رأيت ليله أسرى بك ؟ قال انطلق بسى  
الى خلدن من خلدن الله كبير ، رجال كل رجل له مشفران كمشفرى  
البحير ، وهو موكل بهم رجال يكون لحاء<sup>(١)</sup> أحدهم ، ثم يجاء<sup>(٢)</sup> بصخرة  
ون نار فتقف في في أحدهم حتى يخرج من أسفله ولهم خوار وصراخ ،  
قلت : يا جبريل من هو<sup>(٣)</sup> ؟ قال : هو<sup>(٤)</sup> الذين يأكلون أموال  
اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا ويهبطون سميرا .

ابن كثير (٢/١٩٤) .



كقول النبي صلى الله عليه وسلم الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما  
يجر جهنم في بطنه نار جهنم . (١)

وفي الحديث يخرج لهيب النار من جوفهم يوم القيامة وفي رواية  
أن الطلح يأتيهم فيفتح أفواههم ويلقهم الجمر ويقول هذا بألككم  
مال اليتيم . (٢)

---

(١) أخرجه مسلم من كتاب الأثربة ، باب تحريم استعمال أواني الذهب  
والفضة في الشرب (١٣٤/٦-١٣٥) وابن ماجه من كتاب الأشربة  
(١٧) باب الشرب في آنية الفضة (١١٣٠/٢) ، والدارقطني في كتاب  
الأشربة ، باب الشرب في المفضض (١٢١/٢) .

(٢) قال الطبري : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدثنا أحمد بن مفضل  
قال : حدثنا أسباط عن السدي : " ان الذين يأكلون أموال اليتامى  
ظلمنا انما يأكلون في بطونهم نارا " قال : اذا قام الرجل يأكل مال  
اليتيم ظلما ، يبعث يوم القيامة ولهيب النار يخرج من فيه وممن  
سامعه ومن أذنيه وأنفه وعينه ، يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم .  
الطبري (٢٦/٨) وابن كثير (١٩٤/٢) والدر المنثور (٢٤٣/٢) .

(٣) الأثر في الطبري قال : حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق  
قال أخبرنا معمر قال أخبرني أبو هريرة العبدى ، عن أبي سعيد  
الخدري قال : حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى بيته ،  
قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كشافر الابل ، وقد وكل بهم من يأخذ  
بمشافرهم ، ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم ، قلت :  
يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما  
انما يأكلون في بطونهم نارا .

قال الشيخ شاکر : أبو هريرة العبدى هو " عمارة بن جويين " .  
روى عن أبي سعيد الخدري وابن عمر ، وهو ضعيف ، وقالوا . كذاب  
قال الدارقطني : يتلون ، خارجي وشيخي .  
وقال ابن حبان : يروى عن أبي سعيد مالميس من حديثه ، لا يحل كتب  
حديثه الا على جهة التعجب .  
الطبري (٢٧/٨) .

وقال صلى الله عليه وسلم " من أبكى يتيما فحق على الله أن يبكي عينيه  
يوم القيامة " (١) . ( وسيصلون سعيرا ) (٢) أي سيدخلون جهنم . وقيل يعاينون  
سعيرا . (٣) والسعير النار المستعرة وهو اسم من أسماء جهنم . (٤)

(١) هذا الحديث لم أجده بعد البحث المستفيض والسؤال عنه .

(٢) النساء آية ١٠ .

(٢) قال الطبري " مأخوذ من " الصلّا " و " الصلا " الاصلية بالنسار،  
وذلك لتسخن بها كما قال الفريدي .  
وقال كلب الحمي عن نار أهله ليوبع فيها ، والصلّا متكلف  
وكما قال المجاج .  
وصاليات للصلّا صلي  
ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمرا من الأمور ، من حرب أو قتال  
أو خصومة ، أو غير ذلك ، كما قال الشاعر :  
لم أكن من جنابها علم الله وانى يحرمها النوم حالتي  
فجعل ما باشر من شدة الحرب وأنى القتال بمنزلة مباشرة أن النار  
وخبرها .  
الطبري ( ٢٩ / ٨ ) .

(٤) السعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا ألهيتها .  
انظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ( ٢٠٦ / ١ ) ط / مصطفى  
الباي الحلبي . الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ . ١٩٦٨ م .

قوله تعالى ( يوصيكم الله في أولادكم ) معناه يفرع الله عليكم في أولادكم وذلك مثل قوله تعالى ( ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به )<sup>(١)</sup> أي فرض عليكم .

( ٢ )  
( للذكر مثل حظ الأنثيين ) سبب نزول الآية أن سعد بن الربيع لما استشهد يوم أحد خلف ابنتين وامرأة وأخا فجاء الأخ وأخذ جميع المال فجاءة المرأة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخ وقال أعط ابنتين الثلثين والمرأة الثمن وأخذ الباقي .<sup>(٣)</sup>

---

( ١ ) الأنعام آية ١٥١ .

( ٢ ) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الخزرجي .  
أحد نقباء الأنصار .

روى البخاري من حديث عبد الرحمن بن عوف قال : لما قدنا المدينة آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بيني وبين سعد بن الربيع فقال سعد اني أكثر الأنصار مالا فأقسمك نصف مالي الحديث .  
الإصابة ( ٢٦ / ٢ - ٢٧ ) .

( ٣ ) رواه أبو داود ( ٢٤٢ / ٣ ) والترمذي ( ١١٦ / ٥ ) وابن ماجه ( ١١٣ / ٣ ) انظر لباب النقول في أسباب النزول صفحته ( ٦٤ ) .

وقوله " للذكر مثل حظ الانثيين " يعنى اذا خلف ابنا وابنه فالمال من ثلاثة أسهم ، سهران للابن ، وسهم للبنات . ( فان كن نساء فوق اثنتين ظهن ثلثا ما ترك ) أكثر الصحابه والعلماء على أن للابنتين الثلثين .

وقال ابن عباس لابنتين النصف ، وانما الثلثان للثلاث وما زاد ، تمسكا بظاهر الآيه والأول أصح (١) .

ومعنى قوله " فان كن نساء فوق اثنتين " يعنى كن نساء اثنتين فما فوقهما وهذا كقوله " فاضربوا فوق الأعناق " أن فاضربوا الأعناق فما فوقها أى فوق فيه صلة وتقديره فان كن نساء اثنتين واسم الجمع

( ١ ) بسط الفخر الرازى أدلة الجمهور على أن للبنتين الثلثان كالبنات فقال ما طخمه :

وأما سائر الأمة فقد أجمعوا على أن فرعى البنتين الثلثان .  
قالوا : وانما عرفنا ذلك بوجهه :

أولها : من قوله تعالى " للذكر مثل حظ الانثيين وذلك لأن من مات وترك ابنا وبناتا فهنا يجب أن يكون نصيب الابن الثلثين لقوله تعالى - : " للذكر مثل حظ الانثيين ، فاذا كان نصيب الذكر مثل نصيب الانثيين ، ونصيب الذكر ههنا الثلثان وجب لا محالة أن يكون نصيب الابنتين الثلثين .

الثانى : اذا مات وترك ابنا وبناتا فهنا يكون نصيب البنات الثلث بدليل " للذكر مثل حظ الانثيين ، فاذا كان نصيب البنات مع الولد الذكر هو الثلث فيأى يكون نصيبهما مع ولد آخر أنثى هو الثلث كان أولى ، لأن الذكر أقرب من الأنثى .

الثالث : أن قوله تعالى - الذكر مثل حظ الانثيين يفيد أن حظ الأنثيين أزيد من حظ الأنثى الواحد ، والالزم أن يكون حظ الذكر مثل حظ الأنثى الواحد . وذلك خلاف النص واذا ثبت

ينطلق على الاثنين لأن الجمع عبارته عن جمع الشئ ويستوى فيه الاثنين والثلاث ولأننا أجمعنا على أن الأختين برثان الثلثين وهما ابنتا أب الميت فلا يبتان<sup>ينرثا</sup> / الثلثين أولى وهما ابنتاه للصلب .

( وان كانت واحدة فلها النصف ) وفيه اجماع ( ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك<sup>ان كان له ولد</sup> ) يعني للميت ( فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأه الثلث ) وهذا لا خلاف فيه .

( فان كان له أخوة فلأه السدس ) أكثر الصحابة والعلماء على أن الأخوين والثلاثة يرثون الأم من الثلث إلى السدس .

وقال ابن عباس : الثلاثة يرثون فأما الأخوان فلا يرثان لأنه ذكر بلفظ الجمع وأظه ثلاثة .

وقد بينا ان اسم الجمع ينطلق على اثنين والثلاثة .  
وقرأ حمزة والكسائي \* فلأه السدس \* بكسر الهمزة وهولفة في الأم والمعروف بالضم<sup>(١)</sup> ( من بعد وصية يوصى بها أو دين ) ويقرأ بقراءتين<sup>(٢)</sup> يوصى \* بكسر الصاد على معنى يوصيها الموصى ، ويقرأ \* يوصى \* بفتح الصاد على طالم يسم فاعله . وعن علي رضي الله عنه أنه قال \* انكم تقرأون الوصية قبل الدين

( ١ ) الضم قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وقرأ حمزة والكسائي بكسر الهمزة .

الكشف ( ٣٧٩ / ١ ) .

( ٢ ) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم \* يوصى بها \* بفتح الصاد في الحرفين . وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي : \* يوصى \* فيهما بالكسر .

النشر في القراءات المشرفة ( ٢٣٩ / ٢ ) .

والدين قبل الوصية<sup>(١)</sup> يعنى فى القضاء ثم اختلفوا منهم من قسالى " أو " بمعنى السواو والمراد الجمع بينهما وبيان أن الأرت مؤخر عنهما جميعا ، ومنهم من قال " أو " على حقيقته ومعناه من بعد وصية ان كانت وصية أولدين ان كان دين فالأرت مؤخر عن كل واحد منهما من ذلك عرف تأخيرها عنهما اذا اجتمعا بطريق الأول<sup>(٢)</sup> . وقوله ( آباءكم وأبناؤكم ) يعنى الذين

( ١ ) أخرجه ابن أبى شيبه وأحمد وعبد بن حميد والترمذى وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وابن الجارود والدارقطنى والبيهقى فى مسنده .

( ٢ ) قال القرطبى ان قيل ما الحكمه فى تقدم ذكر الوصية على ذكر الدين ، والدين مقدم عليها باجماع .

وقد روى الترمذى عن الحارث عن علي أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قضى بالدين قبل الوصية ، وأنتم تقرون الوصية قبل الدين ، قال : والمطل على هذا عند عامة أهل العلم أنه يبدأ بالدين قبل الوصية .

وروى الدارقطنى من حديث عاصم بن ضمرة عن علي قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " الدين قبل الوصية وليس لوارث وصية . رواه عنهما أبو اسحاق الهمدانى . فالجواب من أوجه خمسة : -

الأول : انما قصد تقدم هذين الفصلين على الميراث ولم يقصد ترتيبهما فى أنفسهما ، فذلك تقدمت الوصية فى اللفظ .

جواب ثان : لما كانت الوصية أقل لزوما من الدين قد مها اهتماما بها ، كما قال تعالى " لا يفاد ر صغيره ولا كبيرة " .

جواب ثالث : قد مها لكثرة وجودها ووقوعها ، فصارت كالآزم لكسب

ميت مع نص الشرع عليها ، وآخر الدين لشذوذه ، فانه

قد يكون وقد لا يكون ، فبدأ بذكر الذى لا بد منه ، وعطفت

بالذى قد يقع أحيانا ، ويقوى هذا : المعطف بأو ، ولو كان

الدين راتبيا لكان المعطف بالواو .

جواب رابع : انما قدمت الوصية ان هى حظسواكين وضمفا ، وآخر الدين

ان هو حظ غريم يطلبه بقوة وسلطان وله فيه مقال .

جواب خامس : لما كانت الوصية ينشئها من قبل نفسها قد مها ، والدين

ثابت مؤدى ذكره أو لم يذكره .

الجامع لأحكام القرآن ( ٥ / ٧٣ - ٧٤ ) .

يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم ( لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ) أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا فمنهم من يظن أن الآباء أنفع فيكون الأبناء أنفع ، ومنهم من يظن أن الأبناء أنفع فيكون الآباء أنفع وأنتم لا تعلمون وأنا أعلم بمن هو أنفع لكم وقد دبرت أمركم على ما فيه الحكمة والمصلحة فخذوه واتبعوه . وفي الأخبار ان في الجنة يكون الأب على الدرجة العاليه والابن في الدرجة السافلـه فيسأل الابن الله تعالى فيرفعه الى درجة أبيه ، ويكون الابن على الدرجة العاليه والأب فسـى الدرجة السافلـه فيسأل الأب الله تعالى فيرفعه الى درجة الابن (١) فهذا معنى الآية لا تدرون أيهم أنفع لكم في الآخرة وأرفع درجة فتعلمون السـى درجتـه . ( فريضة من الله ) يعنى ما قدر من الموارد ( ان الله كان عليما بأمر المباد ( حكيماً )<sup>(٢)</sup> بنصيب الاحكام .

قوله تعالى ( ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ) هذا في ميراث الأزواج وفيه اجماع .

( ولهن الربع مما تركن ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركن من بعد وصية توصون بها أو دين ) وهذا في ميراث الزوجات ولا خلاف فيه .

( ١ ) الأثر مروى عن ابن عباس وهو فى تفسير البيهقى والخازن ( ١ / ٤٩١ ) .

( ٢ ) النساء آية ١١ .

قوله تعالى ( وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ) يعنى أو اسرأه  
تورث كلالة .

قال بعض العلماء الكلالة لا يعلم معناها .

وعن عمر رضى الله عنه قال " خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
الدينيا ولم يبين لنا ثلاثة الكلالة والخلافه والربا<sup>(١)</sup> .

والصحيح أنها معلومة المعنى ثم اختلفوا : قال ابن عباس فى رواية  
وهى احدى الروايتين عن عمر أن الكلالة اسم لميت لا ولد له وورث الاخوه  
مع الأب<sup>(٢)</sup> .

( وقال الحكم بن عتيبه<sup>(٣)</sup> والكلالة اسم لميت لا ولد له وورث الاخوه مع  
الولد<sup>(٤)</sup> ) وهما قولان فى شواذ الخلاف والصحيح فيه قولان :-

---

( ١ ) أخرجه ابن ماجه من كتاب الفرائض ، ( ٥ ) باب الكلالة ( ١١١ / ٢ ) .  
( ٢ ) روى عن عمر بن الخطاب أنه رجع عن رأيه هذا وقال انى لأستحيى أن  
أخالف أبى بكر الكلالة من هذا الوالد والولد . رواه ابن جرير الطبرى .  
وفى ابن كثير قال : " وقال ابن أبى حاتم ، رحمه الله ، فى تفسيره ،  
حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان عن سليمان الأحمول عن  
طاووس قال سمعت عبد الله بن عباس يقول " كنت آخر الناس عهدا  
بممر بن الخطاب فسمعتة يقول : القول ما قلت . وما قلت وما قلت قال  
" الكلالة من لا ولد له ولا والد " .  
( ٢ / ٤٠٠ - ٤٠١ ) .

( ٣ ) الحكم بن عتيبه الكندى ، مولا هم أبو محمد ويقال أبو عبد الله ويقال  
أبو عمر الكوفى .

قال ابن عيينة : ما كان بالكوفة بعد ابراهيم والشعبى مثل الحكم ، وحماد .  
وقال ابن معين وأبو حاتم والنسائى ، ثقة . زاد النسائى ثبت .  
وقال ابن هبان : فى الشقات كان يدلس وكان سنة من ابراهيم النخعى .  
تهذيب التهذيب ( ٢ / ٤٣٣ - ٤٣٤ ) .

( ٤ ) ما بين القوسين ساقط من ب .



أحدهما : قول أهل المدينة والكوفة ان الكلاله اسم لورثه ليس فيهم ولد  
 ولا والد<sup>(١)</sup> مأخوذ من الاكليل<sup>(٢)</sup> وهو الذى على جانبيه الوجهه  
 فالكلاله اسم لمن يحيط بجانبى الميت من الأخوات والأعمام  
 ونحوهم ولم يكن أعلى ولا أسفل واستدلوا عليه بحديث جابر<sup>(٣)</sup>  
 كان مريضا فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسه  
 فقال انما يرثنى كلاله<sup>(٤)</sup> ولم يكن فى ورثته ولد ولا والد وجعل  
 الكلاله اسما للوارث ويشهد لهذا ما قوتى فى الشواهد  
 وان كان رجل يورث كلاله شديدا بكسر الراء<sup>(٥)</sup>.

( ١ ) هو قول لصر بن الخطاب وعلى وابن سمعون وزيد بن ثابت وابن عباس  
 والحسن وسعيد بن جبير وعطاء والزهرى وقتادة والفراء . وبه يقول  
 الشمبى والنخعى وجابر بن زيد والحكم وبه يقول أهل المدينة وأهل  
 الكوفة والبصره . وهو قول الفقهاء السبعة ، والأئمة الأربعة وجمهور  
 السلف والخلف ، بل جميعهم . وقد حكى الاجماع عليه غير  
 واحد .

تفسير ابن كثير . زاد المسير ( ٢ / ٣٠ - ٣١ ) .

( ٢ ) راجع الجامع لأحكام القرآن ( ٥ / ٧٦ ) ( ٥ / ٧٨ ) .

( ٣ ) الحديث أخرجه البخارى من كتاب العيص ( ٥ ) باب عيادة المفسى عليه  
 ( ٤ / ٧ ) والامام مسلم من كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلاله ( ٥ / ٦٠ )  
 وأحمد فى مسنده ( ٣ / ٢٩٨ ) .

( ٤ ) رواه الامام مسلم من كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلاله ( ٥ / ٦٠ )  
 وأحمد ( ٣ / ٢٩٨ ) .

وقال البصريون وهو قول أبي بكر وعلي وابن مسعود وزيد وفي أصح الروايتين عن ابن عباس أن الكلاله اسم للميت الذي ليس له ولد ولا والد وهو ظاهر الآية<sup>(١)</sup> وبشبهه له القراءة الأخرى في الشواذ وإن كان رجل يورث كلاله مشدداً بكسر الزايم قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

وان اب المراء حمى له موتى الكلاله لا يفضـب  
فجعل الكلاله اسماً للميت . وفي قول آخر أن الكلاله اسم للتركة قاله عطية .

( ١ ) هذا القول الذي ذكره والقول الذي سبقه قولاً واحداً لافرق بينهما إذ أنهم متفقون جميعاً على أن الكلاله من لم يكن له والد ولا ولد . كما أشرنا إلى ذلك وهو قول الجمهور . وقد ذهب إلى أنه كذلك الإمام ابن كثير في تفسيره وصاحب زاد المسير ( ٢ / ٣٠-٣١ ) وغيرهما من المفسرين . ويظهر أن الإمام السمعاني أراد اختلافهم في المراد بلفظ الكلاله هل يطلق على الورثه الذين ليس فيهم والد ولا ولد أم على الميت الذي ليس له والد ولا ولد . والخلاف لفظي لا يؤثر على الحكم .

( ٢ ) قال القرطبي من قرأ " يورث " بفتح الراء احتمل أن تكون الكلاله العال : والتقدير يورث وراثه كلاله ، فتكون نعمتا لمصدر محذوف ، ويجوز أن تكون الكلاله اسماً للورثه وهي خبر كان ، فالتقدير : ذا ورثه . ويجوز أن تكون تامه بمعنى وقع ، و ( يورث ) نعمت لرجل ( ورجل ) رقع بكان ، و ( كلاله ) نصب على التفسير أو الحال ، على أن الكلاله هو الميت ، ولتقدير وان كان رجل يورث متكلل النسب إلى الميت .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٥ / ٧٧ ) .

قلت وقول القرطبي دليل على ما ذكرنا من أنه لافرق بين القولين الذين ذكرهما السمعاني بل هما قولاً واحداً .

( ٣ ) لم أجده .

وقوله ( وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ) أجمعوا على  
أن المراد بالأخ والأخت هاهنا أولاد الأم وفرع واحد منهم السدس  
ذكرا كان أو أنثى .

( فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ) وفيه اجماع ان فرضهم  
الثلث اذا تعددوا وان كثروا . ( من بعد وصية يوصى بها أو دين غير  
مضار ) يعنى الموصى لا يضر بالورثة بمجاوزة الثلث ونحوه . ( وصية  
من الله ) أى فريضة من الله ( والله عليم حكيم )<sup>(١)</sup> .

( تلك حدود الله ) يعنى ما ذكر من الفروض المحدوده . ( ومن يطع  
الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك  
الفوز العظيم )<sup>(٢)</sup> . ذكر ثواب من أطاعه ، ولم يجاوز حدوده .

( ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله نارا خالدا فيها  
وله عذاب مهين )<sup>(٣)</sup> ذكر عقاب من عصاه وجاوز حدوده .

قوله تعالى ( واللاتى يأتين الفاحشة من نساءكم ) الاتى والتى واللواتى  
اسم لجماعة النساء قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :

هن اللواتى والتى والاتى  
وعن أنى كبرت لداتى

(١) النساء آية ١٢ .

(٢) النساء آية ١٣ .

(٣) النساء آية ١٤ .

(٤) قال البغدادي في غرانة الأرب ( ٢ / ٥٦٠ ) لا أعرف ما قبله ولا قائله  
مع كثرة وجوده في كتب النحو . وهو في الجامع لأحكام القرآن  
( ٨٣ / ٥ ) واللسان والتاج والصحاح .

ومثله اللاتى أيضا قال الشاعر<sup>(١)</sup> :

من الاثى كم يحججن يبتغين حسبة ولكن ليهقتن السورىء المفغلا

وقوله " يأتين الفاحشه " أراد الفاحشة هاهنا الزنا ( فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ) هو خطاب للحكام يبنى فاللوا عليهن أربعة من الشهود . وهذه الآية هى الحجة على أن شهود الزنا أربعة ( فان شهدوا فأسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا ) : وكان هذا الحكم فى ابتداء الاسلام وأن المرأة اذا زنت حبست فى البيت الى أن تموت ثم نسخ ذلك فى حق البكر بالجلد والتفريب وفى حق الشيب بالجلد والرجم وهو بيان السبيل المذكور فى الآيه والحجة عليه حديث عبادة خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتفريب عام والشيب بالشيب جلد مائة ورجم بالحجارة<sup>(٢)</sup> ثم نسخ الجلد فى حق الشيب واستقر أمرها على الرجم .

وقال بعض العلماء : الجلد مع الرجم بان على الحكم والأول أصح .

---

( ١ ) البيت فى مجاز القرآن منسوب الى عمرو بن أبى ربيعة .

( ٢ ) الحديث رواه الامام البخارى فى صحيحه فى عدة مواضع منها كتاب الشهادات الباب الثامن ومن كتاب الصلح الباب الخامس ومن كتاب الايمان الباب الثالث .  
ورواه الامام مسلم من كتاب الحدود ، باب حد الزنى ( ١١٥ / ٥ ) وغيرها .

وقال أبو حنيفة وأصحابه التفريب أيضا منسوخ في حق البكر والخلاء  
مذكور في الفقه (١).

واختلفوا في أن ذلك الاستاك في الشيب كان على سبيل الحرام أم كان  
حسبا ليظهر الحد على قولين :-

أحدهما : أنه كان حدا .

والثاني : أنه كان حسبا ليظهر الحد . (٢)

---

(١) راجع المصنف لابن قدامة .

(٢) قال القرطبي : اختلف العلماء هل كان هذا السجن حدا أو توعدا  
بالحد على قولين :-

أحدهما : أنه توعد بالحد .

والثاني : أنه حد قاله ابن عباس والحسن وزاد ابن زيد وأنهم  
منعوا من النكاح حتى يموتوا عقوبة لهم حين ألبسوا النكاح من غير  
وجهه .

وهذا يدل على أنه كان حدا بل أشد ، غير أن ذلك الحكم كان  
مدودا إلى غاية وهو الأذى في الآية الأخرى ، على اختلاف التأويلين  
في أيهما قبل ، وكلاهما مدود إلى غاية وهي قوله عليه السلام في  
حديث عبادة بن الصامت " خذوا عني خذوا عني قد جعل الله  
لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتفريب عام والشيب بالشيب جلد  
مائة والرجم " وهذا نحو قوله تعالى " ثم أتوا الصيام إلى الليل " .  
فإذا جاء الله ارتفع حكم الصيام لأنها غاية لا لفسخه .

هذا قول المحققين المتأخرين من الأصوليين فإن النسخ إنما يكون  
في القولين المتعارضين من كل وجه اللذين لا يمكن الجمع بينهما والجمع  
ممكن بين الحبس والتصبير والجلد والرجم .

وقال بعض الملما : إن الأذى والتفريب باق مع الجلد لأنهما  
لا يتعارضان بل يحملان على شخص واحد . وأما الحبس فممنسوخ بالجماع  
، وإطلاق المتقدم من النسخ على مثل هذا تجوز والله أعلم .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٨٥ / ٥ ) .

قوله تعالى ( واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ) اختلفوا في المراد من الآيتين .

قال مجاهد : الآية الأولى في النساء ، وهذه الآية في الرجال اذا زنوا .

وقال غيره (١) : الأولى في الشيب ، وهذه الآية في الأبيكار . وفيه قول ثالث : ان الآية الأولى في المرأة اذا أتت المرأة سحقا ، والآية الثانية في الرجل اذا أتى الرجل (٢) ، وقد قال صلى الله عليه وسلم - " اذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان واذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان " (٣) والمراد بالأيذا

(١) ذكره السدي .

(٢) هو قول عكرمة والحسن وعبد الله بن كثير .

(٣) اختلف العلماء في المراد بقوله " واللذان " .

١ - منهم من قال : المراد بهما الرجل والمرأة البكران اللذان لم يحصنا .

٢ - منهم من قال : المراد بالثانيه الرجلان يفعالان السحاق وبالأولى المرأة اذا أتت المرأة .

٣ - منهم من قال : منهم الرجل والمرأة لافرق بين بكر وشيب .

٤ - منهم من قال : الأولى في الشيب وهذه في الأبيكار .

والمختار عند كثير من العلماء هو الرأي الأول ، قالوا : لأن الله تعالى ذكر في هاتين الآيتين حكيمين .

أحدهم : الحبس في البيوت .

والثاني : الأيذاً ولا شك أن من حكم عليه بالأول خلاف من حكم عليه بالثاني ، والشرع : تحقق في البكر ويشدد على الشيب ، ولذلك لما نسخ هذا الحكم جعل للشيب الرجم وللبيكر الجلد ، فجعلنا الحكم الشديد وهو الحبس على الشيب ، والحكم الأخف وهو الأيذاً على البكر .

انظر الطبري (٨ / ٨١-٨٤) .

(٤) الحد يث أورده صاحب التفسير الكبير (٥ / ٢٣٩) .

في هذه الآية هو السب باللسان واسماع المكروه والتمبير والضرب  
بالنعال<sup>(١)</sup> .

فان قيل ذكر الحبس في الآية الأولى ، والا يذاه في الآية الثانية فكيف  
وجه الجمع ؟ قيل أما على قول من قال ان الآية الاولى في صنف ، والآية  
الثانية في صنف آخر يستقيم الكلام .

وقال بعضهم أراد به الجمع بين الا يذاه والحبس وفي حق الزانسي  
فيؤذى أولا ثم يحبس ، والآية الثانية وان كانت في التلاوة متأخرة فهي في  
المعنى متقدمة كأنه قال واللذان يأتيان الفاحشة منكم فأذوهما وأسكوهما  
في البيت .

( فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ) أي أعرضوا عن الا يذاه ( ان الله  
كان توابا رحيمًا )<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( انما التوبة على الله للذين يملكون السوء بجهاله )  
قال قتاده : أجمع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن  
من عص الله فهو جاهل .

وقيل : أراد به الجهال بكنهه عقوبه الله .<sup>(٣)</sup>

---

( ١ ) انظر تفصيل ذلك عند الطبري ( ٨ / ٨٤ - ٨٥ ) .

( ٢ ) النساء آية ١٦ .

( ٣ ) ذكره ابن فورك . فتح القدير ( ١ / ٤٣٩ ) .

وقيل<sup>(١)</sup> : الجهالة في المعصية أنه اختار اللذة الفانية على اللذة  
الباقية<sup>(٢)</sup> .

( ثم يتوبون من قريب ) يعني قبل الموت .

قال الضحاك : كل ما بينك وبين الموت فهو قريب .

وقيل<sup>(٣)</sup> : أراد به التوبة قبل أن يعاين ملك الموت .

وقيل : أراد به ثم يتوبون قبل أن تضرغر .

وفي الخبر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " من تاب قبل موته  
بسنة تاب الله عليه ، ثم قال ان السنة لكثيره من تاب قبل موته بشهر تاب الله  
عليه ، ثم قال ان الشهر لكثير من تاب قبل موته بجمعه تاب الله عليه ، ثم  
قال ان الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ، ثم قال ان اليوم

---

( ١ ) ذكره الزجاج . زاد السير ( ٣٧ / ٢ ) .

( ٢ ) المراد بالجهالة : الجهل والسفه بارتكاب ما لا يليق بالمعقل لا عند  
العلم لان من لا يعلم لا يحتاج الى التوبة .

ووجه تسمية المعاصي جاهلا - وان عصى عن علم - أنه لو استعمل  
ما معه من العلم بالشواجب والمقاب لما عصى ربه ، فلما لم يستعمل هذا  
العلم صار كأنه لا علم له فسمى المعاصي جاهلا لذلك ، سواء ارتكسب  
المعصية مع العلم بكونها معصية أم لا .

قال تعالى حكاية عن يوسف - عليه السلام - " رب السجن أحب  
الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن أصيب اليهن وأكن من  
الجاهلين " وقال سبحانه مخاطبا نوحا - عليه السلام - فلا تسألن ما ليس  
لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين " وقال حكاية عن موسى - عليه  
السلام - أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين " .

( ٣ ) ذكره ابن عباس وأبو مجلز ومحمد بن قيس وعكرمة . تفسير الطبري  
( ٩٥ / ٨ ) .

( ٤ ) وهو قول الحسن وقتاده . تفسير الطبري ( ٩٦ / ٨ ) .



لكثير من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه ، ثم قال ان نصف اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ، ثم قال ان الساعة لكثيره من تاب قبل أن يفرغ تاب الله عليه " رواه عبادة بن الصامت <sup>(١)</sup> فهذا معنى قوله " ثم يتوبون <sup>(٢)</sup>

(١) رواه ابن كثير في تفسيره (٢/٢٠٧) وأصل الحديث في مسند أحمد (٢/١٣٢) عن ابن عمر والترمذي من كتاب الدعوات (٩/٥٢١) وابن ماجه كتاب الزهد الحديث ٤٢٥٣ (٢/١٤٢٠) .

(٢) قلت مما لا شك فيه أنه متى جذب الإنسان توبته الصادقة في أعقاب ارتكابه للمصيبة كان ذلك ارجى لقبولها عند الله تعالى ، وهذا ما يفيد ظاهر الآية .

قال ابن كثير بعد أن سرد عددا من الأحاديث الدالة على قبول التوبة قبل الفرغ : " فقد دلت هذه الأحاديث على أن من تاب إلى الله عز وجل وهو يرجو الحياة فإن توبته مقبولة ، ولهذا قال تعالى " فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما " .

فأما متى وقع اليأس من الحياة وعابن الطلح وخرجت الروح فسو الحلق وضاق بها الصدر ، وبلغت الحلقوم وغرغرت النفس صاعدة في القلاصم فلا توبه متقبلة حينئذ ولات حين مناص ، ولهذا قال " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال أنى تبت الآن " .

وهذا كما قال تعالى : " فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده " الآيتين ، وكما حكم تعالى بعدم توبة أهل الأرض إذا عابنوا الشمس طالعه من مغربها كما قال : " يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا " الآية ، وقوله : " ولا الذين يموتون وهم كفار " يعنى أن الكافر إذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته . ولا يقبل منه فدية ولو بملك الأرض " .

انظر تفسير ابن كثير (٢/٢٠٨) .

- من قريب ( فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليهما حكيمًا )<sup>(١)</sup> .
- قوله تعالى ( وليست التوبة للذين يعطون السيئات )<sup>(٢)</sup> .
- قيل : أراد بالسيئات الشرك .<sup>(٢)</sup>
- وقال ابن عباس : هو النفاق .<sup>(٣)</sup> وقيل كل المعاصي .<sup>(٤)</sup> ( حتى اذا حضر أحدكم الموت قال اني تبت الان ) يعنى السبوق يتوب حين تساق روحه وذلك مثل توبة فرعون حين أدركه الفرق قال " آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل "<sup>(٥)</sup> يقول الله تعالى ليس لهؤلاء توبه . ( ولا الذين يموتون وهم كفار ) يعنى ولا الذين يموتون كفار توبة ( أولئك أعدنا لهم ) أى أعدنا لهم ( عذابا أليما )<sup>(٦)</sup> .<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) النساء آية ١٧ .
- (٢) ذكره عكرمه وهو رواية عن ابن عباس . زاد المسير (٣٨/٢) .
- (٣) هو قول أبوالمعالية وسعيد بن جبير . زاد المسير (٣٨/٢) .
- (٤) قول سفیان الثوري . زاد المسير (٣٨/٢) .
- (٥) قلت : وهذا الرأى هو الأقرب إلى الصواب لمعوم لفظ السيئات .
- (٦) يونس آية ٩١ .
- (٧) اختلف أهل العربية فى معنى " أعدنا لهم " فقال بعض البصريين معنى " أعدنا " ، أفعلنا من المتاد قال ومعناها أعدنا . وقال بعض الكوفيين أعدنا وأعدنا معناهما واحد .
- تفسير الطبرى (١٠٣/٨) وراجع مجاز القرآن (١٢٠/١) .
- (٨) النساء آية ١٨ .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها )  
 نزلت الآية في الأنصار كان الرجل منهم إذا مات أبوه ورث امرأة أبيه ،  
 ثم إن شاء أمسكها لنفسه وزوجه وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها ، وإن  
 شاء عضلها عن الأزواج حتى تفدى نفسها بمال . ( ١ )

( ١ ) قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية . اختلفت الروايات وأقوال المفسرين  
 في سبب نزولها ، فروى البخاري عن ابن عباس قال : كانوا إذا مات  
 الرجل كان أولياؤه أحق بأمراته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن  
 شاءوا زوجها وإن شاءوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها فنزلت  
 هذه الآية : " يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء  
 كرها " .

وقال الزهري وأبو مجليز . كان من عاداتهم ، إذا مات الرجل يلقى  
 ابنه من غيرها أو أقرب عصبة ثوبه على المرأة فيصير أحق بها من  
 نفسها ومن أولياؤها ، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق  
 الذي أصدقها الميت ، وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها ولم  
 يملكها شيئا ، وإن شاء عضلها لتفدى منه بما ورثته من الميت  
 أو تموت بغيرها . فأنزل الله هذه الآية .

وقيل كان يكون عند الرجل عجوز ونفسه تتوق إلى الشابه فيكسره  
 فراق العجوز لما لها فيمسكها ولا يقربها حتى تفدى منه بمالها أو  
 تموت فيرث مالها فنزلت هذه الآية .

ثم قال القرطبي : والمقصود من الآية إذهاب ما كانوا عليه في  
 جاهليتهم والا تجعل النساء كالمال يورثن عن الرجال كذا يسورث  
 المال . . . . .

وهناك روايات أخرى في سبب نزول هذه الآية ساقها ابن جرير  
 وابن كثير وغيرهما وهي قريبة في معناها مما أورده القرطبي . لسنا  
 اكتفينا بما ساقه القرطبي .

انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن ( ٥ / ٩٤ ) .

حتى مات أبو قيس بن الأُسَلت الأنصاري<sup>(١)</sup> عن امرأته كيشه بنت معن  
الانصارية<sup>(٢)</sup> فجاء أبو حصين وورث المرأة فجاءت المرأة تشكو الى النبي صلى  
الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى<sup>(٣)</sup> " لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً " .  
ويقرأ كرها بضم الكاف . فالكره بالفتح الاكراه ، والكره بالضم المشقة<sup>(٤)</sup> .

(١) أبو قيس صيفي بن الأُسَلت الأنصاري ، أحد بني وائل بن زبيد  
واسمه الحارث .  
وقيل عبدالله ، واسم الأُسَلت ، عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس  
ابن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس .  
وذكر الزبير بن بكار قال : أبو قيس بن الأُسَلت ، الشاعر ، اسمه الحارث  
ويقال عبدالله ، وفيها ذكر الزبير . نظر لأن أبا قيس بن الأُسَلت  
يقولون انه لم يسلم ، والله أعلم .

وزعموا أنه لما حضره الموت نعت اليه النبي - صلى الله عليه وسلم -  
فقال : قل لا اله الا الله أشفع لك بها يوم القيامة فسمع بقولها .  
الاصابة (٢٥٦/٦ - ٢٥٧) .

(٢) كيشه بنت معن بن عاصم الانصارية ، زوج أبي قيس بن الأُسَلت .  
ويقال لها كيشه - كما ذكر السمعاني - قال ابن جريج عن هكرمة  
نزلت فيها " لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً " .  
الاصابة (٣٩٥/٤) ط : دار احياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة  
الأولى .

(٣) أسباب النزول للنيسابوري صفحه (١٤٠) .

(٤) " كرها " قرأها حمزه والكسائي بضم الكاف . وقرأها الباقر بن يفتحها  
وهما لفتان مشهورتان كالغفر والفقر ، والضمف والضمف ، والشهد  
والشهد . وقد قيل ان الكره بالضم ، المشقة ، والكره بالفتح ،  
ما أجبرت عليه .

وقال أبو عمرو : الكره بالضم ، كل شيء يكره فعله ، والكره بالفتح ،  
ما استكره عليه .

وقال الأخفش : هما لفتان ، بمعنى المشقة والاجبار .  
الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٨٢/١ - ٣٨٣) .

( ١ ) ولا تعضلوهن لتذهبوا بيمض ما أتتهن منهن ) أى تمنعهن من الأُزواج حتى يضررن فيفتدين بيمض ما لهن فيكون خطاباً لأولياء الميت ، والصحيح أنه خطاب للأزواج بمعنى إذا لم تكن الزوجه بموافقة فلا تمسكها ضرارا لتفتدى بيمض ما لها . ( ٢ ) ( الا أن يأتيها بفاحشة مبينه ) . قال ابن عباس : هو النشيسور .

( ١ ) أصل المضل : التضيق والحبس والمنع ، يقال عضلت الناقة بولدها إذا نسب في بطنها وتصر عليه الخروج . ومن أعضل به الأمر إذا اشتد وتعسر .

( ٢ ) بيد ولنا من سياق الآية أن ما ذكره السمعاني بقوله " والصحيح " هو الصواب لأن النهى عن عضل المرأة هنا - وإن كان يتناول جميع المكلفين - إلا أن المعنى به الأُزواج ابتداءً ، لأنهم - في الغالب - هم الذين كانوا يفعلون ذلك .

ولذا قال ابن جرير - بعد أن ذكر الأقوال في المعنى في قوله " ولا تعضلوهن " وأولى الأقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله : " ولا تعضلوهن " قول من قال : " نهى الله زوج المرأة عن التضيق عليها ، والاضرار بها ، وهو لصحتها كاره ولفراقها محب لتفتدى منه بيمض ما أتتها من الصداق .

وانما قلنا ذلك أولى بالصحة ، لأنه لا سبيل لأحد الى عضل المرأة الا لأحد رجلين . اما لزوجها بالتضيق عليها . . . لئلا أخذ منها ما أتتها . . . أولوليتها الذي اليه انكأها . ولما كان الولي معلوماً انه ليس من أتتها شيئاً . كان معلوماً أن الذي عنى الله تعالى عن بنهيه عن عضلها هو زوجها الذي له السبيل الى عضلها ضرارا لتفتدى منه . "

انظر تفسير الطبري ( ٨ / ١١٣ ، ١١٤ ) بتصرف وتلخيص .

(١) وقيل هو الزنا : يعنى (٢) اذا نشرت أو زنت فحينئذ يحل أن يخاد بها  
ويأخذ مالها وكان في ابتداء الاسلام اذا زنت المرأة أخذ الزوج جميع  
صداقها منها ثم نسخ .

(٣) ( وعاشروهن بالمعروف ) أى الاجمال فى الصيت والقول والنفقة

(١) ذكره الحسن وعطاء الخراسانى وأبى قلابة والسدى . الطبرى ١١٥/٨-١١٦  
وابن سعد وسعيد بن المسيب والشعبى ومحمد بن سيرين وسعيد  
ابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وزيد بن أسلم وسعيد  
ابن أبى هلال .  
ابن كثير (٢/٢١١) .

(٢) قلت : والمختار أنه يعم ذلك وغيره من العصيان .

(٣) قال ابن كثير : قوله تعالى " وعاشروهن بالمعروف " أى طيبوا أقوالكم  
لهن ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم . كما تحب ذلك  
منها ، فافعل أنت مثله .

كما قال تعالى ( ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف \* وقال رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى " .  
وكان من أخلاقه - صلى الله عليه وسلم - أنه جميل العشرة دائم اليسر  
يداعب أهله ، ومتدلف بهم ، ويضاحك نساءه ، حتى انه كان يسابق  
عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها يتودد اليها بذلك . قالت :  
سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فسبقته . وذلك قبل  
أن أحمل اللحم . ثم سابقته بعدما حملت اللحم فسبقنى . فقال .  
هذه بتلك . وكان صلى الله عليه وسلم يجمع نساءه كل ليلة  
فى بيتا لى يبيت عندها فيأكل معهن المشاء فى بعض الأحيان  
ثم تنصرف كل واحدة الى منزلها ، وكان ينام مع المرأة من نساءه  
فى شعار واحد . يضع عن كتفيه الرداء وينام بالازار .

وكان اذا صلى المشاء يدخل منزله يسم مع أهله قليلا قبل أن  
ينام . يوءانسهن بذلك - صلى الله عليه وسلم - وقد قال تعالى  
لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة \* .  
انظر تفسير ابن كثير (٢/٢١١) .

( فان كرهتموهن فمسي أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا )<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( وان أردتم استبدال زوج مكان زوج ) أراد بالزوج هاهنا  
الزوجه وهو اسم للرجل والمرأه .

( وآتيتهم اهداهن قنطارا ) يعنى من الصداق . ( فلا تأخذوا منه  
شيئا أتأخذونه بهتانا ) أى ظلما<sup>(٢)</sup> . ( وأثما مهينا )<sup>(٣)</sup> .

( وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ) أى وصل بعضكم الى  
بعض بالدخول .

وحكى عن الزجاج أنه الخلوه . والأول أصح<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) النساء آيه ١٩ .

( ٢ ) البهتان : هو الكذب الذى يد هس ويحير لفظاعته . ويطلق على كل  
أمر كاذب يتخير العقل فى ادراك سببه أو لا يعرف مبررا لوقوعه ، كمن  
يمتد على الناس ويقول عليهم الأقاويل ، مع أنه ليست هناك عداوة  
سابقه بينه وبينهم .

قال صاحب الكشاف : والبهتان أن تستقبل الرجل بأمر قبيح  
تقدفه به وهو برى منه ، لأنه مهبت عند ذلك . أى يتحير .

( ٣ ) النساء آيه ٢٠ .

( ٤ ) قال الطبرى : " الأفضا الى الشىء الوصول اليه بالمباشرة له كما قال  
الشاعر : يلين يلى أفضى الى كل كتيبه بدا سيرها من باطن بعد ظاهر  
يعنى بذلك أن الفساد والبلبى وصل الى الخرز والذى عنى به " الأفضا " .  
فى هذا الموضع ، الجماع فى الفرج .  
الطبرى ( ٨ / ١٢٥ ) .

( ١ ) ( وأخذت منكم ميثاقا غليظا )<sup>(١)</sup> هو قول الولي زوجته علسو أن  
تسكها بمعروف أو تسرحها باحسان<sup>(٢)</sup> .

وقيل<sup>(٣)</sup> هو معنى ماروي " اتقوا الله في النساء فانهن عندكم عسوان  
أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله<sup>(٤)</sup> فهذا هو الميثاق  
الغليظ .

قوله تعالى ( ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء ) كان أهل الجاهلية  
ينكحون أزواج آبائهم فورد الشرع بالنهي عنه<sup>(٥)</sup> . ( الا ما قد سلف )  
يعنى بعد ما سلف<sup>(٦)</sup> .

وقال المبرز معناه لكن ما سلف في الجاهلية فهو مفقور .

---

( ١ ) النساء آية ٢١ .

( ٢ ) قول لمجاهد وقتادة والضحاك والسدي .

( ٣ ) ذكره جابر وعكرمة والربيع . زاد المسير ( ٣٩ / ٢ ) .

( ٤ ) رواه الامام مسلم في صحيحه من كتاب الحج ، باب حجة النبي - صلى  
الله عليه وسلم - ( ٤١ / ٤ ) .

( ٥ ) قال الأوسى : انما خص هذا النكاح بالنهي ، ولم ينظم في سلك  
نكاح المحرمات الأتية " مبالغة في الزجر عنه ، حيث كان ذلك يدنا  
لهم في الجاهلية " .  
انظر تفسير الأوسى ( ٢٤٤ / ٤ ) .

( ٦ ) اختلف العلماء في الاستثناء في قوله " الا ما قد سلف " .  
فيرى فريق منهم أنه استثناء منقطع . والمعنى : لا تنكحوا أيها  
المؤمنون ما نكح آبؤكم من النساء ، لأنه ، من أفعال الجاهلية  
القبيحة ، لكن ما قد سلف ومضى منه قبل نزول هذه الآية فلا يؤخذون



---

.. / ..

عليه ، فمن كان متزوجا من امرأة كانت زوجة لأبيه من النسب أو من الرضاع ، فإنها تصير حراما عليه من وقت نزول هذه الآية الكريمة ويجب عليه أن يفارقها ، أما معنى هذا النكاح القبيح فلا تثريب عليكم فيه وتثبت به أحكام النكاح من النسب وغيره من الأحكام .

ويرى بعضهم أن الاستثناء هنا متصل بما يستلزمه النهي ، ويستوجب به مباشرة المنهى عنه من العقاب . فكأنه قيل : ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فإنه قبيح ومعاقب عليه من الله تعالى إلا ما قد سلف ومضى فإنه معفو عنه .

وقد وجه صاحب الكشاف الاستثناء بوجه آخر فقال : فإن قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤهم ؟ قلت : كما استثنى " غير أن سيوفهم " من قول الشاعر :

" ولا عيب " فيهم " غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكناشب  
يعنى : ان أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه ، فإنه لا يهل لكم  
غيره وذلك غير ممكن .

والفرض المبالغة في تحريمه ، وسد الطريق إلى اباحتها كما يعلسق  
بالمجال في التأييد نحو قولهم ، حتى يبيض الفأر ، وحتى يلج الجمل في  
سم الخياط " .

( انه كان فاحشة ومقتلاً ) قيل كان فيه علة . وتقديره انه فاحشة  
وهذا كما يقول الشاعر (١) :-

فكيف اذا رأيتديار قومس وجيران لنا كانوا كـرام

وقيل كان في موضعه (٢) ومعناه انه كان في الجاهلية يمدونه فاحشة  
ومقتلاً وكانوا يسمون ولد امرأة الأب مقيناً والفاحشة أقبح معصية .

وأما المقت قال أبو عبيدة هو الميخضه من الله .

وقال ابن عباس : أراد به المقت من الملائكة ( وساء سبيلاً ) (٣) أي بشس

السلك .

---

(١) البيت للفرزدق وهو في المقتضب للمبرد ( ١١٦/٤ ) والكتاب  
( ٢٨٩/١ ) .

(٢) قال ابن العربي في رده على من قالوا إن كان هنا صله : وهذا  
جهل عظيم باللحنة والشمر ، بل لا يجوز زيادة كان ها هنا ، وإنما  
المعنى وجيران كرام كانوا لنا مجاورين وأبادهم الزمان وانقطع  
عنهم ما كان .

أحكام القرآن ( ١ / ٣٧٠ ) .

(٣) النساء آية ٢٢ .

قوله تعالى ( حرمت عليكم أمهاتكم ) .

قال ابن عباس : حرم الله تعالى سبعا بالنسب وسبعا بالمهر .  
وقال الفقهاء<sup>(١)</sup> سبعا بالنسب ، وسبعا بالسبب ، أما السبع بالنسب  
منهن الأمهات وهي كل امرأة تنسب اليها بالولادة سواء قرئت أو بعدت  
سواء كان بينك وبينها ذكرا أو أنثى أو لم يكن أحد فالكل حرام .

قال ( وبناتكم ) ومنها البنات وهي كل امرأة تنسب اليكم بالولادة سواء  
قرئت أو سفلت سواء كان بينك وبينها ذكرا أو أنثى أو لم يكن أحد فالكسب  
حرام . قال ( وأخواتكم ) ومنها الأخوات وهي كل امرأة تنسب الي من  
تنسب اليه بالولادة فالكل حرام<sup>(٢)</sup> . قال ( وعما تم ) ومنها العمات ، والعمه

(١) راجع المغني لابن قدامة (٧/١١٠) وبداية المجتهد (٢/٣٣) .

(٢) قال ابن العربي ، الأخت عبارة عن امرأة شاركك في أصلك : أبيك  
وأُمك ولا تحرم أخت الأخت إذا لم تكن لك أختا ، فقد يتزوج الرجل  
المرأة ولكل واحد منهما ولد ثم يقدر بينهما ولد .

سحنون : هو أن يزوج الرجل ولده من غيرها بنتها من غيره .  
وتفسيرها أن يكون لرجل اسمه زيد زوجتان عمرة وخالدة ، وله من  
عمرة ولد اسمه عمرو ، ومن خالدة بنت اسمها سعادة ، وخالدة زوج  
اسمه عمرو ، وله منها بنت اسمها حسناء ، فتزوج زيد ولدة عمرا مسن  
حسنا ، وهي أخت أخت عمر ، وهذه صورتها لتكون أثبت في  
النفوس .

احكام القرآن (١/٣٧٢) .

أخت كل ذكر تنسب إليه بالولادة فالكل حرام قرب أم بعد . قال ( وخالاتكم )  
ومنها الخالات ، والخالة أخت كل امرأة ينسب إليها بالولادة قريبة أم  
بعدت .

قال ( وبنات الأخ وبنات الأخت ) ومنها بنات الأخ وبنات الأخت  
وهي بنت كل من ينسب الي من تنسب إليه . فهذه السبعة بالنسب .

وأما السبع بالسبب فاحداهن مذكوره قبل هذه الآيه في قوله  
" ولا تنكحوا ما نكح آبواكم من النساء " (١) والثاني في قوله ( وأمهاتكم  
اللاتي أرضعنكم " والثالث ( وأخواتكم من الرضاع ) ولا خلاف أن الأم  
والأخت من الرضاع حرام على الرجل نكاحها ، فأما عدا الأمهات  
والأخوات من الرضاع حرام أيضا عند أكثر العلماء لقوله صلى الله عليه وسلم  
" يحرم من الرضاع ما يحرم بالنسب " (٢)

وقال داؤود وأهل الظاهر لا يحرم ما عدا الأمهات والأخوات تسكنا  
بظاهر القرآن (٣) . قال ( وأمهات نسائكم ) الرابعة أم الزوجه تحرم على

(١) النساء آيه ٢٢ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه من كتاب الشهادات (٧) باب الشهادة على  
الأنساب والرضاع (١٤٩/٣) وابن طاجه من كتاب النكاح (٣٤) باب  
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب (٦٢٣/١) .  
والامام أحمد في مسنده (٢٧٥/١) .

(٣) المغنى (١١٣/٧) .

الاطلاق بنفس المقدم على قول الأكثرين (١) ، وحكى خلاص (٢) عن علي رضي الله عنه أنه قال لا تحرم أم الزوجه الا بعد الدخول بالزوجه (٣) لقوله تعالى ( وربائكم الاتى في حجوركم من نسائكم الاتى دخلتم بهن \* قال فقوله من نسائكم الاتى دخلتم بهن ينصرف اليها جميعا والأول (٤) أصح

(١) بداية المجتهد (٤١/٢) والمفنى (١١٦/٧) والمجلى (٦٣٥/٦) قال صاحب المفنى ، لا نعلم في هذا خلافا .

(٢) خلاص - بكسر خاء - معجمه وخفة لام واهمال سين - بن عمرو الهجرى البصرى - .

قال ابن عدى : له أحاديث صالحة ولم أر بعامة حديثه بأسا حديثه في صحيح البخارى مقرون بغيره .  
وقال المجلى : تابعى ثقة . مات قبيل المائة .  
تهذيب التهذيب (١٧٦/٣ - ١٧٨ - ) .

(٣) رواه ابن جرير الطبرى (١٤٥/٨) وفي سنده خلاص بن عمرو الهجرى نص البخارى في " التاريخ الكبير " بأنه لم يسمع من علي ، وأن حديثه فمن صحيفه كانت عنده . فمن أجل ذلك قال القزلبى (١٠٦/٥) " وحديث خلاص عن علي لا تقوم به حجة ، ولا تصح روايته عند أهل العلم بالحديث والصحيح عنه - يعنى علي بن أبى طالب - مثل قوم الجماعة .

(٤) بيد ولنا أن ما ذكره بقوله " والأول أصح " هو الراجح .  
قال الألوسى " والمراد بالنساء المقنونات عليهن على الإطلاق سواء أكن مدخولا بهن أم لا . وهو مجمع عليه عند الأئمة الأربعة ، لكن يشترط أن يكون النكاح صحيحا . أما إذا كان فاسدا فلا تحرم الأم الا إذا وطئها . فقد أخرج البيهقي في سننه وغيره من طريق عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " إذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالابن أم لم يدخل . وإذا تزوج الأم ولم يدخل بها ثم طلقها فإن شاء تزوج الابن " .  
انظر تفسير الألوسى (٢٥٧/٤) .

قال ابن عباس "أبهموا ما أبهمه الله" أي أطلقوا ما أطلقه الله  
ولأن قوله "وأمهات نسائكم" مستقل بنفسه معتمد بحكمه فيستغنى عن الاظهار  
، ولأن قوله "وأمهات نسائكم" من نسائكم الأتى دخلتم بهن" على هذا  
التقدير يكون عيبا في الكلام فلا يليق بكلام الله تعالى الذى هو أفصح  
أنواع الكلام .

قال ( وربائكم الأتى في حجوركم من نسائكم الأتى دخلتم بهن )  
الخامسة الربيبه وهى ابنة الزوجه ، وسميت ربيبه لأن الزوج يربها في حجره على  
الأغلب فهى حرام بعد الدخول بالزوجه وسواء كانت في حجره أو في حجر  
غيره .

وقال داود يختص التحريم بالتى في حجره لقوله " وربائكم الأتى نفس  
حجوركم" وهذا لا يصح لأن الكلام خرج على الأغلب (١)

(١) قلت : مقتضى ظاهر الآيه يقتضى أن الربيبه لا يحرم نكاحها على زوج  
أمها الا بشرطين :  
أولهما : كونها في حجره ، وثانيهما : أن يكون الزوج قد دخل بأما .  
أما عن الشرط الأول فلم يأخذ به جمهور الملما ، وقالوا : ان  
هذا الشرط خرج مخرج الفالب والماده - كما ذكره السمعاني - لا انه  
شرط في التحريم - فهم يرون أن نكاح الربيبه حرام على زوج أمها سواء  
أكانت في حجره أم لم تكن قالوا ، وفائدة هذا القيد تقوية علة الحرمة  
أو أنه ذكر للتشفيح عليهم ، إذ أن نكاحها محرم عليهم في جميع الصور  
الا أنه يكون أشد قيدا في حالة وجودها في حجره هذا رأى عامسة  
الصحابه والفقهاء .

وأما الشرط الثانى - وهو أن يكون الزوج قد دخل بأم الربيبه  
فقد أخذ به الملما الا أنهم اختلفوا في معنى الدخول فقال بعضهم  
معناه الوطء والجماع . وقال بعضهم معناه التمتع كاللمس والقبلة  
فلم يحصل منه مع الأم ما يشب ذلك حرم نكاح ابنتها من غيره عليه .  
انظر تفسير القرطبي ( ١١٢ / ٥ ) .

( فان لم تكونوا دخلتمهن فلا جناح عليكم ) بمعنى في نكاحهن .  
 قال ( وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ) السادسة حليلة الابن .  
 وهي حرام ، وسميت حليله لأنها مع الابن تلتحق فراشا واحدا . وقيل  
 لأنها تحل ازار الابن ، والابن يحل ازارها ، وقيل سميت حليله لأنها  
 تحل له .

وقوله " الذين من أصلابكم " انما قيد بالصلب وان كان حليلة ولد الولد  
 حراما لبيِّن أن حليله ولد التبني حلال . وقد تزوج رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم زينب بنت جهش<sup>(١)</sup> امرأة زيد بن حارثة وكان قد تبني زبيدا  
 حتى قال عبد الله بن أبي بن سلول أنظروا الى هذا الرجل كيف وثب على  
 امرأة ابنه وتزوجها فقال الله تعالى " وحلائل أبنائكم الذين من  
 أصلابكم " بذلك الصيب .

---

( ١ ) زينب بنت جهش ، زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أخت عبد الله  
 ابن جهش بن أسد بن خزيمه أمها أميه بنت عبد المطلب ، عمه النبي  
 - صلى الله عليه وسلم - وتكنى أم الحكم - قد يمة الاسلام ومن المهاجرات  
 وكانت قد تزوجها زيد بن حارثة مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوجها  
 ليعلمها كتاب الله وسنة رسوله ، ثم ان الله تعالى زوجها النبي - صلى  
 الله عليه وسلم - من السماء .

توفيت سنة عشرين - وصلى عليها عمر بن الخطاب ، ودفنت بالقيع .

الاصابه ( ٧ / ٢٥ - ١٢٧ ) .

( وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف ) السابعة الجمع بين الأختين حرام بالنكاح وكذلك بالوطئ\* في ملك اليمين .

وقال أهد الظاهر : لا يحرم الجمع بينهما إلا في النكاح لأن الآية فسي التحريم بالنكاح<sup>(١)</sup> .

قال عثمان حرمتها أبي وأحلتها أبي فأية التحريم هذه ، وأية التحليل قوله<sup>(٢)</sup> إلا ما ملكت أيما نكح<sup>(٣)</sup> . " إلا ما قد سلف " أي بعدما سلف وقد بيناك<sup>(٤)</sup> . " ان الله كان عفورا رحيفا " <sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) بداية المجتهد ( ٤٩ / ٢ ) والمحل ( ٦٣٥ / ٦ - ٦٣٦ ) .

( ٢ ) تفسير الخازن ( ٥٠٤ / ١ ) .

( ٣ ) النساء آية ٢٤ .

( ٤ ) قلت : وكما أنه يحرم الجمع بين أختين في عصمة رجل واحد ، فكذلك يحرم الجمع بين المرأة وعصها أو خالتها أو ابنة أخيها أو ابنة أختها لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقد جاء في صحيح مسلم وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " لا تنكح المرأة طى عصها ولا طى خالتها ولا طى ابنة أخيها ولا طى ابنة أختها " . وفي رواية للطبراني أنه قال : " فانكم ان فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم " .

( ٥ ) النساء آية ٢٣ .



قوله تعالى ( والمحصنات من النساء ) أراد به ذوات الأزواج .  
( الا ما ملكت أيما نكم ) اختلفوا فيه : فقال علي وابن عباس : أراد به الا  
ما ملكت أيما نكم من سبايا أوطاس وفيه نزلت الآية<sup>(١)</sup> .

قال أبو سعيد الخدري : لما سبى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم سبايا أوطاس هرب الرجال فخرج المسلمون من وطن النساء بمكان  
الأزواج فنزلت الآية وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في وطنهن<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن مسعود وأبي بن كعب ان قوله \* الا ما ملكت أيما نكم \* هو  
أن يبيع الجارية المزوجة يقع للفرقة بينها وبين زوجها ويحل للمشتري  
وطئها ويكون بيئها طلاقا لها .

---

(١) أسباب النزول للواجدي صفحته (١٤١-١٤٢) ولباب النقول  
صفحته (٦٦) .

(٢) سند الاطام أحمد (٧١/٣) وصحيح مسلم (١٠٧٩/٢) والترمذي  
(٨٦/٤) وأبو داود (٣٣٢/٢) والنسائي (١١٠/٦) والبيهقي  
(١٦٧/٧) .

قيل ومعنى الآية "والمحصنات من النساء" . يعنى ذوات الأزواج محرم الاستمتاع . الا ما ملكت أيمانكم . من مهرهن فيحل الاستمتاع به فكانه حرم الاستمتاع ببعضهن وأباح الاستمتاع بمهرهن . (١)

( كتاب الله عليكم ) أى فرض الله عليكم . ويقراً ( كتب الله عليكم )<sup>(٢)</sup>  
أى فرض الله عليكم .

( وأحل لكم ماوراء ذلكم ) يعنى أحل الله لكم . ويقراً ( أحل لكم )  
بضم الألف على نظم قوله " حرمت عليكم أمهاتكم " . ( أن تتفتوا بأموالكم )  
قيل الاجلال بالابتغاء بالأموال . وفيه دليل على أن استهلال الموضع  
لا يخلو عن عوض " محصنين " أى متزوجين متدققين ( غير سافحين ) غير زانيين

---

(١) بيد و لنا أن مارواه الامام السمعاني عن علي وابن عباس هو الراجح يدل على ذلك سبب نزول الآية الذى ذكره السمعاني والذى رواه الامام مسلم فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى ( وهذا نص صحيح صريح فى أن الآية نزلت بسبب تخرج أصحاب النسي صلى الله عليه وسلم عن وطء المسببات ذوات الأزواج فأنزل الله فى جوابها الا ما ملكت أيمانكم ، وبه قال مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد واسحاق وأبو ثور وهو الصحيح .

أما مارواه الامام السمعاني عن ابن مسعود وأبى بن كعب فهو ضميم ، لأن عائشة رضى الله عنها - اشترت بربوة وأعتقها وكانت ذات زوج ، ثم خيرها النبي صلى الله عليه وسلم بين فسح نكاحها من زوجها وبين بقائها على هذا النكاح ، فدل ذلك على أن بيع الأمة ليس هادماً للمصحة ، لأنه لو كان هادماً لها لما خير النبي صلى الله عليه وسلم بربوه .

(٢) قراءة ابن السميع وأبو عمران . زاد السير (٢ / ٥١) .

(٣) هي قراءة حمزة والكسائى . وقراً ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عاصم ( وأحل ) بفتح الحاء .

النشر فى القراءات المشرفة (٢ / ٢٤٠) .

مأخوذ من سفح الماء وهو الصب ومنه قول امرئ القيس :-

وان شفائي عبرة ان سفحتها  
فهل عند رسم دارس من مـ (١)  
أى صيبتها .

( فما استمتعتم به منهن ) قيل أراد به فما استمتعتم بالنكاح منهن

( فأتوهن أجورهن فريضة ) أى مهرهن .

وقال ابن عباس : هو المتعة المعروفة ، وكانت المتعة حلالا في ابتداء

الاسلام وصورتها أن يقول الرجل للمرأة أجرتك أو عقدت عليك للأستمتع بك

عشرة أيام بكذا وكان هذا حلالا ثم نسخ .

وكان ابن عباس يفتى باباحتها .. والصحيح أنه منسوخ . وروى علي والربيع

ابن سيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن نكاح المتعة . (٢)

وقال علي لابن عباس : انك رجل بان نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

عن نكاح المتعة .

---

( ١ ) وهو فود يوانه ، وفي مختار الشعر الجاهلي ( ٢٤ / ١ ) .

( ٢ ) الربيع بن سيرة بن سعيد ، ويقال : ابن عوسجه . الجهنني ، المدني .

روى عن أبيه وله صحبه وعمر بن عبدالمزيز وعمر بن مرة الجهـ

ويحيى بن سعيد بن العاص .

قال المجلبي : حجازي تابعي ثقة .

وقال النسائي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات .

تهذيب التهذيب ( ٢٤٤ / ٣ - ٢٤٥ ) .

وقيل ان ابن عباس رجع عن أباحة المتعة وتاب (١) .

وقال بعض السلف لولا أن عمرا نهى عن المتعة ما زنى أحد فى  
العالم (٢) .

( ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ) فمن حمل ما قبله  
على المتعة قال المراد بهذا أن يزيد الرجل فى المهر ويزيد المرأة فى  
الأجل .

ومن حمل ذلك على الاستمتاع بالنكاح فالمراد بقوله " ولا جناح عليكم  
فيما تراضيتم به " يعنى من الأبراء والاعتياغر عن المهد ( ان الله كان  
عليما حكيماً ) (٣) .

---

( ١ ) قال ابن كثير : " قد استدل بهموم هذه الآية على نكاح المتعة .  
ولاشك أنه كان مشروفاً فى ابتداء الاسلام ثم نسخ بعد ذلك . وقد  
روى عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القول بأباحتها للضرورة . ولكن  
الجمهور على خلاف ذلك .

والمعدة ما ثبت فى الصحيحين عن أمير المؤمنين على بدأبى طالب  
قال نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن نكاح المتعة وعن لحوم  
الحمر الأهلية خبير .

وفى صحيح مسلم عن الربيع بن سبره الجهنى عن أبيه أنه كان مع  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " يا أيها الناس انى كنت أذنبت  
لكم فى الاستمتاع من النساء . وان الله قد حرم ذلك الي يوم القيامة .  
فمن كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تأخذوا مما أتيتموهن  
شيئاً " .

انظر تفسير ابن كثير ( ٢٢٥-٢٢٦ ) .

( ٢ ) لم أجد هذا القول .

( ٣ ) النساء آية ٢٤ .

قوله تعالى ( ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات ) .

قال مجاهد : الطول السعة والفضي .  
وأصل الطول الفضل ومنه الطول لفضل القامة . ويقال لا طائل تحته  
أى لا معنى تحته . ( ١ )

ومعنى الآية ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج بالأمة  
المؤمنة . وفيه دليل على أن نكاح الأمة الكتابية باطل .

قال الشعبي : نكاح الأمة مع القدره على مهر الحرة حرام كالميته والدم . ( ٢ )

( ١ ) ومنه قول الشاعر :-

لقد زادنى حبا لنفسي أننى بغيري إلى كل امرئ غير طائل  
ومنه قولهم . ما خلا منه بطائل . أى بشئ . يمتد به مما له فضل وخطير .  
انظر الكشاف ( ٤٩٩ / ١ ) .

( ٢ ) قال بعض الفقهاء ان الله تعالى شرط في نكاح الاما \* شرائط ثلاثه :  
اثان منهما في النكاح ، والثالث في المنكوحه .  
أما اللذان في النكاح فأحدهما : أن يكون غير واجد لما يتزوج به  
الحرة المؤمنة من الصداق كما ذكره السمراني .  
والثاني : هو المذكور في آخر الآية وهو قوله : " ذلك لمن خشى العنت  
منكم " وأما الشرط الثالث المعتبر في المنكوحه فهو أن تكون الأمة مؤمنة  
لا كافره . . . " .

وقد خالف الامام أبو حنيفة هذا الشرط الثالث فأباح للمسلم  
الزواج من الأمة الكتابية ان لم يكن عنده زوجه حرة فان كان متزوجا بحره  
فانه لا يجوز له أن يتزوج أمة مطلقا لا مسلمة ولا كتابية ، وان عقد عليها  
كان عقده باطلا . وقد بنى حكمه هذا على أساس تفسيره للطول بأنه  
الزواج بحره .

أما الطالكية والشافعية فقد قالوا الطول والقدرة على المهر والنفقة  
فمن عجز عن مهر الحرة ونفقتها وهو قادر على الزواج من أمة فانه يجوز  
له الزواج بها ولو كانت عنده زوجه حرة .  
التفسير الكبير ( ٥٦ / ١ ) .

وقال عطاء الطول الهوى ومعنى الآية ومن لم يستطع من هواء أن ينكح  
الحرمة بأن كان يهوى الأُمه دون الحره فاليتزوج بالأُمه فعلى هذا يجوز  
نكاح الأُمه وان كان قادرا على مهر الحره والفتى والمهد والفتاة الجارسة  
فمعنى قوله " من فتياتكم المؤمنات " أى من حرائركم .

( والله أعلم بايمانكم ) أى لا تتمرضوا للباطن فى الايمان وخذوا  
بالايمان الظاهر . فان الله أعلم بايمانكم<sup>(١)</sup> . ( بمرضكم من بمرض أى كلكم  
من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء .

وقيل معناه بمرضكم أخوة لبعض . ( فأنكحوهن ) أى الاماء<sup>(٢)</sup> باذن  
أهلهن ( أن باذن مواليهن .

---

( ١ ) قال صاحب الكشاف " فان قلت : فما معنى قوله والله أعلم بايمانكم ؟  
قلت . معناه أن الله أعلم بتفاضل ما بينكم وبين أركانكم فى الايمان  
ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم . وربما كان ايمان الأُمه أرجح من ايمان  
الحرمة والمرأة أرجح فى الايمان من الرجل ، وحق المؤمنين أن لا يعتبروا  
الافضل الايمان لا فضل الاحساب والأنساب . وهذا تأنيس بنكاح الاماء  
وترك الاستكفاف منه .

وقوله " بمرضكم من بعض " أى : أنتم وأركانكم متناسبون متواصلون  
لاشترائكم فى الايمان لا بفضل حر عبد الا برجحان فيه " .  
انظر الكشاف ( ١ / ٥٠٠ ) .

( ٢ ) عبر عن المالكيين لهن بالأهل حملا للناس على الأرب فى التمييز ،  
ولأنه يجب أن تكون الملاقة بين العبد وماله علاقة أهل لا علاقة  
استملاء .

( اتوهن أجورهن ) أي مهورهن ( بالمعروف محصنات ) يعسني  
عفايف بالتزويج . ( غير مسافحات ) أي غير زانيات . ولا متخذات أخدان )  
فالمسافحة فحسب أن تمكن من كل أحد .

قال الحسن : المسافحة هي امرأة كل من آوى إليها تبتمته ، وذات  
الخدن هي أن تختص بصديق . والعرب كانت تحرم الأولى وتستبيح  
الثانية .

قوله تعالى ( فإذا أحسن ) .

قال ابن مسعود : فإذا أسلمن .

وقال ابن عباس : فإذا تزوجن . ويقرأ<sup>(١)</sup> فإذا أحسن بضم الألف

ومعناه زوجن ( فان أتين بغاشية فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب )  
ومعنى الآية على قول ابن عباس - وهو الأصح - أن الاما إذا تزوجن وصبرت  
شيئا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب ، أي من  
عذاب الحد ، وحد الحرائر يكون بالجلد ويكون بالرجم ، والرجم لا ينتصف ،  
فكان المراد به تنصيف الجلد . ونذهب بضم العلم<sup>(٢)</sup> إلى أن الأمة البكر  
إذا زنت لا حد عليها لظاهر هذه الآية وهذا لا يصح .<sup>(٣)</sup>

---

( ١ ) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ، وقرأ حمزة والكسائي

وأبو بكر والمفضل عن عاصم بفتح الألف والصاد .

النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٤٠ ) .

( ٢ ) هو قول ابن عباس وطاووس وأبو عبيد .

( ٣ ) راجع المنذرى ( ٩ / ٤٩ ) .

قال الزهري حد الأمة الشيثايت بهذه الآية ، وحد الأمة البكر ثابت  
بالسنة ، والسنة المعروفة فيه قوله صلى الله عليه وسلم " إذا زنت أمة أحدكم  
فذيئلد ها (١) ( ذلك لمن خشى العنت منكم ) العنت الزنا وقد يكون بمعنى  
المشقة كما بينا . ( وأن تصبروا ) بمعنى عن نكاح الأمة ( خير لكم ) كما  
يخلف الولد رقيقنا . ( والله غفور رحيم ) (٢)

قوله تعالى ( يريد الله ليبين لكم ) بمعنى أن يبين لكم ومثله قول  
الشاعر : (٣)

أريد لأنسى ذكرها فكأنما  
يميل لي ليلى لكل سبيل  
يعنى أريد أن أنسى ذكرها . (٤)

(١) رواه الامام مسلم من كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمه  
فى الزنى (١٢٣/٥) .

(٢) النساء آيه ٢٥ .

(٣) البيت لكثير عزه . وهو فى المقصد الفريد لابن عبد ربه (٣٤٤/٥) دار  
الكتاب العربى - بيروت .

(٤) قال الأوسى : " ومثل هذا التركيب - وهو قوله " يريد الله ليبين لكم .  
وقع فى كلام العرب قد بما وخرجه النحاة على مذاهب :-  
فقبل مفعول " يريد " محذوف أى : يريد الله تحليل ما أحل وتحريم  
ما حرم ونحوه والام للتعليل . . ونسب هذا الى سيويه وجمهــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــور  
البصريين .

فتعلق الاراده غير التبيين ، وانما فعلوه لثلا يتعدى الفعل النسب  
مفعوله المتأخر عنه بالام وهو ممتنع أو ضعيف .

وذهب بعض البصريين الى أن الفعل مؤول بالمصدر من غير سابق ، كما  
قيل به فى قولهم : " تسمع بالمعبدى خير من أن تراه " أى ارادتى كأنه  
للتبيين وفيه تكلف .

وذهب الكوفيون الى أن الام هى الناصبه للفعل من غير اضممار  
أن وهى وما بعدها مفعول للفعل المقدم أى : يريد الله البيان لكم .  
انظر تفسير الأوسى (١٣/٥) .



قوله " لبيين لكم " أى يوضح لكم الأحكام . ( ويهد بكم ) أى يوشدكم  
( سنن الذين من قبلكم ) أى طرائق الذين من قبلكم من النبيين والصالحين<sup>(١)</sup> .  
وقيل من قوم موسى وعيسى الذين هدوا بالحق وذلك أنه حرم عليهم ما حرم  
على المسلمين من المحارم المذكورات .

وقيل : <sup>(٢)</sup> معناه ويهد بكم الطه الحنيفية طه ابراهيم<sup>(٣)</sup> .  
ويتوب عليكم ) قال ابن عباس : بدأ من الله ، ومعناه يوفقكم  
للتوبة .

وقيل : يوشدكم إلى السبيل الذى يدعوكم إلى التوبة .  
( والله عليهم ) بمصالح أمركم ( حلیم )<sup>(٤)</sup> فيما دبر .

( ١ ) مجاز القرآن ( ١ / ١٢٤ ) .

( ٢ ) تفسير البضوى ( ١ / ٥١١ ) .

( ٣ ) قلت : بيدولى أن العموم الذى فى القول الأول هو الصواب أى يهد بكم  
مناهج وطرائق من تقدمكم من الأنبياء والصالحين لتقتفوا آثارهم وتسلكوا  
سبيلهم .

وليس المراد أن جميع ما شرعه الله من حلال أو من حرام كان  
مشروعاً بعينه للأصم السابقة بل المراد أن الله كما قد شرع للأصم  
السابقة من الأحكام ما هم فى حاجة إليه وما اقتضته مصالحهم فكذلك  
قد شرع لنا ما نحن فى حاجة إليه وما يحقق مصالحنا فان الرسائل وان  
كانت مختلفة فى الفروع الا أنها متفقة فى التوحيد وكليات الدين وأصوله  
وما لا يختلف عليه العقلاء كالرحمة والأخلاق الكريمة وحب الحق .

( ٤ ) النساء آية ٢٦ .

قوله تعالى ( والله يريد أن يتوب عليكم ) هو ما ذكرنا . ( ويريد  
الذين يتبعون الشهوات ) .

قال مجاهد : هم الزناة<sup>(١)</sup> .

قيل أراد به اليهود والنصارى .<sup>(٢)</sup>

قال مقاتل بن حيان : اليهود خاصة لأنهم استحلوا نكاح الأخت من

الآباء<sup>(٣)</sup> .

( أن تملوا ميلا عظيما<sup>(٤)</sup> ) الميل العظيم هو أن يفعل فعلا لا يخاف

الله فيه ولا يوقب الناس .

وقيل : الميل العظيم باتباع الشهوات .<sup>(٥)</sup>

---

(١) انظر الطبري (٢١٣/٨) .

(٢) ذكره السدي الطبري (٢١٣/٨) والبغوي (٥١٢/١) .

(٣) قلت وحمل الآية على العموم هو الأول لأن هو لا الذي وصفهم الله  
بما وصف من أهل الكفر والفسوق والعصيان موجودون في كل زمان ،  
وتراهم يحطون لواء الرذيلة والفجور بأسماء مختلفة . وقد حذر  
الله تعالى عباده منهم حتى لا يتأثروا بهم ، وحتى يقاوموهم ويكشفوا  
على زيفهم وغلالتهم " ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون " .

(٤) النساء آية ٢٧ .

(٥) هو قول ابن زيد .

النكت والمعيون ( ١ / ٣٨٠ ) .

قوله تعالى ( يريد الله أن يخفف عنكم ) أي يسهل عليكم ، وقد سهل هذا الدين <sup>(١)</sup> . قال صلى الله عليه وسلم " بعثت بالسمحة السهلة الحنيفة " <sup>(٢)</sup> وروى " بالحنيفية السمحة السهلة " <sup>(٣)</sup> . وقال الله تعالى " ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم " <sup>(٤)</sup> . وخلق الانسان ضعيفا <sup>(٥)</sup> . قال طاووس ومجاهد وخلق ضعيفا في أمر النساء لا يصبر عنهن . وقال وكيع <sup>(٦)</sup> : يذهب عقله عندهن فهو ضعيف . وقال الزجاج : تستميله هواه وشهوته <sup>(٧)</sup> .

- 
- (١) انظر تفسير البغوي (١/٢٠١) وانظر تفسير التخفيف عند الطبري (٦/٥٧٧) .
- (٢) البخاري من كتاب الايمان (٢٩) باب الدين يسر وقول النبي - صلى الله عليه وسلم - أحب الدين الى الله الحنيفة السمحة . والامام أحمد في مسنده (٥/٢٦٦) (٦/٣٣) .
- (٣) أحمد في مسنده (٦/١١٦) .
- (٤) الأعراف آيه ١٥٧ .
- (٥) النساء آيه ٢٨ .
- (٦) وكيع بن الجراح بن طريح الرواس . أبوسفیان الكوفي الحافظ . قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : ما رأيت أوعى للملم من وكيع ولا أحفظ منه كانت الرحلة اليه في زمانه . قال المجلي : كوف ثقة عابد أديب من حفاظ الحديث وكان يفستق . مات سنة ست وتسعين . تهذيب التهذيب (١١/٢٣-١٣١) .
- (٧) " وخلق الانسان ضعيفا " عجزا غير قادر على طك نفسه ودفعها عن شهواتها وفاق بحق التكليف فهو محتاج من هذه الحيثية الى التخفيف ، ولهذا أراد الله التخفيف عنه . فتح القدير (١/٤٥٣) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل )

قال السدي : هو القمار والربا ونحوه .<sup>(١)</sup>

وقال غيره : كل العقود الباطلة .<sup>(٢)</sup>

( إلا أن تكون تجارة ) يقرأ بالضم والفتح<sup>(٤)</sup> وقد ذكرنا وجه القسراتين

في سورة البقرة .<sup>(٥)</sup> ( عن تراخي منكم ) أي بطيئة نفس منكم .<sup>(٦)</sup>

(١) انظر الطبري (٢١٢/٨) .

(٢) انظر البغوي (٥١٢/١) .

(٣) قال الطبري : " وأولى هذين القولين بالصواب في ذلك ، قول السدي ، وذلك أن الله تعالى ذكره حرم أكل أموالنا بيننا بالباطل ، ولا خلاف بين المسلمين أن أكل ذلك حرام علينا ، فإن الله لم يحل قط أكل الأموال الباطل .

تفسير الطبري (٢١٨/٨) .

(٤) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر " تجارة " بالرفع ، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بالنصب .

النشر في القراءات المشرقة (٢٤٠/٢) .

(٥) راجع تفسيره للآية (٢٨٢) " إلا أن تكون تجارة هائجة تدبرونها بينكم " .

(٦) قال الأوسى : والمراد بالتراضي مراعاة المتبايعين بما تعقدوا عليه في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا .

وعند المالكية والشافعية حالة الافتراق عن مجلس العقد وقيل الستراض : التخيير بعد البيع . . . .

تفسير الأوسى (١٦/٥) .

هذا وظاهر الآيه يفيد اباحة جميع أنواع التجارات ، مادام قد حصد التراضي بين المتعاقدين ولكن هذا الظاهر غير مراد ، لأن الشارع قد حرم المتاجرة في أشياء معينة حتى ولو تم التراضي بين المتعاقدين فيها ، وذلك مثل المتاجرة في الخمر والميتة ولحم الخنزير ، ومثل بيع الضرر والصيد الأبق ونحو ذلك مما نهى عنه الشارع من العقود والمعاملات .

( ولا تقتلوا أنفسكم ) أى لا يقتل بعضكم بعضاً<sup>(١)</sup> .

وقرأ الحسن : " ولا تقتلوا أنفسكم " مشدداً على التكثير .

وقيل معناه " ولا تقتلوا أنفسكم " بأكل المأكل الباطل<sup>(٢)</sup> .

وقيل<sup>(٣)</sup> أراد به قتل الرجل نفسه على الحقيقة<sup>(٤)</sup> ( ان الله كان بكم رحيماً )<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى ( ومن يفعل ذلك عدواناً ) يعنى ما سبق من الحسرام ،

وعدواناً ( وظلماً ) فالعدوان مجاوزة الحد ، والظلم ونسج الشئى \* فى غير

( ٦ )  
موضعه .

( فسوف نصليه ناراً ) يدخله ناراً يصلى بها ( وكان ذلك على الله

يسيراً )<sup>(٧)</sup> أى هيناً .

وروى عن ابن عمر أنه قال كنا نشهد لمن ارتكب الكبائر بالنار بهذه الآيات

حتى نزل قوله تعالى " وينفخ ما دون ذلك لمن يشاء " فتوقفنا<sup>(٨)</sup> .

---

( ١ ) وهو قول السدى وعطاء بن أبى رباح .

الطبرى ( ٢٢٩ / ٨ ) .

( ٢ ) انظر ابن كثير ( ٢٣٥ / ٢ ) .

( ٣ ) زاد السير ( ٦١ / ٢ ) .

( ٤ ) الذى نواه أن الجملة الكريمة تتناول كل هذه الاتجاهات ، فهى تنهى  
المسلم عن أن يقتل نفسه ، كما أنها تنهى عن أن يقتل غيره ، وهى  
أيضاً تنهى عن أكل المال بالباطل .

( ٥ ) النساء آيه ٢٩ .

( ٦ ) انظر الطبرى ( ٢٣١ / ٨ ) .

( ٧ ) النساء آيه ٣٠ .

( ٨ ) النساء آيه ٤٨ .

قوله تعالى ( ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ) سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل له أى الكبائر أكبر فقال " ان تدعو لله ندا وهو خلقك قيل ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك ، قيل ثم أى قال أن تزنى بحليلة جارك ثم قرأ<sup>(١)</sup> " والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون<sup>(٢)</sup> .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أكبر الكبائر الاشرار بالله ، وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وكان متكئا فاستوى جالسا وقان وشهادة الزور ، وشهادة الزور فما زال يردده حتى قلنا ليته سكت<sup>(٣)</sup> .

وقال ابن مسعود الكبائر ما ذكر الله تعالى فى هذه السورة الى هذه الآيه " ان تجتنبوا كبائر<sup>(٤)</sup> .

وعن ابن مسعود أيضا أنه قال : الكبائر أربعة ، " الاشرار بالله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله والأمن من مكر الله<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) رواه البخارى فى كتاب الأدب : ٩١٨ ، ومسلم فى كتاب الايمان .  
٠ ( ٦٤٠ ، ٦٣ / ١ )

( ٢ ) الفرقان آيه ٦٨ .

( ٣ ) رواه الامام البخارى فى صحيحه من كتاب الادب ( ٥ ، ٤ / ٨ ) ومسلم  
كتاب الايمان : ٦٤ / ١ .

( ٤ ) رواه ابن جرير ( وابن كثير ( ٢٤٥ / ٢ ) .

( ٥ ) رواه ابن جرير ( وابن كثير ( ٢٤٣ / ٢ ) .

وقال ابن عباس الكبائر سبع الاشرار بالله ، وقتل النفس بغير نفس  
وقذف المحصنه ، وأكل مال الربا ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف  
والتغرب بعد الهجرة<sup>(١)</sup> يعني الى دار الحرب .

وقال ابن عمر : الكبائر تسع ، فذكر هذه السبع وزاد شيئا : أحدهما  
السحر والثاني الالحاد في الحرم بالميل والظلم<sup>(٢)</sup> ، وسواه ابن عباس فقيلا  
له الكبائر سبع فقال : هي الى السبعين أقرب منها الى السبع<sup>(٣)</sup> .

وقال المفسر بن مقسم الضبي<sup>(٤)</sup> شتم أبي بكر وعمر من الكبائر<sup>(٥)</sup> .  
والجملة أن الكبائر كل جريمة أوعده الله تعالى عليها النار . وقال  
أبو صالح : الكبيره كل ما أوجب الحد غير أن لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة  
مع الاصرار .

( ١ ) الحد يث رواه ابن جرير في تفسيره وابن كثير ( ٢٤٥٢ ) كليهما عن محمد  
ابن سهل بن أبي خثمة عن أبيه .

( ٢ ) رواه ابن كثير ( ٢٣٨ / ٢ - ٢٣٩ ) .

( ٣ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٢٤٦ / ٢ ) ورواه ابن جرير ( ٨ / ٨ ) .

( ٤ ) الحفيرة بن مقسم - بكسر الميم - الضبي مولا هم أبو هشام الكوفي الفقيه .  
قيل انه ولد أعمى .

قال المجلي : مفيوه ثقة فقيه الحديث الا أنه كان يرسل الحد يث  
عن ابراهيم فاذا وقف أخبرهم عن سمعه .  
وقال النسائي : مفيوه ثقة .

مات سنة اثنتين ، وقيل سنة ثلاث وقيل سنة ثلاث وقيل أربع .  
وقال المجلي : توفي سنة ست وثلاثين ومائة .  
تهذيب التهذيب ( ١٠ / ٢٦٩ - ٢٧١ ) .

( ٥ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٢٤٨ / ٢ ) .

وقوله ( نكفر عنكم سيئاتكم ) قال السدي أراد بالسيئات الصفات  
" نكفر عنكم سيئاتكم " ان شئت فالمشيئة مضمرة فيه .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " الجمعة الى الجمعة ،  
والصلوات الخمس كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر <sup>(١)</sup> " .

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " ما من  
مسلم يصيبه وصب أو نصبالا كفر فيه خطاياها حتى الشوكة يشاكها <sup>(٢)</sup> " .

وقيل باجتناب الكبائر تقع الصفات مكفرة .

ومذهب أهل السنة أن تكفير الصفات معلقة بالمشيئة فيجوز أن  
يفغر الله عن الكبائر ويأخذ بالصفات ويجوز أن يجتنب الرجل الكبائر فيؤخذ  
بالصفات ( وقد دخلكم مدخلا كريما <sup>(٣)</sup> ) وتقرأ <sup>(٤)</sup> " مدخلا " بفتح الميم ،  
فالدخل الجنة ، والمدخل بضم الميم الادخال يعني ادخالها كريما .

---

( ١ ) أخرجه الامام مسلم من كتاب الايمان ، باب الصلوات الخمس والجمعة  
الى الجمعة مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر ( ١٤٤ / ١ ) .

( ٢ ) أخرجه الامام البخاري من كتاب المرض ( ٣ ) باب أشد الناس بسلا  
الأنبياء ثم الأول فالأول ( ٣ / ٧ ) والامام مسلم في كتاب السير  
، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو هزن أو نحو ذلك  
حتى الشوكة يشاكها ( ١٥ / ٧ ) .

( ٣ ) النساء آية ٣١ .

( ٤ ) وهي قراءة نافع وأبان عن عاصم والكسائي عن أبي بكر بن عاصم ، وضم  
الباقون الميم .

النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٤٠ ) .



قوله تعالى ( ولا تتمنوا ، فضل الله بعضكم على بعض ) سبب نزول الآيه ماروى عن أم سلمه قالت : " يارسول الله ان الرجال يغزون ولا نخزرو ولهم ضعف مالنا من الميراث فلو كنا رجالا غزونا كما غزو وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فنزل قوله " ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض " (١) .

وقيل (٢) سبب نزول الآيه أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء فلما نزلت الآيه ورثت النساء وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين . قالت النساء : لو كنا رجالا لأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا ، وقال الرجال كما فضلنا عليكم في الدنيا نفضل عليكم في الآخرة فنزلت الآيه (٣) (٤) .

(١) راجع أسباب النزول للواحدى صفحه (١٤٣) .  
وانظر الدر المنثور (١٤٩/٢) وتفسير الطبرى (٢٦١/٨) وهو قول مجاهد .

(٢) وهو قول قتادة .  
الطبرى (٢٦١/٨) .

(٣) انظر لباب النقول صفحه ٦٧ ، انظر تفسير الطبرى (٢٦٥/٨) -  
٢٦٦) .

(٤) قلت : لا اختلاف بين القولين ان المعنى فى كل ولا تتمنوه أيها الرجال والنساء الذى فضل الله به بعضكم على بعض من منازل الفضل ودرجات الخير وليرغى أحدكم بما قسم الله له من نصيب ، ولكن سلوا الله من فضله .

قال الفراء : " هذا نهى تأديب وتهذيب (١) .

وقال غيره (٢) : انه نهى تحريم (٣) .

( للرجال نصيب مما اكتسبوا ) يعنى من الأجر . ( وللنساء نصيب

مما اكتسبن ) يعنى من الأجر وممضى الآية أن الرجال والنساء فى الأجر

فى الآخرة سواء ، وان فضل الرجال على النساء فى الدنيا فى الحسنه

بمشر أمثالها يستوى فيها الرجل والمرأه .

وقيل (٤) معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد .

---

(١) انظر معانى القرآن ( ٢٦٤ / ١ ) .

(٢) انظر أحكام القرآن ( ٤١٢ / ١ - ٤١٣ ) وانظر فتح القدير ( ٤٥٩ / ١ - ٤٦٠ ) .

(٣) قال ابن المربى : " المراد هاهنا النهى عن التمنى الذى نستحسنه عند الخير حتى ينتقل اليك ، وهو الحسد المنهى عنه مطلقا فى غير هذا الموضع .

أما انه يجوز تمنى مثله وهى الغيظه ، فيستحب الغيظ فى الخير ، وهو المراد بقوله - صلى الله عليه وسلم - لا حسد الا فى اثنتين : رجل يتلو القرآن وآخر يعمل الحكمة ويعلمها ، هذا معناه . قال : اعطوا ولا تمنوا ، فليتكم قتم بما أوتيتهم ، واستطعتم ما عندكم " .

أحكام القرآن ( ٤١٢ / ١ - ٤١٣ ) .

(٤) انظر البغوى ( ٥١٦ / ١ ) .

" وللنساء نصيب مما اكتسبن " من طاعة الأزواج وحفظ الفروج بمعنى ان كان للرجل فضل الجهاد ، فللنساء فضل طاعة الأزواج وحفظ الفروج (١) .  
 ( واسألوا الله من فضله ) وفي هذا دليل على أن الحسد حرام ، والحسد هو أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه ويتمناها لنفسه ، والفيضة هي أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه فالحسد حرام (٢) والفيضة لا بأس بها (٣) .

(١) رجح الامام الطبري (٢١٧/٨) : القول الأول ولكننا نرى أن لا مانع من حمل الآية على الممنيين إذ أن ما ذهب اليه الامام الطبري حصل للآية على العموم والقول الثاني حمل للآية على السياق والله أعلم .

(٢) عرف ابن العربي والشوكاني التمني بأنه " نوع من الإرادة يتملق بالمستقبل " .

أحكام القرآن (٤١٢/١) فتح القدير (٤٥٩/١) .

(٣) قال الشوكاني : " اختلف الملمط في الفيضة هل يجوز أم لا ؟ وهي أن يتمنى أن يكون به حال مثل حال صاحبه من دون أن يتمنى زوال ذلك الحال عن صاحبه فذهب الجمهور الى جواز ذلك ، واستدلوا بالحديث الصحيح " لا حسد الا في اثنتين : وجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار " .

وقد بوب عليه البخاري " باب الاغتباط في العلم والحكم " وعموم لفظ الآية يقتضى تحريم تمنى ما وقع به التفضيل سواء كان مصحوبا بما يصير به من جنس الحسد أم لا ، وما ورد في السنة من جواز ذلك في أمور معينة يكون مخصصا لهذا العموم " .

فتح القدير (٤٥٩/١ - ٤٦٠) .

ثم اختلفوا في معنى الفضل هاهنا .

قال ابن عباس " وأسألوا الله من فضله " أي من رزقه <sup>(١)</sup> .

وقال سعيد بن جبير : معناه " وأسألوا الله من فضله " أي من عبادته <sup>(٢)</sup>

وقيل <sup>(٣)</sup> هو سؤال التوفيق على الطاعة <sup>(٤)</sup> . ( ان الله كان بكل شئ

علیماً <sup>(٥)</sup> .

قوله تعالى ( ولكل جعلنا موالی ) ولكل من الرجال والنساء جعلنا

ورثه .

قال مجاهد الموالی هاهنا بنو الأعمام وقال الشاعر <sup>(٦)</sup> :

مهلاً بنی عمنا مهلاً موالینا لا تنبشوا بیننا ما كان مدفوننا .

---

( ١ ) انظر البغوی ( ١ / ٥١٦ ) .

( ٢ ) راجع تفسیر البغوی ( ١ / ٥١٦ ) .

( ٣ ) هو رواية عن سعيد بن جبیر أيضاً . البغوی ( ١ / ٥١٦ ) .

( ٤ ) قلت : لا مانع من أن يكون قوله تعالى " وأسألوا الله من فضله " شاملاً

للرزق والمجاهد وطلب التوفيق منه سبحانه وتعالى .

( ٥ ) النساء آیه ٣٢ .

( ٦ ) البيت للفضل بن عباس وهو في تفسیر الطبری ( ٨ / ٢٧٠ ) وفي النکت

والصیون ( ١ / ٣٧٤ ) ورواية الطبری وابن كثير .

مهلاً بنی عمنا مهلاً موالینا لا تظهرن لنا ما كان مدفوننا

الفضل بن عباس : ابن عتبة بن أبي لهب ، أحد شعراء بني هاشم

المذكورين ونصحاتهم أخباره ونسبه في الأغاني ( ١٥ / ٢ ) وذكره ابن الأثير

( ٢ / ٣٢٠ ) .

وقيل<sup>(١)</sup> هم جميع الأقارب .

ومعنى الآية ولكن جعلنا موالى يعطون<sup>(٢)</sup> . ( مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم ) .

(١) وهو قول ابن عباس . ابن كثير (٢/٢٥٢) .

(٢) الموالى جمع مولى . والمولى لفظ مشترك بين معانى ، فيقال للسيد الممتهق لعبد مولى ولأنه ولى نعمته فى عتقه له . ويقال للعبد المتيق مولى لاتصال ولايته مولاه فى انعامه عليه كما يقال لكل من المولى والنصير والقريب مولى . ويقال لمصبة الشخص موالى .

قال الفخر الرازى : والمراد بالموالى هنا المصبة . ويؤكد ذلك ما رواه أبو صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - " أنا أولى بالمؤمنين ، من مسيات وترك ما لا فماله للموالى المصبة . ومن ترك كلاً فأنا ولىه " وقال عليه الصلاة والسلام - " أقسموا هذا المال فما أبقت السهام فلاولى عصبه ذكر " .

انظر التفسير الكبير (١١٧/١٠) .

هذا وللمفسرين فى تأويل هذه الآية الكريمة أقوال متعددة

منها أن المعنى :-

- ١ - ولكن واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثة عصبه يورثون مما تركه الوالدان والأقربون من المال .
- ٢ - أو المعنى : ولكن من مات من الرجال والنساء جعلنا موالى أى ورثه يقتسمون تركته عن طريق الارث ، ولا حق للخليف فيها لأنه ليس من عصبه هذا الميت .

٠٠/٠٠

٣ - أو المعنى : ولكل مال ما تركه الوالدان والأقربون جعلنا موالى أى ورثه يلونه ويحوزونه بعد أن يأخذ أصحاب الغروض نصيبهم .

وعلى هذه الوجوه يكون الوالدان والأقربون هم الذين يرثهم غيرهم من مواليتهم أى عصبتهم .

٤ - قال الفخر الرازى : ويمكن أن تفسر الآية بحيث يكون الوالدان والأقربون هم الورثة ، فيكون المعنى .

ولكل واحد جعلنا ورثة فى تركته . ثم كأنه قيل : ومن هسوا الورثة ؟ فقيل هم الوالدان والأقربون . وعلى هذا الوجه لا بد من الوقف عند قوله " ما ترك " .

التفسير الكبير ( ٨٧ / ١٠ ) يتصرف وتلخيص .

هذا وتفسير الآية بحيث يكون الوالدان والأقربون هم الذين يرثهم غيرهم من عصبتهم هو الأولى ، لأنه هو الظاهر فى معنى الآية .

وعليه سار جمهور المفسرين . فقد قال ابن جرير : " فالعوالى هاهنا الورث ، ويمنى بقوله " ما ترك الوالدان والأقربون " ما تركه والداه وأقرباؤه من الميراث فتأويل الكلام . ولكل منكم أبها والناس جعلنا عصبة يرثون بها ما ترك والداه وأقرباؤه من ميراثهم " .  
انظر تفسير الطبرى ( ٢٧١ / ٨ ) .

عاقدت وعقدت<sup>(١)</sup> وحالفت بمعنى واحد وهو من الحلف والمهد وهو أن يقول الرجل لصاحبه دمي دمك ومالي مالك وترشني وأرثك وكان في الجاهلية يورث بالحلف واقر عليه في الاسلام وكان للحليف السدس ثم نسخ ذلك بقوله تعالى "وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض"<sup>(٢)</sup>.

وقيل<sup>(٣)</sup> هذا في التوريت بالتمني وكان ثابتاً ثم نسخ<sup>(٤)</sup> . ان الله كان على كل شيء شهيداً<sup>(٥)</sup> .

---

(١) قرأ عاصم وحمزه والكسائي "عقدت أيمانكم" وقرأ الباقر "عاقدت أيمانكم".

النشر في القراءات المشر (٢٤٩/٢).

(٢) الأنفال آية ٧٥ .

(٣) ذكره : سعيد بن المسيب .

النكت والمعيون (٣٨٥/١).

(٤) رجح الامام ابن جرير الطبري القول الأول : / "وأولى الأقوال بالصواب

في تأويل قوله : "والذين عقدت أيمانكم" قول من قال : "والذين

عقدت أيمانكم على المحالفة ، وهم الخلفاء ، وذلك أنه معلوم عند جميع

أهل العلم بأيام العرب وأخبارها أن عقد الحلف بينها كان يكسبون

بالأيمان والمهود والمواثيق على نحو ما قد ذكرنا من الروايات

في ذلك . . . . "

تفسير الطبري (٢٨١/٨).

(٥) النساء آية ٣٣ .

قوله تعالى ( الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ) سبب نزول الآية أن امرأة سعد بن الربيع<sup>(١)</sup> جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت ان زوجي لظنني على وجهي وهذا أثره فقال صلى الله عليه وسلم اذهبي فاقتصي منه فنزل قوله تعالى " الرجال قوامون على النساء"<sup>(٢)</sup> ( بما فضل الله ) يعنى بالتأديب .

قال الحسن لما قال صلى الله عليه وسلم لها اذهبي فاقتصي منه نزل قوله " ولا تمجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه"<sup>(٣)</sup> أى لا تحكم قبل أن ينزل حكم الله .

---

( ١ ) سعد بن الربيع بن عمرو بن أبى زهير بن مالك بن امرئ القيس ابن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الانصارى الخزرجى . عقيب ، بدرى ، نقيب . كان أحد نقباء الأنصار . شهد العقبة الأولى والثانية وقتل يوم أحد ، ودفن هو وخارجة ابن زيد بن أبى زهير فى قبر واحد . أسد الغابة ( ٢ / ٣٤٨ - ٣٤٩ ) .

( ٢ ) راجع لباب النقول صفحته ( ٦٧ ، ٦٨ ) وراجع أسباب النزول للواحدى صفحته ( ١٤٤ - ١٤٥ ) وتفسير الطبرى ( ٨ / ٢٩١ ) والنكت والمعيون ( ١ / ٣٨٥ ) وابن كثير ( ٢ / ٢٥٦ ) والجامع لاحكام القرآن ( ٥ / ١٦٨ ) .

( ٣ ) طه ١١٤ .



والقوام والقيم بمعنى واحد ، والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير .<sup>(١)</sup>

قال الشاعر :<sup>(٢)</sup>

..... الله بيني وبين قيمها يُقر مني (واتبع)<sup>(٣)</sup>

وَمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ \* يَعْنِي الرِّجَالُ عَلَى النِّسَاءِ بِالْعَقْلِ وَالْعِلْمِ  
وَالْحِلْمِ .<sup>(٤)</sup>

( بما أنفقوا من أموالهم ) يعني باعطاء المهر والنفقة . ( فالصالحات

قانتات ) يعني مطيعات ، وقيل<sup>(٥)</sup> مصليات<sup>(٦)</sup> ( حافظات للنبي ) أي حافظات

للفروج في غيبة الأزواج . ( بما حفظ الله ) يعني بما حفظهن الله

(١) انظر تفسير البخوي (١/٥١٨) .

(٢) لم أجده .

(٣) ما بين القوسين ساقط من ب .

(٤) قلت : المراد بالتحليل هنا تفضيل الجنس على الجنس لا تفضيل الآحاد

فقد يوجد من النساء من هي أقوى عقلاً وأكثر معرفة من بعض الرجال .

(٥) انظر معنى القنوت . الطبري (٢/٥٣٨ - ٥٣٩) .

(٦) قال الامام الفخر الرازي : " أعلم أن فضل الرجال على النساء حاصل

من وجوه كثيرة بعضها صفات حقيقية وبعضها أحكام شرعية . أما الصفات

الحقيقية فأعلم أن الفضائل الحقيقية يرجع حاصلها إلى أمرين : السی

المعلم وإلى القدرة .

ولاشك أن عقول الرجال وعلومهم أكثر ، ولا شك أن قدرتهم على

الاعمال الشاقة أكمل فلهذا ينعمون بصلة الفضيلة للرجال على

النساء في العقل والحزم والقوة . . . وان منهم الأنبياء والعلماء ،

وفيهام الامامة الكبرى والصفوى والجهاد والأذان والخطبة والولاية

في النكاح . . . فكل ذلك يدل على فضل الرجال على النساء \* .

التفسير الكبير ( ١٠ / ٨٨ ) .

من إيصال الأزواج بأداء حقهن من المهر والنفقة ، وقيل <sup>(٢)</sup> معناه حافظات  
للغيب بحفظ الله .

وقرأ أبو جعفر المدني <sup>(٣)</sup> " بما حفظ الله " بفتح الهاء <sup>(٤)</sup> بمعنى بما حفظ  
الله من طاعتهم وعبادتهم .

( والاتي تخافون نشوزهن ) النشوز هو الشقاق <sup>(٥)</sup> . ( فمظوهسن )

( ١ ) هذا قول الزجاج . انظر النكت والمعيون ( ٣٨٦/١ ) .

( ٢ ) ذكره عطاء . انظر النكت والمعيون ( ٣٨٦/١ ) .

( ٣ ) أبو جعفر المدني : يزيد بن القعقاع المدني المخزومي ، مولى عبد الله  
ابن عياش بن أبي ربيعة المخزومي أحد القراء المشهور ، تابعي مشهور  
كبير القدر .

كان امام أهل المدينة في القراء في " القارى " .  
كان ثقة . قليل الحديث .

طبقات القراء ( ٣٨٢/٢ - ٣٨٤ ) .

( ٤ ) قرأ الباقر برفعهها . النشر ( ٢٤٩/٢ ) .

( ٥ ) في القريبى ( ١٧٠-١٧١/٥ ) النشوز : المصيان مأخوذ من النشر .  
وهو ما ارتفع من الأرض . يقال نشز الرجل ينشر وينشر اذا كان قاعداً .  
فنهض قائماً .

ومنه قوله عز وجل " واذا قيل انشزوا فانشزوا " أى ارتفعوا وانهمضوا  
الى حرب أو أمر من أمور الله تعالى . فالمعنى أى تخافون عصيانهم  
وتعاليتهم عما أوجب الله عليهم من طاعة الأزواج .

وقال أبو منصور اللغوى : النشوز كراهية كل واحد من الزوجين  
صاحبه ، يقال نشزت تنشر فهي ناشز بغيرها ، ونشصت تنشص ، وهى  
السيئة للعشرة .

وقال ابن فارس : ونشزت المرأة استضيحت على بعملها ، ونشز بعملها  
عليها اذا ضربها وجفاها .  
قال ابن دريد : نشزت المرأة ونشصت ونشصت بمعنى واحد .

أى بالتخويف من الله والوعظ بالقول .

( واهجروهن فى الضاجع ) قال ابن عباس معناه ولو هن ظهوركم فى الضاجع وذلك بأن يوليها ظهره فى الفراش ولا يكلمها وقيل معناه أن يمترك منها فى فراش آخر . ( واضربوهن ) يعنى ضربا غير مبرح وذلك ضرب ليس جرح ولا كسر .

قال عطاء \* ضرب بالسواك ونحوه (٢) .

( ١ ) ذكره الضحاك والسدى . النكت والعيون ( ١ / ٢٨٧ ) .

( ٢ ) قلت الأولى أن يقال أن الذى أبيع له من الضرب ما كان تأديبا يجرها به عن النشوز غير مبرح ولا منهك .

روى بشر عن عكرمه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اضربوهن اذا عصينكم فى المعروف ضربا غير مبرح .

قال سيد قطب " وشواهد الواقع ، والملاحظات النفسية ، على أنواع الانحراف تقول : ان هذه الوسيلة تكون أنسب الوسائل لاشباع انحراف نفسى معين واصلاح سلوك صاحبه . . وأوضاعه . . فى الوقت ذاته ! .

على أنه من غير أن يكون هناك هذا الانحراف المرضى ، الذى يعنيه علم النفس التخليلى بالاسم ، ان نحن لا نأخذ تقريبات علم النفس سلما " علميه " ، فهو لم يصبح بعد " علما " بالمعنى العلمى ، كما يقول الدكتور " ألكسيس كاريل " فربما كان من النساء من لاتحس قوة الرجل الذى تحب نفسها أن تجعله قيما وترضى به زوجها ، الا حين يقهرها عضليا . وليست هذه طبيعة كل امرأة ، ولكن هذا الصنف من النساء موجود . وهو الذى قد يحتاج الى هذه المرحلة الأخوية . . . ليستقيم ويبقى على المؤسسة الخطيئة . . فى سلم وطأئنيه . . . / . . .

.../...

وعلى أية حال ، فالذى يقرر هذه الاجراءات ، هو الذى خلق . وهو أعلم بمن خلق وكل جدان بعد قول المليم الخبير مهاتره ، وكل تحد على اختيار الخالق وعدم تسليم به ، مفض الى الخروج من مجال الايمان كله .

وهو سبحانه يقررها ، فى جو وفق ملابسات تحد صفتها ، وتحدد النية المصاحبة لها ، وتحدد الفاية من وراثتها . بحيث لا يحسب على منهج الله تلك المفهومات الخاطئة للناس فى عهد البادية ، حين يتحول الرجل جنودا - باسم الدين - وتحول المرأة رقيقا - باسم الدين - أو حين يتحول الرجل امرأة وتحول المرأة رجلا ، أو يتحول كلاهما الى صنسف ثالث مائع بين الرجل والمرأة باسم التطور فى فهم الدين - فهذه كلها أوضاع لا يصعب تمييزها عن الاسلام الصحيح ومقتضياته فى نفوس المؤمنين .

وقد أصبحت هذه الاجراءات لمعالجة أعراض النشوز - قبيل استفحالها - وأحيطت بالتحذيرات من سوء استعمالها ، فور تقريرها وابطاحتها . وتولى الرسول - صلى الله عليه وسلم - سنته العملية فى بيته مع أهله وتوجيهاته الكلامية علاج الخلو هنا وهناك ، وتصحيح المفهومات فى أقوال كثيرة :

ورد فى السنن والسند : عن معاوية بن حيدة القشيري ، أنه قال :  
يا رسول الله ما حق امرأة أحدنا عليه ؟ قال : " أن تطعمها اذا طعمت  
وتكسوها اذا اكتسبت ولا تضرب الوجه ، ولا تهجر الا فى البيت " .

وروى أبو داود والنسائي وابن ماجه : قال النبى - صلى الله عليه وسلم - " لا تضربوا اماء الله " . فجاء عمر - رضى الله عنه -

.../...

.. / ..

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال ذئبت النساء على أزواجهن ! فخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ضربهن - فأطاف بآل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساء كثير يشتكين أزواجهن ! فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ... ليس أولئك بخياركم " !! .

وقال صلى الله عليه وسلم - " لا يضرب أحدكم امرأته كالسمير يجلد هـا أول النهار ثم يضاجمها آخره " . فقال : " خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي " .

ظلال القرآن (٦٥٥/٥) ، وراجع التفسير الكبير (٩٣/١٠) .

( فان أطعتمكم فلا تبغوا عليهم سبيلاً ) بمعنى بالتفلس والتجنى .

وقيل <sup>(١)</sup> فلا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بأيديهن .

( ان الله كان علياً كبيراً ) <sup>(٢)</sup> أى متعالياً عن أن يكلف العباد

ملا يدليقونه . وفى الخبر " لو جاز أن يسجد أحداً لأحد لأمرت الزوجية

أن تسجد لزوجها لماله عليها من الحقوق <sup>(٣)</sup> .

وروى مرفوعاً خير النساء من إذا دخلت عليها سرتك ، فان أمرتها

أطاعتك وان غبت عنها حفظتك <sup>(٤)</sup> .

قوله تعال ( وان خفتن شقاق بينهما ) وهو النشوز .

قال أبو عبيدة أراد به ان تيقنتم شقاق بينهما <sup>(٥)</sup> ، فالخوف بمعنى

اليقين . ومنه قول الشاعر <sup>(٦)</sup> :

إذا مت فارمى الى جنب كرمه أخاف إذا مات أن أذوقهها

(١) قال صاحب النكت والمعيون . ذكره سفيان ولم يمدده (٣٨٧/١) .

(٢) النساء آيه ٣٤ .

(٣) أخرجه أبو داود من كتاب النكاح ، بابنى حق الزوج على المرأة (٢٤٤/٣)

وابن ماجه من أبواب النكاح ، حق الزوج على المرأة (٣٤١/٨-٣٤٢) ،

وأحمد (٣٨١/٤) و(٢٢٧/٥-٢٢٨) .

(٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک (١٦١/٢) قال صحيح على شرط مسلم ولم

يخرجاه ونسبه السيوطى فى الدر المنثور (١٥١/٢) لابن المنذر ، وابن

أبى حاتم والحاكم والبيهقى فى سننه .

(٥) مجاز القرآن (١٢٦/١) .

(٦) البيت لأبى محمد الشافى ، وهنا خلط بين بيتين :-

إذا مت فادفنى الى جنب كرمه تروى عظامى بمد موتى عروقها

ولا تدفنى فى الفلاة فانىسى أخاف إذا مات أن لا أذوقها

انظر معانى القرآن للفراء (١٤٦/١) وانظر النكت والمعيون

(٣٨٦/١) .

أى أتيقن . وأنكر الزجاج ذلك عليه وقال اذا تيقن الشقاق فلا معنى  
لبعث الحكمين بل الخوف بمعنى الظن ، يعنى ان ظننتم شقاق بينهما (١) فابعثوا  
حكما من أهله ( يعنى من أهل الزوج ) وحكما من أهلها ( يعنى من أهل  
الزوجه . (٢)

( ان يويدا اصلاها يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيراً ) (٣)

وهذا يجوز للحكمين التفريق فللسلف فيه قولان :

أحدهما : أنه يجوز التفريق كما يجوز الجمع من غير رضا الزوج .

وروى عن علي أنه بعث الحكمين فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال عيسى :

لا حتى ترضى بكتاب الله تعالى .

فعلى هذا معنى قوله " يوفق الله بينهما " يعنى يوفق الله بين الحكمين

بما فيه الصلاح من الفرقة أو الجمع . (٤) والصحيح وعليه الفتوى أنه لا يجوز التفريق  
وهو ظاهر الآيه . (٥)

(١) قلت وما ذهب اليه الزجاج - رحمه الله - هو المتبادر من معنى الآيه .

(٢) ظاهر مصنف الحكمين بأن يكون أحدهما من أهل الزوج والثانى مسن  
أهل الزوجه أن ذلك شرط على سبيل الوجوب ، الا ان كثيرا من  
العلماء حمله على الاستحباب وقالوا : اذا بعث القاضي بحكمين من  
الأجانب جاز ذلك ، لأن فائدة بعث الحكمين استطلاع حقيقة الحال  
بين الزوجين ، وهذا أمر يستلزمه الأتقارب ، وغير الأتقارب الا أنه  
يستحب الأتقارب فيه لأنهم أعرف بأحوال الزوجين ، وأشد طلبا  
للاصلاح وأبعد عن الظنن والرمية وأقرب الى أن تسكن اليهم النفس .

(٣) النساء آيه ٣٥ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٢/٢٥٩ - ٢٦٠) .

(٥) قلت : وما ذهب اليه المؤلف من عدم التفريق هو الذى تطمئن اليه

النفس . وهو قول الحسن البصرى وقتاده وزياد بن أسلم وبه قال أحمد

ابن حنبل وأبو ثور وداود .

تفسير ابن كثير (٢/٢٦٠) .

قوله تعالى ( واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ) روى عن معاذ أنه  
قال " كنت رد يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا معاذ فقلت لبيك  
وسعديك . فقال أتدري ما حق الله على العباد ؟ قلت الله ورسوله  
أعلم ، فقال حق الله على العباد أن يعبدون ولا يشركوا به شيئا . ثم قال  
يا معاذ فقلت لبيك وسعديك قال أتدري ما حق العباد على الله ؟ قلت الله  
ورسوله أعلم ، فقال حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم  
الجنة ولا يمد بهم . ( ٢ )

( وبالوالدين احسانا ) أى وأحسنوا بالوالدين احسانا .  
ومن الاحسان بالوالدين لين الجانب ، وأن لا يرفع صوته فوق صوتهما ،  
ولا يجبه بالرد ، ويكون لها كالعبء الذليل لسيدة .

( وبذى القربى ) أى أحسنوا بذى القربى ( واليتامى والمساكين  
والجار ذى القربى ) فيه قولان :-  
أحدهما : أنه الجار الذى له قرابه . ( ٣ )

( ١ ) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن هاشم بن عدي الأنصارى الخزرجى ،  
وكان يكنى أبا عبد الرحمن وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة  
من الأنصار وشهد بدرًا وأحداً والشاهد كلها مع رسول الله - صلى  
الله عليه وسلم - وأخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بينه وبين  
عبد الله بن مسعود ، وكان عمره لما أسلم ثمانى عشرة سنة ، وفى زمن  
وفاته اختلاف كثير .

أسد الغابة ( ١٩٤/٥ - ٢٠٠ ) .

( ٢ ) رواه الامام البخارى من كتاب الرقاق ، باب من جاهد نفسه فى طاعة  
الله ( ١٨٩/٧ - ٢٠٠ ) .

( ٣ ) ذكره ابن عباس ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة وابن زيد ومقاتل .



والثاني : أنه الجار الذي تقرب داره وهو العاصق .

( والجار الجنب ) فيه قولان :

أحدهما : أنه الجار القريب الأجنبي .

والثاني : أنه الجار الذي تمد داره<sup>(١)</sup> .

وقد ورد في حق الجار أخبار منها :-

ماروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قلل " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه"<sup>(٢)</sup> .

وقال صلى الله عليه وسلم " من كان يومئذ بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره"<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) ذهب ابن جرير الطبري في تفسير معنى " الجنب " في هذا الموضع الى أنه الضريب البعيد سلطا كان أو مشركا يهوديا كان أو نصرانيا ، وقال : ان " الجنب " في كلام العرب البعيد كما قال أعشى بن قيس أتيت حريثا زائرا عن جنابة فكان حريث في عطائي حامسدا

يعنى بزراه : " عن جنابة " عن بعد وغرمه . . . ومنه قيل للجنب : جنبا لاعتزله الصلاة حتى يغتسل ، فمعنى ذلك : والجار المجانب للقربه .

تفسير الطبري ( ٣٣٩ / ٨ - ٣٤٠ ) .

( ٢ ) رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار ( ٧٨ / ٧ ) والامام سلم في صحيحه من كتاب البر ، باب الوصية بالجار والاحسان اليه ( ٣٧ / ٨ ) والامام أحمد في مسنده ( ٨٥ / ٢ ) ( ١٦٠ / ٢ ) .

( ٣ ) أخرجه الامام البخاري من كتاب الأدب ، باب من كان يومئذ بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ( ٧٨ / ٧ - ٧٩ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم لعناده حتى نادى ألا ان الجيران أربعون دارا ولم يؤمن بالله من آذى جاره (١) .

وقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم " ان لى جارين ، فالى أيهما أهدى ؟ فقال الذى أقربهما بابا (٢) . فحق الجار القريب المسلم ثلاثة حقوق ، حق القرابه ، وحق الاسلام وحق الجوار ، وللجار الفريسيب المسلم حقان : حق الاسلام وحق الجوار ، وللجار الذى حق واحد وهو حق الجوار " .

قوله تعالى ( والصاحب بالجنب ) قال على وابن مسعود : " هى المرأة " وقال الحسن ومجاهد وقتاده وجماعة : هو الرفيق فى السفر . (وابن السبيل) فيه قولان :

أحدهما : أنه الملازم للطريق قاله ابن عباس .

وقال غيره : هو الضيف (٣) وقال صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (٤) (٥) .

- (١) مجمع الزوائد (١٦٨/٨) (١٦٩/٨) .
- (٢) أخرجه الامام البخارى فى صحيحه من كتاب الادب ، باب حق الجوار فى قرب الأبواب (٧٩/٧) ومن كتاب الشفاعة ، باب أى الجوار أحسب (٤٧/٣) والامام أحمد فى سننه (١٧٥/٦) .
- (٣) ذكره مجاهد وقتاده والضحاك . الطبرى (٢٤٧/٨) .
- (٤) الحديث : أخرجه البخارى من كتاب الادب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (٧٨/٧ - ٧٩) ومن باب اكترام الضيف وخدمته بنفسه (١٠٤/٧) .
- (٥) ساقطة من أ .

وقال صلى الله عليه وسلم " الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة <sup>(١)</sup> " ( وما ملكت أيمانكم ) يعنى أحسنوا الى المطالينك وآخر ما حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال " الصلاة وما طلكت أيمانكم <sup>(٢)</sup> " أى الزموا الصلاة وحق ما ملكت أيمانكم " .

٢ ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا <sup>(٣)</sup> المحتال المتكبر ، والفخور الذى يفخر بنفسه تكبرا <sup>(٤)</sup> . قال الشاعر <sup>(٥)</sup> :-  
وان كنت سيدنا سدتنا  
وان كنت للخال فانهب فخل  
يعنى ان كنت للخيل فانهب فخل .

---

( ١ ) أخرجه الامام البخارى من كتاب الأدب ، باب اكرام الضيف وخدمته بنفسه ( ١٠٤ / ٧ ) وهو جزء من الحديث السابق .

( ٢ ) سند أحمد ( ٧٨ / ١ ) عن على رضى الله عنه ، ( ١١٧ / ٣ ) عن أنس ابن مالك ٦ / ٢٩٠ ، ٣١١ ، ٣١٥ ، ٣٢١ عن أم سلمه .  
ورواه ابن ماجه فى كتاب الوصايا الحديث رقم ٢٦٩٧ ، ٢٦٩٨ ، ٢٠ / ٩٠٠ .  
وفى كتاب الجنايز الحديث رقم ١٦٢٥ : ( ١ / ٥١٩ ) .

( ٣ ) النساء آيه ٣٦ .

( ٤ ) انظر الطبرى ( ٣٤٩ / ٨ ) والنكت والمعيون ( ١ / ٣٩٠ ) .

( ٥ ) البيت لأنس بن الساهق المبدى ، رجل من عهد القيس .

والبيت فى اللسان ( خيل ) والطبرى ( ٣٤٩ / ٨ ) ومجاز القرآن ( ١ / ١٢٧ ) وحماشه أبى تمام ( ١ / ١٣٣ ) .

فان قيل أى معنى لهذا بعد هذه الأحكام ؟ قيل ان الآدمى قد يقصر فى ادائه الحقوق تكبرا فنهى عنه .

وفى الخبر " أن رجلا كان يتبختر فى حلة له ففسد الله به الأرض فهو يبجلجل فيها الى يوم القيامة " (١)

قوله تعالى ( الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ) قيل هو عام فى كل بخيل فى العالم .

وقيل : أراد به اليهود والنصارى بخلوا بنعت محمد وأمروا شفلتهم بذلك (٤) (٥) . ( ويكتمون ما أتاهم الله من فضله وأعدنا ) أى أعدنا (٦) ( للكافرين عذابا مهينا ) (٧) .

(١) أخرجه الامام البخارى فى صحيحه من كتاب الأنبياء ، باب حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب (٤/١٥٢-١٥٣) ومن كتاب اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء (٧/٣٤) . وأخرجه الامام مسلم فى صحيحه من كتاب اللباس ، باب تحريم التبختر فى المشى مع اعجابه بشيابه (٦/١٤٨-١٤٩) .

(٢) ذكره طاووس . زاد المسير (٢/٨١) .

(٣) قول مجاهد وقتاده والسدى . زاد المسير (٢/٨١) .

(٤) راجع تفسير الطبرى (٨/٣٥٣) وزاد المسير (٢/٨١-٨٢) والتفسير الكبير (١٠/١٠٢) .

(٥) قلت الأولى الأخذ بالمعوم ان العبارة بمعوم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٦) اختلف العلماء فى معنى : " أعدنا لهم " .

فقال بعض البصريين معنى أعدنا ، " أفعالنا " من " المتاد " قال : ومعناها أعدنا وقال بعض الكوفيين : " أعدنا " و " أعدنا " معناهما واحد .

تفسير الطبرى (٨/١٠٣) وانظر مجاز القرآن (١/١٢٠) .

(٧) النساء آيه ٣٧ .

قوله تعالى ( والذين ينفقون أموالهم رثاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا  
باليوم الآخر ) قال ابراهيم النخعي : هم اليهود والنصارى .  
وقال غيره<sup>(٢)</sup> : هم المنافقون .

( ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا )<sup>(٣)</sup> أى فبئس القرين .  
قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

---

( ١ ) وهو قول مجاهد .

( ٢ ) ذكره الزجاج . النكت والمعيون ( ٣٩٠ / ١ ) .

( ٣ ) النساء آية ٣٨ .

( ٤ ) القرين هو صاحب الموافقة أى صاحب المرافقة . وأصل القرين من  
الاقران والقرن بالكسر المطائل لأقرانه فى الصفه ، والقرن بالفتح : أهل  
العصر لا أقرانهم فى الزمان ، ومنه قرن البهيمة لا أقرانه بمثله .  
النكت والمعيون ( ٣٩١ / ١ ) وأبصر زاد المسير ( ٨٣ / ٢ ) .

( ٥ ) البيت لمدى بن زيد .

د يوانه فى شعراء الجاهلية ( ٤٦٦ ) والنكت والمعيون ( ٣٩١ / ١ )  
وتفسير الطبرى ( ٣٥٨ / ١ ) .  
وفى الأصول :

عن المرء لا تسأل ، وأبصر قرينه فان القرين بالمقارن مقتدى .  
والرواية المشهورة :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

قوله تعالى ( وماذا عليهم ) أى وأى شىء عليهم ( لو آمنوا بالله )  
وهو مثل ما يحاسب الرجل نفسه فينظر فيما له وفيما عليه ، يقول الله تعالى  
أى شىء عليهم لو آمنوا بالله<sup>(١)</sup> (واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله  
بهم عليماً<sup>(٢)</sup> ) .

قوله تعالى ( ان الله لا يظلم مثقال ذرة ) قرأ ابن مسعود مثقال غلظة ،  
والذرة هى النطه الحمراء<sup>(٣)</sup> . ( وان تك حسنة يضاعفها ) وقرئ يضاعفها  
وهما<sup>(٤)</sup> فى المعنى سوا . ( ويؤت من لده أجر عظيم<sup>(٥)</sup> ) .

---

( ١ ) قال صاحب الكشاف " قوله " وماذا عليهم " وأى تبعه عليهم فى الايمان  
والانفاق فى سبيل الله .

والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة فى ذلك : وهذا كما  
يقال للمنتقم : ما خبرك لو عفوت ، وللماف ، ما كان يوزونك لو كنت  
بارا ، وقد علم أنه لا مضرة ولا مرزا فى العفو والبر . ولكنه ذم وتجهيل  
وتوبيخ بمكان المنفعة .  
انظر تفسير الكشاف ( ١ / ١١١ ) .

( ٢ ) النساء آيه ٣٩ .

( ٣ ) هذا قول أهل اللغة .

وروى عن ابن عباس أنه أدخل يده فى التراب ثم رفعها ثم نفخ فيه  
ثم قال كل واحد من هذه الأشياء ذره . التفسير الكبير ( ١٠ / ١٠٥ ) .  
وعلى كل فهى الجزء المتناهى فى الصغر .

( ٤ ) وهى قراءة ابن عامر وابن كثير ( يضاعفها ) من غير ألف . وقرأ الباقون  
يضاعفها بألف مع كسر الميم .  
الكشاف ( ٢ / ٢٤٩ ) .

( ٥ ) النساء آيه ٤٠ .

قوله تعالى ( فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا )<sup>(١)</sup> معناه فكيف الحال اذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وأراد بالشهيد من كل أمة نبيها ، وشهيد هذه الأمة نبينا صلى الله عليه وسلم .

واختلفوا على أن شهادتهم على ماذا ؟

منهم من قال<sup>(٢)</sup> يشهدون على تبليغ الرسالة .

ومنهم<sup>(٣)</sup> من قال يشهدون على الأمة بالأعمال<sup>(٤)</sup> .

واختلفوا في أن النبي صلى الله عليه وسلم هل يشهد على من لم يره

منهم من قال انما يشهد على من رآه .

والصحيح أنه يشهد على الكل على من رأى وعلى من لم يره .

وروى عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي " اقرأ عليّ

القرآن " فقلت " كيف اقرأ عليك القرآن وعليك أنزل ؟ " فقال " أريد أن أسمع

من غبوى " .

قال ابن مسعود : " فافتتحت سورة النساء فلما بلغت قوله " فكيف اذا

جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " غمزني رسول الله صلى الله

عليه وسلم بيده " وقال " حسبك " فنظرت اليه فاذا عيناه تدرقان<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) النساء آية ٤١ .

( ٢ ) ذكره ابن مسعود وابن جرير والسدي ومقاتل . زاد المسير ( ٢ / ٨٦ ) .

( ٣ ) وهو قول بعض البصريين . النكت والعيون ( ١ / ٣٩١ ) .

( ٤ ) الذي نراه أن شهادتهم قرأوا لآلئنا تشمل كل ذلك أي تشمل شهادتهم على الرسالة وعلى أممهم بالأعمال .

( ٥ ) رواه البخاري من كتاب فضائل القرآن ( ٣٢ ) باب من أحب أن يستمع

القرآن من غيره ( ٦ / ١١٣ ) . رواه البخاري في فضائل القرآن ( ٦ / ٤١ ) .

والامام أحمد في مسنده والترمذي والنسائي .

وفي رواية لما قرأت هذه الآية قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " وكنت

عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم " (١)

وفي رواية ثالثة " هذا يارب فيمن رأيت فكيف فيمن لم أراه " وأصل

(٢)

الحدِيث صحيح .

(١) رواه ابن جرير (٣٧٠/١) وابن كثير (٢٦٩/٢) قال أحمد شاكر معلقا على هذه الرواية " وهذا الحديث على صحة اسناده لم أجده من غير رواية الطبري ، وابن كثير لم ينسبه لتغيره وكذلك السيوطي (١٦٤/٢) .

(٢) رواه ابن كثير (٢٦٩/٢) في الدر المنثور .  
أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي في معجمه والطبراني بسند حسن عن محمد بن فضالة الأنصاري وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاهم في بني ظفر ومعه ابن مسعود ومعان بن جبل وناس من أصحابه فأمر قارئاً فقرأ فاتسى على هذه الآية " فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا " فبلى حتى اضطرب لهيأه وجنباه وقال يارب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أراه .

وأخرج الطبراني عن يحيى بن عبد الرحمن بن لبيبة عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أراه .

(٣) البخاري من كتاب فضائل القرآن (٢٢) باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره (١١٣/٦) . ومسلم من كتاب الصلاة ، باب فضل استماع القرآن وطلب القرآن (٢/١٩٥-١٩٦) .



قوله تعالى ( يومئذ ) بمعنى يوم القيامة ( يود الذين كفروا وعصوا  
الرسول لو تسوى بهم الأرض ) ويقرأ لو تسوى بهم الأرض أى تستوى بمعنى  
يودون أن يصيروا ترابا وهذا مثل قوله تعالى " ويقول الكافر ياليتنى كنت  
تراباً<sup>(١)</sup> " وذلك حين يحشر اليها ثم يقول الله تعالى لهم " كونوا تراباً  
فيكونون تراباً فيود الكفار هناك أن يصيروا مثل البهائم تراباً .

وقيل<sup>(٢)</sup> يودون أن تنخرق الأرض فساخوا فيها وهلكوا " وتستوى بهم  
الأرض أى عليهم الأرض<sup>(٤)</sup> . ( ولا يكتنون الله حديثاً )<sup>(٥)</sup> .

---

(١) قرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو لو تستوى ، بضم التاء ، وتخفيف السين .  
وقرأ نافع وابن عامر : لو تستوى ، بفتح التاء ، وتشديد ، وقرأ حمزة  
والكسائي لو تستوى ، بفتح التاء ، وتخفيف السين والواو شديدة معالة ،  
وهى بمعنى تسوى ، فحذف التاء التى ادغمها نافع وابن عامر .  
النشر (٢٤١/٢) .

(٢) النبأ آيه ٤٠ .

(٣) هذا قول أبو عبيدة : مجاز القرآن (١٢٨/١) وقاده ومقاتل . انظر  
زاد السير (٨٧/٢) .

(٤) المقصود أنهم لشدة خوفهم وفزعهم يمتنون أن لو أخضتهم الأرض فى  
باطنها بحيث لا يظهر شىء منهم عليها فى أى وقت من الأوقات .

(٥) النساء آيه ٤٢ .

فان قيل قد أخبرها هنا أنهم لا يكتمون الله حدِيثًا وذكر في موضع  
آخر قولهم " والله ربنا ما كنا شركين " (١) فقد كتبوا فكيف وجهه

الجمع ؟ .

قيل : قال الحسن البصرى : هذا في موطن وذاك في موطن آخر .  
وفي القيامة موطن (٢) .

وهذا جواب معروف أورده القيسى في شكل القرآن .  
وقيل (٤) : معناه يودون أن لا يكتمون الله حدِيثًا وذلك أنهم يقولون " والله  
ربنا ما كنا شركين " ونحو ذلك فيختم الله على أفواههم وينطق جوارحهم  
فيودون لئيتهم لم يكتموا الله حدِيثًا فهو راجع الى قوله " يود الذين  
كفروا " .

وقيل (٥) : معناه ولا يقدرّون أن يكتموا الله حدِيثًا .

- 
- (١) الانعام آية ٢٣ .
  - (٢) انظر تفسير البقوى (١/٥٣٠) .
  - (٣) علي بن محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار . أبو محمد  
القيسى النحوى المقرئ .  
ولد في شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة .  
اشتهر بالصلاح واجابة الدعوة .  
توفى صدر مهرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة .  
طبقات المفسرين (٢/٢٣٧ - ٢٣٨) .
  - (٤) ذكره ابن عباس . تفسير الطبرى (٨/٣٧٣ - ٣٧٥) .
  - (٥) هذا قول الفراء في معانى القرآن (١/٢٧٠) ونسبه صاحب زاد  
المسیر (٢/٨٨) للزجاج .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ) يعنى لا تقربوا موضع الصلاة وأنتم سكارى .

فالأصح و عليه أكثر المفسرين أنه أراد به السكر من الشراب وهو قول ابن عباس (١) .

وقال الضحاك : أراد به السكر من النوم والسكر من السكر فهو أشد .  
فالسكر شد العقل والمعرفة . (٢)

والصحيح أنه فى السكر من الشراب . وسبب نزول الآية ماروى أن عبد الرحمن بن عوف (٤) صنع طعنافا واتخذ شرابا ودعا رهطيا من أصحاب

(١) وهو قول قتادة . النكت والعيون (٣٩٢/١) .

(٢) أصل السكر : السكر - يقال سكر النهر يسكره أى جعل له سدا والفعل من باب نصر .

وأما سكر من الخمر فمن باب علم . والسكر سد مجرى الماء ، فالسكر من الشراب يسد طريق المعرفة .

(٣) قال الفخر الرازى : " وأعلم أن القول الصحيح هو قول الجمهور من الضعابة ، والتابمين وهو أن المراد من لفظ " سكارى " السكر من الخمر ، لأن لفظ السكر حقيقة فى السكر من شرب الخمر . والأصل فى الكلام الحقيقة . . . . . ولأن جميع المفسرين قد اتفقوا على أن هذه الآية إنما نزلت فى شرب الخمر .  
انظر التفسير الكبير (١٠٩/١) .

(٤) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، القرشى ، الزهرى ، يكنى أبا محمد . كان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو ، وقيل عبد الكعبه ، فسماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عبد الرحمن .  
أمه الشقفا بنت عوف بن عبد الحارث بن زهرة .  
ولد بمد الغيل بعشر سنين - أسلم قبل أن يدخل الرسول - صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم وكان أحد الثمانية الذين سبقوا فى الاسلام .  
شهد بدر المشاند كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أحد المشرك المشهود له بالجنة ، كان كثير الانفاق فى سبيل الله .  
الأصابه (١٣/٤٨٠ - ٤٨٥) .

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاكلوا وشربوا حتى ثلثوا فدخل وقت المغرب فقاموا الى الصلاة رقدوا واحد منهم فقرأ سورة قل يا أيها الكافرون وقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد قرأ هكذا الى آخر السورة يظن لا فنزل قوله " لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى (١) حتى تعلموا ماتقولون ) أى حتى تميزوا ماتقولون .

فان قيل كيف خاطب السكارى والسكران لا يخاطب قيل أراد به لا تتعرضوا للسكر فى أوقات الصلاة (٢) فكانوا يشربون بعد صلاة الصبح ويصبحون عند

(١) رواه الترمذى ، من أبواب التفسير ، سورة النساء ، وقال هذا حسن غريب صحيح (٣٠٥/٤) والطبرى (٢٧٦/٨) وأسباب النزول للواحدى صفحه (١٤٦) .

(٢) قال الطبرى : فان قال قائل : وكيف يكون ذلك معناه : والسكران فى حال زوال عقله نظير المجنون فى حال زوال عقله ، وأنت ممن يعيىل تكليف المجانين لفقد هم الفهم بما يؤمر وينهى ؟ .

قيل له : ان السكران لو كان فى معنى المجنون ، لكان غير جائر أمره ونهيه ولكن السكران هو الذى يفهم ما يأتى ويذر ، غير أن الشراب قد أثقل لسانه وأجزأ جسمه وأخدرها ، حتى عجز عن إقامة قراءته فى صلاته ، وحدودها الواجبة عليه فيها ، من غير زوال عقله ، فهسو بما أمر به وينهى عنه عارف فهم وعن أداء بعضه عاجز . تخدر جسمه من الشراب .

وأما صار الى حد لا يعقل ما يأتى ويذر ، فذلك مشغل من السكر الى الخيل ومعانى المجانين ، وليس ذلك الذى خوطب بقوله : " ولا تقربوا الصلاة " لأن ذلك مجنون بوانما خوطب به السكران ، والسكران ما وصفنا صفته .

الطبرى (٢٧٩/٨) .

الظهر ويشربون بعد المشاء الآخريه ويصحون عند الصبح (١) ولا جنباً الا  
عابري سبيل ) يعنى ولا تقربوا المسجد وموضع الصلاة جنباً  
الا عابري سبيل .

اختلفوا فيه .

قال جماعة من التابعين وهو قول الشافعى أنه أراد به عبور  
الجنبى المسجد من غير أن يجلس فرخص فيه .

---

( ١ ) قال ابن كثير " وقد كان هذا النهى قبل تحريم الخمر ، كما دل  
عليه الحديث الذى ذكرناه فى سورة البقره عند قوله تعالى " يستلونك  
عن الخمر والميسر . . . " الآية . فان رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - تلاها على عمر . فقال . فقال اللهم بين لنا فى الخمر  
بيانا شافياً .

فلما نزلت هذه الآية تلاها عليه فقال اللهم بين لنا فى الخمر  
بيانا شافياً فكانوا لا يشربون الخمر فى أوقات الصلاة .

وفى رواية لأبى داود فكان منادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
إذا قامت الصلاة ينادى لاتقرين الصلاة سكران حتى نزل قوله تعالى  
فى سورة المائدة انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل  
الشيطان فاجتنبوه . . . " الى قوله " فهل أنتم منتهون " فقال  
عمر انتهينا انتهينا .

انظر تفسير ابن كثير ( ٢ / ٢٧٠ - ٢٧١ ) .

وقال بعضهم يتيمم للمبهور ثم يعبر اذا لم يكن له بد من الصبور .  
والآية في قوم من الأتصار كانوا أبواب بموتهم في المسجد فرخص لهم  
في المبور بالتيمم .

فهذا معنى قوله " ولا جنبا الا عابري سبيل ( حتى تفتسلوا وان كنتم  
مرضى ) أراد به المرضى من القروح والجروح وفيه تفاصيل تذكر في الفقه .  
( أو على سفر ) وحد السفر مصيرة يوم وليله .  
وقال أصحاب الرأي (٤) مسيرة ثلاثة أيام .

(١) قلت : بهذه الآية احتج كثير من الأئمة على أنه يحرم على الجنب  
المكث في المسجد ، وتجويز له المرور ، وكذا الحائض والنفساء أيضا  
متى أمنت كل واحدة منهما التلويث في حال المرور .

قال ابن كثير : وقوله " حتى تفتسلوا " دليل لما ذهب اليه  
الأئمة الثلاثة أبو حنيفة ومالك والشافعي من أنه يحرم على الجنب المكث  
في المسجد حتى يفتسل أو يتيمم إن عدم الماء أو لم يقدر على  
استعماله .

وذهب الامام أحمد الى أنه متى توضأ الجنب جاز له المكث في  
المسجد ، لما روى من أن الصحابة كانوا يفعلون ذلك .

وعن عطاء بن يسار قال : رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون اذا توضأ وغو للصلاة  
وهذا اسناد صحيح على شرط مسلم .

انظر تفسير ابن كثير (١/٥٠٢) وانظر تفسير الخازن (١/٥٣١-٥٣٢) .

(٢) المننى لابن قدامة (١/١٧٦-١٧٨) .

(٣) هو قول مالك والشافعي . النكت والميون (١/٣٩٣) .

(٤) هو مذهب أبي حنيفة . النكت والميون (١/٣٩٣) .

( أو جاء أحد منكم من الفائط ) .

قال الفراء بمعناه وجاء أحد منكم من الفائط حتى يستقيم الكلام (١) .  
والفائط اسم للمطمئن من الأرض فلما جرت عادة العرب باتيسان  
الفائط للحدث سمي الحدث عائطاً باسم المكان (٢) .

( أولستم النساء ) ويقراً (٣) أو لاستم النساء .

قال علي وابن عباس : أراد به الجماع .

قال ابن عباس : ان الله حي كريم يكنى بالحسن عن القبيح فكفى بالمرء  
عن الجماع (٤) .

وقال ابن مسعود وابن عمر : هو اللمس باليد وهو قول الشافعي (٥) .  
وعن قال الأول قال ان التيمم للجنب ثابت بنص الكتاب  
ومن قال بالثاني قال ان التيمم للحدث ثابت بالكتاب، وللجنب ثابت  
بالسنة .

وقال عمر وابن مسعود : ليس للجنب أن يتيمم أصلاً وحطوا الآية  
على اللمس باليد وتصكوا بظاهر الآية .

(١) معاني القرآن (١/٢٧٠) .

(٢) انظر تفسير الطبري (٥/٣٥٤) ، (٨/٣٨٨) .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر أولاً مستم بألف . وقرأ حمزة  
والكسائي وخلف في اختياره ، والمفضل عن عاصم والوليد بن عتبة  
عن ابن عامر بغير ألف .

(٤) النشر في القراءات المشرقة (٢/٢٤١) .

(٥) انظر تفسير الطبري (٨/٣٩١) .

(٦) بداية المجتهد (١/٥٨ - ٥٩) .

والأصح أن اللمس والملامسة (١) .

وقال بمضمهم : من قرأ " أولاً مستم " ففيه دلالة على انتقاض طهارة

الامس والملموس جميعا .

ومن قرأ " أولستم " ففيه دلالة على انتقاض طهارة الامس فحسب . ( فلم

تجدوا طاً فقيموا ) أى أقصدوا وتفمدا ، والتيمم القصد . قال الشاعر : (٢)

تيممت فيسا وكم دونــــــــــــه  
من الأرض من مهمه ذى شسزن

---

( ١ ) قال ابن جرير : وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال : عنى الله

بقوله " أولاً مستم النساء " الجماع دون غيره من معانى اللمس ، لصحة

الخبر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم أنه قبل بعض نساءه ثم صلى

ولم يتوضأ ، ثم روى عن عائشة قالت : " كان رسول الله صلى الله عليه

وسلم يتوضأ ، ثم يقبل ، ثم يصلى ولا يتوضأ " ثم روى عن عروة عن عائشة

" ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعض نساءه ثم خرج الى الصلاة

ولم يتوضأ " قلت : من هن الا أنت ؟ فضحكت .

وحد يث عائشه هذا رواه أبو داود ( ٨٣ / ١ ) وابن ماجه ( ١٦٨ / ١ )

وأحمد فى المسند ( ٢١٠ / ٦ ) . قال محقق زاد المسير " وقد تكلم على هذا

الحد يث بعض الأئمة والحق أنه صحيح ..

قال أبو عمر ابن عبد البر . صححه الكوفيون وشبهوه لرواية الثقات من أئمة

الحد يث له ، وحبيب لا ينكر لقاءه عروة ، ولروايته عن هو أكبر من عروة وأقد

موتا .

ثم قال " ينفرد حبيب برواية هذا الحد يث فقد تابعه عليه هشام بن

عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير .

انظر سنن الدارقطنى صفحة ٥٥ ، وقد جاء الحد يث باسناد آخر صحيح

عن عائشة . انظر الجوهر التقي ( ١٢٥ / ١ ) ونصب الراية ( ٣٨ / ١ ) .

زاد المسير ( ٩٢ / ٢ ) .

( ٢ ) البيت لأعشى بن ثعلبة . انظر تفصيل ذلك فى الطبرى ( ٥٥٨ / ٥ ) .



( صعيدا ) قال أبو عبيدة : الصعيد التراب<sup>(١)</sup> ، وهو قول الشافعي .  
وقال ابن الأعرابي<sup>(٢)</sup> : الصعيد ما تصعد من وجه الأرض وهو اختيار الزجاج .  
وقال الزجاج : لو ضرب يده على صخرة صماء حصل التيمم وإن لم  
يعلق به شيء .

واستدلوا بقوله " صعيدا زلقا<sup>(٣)</sup> وأراد به وجه الأرض والأول أصح<sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) في زاد المسير أبو عبيد وفي مجاز القرآن ( ١٢٨ / ١ ) الصعيد :  
وجه الأرض .

( ٢ ) محمد بن زياد أبو عبد الله بن الأعرابي .

كان نحويًا عالمًا باللغة والشعر .

قال الجاهظ : كان نحويًا عالمًا باللغة والشعر رواية للأشعبار حسن  
الحفظ ولم يكن أحد من الكوفيين أشبهه برواية برواية البصريين منه .  
وكان أحول أعرج .

مات بسر من رأى سنة ثلاثين وقيل : سنة احدى وثلاثين ومائتين .  
وقيل ثلاث وثلاثين ومولده ليلة مات الامام أبو حنيفة لاهدى عشره  
خلت من جمادى الآخرة سنة خمس مائة .

بغية الوعاة ( ١ / ١٠٥ - ١٠٦ ) .

( ٣ ) الكهف آية ٤ .

( ٤ ) أخذ الشافعية والحنابلة من قوله تعالى " فتيمموا صعيدا طيبا " أن التيمم  
لا يجوز الا بالتراب الظاهر لأنه هو المقصود بالصعيد الطيب ولأنه ثبت  
في صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة  
وجعلت لنا الأرض كلها سجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم

---

.../...

نجد الماء " قالوا فخصص الطهوريه بالتراب في مقام الامتنان فلو كان غيره يقوم مقامه لذكره معه .

ويروى الامام أبو حنيفة أن التيمم يجوز بالتراب والحجر وبما ماثلسيه من كل ما كان من جنس الأرض متى كان ظاهرا ، قالوا لأن الظاهر من لغز الصعيد وجه الأرض ، وهذه الصفة لا تختص بالتراب .

وتوسع الامام مالك فذهب الى أن التيمم يجوز بكل ما سبق وبغيره كالشجر والحجر والنبات لأن الصعيد عنده كل ما صمد على وجه الأرض .

قال القرطبي بمد حديثه عن اختلاف الفقهاء في ذلك : وإذا تقدر هذا فاعلم أن مكان الاجماع فيما ذكرناه أن تيمم الرجل على تراب منبت طاهر غير منقول ولا منصوب . . . ومكان الاجماع في المنع أن يتيمم الرجل على الذهب الصريف والفضة والباقوت والأطعمه كالخبز واللحم وغيرها أو على النجاسات .

واختلف في غير هذا كالمضاد فأجيز وهو مذاهب مالك وغيره . ومنع وهو مذاهب الشافعي وغيره .

الجامع لأحكام القرآن ( ٢٣٧/٥ ) .

لأنه قال في آية أخرى \* فاسحوا بوجوهكم وأيدكم منه (١) يعني من الصعيد فدل أنه التراب حتى يكون التيمم منه .

وقوله ( طيبا ) أى ظاهرا .

وقال بعضهم : حلالا ( فاسحوا بوجوهكم وأيدكم ان الله كسان عفوا عفورا ) (٢) فالمنفوق المهل ، والصفور الساتر .

وقوله تعالى ( ألم تر الى الذين أتوا نصيبا من الكتاب ) فان قال قائل كيف تسقى اليهود والنصارى أهل الكتاب وهو اسم مدح ، وهم يستحقون الذم ؟ قيل قال ذلك لالزام الحجج .

وقيل ساءهم بذلك على زعمهم أنهم أهل الكتاب .

( يشترون الضلالة ) لأنهم لما استبدلوا الضلالة بالهدى فكأنهم اشتروا الضلالة بالهدى ، فكأنهم اشتروا الضلالة ، وكل مشتر مستبدل .  
( ويريدون أن تضلوا السبيل ) (٣)

---

( ١ ) المائدة آية ٦ .

( ٢ ) النساء آية ٤٣ .

( ٣ ) النساء آية ٤٤ .

( والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً )<sup>(١)</sup> .  
قال الزهلاج معناه " اکتفوا بالله ولياً ، واکتفوا به نصيراً لتكون الباء  
في موضعها .

وقال غيره الباء صلة . وتقديره وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً<sup>(٢)</sup> .  
قوله تعالى ( من الذين هادوا بقرظون ) قبل تقديره " ألم تر  
الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من الذين هادوا بقرظون<sup>(٣)</sup> .

(١) النساء آية ٤٥ .

(٢) انظر تفسير البصوى ( ١ / ٥٤١ ) .

(٣) انظر فتح القدير ( ١ / ٤٧٤ ) .

(٤) قال الفخر الرازي في جوابه عن فائدة الباء هنا قال " والجواب :  
ذكروا وجوها ،

الأول : لو قيل : كفى بالله كان يتصل الفعل بالفاعل ، ثم ههنا زيدت  
الباء ايذاناً بأن الكفاية من الله ليست كالكفاية من غيره فسي  
الرقبة وعظم المنزلة .

الثاني : قال ابن السراج : تقدير الكلام ، كفى اکتفواك بالله ولياً ،  
ولما ذكرت " كفى " دل على الاکتفاء ، لأنه من لفظه ، كما  
تقول : من كذب كان شراً له ، أى كان الكذب شراً له ، فأضمرته  
لدلالة الفعل عليه .

الثالث : يخطر ببالي أن الباء في الأصل للالتصاق ، وذلك انما  
يحسن في المؤثر الذي لا واسطة بينه وبين التأثير ، ولو قيل :  
كفى الله ، دل ذلك على كونه تعالى فاعلاً لهذه الكفاية ، ولكن  
لا يدل ذلك على أنه تعالى يفعل بواسطة أو بغير واسطة  
فانما ذكرت حرف الباء دل على أنه يفعل بغير واسطة ، كما  
هو تعالى يتكفل بتحصيل هذا المطلوب ابتداءً من غير واسطة  
أحد ، كما قال " ونحن أقرب اليه من حبل الوريد " .

التفسير الكبير ( ١٠ / ١٢٠ ) .

(٥) قول نحوى الكوفة .

(١) وقيل معناه : من الذين هادوا فريق يحرفون (٢) الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا ) لأنهم لما سمعوا ولم يطيعوا فكأنهم قالوا سمعنا وعصينا ( واسمع غير سمع ) .

قال ابن عباس : " كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت فهذا معناه (٣) .

وقال الحسن : " اسمع غير سمع منك يعني اسمع منك " .

(١) قول نحوى البصرى .  
انظر معانى القرآن للفرأء ( ٢٧١ / ١ ) والطبرى ( ٤٣٠ / ٨ - ٤٣١ ) .  
(٢) وأنشد سيهويه بيت تميم بن مقبل .  
وما الدهر الا تازنان فتمهما أموت وأخرى أبتضى المشيش أكدح  
والمعنى : فتمهما تارة أموت فيها .  
زاد المسير ( ٩٩ / ٢ ) والكتاب ( ٣٧٦ / ١ ) .  
قلت : قد رجعة من البصريين " من " بدلا من فريق أو قوم  
فيكون من الذين هادوا من يحرف الكلم عن مواضعه فتكون " من " محذوفه  
من الكلام اكتفاء لدلالة قوله : " من الذين هادوا عليها " .

قال الطبرى " وذلك أن " من " لو ذكرت في الكلام كانت بمعنى  
ل " من " فاكتفى بدلالة " من " عليها . والمرب تقول : " منا يقول  
ذلك ، ومنا لا يقوله " بمعنى : منا من يقول ذلك ، ومنا من لا يقوله .  
فحذف " من " اكتفاء بدلالة " من " عليه كما قال ذو الرمة .  
فظلوا ، ومنهم دمة سابق له وآخر شنى دمة المين بالهمس  
تفسير الطبرى ( ٤٣٠ / ٨ - ٤٣١ ) وانظر معانى القرآن للفرأء  
( ٢٧١ / ١ ) وزاد المسير ( ٩٩ / ٢ ) .

(٣) وهو قول زيد ابن زيد وابن قتيبة .  
زاد المسير ( ١٠٠ / ٢ ) .

(٤) وقول مجاهد . زاد المسير ( ١٠٠ / ٢ ) .

ولا نسمع منك<sup>(١)</sup> . ( وراعنا ) كانوا يقولون ذلك ويريدون به النسبة الى  
الرعونه فذلك معنى قوله ( لها بالسنتهم وطعننا فى الدين ) لأن قولهم  
راعنا من المراعاة فلما حرفوه الى الرعونه فذلك معنى قوله " ليسا  
بالسنتهم<sup>(٢)</sup> ( ولوأنهم قالوا سمعنا وأطعنا وسمع وأنظرنا ) أى أنظر  
الينا ( لكان خيرا لهم وأقوم ) أى أعدل ( ولكن لعنهم الله بكفرهم  
فلا يؤمنون الى قليلا<sup>(٣)</sup> ) . فيه قولان :-

أحدهما<sup>(٤)</sup> فلا يؤمنون الا ايماننا قليلا لا يستحقون به اسم الايمان ، وذلك  
أنهم يؤمنون بالله والآخره وموسى .

وقيل<sup>(٥)</sup> معناه : فلا يؤمنون الا نفيهم قليل متهم وأراد به عبد الله  
ابن سلام وقوما منهم أسلموا .

( ١ ) كلام ذو وجهين وجه محتفل للشر . بأن يحمل على معنى " استسمع " .  
حال كونك غير سمع كلاما . ترضاه . ووجه محتفل للخير . بأن يحمل على  
معنى اسمح منا غير مسمع كلاما . تكفه .

( ٢ ) كلمة " راعنا " كلمة ذات وجهين . أيضا فهى محتطه للخير يحطها على  
معنى أرقنا وأمهلنا أو انتظرنا . بكلمك . ومحتطه للشر يحطها على  
شبه كلمة غيرانيه كانوا يتسابون بها . أو على السب بالرعونه أى الحمق .

انظر معنى ذلك فى تفسير الطبرى ( ٢ / ٤٥٩ - ٤٦٧ ) .

( ٣ ) التمام آيه ٤٦ .

( ٤ ) هو قول قتاده والزجاج . . زان . التميمي ( ٢ / ١٠٠ ) .

( ٥ ) قول لابن عباس . زان التميمي ( ٢ / ١٠٠ ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين أتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا )

يعنى من القرآن ﴿ صدقا لما معكم ﴾ من التوراة .

(١) ( من قبل أن يطمس وجوها ففردها على أربارها ) الطمس المحو

ومعناه من قبل أن يطمس الوجه ونرده إلى القفا<sup>(٢)</sup> .

وقيل<sup>(٣)</sup> معناه نبات الشمر عليه حتى يهوى كالقرود .

وقيل<sup>(٤)</sup> يجعل عينه على القفا يمشى قهقري .

وروى أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء إلى النبي صلى الله

عليه وسلم ويده على وجهه فأسلم وقال خفت أن يطمس وجهي قبل أن أصل

البيك<sup>(٥)</sup> ، وكذلك كصيب الأعبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن

عمر - رضي الله عنه - فان قال قائل قد أوعد اليهود بالطمس ان لم

يسلموا ولم يطمس وجوههم فكيف ذلك ؟ .

---

(١) الطمس : استئصال أثر الشيء ، وفيه - وإذا النجوم طمست - يقال تطمس

بكسر الميم وضمها لفتان في المستقبل ويقال طمس الأثر أى محاه كسه

وفيه - ربنا اطمس على أموالهم - أى أهلكها - ويقال هو مطموس

البصر ، وفيه - ولو نشاء لطمسنا على أعينهم - أى أعميناهم .

فتح القدير (٤٧٥/١) . وانظر الطبرى (٤٤٤/٨) .

(٢) مروى عن ابن عباس . زاد المسير (١٠١/٢) .

(٣) الفراء في معاني القرآن (٢٧٢/١) .

(٤) ذكره ابن عباس وقتادة . النكت والميون (٣٩٦/١) .

(٥) رواه البغوى في تفسيره والخازن (٥٤٢/١) .

(٦) راجع تفسير الطبرى (٤٤٦/٨) وتفسير ابن كثير (٢٨٥-٢٨٦) .

قيل : هذا كان في قوم معدود بن أسلموا وذلك عبد الله بن سلام  
 وشعلبة بن سعيد وأوس بن سعيد والمخبرق<sup>(١)</sup> وجماعة ولو لم يسلموا  
 لطمسوا<sup>(٢)</sup>.

وقيل<sup>(٣)</sup> : أراد به الطمس في القيامة .

قال مجاهد<sup>(٤)</sup> : " أراد بقوله نطمس وجوها أن نتركهم في الضلالة<sup>(٥)</sup>  
 فيكون المراد طمس القلب<sup>(٦)</sup> .

(١) في الطبري (٤٤٧/٨) ثعلبه بن سمية وأشد بن سمية والمخبرق  
 وهم جماعة من اليهود قد أسلموا .

(٢) انظر تفسير الطبري (٤٤٥/٨) .

(٣) ذكره المبرد . فتح القدير (٤٧٥/١) .

(٤) وهو قول الحسن والضحاك وابن أبي نجيح والسيدي .  
 النكت والميون (٣٩٦/١) .

(٥) انظر زاد المسير (١٠٢/٢) والنكت والميون (٣٩٦/١) .

(٦) للمفسرين في المراد من معنى الطمس هنا اتجاهات .

أما الاتجاه الأول فيرى أصحابه حمل اللفظ على حقيقة بمعنى  
 إزالة ما في الوجه من أعضاء ومحو أثرها .

فيكون المعنى : يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بها فلا  
 صدقا لمامكم " من قبل أن نطمس وجوها " أي نمحوها تخطيط صورها  
 من عين وأنف وفم وحاجب " فنردّها على أربابها " أي فنجعلها  
 على هيئة أربابها وهي الأقفاء بحيث تكون الوجوه مطموسة مثل الأقفاء .  
 وإلى هذا المعنى ذهب ابن عباس وقتادة وغيرهما .

ومن المفسرين الذين رجحوا حمل اللفظ على حقيقة الاسم  
 ابن جرير فقد قال " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال ، معنى  
 قوله من قبل أن نطمس وجوها " من قبل أن نطمس أبصارها ونمحو أثارها  
 فنسويها كالأقفاء ، فنردّها على أربابها ، فنجعل أبصارها في أربابها



.../...

يعنى بذلك : فنجعل الوجوه في أدبار الوجوه . فيكون منجمل الوجوه أقفاً ،  
والأقفاً وجوهاً ، فيمشون القهقري ، كما قال ابن عباس .

وأصحاب هذا الاتجاه منهم من يرى أن هذه العقوبة تكون في آخر الزمان ومنهم من يرى هذه العقوبة تكون في الآخرة . ومنهم من قال بأن هذه العقوبة مقيدة بعدم إيمان أحد منهم . ومن أمن بعضهم كعبد الله بن سلام وغيره .

أما الاتجاه الثاني فيرى أصحابه أن المراد بالطمس الطمس الممنوي فيكون المعنى . آمنوا بما نزلنا صدقاً لما معكم من قبل أن تقسو قلوبكم ونطبع عليها بسبب تمسكها بالضلال ، وتماد بها في العناد .

قال ابن كثير مؤيداً هذا الاتجاه . هذا مثل ضربه الله لهم فسى صرهم عن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضاء إلى سبيل الضلال يهرعون ويمشون القهقري على أدبارهم . وهذا كما قال بعضهم في قوله تعالى " وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً . . . " أي هذا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنهم عن الهدى .

ب : وقال بعض العلماء : إن الذي يهدو لنا من ظاهر النص أنه يراد به سحقهم في القتال وحملهم على أن يولوا الأدبار ، فتكون وجوههم غير بادية بصورها ، بعد أن كانوا مقلين بها ، فأزالها السيف والخوف وجعل صورتها مختصة وأقضيهم هي البادية الواضحة ، فكان صورة الوجوه قد زالت وحلست محلها صورة الأدبار .

انظر تفسير الطبري ( ١٢٣/٥ ) طبعة الحلبي . وانظر تفسير ابن كثير

( ٥٠٨/١ )

( أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت ) أى نجعلهم قردة كما  
جعلنا أصحاب السبت<sup>(١)</sup> قردة . ( وكان أمر الله مفعولا<sup>(٢)</sup> ) .

قوله تعالى ( ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن  
يشاء ) قيل هذه أرجى آية في القرآن .

وقال ابن عمر : كنا نطلق القول فيمن ارتكب الكبائر بالخلود حتى  
نزلت هذه الآية فتوقفنا<sup>(٣)</sup> .

(ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما<sup>(٤)</sup>) أى اختلق اثما عظيما<sup>(٥)</sup> .  
فان قال قائل قد قال الله تعالى " ان الله لا يغفر أن يشرك به " وقال  
في موضع آخر " ان الله يغفر الذنوب جميعا<sup>(٦)</sup> فكيف وجه الجمع ؟

---

(١) أصحاب السبت قوم من اليهود حرم الله عليهم الصيد في يوم السبت  
فتحاربوا على استحلال ما حرمه الله بحيل قبيحة فانزل الله عليهم  
عذابه وسخبهم قردة وقد ذكر الله قصتهم بشئ من التفصيل في سورة  
الاعراف .

(٢) النساء آية ٤٧ .

(٣) هذا الأثر : معناه ثابت عن ابن عمر من روایات آخر .

انظر الدر المنثور (٢/١٦٩) وفي مجمع الزوائد (١٠/٢١٠-٢١١) .

(٤) النساء آية ٤٨ .

(٥) انظر تفسير الافتراء عند الطبري (٦/٢٩٢) .

(٦) الزمر آية ٥٣ .

قيل أراد به يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك (١) .

(١) قال ابن جرير الطبري " قد أبانت هذه الآية على أن كل صاحب كبيرة غفى مشيئة الله تعالى ، ان شاء عفا عنه ذنبه ، وان شاء عاقبه عليه ، ما لم تكن كبيرته شركا بالله تعالى . تفسير الطبري (٤٥٠/٨) .

روى الامام البخارى فى صحيحه من كتاب باب عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه وكان شهد بدرا ، وهو أحد النقباء ليلة المعركة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال وحوله عصاية ممن أصحابه " يا يعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرفوا ولا تنزوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تمصوا فسى معروف ، فمن وفى منكم ، فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا ، فعوقب فى الدنيا ، فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ، ثم ستره الله فهو الى الله ، ان شاء عفا عنه ، وان شاء عاقبه " فبايمناه على ذلك .

ومن أبى ذر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " ما من عبد قال : لا اله الا الله ، ثم مات على ذلك الا دخل الجنة .

قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق ،

قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى ثلاثا ، ثم قال فى

الرابعة : على رغم أنف أبى ذر ، فخرج أبو ذر وهو يجسرا زاره وهو يقول ، وان رغم أنف أبى ذر ، فكان أبو ذر يحدث بهذا بعد ويقول : وان رغم أنف أبى ذر .

رواه أحمد فى مسنده (١٦٦/٥) ورواه البخارى ومسلم

وفى الخبر أن صلى الله عليه وسلم لما قرأ قوله تعالى " ان الله يذفر الذنوب جميعاً (١) فقال رجل والشرك يارسول الله ؟ فنزل قوله تعالى " ان الله لا يذفر أن يشرك به (٢) .

قوله تعالى ( ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم ) نزلت الآية فى رمى بين

عمر ومرحب بن زيد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بأطفالهما وقال هل على هؤلاء ذنب ؟ فقال لا . فقالا نحن مثلهم ما فعلنا بالليل يكفر عنا بالنهار ، وما فعلنا بالنهار يكفر عنا بالليل فنزل قوله " ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم (٣) هل الله يزكى من يشاء ) يطهر من يشاء ( ولا يظلمون فتيلاً (٤) أى لا ينقص من أجورهم شىء ان أسلموا ولا من أوزارهم ان لم يسلموا .

والفتيل والقطير والنقيير ثلاثة أسماء مذكورة فى القرآن (٥) فالفتيل اسم

- ( ١ ) الزمر آية ٥٣ .
  - ( ٢ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ٤٤٩ / ٨ ) ، ونقله عنه ابن كثير ، ثم قال : وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر . تفسير ابن كثير ( ٢٩٠ / ٢ - ٢٩١ ) .
  - ( ٣ ) ذكره الواحدى فى أسباب النزول عن الكلبى صفحته ( ١٤٨ ) .
  - ( ٤ ) النساء آية ٤٩ .
  - ( ٥ ) وردت كلمة " الفتيل " ثلاث مرات فى القرآن الكريم فى هذه الآية من سورة النساء وفى الآية ( ٧٧ ) " قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً " من نفس السورة .
- وفى سورة الاسراء الآية ( ٧١ ) " فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً " .

أما كلمة " القطير " فقد وردت فى سورة فاطر الآية ( ١٣ ) " والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطير " .

ووردت كلمة " النقيير " فى سورة النساء آية ( ٥٣ ) أم لهم من نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً " ، وفى الآية ( ١٢٤ ) من نفس السورة " فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً " .

لما يكون في شق النواه . والقطيور اسم للقشره التي تكون على النواه .  
والنقىر اسم للنقطه التي تكون على ظهر النواه هذا قول ابن عباس (١) .

وقال غيره (٢) القليل من الفتل وهو اسم لما يحصل من الوسخ بين الأصبعين .

عند الفتل . قال الشاعر :

يجمع الجيش ذاك الألف ويفسزو ثم لا يوزوا المدا قتيلا (٣)

قاله النليضى انشده الأزهري .

---

( ١ ) وبه قال مجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك وقتاده وعطية وابن زيد

ومقاتل وابن قتيبة والزجاج وأبو عبيدة في مجاز القرآن ( ١٢٩ / ١ ) .

انظر زاد المسير ( ١٠٥ / ٢ ) .

( ٢ ) رواه الموفق عن ابن عباس . وبه قال سميد بن جبير وأبو مالك والسدي .

زاد المسير ( ١٠٥ / ١ ) والفراء في معاني القرآن ( ٢٧٢ / ١ ) .

( ٣ ) البيت لعبد القيس بن خفاق البرجمي يهجو النعمان بن العنذر

في الهيوان ( ٣٧٩ / ٤ ) والأغانى ( ١٥٨ / ٩ ) .

ونسب في الشعر والشعراء ( ١١٢ - ١١٧ ) للنايفه في هجاء

النعمان والحق أنه لعبد القيس قاله على لسان النايفه كما رواه

ابن قتيبه أيضا .

معجم مقاييس اللغة هامش ( ٢ ) ( ٤٧٢ / ٢ ) .

قوله تعالى ( انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به ) أى بالكذب  
( انما مينا ) (١) .

قوله تعالى ( ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت  
والطاغوت ) قال عمر رضى الله عنه : (٢) " الجبت السحر ، والطاغوت الشيطان  
وبه قال الشعبي .

وقال قتادة : الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن (٣)

وعن ابن عباس فى رواية الكلبي عنه أنه قال هما أسما رجلين من اليهود  
فالجبت هو بن أخطى ، والطاغوت كعب بن أشرف ، وفى رواية أخرى عن ابن عباس  
أن الجبت الساحر بلغة الحبشة (٤) فصرح ، وذكر عبد الله بن وهب عن مسالك  
ابن أنس رحمه الله أنه قال " الطاغوت كل ما يهد من دون الله

---

(١) المسبب آية . ه .

(٢) وهو قول مجاهد .

(٣) وبه قال السدى وسعيد بن جبیر فى رواية .

(٤) وهو قول أبى المصعب وابن زيد وسعيد بن جبیر .

(٥) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى مولى هدم أبو محمد المصرى الفقيه ، كان  
من الصباد وأجلة الناس وثقاتهم .

قال هارون بن عبد الله الزهرى : كان الناس بالمدينة يختلفون فى الشئ  
عن مالك فينتظرون قدوم ابن وهب حتى يسألوه عنه .

توفى بمصر سنة سبع وتسعين ومائة .

تهذيب التهذيب (٦ / ٧١-٧٤) .

وقرأ قوله تعالى (١) والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها (٢). فقيل له ما الجبت؟ فقال : سميت أنه الكاهن (٣). ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً (٤).

هذا قول جماعة من اليهود حضروا موسم الحج فقال لهم المشركون نحن أحسن طريقة أم محمد فقالوا أنتم (٥) وهذا دليل على شدة معاندة اليهود حيث فضلوا المشركين على المسلمين مع علمهم أنهم لم يؤمنوا بشيء من الكتاب وأن المسلمين آمنوا بالكتب المتقدمة .

---

(١) الزمر آية ١٧ .

(٢) قال ابن جرير : والصواب من القول في تأويل " يؤمنون بالجبهت والطاغوت " أن يقال : يصدقون بمعبودين من دون الله ، ويتخذونها الهين ، وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم يعبد من دون الله أو طاعة أو خضوع له كما كنا ما كان ذلك المعظم من حجر أو إنسان أو شيطان .

تفسير ابن جرير الطبري (٨ / ٤٦٥) .

(٣) النساء آية ٥١ .

(٤) أشباب النزول للنواحدى (١٤٨ - ١٤٩) وانظر تفسير ابن كثير

(٢ / ٢٩٤ - ٢٩٥) .

أولئك الذين لمنهم الله ( منهم اليهود )<sup>(١)</sup> ومن يلعن الله فلن  
تجد له نصيراً<sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) تحالف أولئك اليهود مع المشركين ، وتفضيلهم أياهم على المؤمنين كما  
حكته الآية الكريمة قد شهد بعضهم واحد من اليهود هو الدكتور /  
اسرائيل ولفنسون فقد قال في كتابه " تاريخ اليهود في جزيرة العرب "  
معلقاً على هذه القصة .

" كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا  
الخطأ الفاحش ، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام  
أفضل من التوحيد الاسلامي ولو أدى بهم الأمر الى عدم اجابته  
مطلبهم ، لأن بنى اسرائيل الذين كانوا لمدة قرن نحاسي رايحة  
التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الأباء الأقدمين ، والذين  
نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب ايمانهم بآله واحد  
في عصور شتى من الأندوار التاريخيه . . . كان من واجبهم أن يضحوا  
بحياتهم وكل عزيز عليهم في سبيل أن يخذلوا المشركين ، هذا فضلاً  
عن أنهم بالتجاءهم الى عبدة الأوثان ، انما كانوا يحاربون أنفسهم ،  
ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من عبدة الأصنام  
والوقوف منهم موقف الخصومه .

تاريخ اليهود في جزيرة العرب لاسرائيل ولفنسون صفحه ٦٨ .

( ٢ ) النساء آية ٥٢ .



قوله تعالى ( أَلِهَم نَصِيبَ مِنَ الطَّيِّبِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا )<sup>(١)</sup>  
فالنقير اسم تلك النقلة على ظهر النواه<sup>(٢)</sup>.

ومنها نبت النخلة . وفي الآية قولان أحدهما : - أنه استفهام  
بمعنى الإنكار والنفي بمعنى ليس لهم نصيب من الطيب إذ لو كان الطيب لهم  
فإذا لا يؤتون الناس نقيراً<sup>(٣)</sup> وقد ذكرنا نوع الطيب من اليهود<sup>(٤)</sup>.

والقول الثاني<sup>(٥)</sup> أنه بمعنى الإثبات بمعنى لهم نصيب من الطيب وأراد  
بالطيب المال ثم هم إذا لا يؤتون الناس نقيراً . وصفهم بشدة البخل وهذا  
على طريق ضرب المثل إذ من اليهود من يؤتى المال .

قوله تعالى ( أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ) أى بل  
يحسدون<sup>(٦)</sup> .

واختلفوا في الناس هاهنا من المراد به ؟ .

قال ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة أراد به محمد صلى الله عليه وسلم  
وحدّه<sup>(٧)</sup> .

وقال قتادة<sup>(٨)</sup> : أراد به العرب حسد هم اليهود بيمت النبي منهم<sup>(٩)</sup> .

(١) النساء آية ٥٣ .

(٢) انظر تفسير النقير فيما سبق . وانظر مجاز القرآن (١/١٣٠) ومفاتيح  
القرآن للفراء<sup>(١/٢٧٣)</sup> .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء<sup>(١/٢٧٣)</sup> .

(٤) راجع تفسير لآية ٢٤٧ من سورة البقرة .

(٥) انظر التفسير الكبير (١٠/١٣٤) .

(٦) يشير إلى أن أم منقطعه مفيدة للانتقال عن توبيخهم بأمر إلى توبيخهم بآخر .

(٧) انظر النكت والصيون (١/٣٩٨) .

(٨) وهو قول ابن جرير الطبري (١/٤٧٧) .

(٩) انظر زاد المسير (٤/١١٠) .

وفيه قول<sup>(١)</sup> ثالث أراد به محمدا وأصحابه .  
وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر<sup>(٢)</sup> نحن الناس وذلك أنهم حسدوا<sup>(٣)</sup>  
فإننا قلنا بالقول الأول أنه محمد وحده فاختلغوا في الفضل المذكور في الآيه  
ما هو ؟ .

---

( ١ ) وهو قول علي بن أبي طالب وبمعنى المتأخرين . زاد المسير ( ١١٠/٢ )  
والنكت والميون .

( ٢ ) محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر  
الباقر .

أمه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب .  
قال ابن سمد : كان ثقة كثير الحديث .  
وقال العجلي : مدني تابعي ثقة .  
وقال ابن البرقي : كان فقيها فاضلا .  
وذكره النسائي في فقه أهل المدينة من التابعين .  
كان مولده سنة ست وخمسين . وقيل أنه مات سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة  
وقيل ست عشرة وقيل سبع عشرة .

وقال ابن سمد : مات سنة ثمانى عشرة ومائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة .  
تهذيب التهذيب ( ٣٥٠/٩ - ٣٥٢ ) .

( ٣ ) قال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله  
عاتب اليهود الذين وصف صفتهم في هذه الآيات ، فقال لهم في قيلهم  
للمشركين من عبدة الأوثان أنهم أشدى من محمد وأصحابه ، على علم  
منهم بأنهم في قيلهم ما قالوا من ذلك كذبه : أتحدون محمدا  
وأصحابه على ما أتاهم الله من فضله .

وانما قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن ما قيل قوله : " أم يحسدون  
الناس على ما أتاهم الله من فضله " ، مضى بدم القائلين من اليهود للذين  
كفروا : " هو لا " أهدى من الذين آمنوا سبيلا " فالهاتق قوله " أم  
يحسدون الناس على ما أتاهم الله من فضله " بدمتهم على ذلك ، وتفريط  
الذين آمنوا الذين قيل فيهم ما قيل : أشبه وأولى ما لم تأت دلالة  
على انصراف معناه عن معنى ذلك .

تفسير الطبري ( ٤٧٧/٨ - ٤٧٨ ) .

قال بعضهم (١) هو النبوة حسد الرسول بها .  
وقال بعضهم (٢) هو تحليل الزوجات فيما زاد على الأربع حسد اليهود  
عليه فقالوا طبال هذا الرجل همه في النكاح يتكح ويتكح (٣) .

(فقد أتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة ) أراد آل ابراهيم داوود  
وسليمان والكتاب هو الكتاب الذي أنزل عليهم . وأما الحكمة قيل (٤) هي  
النبوة وقيل (٥) هي السنة ومعنى الآية أنهم ان حسدوا الرسول بما أوتى

---

(١) هو قول الحسن وقاده .

النكت والميوس (٣٩٨/١) .

(٢) قول ابن عباس والضحاك والسدي .

النكت والميوس (٣٩٨/١) .

(٣) قال ابن جرير : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب قول قتادة وابن جرير  
الذي ذكرناه .

قيل : ان معنى "الفضل" في هذا الموضع : النبوة التي فضل الله بها  
محمدًا وشرف بها العرب ، ان أتاها رجلا منهم دون غيرهم ، لمننا  
ذكرنا من أن دلالة ظاهر هذه الآية ، تدل على أنها تقرير للنسب  
صلى الله عليه وسلم . وأصحابه رحمة الله عليهم على ما قد بينا قبل .

وليس النكاح وتزويج النساء : وان كان من فضل الله جسد

شأنه ، الذي أتاه عباده : بتقرير لهم وطح .

تفسير الطبري (٤٧٩/١) .

(٤) ذكره السدي ، ومقاتل ، زاد المسير (١١١/٢) .

(٥) زاد المسير (١١١/٢) .

من الفضل فليحسدوا آل ابراهيم فانهم قد أوتوا الكتاب والحكمة .

( وأتيناهم ملكا عظيما <sup>(١)</sup> ) اختلفوا في الطك العظيم فمن فسر الفضل بتحليل الزوجات فسر الطك العظيم به <sup>(٢)</sup> . وقد كان لداود تسع وتسعون امرأة ، ولسليمان مائة امرأة . وقيل كان لسليمان سبعمائة امرأة وثلاثمائة سرية .

وقيل أعطى نبينا صلوات الله عليه قوة سبعين شابا في المباحه .  
وقيل <sup>(٣)</sup> الملك العظيم طك سليمان .  
وقيل <sup>(٤)</sup> المراد به تأييدهم بالجنود من الملائكة <sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) النساء آية ٥٤ .

( ٢ ) قول السدي . النكت والميون ( ٣٩٨ / ١ ) .

( ٣ ) قول ابن عباس . " " ( ٣٦٨ / ١ ) .

( ٤ ) هو قولهما من الحارث . النكت والميون ( ٣٩٨ / ١ ) .

( ٥ ) قال ابن جرير " وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، وهي قوله : " وأتيناهم ملكا عظيما القول الذي روى عن ابن عباس أنه قال : " يعني مملك سليمان " لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ودون الذي قال أنه ملك النبوة ، ودون قول من قال : أنه تحليل النساء والملك علمهين ، لأن كلام الله الذي خوطب به العرب ، غير جائز توجيهه إلا إلى المعروف المستعمل فيهم من معانيه ، إلا أن تأتي دلالة أو تقوم حجة على أن ذلك بخلاف ، يجب التسليم لها .

تفسير الطبري ( ٤٨٢ / ٨ ) .

قوله تعالى ( فمنهم من آمن به ) يعنى بالكتاب ( ومنهم من صد عنه )  
أى أعرض عنه .

وقيل (١) معناه فمنهم من آمن بمحمد ومنهم من صد عنه .

( وكفى بجهنم سميراً ) (٢) والسمير هى النار المسمره .

قوله تعالى ( ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا ) أى نلقبهم  
فى النار .

ويقال صلى النار اذا قرب منها (٣) قال الشاعر (٤) يصف امراه :

تجعل المسك والألبوة والند صلاها على الكانسون

(١) هذا قول جماعة المفسرين .

انظر الطبرى (٤٨٢/٨-٤٨٣) وانظر تفسير البغوى (١/٥٤٧) ،  
والخازن ، وفتح القدير (١/٤٧٨) .

(٢) النساء آيه ٥٥ .

(٣) قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن " يصليهم نارا " نشويهم بالنار وتنضم  
بها ، يقال أتانا بجمل صلى مشوى ، وذكروا أن يهودية أهدت الى  
النبي - صلى الله عليه وسلم - شاة مصلية ، أى مشوية (١/١٣٠) .

وقال ابن جرير يصليهم " مأخوذ " الصلا " ، و" الصلا " الاصطلاح  
بالنار ، وذلك التسخين بها ، كما قال الفرزدق .  
وقاتل كلبالحى عن نار أهله ليربض فيها ، والصلا تكتف  
وكما قال الصجاج : وصاليات للصلا صلى

ثم استعمل ذلك فى كل من باشر امرا من الأمور من حرب أو قتال  
أو خصومه أو غير ذلك ، كما قال الشاعر (الحارث بن عباد البكرى) .  
لم أكن من جناتها ، علم الله وانى بحرها اليوم صالسى  
فجمل ما باشر من شدة الحرب وأذى القتال بمنزلة مباشرة أذى النار  
ومررها . تفسير الطبرى (٨/٢٧-٢٩) .

(٤) البيت لأبى دهيل الجمحى كما فى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى  
فى البيت السابع من القصيدة السادسة .

انظر هامس "٣" صفحة (٣/٣٠٠) معجم مقاييس اللغة .

ورواية البيت كما فى شرح القصائد السبع :

تجعل المود والپلخوخ والرند صلا لها على الكانسون

( كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب )  
قيل قرئت هذه الآية عند عمر رضى الله عنه وكان عنده معاذ بن جبل  
فقال : " تبدل جلودهم فى كل ساعة سبعين مرة . قال عمر كذا سمعت  
رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال الحسن : فى كل سبعين ألف مرة (٢) ، فان قيل اذا بدلت  
جلودهم فكيف يعذب غير الجلد الذى كان فى الدنيا ؟ .  
قيل انما يعذب الشخص فى الجلد دون الجلد .  
وقيل يعاد الجلد الأول فى كل مرة لئلا سماه جلدا غيره ، ومثله  
جائز .

تقول المرب صنعت من خاتمي خاتما غيره وان كان الثانى إعادة  
للأول (٣) .

---

( ١ ) الأثر : رواه السيوطى فى الدر المنثور ( ١٧٤ / ١ ) وقال أخرجه  
الطبرانى فى الأوسط وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف  
من طريق نافع عن ابن عمر .

( ٢ ) انظر زاد المسير ( ١١٣ / ٢ ) والاثرواواه الطبرى ( ٤٨٥ / ٨ ) .

( ٣ ) وفى النكت والميون قال : " أجاب أهل العلم عنه بثلاثة أجوبة " :-

أحدها : أن ألم العذاب انما يصل الى الانسان الذى هو غسبر  
الجلد واللحم ، وانما يحرق الجلد ليصل الى الانسان  
ألم العذاب ، فأما الجلد واللحم فلا يألمان فسواء أعيد  
على الكافر جلده الذى كان عليه وجلد غيره .

٠٠/٠٠

والجواب الثاني : أنه تعاد تلك الجلود الأولى جديدة غير  
محترقة .

والجواب الثالث : أن الجلود المعادة إنما هي سراييلهم من قبل  
أن جعلت لهم لباساً فسطاها الله جلوداً .

وأنكر قائل هذا القول أن تكون الجلود تحترق وتعاد غير محترقة  
لأن في حال احتراقها إلى حال أعادتها فناءها ، وفي فنائها راحتها ،  
وقد أخبر الله تعالى أنهم لا يموتون ولا يخفف عنهم العذاب ( ٣٩٩/١ ) .

قلت : ويبدو لي أن القول الأول هو الأقرب للصواب وذلك لأن  
القول الثاني ينتفي فيه معنى التبديل الذي في قوله تعالى " بدلناهم  
جلوداً غيرهما ليدوقوا العذاب " .

وفي القول الثالث بانتقال من المعنى الحقيقي إلى المجازي ولا موجب  
لذلك . وإن جاز إطلاق الجلود على سراييل مجازاً كما في قول  
الشاعر :-

كسا اللوم تيماً خضرة في جلودها      فويل لتيم من سراييلها الخضير

وفى الخبر " يصير جلد الكافر فى النار أريمون ذراعا بمعنى غلظه  
وغرسه مثل جبل أحد وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام (١) .

وفى الأخبار " يكون عليه مائة جلد بين كل جلد من لون من المذاب (٢) له  
( ان الله كان عزيزا حكيما (٣) ) عزيزنا غالبا حكيما فيما دبر .

قوله ( والذين آمنوا وعطوا الصالحات سيدهم جنتهم تجري من  
تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة ) وقد ذكرنا  
معنى الجميع .

( وندخلهم ظلا ظليلة (٤) ) وهو الكن الذى يقى من الحر والبرد (٥) .

---

( ١ ) رواه الامام أحمد فى مسنده ( ٢٦ / ٢ ) عن مجاهد عن ابن عمر .

( ٢ ) رواه ابن كثير ( ٢٩٦ / ٢ ) وقال رواه ابن أبى حاتم .

( ٣ ) النساء آيه ٥٦ .

( ٤ ) النساء آيه ٥٧ .

( ٥ ) قال صاحب الكشاف " ظليلة " صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد

معناه كما يقال : ليل أليل . ويوم أبوم وما أشبه ذلك .

وهو ما كان فينا - أى طويلا متدا - لا جوب فيه - أى لا خرق  
ولا قطع فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجعا - أى متوسطا - لا حر  
فيه ولا برد . وليس ذلك الا ظل الجنة .

تفسير الكشاف ( ١ / ٥٢٣ ) .



قوله تعالى ( ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ) فيه

ثلاثة أقاويل :

أحدها أن المراد منه جميع الأمانات<sup>(١)</sup>.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : " يجاء بالذي خان في الأمانة يوم القيامة فيقال له رد الأمانة فيقول ذهب الدنيا أنى لى الأمانة فيمثل له الأمانة في النار ويقال له خذ الأمانة وردها فيأخذ الأمانة فيهبوى في النار ثم يعود ليأخذ فيهبوى فيها أبداً<sup>(٢)</sup> .

وفي الخبر أنه صلى الله عليه وسلم قال اد الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن

من خانك<sup>(٣)</sup> .

وروى عن ابن عباس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال " لا ايمان

لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له<sup>(٤)</sup> .

والقول الثاني أنه أراد به تفويض الأمر الى الولاة بالطاعة لهم<sup>(٥)</sup> .

والقول الثالث هو قول عامة المفسرين<sup>(٦)</sup> أن المراد منه رد مفاتيح الكعبة .

(١) هو قول أبي بن كعب والحسن وقتادة . النكت والمديون ( ١ / ٤٠٠ ) .

(٢) الدر المنثور ( ٢ / ١٧٥ ) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ( ٢ / ٤٦ ) وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وأبو داود من كتاب البيوع ، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده حد يث رقة ( ٣٥٣٥٠ ) .

والترمذي من كتاب البيوع باب رقم ( ٣٨ ) حد يث رقم ( ٢٦٤ ) ( ٣ / ٥٦٤ ) .  
والدارمي من كتاب البيوع ، باب في أد الأمانة واجتناب الخيانة ( ٢ / ٢٦٤ ) .

(٤) رواه الامام أحمد في مسنده ( ٣ / ١٢٥٠١٥٤٠١٥١ ) .

(٥) هذا قول شهر بن حوشب ومكحول وزيد بن أسلم .

النكت والمديون ( ١ / ٣٩٩ ) .

(٦) وهو قول مجاهد والزهرى وابن جريج ومقاتل وسعيد بن المسيب ومحمد بن

اسحاق . زاد المسير ( ٢ / ١١٤ ) والتفسير الكبير ( ١٠ / ١٤٢ ) .

وسبب نزول الآية ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة<sup>(١)</sup> وفتح الباب ودخل الكعبة فلما خرج قال العباس<sup>(٢)</sup> بأبي أنت وأمي يا رسول الله " اجمع لى بين السدانه والسقايسه فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدفع المفتاح اليه فنزل قولـــــــــــــــــه

( ١ ) عثمان بن طلحة بن أبى طلحة ، واسم أبى طلحة عبد الله بن عبد الصمى ابن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة القرشى المبدري الحنظلي .

أمه أم سعيد من بنى عمرو بن عوف .

هاجر عثمان بن طلحة الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى هدنة الهدى مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رأهم : " ألقى اليكم مكة أفلاز كبد ها " . أقام مع النبى - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة وشهد معه فتح مكة ، ودفع اليه مفتاح الكعبة يوم الفتح والى ابن عمه شيبه بن عثمان بن أبى طلحة توفى سنة اثنتين وأربعين وقيل انه استشهد يوم أجنادين .

أسد الغابه ( ٣ / ٥٧٨ - ٥٧٩ ) .

( ٢ ) عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يكنى أبا الفضل بابنه الفضل بن العباس .

وكان العباس أسن من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسنتين وقيل بثلاث سنين .

كان العباس رئيسا فى قريش ، واليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقايسة فى الجاهلية . كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يكرمه بعد اسلامه ويمظمه ويجله ويقول هذا عمى وصنو أبى .

توفى العباس بالمدينة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة خلت من رجب . وقيل بل من رمضان سنة اثنتين وثلاثين قبل قتل عثمان بسنتين وصلى عليه عثمان ودفن بالقيع .

الاستيعاب ( ٢ / ٨١٠ - ٨١٢ ) أسد الغابه ( ٣ / ١٦٤ - ١٦٧ ) .

تعالى " ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها " فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم - عثمان بن طلحة<sup>(١)</sup> ودفع اليه المفتاح وقال خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها عنكم الا ظالم وكان مع عثمان حياته فلما توفي دفعه الى أخيه شيبه<sup>(٢)</sup> فهو في بني شيبه الى قيام الساعة<sup>(٤)</sup>.

(١) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة واسمه عبد الله بن عبد المزي بن عثمان بن عبد الدار العبدي . حاجب البيت أمه أم سعيد بن الأوس .  
 قد أبوه طلحة وعمه عثمان بن أبي طلحة بأحد ثم أسلم عثمان بن طلحة في هدنة الحديبية وهاجر مع خالد بن الوليد وشهد الفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم - فأعطاه مفتاح الكعبة .  
 الاصابه (٢ / ٤٦٠) .

(٢) شيبه بن عثمان بن أبي طلحة عبد الله بن عبد المزي بن عثمان بن عبد الدار . أبو عثمان الحجد العبدي الحكى قتل أبوه يوم أحد كافرا وأسلم شيبه بعد الفتح .  
 بقى حتى أدرك يزيد بن معاوية وأوصى الى ابن الزبير وهو أبو صفية بنت شيبه . وكان ممن صبر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين .  
 تهذيب التهذيب (٤ / ٣٧٦ - ٣٧٧) .

(٣) قال ابن كثير : رواه ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبي ظالم عن ابن عباس (٢ / ٢٩٩) وهكذا قال السيوطى فى الدر المنثور (٢ / ١٧٤) والكلبى وأبو صالح ضعيفان لا يحتج بهما .

قال الشوكانى : " هذه الآيه من الأمهات المشتطه على كثير من أحكام الشرع لان الظاهر أن الخطاب يشمل جميع الناس فى جميع الأمانات . . . وورودها على سبب . . . لا ينافى ما فيها من العموم ، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر فى الأصول " .

ثم قال : " ومن قال بعموم هذا الخطاب الجراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبى بن كعب واختاره جمهور المفسرين " .  
 فتح القدير (١ / ٤٨٠) وراجع التفسير الكبير (١٠ / ١٤٣ - ١٤٤) .

(٤) قلت : ذكر المؤلف ثلاثة أقوال فى معنى الآيه والذى نراه أن القول الأول هو الأرجح نظرا لشموله للقولين الثانى والثالث .

( واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالمدل ) أى بالقسط ( ان الله  
يعلم يعظكم به ان الله كان سمياً بصيراً ) (١) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول  
وأولى الأمر منكم ) .

اختلفوا في أولى الأمر .

قال ابن عباس : (٢) وجابر وهو قول جماعة (٣) . هم العلماء والفقهاء  
وقال أبو هريرة (٤) هم الولاة والسلاطين (٥) .

(١) النساء آية ٥٨ .

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري  
السلمي يكنى أبا عبد الله ، وأبا عبد الرحمن ، وأبا محمد أقوال ، أحمد  
المكثري عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه جماعة من الصحابة ،  
وله ولأبيه صحبه .

مات جابر سنة ثمان وسبعين ، وقال علي بن المديني مات جابر بعد أن  
عمر فأوصى ألا يصل على الحجاج .

انظر أسد الغابة ( ٢١٩/١ - ٢٢٠ ) وانظر أسد الغابة ( ٣٠٨ - ٣٠٧ )  
وانظر الاستيعاب ( ٤٣٤/١ - ٤٣٦ ) .

(٣) مروان بن الحسن وعطاء وأبي العالبيه والنخعي والضالع ورواه خصيف عن  
مجاهد . النكت ( ٤٠١/١ ) .

(٤) أبو هريرة الدوسي ، صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأكثرهم  
حديثاً عنه . زاد المسير ( ١١٧/٢ ) .

اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً . وأسلم عام خيبر ، وشهد لها مع  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم لزمه وواظب عليه رغبة في العلم .

توفي سنة ثمان وخمسين وقيل تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة .  
أسد الغابة ( ٣١٨/٦ - ٣٢١ ) الاستيعاب ( ١٧٦٨/٤ - ١٧٧٢ ) .

(٥) وهو قول زيد بن أسلم والسدي وهقاتل وابن عباس في رواية .  
زاد المسير ( ١١٦/٢ ) .

وقيل<sup>(١)</sup> هم أمراء السرايا الذين بعثهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحروب .

وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال " من عصى أميري فقد عصاني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله !"<sup>(٢)</sup>

وقال عكرمة<sup>(٣)</sup> : أراد به أبا بكر وعمر<sup>(٤)</sup> . ( فان تنازعتم في شئ \* فردوه إلى الله والرسول ) .

---

( ١ ) هو قول ميمون بن مهران وهي رواية عن ابن عباس أيضا .  
الخازن ( ١ / ٥٥١ ) .

( ٢ ) رواه الامام البخارى في صحيحه من كتاب الاحكام ، باب قول الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ( ٨ / ١٠٤ ) والامام مسلم في صحيحه من كتاب الاماره ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية و تحريمها في المعصية ( ٦ / ١٣ ) والامام أحمد في مسنده ٢٥ / ٩٣ ، ٢٤٤ .

( ٣ ) عكرمة البربري أبو عبد الله المدني ، مولى ابن عباس ، أصله من البربر ، توفي سنة أربع ومائة من الهجرة بالمدينة .  
انظر تهذيب التهذيب ( ٧ / ٢٦٣ - ٢٧٣ ) .

( ٤ ) بيدولى وبالله التوفيق أن المراد بأولى الأمر هنا الحكام ، وطاعتهم إنما تكون في غير معصية الله ، فإذا أمروا بما يتنافى مع تعاليم الدين فلا سمع لهم على الأمة ولا طاعة .

قال : ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : هم الأمراء والولاة ، لصحة الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأمر بطاعة الأئمة والولاة فيما كان الله طاعة للمسلمين مصلحة ، ثم ذكر الاحاديث التي وردت في ذلك .

( ٨ / ٥٠٢ - ٥٠٤ ) .

التنازع هو التشاجر سمي تنازعا لأن كل واحد من الخصمين بحجة رأيه<sup>(١)</sup>  
وقوله " فردوه الى الله " يعنى الى الكتاب " والى الرسول " ان كان حيا  
والى سننه ان كان ميتا<sup>(٢)</sup> .

والرد فى الكتاب والسنة واجب مادام فى الحادثة شىء من الكتاب  
والسنه .

فان لم يكن فالسبيل فيه الاجتهاد<sup>(٣)</sup> .

وروى أن مسلمه بن عبد الملك<sup>(٤)</sup> قال لرجل انكم أمرتم أن  
تطيعونا فقال الرجل قد نزعها الله منكم حيث قال " فان تنازعتم فى شىء  
فردوه الى الله والرسول ، وقيل الرد الى الله والرسول وقد تنازعتم فقال سلمة  
أين الله فقال الكتاب وقالى أين الرسول فقال السنة<sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) المنازعة : المجازبة ، والنزاع : الجذب كأن كل واحد ينتزع حجة  
الآخر ويجذبها . والمراد الاختلاف والمجادلة .  
فتح القدير ( ١ / ٤٨١ ) .

( ٢ ) هذا قول الجمهور ومجاهد وقتادة .

( ٣ ) راجع التفسير الكبير ( ١٠ / ١٠٤٨-١٠٥٣ ) .

( ٤ ) مسلمه بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى ، أبو سعيد وأبوالأصغر .  
ذكره ابن سميع فى الطبقة الرابعة من تابعى أهل الشام .  
كان يلقب الجرادة الصفراء ، وله آثار كثيرة فى الحروب ومكانة فى الروم .  
ولاه أخوه يزيد امرة العراقيين ثم أرمينيه . وراثه الوليد بن عبد الملك  
لما مات .

مات سنة عشرين ومائة . وقيل سنة احدى وعشرين ومائة .

تهذيب التهذيب ( ١٠ / ١٤٤ ) .

( ٥ ) الأثر : رواه ابن جرير الطبرى ( ٨ / ٥٠٥ ) .

وقيل : (١) : الرد الى الله والرسول أن يقول الرجل فيما لا يدري الله  
ورسوله أعلم وهذا قول حسن .

( ان كنتم توءمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ) (٢)  
أى أحسن مآلاً وعاقبة .

قوله تعالى ( ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل  
اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكوا الى الطاغوت وقد أمروا أن  
يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ) (٣) فى الآية قولان :  
أحدهما : أنه فى جماعة من المنافقين منهم جلاس بن الصامت كانت  
لهم خصومة مع جماعة من المسلمين فقال المسلمون نتحاكم الى  
الرسول . وقال المنافقون نتحاكم الى الكهنة . (٤)

والقول الثانى : وهو الأصح أن رجلاً من اليهود خاصم رجلاً من المنافقين  
فقال لليهود نتحاكم الى أبى القاسم ان عرف أنه لا يأخذ  
الرشوة على الحكم فيحكم بالحق وقال المنافق نتحاكم الى كعب  
ابن الأشرف فتحاكما الى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم  
لليهود وكان الحكم له ( فقال المنافق لا أرضى بحكمه نتحاكم  
الى أبى بكر ) فتحاكما الى أبى بكر فحكم لليهودى بمثل ما حكم

( ١ ) هو قول الزجاج وجماعة . زاد المسير ( ١١٧ / ٢ ) .

( ٢ ) النساء آية ٥٩ .

( ٣ ) النساء آية ٦٠ .

( ٤ ) رواه ابن جرير ( ٥٠٨ / ٨ ) عن السدى .

( ٥ ) ما بين القوسين ساقط من ب .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ) ، فقال المنافق لا أرضى بحكمه نتحاكم الي  
 عمر فتحاكما الي عمر فقال عمر هل تحاكما الي أحد فقال اليهودى نعم الي  
 أبى القاسم والى أبى بكر وقد حكمانى وهو لا يرضى فقال عمر مكانكما حتى  
 أخرج اليكما فدخل البيت واشتمل على السيف ثم خرج وضرب عنق المنافق  
 فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت العاروق (١) (٢) .

قوله تعالى ( وإذا قيل لهم تعالوا الي ما أنزل الله والى الرسول  
 رأيتم المنافقين يصدون عنك صدوداً<sup>(٣)</sup> ) هو ما ذكرنا أن المنافقين دعوا  
 الي التحاكم الي الرسول فاعرضوا عنه وتحاكموا الي الطاغوت .

قوله تعالى ( فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ) قيل هذا  
 من المنافقين الذين تحاكموا الي الطاغوت . وقوله " أصابتهم مصيبة بما  
 قدمت أيديهم " قيل هو قتل عمر رضى الله عنه ذلك المنافق فانهم جاءوا  
 يطلبون دمه . (٤)

( ١ ) أخرجه ابن أبى حاتم والثعلبى من طرق عن ابن عباس .  
 وذكره الواحدى فى أسباب النزول ( ١٥٥ ) .  
 انظر تفسير الألوسى ( ٦٧/٥ ) .

( ٢ ) قال ابن كثير ( والآية أعم من ذلك كله فانها زامة لكل من عدل عمن  
 الكتاب والسنة وتحاكم الي ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت  
 هنا . . . ) .

انظر تفسير ابن كثير ( ٥١٩/١ ) .

( ٣ ) النساء آيه ٦١ .

( ٤ ) راجع زاد المسير ( ١٢١/٢ ) .



وقيل هو في جميع المنافقين <sup>(١)</sup> .

والحضية كل مضية تصيبهم في الدنيا والمقبى .

يقول الله تعالى فكيف الحال اذا أصابهم مضية مما قدمت أيديهم  
( ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا ) <sup>(٢)</sup> قيل <sup>(٣)</sup> هو  
احسان بعضهم الى بعض ، وقيل <sup>(٤)</sup> أرادوا بالا حسان تقريب الأمر من الحق  
لا القضاء على سر الحكم .

وأما التوفيق موافقة الحق .

وقيل هو التأليف والجمع بين الخصمين . ومعنى الآية أن المنافقين

يحلفون ما أردنا بالتحاكم الى غيرك الا احسانا وتوفيقا <sup>(٥)</sup> .

( ١ ) راجع النكت والميون ( ٤٠١ / ١ ) .

( ٢ ) النساء آية ٦٢ .

( ٣ ) راجع زاد المسير ( ١٢١ / ٢ ) .

( ٤ ) زاد المسير ( ١٢١ / ٢ ) .

( ٥ ) قلت : ان ما قاله هو " لا " المنافقون من أعذار بعد أن أصابتهم  
المصائب ، وانكشف امرهم بين المؤمنين ، وصاروا محل الأذراء لتحاكمهم  
الى الطاغوت ما قاله هو " لا " ليشبه ما يقوله منافقوا اليوم عندما يهربون  
من التحاكم الى شريعة الله الى التحاكم الى غيرها من شرائع الناس .  
فتراهم اذا ما أحبط بهم ، وعجزوا عن الدفاع عن أنفسهم ، اعتذروا  
بأنهم ما تركوا الحكم بشريعة الله الى غيرها الا بقصد الاحسان السيئ  
الصناعات ، والتوفيق بين مختلف الطوائف في المجتمع حتى لا يفضب  
من ليسوا مسلمين ، فلا شك أن هذه الاعذار لن تغني عنهم من عذاب  
الله شيئا لأنه لا عذر لمن يهجر شريعة الله ، ويهرع الى التحاكم الى  
غيرها .

وفي الآية قول آخر أنها في الحناقين خلفوا في المسجد النبوي  
بنوا ضرارا على ما هو مذكور في سورة التوبة وليحلفن ان اردنسا الا  
الحسنى (١).

قوله تعالى ( أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ) خلاف ما علمى  
السنتهم ( فأعرض عنهم وعظهم ) فان قال قائل كيف يتصور الجمع بين  
الأعراض والوعظ . وقد أمر الله تعالى بهما ٤ .

قيل : معناه فأعرض عن عقوبتهم وعظهم .

وقيل : معناه فأعرض عن عقوبة عذرهم وعظهم . (٢)

( وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ) (٣) .

القول البليغ هو : ما يبلغ الانسان بلسانه كنه ما في قلبه .

وقيل هو : التخويف بالله تعالى .

وقيل هو أن يقول ان رجعتم الى هذا فأمركم القتل (٤) .

( ١ ) التوبة آيه ١٠٧ .

( ٢ ) النكت والميون ( ٤٠٣ / ١ ) .

( ٣ ) النساء آيه ٦٣ .

( ٤ ) النكت والميون ( ٤٠٣ / ١ ) وراجع زاد المسير ( ١٢٢ / ٢ ) والتفسير

الكبير ( ١٠ / ١٦٣ - ١٦٤ ) .

قوله تعالى ( وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله ) .  
 قال أهل المعاني : قوله : " إلا ليطاع " كاف ( مستبد )<sup>(١)</sup> بنفسه ،  
 وقوله " باذن الله " كلام آخر ومعناه : يعلم الله وقضاء الله ، يمسنى ان  
 طاعته تنفع باذن الله<sup>(٢)</sup> .

( ولوأنهم ) يعنى المنافقين ( ان ظلموا أنفسهم ) يعنى بالتحاكم  
 الى الطاغوت ( جاؤوك فاستغفروا الله ) لأنهم ما جاءوا مستغفرين وانما جاءوا  
 معتذرين بالأعدار الكاذبه .

قوله " فاستغفروا الله " أى اسألوا مغفرة الله . ( ويستغفر لهم الرسول )  
 أى دعا لهم الرسول بالاستغفار .<sup>(٣)</sup> ( لوجدوا الله توابا رحيمًا )<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) فى ب " مقيد بنفسه " كذا .  
 ( ٢ ) تفسير البغوى ( ١ / ٥٤٤ ) .  
 ( ٣ ) قال الفخر الرازى : لقائل أن يقول : أليس لو استغفروا الله وتابوا  
 على وجه صحيح كانت توبتهم مقبولة ؟ - فما الفائدة فى ضم استغفار  
 الرسول الى استغفارهم ؟  
 قلنا : الجواب عنه من وجوه :-  
 الأول : أن ذلك التحاكم الى الطاغوت كان مخالفة لحكم الله ، وكان  
 أيضا اساءة الى الرسول - صلى الله عليه وسلم ، ومن كان  
 ذنبه كذلك وجب عليه الاعتذار عن ذلك لذنبه فهذا المعنى  
 وجب عليهم أن يطلبوا من الرسول ان يستغفر لهم .  
 الثانى : أن القوم لما لم يرضوا بحكم الرسول ، ظهر منهم ذلك التمرد ،  
 فاذا تابوا وجب عليهم أن يفعلوا ما يزيل عنهم ذلك التمرد ،  
 وما ذاك إلا بأن يذهبوا الى الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
 ويطلبوا منه الاستغفار .

الثالث : لعلهم اذا أتوا بالتوبة أتوا بها على وجه الخلل ، فساذا  
 انضم اليها استغفار الرسول صارت مستحقة للقبول .

التفسير الكبير ( ١٠٠ / ١٦٢ ) .

( ٤ ) النساء آية ٦٤ .

قوله تعالى : ( فلا وربك لا يؤمنون ) قوله فلا رد لقول المنافقين وعذرهم ثم ابتداء بقوله " وربك لا يؤمنون " ، والمراد به الايمان الكامل أى لا يكمل ايمانهم . ( حتى يحكموك فيما شجر بينهم ) أى اختلف (١).

والاشجار الاختلاف ، ومنه الشجر لالتفاف أعضائه بعضها على بعض . قال الشاعر (٢) :-

هم الحكام أرباب الندى وسراة الناس ان الأمر شجر  
أى اختلف .

(٣) (٤) (٥)  
( ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ) أى ضيقا ، ومنه العرجة .  
روى أن عمر رضى الله عنه قال لبعض العرب ما العرجة عندكم قال هى شجرة ملتفة لا يصل الماء اليها من ذلك قوله تعالى " يجعل صدره ضيقا حرجا " (٥)  
أى يضيق مسلكه بحيث لا تصل اليه الهداية .

(١) يقال شجر بينهم الأمر يشجر شجرا وشجورا اذا تنازعا فيه . وأصله التداخل والاختلاط ومنه شجر الكلام ، اذا دخل بعضه في بعض واختلط ، ومنه الشجر لتداخل أعضائه وقيل للمنازعة تشاجر ، لأن المتنازعين تختلف أقوالهم ، وتتعارض دعاويهم ويختلط بعضهم ببعض .

(٢) البيت نسيه صاحب فتح القدير لطرقه (١/٤٨٣) .

(٣) اصل العرج مجتمع الشئ ، ويقال للشجر الطتف الذى لا يكاد يوصل اليه حرج . ثم أطلق على ضيق الصدر لكراهته لشيء معين ، انظر الواحدى .

(٤) مجاز القرآن (١/١٣١) .

(٥) الأنعام آية ١٢٥ .

( ويسلموا تسليماً )<sup>(١)</sup> ومعنى الآية لا يكمل ايمانهم حتى يرضوا بحكمك وينقادوا لك .

قيل هذا أبلغ آية في كتاب الله تعالى في الوعيد .

واختلفوا في سبب نزول الآية .

قال عطاء ومجاهد الآية في المنافقين الذين تحاكموا الى الطاغوت<sup>(٢)</sup>

وقال عبد الله بن الزبير<sup>(٣)</sup> وعروة بن الزبير وجماعة الآية نزلت في رجل من الأ نصار يقال له حاطب بن أبى بلتمه<sup>(٤)</sup> وكان من أهل بدر خاصم الزبير ابن الموام<sup>(٥)</sup> في أرض عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام للزبير

(١) النساء آية ٦٥ .

(٢) تفسير الطبرى (١/٥٢٣) قال الحافظ في الفتح اسناده صحيح .

(٣) عبد الله بن الزبير بن الموام بن خويلد بن أسد بن عبد المعزى القرشى الأسمى ، يكنى أبا بكر وله كنية أخرى أبو خبيب .  
أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق - رضى الله تعالى عنها - وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة .

بويح بالخلافة سنة أربع وستين عقب موت يزيد بن معاوية ولم يتخلف عنه الا بعض أهل الشام .

قتله الحجاج في حرم مكة سنة ثلاث وسبعين .

الاصابة (٤/٨٩-٩٥) أسد الغابة (٣/٢٤٢-٢٤٥) .

(٤) حاطب بن أبى بلتمه اللخمي . من ولد لخم بن عدى في قول بعضهم .  
يكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد ، شهد بدر والحديبية ، ومات سنة ثلاثين بالمدينة ، وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عثمان .  
الاستيعاب (١/٣١٢-٣١٥) .

(٥) الزبير بن الموام بن خويلد بن أسد بن عبد المعزى بن قصي بن كلاب .  
أبو عبد الله القرشى الأسمى .  
أحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

هوارى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن عمته .  
قتل سنة ست وثلاثين بعد منصرفه من وقعة الجمل وله ست أو سبعة وستون سنة .

الاصابه (٢/٥٥٣-٥٥٧) أسد الغابة (٢/٢٤٩-٢٥٢) .



رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل نفسى لقتلت<sup>(١)</sup> .

وفى الخبر أن ابن مسعود ، وعمار بن ياسر<sup>(٢)</sup> وثابت بن قيس بن شماس من ذلك القليل<sup>(٣)</sup> .

(١) أخرج ابن جرير عن السدى قال " افتخر ثابت بن قيس بن شماس ورجل من اليهود ، فقال اليهودى : والله لقد كتب الله علينا القتل فقلنا أنفسنا . فقال ثابت : والله لو كتب علينا : " أن اقتلوا أنفسكم " لقتلنا . فأنزل الله هذه الآية (٥٢٨/٨) وانظر ابن كثير (٣٠٩/٢) .

(٢) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك المنسى . أبو اليقظان . صحابى جليل مشهور من السابقين الأولين . بدرى .

قتل بصفين مع على رضى الله عنه فى ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وثمان مائة . يوم قتل نيفا وتسعين . وقيل ثلاث وتسعين وقيل غير ذلك . أسد الغابة (١٢٩/٤-١٣٥) الاستمباب (١١٣٥-١١٤١) .

(٣) يشير بذلك الى الاثر الذى ذكرنا والى مارواه ابن كثير .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا ابى ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا بشر بن السرى ، حدثنا مصعب بن ثابت عن عمه ياسر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت : ( ولو أننا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قتلهم ) قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " لو نزلت لكان ابن أم عبد منهم " .

وفى الدر المنثور (١٨١/٢) ابن كثير (٣٠٩/٢) .

أخرج ابن أبى حاتم عن سفيان فى الآية قال قال النبى - صلى الله عليه وسلم - لو نزلت كان ابن أم عبد منهم " .

وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر يمتنى من أولئك القليل .

الدر المنثور (١٨٢/٢) .

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى عبد الله بن رواحة<sup>(١)</sup> فقال له أنت من ذلك القليل<sup>(٢)</sup>.

ويقراً "الا قليلا منهم"<sup>(٣)</sup> فمن قرأ بالرفع فلأنه معطوف على قوله ما فعلوه وذلك في محل الرفع وتقديره ما فعلوه الا نفر قليل منهم فعلوه .

ومن قرأ بالنصب فعلى الاستثنا . ( ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به )  
يعنى من طاعة الرسول والرضا لحكمه . ( لكان خموا لهم وأشد تهيئة<sup>(٤)</sup> ) أى تصديقا .

---

( ١ ) عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس الخزرجي الأنصاري الشاعر المشهور .

أحد السابقين . شهد بدرًا والشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا الفتح وما بعده فإنه كان قد قتل قبله . واستشهد بموته وكان ثالث الامراء بها في جمادى الأولى سنة ثمان - رحمه الله - ورضى عنه .

أسد الغابة ( ٢٣٤ / ٣ - ٢٣٨ ) الاصابه ( ٨٢ / ٤ - ٨٦ ) .

( ٢ ) قال ابن كثير حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليمان ، حدثنا اسماعيل بن عياش ، عن صفوان بن عمرو ، عن شريح بن عبيد قال : لما تلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : " ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلبوا أنفسهم ) . . . الآية ، أشار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده إلى عبد الله بن رواحة فقال : " لو أن الله كتب ذلك لكان هذا من أولئك القليل " - يعنى : ابن رواحة .

( ٣ ) قرأ الجمهور بالرفع ، وقرأ ابن عامر ، الا قليلا بالنصب .  
النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٤١ ) .

( ٤ ) النساء آية ٦٦ .



(وإذا أتيناهم من لدنا أجرًا عظيمًا<sup>(١)</sup>) هو الجنة . ( ولهدىناهم صراطًا مستقيمًا<sup>(٢)</sup> ) قيل هو القرآن ، وقيل الاسلام<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ) سبب نزول الآية ماروى أن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات الملى ونحن أسفل منك وكيف نراك فنزلت الآية<sup>(٤)</sup> . وذكر النقاش<sup>(٥)</sup> في تفسيره أن ذلك القائل

(١) النساء آيه ٦٧ .

(٢) النساء آيه ٦٨ .

(٣) يعنى ولأرشدناهم الى الصراط المستقيم الذى هو دىن الحق الاسلام ونظيره قوله تعالى " وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله " .

(٤) رواه ابن جرير الطبرى ونقله عنه ابن كثير ( ٣١٠ / ٢ ) وانظر أسباب النزول للواحدى ( ١٥٨ ) .

(٥) محمد بن الحسن بن محمد بن زياد بن هارون بن جعفر بن سندى الحقرى أبو بكر المعروف بالنقاش الموصلى الأصل ، البغدادى ، عالم بالقسرآن والتفسير .

صنف تفسيراً سماه " شفاء الصدور " .

ذكر عند طلحة بن محمد بن جعفر قال : كان يكذب فى الحديث والغالب عليه القصص ، وقال البرقانى : كل حديث النقاش مناكير ليس فى تفسيره حد يشصح .

وقال هبة الله الالكاشى الحافظ : تفسير النقاش اشفاء الصدور ليس بسىس بشفاء الصدور .

ولد سنة ست وستين ومائتين .

ومات فى بغداد يوم الثلاثاء سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .

طبقات المفسرين للداودى ( ١٣١-١٣٣ ) الوافى بالوفيات ( ٢ / ٣٤٥ =

٣٤٦ ) وفيات الأعيان ( ٤ / ٢٩٨ - ٢٩٩ ) .

كان عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري<sup>(١)</sup> ، وروى أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أحب إلى من أهلي ومالي وولدي ، وإذا غبت عني يصيني شبه الجنون حبا لك فكيف هالي معك في الجنة فنزلت الآية<sup>(٢)</sup> " فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين " . قيل ذلك بأن ينزل عليهم النبيون حتى يروههم لا أن يرفقوا إلى درجاتهم .

وقيل معناه أنهم لا يفوتهم روية النبيين ومجالستهم .<sup>(٣)</sup>

وقوله ( والصديقين ) يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .  
والصديق المبالغ في الصدق . ( والشهداء ) الذين استشهدوا يوم أحد<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ، أبو محمد المدني ، وقيل في نسبه غير ذلك . شهد العقبة وبدرًا والمشاهد ، وهو الذي أرى النداء للصلاة في النوم ، وكانت وفاته في السنة الأولى بعد بناء المسجد .  
تهذيب التهذيب ( ٢٢٣/٥ - ٢٢٤ ) .

( ٢ ) رواه ابن جرير في تفسيره ( ١٣٣/٥ ) وراجع تفسير ابن كثير ( ٢/٣١٠ - ٣١١ ) وانظر أسباب النزول ( ١٧٨ ) .

( ٣ ) قال الفخر الرازي : " وليس المراد يكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين . . . كون الكل في درجة واحدة ، لأن هذا يقتضي التسوية في درجته بين الفاضل والمفضول ، وأنه لا يجوز ، بسبب المراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من روية الآخر ، وان بعد المكان لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً . وإذا أرادوا الزيادة والتلاقي قدروا عليه . فهذا هو المراد من هذه المعية .

( ٤ ) لعل الأفضل أن يكون المراد بالشهداء كل شهيد استشهد في سبيل الله ، ومن أجل اعلاء دينه وشريعته .

واختلفوا أنهم لم سموا شهداء<sup>(١)</sup> قال بعضهم لأنهم قاموا  
 بشهادة الحق حتى قتلوا ، وقيل لأن أرواحهم تشهد الجنة عقيب القتل ،  
 ( والصالحون ) الصالح من استوت سريرته وعلانيته . ( وحسن أولئك  
 رفيقا<sup>(٢)</sup> ) الرفيق الواحد وهو بمعنى الجمع هاهنا<sup>(٢)</sup> . وحسن أولئك  
 رفيقا<sup>(٣)</sup> . ( ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما<sup>(٣)</sup> ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم ) أي عدتكم ، والحذر  
 ما يتق به من العدو<sup>(٤)</sup> نحو المدد والسلاح<sup>(٥)</sup> .

(١) النساء آية ٦٩ .

(٢) الرفيق هو المصاحب الذي يلزمك في عمر أو سفر . وسمى رفيقا لأنك  
 ترتفق به وتستعين بصحبته على قضاء مصالحك ، والرفق في اللفظة  
 معناه : لين الجانب ، ولطف المعاشرة .

(٣) النساء آية ٧٠ .

(٤) الحذر والحذر بمعنى واحد كالأثر والأثر ، يقال أخذ فلان حذره ، اذا  
 تيقظ واحترز مما يخشاه ويخافه من شر العدو .

(٥) قال القرطبي " هذا خطاب للمؤمنين المخلصين من أمة محمد صلى الله  
 عليه وسلم وأمر لهم بجهاد الكفار والخروج في سبيل الله وحمايصة  
 الشرع .

ووجه النظم والاتصال بما قيل أنه لما ذكر طاعة الله وطاعة  
 رسوله أمر أهل الطاعة بالقيام بأحياء دينه وأغلاء دعوته . وأمرهم  
 ألا يقتحموا على عدوهم حتى يتحسسوا إلى ما عندهم ويعلموا كيف  
 يردون عليهم فذلك أثبت لهم فقال " خذوا حذرکم " فعلمهم مباشرة  
 الحروب ، ولا ينافي هذا التوكل بل هو عين التوكل .

تفسير القرطبي ( ٢٧٣ / ٥ ) .

( فانفروا ثبات ) جمع شبه .

قال ابن عباس : الثبة ما فوق العشر .

وقال أبو عمرو بن العلاء<sup>(١)</sup> : الثبة النفر ، ومعناه انفروا جماعات نفرا

نفرا .

( أو انفروا جميعاً<sup>(٢)</sup> ) وهذا دليل على أن الجهاد فرض على الكفاية<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن عمرو بن خزاعي بن مالك بن مازن بن عمرو بن تميم التميمي المازني النحوي البصري المقرئ . أحد الأئمة القراء السبعة .

قال أبو بكر بن مجاهد : كان أبو عمرو مقدما في عصره عالما بالقراءة ووجهها قدوة في العلم واللغة امام الناس في العربية . مات سنة أربع وخمسين ومائة . وقيل مات سنة سبع وخمسين . تهذيب التهذيب ( ١٢ / ١٧٨ - ١٨٠ ) .

( ٢ ) النساء آية ٧١ .

( ٣ ) لانوى أن الآية دليل على أن الجهاد فرض كفاية لأن الآية الكريمة تأمر المؤمنين بأن يكونوا دائما على حذر من أعدائهم .

وأنهم عند قتالهم لأعدائهم يسلكون أفضل الطرق التي توصلهم للنصر بأن ينفروا ثبات أو جميعا حسب ما تقتضيه المصلحة ، فالمقصود من الآية أن يستعمل المسلمون في قتالهم السبل التي توصلهم الى النصر .

ومن المعروف في الفقه أن الجهاد تارة يكون فرض كفاية ، وتارة يكون فرض عين كأن يداهم العدو بلاد المسلمين .

وقيل ان الآية صارت منسوخة لقوله تعالى " وما كان المؤمنون  
لينفروا كافة (٢) (٣) .

قوله تعالى " وان منكم لمن ليبطئن ( أى ليتأخرن ، والبطو  
التأخر ) (٤) .

وقيل هذا فى عبدالله بن أبى بن سلول (٥) . ( فان أصابتكم مصيبة )  
يعنى بالقتل والجرح فى الجهاد ( قال قد أنعم الله عليّ ان لم أكن  
مهم شهيداً (٦) ) أى حاضرًا .

---

( ١ ) لا نرى موجب للنسخ فان الآية - كما قلنا - تأمر المسلمين فى كل  
زمان ومكان أن يأخذوا الحذر من أعدائهم وأن ينفروا لقتالهم على  
حسب ما تقتضيه المصلحة .

( ٢ ) التوبة آيه ١٢٢ .

( ٣ ) ساقاة من ب .

( ٤ ) من " بظاً " بالتشديد بمعنى أبطأ فهو فعل لازم ، وقد يستعمل أبطأ  
وبظاً بالتشديد ممد بين ، وعليه يكون المفصول هنا محذوف أى  
ليبطئن غيره ويشبطه عن الخروج للجهاد فى مسبيل الله .

( ٥ ) انظر تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣١٣ ) .

( ٦ ) النساء آيه ٧٢ .

( ولئن أصابكم فضل من الله ) أى الضئيمة ( ليقولن ) بنصب الام ،  
ويقرأ<sup>(١)</sup> فى الشواذ برفع الام والمعنى واحد ( كأن لم يكن بينكم وبينه مودة )  
قيل فى الآية تقديم وتأخير وتقديره<sup>(٢)</sup> فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله  
على ان لم أكن معهم شهيدا كأن لم يكن بينكم وبينه موده " أى معاقده  
ومعاهدته على الجهاد<sup>(٣)</sup> .

وقيل أراد به مودة الصديه ثم ابتداء " ولئن أصابكم فضل من الله  
ليقولن " ( ياليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما )<sup>(٤)</sup> .

قوله تعالى ( فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا )  
أى يبيعون ( بالآخرة من يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف يوفيه  
أجرا عظيما )<sup>(٥)</sup> وهو معنى قوله فى سورة التوبة " فيقتلون ويقتلون " <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) هى قراءة الحسن . المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات ( ١ / ١٩٢ ) .

( ٢ ) انظر زاد المسير ( ٢ / ١٣١ ) .

( ٣ ) ويمكن أن لا يكون فى الآية تقديم وتأخير ويكون قوله :-

" كأن لم تكن بينكم وبينه موده " جملة معترضة بين فعل القول  
الذى هو " ليقولن " وبين المقول الذى هو " ياليتنى كنت معهم " ،  
وقد جرى بها على سبيل التهكم والسخرية والتعجب من حسال  
المنافقين .

( ٤ ) النساء آية ٧٣ .

( ٥ ) النساء آية ٧٤ .

( ٦ ) التوبة آية ١١١ .

قوله تعالى ( وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ) عتب على أصحاب رسول الله بترك ( القتال ) " والمستضعفين " وهم الذين أسلموا بعكسه وسكنوا بأغوار<sup>(١)</sup> وبمضهم منعوا من الهجره<sup>(٢)</sup> .

قال ابن عباس : كنت أنا وأمي من المستضعفين<sup>(٣)</sup> .

قال الأزهري معنى الآية لا يقاتلون في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين بتخليصهم من أذى المشركين ( من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية ) وهي مكة باتفاق المفسرين

---

( ١ ) ساقطة من أ .

( ٢ ) انظر تفسير الطبري ( ٨ / ٥٤٣ - ٥٤٦ ) .

( ٣ ) رواه البخاري من صحيحه من كتاب التفسير ، سورة النساء ( ١٤ )

قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله ( ٥ / ١٨١ ) .

قلت : ولعل ابن عباس يقصد بقوله هذا أنه عندما هاجر

المسلمون الى المدينة كان في سن صغيره فمن المعروف أن ابن عباس

ولد قبل الهجره .

( الظالم أهلها ) أى المشرك أهلها . ( واجعل لنا من لدنك وليا ) أى من يلي أمرنا ( واجعل لنا من لدنك نصيراً )<sup>(١)</sup> أى من يمتنع العدو عنا . فاستجاب الله دعوتهم حتى فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وولى عليها عتاب بن أسيد<sup>(٢)</sup> فكان منصف ومنتصف من الظالم .

قوله تعالى ( الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت ) قد معنا معنى الطاغوت<sup>(٣)</sup> ( فقاتلوا أولياء الشيطان ) أى الكفار ( ان كيد الشيطان كان ضعيفاً )<sup>(٤)</sup> قيل كان ضعيفاً بمعنى أنسه لا يود أحداً عن الاسلام والهداية .

وقيل أراد به أن كيد ه ضعيفاً يوم بدر حين رأى الملائكة وخاف أن يأخذه فهرب . فكيد ه ضعيف بأحد هذين المعنيين .

( ١ ) النساء آيه ٧٥ .

( ٢ ) عتاب بالتشديد بن أسيد بفتح أوله ابن أبى العيص - بكسر الميم - ابن أمية الاموى أبو عبد الرحمن أو أبو محمد المكى له صحبة وكان أمير مكة فى عهد النبى - صلى الله عليه وسلم - ومات فى يوم مات أبو بكر الصديق فيما ذكر الواقدى وقيل غير ذلك وكان رجلاً صالحاً خيراً فاضلاً - رضى الله تعالى عنه - لكن ذكر الطبرى : أنه كان عاملاً على مكة لعمرو سنة احدى وعشرين .

الاستيعاب ( ٣ / ١٠٢٣ - ١٠٢٤ ) أسد الغابة ( ٣ / ٦٥٦ - ٥٥٧ )

تاريخ الطبرى ( ٣ / ٤٧٩ - ٩٥٧ و ٦٢٣ ) .

( ٣ ) راجع تفسيره للآيه ( ٥١ ) من نفس السوره .

( ٤ ) النساء آيه ٧٦ .



قوله تعالى ( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ) قيل هذا<sup>(١)</sup>  
في قوم أسلموا بحكمه فأذا هم المشركون فقالوا يا رسول الله ايدن لنا نقاتلهم ،  
فقال لهم كفوا أيديكم<sup>(٢)</sup> .

( وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ) فاني لم أومر بالقتال ثم اتهم لصا  
هاجر الى المدينة وأمر بالقتال فكرهوا القتال .

قيل<sup>(٣)</sup> : أولئك الذين أسلموا وقالوا ذلك ، منهم عبد الرحمن بن عوف

---

( ١ ) ذكره ابن عباس وعكرمة وقتادة والسدي ومقاتل .

النكت والمعيون ( ٤٠٦ / ١ ) زاد المسير ( ١٣٤ / ٢ ) .

( ٢ ) ذكره الواحدى في أسباب النزول عن الكلبى .

وروى ابن جرير ( ٥٤٩ / ١ ) عن ابن عباس ان عبد الرحمن بن عوف  
وأصحابا له أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا يا رسول الله كنا في  
غرو نحن مشركون فلما أمنا صرنا أذلة . فقال انى أمرت بالدفوف فلا  
تقاتلوا ، فلما حوله الله الى المدينة أمر بالقتال فكفوا ، فأنزل الله  
تبارك وتعالى ( ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ) الآية .  
واسناده جيد ورواه الحاكم في المستدرک مع اختلاف في لفظه ،  
وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخارى ، ولم يخرجاه ، ووافقه  
الذهبي .

( ٣ ) انظر تفسير البغوى ( ٥٦٠ / ١ ) .

وسعد بن أبي وقاص وقدامة بن مظعون<sup>(١)</sup> والمقداد بن الأسود الكنسدي  
وجماعة ( فلما كتب عليهم القتال ) يعنى الهجرة ( اذا فريق منهم  
يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ) أى يخشون الناس كخشيتهم  
من الله أو أشد خشية .

قال الحسن البصرى : ما كانوا يخشون أمر الله بالقتال وإنما ذلك  
خشية طبع البشرية<sup>(٢)</sup> وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لو أخرجتنا إلى أجل  
قريب ( أى هلا أخرجتنا إلى أجل قريب فنموت بآجالنا .

وقيل<sup>(٣)</sup> هذا قول المنافقين .

وقيل كان ذلك قول بعض أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم ،

قالوا ذلك خوفاً وحقاً لا اعتقاداً .

---

( ١ ) سعد بن مالك بن أهيب ويقال له وهيب بن عبد مناف بن زهره بن كلاب  
القرشى الزهرى أبو اسحاق بن أبي وقاص أحد العشرة وآخرهم موتاً .  
وهو أول من رضى بسهم فى سبيل الله . وهو أحد الستة أهل الشورى  
وكان مجاب الدعوة مشهوراً بذلك .  
مات سنة احدى وخمسين وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان والثانى أشهر .  
الاصابه ( ٢ / ٣٣-٣٤ ) .

( ٢ ) قدامة بن مضمون بن حبيب بن وهيب بن حذافة بن جمح القرشى الجمحى  
يكنى أبا عمرو وقيل أبو عمر والأول أشهر وأكثر .  
هاجر إلى أرض الحبشة مع أخويه عثمان بن مضمون وعبد الله بن مضمون  
ثم شهد بدرًا وسائر المشاهد .  
توفى سنة ست وثلاثين وهو ابن ثمان وستين سنة .  
الاستيعاب ( ٣ / ٢٧٧-٢٧٩ ) .

( ٣ ) النكت والمديون ( ١ / ٤٠٦ ) .

( ٤ ) زاد المسير ( ٢ / ١٣٤ ) .

وقال بعضهم هو قول طلحة بن عبد الله<sup>(١)</sup> ، قال ذلك خوفا ثم تاب عنه<sup>(٢)</sup>  
 ( قل متاع الدنيا قليل ) يعنى أن ما تستمتعون به من الدنيا فهو قليل .

( ١ ) طلحة بن عبد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة  
 ابن كعب بن لؤي بن غالب بن قهر بن مالك بن النضر بن كنانة  
 أبو محمد ، القرظي التيمي يعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض ، وهو  
 من السابقين الأولين الى الاسلام .  
 أحد العشرة المشهود لهم بالجنة . وأحد أصحاب الشورى .  
 مات سنة ست وثلاثين وكان عمره ستين سنة . وقيل اثنان وستون سنة .  
 وقيل أربع وستون سنة .  
 أسد الغابة ( ٣ / ٨٥ - ٨٩ ) .

( ٢ ) قال الامام الرازي في تفسيره : " الأولى حمل الآية على المنافقين  
 لأنه سبحانه ذكر بعد هذه الآية قوله " وأن تصيبهم حسنة يقولوا هذه  
 من عند الله ، وان تصيبهم سيئة يقولوا هذا من عندك " ولا شك  
 أن هذا من كلام المنافقين فاذا كانت هذه الآية معطوفة على الآية  
 التي نحن في تفسيرها ثم المعطوف في المنافقين وجب أن يكسبون  
 المعطوف عليهم فيهم أيضا " .  
 التفسير الكبير ( ١٠ / ١٨٥ ) .

ونضيف الى ما ذكره الامام الرازي التأمل في سياق الآيات السابقة  
 واللاحقة براه واضحة في شأن المنافقين ، ومن هم على شاكلتهم ممن  
 ضموا الايمان ، الذين أدى بهم ضعيف نفوسهم ، وحبهم للدنيا الى  
 كراهة القتال ، والخوف من تكاليفه فنحن اذا قرأنا الآيات التي قبل  
 هذه الآية نراها نتحدث عن ارادة تحاكمهم الى الطاغوت مع زعمهم  
 الايمان بما أنزل الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - وبما أنزل على الرسول  
 من قبله ونراها نتحدث عن تباطؤهم عن القتال وفرحهم كنجائهم ممن

٠٠/٠٠

مخاطرة .

ثم اذا قرأنا الآيات التي ستأتى بعد هذه الآية نراها تتحدث عن نسبتهم الحسنه الى الله ، ونسبتهم السيئه الى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وعن اذاعتهم لاسرار المؤمنين الخ . فثبت أن الآية الكريمة تتحدث عن صفات المنافقين ، وعن هم قريبوا الشبه بهم من ضمايف الايمان الذين أخذوا الى الراحة ، وأثروا المقود في بيوتهم على القتال من أجل اعلاء كلمة الله ، ودفع الظلم عن المظلومين ، ونضيف أيضا الى القول الأول الذي ذكره الامام السمعاني وهو أن الآية نزلت في المؤمنين غير صحيح لأسياب من أهمها :-

- ١ - أن الرواية التي ذكرها السمعاني وهي أن الآية نزلت في عبد الرحمن ابن عوف والمقداد وقدامة بن مضمون . . . الخ . هذه الرواية يبدو عليها الضعف وهي من رواية الكلبي وقد عرف عنه عدم التثبت في النقل وهي لم ترد في كتب الحد يث الموثوق بها .
- ٢ - أن المؤمنين لم يمهد عنهم ما ذكرت الآية من خوف من القتال ومن ثم لمدم حضوره وانما المصهود عنهم أنهم كانوا يبادرون اليه كلما اقتضت الضرورة ذلك ويتسابقون لخوض ساحته دفاعا عن دينهم ، وانتصارا ممن بفسى عليهم .

ولقد قال المقداد بن عمرو للرسول - صلى الله عليه وسلم - في غزوة بدر يا رسول الله افض لنا أمرك الله فنحن معك . والله لانقول لك

٠٠/٠٠

---

 .. / ..

كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ، ولكن  
 نقول لك اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون . فهو الذى يفتكك  
 بالحق لو سرت بنا الى برك الضماد لجالدنا معك من دونه حتى نبلغه .

هذا ولقد قال الامام القرطبي عند تفسيره للآية الكريمة " معان الله  
 أن يصدر هذا القول من صحابي كريم ، يعلم أن الآجال محدودة ، والارزاق  
 مقصومه ، بل كانوا لأوامر الله معتلين سامعين طائعين ، يرون الوصول الى  
 الدار الآجلة خيرا من المقام فى الدار المأجلة على ما هو المعروف من  
 سيوتهم - رضى الله عنهم - اللهم أن يكون قائله ممن لم يوشح فى الايمان  
 قدمه ، ولا أنشرح بالاسلام جنباه فان أهل الايمان متفاضلون فمنهم الكامل  
 ومنهم الناقص ، وهو الذى تنفغر نفسه عما تومر به فيما تلحقه فيه المشقة  
 وتدركه فيه الشدة " .

تفسير القرطبي ( ٢٨١ / ٥ ) .

وفي الخبر المعروف \* ما الدنيا في الآخرة الا كما يفسس أحدكم  
المخيط في البحر ظمئظر ثم يرجع .<sup>(١)</sup>

( والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً )<sup>(٢)</sup> أى لا ينقص من  
أجرهم شيئاً ولا مقدار الفتيل .

قوله تعالى ( أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة )  
معناه أينما كنتم يأتكم الموت وان كنتم في بروج مشيدة ، والبروج الحصون .<sup>(٣)</sup>

قال السدى وهي قصور بيض في السماء .

قوله " مشيدة " قال ابن عباس في القول المعروف هي المعروفنة  
الظولة .

وقال عكرمة : المشيدة المجصصة والشيد الجن .

وقال بعضهم<sup>(٤)</sup> المشيد المجصص ، والمشيدة المرفوعة وفيه قول آخر عن  
ابن عباس أنه أراد في بروج من جديد .<sup>(٥)</sup>

---

(١) الخديث موجود في تفسير البغوى والخازن (١/٥٦٠-٥٦١) عن  
المستورد بن شداد .

(٢) النساء آية ٧ .

(٣) البروج : جمع بروج وهو الحصن المنيع الذى هو نهاية ما يصل اليه النشر  
في التحصن والمنعة ، وأصل التبرج من التبرج وهو الظهور .

يقال تبرجت المرأة اذا أظهرت محاسنها والمراد بها الحصون والقلاع  
الشاهقة المنيعه .

انظر التكت والميون (١/٤٠٦) ومجاز القرآن (١/١٣٢) .

(٤) انظر : التكت والميون (١/٤٠٦) .

(٥) انظر تفسير الطبرى (٨/٥٥٤-٥٥٥) ومعاني القرآن للفراء (١/٢٧٧) .

( وان تصيبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصيبهم سيئة

( ١ )

يقولوا هذه من عندك ) فالحسنة الخصب ، والسيئة الجذب .

وقيل (٢) الحسنة النصر والظفر يوم بدر والسيئة الهزيمة والقتل بسوم

أحد .

ومعنى الآية أن المسلمين اذا أصابتهم حسنة فقال الكفار هذا من عند

الله وان أصابتهم سيئة قالوا هذا من عندك أي يسوعك ، وذلك أن النبي

صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة أصاب أهلها نوع سوء فقالت اليهود

ما رأينا أشأم من هذا الرجل منذ دخل دارنا قد غلت أسمارنا ونقصت

شمارنا (٣) وذلك بليّة للمسلمين وهذا نحو ما قالوا لصالح عليه السلام " اطيرنا بك

ويمن معك (٤) ، وفق قصة موسى تطيروا بموسى ومن معه (٥) ، وفق سورة يس

" انا تطيرنا بكم (٦) . ( قل كان من عند الله ) أي الخصب والجذب والنصر

والهزيمة كل من عند الله . فقال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حد يثنا (٧)

أي ما لهم ولا يعلمون حد يثنا ، والحد يث القرآن ما هنا أي لا يعلمون معانسي

القرآن .

( ١ ) قول لابن عباس وقتاده . النكت والميون ( ٤٠٧ / ١ ) .

( ٢ ) ذكره الحسن وابن زيد . النكت والميون ( ٤٠٧ / ١ ) .  
قلت : الأولى أن يكون معنى " ما أصابك من حسنة " أي من نعمة  
وأمر حسنة تفرح بها .

( ٣ ) تفسير القرطبي ( ٢٨٤ / ٥ ) .

( ٤ ) الذحل آيه ٤٧ .

( ٥ ) الاعراف آيه ٣١ .

( ٦ ) آيه ١٨ .

( ٧ ) النساء آيه ٧٨ .

قوله تعالى ( ما أصابك من حسنة فمن الله ) يعنى ما أصابك من خصب  
 فمن فضل الله . ( وما أصابك من سيئة ) أى من جذب ( فمن نفسك )  
 أى بذنبك . والخطاب وان كان مع الرسول فالمراد به الأمة <sup>(١)</sup> وذلك معنى  
 قوله تعالى " وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم <sup>(٢)</sup> وقيل <sup>(٣)</sup> معناه  
 وما أصابك من حسنة أيها الانسان فمن الله . " وما أصابك من سيئة فمن  
 نفسك فيكون الخطاب مع كل من أحد من الناس .

وقيل <sup>(٤)</sup> معناه ما أصابك من حسنة أى من النصر والظفر فمن فضل الله  
 وما أصابك من سيئة أى من هزيمة وقتل يوم أحد فمن نفسك أى بذنب نفسك  
 من مخالفة النهى صلى الله عليه وسلم كما سبق .

فان قيل كيف وجه الجمع بين الآيتين فان قد قال فى الآية الأولى  
 " قل كل من عند الله " قيل معنى الآية الأولى ان الخصب والجذب والنصر  
 والهزيمة كلها تقع من عند الله .

ومعنى الآية الثانية " وما أصابك من سيئة فمن نفسك أى ما أصابك  
 من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك .

( ١ ) ذكره الزجاج . النكت والعيون ( ١ / ٤٠٧ ) .

( ٢ ) الشورى آية ٣٠ .

( ٣ ) ذكره قتادة . النكت والميوس ( ١ / ٤٠٧ ) .

( ٤ ) هو قول ابن عباس والحسن . زاد المسير ( ٢ / ١٣٨ ) .



وأعلم أنه ليس في الآية متملق لأهل القدر أصلاً فان الآية فيما يصيب  
الناس من النعم والمحن لا في الطاعات والمعاصي ان لو كان المراد ملتوهموا  
لقال ما أصيبت من حسنة فمن الله وما أصيبت من سيئة فلما قال " ما أصابك  
من حسنة وما أصابك من سيئة دل أنه أراد ما يصيب العباد من النعم والمحن  
لا في الطاعات والمعاصي .

وحكى عبد الوهاب بن مجاهد (١) عن مجاهد ان ابن عباس قرأ وما أصابك  
من سيئة فمن نفسك وأنت كتبتها عليك .

وكذا حكى عن ابن مسعود أنه قرأ كذلك وهو معروف عن ابن عباس  
وهو يؤيد قولنا أن المراد بذنب نفسك (٢) .

(١) عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي مولى عبد الوهاب بن السائب  
المخزومي .

كذبه سفیان الثوري .

وقال وكيع : كانوا يقولون أنه لم يسمع من أبيه .

وقال أحمد : ليس بشيء \* ضميف الحدِيث .

وقال النسائي : ليس بشيء ولا يكتب حديثه .

وقال الدارقطني : ليس بشيء \* ضميف .

وقال الأزدي : لا يحل الرواية عنه .

وقال ابن سعد : كان ضميفاً في الحديث .

وقال الحاكم : روى أحاديث موضوعة .

وقال ابن الجوزي : اجتمعوا على ترك حديثه .

تهذيب التهذيب (٤٥٣/٦) .

(٢) قال بعض العلماء : والتوفيق بين قوله تعالى " ما أصابك من حسنة " و  
بين قوله قيل ذلك : " قل كل من عند الله " هو أن قوله  
" قل كل من عند الله " كان موضوعه الكلام في تقدير  
الله . فهم ان انتصر المؤمنون لا ينسبون للنبي صلى الله عليه  
وسلم أي فضل بل يجردونه من الفضل ويقولون هو من عند الله ،

.../...

وما قصدوا التفويض والايمان بالقدر بل قصدوا الغض من مقام النبوة .

فان كان هناك خير نسبوه الى الله وان كان مايسوء نسبوه المسمى  
النبي صلى الله عليه وسلم ايذاً وتمرداً . قاله تعالى - قال لهم :  
" قد كل من عند الله " ، أى كل ذلك بتقدير الله وارادته .

أما قوله " وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، فموضوعه اتخاذ الاسباب ،  
ومعناه : أن من أخذ بالاسباب وتوكل على الله قاله تعالى يعطيه  
النتائج ، ومن لا يتخذ الاسباب أو يخالف المنهاج السليم الموصل الى  
الثمره فانه سيناله ما يسوءه وبسبب منه فالأولى : لبيان القدر ، والثانى  
لبيان العمل .

تفسير الآيه الكريمة لفضيلة الشيخ / محمد أبو زهره بمجلة لسبوا

الاسلام المردد ١١ السنة الخامسة عشره .

وفى الآية قول آخر أن القول ضمير فيه وتقديره "فما ليهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثنا" يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك" فيقول حكاية لقول الكفار . ( وما أرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا )<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( من يطع الرسول فقد أطاع الله ) وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال " من أطاعنى فقد أطاع الله تعالى ، ومن أحنى فقد أحب الله فقالت اليهود ان هذا الرجل يريد أن تتخذة ربا وحببا ، كما أتخذت النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله تعالى هذه الآية<sup>(٢)</sup> على وفاق قول الرسول ( ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيفا )<sup>(٣)</sup> أى كل امرأة .

قوله تعالى ( ويقولون طاعة ) يعنى المنافقين يقولون باللسان مرنا فإن أمرك طاعة . ( فاذا برزوا من عندك بيمن طائفة . . . الخ ) أى خرجوا ( بيت طائفة منهم غير الذى تقول ) قال أبو ذر من بيست أى ألف .

---

( ١ ) النساء آية ٧٩ .

( ٢ ) قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " من أطاعنى فقد أطاع الله تعالى " رواه البخارى ( ٩٩ / ١٣ ) ، ومسلم ( ١٤٦٦ / ٣ ) عن أبي هريرة - رضى الله عنه - .

( ٣ ) تفسير الألوسى ( ٩١ / ٥ ) وزاد المسير ( ١٤١ / ٢ ) .

( ٤ ) النساء آية ٨٠ .

وقال غيره<sup>(١)</sup> بيت أى يدل ، والأصح أنه من التبييت وهو فصل  
الشيء ليلاً .

يقال هذا أمر بيت ليلاً فُعل أى فعل بالليل ويجوز أن يقال لما فعل  
بالنهار تبيننا لأن الفعل بالليل إنما سحر تبيننا لأن الانسان بالليل يكون  
أفزع ، تقدير أمره فعلى هذا المصنف يجوز أن يقال لما فعل بالنهار  
تبقنا قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

بيتوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحوا على ضوضا

ومعنى قوله " بيت طائفة منهم غير الذى تقول " أى خالفوا بالليل  
ما قالوا بالنهار .

( والله يكتب ما يبيتون ) أى يحصى ويحفظ ليجازى طيه وقيل يأمر الكتبه  
حتى يكتبوا . ( فأعرض عنهم ) قال الضحاك معناه : لا تخبر بأسمائهم ،  
وكان عليه السلام يصرى المنافقين وما كان يخبر بأسمائهم . ( وتوكل على  
الله وكفى بالله وكيلاً )<sup>(٣)</sup> أى اتخذه وكيلاً .

---

( ١ ) زاد المسير ( ١٤٣ / ٢ ) فتح القدير ( ٤٩٠ / ١ ) .

( ٢ ) البيت للحارث بن جلز .

وهو فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات صفحته ( ٤٥٢ ) وفسر

غريب القرآن ( ١٣١ / ) .

( ٣ ) النساء آيه ٨١ .

قوله تعالى ( أفلا يتدبرون القرآن ) التدبر النظر في الأمر الى

آخره ، وهو من دبر الشيء آخره .<sup>(١)</sup>

وفي الخبر من أشراط الساعة ولا يأتيون الصلاة الا دبراً<sup>(٢)</sup> أي أخراً .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم " لا تدابروا أي لا يولي بعضكم ظهره الى

بمعنى عداوة .<sup>(٣)</sup>

فقوله " أفلا يتدبرون القرآن " أي أفلا يتفكرون في القرآن .

( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً )<sup>(٤)</sup> .

قال ابن عباس : ليس في القرآن تناقض ولا تفاوت .<sup>(٥)</sup> فهذا معنى

الآية .

---

(١) قال الزمخشري " يتدبرون " من التدبر " وتدبر الأمر تأمله والنظر فسي أدباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ، ثم استعمل في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه .

وقال ابن الجوزي " أفلا يتدبرون القرآن " .  
قال الزجاج : " التدبر " النظر في عاقبة الشئ " والدبر " النحل :  
سمى دبراً ، لأنه تمقب ما ينتفع به . " والدبر " : المال الكثير  
سمى دبراً لكثرتة ، لأنه يبقى لأعقاب ، والأدبار " .  
زاد المسير (١٤٤/٢) .

(٢) لم أجده بهذا اللفظ .

(٣) في جمع الجوامع (١/٨٨٥) قال : رواه الطبراني عن أبي أيوب  
" لا تدابروا أو لا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا هجرة المؤمنين  
ثلاثاً فان تكلموا والا أعرض الله عز وجل عنهم حتى يتكلموا " .

(٤) النساء آية ٨٢ .

(٥) انظر تفسير البيهقي (١/٥٦٤) وزاد المسير (١٤٤/٢) .

وقال الزجاج : ما أخيز عن الغيب فلكه صدق ليس بعضه صدقاً  
وبعضه كذبا .

وقيل<sup>(١)</sup> معناه ان كله بليغ صحيح ليس فيه مردول ولا فاسد<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف اذاعوا به ) يعنى  
المنافقين اذا جاءهم أمر وخير من أمر السرايا الذين بعثهم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فان كان بالأمن والنصر كتموا وقصروا فى الاخبار . وان كسبوا  
بالخوف والهزيمة اذاعوا به وزادوا<sup>(٣)</sup> .

وفى الآية اخبارا وتقديرها واذا جاءهم أمر من الأمن قصروا فى  
الأخبار به وكتموا واذا جاءهم من الخوف اذاعوا به .

---

( ١ ) نحو قول بعض البصريين . التكت ١ / ٤٠٩ .

( ٢ ) قلت : المراد بالاختلاف تباين النظم وتناقض الحقائق وتعارض الأخبار  
وتضارب المعانى وغير ذلك مما خلا منه القرآن الكريم لأنه يتنافى مع  
بلاغته وصدقه .

( ٣ ) قال الأئوسى : " والكلام مسوق لبيان جنائىة أخرى من جنائيات المنافقين  
أو لبيان جنائىة الضعفاء أثريبيان جنائىة المنافقين ، وذلك أنهم كانوا  
انما غرت سرية من المسلمين قاتلوا عنها : أصاب المسلمون من عدوهم  
كذا وكذا ، وأصاب العدو من المسلمين كذا وكذا من غير أن يكون النسبى  
صلى الله عليه وسلم هو الذى يخبرهم به .

وقيل : كان الضعفاء يسمون من أفواه المنافقين شبهة من الخبر عن  
السرايا مغلنون غير معلوم الصحة فيه وهو قبل أن يحققوه فيمضون  
ذلك وبالا على الجوعنين . . .

تفسير الأئوسى ( ١٤ / ٥ ) .

( ولو ردوه الى الرسول ) قيل (١) أراد بقوله " ولو ردوه " يعسني  
ضعفه المسلمون الذين سمعوا تلك الأخبار من المنافقين . قالوا مثل قولهم  
فقال الله تعالى " ولو ردوه الى الرسول يحتمل أن يكون المراد به في الكل  
في المؤمنين والمنافقين أو ردوه الى الرسول . ( والى أولى الأمر منهم )  
يعنى الى أمراء السرايا . ( لملمه الذين يستنبطونه منهم ) يعسني  
لو طلبوا تلك الأخبار من عند أمراء السرايا وولكوا الأخبار بها اليهم لملمه  
الذين يحبون أن يعلموا على حقيقته كما هو . (٢)

والاستنباط هو استخراج الملم . ومنه النبط وهم قوم يستخرجون

(٣)  
الماء .

(١) هو قول الحسن والزجاج . النكت والميون (١/٤٠٩) .

(٢) راجع تفسير الطبرى (٨/٥٧٠ - ٥٧١) .

(٣) قال ابن جرير : " كل مستخرج شيئا كان مستترا عن أبظسار  
الميون أو عن معارف القلوب فهو له : " مستنبط " يقال : استنبطت  
الركبة " اذا استخرجت ماءها " ونبطتها أنبطها " ، و" النبط "   
الماء المستخرج من الأرض ، ومنه قول الشاعر :  
قريب شراه ، ما ينال عدوه له تنبطا ، أبي الهوان قطنون  
يعنى : ب" النبط " ، الماء المستنبط .

تفسير الطبرى (٨/٥٧١) .

وقيل <sup>(١)</sup> : أراد به الملما . . . يعني ولو رده الى الرسول والى  
أولى الأمر منهم لعله الذين يستنبطونه منهم ما ينهى أن يكتم ويملصون  
ما ينهى أن يفشى معنى الملما .

( ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبغتم الشيطان الا قليلا <sup>(٢)</sup> )  
فان الله قائل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبغ الكل الشيطان ؟  
قيل اختلفوا فيه .

قال الفراء <sup>(٣)</sup> هذا الاستثناء راجع الى قوله اذ اعوا به الا قليلا .

وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبغتم الشيطان كلام تام <sup>(٣)</sup> .  
وقيل <sup>(٤)</sup> هو راجع الى قوله لعله الذين يستنبطونه منهم الا قليلا  
ثم قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبغتم الشيطان .

وقيل <sup>(٥)</sup> هو على نظمه ومعناه ولولا ما تفضل الله عليكم به من البيان  
لما ينهى أن يفعل وما ينهى أن يجتنب " لا تبغتم الشيطان الا قليلا " .

---

( ١ ) هو قول الحسن وقتاده وابن جريج وابن نجيب والزجاج .  
النكت والعيون ( ٤٠٩ / ١ ) .

( ٢ ) النساء آية ٨٣ .

( ٣ ) انظر معاني القرآن ( ٢٧٩ / ١ - ٢٨٠ ) وهو اختيار ابن جرير الطبري  
( ٥٧٧ / ٨ ) .

( ٤ ) هو قول الحسن وقتاده واختاره ابن قتيبة . زاد المسير ( ١٤٨ / ٢ ) .

( ٥ ) ذكره الضحاك وهو اختيار الزجاج .  
زاد المسير ( ١٤٨ / ٢ ) .



ومنه قول رابع<sup>(١)</sup> أنه أراد بالثليل قوماً اهتدوا بالنمق قبل بصيحت  
الرسول وانزال الفرقان واقرأوا بالتوحيد وذلك مثل زيد بن عمرو بن نفيل<sup>(٢)</sup>  
وورقة بن نوفل<sup>(٣)</sup> وجماعة<sup>(٤)</sup> . وقد قال - صلى الله عليه وسلم - في زيد بن عمرو  
ابن نفيل أنه ييمت أمة على حده .

( ١ ) راجع النكت والميون ( ١٠٠ / ١ ) وزاد المسير ( ١٤٨ / ٢ ) .

( ٢ ) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد المزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن  
رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك القرشي  
المدوي ، والد سعيد بن زيد أحد المشرة وابن عم عمن  
ابن الخطاب .

يجتمع هو وعمر في نفيل .

سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال ييمت أمة وحده - كما ذكر  
السمعاني - وكان يتعبد في الجاهلية ويطلب دين إبراهيم الخليل  
ويوحد الله تعالى .

توفي قبل صيحت النبي - صلى الله عليه وسلم - .

اسد الغابه ( ٢٨٥ / ٢ - ٢٩٦ ) .

( ٣ ) ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد المزى بن قصي القرشي الأسدي ابن عم  
خديجة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم - كان قد كره عبادة الأوثان  
وطالب الدين في الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة تسأله عن أمر  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول ما أراه إلا بنى هذه الأمة  
الذي بشر به موسى وعيسى وقصته معروفة .  
الاصابه ( ٦٣٣ / ٣ - ٦٣٥ ) .

( ٤ ) ذكر الامام السمعاني أربعة أقوال في معنى قوله تعالى لا تبغتم الشيطان  
الاطيلا والذي نراه أن الكلام على ظاهره وأن المعنى ولولا فضل  
الله عليكم ورحمته بكم أيها المؤمنون بتوفيقه إياكم إلى الخير والطاعة لوقعتم  
في اغواء الشيطان كما وقع هؤلاء المنافقون وأشباههم إلا عددًا قليلاً  
منكم وهم الذين أخلصوا دينهم لله واعتصموا به فصاروا لا سبيلاً  
للشيطان عليهم كما قال تعالى وان عبادي ليس لك عليهم سلطان .

قوله تعالى ( فقاتل في سبيل الله ) كذا يتصل بما سبق من قوله  
" وما لكم لا تقاتلون " لما عاتبهم على ترك القتال .

قال للرسول ان لم يقاتل هو " لا فقاتل أنت وحدك . ( لا تكلف  
الا نفسك وحرغ المؤمن عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ) يعنى  
عذاب الذين كفروا ، وعسى من الله واجب . والمراد تطميع المؤمن بالله (١)  
أشد بأساً ) أى أشد عذاباً ( وأشد تنكيلاً ) (٢) التنكيل من النكل وهو الضع  
ومنه النكال وهو ما يفعل بالانسان فيمنع غيره عن فعله (٣) .

قوله تعالى ( من يشفع شفاعه حسنه يكن له نصيب منها ومن يشسفع  
شفاعه سيئة يكن له كفل منها ) .

قال ابن عباس : الشفاعة الحسنه هى الاصلاح بين الناس ، والشفاعة  
السيئة هى الحشى بالنميمه بين الناس .

---

( ١ ) عسى : حرف " ترج " وهو هنا يفيد التحقق واليقين لأنه صادر عن الله  
تعالى الذى لا يخلف وعده .

وفى التمييز بها تعليم للمؤمنين الأدب فى القول حتى لا يحرمون  
بأمر يتملق بالمستقبل ، بل يسددون ويتعاربون ويباشرون الأسباب  
ثم بعد ذلك يتركون النتائج لله تعالى .  
انظر زاد المسير ( ٢ / ١٤٩ ) .

( ٢ ) النساء آيه ٨٤ .

( ٣ ) وهو من قول القائل نكلت بفلان فأنا أنكل به تنكيلاً اذا أوجمته عقوبة ،  
وجعلته عبرة لغيره ، وأصله التعذيب بالنكل وهو القيد ثم استعمل  
فى كل تعذيب بلغ الغاية فى الشدة والألم .

وقيل : هو في كل الشفاعات فالشفاعة الحسنه هي أن يقول قولا  
 حسنا ينان به الخير ، والشفاعة السيئه هي أن يقول قولا قبيحا يلحق به  
 سوء . ( ١ )

قوله " ويكن له نصيب منها " أي أجرها .

وقوله " يكن له كفل منها " أي من وزرها ، والكفل النصيب .

( ١ ) قلت : والآية الكريمة وان كانت واردة على سبيل التعميم في بيان  
 جزاء كل شفاعة حسنة أو كل شفاعة سيئه إلا أن المقصود بها قصدا  
 أوليا ترغيب المؤمنين في أن يعطون بعضهم بعضا على الجهاد  
 في سبيل الله ، وفي انضمام بعضهم الى بعض ، من أجل نصره الحق ،  
 وتهديد المنافقين الذين كان يشفع بعضهم لبعض لكي يأذن لهم  
 النبي صلى الله عليه وسلم في التخلف عن الجهاد ، وقد رجح هذا الاتجاه  
 الامام ابن جرير فقال :

يعنى سبحانه بقوله " من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها  
 ومن يشفع شفاعة سيئه يكن له كفل منها " من يصبر يا محمد شفعا  
 لوتر اصحابك فيشفع في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله ، وهو  
 الشفاعة الحسنه يكن له نصيب منها أي يكن له من شفاعته تلك  
 نصيب ، وهو الحظ من ثواب الله وجزيل كرامته ومن يشفع وقرأ أهل  
 الكفر بالله على المؤمنين به ، فيقابلهم وذلك هو الشفاعة السيئة  
 يكن له كفل منها ، يعنى بالكفل النصيب والحظ من الوزر والاثم .

الى أن قال وقد قيل : ان الآية عنى بها شفاعة الناس  
 بعضهم لبعض وغير مستنكر أن تكون الآية نزلت فيما ذكر ثم عم  
 شافع بخير أو شر .

وانما اخترنا ما قلنا من القول في ذلك ، لأنه في سياق الآية  
 التي أمر الله نبيه فيهما بمعنى المؤمنين على القتال - والوعيد لمن  
 أبى اجابته أشبه منه من الهت على شفاعة الناس بعضهم لبعض التي لم  
 يجزلها ذكر قبل دلالتها ذكر بعد .

اتفسير الطبري ( ٨ / ٥٨٠ - ٥٨١ ) .

قال الله تعالى " يوفتكم كظلمن من رحمته <sup>(١)</sup> أى نصيبين . وأعلم أن  
الإنسان يوجر على الشفاعة وان لم يشفع ان الله تعالى يقول من يشفع ولم  
يقبل من يشفع .

وقد روى أبو موسى الأشعري <sup>(١)</sup> عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أنه قال " اشفعوا توجروا ويقضى الله على لسان نبيه ماشاً <sup>(٢)</sup> وأعلم أن الشفاعة  
مستحبه في كل الحقوق الا في حدود الله تعالى فانه لا يجوز فيها الشفاعة  
لمتروك الحدود وقد قال صلى الله عليه وسلم " من شفع في حد من حدود

( ١ ) الحديد آية ٢٨ .

( ٢ ) الكفل في اللغة النصيب - كما ذكر السمعاني - أخذ من قولهم : اكتفلت  
البعير : اذا أدرت على سنامه ، أو على موضع من ظهره كما ، وركبت  
عليه ، وانما قيل له كفل - ، لأنه لم يستعمل الظهر كله ، وانما استعمل  
نصيباً منه .

زاد المسير ( ٢ / ١٥٠ ) .

( ٣ ) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حصار بن حرب بن عامر بن عقر بن بكر  
ابن عامر بن عذريبن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر بن أدد  
ابن زيد بن يشجب أبو موسى الأشعري .  
صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمه ظبية بنت وهب امرأة من  
عك . أسلمت وماتت بالمدينة . كان عامل رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - على زبيد وعدن - واستعمله عمر - رضى الله عنه - على  
البصرة .

وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجراح بالشام .  
مات بالكوفة . وقيل بمكة سنة اثنتين وأربعين ، وقيل أربع وأربعين وهو  
ابن ثلاث وستين سنة .

أسد الغابة ( ٣ / ٣٦٧ - ١٦٩ ) الاستيعاب ( ٤ / ١٧٦٢ - ١٧٦٥ ) .

( ٤ ) أخرجه البخاري من كتاب الزكاة ( ٢١ ) باب التحريم على الصدقة والشفاعة  
فيها ( ٢ / ١١٨ ) والترمذي من أبواب المصم ( ١٤ ) باب ماجاء أن الدال  
على الخير كفاعله حد يث رقم ( ٢٨١٢ ) ( ٤ / ١٤٨ ) .

الله تعالى فقد ضاد الله في ملكه<sup>(١)</sup> أى نازعه في ملكه . ( وكان الله على كل شيء مقيتاً<sup>(٢)</sup> ) .

قال ابن عباس<sup>(٣)</sup> : المقيت المقدر . قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :-

وذى ضمن كفت النفس عنه      وكنت على أسائه مقيتاً

والقول الثاني عن ابن عباس : المقيت الحافظ .

---

( ١ ) الحديث : في سبل السلام ( ٢ / ٢١ ) " أخرج أبو داود والحاكم وصححه من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : من حالت شففته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره . وأخرجه ابن أبي شيبه من وجه أصح عن ابن عمر موقوفاً . وفي الطبراني من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ فقد ضاد الله في ملكه .

( ٢ ) النساء آية ٨٥ .

( ٣ ) وهو قول السدي وابن زيد . النكت والميون ( ١ / ٤١٠ ) .

( ٤ ) البيت نسبه ابن جرير الطبري للزبير بن عبد المطلب عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ( ٨ / ٥٨٤ ) ونسبه صاحب الدر المنثور ( ٢ / ١٨٧ ) ، وصاحب زاد المسير ( ٢ / ) الى أجنحة بن الجراح الأنصاري .

قال الشيخ / محمود شاكر : لم أجده للزبير بل وجدته لأبي قيس ابن رفاعه ، مرفوع القافية في " طبقات محول الشمراء " لابن سلام ( ٢٤٣ ) وفي الطبقات : بعد أن ذكر تخريج البيت : وروايتهم " مقيتاً " وهو خطأ ، ورواه ابن الشحرى : " واني في مسائه مقيت " والرفع فس رواية ابن سلام وجه عربي صحيح .

انظر ابن مالك في كتابه " شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح " ( ٢١ / ٢٤ ) وتأويل البيت " وكنت على مسائه مقيت " فحذف خبر كان لأنه ضمير متصل ، كما يحذف المفعول به اذا كان مفضلاً ، ويستغنى عنه بنية الضمير ، يبنى " وكنت ذا ضمن مثله " وأنا على مسائه مقيت .

وفى الخبر كفى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت<sup>(١)</sup> أى من قوته .

وفى رواية من يقيتأى من فى حفظه .

وفيه قول ثالث<sup>(٢)</sup> ان الله تعالى على كل حيوان مقيت أى يوصل

القوت اليه فهذا معنى قوله \* وكان الله على كل شىء \* أى هبطت مقيتنا .

قوله تعالى ( وإذا حييتم بتحية ) أكثر المفسرين على أن المراد

بالتحية ها هنا السلام وأصل التحية هو دعاء الجباه<sup>(٣)</sup> وهى فى الشريعة

عبارة عن السلام .

والسلام دعاء السلامه وقد تكون التحية بمعنى الطك والبقاء ومنه

التحيات لله . وقال الشاعر<sup>(٤)</sup> :

ولكل مانال الفتى قد نلته الا التحية

يعنى الا الطك . وعلى معنى السلام أنشدوا قول الشاعر<sup>(٥)</sup> :

انا محيوك ياسلمى فحيييا وان سقيت كرام الناس فاسقيينا

---

( ١ ) الحديث : رواه الامام أحمد فى مسنده من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاص . والحاكم فى المستدرک ( ٤١٥ / ١ ) وقال : ههنا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

( ٢ ) انظر تفسير البضوى ( ٥٦٦ / ١ ) .

( ٣ ) انظر هجرات القرآن للراغب الأصفهاني ( ١٤٠ ) .

( ٤ ) لم أجده .

( ٥ ) البيت لبشامة بن جزء النهشلى وهو فى شرح ديوان الحماس

( ١ / ١٠٠ ) .

( فحيبوا بأحسن منها أو ردوها ) أراد به رد السلام بأحسن مما سلم ، أو يرد كما سلم فإذا قال السلام عليك فالمستحب أن يقول وعليك السلام ورحمة الله .

وإذا قال السلام عليك ورحمة الله يقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وهو الأحسن .

وفي الخبر " أن رجلا جاء وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال وعليكم السلام ورحمة الله فدخل أخر وقال السلام عليك ورحمة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فدخل ثالث وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليكم فليل له في ذلك فقال عليه السلام ان الأول والثاني تركا من التحية شيئا فأحييت بأحسن ، وان الثالث لم يترك من التحية شيئا فرددت عليه . ( ١ )

وأعلم أن السلام سنه ورد السلام فريضه لكنه فرض على الكفاية حتى إذا سلم على جماعة فرد أحدهم سقط الغرض عن الباقيين .

وكذلك السلام سنة على الكفاية حتى إذا كانت جماعة فسلم أحدهم كفى في السنة .

وروى الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " السلام

---

( ١ ) رواه ابن جرير الطبري ( ٥٨٩ / ٨ ) وراجع تعليق الشيخ شاکر

وتفسروا ابن كثير ( ٢ / ٣٢٤ - ٣٢٥ ) .

سنه ورده فريضه (١) (٢)

وقال بعض المفسرين أراد بالتحية الهبات والهدايا .  
وقوله " فحيوا بأحسن منها " أراد به الثواب على الهدى وهو سنه .  
وكان عليه السلام يقبل الهدى ويشيب عليها والأصح هو القول الأول .  
( ان الله كان على كل شيء حسيبا )<sup>(٣)</sup> أى محاسبا . وقيل كافيا  
ومنه قوله تعالى " جزاء من ربك عطايا حسابا " أى كافيا .

قوله تعالى ( الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب  
فيه ) اللام لام القسم وتقديره والله ليجمعنكم الله الى يوم القيامة<sup>(٤)</sup> . واختلفوا  
أنه فيم يجمعهم : قال بعضهم يجمعهم في الاهلاك والموت الى القيامة .

وقال بعضهم يجمعهم في القبور الى القيامة .  
واختلفوا لم سميت القيامة قيامه ؟  
قال بعضهم لأن الناس يقومون فيها الى رب العالمين<sup>(٥)</sup> .

(١) رواه ابن جرير الطبري (٥٩٠/٨) .

(٢) قلت : وقد تكلم الملما هنا كلاما طويلا في كيفية السلام وفي فضله وفي  
بعض أحكامه المشهورة فارجع الى كلامهم ان شئت .

راجع تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٩٨/٥) والألوسي  
٩٨/٥ والتفسير الكبير للفخر الرازي (٢٠٨/١) .

(٣) النساء آية ٨٦ .

(٤) يعنى أن قوله " ليجمعنكم " . . . جواب قسم محذوف تقديره والله  
ليجمعنكم الله الى يوم القيامة .

(٥) انظر النكت (٤١١/١) .



قال الله تعالى " يوم يقوم الناس لرب العالمين <sup>(١)</sup> وقيل ان الناس يقومون فيها الى الحساب . ( ومن أصدق من الله حديثاً <sup>(٢)</sup> ) أى قسولاً وخبراً <sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( فما لكم فى المنافقين فئتين ) اختلفوا فى سبب نزول الآية على ثلاثة أقوال :

قال زيد بن ثابت <sup>(٤)</sup> : هذا فى الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعف عنهم فانهم تكلموا بالاسلام .

( ١ ) المطرفون آيه ٦ .

( ٢ ) النساء آيه ٨٧ .

( ٣ ) قلت : والاستفهام فى قوله " ومن أصدق من الله حديثاً " للانكار والنفي أى لا يوجد فى هذا الوجود من هو أصدق من الله تعالى فى حديثه وخبره وذلك لان الكذب قبيح . والله تعالى منزه عن كل قبيح . ولأن الكاذب انما يكذب لجر منفعة ، أو لدفع مضرة ، أو لجهله بقبح الكذب . والله تعالى غنى عن كل شىء ، وقد يرغى كل شىء ، وخالق لكل شىء ، ومن كان كذلك لا يصدر عنه كذب وانما يصدر عنه كل حق وصديق وعدل .

( ٤ ) زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الأنصارى البخارى أبو سعيد ، وقيل

أبو خارجه وقيل غير ذلك :

صحابى مشهور كتب الوحي .

استصفر يوم بدر فوثق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كان من الزاسخين فى العلم .

مات سنة خمس مائة أو ثمان وأربعين وقيل بعد الخمسين .

أسد الغاية ( ٢ / ٢٧٨ - ٢٧٩ ) الاصابة ( ٢ / ٥٩٢ - ٥٩٥ ) .

وقال بعضهم اقتلهم فانهم منافقون فنزلت الآية <sup>(١)</sup> " فما لكم في المنافقين ففتن " أي مالكم افترقتم فيهم فرقتين عتب عليهم بالاختلاف فيهم ، وحكمهم بنفاقهم .

وقال مجاهد الآية في جماعة من أهل مكة هاجروا النبي المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرجوع إلى مكة لعله أن لهم بها بضائع فرجعوا وارتدوا فقال بمعنى الصحابة هم مسلمون لأنهم تكلموا بالاسلام وقال بعضهم هم قد نافقوا فنزل قوله تعالى " فما لكم فسى المنافقين ففتن " <sup>(٢)</sup> .

وحكى مجاهد هذا عن ابن عباس .

والقول الثالث وهو الرواية الثانية عن ابن عباس أن الآية في قوم من المشركين أسلموا بمكة وكانوا يماونون المشركين ويظاھرونهم فاختلف الصحابة

( ١ ) رواه الامام أحمد في مسنده ( ١٨٤ / ٥ ) والبخارى ( ١٩٣ / ٨ )

ومسلم ( ٢١٤٢ / ٤ ) قال المافظ في الفتح وهذا هو الصحيح

في سبب نزولها .

( ٢ ) زاد المسير ( ١٥٥ / ٢ ) وتفسير الطبري ( ١٩٠ / ٩ ) والسدر

المنثور ( ١٩٠ / ٢ ) وأسباب النزول للواحدى ( ١٦١ ) .

فيهم فرقتين فنزل قوله " فما لكم في المنافقين (١) ففتن (٢) . ( ) واللغة  
أركسهم بما كسبوا ) أركسهم وركسهم بمعنى واحد .

وقرأ ابن مسعود " والله أركسهم " .

وقال الزجاج : معناه نكسهم .

وقال النضر بن شميل (٣) أعادهم يعنى إلى الكفر بما كسبوا .

( ١ ) ابن جرير الطبري ( ١٠ / ٩ ) وابن أبي حاتم من طريق الصوفي واسناده  
ضعيف جدا .

( ٢ ) ذكر الامام السمعاني في سبب نزول هذه الآية روايات مختلفة . ويبدو  
لنا - والله أعلم - أن الرواية الثانية هي الأقرب إلى سياق الآيات  
والى الواقع التاريخي ، لأنه من الثابت تاريخنا أن منافق المدينة لم  
يؤد أمر بقتالهم . وإنما استعمل معهم الرسول - صلى الله عليه وسلم -  
وسائط أخرب أدت إلى نيلهم وهوان أمرهم ، ولأن قوله تعالى بعد  
ذلك " فلا تتخذوا منهم أولياء " حتى يهاجروا " يؤيد أنه ليس المقصود  
بالمنافقين هنا منافق المدينة ، وإنما المقصود بهم جماعة أخرى من  
المنافقين كانوا خارج المدينة ، إذ لا هجرة من المدينة إلى غيرها  
وإنما الهجرة تكون من غيرها إليها ، لأنها دار الإسلام ولم يكن  
فتح مكة قد تم عند نزول هذه الآية .

وقد رجح الامام ابن جرير سبب النزول الذي حكته الرواية  
الثانية فقال

( ٣ ) النضر بن شميل أبو الحسن المازني البصري اللغوي عالم أهل ميرو  
قال العباس مصعب : كان اماما في المربية والحديث وهو أول  
من أظهر السنة بمرور خراسان ، وكان أروى الناس عن  
شمبه .

قال أبو حاتم : ثقة صاحب سنة .

مات في آخر يوم من سنة ثلاث ومائتين ودفن في أول يوم من  
سنة أربع - رحمه الله تعالى - .

تذكرة الحفاظ ( ١ / ٣١٤ - ٣١٥ ) .

ومنه الركس لأنه كان طعاما فصار رجيفا<sup>(١)</sup> . ( أتريدون أن تهتدوا  
من أغل الله ) يعنى أتريدون أن ترشدوا من أضله الله . ( ومن  
يضلل الله ) يعنى ومن يضلله ( فمن تجد له سبيلا<sup>(٢)</sup> ) أى طريقا  
الى الحق .

قوله تعالى ( ودوا لو تكفروا كما كفروا ) يعنى الذين عادوا  
الى الكفر ودوا أن تعودوا الى الكفر . ( فتكونون سواء ) يعنى فى  
الكفر . ( فلا تتخذوا منهم أولياء ) منهم عن الموالاة معهم<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) " أركسهم " من الركس وهو رد أول الشئ على آخره . يقال  
ركس الشئ يركسه ركسا اذا قلبه على رأسه . والركس والنكس  
بمعنى واحد .  
الجامع لأحكام القرآن .

( ٢ ) النساء آية ٨٨ .

( ٣ ) قال الفخر الرازى : " دلت الآية على أنه لا يجوز موالاة المشركين  
والمنافقين والمشتهرين بالزندقة لأن أعز الأشياء وأعظمها عند  
جميع الخلق هو الدين ، لأنه هو الأمر الذى به يتقرب الى الله ،  
ويتوسل به الى السماء ، واذ كان الأمر كذلك امتنع طلب المحبة  
والولاية فى الموضع الذى يكون أعظم موجبات العداوة حاصل فىه . .  
التفسير الكبير ( ١ / ٢٢١ ) .

( حتى يهاجروا في سبيل الله ) أى حتى يسلموا<sup>(١)</sup> ( فان تسولوا )  
 يعنى في الكفر ( فخذوهم ) أى فأسروهم والأخذ هاهنا الأسر ويقال  
 للأسير أخذ . . ( واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا  
 ولا نصيرا )<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ) .  
 قال أبو عبيده : معناه الا الذين ينتسبون الى قوم<sup>(٣)</sup> وأنشد فيه  
 قول الشاعر :-<sup>(٤)</sup>

إذا اتصلت قالت أبكر بن وايل      وبكر سبأها والأنوف رواغم  
 يعنى إذا انتسبت تلك القبيلة .

( ١ ) قلت : هذا التكليف انما كان لازما حال ما كانت الهجرة مفروضة ففى  
 الحديث " أنا برىء من كل مسلم أقام بين أظهر المشركين . وأنا برىء  
 من كل مسلم مع مشرك " . فكانت الهجرة واجبة الى أن فتحت مكة .  
 ثم نسخ فرض الهجرة بما رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم - أنه قال يوم فتح مكة " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية " .  
 وروى عن الحسن أن حكم الآية ثابت فى كل من أقام فى دار الحرب  
 فرأى فرض الهجرة الى دار الاسلام قائما . .

( ٢ ) النساء آية ٨٩ .

( ٣ ) مجاز القرآن ( ١ / ١٣٦ ) .

( ٤ ) البيت للأعشى : من قصيدة يعاتب فيها يزيد بن مسهر الشيبانيسى  
 وهو فى ديوانه صفحه ( ٥٩ ) ، والكامل ( ١٩٦ ) ، وتفسير الطبري  
 ( ٢٠ / ٩ ) والقرطبي ( ٢٠٨ / ٥ ) واللسان مادة ( وصل ) .

وأُنكر أهل النعماني على هذا أبي عبيدة وقالوا هذا لا يستقيم في  
 المعنى لأن معنى هذا الاستثناء المنع من القتل ، وما كان المنع لأجل  
 النسبة فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقاتل المشركين من قريش  
 وإن كانوا من نسه بل معنى قوله " إلا الذين يصلون " أي يخالطون  
 ويتصلون بقوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مواده وعهد. وذلك  
 هلال بن عويم الأسلمي وقومه وكان الله تعالى منع من قتل أولئك فمن  
 اتصل بهم وفي ذمانهم . . . ( ١ )

( أو جاؤكم ) أو يصلون بقوم جاؤكم للمعاودة والموادعة ( حصرت  
 صدورهم ) ضاقت فضاقت صدورهم من القتال معكم ومن معاونتكم على  
 القتال مع قومهم لأجل الرعب الذي ألقى الله تعالى في قلوبهم . . . ( ٢ )

( ١ ) ذكر العلماء أقوالاً في المراد من القوم الذين كان بينهم وبين  
 المسلمين عهد وأمان فقليل هم الأسلميون - كما ذكر السمعاني -  
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه إلى مكة قد وادع  
 هلال بن عويمر الأسلمي على أن لا يهينه ولا يعين عليه ، وعلى  
 أن من وصل إلى هلال ولجأ إليه فله الجوار مثل الذي لهلال .  
 وقيل هم بنو بكر بن زيد ، وقيل هم خزاعة .  
 انظر حاشية الجمل على الجلالين ( ١ / ٤٠٨ ) . . .

( ٢ ) حصرت : ضاقت وانقبضت ومنه الحصر في القول وهو ضعيف الكلام على  
 المتكلم ويقال حصر صدره محصر أي ضاق .

( ٣ ) قلت : أو لأنهم يتعشون قتالهم خوفاً على أموالهم أو على ذريتهم أو  
 ذوى أرحامهم ، كما أنهم ضاقت نفوسهم عن قتال قومهم لأنهم  
 منهم . . .

.../...

والمراد بهذا الفريق بنو مدلج فقد أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن  
 أن سراقه بن مالك المدلجي حدثهم فقال : لما ظهر النبي صلى الله عليه  
 وسلم على أهل بدر وأسلم من حولهم قال : بلغني أن يريد أن ييمس  
 خالد بن الوليد إلى قومي بنو مدلج . فأتيته فقلت : انشدك النعمه .  
 بلغني أنك تريد أن تبعث إلى قومي . وأنا أريد أن توادعهم . فإن  
 أسلم قومك أسلموا ودخلوا في الاسلام . وإن لم يسلموا لم يحسن تقديسب  
 قومك عليهم .

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه  
 فافعل ما يريد . فصالحهم خالد على أن لا يمدنوا على رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم . وإن أسلمت قريش أسلموا معهم ، فأنزل الله الآية .

انظر تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣٢٧ - ٣٢٨ ) .

وقرأ الحسن وهي قراءة يعقوب وسهل<sup>(١)</sup> حصرت صدورهم على الحال .  
أي غيقة صدورهم .

قال المبرد : قوله " حصرت صدورهم " على سبيل الدعاء كقوله " قاتلهم  
الله " كأن الله تعالى يقول حصرت صدورهم ( أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم )  
على سبيل الدعاء ( ولو شاء الله لسلطهم عليكم ) معنى هذا أن الله تعالى  
هو الذي ألقى الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم حتى جاءوا معاندين .<sup>(٢)</sup>

( ١ ) هو أبو محمد يعقوب بن اسحاق الحضرمي .  
قرأ على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل وقرأ سلام على عاصم  
وعلى وأبي عمرو .  
توفي سنة ٢٠٥ خمس ومائتين .

( ٢ ) سهل بن محمد بن عثمان أبو هاتم السجستاني النحوي المقرئ البصري .  
أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب وهو أكبر أصحابه وله اختيار في القراءة .  
مات سنة ( ٢٥٠ ) وقيل سنة ( ٥٠ ) .  
تهذيب التهذيب ( ٤ / ٢٥٧ - ٢٥٨ ) .

( ٣ ) قال صاحب الكشاف " فان قلت : قلت : كيف يجوز أن يسلط الله  
الكفرة على المؤمنين ؟ قلت : ما كانت مكافتهم الا لظفر الرعب  
في قلوبهم ولو شاء لمصلحة بواها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه . فكانوا  
متسلطين مقاتلين غير مكافئين فذلك معنى التسليط " .

وقال القرطبي : قوله تعالى " ولو شاء الله لسلطهم عليكم  
تسليط الله المشركين على المؤمنين : هو بأن يقدرهم على ذلك ،  
ويقويهم أما عقوبة ونقمة عند اذاعة المنكر وظهور المعاصي ، واما  
ابتلاء واختياراً كما قال تعالى " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهد منكم  
والصابرين ونبلوا خياركم " واما تمحيصاً للذنوب كما قال  
تعالى " ولنمحصن الله الذين آمنوا " ولله أن يفعل ما يشاء  
ويسلط من يشاء على من يشاء اذا شاء " .

انظر الكشاف ( ١ / ٥٤٨ ) وانظر الجامع لاحكام القرآن ( ٥ / ٢١٠ ) .



( ولو شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلوكم ) فإذا لا يقتلوهم ومن اتصل بهم  
( فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم واتقوا البيخيم السلم ) يبنى الصلح فانقادوا  
واستسلموا ( فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً <sup>(١)</sup> ) أى طريقاً عليهم  
بالقتل والقتال <sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) النساء آية ٩٠ .

( ٢ ) قلت : الاستثناء في هذه الآية قد أخرج من الأخذ والقتال

فريقين من الناس .

الفريق الأول :-

هو الذى ترك المحاربين من الأعداء . والتجأ الى القوم الذى  
بينهم وبين المسلمين عهد أمان ، فانه بهذا الالتجاء قد صار حكمه  
كحكم من التجأ اليهم فى الأديان .

الفريق الثانى :-

هو الذى جاء الى المؤمنين سالماً وترك قومه الا أنه فى الوقت  
نفسه يكره أن يقاتل المسلمين لمحبه لهم ، ويكره ان يقاتل قومه لانهم  
قومه وعشيرته وأهله أولاده لو قاتلهم للحقه الضرر فى حاله أو  
ذريته .

هذا وجمهور المفسرين يرى أن الاحكام التى أشتطت عليها هذه  
الآية الكريمة منسوخه بأنه سورة التوبه وهى قوله تعالى " فإذا انسح  
الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم  
واقصدوا لهم كل مرصد ذلك لأن الله تعالى لما أعز الاسلام وأهله  
أمر أن لا يقبل من مشركى الحرب الا الاسلام أو القتال .

قوله تعالى ( ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم )  
قال ابن عباس : أراد به أسد وخطافان جاءوا الى النبي صلى الله عليه  
وسلم وأسليحوا فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا آمنة بالمقرب والخنفساء  
ورجعوا الى الكفر<sup>(١)</sup> .

وقال قتادة : أراد به سراققة بن مالك بن جشم لما جاءه النبي  
صلى الله عليه وسلم وقال انا منكم ثم رجع الى قومه فقال انا منكم  
" يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم " أي يريدون أن يأمنوا منكم ومن قومهم<sup>(٢)</sup> .  
( كلما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها ) أي كلما دعوا الى الشرك  
دخلوا فيه .

( ١ ) زاد المسير ( ١٦٠ / ٢ ) وتفسير الخازن ( ٥٧٢ / ١ ) .

( ٢ ) راجع تفسير ابن كثير ( ٢٢٧ / ٢ - ٢٢٨ ) .

( ٣ ) قال ابن جرير : عن مجاهد قال : هم ناس كانوا يأتون النبي صلى  
الله عليه وسلم فيسلمون ويأمنون ثم يرجعون الى قريش فيموتون فسي  
الأوثان ، يبتغون بذلك أن يأمنوا همنا وهمنا ، فأمر بقتالهم ان  
لم يستزلوا ويصلحوا " .

انظر تفسير الطبري ( ٢٠١ / ٥ ) .

( فان لم يمتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ) يعنى القيامه والاستسلام  
 ( ويكفوا أيديهم فخذوهم ) أى فأسروهم ( واقتلوهم حيث شققتموهم )  
 وجدتموهم ( وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا )<sup>(١)</sup> حجة بينة بالقتل  
 والقتال<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) النساء آية ٩١ .

( ٢ ) قلت : والمتأمل فى هذه الآيات الأربعة الكريمة يراها قد رسمت  
 للمؤمنين كيف تكون علاقتهم بغيرهم من المنافقين والمشركين ، فهى  
 تأمرهم أولاً :-

أولاً : بأن يقفوا من المنافقين الذين أركسهم الله معا كسبوا صفا واحدا  
 ورأيا واحدا فلا يدا فسون عنهم ولا يحسنون الدين بهم ولا يولونهم  
 ولا يستمبئون بهم حتى يهاجروا فى سبيل الله ، فان امتنعوا  
 عن الهجرة هل أخذهم وقتلهم ، وتأمرهم .

ثانياً : بأن يسالموا الى حين قوما التجأوا الى قوم بينهم وبين  
 المسلمين عهد وأمان ، وأن يسالموا كذلك أولئك الذين  
 يأتون اليهم وهم يكرهون قتالهم أو قتال قومهم وأظهروا الانقياد  
 والاستسلام للمؤمنين ، وتأمرهم .

ثالثاً : بأن يأخذوا ويقتلوا أولئك المتلاعنين بالمعقيدة والدين والذين  
 بلغ بهم المنذر والغداغ أنهم اذا قدموا المدينة أظهروا  
 الاسلام ، فاذا ما عادوا الى مكة أو الى قومهم أظهروا الكفر  
 وكانوا مع قومهم ضد المسلمين .

قوله تعالى ( وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً الا خطأ ) سبب نزول الآية مارون أن عياش بن أبي ربيعة<sup>(١)</sup> قتل الحارث بن يزيد وكان الحارث يوذى عياشاً في الجاهلية حتى أسلم عياش فنذر أن يقتله حتى ظفر بيده فظفر بالحارث وقد أسلم الحارث ولم يعلم هو بإسلامه فنزلت الآية " وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً<sup>(٢)</sup> وهذا نهى عن قتل المؤمن عسى الاطلاق ، وقوله " الا خطأ " استثناء منقطع ومعناه لكن ان وقع خطأ .

وقال بعضهم<sup>(٤)</sup> الا بمعنى ولا ، بمعنى ولا خطأ ولا يمسرف في كلام العرب الا بمعنى ولا ولأنه يقتضى النهى عن قتل الخطأ والخطأ لا يدخل تحت النهى والأمر والأول أصح<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) عياش بن أبي ربيعة واسم أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم يكنى أبا عبد الرحمن . . . وقيل أبو عبد الله ، وهو أخو أبي جهيل لأمه وابن عمه وهو أخو عبد الله بن أبي ربيعة كان إسلامه قد يما أول الإسلام ، قبل أن يدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم - دار الأرقم ، قتل يوم اليرموك . وقيل مات بحكة ، أسد الغابة ( ٤ / ٣٢٠ - ٣٢١ ) .

( ٢ ) الحارث بن يزيد بن أنسه ويقال ابن أنيسه القرشي العامري من بني عامر ابن لؤي .

أسد الغابة ( ١ / ٤٢٣ ) الاستيعاب ( ١ / ٣٠٥ ) .

( ٣ ) راجع تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣٢٩ ) .

( ٤ ) مجاز القرآن ( ١ / ١٣٦ - ١٣٧ ) .

( ٥ ) ما ذهب اليه السمعاني بقوله والأول أصح هو ما ذهب اليه ، قال القرطبي " استثنى استثناء منقطعاً ليس من الأول وهو السدى يكون فيه " الا " بمعنى لكن والتقدير : وما كان له أن يقتل البته لكن ان قتله خطأ فعليه كذا .

انظر تفسير الجامع لاحكام القرآن ( ٥ / ٣١٢ ) .

ثم ذكر حكم القتل الخطأ فقال ( ومن قتل مؤمناً خطأ فتحريرو رقبة مؤمنه ) . أى فاعتقوا رقبة مؤمنه .

ثم اختلف العلماء . فقال الحسن والشمس والبخاري أراد به رقبة بالذمة ولا تجزى الرقبة الصغيره وان كانت مؤمنه .

وقال عطاء وهو الذى أخذته الفقهاء أنه تجزى الصغيره ( ٢ ) ودية مسلمة الى أهله ) يعنى سلموا الدية الى أهله وظاهر الآية يقتضى أن تكون الدية فى قتل الخطأ وفى مال القاتل كالكفارة لكننا عرفنا بالسنة الى الكفارة فى مال القاتل والدية على الماظة ( ٢ ) .

( ١ ) قلت : ومذهب جمهور الفقهاء هو الأولى والأقرب للصواب فقد أخرج الامام أحمد عن رجل من الأنصار أنه جاء بأمة سوداء فقال يا رسول الله ان علي عتق رقبة مؤمنه . فان كنت ترى هذه مؤمنه أعتقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهدين أن لا اله الا الله ؟ قالت نعم : قال أتشهدين أنى رسول الله ؟ قالت نعم قال أتؤمنين بالبعث بحد الموت ؟ قالت نعم قال أعتقها .

( ٢ ) قال القرطبي ما طمخه : ولم يعين الله فى كتابه ما يعطى فى الدية وانما فى الآية ايجاب الدية مطلقا ، وليس فيها ايجابها على الماظة أو على القاتل وانما أخذ ذلك من السنة . . . .

والماظة قرابات الرجل من جهة أبيه وهم عصبته .  
وقد ثبت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمسأن  
الدية مائة من الابل ووداهما - صلى الله عليه وسلم - لمجمل الكتاب  
واختلفوا فيما يجب على غير أهل الابل . فقالت طائفة ، على أهـنـل  
الذهب ألف دينار . وعلى أهد الورق اثنا عشر ألف درهم .

وقد ثبتت الأخبار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قضى  
بدية الخطأ على الماظة وأجمع على أهل العلم على القول به .  
انظر الجامع لاحكام القرآن ( ٣١٥ / ٥ ) .

وقوله ( الا أن يصد قوا ) يعنى أن يتصد قوا . وقرأ أبى بن كعب  
كذلك .

ومعنى التصديق المرفوع عن الدينه ( فان كان من قوم عدو لكم وهو  
مؤمن فتحرير رقبته مؤمنه ) أكثر المفسرين وهو قول الحسن وقتادة ومجاهد  
أن المراد به وان كان من سبب قوم عدو لكم " وهو مؤمن " ومعناه المؤمن  
يكون فى دار الاسلام وقربته فى دار الحرب فيقتل خطأ فالواجب بقتله  
الكفار يقوا بها على المسلمين .

والأصح والذي عرفه الفقهاء أن المراد به المؤمن الذي أسلم فى  
دار الحرب فيقتله من لم يعلم اسلامه فالواجب فيه الكفاره دون الدين .

( وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق هذا فى أهل الذمة والمعاهد بين  
( فدية مسلمة الى أهله ) يعنى على القدر الذى اختلف فيه ) وتحرير رقبة  
مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله ) يعنى ليتوبوا  
الى الله ( وكان الله عليما حكيما ) ( ١ ) .

قوله تعالى ( ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم ) نزلت  
الآية فى مقيس بن صباية اللبى أسلم وأخوه هشام ثم وجد أخاه مقتولا فى  
بنى النجار فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فبعت معه رجلا فهريا  
الى بنى النجار وأمرهم أن يذفوا اليه قاتل أخيه أو يسلموا اليه .

( ١ ) النساء آية ٩٢ .

فجاء اليهم وبلغنا الرسالة فقالوا سمما وطاعة لرسول الله والله  
مانع من القاتل وساقوا اليه الدية مائة من الابل فلما رجعا أقبل مقيس وقتل  
الفهري واستاق الابل ولحق بمكة وارتد وقال الشعر :

قتلت به فهرا وحملت عقبة      سواة بنى النجار وأرباب فزار  
فأدركت ثارى واضطجعت موسرا      وكنت الى الأوثان أول راجع (١)

فنزلت الآية (٢) فيه وهو الذى أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله مع  
الجماعة الذين عينهم للقتل يوم فتح مكة فقتل وهو متملق بأستار الكعبه .

فقوله " ومن يقتل مؤمنا متعمدا " فالقتل المتعمد عند أكثر  
الملما هو الذى يحصل بكل ما يقصد به القتل .

وقل سعيد بن المسيب وطاووس : القتل العمد لا يكون الا

( ٣ )  
بالحد يد .

( ١ ) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول صفحه ( ٩٨ ) عن الكلبي عن أبى صالح  
عن ابن عباس ، ونسبه السيوطى فى الدر المنثور ( ١٩٦ / ٢ ) السى  
البيهقى فى " شعب الايمان " من طريق الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس .  
ورواه ابن جرير الطبرى ( ٦١ / ٩ ) من طريق ابن جريج عن عكرمه .

( ٢ ) رواية سيرة بن هشام لشمره ( ٢٩٣ / ٣ ) .  
شفي النفس أن قد مات بالقاع سندا      تخرج ثوبه دماء الأعداء  
وكانت هموم النفس من قبل قتله      ولم فتحميني وطاء المضاجع  
حللت به وترى وأدركت ثورتى      وكنت الى الأوثان أول راجع  
ثارت به فهرا وحملت عقبه      سواة بنى النجار وأرباب فزار

( ٣ ) ظت ولا دليل على هذا التخصيص .

( فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ) أى طرده  
عن الرحمة ( وأعد له عذابا عظيما )<sup>(١)</sup> .

وقال ابن عباس : الآية محكمة لم ينسخها شئ \* فكان يقول ليست  
لقاتل المؤمن توبة ( وسئل عمن توبته )<sup>(٢)</sup> فقال انى يكون له التوبة ؟  
ف قيل له أليس قد قال الله تعالى " ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق  
ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد  
فيه مهانا الا من تاب "<sup>(٣)</sup> فقال ابن عباس : تلك آية مكية وهذه آية  
مدنية لم تنسخ بشئ \* حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال زيد بن ثابت :<sup>(٤)</sup> الشديدة بعد الهينة ستة أشهر يعنى بالهينة  
نزلت آية الفرقان بالشديدة هذه الآية .

وروى حميد<sup>(٥)</sup> عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أبى الله  
تعالى أن يكون لقاتل المؤمن توبة .

( ١ ) النساء آية ٩٣ .

( ٢ ) ما بين القوسين ساقط من ب .

( ٣ ) الفرقان آية ٦٨ ، ٦٩ .

( ٤ ) راجع تفسير البغوى : ( ١ / ٥٧٧ ) .

( ٥ ) أما حميد هذا فمن الصواب جدا أن يعرف من هو فقد ذكر ابن حجر

في التقريب ( ٨٤-٨٥ ) سبعة وثلاثين شخصا بهذا الاسم ، ولعلسه

حميد بن قيس الأعرج والله أعلم .



وفى الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لقتل المؤمن أعظم عند الله  
من زوال الدنيا .<sup>(١)</sup>

والأصح والذي عليه الأكثرون وهو مذهب أهل السنن أن لقاتل  
المؤمن عمدا توبة ، والدليل عليه قوله تعالى " وانسى  
لخفار لمن تاب وآمن " . وقال " ويفر مادون ذلك من يشاء " .<sup>(٢)</sup>

ولأن القتل العمد ليس بأشد من الكفر ، ومن الكفر توبه فمن القتل  
أولى .

أما الذى روى عن ابن عباس فعلى سبيل التشديد والمبالغة فسوى  
الزجر عن القتل وهو مثل ما روى عن سفیان بن عيينه أنه قال ان لم يقتل  
يقال له لا توبة لك منعا له عن القتل ، وان قتل يقال له لك توبة حتى  
يتوب .

وروى أن رجلا جاء الى ابن عباس وسأله هل لقاتل المؤمن توبة قال  
لا فجاءه آخر وسأله عن ذلك فقال نعم له توبة فقبيل له فى ذلك فقال ان الأول  
لم يكن قتل فمنعته عن القتل ، وان الثانى قتل فأرشدته الى التوبة .

وأعلم أن لا متعلق فى هذه الآية لصيقول بالتخليد فى النار لأهل  
الكبائر من المسلمين لأننا ان نظرنا الى سبب نزول الآية فالآية نزلت فى قاتل  
كافر كما بينا .

( ١ ) الحديث أخرجه ابن ماجه فى سننه من كتاب الديات الحديث ٢٦١ ٩

٠ ( ٨٧٤ / ٢ )

٠ ( ٢ ) طه ٤٢

٠ ( ٣ ) النساء آيه ٤٨

وقيل انه فيمن يقتل مستحلاً والأولى أن نقول فيه ما قاله أبو صالح  
أن معنى قوله " فجزاؤه جهنم خالداً فيها " ان جازن وبه نقول ان الله  
تعالى ان جازاه ذلك خالداً فهو جزاؤه ولكنه ربما لا يجازى وقد وعد أن  
لا يجازى ويغفر لمن يشاء وهو لا يخلف الميعاد<sup>(١)</sup>.

وحكى عن قريش<sup>(٢)</sup> ابن أسن رحمه الله أنه قال كنت في مجلس فيه عمرو  
ابن عبيد<sup>(٣)</sup> فقال لو قال الله لى يوم القيامة لم قلت بتخليد القاتل المتمرد فى  
النار فأقول له أنت الذى قلت " فجزاؤه جهنم خالداً فيها " قال قريش وكنت  
أنا أصغر القوم فقطت له رأيت لو قال الله تعالى لك ألسنت قلت " ويفر مادون  
ذلك لمن يشاء " فمن أين علمد أنى لم أشأ مففرة القاتل فسكت ولم يستطع الجواب.

(١) راجع فتح القدير للشوكانى (١/٤٩٨-٤٩٩) وتفسير ابن كثير  
(٢/٣٣٤-٣٣٥).

(٢) قريش بن أسن الأنصارى وقيل الأموى مولا هم أبو أسن البصرى : قال على  
ابن الطينى : كان ثقة .  
وقال أبو حاتم : لا بأس به إلا أنه تفسير .  
وقال أبو داود : سمعت اسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد  
يقول : انه تفسير وكذا ذكر البخارى عن اسحاق الشهيد وزاد أنه  
اختلط ست سنين فى البيت ، ومات سنة تسع ومائتين .  
وقال النسائى : وقال أبو داود عن محمد بن عمر المقدسى مات فى  
رمضان سنة ( ٢٠٨ ) .  
تهذيب التهذيب .

(٣) عمرو بن عبيد بن باب . ويقال ابن كيسان التميمى مولا هم أبو عثمان  
البصرى .  
قال عمرو بن على : متروك الحديث صاحب بدعة .  
وقال أبو حاتم : متروك الحديث ، وقال النسائى : ليس بثقة ولا يكتب حديثه .  
وقال أحمد بن حنبل : ليس بأهل أن يحدث عنه ، والكلام فيه والطعن  
عليه كثير .  
تهذيب التهذيب ( ٨ / ٧٠-٧٥ ) .

وحكى أن عمرو بن عبيد جاءه الرعمرو بن الملا رحمة الله وقال له  
هل يخلف الله وعده فقال لا فقال أليس قال الله تعالى " ومن يقتل  
مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها فإنا على هذا انه لا يخلف وعده  
فقال أبو عمرو ومن الصجعة أتيت يا أبا عثمان ان الضرب لا تمد الاخلاق في الوعد  
خلقاً وذاً واما ذلك في الخلف في الوعد وأنشد له قول القائل فيه (٢)  
وانى اذا أوعدت ووعده  
لمخلف ايمادى ومنجز موعده  
فقد امتدح بالخلف في الوعد .

وقال آخر (٣)

وانا أوعد السر أنجز وعده وان وعد الضرفالمفوء مانعه  
فاله تعالى يجوز أن يخلف في الوعد وانما لا يخلف الميماد .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله ) أى  
سافرتم في سبيل الله يعنى الفزوة (٤) ( فتبينوا ) ويقراً فتثبتوا وممناهما ترك  
الصجله .

( ١ ) انظر تفسير البغوى ( ١ / ٥٢٨ ) .

( ٢ ) لم أجده .

( ٣ ) لم أجده .

( ٤ ) الضرب فى الأرض : السير فيها . تقول الضرب : ضربت فى الأرض اذا  
سرت لتجارة أو غزوة أو غيره ، وكان السير فى الأرض سمي بذلك لأنه  
يضرب الأرض برجلين فى سيره . والمراد بالضرب فى الأرض هنا الصفر  
والسير فيها من أجل الجهاد فى سبيل الله .

( ٥ ) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو وعاصم وابن عامر " فتبينوا " بالنون من  
التبيين للأمر قبل الأقدام عليه ، وقرأ حمزة والكسائى وخلصه  
" فتثبتوا " بالياء من الثبات وترك الاستعمال .

النشر ( ١ / ٢٤٢ ) .

وفي الخبر الثاني/ من الله والمجلة من الشيطان (١) " فتبينوا " ( ولا تقولوا  
لمن ألقى اليكم السلم لست موءنا ) . يقرأ (٢) اليكم السلام ويقراً (٣) اليكم  
السلم فالسلام هو التسليم المعهود والسلم المقاوه والاستسلام والسلم  
الصلح .

وقراً أبو جعفر المدني (٤) يزيد بن القمقاع " لستم موءنا " من الأمان  
(تبتغون عرض الحياة الدنيا ) يعني تبتغون الدنيا .

وفي الآثار الدنيا عرض حاجز يأكل منها البر والفاجر والآخرو وعند  
صادق يقضى فيها طلك قادر . (٥)

( فمعد الله منام كثيره ) أي غنائم كثيره .  
( كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم ) أي تفضل الله عليكم . وفيه  
قولان :

قال سعيد بن جبير : معناه كذلك كنتم من قبل تكتمون الايمان فمن  
الله عليكم بالاظهار .

(١) راجع الا مثال للامام أبي عبيد الله القاسم بن سلام : والحديث المصروف  
في هذا المعنى : ان الصنبت لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى (٢٣٢-٢٣٣) .

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر وحفص عن عاصم والكسائي .  
النشر (٢٤٣/١) .

(٣) هي قراءة نافع وابن عامر وحمزة وخلف ، وجبله عن المفضل عن عاصم بفتح  
السين واللام من غير ألف .  
النشر (٢٤٣/١) .

(٤) وقراءة الجمهور : لست موءنا ، بكسر الميم ، النشر (٢٤٣/١) .

(٥) الحديث : رواه الامام أحمد في المسند (٢/٦٦ ، ٢٩٠) وأبو داود  
من كتاب الجهاد باب رقم (٢٤) .

وقال قتاده : معناه كذلك كنتم من قبل ضللا فمن الله عليكم بالهدى (١)

( فقبينوا ) إعادة تأكيد . . ( ان الله كان بما تعملون خبيرا ) (٢)

وسبب نزول الآية ماروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فلقوا

رجلا يقال له مرداس بن عمرو من فدك له غنيمات فانهاز بها الى الجبل لما

أحسن بالسرية ثم تقدم اليهم فقال السلام عليكم أنا مو من فبادر اليه أسامة بن

زيد (٣) وهو يقول لا اله الا الله وقتله وأخذ سلبه والغنيمات التي له فلما رجعوا

الى النبي صلى الله عليه وسلم قال لا سامة أقتلت رجلا يقول لا اله الا الله فقال

انه انما اسلم متعوذا وقال انما اسلم ليحرز نفسه وماله فقال عليه السلام

هل شققت عن قلبه فقال اسامه استغفر لى يا رسول الله فقال كيف لك بلا اله

الا الله يوم القيامة فقال استغفر لى يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام كيف

(١) قال ابن جرير ما ملخصه : قوله " كذلك كنتم من قبل " أى كذلك كنتم

تخفون ايمانكم فى قلوبكم من المشركين ، وأنتم مقيمون بين أظهرهم ،

كما كان هذا الذى قتلتموه مقيما بين أظهر قومه من المشركين مستخفيا

بدينه منهم . من الله عليكم أى فوفى ما كنتم فيه من الخوف من أعدائكم

عنكم باظهار دينه واعزاز أهله ، حتى أمكنكم اظهار ما كنتم تستحقون

به من توحيده وعبادته . . . . .

انظر تفسير الطبرى ( ٢٢٦ / ٥ ) .

(٢) النساء آية ٩٤ .

(٣) أسامة بن زيد بن حارث بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبى .

يكنى أبا زيد وقيل أبا محمد .

أمه أم أيمن واسمها بركة . مولاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وحاضنته

اختلف فى سنة يوم مات النبي - صلى الله عليه وسلم - فقيل ابن عشرين

سنة وقيل ابن تسع عشرة وقيل ابن ثمانى عشرة .

سكن بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - وادى القرى ثم عاد الى المدينة

فمات بالجرف فى آخر خلافة معاوية .

الاستيعاب ( ١ / ٧٥-٧٧ ) .

بلااله الا الله يوم القيامة هكذا حتى اعادة ثلاثا فنزلت الآية (١) فيسبه  
" ولا تقولوا لمن ألقى السلم " ولأن ذلك الرجل كان قد سلم عليهم وأسلم  
لهم ولست مؤمنا تبتفون عرض الحياة الدنيا " يعنى تبيعون بقتله غنيمة  
كانت له .

وفى رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر لأسامه وأمره باعتناق  
رقبة .

وكان أسامة من طيبة الصحابة ، وعاش الى زمان على رضى الله عنه فدعاه  
على الى الحقاته معه فى الهروب فقال لصلى أنت أعز عليّ من كل أحد ولو  
قاتلت المسلمين مع أحد لقاتلت معك ولكنى منذ سمعت رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال لى كيف لك بلا اله الا الله يوم القيامة امتنعت من القتال  
فان أعطيتنى سيفا يميز المسلم من الكافر حتى أقاتل فتركه علي وكان ممن  
اعتزل الفريقين هو وسعد بن أبى وقاص وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمر  
-رضى الله عنهم - .

وقيل : ان قاتل صاحب الغنيمة كان المقداد بن عمرو الكندى هو  
ابن الأسود .

---

( ١ ) أخرجه ابن جرير الطبرى ( ٧٦ / ٩ ) عن أبى صالح .

هذا هو القول المعروف في سبب نزول الآية (١) .

وفي الآية قول آخر أنها نزلت (٢) في معلم بن جثامة الليثي قتل رجلا وهو يقول لا اله الا الله ثم جاء الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال يا رسول الله استغفر لي . فقال لا يغفر الله لك فقام يبكي وانصرف فلما مات دفن في الأرض فلقطته الأرض ثم دفن فلقطته الأرض ثم دفن فلقطته الأرض هكذا ثلاثا فأمر النبي صلى الله عليه وسلم حتى ألقى عليه الحجارة وقال ان الأرض لتتنطق على من هو شر منه يعني من محكم ولكن الله تعالى أراد أن يريكم آية (٣) .

(١) رواه البزار والطبراني والدارقطني في "الأفراد" . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٧) واسناده جيد وقد روى البخاري (١٦٨/١٢) بشرح الفتح بعضه مختصرا تعليقا . فقال الحافظ : وهذا التمليق وصله البزار والدارقطني في الأفراد والطبراني في الكبير من رواية أبي بكر ابن علي عن ابن عطاء بن مقدم والد محمد بن أبي بكر المقدس عمن حبيب وذكر الحديث بطوله ثم قال قال الدارقطني تفرد به حبيب وتفرد به أبو بكر عنه .

(٢) رواه الامام أحمد في مسنده (١١/٦) وابن جرير الطبري (٧٣/٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٧) وقال : رواه أحمد والطبراني ورجالهم ثقات .

(٣) قلت : روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات متعددة الا أنها متقاربة في المعنى .

وقد حكى معظمها الامام القرطبي فقال ما طغصه :  
هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين سروا في سفرهم برجل معه جمل وغنيمه يبيعها فسلم على القوم وقال : لا اله الا الله محمد رسول الله ،

قوله تعالى ( لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في

سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ) .

قال زيد بن ثابت كان النبي صلى الله عليه وسلم يهلي على هذه الآية  
وفخذه على فخذي فدخل عبد الله بن أم مكتوم وقال يا رسول الله أنا رجس  
ضرب ولو استطعت أن أقاتل لقاتلت ممك فتغشى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم الوحي فقتل فخذه على فخذي حتى كان يرضه فلما سرى عنه قال  
أكتب ( غير أولى الضرر ) فنزل هذا القدر من الآية في ابن أم مكتوم وكان  
ضرباً من أولى الضرر .<sup>(١)</sup>

وقوله " غير أولى الضرر " يقرأ على وجوه برفع الراء<sup>(٢)</sup> وتقديره لا يستوى

القاعدون الذين هم غير أولى الضرر .

ويقرأ بفتح الراء<sup>(٣)</sup> على الاستثناء يعني الا أولى الضرر . وقيل هو

نصب على الحال يعني في حال الصحة وانتفاء الضرر كأنه قال لا يستوى القاعدون  
من المؤمنين أصحاء وهذا أشهر القراءتين وكذلك قرأ النبي صلى الله عليه  
وسلم .

ويقرأ غير أولى الضرر بكسر الراء يعني من المؤمنين غير أولى الضرر .

( ١ ) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ( ١٨٤ / ٥ ) ، والبخاري ( ١٩٥ / ٨ ) ،  
وأبو داود ( ١٧ / ٣ ) والترمذي ( ٩٢ / ٤ ) والنسائي ( ٩ / ٦ ) .

( ٢ ) هي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وحمره .

( ٣ ) وهي قراءة نافع وابن عامر والكسائي وخلف والمفضل .

النشر ( ١ / ٢٤٣ ) .



( وفضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعد من درجة )  
 أراد بالقاعد من هاهنا أولى الضرر وفضل المجاهدين عليهم بدرجة لأن  
 المجاهدين باشروا الجهاد مع النية وأولوا الضرر كانت لهم نية الجهاد ولكن  
 لم يباشروا فنزلوا عنهم بدرجة . ( وكلا وعد الله الحسنى ) بمعنى  
 الجنة ( وفضل الله المجاهدين على القاعد من أجر عظيم<sup>(١)</sup> ) وأراد بالقاعد من  
 غير أولى الضرر وفضل الله المجاهدين عليهم أجرا عظيما<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) النساء آية ٩٥ .

( ٢ ) قلت : من المفسرين من يرى أن الذين فضل الله عليهم المجاهدين  
 بدرجة وبدرجات صنف واحد ، وهم الذين قعدوا عن الجهاد  
 بدون عذر ، أما الذين قعدوا لمذر فهم متساوون في الأجر  
 مع المجاهدين .

وعلى هذا الرأي سار الأئوسى في تفسيره فقال ما ملخصه :

" فضل الله المجاهدين في سبيله " بأموالهم وأنفسهم على القاعد من  
 من المؤمنين غير أولى الضرر " درجة " لا يقادر قدرها . . . " وكلا  
 أى : كل واحد من الفريقين المجاهدين والقاعد من " وعد الله  
 الحسنى " . . .

وقوله " وفضل الله المجاهدين على القاعد من " عطف على ما قبله  
 " أجرا عظيما " .

ثم قال : ولعل تكرار التفضيل بطريق المطفف المبني عن المفاوية ،  
 وتقييده تارة بدرجة وتارة بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه . .  
 أما لتنزيل الاختلاف المنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات

.../...

منزلة الاختلاف الذاتى تمهيدا لسلوك طويق الابهام ثم التفسير . واما للاختلاف بالذات بين التفضيليين وبين الدرجة والدرجات . وقد حكى الامام القرطبي هذين الوجهين .

والذى نراه أولى من هذين القولين قول من قال بأن الله تعالى فضل المجاهدين على القاعد بين بئذ بدرجة ، وفضل المجاهدين على القاعد بين بغير بئذ بدرجات ، وذلك لأن هذا التفسير هو المأثور عن ابن عباس وغيره من الصحابة .

فقد قال ابن عباس فى "أراد بالقاعد بين هنا أولى الضرر ، ولأن القاعد بين بئذ وان كانوا لهم من حسن النية ما يرفع منزلتهم إلا أن المجاهدين الذين باشرُوا الجهاد وعرضوا أنفسهم لأخطار القتال يفوقونهم منزلة وأجرا ،

وهذا ما يقتضيه منطق العقول البشرية .

أما عطاء الله بعد ذلك لكل فريق فرجه اليه وحده على ما تقتضيه

حكيمته وسعة رحمته .

انظر تفسير الألوسى ( ١٢٣/٥ ) وتفسير الجامع لأحكام القرآن ( ٣٤٤/٥ ) ،

وحاشية الجمل على الجلالين ( ٤١٥/١ ) .

( درجات منه ومغفرة ورحمة ) .

قال ابن محيريز <sup>(١)</sup> هي سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس

الضمر سبعين سنة . <sup>(٢)</sup>

وفى الخبر فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين ما بين السماء

والأرض أعد لها الله للمجاهد فى سبيله . <sup>(٣)</sup>

وقيل <sup>(٤)</sup> أراد بالدرجات لاسلام والهجرة والجهاد والشهادة فى الجهاد

جاز بتلك الدرجات المجاهدون <sup>(٥)</sup> ( وكان الله غفورا رحيمًا ) <sup>(٦)</sup> .

---

( ١ ) عبد الله بن محيريز بن جنادة بن وهب القرشى الجمحى أبو محيريز المكي أحد الأعلام . سكن بيت المقدس . وكان ذا فضل وجلالة حتى ان رجاء ابن حيوة يقول : ان يفخر أهل المدينة بعابدهم ابن عمر فانما نفخر عليهم بعابدهنا ابن محيريز ، والله ان كنت أعد بقائه أمانا لأهل الأرض وعن

وعن الأوزاعي من كان مقتديا فليقتدى بمثل ابن محيريز .

توفى سنة تسع وتسعين .

تذكرة الحفاظ ( ١ / ٦٨ - ٦٩ ) .

( ٢ ) حضر الفرس : ارتفاعه فى عدوه ، يقال : احضر الفرس يحضر احضارا :

عدا عدا وشديدا .

والفرس المضم : هو الذى أعد اعدادا للسباق والركض .

( ٣ ) رواه البخارى ( ٦ / ٩ ) و ( ١٣ / ٣٤٩ ) .

( ٤ ) ذكره قتادة . زاد المسير ( ٢ / ١٧٥ ) .

( ٥ ) تكررت الدرجات للاشمار بأنهاد درجات عظيمة لا يجدها الحصر ولا يعينها المقدار بل هى شرف عظيم لا يناله الا المقربون الابرار . وهذا ما جهرينا على من أن المجاهد من ممتازون عن القاعد بل لمدرب درجة ويمتازون عن القاعد بمن غير مدرب درجات .

( ٦ ) النساء آه ٩٦ .

قوله تعالى ( ان الذين توفاهم الملائكة ) قرأ عيسى بن أبي مريم  
النحوى (١) تتوفاهم بالتائين .

والمعروف توفاهم وأصله تتوفهم (٢) بأدغام احدى التائين تخفيفا على  
القراء المشهوره .

فان قال قائل لم قال تتوفاهم الملائكة والمتوفى ملك واحد كما قال  
يتوفاهم ملك الموت \* قيل (٣) ذكره بلفظ الجمع المراد به الواحد ومثله سائغ فسى  
كلام العرب وقيل (٤) ان لملك الموت أعوان فعمله أراده مع أعوانه فذلك ذكر  
بلفظ الجمع .

---

( ١ ) عيسى بن عمر النحوى ، أبو عمر البصرى الشافى .

قال ابن معين : بصرى ثقة .

وقال أبو محمد بن قتيبة كان من أهل القراءة الا أن الفريب والشعر  
أغلب عليه .

مات سنة تسع وأربعين ومائة .

وقال أبو عبيد : كان من قراء أهل البصرة غير أنه كان له اختيار فى القراءة  
على مذهب المريية يفارق قراءة العامة ، وكان يحب النصب ما وجد له  
سبيلا .

تهذيب التهذيب ( ٨ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ) .

( ٢ ) قال الفراء : ان شئت جعلت " توفاهم " ما ضيا ولم تضم تا مع التاء ،  
مثل قوله تعالى " ان البقر تشابه علينا " .

وعلى هذا التقدير تكون هذه الآيه اخبارا عن حال أقوام معينين  
انقرضوا ومضوا . وعلى تقدير الوجه الذى ذكره المؤلف فهى للمستقبل  
وعلى هذا تكون الآيه عامة فى حق كل من كان بهذه الصفة وهو الأولى  
والله أعلم .

( ٣ ) هو قول لمقاتل . زاد المسير ( ٢ / ١٧٧ ) .

( ٤ ) هو رواية عن مقاتل أيضا . زاد المسير ( ٢ / ١٧٧ ) .

قال عكرمة والضحاك : الآية في قوم أسلموا بمكة قبل الهجرة  
فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة تخلفوا عن الهجرة فلما كان  
يوم بدر حملهم الكفار مع أنفسهم الى بدر كرها فقتلوا بين الكفار (١) .

وقوله ( ظالمى أنفسهم ) يعنى بالشرك فانهم قتلوا مشركين اذ  
ماكان يقبل الاسلام بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الا بالهجرة  
ثم أبيح ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام " لا هجرة بعد الفتح " .

( ١ ) روى المفسرون في سبب نزول هذه الآية روايات منها :-  
ما أخرجه البخارى عن ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين  
يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي السهم  
فترص به فيصيب أحدهم فيقتله . أو يضرب فيقتل . فأنزل الله : ان الذين  
توفاهم . . . الآية .

ومنها ما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس قال : كان قوم بمكة قصد  
أسلموا فلما هاجر رسول الله كرهوا أن يهاجروا - خوفا على أموالهم  
ونفورا من مفارقة أولادهم فأنزل الله الآية " .

ومنها ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل  
مكة قد أسلموا وكانوا يجفون الاسلام . فأخرجهم المشركون معهم يوم  
بدر فأصيب بعضهم فقال المسلمون : هوءلاء كانوا مسلمين فأكرهوا  
فاستشفروا لهم فنزلت الآية .

قال ابن كثير بعد ذكره لهذه الروايات :-  
هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهرائى المشركين وهو قادر  
على الهجرة وليس متمكناً من اقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما  
بالاجماع وبعض هذه الآيه .  
انظر تفسير ابن كثير ( ٥٤٢ / ١ ) وانظر تفسير الطبرى ( ٢٠١ / ٥ ) .

( ٢ ) أخرجه البخارى من كتاب الجهاد ( ١ ) باب فضل الجهاد والسير  
( ٢٠٠ / ٣ ) و ( ٢٧ ) باب وجوب التفرير وما يجب من الجهاد والنيسه  
( ٢١٠ / ٣ ) و ( ١٩٤ ) باب لا هجرة بعد الفتح ( ٣٨ / ٤ ) وفي مواضع  
أخرى .  
والامام مسلم من كتاب الامارة ، باب المبايعه بعد فتح مكة على الاسلام  
والجهاد والخير وسبيل معنى لا هجرة بعد الفتح ( ٢٨ / ٦ ) وغيرهما .

( قالوا فيم كنتم ) يعنى الملائكة قالوا لا ولك الذين أسلموا ولم  
 يهاجروا فيم كنتم يعنى فى أى الفريقين كنتم . فى المسلمين أم المشركين  
 وهذا سؤال توبيخ لا سؤال تعليم .

( قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ) يعنى كنا بكمه مستضعفين بين  
 المشركين ( قالوا ) يعنى الملائكة ( ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا  
 فيها ) يعنى الى المدينة<sup>(١)</sup> ( فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا<sup>(٢)</sup> )  
 حكم لهم بالنهار لأنهم ماتوا مشركين . ( الا المستضعفين وهم أصحاب  
 الأعدار ) من الرجال والنساء والولدان ) منهم الوليد ابن الوليد<sup>(٣)</sup>

( ١ ) هى كذلك والأولى العموم اعتبارا بعموم اللفظ .  
 قلت : وهذا دليل على أن الرجل اذا كان فى بلد لا يتمكن فيه  
 من إقامة دينه كما يجب لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين  
 لا تنحصر - أو علم أنه فى غير بلدة أقدم بحق الله وأدوم للعبادة حققت  
 عليه المهاجرة .

( ٢ ) النساء آيه ٩٧ .

( ٣ ) الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى  
 المخزومى .

أخو خالد بن الوليد .

كان حضر بدرا مع المشركين فافتداه أخواه هشام وخالد ، وكان هشام  
 شقيقه أمهما آمنة أو عاتكة بنت حربته . فلما افتدى أسلم فحبسه  
 أخواله فكان النبى - صلى الله عليه وسلم - يدعو له فى القنوت كما ثبت  
 فى الصحيح .

الاصابه ( ٦٣٩/٣ - ٦٤٠ ) الاستيعاب ( ٦٢٨/٣ ) .

وسلمة بن هشام<sup>(١)</sup> وعياش بن أبي ربيعة .

قال ابن عباس : " كنت أنا وأخي من المستضعفين بمكة<sup>(٢)</sup> وهم

الذين دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت فقال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة وأشد مطأتك

على مصر<sup>(٣)</sup> هكذا كان يدعو لهم شهرا حتى نجوا وقد مو فترك ذلك الدعاء

وقبل له في ذلك فقال ألا ترونهم قد قدوا<sup>(٤)</sup> . ( لا يستطيعون هيلة ) يعنى

للخروج ( ولا يهتدون سبيلا<sup>(٥)</sup> ) أى طريقا الى المدينة .

( ١ ) سلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي . كان من مهاجرة الحبشة ، وكان رضى الله عنه - من خيار الصحابة وفضلاتهم ، واحتبس بمكة وعذب في الله عز وجل وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو له صلواته بالدعاء له ، ولغيره من المستضعفين بمكة . ولم يشهد بدرأ ولما وصفنا .

وقتل يوم مرج الصفير سنة أربع عشرة في خلافة عمر .

وقيل بل قتل بأجناد بين ستة ثلاث عشرة في جمادى الأولى قبل صوت

أبي بكر - رضى الله عنه - بأربع وعشرين ليلة .

الاستيعاب ( ٢ / ٨٥ - ٨٦ ) .

( ٢ ) أخرجه البخارى من كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء ، باب ( ١٣ )

فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ( ٥ / ١٨١ ) .

( ٣ ) أخرجه البخارى من كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء ( ٢١ ) باب فأولئك

عسى الله أن يعفوا عنهم الآية .

( ٥ / ١٨٣ ) .

( ٤ ) صحيح الامام مسلم من كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب

القنوت في جميع الصلاة اذا نزلت بالقرآن من نازله ( ٢ / ١٣٥ ) .

( ٥ ) النساء آية ٦٨ .

( فأولئك عسى الله أن يمفو عنهم ) وعسى من الله واجب لأنسه  
للإطماع والله تعالى إذا أطمع عبدا أوجب له وأوصله إليه . ( ١ ) وكان  
الله عفواً غفورا ( ٢ ) .

روى أنه لما نزلت هذه الآية كتب بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه  
عليه وسلم إلى المستضعفين وكان فيهم شيخ كبير يقال له جندع بن ضمرة  
ويقال حبيب بن ضمره ( ٣ ) فقال لست من المستضعفين وأنا أعرف طريق المدينة  
فقال لبنيه احطوني إلى المدينة فحطوه يأتون به ظمأ بلغ التنعيم أدركه الموت  
فبلغ ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وصل إلى المدينة  
لأثم الله أجره فنزل ( ٤ ) قوله تعالى ( ومن يهاجر في سبيل الله بهجد  
في الأرض مراغماً كثيراً وسهواً ) ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله  
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ) يعني تم أجره . ( ٥ )

( ١ ) قال الأوسى : وفي قوله " عسى الله أن يمفو عنهم " أيذان بأن ترك  
الهجرة أمر خطير حتى إن الضطر الذي تحقق عدم وجوبها عليه ينبغي  
له أن يمد تركها ذنباً ولا يأمل . ويتروى الفرصة ويملق قلبه بها .  
انظر تفسير الأوسى ( ١٢٧/٥ ) .

( ٢ ) النساء آية ٩٩ .

( ٣ ) اختلف في اسم هذا الصحابي اختلافاً كثيراً فترجم له صاحب الإصابه في  
جندع وقال : " جندع ابن ضمرة بن أبي العاص الجندعي أو اللبثي . . .  
قال ابن اسحاق في السيرة عن يزيد بن عبد الله ابن قسيط عن رجال من  
قومه قالوا لما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة فكسبان  
جندع بن ضمرة ابن أبي العاص رجلاً مسلماً فاستبطأ فذكر الحديث . .  
ورواه حماد بن سلمة عن ابن اسحاق جندع بن ضمرة وبذلك جرد الواقدي  
الإصابه ( ٢٥١/١ - ٢٥٢ ) وراجع ترجمة ضمرة بن عمر ( ٢١٢/٢ ) وضمرة  
ابن أبي المييص ( ٢١٢/٢ ) .

( ٤ ) رواه ابن كثير ( ٣٤٦/٢ ) .

( ٥ ) انظر تفسير الأوسى ( ١١٩/٥ ) .



وقوله " ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة "

المراغم المهاجر ، والمراغمة المهاجرة .

قال أبو عمرو ابن الملا : . وإنما سميت المهاجرة مراغمة لأنه من هاجر

مراغم قومه وقربته . ( ١ ) وقال الشاعر : - ( ٢ )

كطود تلات بأركانسه غزيز المراغم والمهـرب

( ١ ) قال القرطبي : " اختلف في تأويل المراغم ، فقال مجاهد : المراغم

المتزحج . وقال ابن عباس والضحاك والربيع وغيرهم : المراغم المتحول والمذهب .

وقال ابن زيد : والمراغم المهاجر .  
وقاله أبو عبيد قال النحاس : فهذه الأقوال متفقة الممانى ، فالمراغم المذهب والمتحول في حال هجرة ، وهو اسم الموضع الذي يراغم فيه ، وهو مشتق من الرغام .

ورغم أنف فلان أى لصق بالتراب ، وراغمت فلانا هجرته وعاد يته ولم أبال ان رغم أنفه .

وقيل : إنما سمي مهاجراً ومراغماً لأن الرجل كان إذا أسلم عادى قومه وهجرهم ، فسمي خروجه مراغماً وستى مصيره الى النبي - صلى الله عليه وسلم - هجرة .

وقال السدي : المراغم المبتغى للمعديشه .

وقال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : المراغم الذهاب فى الأرض .

وهذا كله تفسير بالمعنى . ، وكله قريب بمعنى من بعض ، فأما الخاص باللفظه فان المراغم موضع المراغمة كما ذكرنا ، وهو أن يرغم كل واحد من المتنازعين أنف صاحبه بأن يغلبيه على مراده فكان كفار قريش أرغموا أنوف المحبوسين بمكة فلو هاجر منهم مهاجر لأرغم أنوف قريش لحصوله فى منعة منهم ، فتلک الينمة هى موضع المراغمة .

الجامع لا حكام القرآن ( ٣٤٧/٥ - ٣٤٨ ) .

( ٢ ) البيت للبابضة الجمدي وهو فى ديوانه ( ٢٢ ) . والقرطبي ( ٣٤٨/٥ ) ،

واللسان ( رغم ) ومجاز القرآن ( ١٣٨/١ ) .

وقال جمهور العلماء وهو قول أكثر الأمة أنه يجوز القصر في حال  
الأمن لما روى عن يعلى بن أمية<sup>(١)</sup> أنه قال لحمر - رضي الله عنه - ، مالنا نقصر  
وقد أمنا والله يقول في كتابه " أن تقصروا من الصلاة ان خفتم " قال عمر  
عجبت كما تمجبت أنت فسألت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال " صدقة تصدق  
الله بها عليكم فاقبلوا عدته<sup>(٢)</sup> .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر من مكة الى المدينة  
لا يخاف الا الله وقصر الصلاة<sup>(٣)</sup> وكان عليه السلام يقصر الصلاة في جميع أسفاره

---

(١) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة واسمه عبيد ويقال زيد بن حمام بن الحارث  
ابن بكر بن زيد بن مالك بن حنظله بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، أبو خلف  
ويقال أبو صفوان المكي حليف قريش .  
قال ابن سعد : شهد الطائف وحنينا وتبوك مع النبي - صلى الله  
عليه وسلم - .

وقال أبو أحمد الحاكم : كان عامل عمر بن الخطاب على نجران .

تهذيب التهذيب ( ٣٩٩ / ١١ - ٤٠٠ ) .

(٢) أخرجه الامام مسلم من كتاب الصلاة ، باب صلاة السافر وقصرها ( ١٤٣ / ٢ )  
والامام أحمد في مسنده ( ٢٥ / ١ ) ( ٣٦٠ ) .

(٣) أخرجه الترمذي من أبواب السفر ، باب التقصير في السفر حديث رقم  
( ٥٤٥ ) ( ٢٩ / ٢ ) وقال : هذا حديث صحيح ، وراجع ابن كثير  
( ٣٤٨ / ٢ ) .

ولم ينفذ أنه أتم في سفر ولذلك قال الشافعي : القصر أولى وان حاز الأتمام (٢) (١)  
وروى عن جابر والحسن وهو قول ابن عباس أن صلاة الحضر أربع ركعات وصلاة  
السفر ركعتان ، وصلاة الخوف ركعة (٣) .

وروى عن ابن عباس أنه قال : فرض الله الصلاة على لسان نبيه صلى  
الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة (٤) . وأكثر الأئمة على  
أن القصر في الخوف ركعتان مثل قصر السفر .

ثم اختلفوا في القصر على قولين أنه اباحة أم واجب .

قال بعضهم هو اباحة وهو اختيار الشافعي وهو أصح لقوله عز ذكره

" فليس عليكم جناح " وهو مثل قوله " فلا جناح عليكم ما أن يتراجعا (٥)

(١) صحيح الترمذي (٢/٢٨ - ٢٩) .

(٢) قلت وضح الامام ابن كثير هذه المسألة توضيحا حسنا فقال ما طخسه :-  
وقوله تعالى " ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا " الشرط فيه  
خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية . ان كانت أسفارهم بعد  
الهجرة في مبدئها مخوفة . بل كانوا لا ينهضون الا الى غزو عام ،  
أو سرية خاصة ، وسائر الأحياء حرب للإسلام وأهله .

والمنطوق اذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له كقوله تعالى " ولا تكثرها  
فتيانكم على النعماء ان أردن تحصنا " وقوله تعالى " وربائبكم الاتى فى  
حجوركم من نسائكم " .

بعد هذا ساق ابن كثير الأحاديث التى أوردها شيخنا السمعاني  
للدلالة على هذا المفهوم .  
انظر تفسير ابن كثير (١/٥٤٤) .

(٣) سلم من كتاب الصلاة ، باب صلاة المسافرين وقصرها (٢/١٤٣) .

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٣٤٨) .

(٥) البقرة آية (٢٣٠) .

وقال بعضهم شو واجب والخلاف بين السلف مشهور فيه .  
وقوله " ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا " أى يقتلكم . والفتنة بمعنى  
القتل ها هنا .

وقرأ أبى بن كعب أن تقصروا عن الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا  
من غير قوله " ان خفتم " (٢)

ويروى عن أبى أيوب الأناضولى أنه قال نزل قوله " فليس عليكم جناح  
أن تقصروا من الصلاة " هذا القدر فحسب ثم مضى حول ولم ينزل شىء  
فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف ثم نزل (٣) " ان خفتم  
أن يفتنكم الذين كفروا ( ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا ) (٤)

(١) قال القرطبى ما ملخصه :-

واختلف العلماء فى حكم القصر فى السفر ، فروى عن جماعة أنه  
فرض وهو قول عمر بن عبد العزيز والكوفيين . . . واحتجوا بحدِيث  
عائشة " فرضت الصلاة ركعتين ركعتين . . . " ولا حجة فى مخالفتها  
له ، فانها كانت تتم فى السفر وذلك يوشىه . . .

وحكى ابن النجهم أن أشهب روى عن مالك أن القصر فرض ، ومشهور  
مذهبه وجل أصحابه وأكثر العلماء من السلف والخلف أن القصر سنه .  
وهو الصحيح .

انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٥١/٥) .

(٢) تفسير الطبرى (١٢٧/٩) .

(٣) رواه ابن جرير (١٢٦/٩) وابن كثير (٣٥٤/٢) .

(٤) النساء آيه ١٠١ .

" واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة " فأشار الى أنه راجع الى صلاة  
الخوف لا الى صلاة السفر .

قوله تعالى ( واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة ) بين في هذه الآية  
كيفية صلاة الخوف وأعلم أن صلاة الخوف جائزة بعد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم على قول أكثر العلماء .

وقال بعضهم صلاة الخوف لا تجوز لأحد بعده وهو قول أبي يوسف  
تمسكا بظاهر الآية قوله " واذا كنت فيهم فشرط كون فيهم والأصح هو  
الأول وقوله " واذا كنت فيهم ليس على سبيل الشرط وإنما خرج الكلام  
على وقف الحال .

وقد ورد أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا بعدة صلاة  
الخوف<sup>(١)</sup> . ( فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ) . وسبب نزول  
الآية ما روى أبو عياش الزرقى<sup>(٢)</sup> أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل

( ١ ) أخرج أبو داود والنسائي وابن حبان وغيرهم عن ثعلبة بن زهيد  
قال كنا مع سميد بن العاص بطبرستان فقال أيكم صلى مع رسول الله  
صلاة الخوف ؟ فقال حذيفة أنا . ثم وصف له ذلك وصلوا كما  
وصف ، وكان ذلك بمحض من الصحابة ولم ينكره أحد منهم . وهم  
الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم ، وهذا محل الاجماع .  
انظر تفسير الألويسي ( ١٣٤ / ٥ ) .

( ٢ ) أبو عياش الزرقى الأنصاري . اسمه زيد بن الصامت بن زيد بن خلدة بن  
مفلح بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن عصب بن جشم بن  
الخزرج . يقال انه مات بعد الأربعين في خلافة معاوية .  
ذكره ابن سعد فيمن شهد أحدا وما بعده .  
تهذيب التهذيب ( ١٩٣ / ١٢ ) .

بمسفان<sup>(١)</sup> وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد ف صلى النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه صلاة الظهر فقال المشركون قد وجدنا منهم غرة ان قصدناهم وحطنا عليهم فقال بعضهم ستأتبهم صلاة هي أحب اليهم من أولادهم وأهاليهم يعنون صلاة العصر فنزل جبريل وأخبره بمقاتلتهم وأمره بصلاة الخوف<sup>(٢)</sup>.

وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف بروايات شتى وأخذ الشافعي برواية صالح بن خوات<sup>(٣)</sup> بن جبير

---

(١) مسفان بضم الميم وسكون السين موضع على مرحلتين من مكة .  
وقيل هي قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهي حدتها .  
عون المعبود (٤/١٠٥) .

(٢) أخرجه الامام أحمد (٤/٦٠٥٩) وأبو داود من كتاب الصلاة  
باصلاة الخوف (٤/١٠٤) عون المعبود والنسائي  
والحاكم في المستدرک (١/٣٣٧) وقال : هذا حديث صحيح  
على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

(٣) صالح بن خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري المدني .  
روى عن أبيه وخاله سهل بن أبي خيثمة وعنه ابنة خوات ويزيد بن  
رومان وهامر بن عبد الله بن الزبير والقاسم بن محمد .  
قال النسائي : ثقة .

ذكره ابن حبان في الثقات .

روى له الجماعة حديث الحرب .

قال ابن سعد : قليل الحديث .

تهذيب التهذيب (٤/٣٨٧) .

عن أبيه<sup>(١)</sup> عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى صلاة الخوف فحمل أصحابه الصحابة فرقتين وصلى باحد الطائفتين ركعة فقاموا وأتموا ركعتين وذهبوا الى وجه المدو وجاءت الطائفة الثانية والنبي صلى الله عليه وسلم ينتظرهم فضلى بهم الركعة الثانية وانتظرهم جالسا حتى قاموا وأتموا ركعتين ثم سلم بهم<sup>(٢)</sup> . فهذا معنى قوله ( فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا بأسلحتهم )<sup>(٤)</sup>

(١) خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري ، أبو عبد الله ويقال أبو صالح .

روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أحاديث .

قال ابن إسحاق في المسيرة : ضرب له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر بسيفه وأجره . وذكره عبد الله بن أبي رافع فيمن شهد صفين مع علي ورضي الله عنه - لمن أهل بدر .

مات سنة ( ٤٠ ) وسنة ٧١ سنة .

قال المسكري : شهد أحدا وما بعدها وكف بصره ومات بالمدينة .  
تهذيب التهذيب ( ١٧١ / ٣ ) .

(٢) البخاري باب صلاة الخوف ( ٢٢٦ / ١ ) وسلم ، باب صلاة الخوف ( ٢١٤ / ٢ ) وأبوداود باب صلاة الخوف ( ١٠٩ / ٤ ) عون المعبود ، والترطد باب ماجاء في صلاة الخوف حديث رقم ( ٥٦٢ ) ( ٤٠ / ٢ ) ، وابن ماجه باب ماجاء في صلاة الخوف حديث رقم ( ١٢٥٩ ) ( ٢٩٩ / ١ ) مختصرا ومطولا .

(٣) ذكر صاحب أضواء البيان أن الامام الشافعي اختار من هيئات صلاة الخوف أربعة ، من ضمنها هذه التي ذكرها المؤلف . راجع أضواء البيان ( ٣٤٨ / ١ - ٣٥٢ ) .  
وقد سرد أيضا ما أخذ به غيره من الأئمة .

(٤) وردت صلاة الخوف بروايات متعددة كما ذكر الامام السمعاني يؤخذ منها أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صلى صلاة الخوف على هيأت مختلفة وفي مواضع متعددة . ويشهد لهذا قول القرطبي :  
وقد اختلفت الروايات في هيئة صلاة الخوف .

.../...

واختلف العلماء لا اختلافها .

فذكر ابن القفار أنه صلى الله عليه وسلم - صلاها في عشر مواضع ،  
وقال ابن المربى : روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى صلاة الخوف  
أربعاً وعشرين مرة .

وقال الامام أحمد بن حنبل وهو امام أهل الحديث والمقدم في معرفة علل  
النقل فيه : لا أعلم أنه روى في صلاة الخوف الا حديث ثابت . وهي كلها  
صاح ثابت . فعلى أى حديث صلى منها المصلى صلاة الخوف أجزاءه  
ان شاء الله .

وقال ابن كثير : صلاة الخوف أنواع كثيرة فان المد وتارة يكون تجاه  
القبلة وتارة يكون في غير صوبها ثم تارة يصلون جماعة وتارة يلتحم الحرب فلا  
يقدره على الجماعة ، بل يصلون فرادى مستقبلي القبلة وغير مستقبليها .  
ورجالاً وركباناً .

ومن العلماء من أباح تأخير الصلاة لمعدر القتال كما أخر النبي صلى  
الله عليه وسلم يوم الأحزاب صلاة الظهر والمصر فصلاهما بعد الغروب ، ثم  
صلى بعدهما المغرب والمشاء . .

وأما الجمهور فقالوا هذا منسوخ بصلاة الخوف فانهما لم تكن نزلت بعد ،  
ظما نزلت نسخ تأخير الصلاة لذلك .

انظر الجامع لاحكام القرآن ( ٣٦٥ / ٥ ) وابن كثير ( ٥٤٧ / ١ ) .

قلت : ونظرا لاختلاف الروايات الواردة في كيفية صلاة الخوف ، فقد  
اختلف الفقهاء في كيفية أدائها تهما لما فهمه كل فريق من تلك الروايات .



واختلفوا في أنهم متى يأخذون أسلحتهم .

قال بعضهم يأخذونه في الصلاة ليكونوا أهيب في عين العدو فعلى

هذا يأخذون من السلاح ما لا يمنعهم من الاتيان بأركان الصلاة .

وقال آخرون يأخذون السلاح اذا ذهبوا الى وجه العدو .

( فاذا سجدوا ) يعني فاذا صلوا ( فليكونوا من ورائكم ولتأت

طائفة آخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ) والحذر

ما يتقى به للحذر من العدو . ( ود الذين كفروا لو تفلسون )

لو وجدوكم غافلين ( عن أسلحتكم وأمتعتكم ) يعني بالصلاة ( فيميلون عليكم

ميلة واحدة ) أى فيحطون عليكم حطة واحدة . ( ولا جناح عليكم ان كان بكم

أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضيوا أسلحتكم ) رخص لهم في وضع

السلاح في حال المطر والمرض لأن السلاح يشغل حظه في هاتين الحاليتين .

( وخذوا حذرکم ان الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً ) ( ١ ) ( ٢ ) .

قوله تعالى ( فاذا قضيتم الصلاة ) يعني صلاة الخوف ( فاذكروا

الله قياماً وقعوداً وعلين جنوبكم ) يعني الذكر بالتسبيح والتهليل والتحميد

والتمجيد ( فاذا أطأنتنم ) يعني فاذا سكنتم وأقمتم وأمنتنم

( ١ ) قلت : ومن الأحكام التي أخذها العلماء من هذه الآية أهمية

صلاة الجماعة لأن الله تعالى أمر المسلمين بأن يؤدوا الصلاة فسي

جماعة حتى وهم في حالة الاستعداد للقاء أعدائهم .

( ٢ ) النساء آية ١٠٢ .

( فأقيموا الصلاة ) بمعنى على أركانها وهياتها كما عرفتم ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا (١) .

قال مجاهد : أى فرضا موقتا يؤدى فى أوقاته .

وقال زيد بن أسلم : أراد به فرضا منجما يأتى نجم بعد نجم . (٢)

( وترجون من الله مالا يرجون ) أى ( وتأملون من الله ) (٣) مالا يطمنون

من الظفر فى الدنيا والشواب فى الآخرة .

وقال الفراء والكسائى : الرجا بمعنى الخوف وكل راج خائف لأنسه

يخاف أن لا يدرك المأمول ومنه قوله تعالى " مالكم لا ترجون لله وقارا " (٤)

وأجمعوا على أن معناه لا يخافون لله عظمة . قال الشاعر : (٥)

لا ترتجى حين تلاقى الذائد إذا أسبمة لاقى معا أم واحدا .

(١) النساء آه ٣ . ١٠٠

(٢) رجح الامام ابن جرير الطبرى القول الاول فقال : وأولى الممانى بتأويل

الكلمة قول من قال : ان الصلاة كانت على المؤمنين فرضا موقوتا . أى

فرضا وقتلهم وقت وجوب أدائه . لأن الموقوت انما هو مفعول من قسول

القاتل : وقت الله عليك قرضه فهو يقته . ففرضه عليك موقوت . اذا

أخبر أنه جعل له وقتا يجب عليك أدائه . . . . .

انظر تفسير الطبرى (٥/٢٦٢) .

(٣) فى النسخ " وتألّمون من الله " وهو تصميف والصواب ما أثبتته .

(٤) نوح آه ١٣ .

(٥) البيت للبهذلى . وهو فى اللسان مادة " رجا " منسوبا للبهذلى

والطبرى (٥/٢٦٤) ومعنى القرآن للفراء (١/٢٨٦) والأضداد

لابن الأنبارى صفحه (١١) . ومعنى لا ترتجى ، لاتخاف ، والذائد :

من زاد الابل اذا طردتها وساقها ودفعها .

( وكان الله عليما حكيما )<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( ولا تهنوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون ) .

سبب نزول الآية أن الكفار يوم أحد لما انهزموا بعث النبي - صلى الله عليه وسلم - طائفة من أصحابه على اثرهم ، فشكوا ألم الجراحات فنزلت الآية<sup>(٢)</sup> " ولا تهنوا في ابتغاء القوم " أي لا تضرعوا في طلب القوم " ان تكونوا تألمون " أي توجعون وتشكون الألم " فانهم يألمون " أي يوجعون ويشكون الألم " كما تألمون " . وقال الشاعر<sup>(٣)</sup> في معناه :

قاتل القوم يا خزاع ولا يدخلنكم من قتالهم قتل  
القوم أمثالكم لهم شمر في الرأس لا ينشرون أن قتلوا .

قوله تعالى ( انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ) سبب نزول الآية ماروي أن طعمه ابن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا فلما أتهم به ألقاه في دار يهودى وقال انه سرق وفي رواية أودعه عند يهودى فلما ظهر قال ان اليهودى سرقة فجاءه قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم وهم بنو ظفر بن الحارث ليدافعوا عنه ، وهم النبي صلى الله عليه وسلم بدفع السرقة وقطع

( ١ ) النساء آية ١٠٤ .

( ٢ ) الجامع لأحكام القرآن ( ٣٧٤ / ٥ ) .

( ٣ ) البيتان في البحر المحيط ( ٣ / ٣٤٢ ) غير منسوبين وروايتها فيه :

قاتلوا القوم يا خذاع ولا يأخذكم من قتالهم قتل  
القوم أمثالكم لهم شمر في الرأس لا ينشرون أن قتلوا .

يد اليهودى وكان عند قومه أنه السارق فنزل قوله تعالى ( انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ) لتحكم بين الناس بما أراك الله ( ١ ) أى بما علمك .

وهكى عن ابن عباس أنه قال : " إياك والرأى فان الله تعالى يقول بما أراك الله ولم يقل بما رأيت " ( ٢ ) ( ولا تكن للخائنين خصيماً ) ( ٣ ) يعنى طعمه من الخائنين فلا تكن مدافعا عنه .

( ٤ ) ( واستغفر الله ) أمره بالاستغفار لأنه كان قد هم أن يدافع عنه  
( ان الله كان عفورا رحيماً ) ( ٥ )

( ١ ) ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآيات روايات مختلفة السياتى الأنها مقاربة للمعنى الذى ذكره الامام السمعانى .

راجع تفسير الطبرى ( ١٧٦/٩ - ١٧٧ ) وأسباب النزول للواحد ن ( ١٧٢ - ١٧٣ ) وتفسير ابن كثير ( ٣٥٨/٢ - ٣٥٩ ) وغيرها .

( ٢ ) قال ابن كثير : احتج من ذهب من علماء الأصول التى أنه كان صلى الله عليه وسلم - له أن يحكم بالاجتهاد بهذه الآيه ، وبما ثبت فى الصحيحين عن أم سلمة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع جلته خضوم بيباب حجرة فخرج اليهم فقال ألا انما انا بشر ، وانما أقتضى بنحو ما أسمع . ولعل أحدكم أن يكون الحسن بحجته من بعضى فأقتضى له . فمن قضيت له بحق سلم فانما هى قطعة من النار فليحطها أو ليذرهما " .  
انظر تفسير ابن كثير ( ٣٥٨/٢ ) .

( ٣ ) النساء آية ١٠٥ .

( ٤ ) قلت : أمره بالاستغفار - وان لم يكن ذنبا - لعلو مقامه - صلى الله عليه وسلم - أو أن الممنون - واستغفر الله للهؤلاء الخائنين لكى يتوبوا الى الله تعالى ببركة استغفارك لهم ، ان الله - تعالى - كان كثير المغفرة لمن تاب اليه وكثير الرحمات لمن آمن به واتقاه .

وهذا الأمر بالاستغفار والانية الى الله موجه الى كل مكلف نفسى شخص النبى - صلى الله عليه وسلم - .

( ٥ ) النساء آية ١٠٦ .

قوله تعالى ( ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ) أى يخونون أنفسهم والاختنان افعال من الخيانة<sup>(١)</sup> . ( ان الله لا يحب ) قال أهمل التفسير معناه ان الله لا يقرب ( من كان خوانا أسيما<sup>(٢)</sup> ) الخوان الخاين والأسيما ذوالأشم .

قوله تعالى ( يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم ) يشكو بنى ظفر من العارث . معناه يستترون من الناس ولا يستترون من الله وهو معهم ( ان يبيتون ما لا يرضى من القول ) قد بينا أن التبييت تدبير الفعل ليلاً<sup>(٣)</sup> .

وذلك التبييت منهم ان قوم طعنه قالوا نذفع أمره الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع بيئته وقوله لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودى لأنه كافر فلم يرضى الله تعالى قولهم . ( وكان الله بما تعملون محيطا<sup>(٤)</sup> ) .

---

( ١ ) جاء سبحانه وتعالى بلفظ " تختانون " بمعنى يخونون بالقصد وصفهم بالمالفة في الخيانة لأن مادة الافتعال تدل على التكلف والمحاولة .

وجعلت خيانة هؤلاء لغيرهم خيانة لأنفسهم ، لأن سوء عاقبة هذه الخيانة سيهود عليهم ، ولأن المسلمين جميعا كالجسد الواحد . فمن تظاهر بأنه منهم ثم خان أحدهم فكأنما خان نفسه ، وأوردها موارد البوار والتهلكة باعتدائه على حقوق الجماعة الاسلامية ، وزعزعة أمنها واستقرارها .

( ٢ ) النساء آية ٧ . ( ١ ) .

( ٣ ) راجع تفسيره لكآية ( ٨١ ) من نفس السورة .

( ٤ ) النساء آية ٨ . ( ١ ) .

قوله تعالى ( هأنتم هؤلاء ) بمعنى أنتم يا هؤلاء .  
قال الزجاج معناه هأنتم الذين ( جادلتم عنهم في الحياة  
الدنيا ) أى خاصتم .

وأعد الجدال الجدال وهو الفتنك ويقال شخص أجدل اذا كان وتيق  
الخلق ويقال للصغير أجدل لأنه أقوى الطيور على الصيد (١) فمن يجادل الله  
عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيسلا (٢) يعنى من الذى يتولى أمرهم  
ويذب عنهم يوم القيامة . (٣)

قوله تعالى ( ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله  
غفورا رحيفا ) (٤)

عرض التوبة على طمعه وقومه فى هذه الآية وأمرهم بالاستغفار .

---

( ١ ) وقيل أن الجدال مأخوذ من الجدالة وهى منحة الأرض فكأن كل واحد  
من الخصمين يكون كالحصار الذى يريد أن يلحق صاحبه عليها . ومنه  
قولهم : تركته محذلا أى مطروحا على الأرض .  
فتح القدير ( ١ / ٥١١ ) .

( ٢ ) النساء آيه ٩٠ .

( ٣ ) قلت : الاستفهام انكارى بمعنى النفسى فى الموضعين أى لا أحد  
يجادل عنهم أمام الله تعالى ولا أحد يستطيع أن يقوم بتدبير أمورهم  
يوم القيامة .

( ٤ ) النساء آيه ١١٠ .

قوله تعالى ( ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه ) سبب هذا أن

قومه قالوا له تب الى الله فحلف أنى ما سرقته وانما سرقة اليهودى فذلك الذى يقول الله تعالى ومن كسبه الاثم ( وكان الله طيما حكيما )<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( ومن يكسب خطيئة أو اثما ) هو سرقة التى ذكرنا ( ثم

يرم به بريئا ) هو نسبة السرقة الى اليهودى كان بريئا عنها ( فقد احتل

بهتانا واثما مبينا )<sup>(٢)</sup> فالبهتان الكذب الذى يتحير منه الانسان وهو

البهت . وأراد بالاثم المبين اليمين الفاجره .<sup>(٣)</sup>

( ١ ) النساء آيه ١١١ .

( ٢ ) النساء آيه ١١٢ .

( ٣ ) قلت : المراد بالاثم هنا : الذنوب التى يرتكبها الانسان عن عمد واصرار فتوى به الى الابطار عن الاتجاه الى الله بالاستغفار والتوبه ، لأن الاثم كما يقول الراغب اسم للأفعال المبطشة عن الثواب .

والبهتان كما يقول القرطبي من البهت بمعنى الدهش والتحير من فظاعة مرمى به الانسان من كذب وهو أن تستقبل أخاك بأن تقذفه بذنوب وهو منه برى\* زوى سلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى - صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبه ؟ قالوا اللسه ورسوله أعلم ، قال ذكرك أخاك بما يكره قال : أفرايت ان كان فى أخى ما أقول ؟ قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فقد بهته\* ثم قال القرطبي : وهذا نص فى البرى\* بهت له يقال ، بهتته بهتا وبهتا وبهتانا اذا قال عليه ما لم يفعله .

انظر مفردات القرآن للراغب الاصفهاني ص . ١ ، وانظر الجامع

لأحكام القرآن ( ٣٨١ / ٥ ) .

قوله تعالى ( ولولا فضل الله عليك ورحمته ) هذا خطاب للرسول  
صلى الله عليه وسلم ( لهما متخالفان منهم أن يضلوك ) يعنى قوم طعمه همسوا  
أن يلبسوا عليك لتدافع عنه .

( وما يضلون الا أنفسهم ) أى يرجع وباله عليهم ( وما يضرونك من شئ \* )  
يعنى ضرره عايد عليهم ولا يضرك لأنك معصوم . ( ١ ) ( وأنزل الله عليك الكتاب  
والحكمة ) .

قيل أراد به وأنزل الله عليك الكتاب بالحكمة وقيل أراد بالكتاب القرآن  
وبالحكمة السنة .

( وعلمك ما لم تكن تعلم ) يعنى من أحكام القرآن وقيل من علم الغيب  
وقيل علمك قدرك ولم تكن تعلمه ( وكان فضل الله عليك عظيماً ) ( ٢ ) .

قوله تعالى ( لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة ) النجسوى  
السرار فى التدابير .

---

( ١ ) قلت : قوله " وما يضرونك من شئ " معطوف على ما قبله . أى هم بمحاولتهم  
اخفاء الحق ما يضرونك بأى قدر من الضر ، لأنك انما قضيت بينهم بما هو  
الظاهر من أحوالهم ، وهو الذى تحكم بحقتضاه ، أما الأمور الخفية  
التي تخالف الحق فرجع علمها الى الله وحده .

( ٢ ) النساء آية ١١٣ .



قال الزجاج : كل ما تفرد بتدبيره قوم يخوضون فيه فهو نجوى سرا  
كان أو علانية<sup>(١)</sup> .

وأراد ما هنا نجوى قوم طعمه وتدبيرهم .

وقيل هو في جميع الحوادث<sup>(٢)</sup> .

"الا من أمر بصدقه" قيل أراد به الا نجوى من أمر بصدقه .

وقيل هو استثناء منقطع يعني لكن " من أمر بصدقه<sup>(٣)</sup> أو معروف

هو كل ما عرفه الشرع . ( أو اصلاح بين الناس ) وفي الخبر كلا كلام ابن آدم

---

( ١ ) النجوى : اسم مصدر بمعنى الصار . يقال نجوته نجوا ونجوى  
وتناجيته مناجاة أي سارته بكلام على انفراد ، وأصله : أن تخلو بمن  
تناجيه بسر معين في نجوة من الأرض ، أي في مكان مرتفع منفصل  
بارتفاع عما حوله .

وقيل : أصله من النجاة ، لأن الاسرار بالشيء فيه معاونة على  
النجاء ، وتطلق النجوى على القوم المتناجين كما في قوله تعالى  
" نعم أعلم بما يستمعون به ان يستمعون اليك وان هم نجوى " .

راجع الجامع في أحكام القرآن ( ٣٨٢ / ٥ - ٣٨٣ ) .

( ٢ ) ان الصبرة بموم اللفظ لا بخصوص السبب .

( ٣ ) قال الجمل . وقوله " الا من أمر . . . " في هذا الاستثناء قولان :-  
أحدهما : متصل .

والثاني : أنه منقطع .

وهما مبنيان على أن النجوى يجوز أن يراد بها المصدر كالدعوى  
فتكون بمعنى التناجى أي التحدث ، وأن يراد بها القوم المتناجون  
اطلاقاً للمصدر على الواقع منه مجازاً ، فعلى الأول يكون منقطعاً لأن  
من أمر ليس مناجاة فكأنه قيل : لكن من أمر بصدقه ففي نجواه الخبر  
وان جعلنا النجوى بمعنى المتناجين كان متصلاً . . . " .

انظر حاشية الجمل على الجليلين ( ٤٢٤ / ١ ) وراجع الطبرى ( ٢٠٢ / ٩ ) .

عليه الا ثلاثه أمر بمصروف ، أو نهى عن منكر ، أو ذكر الله (١) .

وقيل لسفيان بن عيينه (٢) حين روى هذا الحديث فقالوا ما أشد هذا الحديث فقال اقرأوا قوله تعالى " لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة " الآية .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي أيوب الأنصاري ألا ، لك على صدقة هي خير لك من حمر النعم أي من الصدقة بحمر النعم قال بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أن تضلح بين للنيلس اذا تفسدوا وأن تقرب بينهم اذا تباغضوا (٣) ومن يفعل ذلك ابتغاه مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما (٤) .

قوله تعالى ( ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين ) أراد به طعمه جادل النبي صلى الله عليه وسلم ثم لعن بكه وارتد حين ظهر عليه الحكم بالقطع (٥) .

(١) أخرجه الترمذي من أبواب الزهد (٤٧) باب ما جاء في حفظ اللسان حديث رقم (٢٥٢٥) (٣٣-٣٢/٤) وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث محمد بن يزيد بن خنيس . وأخرجه ابن ماجه من كتاب الفتن (١٢) باب كيف اللسان في الفتنة حديث رقم (٣٩٧٤) (٢/١٣١٥) .

(٢) في ابن كثير (٢/٣٦٤-٣٦٥) والنور المنثور (٢/٦٨٠) سفيان الثوري .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢/٦٨١) وقال : أخرجه الميهدي عن أبي أيوب . وذكره ابن كثير (٢/٣٦٥) عن الحافظ أبي بكر البزار ثم قال قال البزار فيه عبد الرحمن بن عبد الله العمري لين وقد حدثنا أحاديث لم يتابع عليها .

(٤) النساء آه ١١٤ .

(٥) هذا قول ابن عباس وقتاده وابن زيد والسدي . زاد المسير (٢/٢٠٥) .

قال سميد بن جبير : أنه لما لحق بكمه سرق هنالك فوجد فسى  
نقب يسرق فضل وفي بعض القصص أنه حين لحق بمكة نزل على الحجاج  
ابن غلاط الأسلمي فقام في بعض الليل يسرق فأحسوا به فأخذوه واجتمعوا  
عليه وقالوا إنه ضيف وتركوه فلحق بحرة بنى سليم وكان يعبد الأصنام ومات  
عليه ففيه نزلت الآية<sup>(١)</sup> (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى  
ويتبع غير سبيل المؤمنين" لأنه لما ارتد فقد اتبع غير سبيل المؤمنين  
واستدل أهل العلم بهذه الآية على أن الاجماع جهة<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره مقاتل . زاد المسير (٢/ ٢٠٠) .

(٢) قال ابن كثير ( قوله : ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى  
الهدى " أى وسلك غير طريق الشريعة التى جاء بها الرسول  
- صلى الله عليه وسلم - فصار فى شق والشرع فى شق ، وذلك عن عمد  
منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له .

وقوله : " ويتبع غير سبيل المؤمنين " هذا ملازم للصفة الأولى  
ولكن قد تكون المخالفة بنص الشارع ، وقد تكون لما أجمعت عليه  
الأئمة المحمدية . ، فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً ، فإنه قد  
ضمنت لهم المعصية فى اجتماعهم من الخطأ - تشريفاً لهم وتعظيماً  
لنبيهم - . . . .

والذى مول عليه الشافعى - رحمه الله - فى الاحتجاج على كون  
الاجماع حجة تحرم مخالفتها هذه الآية الكريمة ، بعد التروى والفكر  
الطويل . وهو أحسن الاستنباطات وأقواها . وان كان بعضهم قد  
يتشكل ذلك واستبعد الدلالة منها على ذلك .

تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٥ - ٣٦٦) .

( توله ما تولى ) أى نوله وما اختاره .

وقيل ( نكته الى من تولاه )<sup>(١)</sup> . ( ونصله جهنم وساءت مصيرا )<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ان الله لا يفرغ أن يشرك به ويفرغ ما دون ذلك للمسن

يشاء ) .

وقد ذكرنا معنى الآية فيما سبق .<sup>(٤)</sup> ( ومن يشرك بالله فقد ضل

ضلالا بعيدا )<sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) قال صاحب المنار " والذي أريد توجيه الأذهان الى فهمه هو أن هذه الجملة مبنية لسنة الله تعالى في عمل الانسان . ومقدار ما أعطيه من الإرادة والاستقلال والعمل بالاختيار ، فالوجهه التي يتولاها في حياته والفاية التي يقصدها من عمله يوليه الله اياها وبوجهه اليها . أى يكون بحسب سنته تعالى واليا لها وسائرا على طريقها . فلا يجد من القدرة الالهيه ما يعيره على ترك ما اختار لنفسه ولو شاء سبحانه لهدى الناس أجمعين بخلقهم على حالة واحدة في الطاعة كالملائكة ، ولكنه شاء أن يخلقهم على ما نراهم عليه الآن من تفاوت في الاستعداد والادراك وعمل كل فرد بحسب ما يرى أنه خير له وأنفع في عاجله أو آجله أو فيهما جميعا . . . "

انظر تفسير المنار ( ٤١٥ / ٥ ) .

( ٢ ) في ب نكته الى من اختاره .

( ٣ ) النساء آيه ١١٥ .

( ٤ ) انظر تفسيره للآية ( ٤٨ ) من نفس السوره وهى قوله تعالى " ان الله لا يفرغ أن يشرك به ويفرغ ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما " .

( ٥ ) النساء آيه ١١٦ .

روى أبو عيسى الترمذى (١) بإسناده عن علي بن رضى الله عنه أنه قال  
هذه آية التي في القرآن (٢).

قوله تعالى ( ان يدعون من دونه ) أى ما يدعون من دونه ( الا انا )  
قيل (٣) معناه الأوثان . وانما سميت الأوثان انا لانهم كانوا يسمونها  
باسم الاناث فيقولون الات والمزى ومناة وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة  
أنشى بنى فلان .

قال أبو بن كعب : كان مع كل صنم جنية من الشياطين .

وقيل (٤) معناه الموات وانما سعى الموات انا لان الاناث أرذل  
الجنسين وأدونهما فكذلك الموات أرذل من الحيوان وكانت أصنامهم من الموات  
والجماد .

( ١ ) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى الضرير

اليوغى الترمذى ، الحافظ المشهور .

مصنف " الجامع " و " كتاب العلل الكبير " و " الشماثل " أحد  
الأئمة الذين يقتدى بهم في حلم الحديث وأهد العلماء الحفاظ  
الأعلام .

ولد سنة مائتين .

أصله من مرو وانتقل جده منها واستوطن مدينة ترمذ وولد بها  
ونشأ .

تهذيب التهذيب ( ٣٨٧ / ٩ - ٣٨٩ ) ومقدمة تحفة الاحوذى ( ٣٣٧ -

٣٤١ ) .

( ٢ ) من أبواب تفسير القرآن ، تفسير سورة النساء حد يث رقم ( ٥٠٢٨ )

( ٣١٣ / ٤ ) وقال الترمذى : وهذا حد يث حسن غريب .

( ٣ ) هو قول عائشة ومجاهد وابن زيد والسدى ( ١١٨ / ٢ ) . زاد المسير .

( ٤ ) هو قول ابن عباس والحسن بن رواية وقتاده ( ١١٨ / ٢ ) . زاد المسير .

قال الضحاك : أراد به الملائكة وكانوا يقولون الملائكة اناث . وكان بعضهم يعبدون الملائكة ويصورون الأصنام على صور الملائكة .<sup>(١)</sup>

وقرأ ابن عباس الا انثا<sup>(٢)</sup> جمع الاوثان . وقرئ<sup>(٣)</sup> في الشوان أيضا الا انثا جمع الاناث فيكون على جمع الجمع كالمثل .

( وان يدعون الا شيطانا مريدا<sup>(٤)</sup> ) لا نهم اذا عبدوا الا صنما فقد اطاعوا الشيطان وأراد به ابليس .

والمريد العاتى المتمرد وحقيقته العارى من كل خير . ومنه الأ مسرد . يقال شجرة مرداء اذا تساقطت أعضائها .<sup>(٥)</sup>

( ١ ) رجح الامام ابن جرير القول الأول فقال : " وأولى التأويلات التي ذكرت بتأويل ذلك تأويل من قال : عنى بذلك الألهية التي كان مشركوا العرب يعبدونها من دون الله ، ويسمونها بالاناث من الأسماء كالات والعزى وناظه ومناة وما أشبه ذلك وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآيه ، لأن الأظهر من معانى الاناث فى كلام العرب وأعرف بالتأنيث دون غيره . فاذا كان ذلك كذلك فالواجب توجيه تأويله الى الأشهر من معانيه . . . " .

انظر تفسير الطبرى ( / ٢٨٠ ) .

( ٢ ) برفع الهمزة والنون من غير ألف .

( ٣ ) وهى قراءة مؤرن المعلى . زاد المسير ( ٢ / ٢٠٢ ) .

( ٤ ) النساء آيه ١١٧ .

( ٥ ) قال الراغب : والمراد والمريد من شياطين الجن والانس المتعمرى من الخيرات . من قولهم

شجرأ مرد اذا تمرى من الورق . . . ومنه الأ مرد لتجرده من الشعر

مفردات القرآن للراغب الأصفهانى ( ٤٦٦ ) .

( لعنه الله ) أى أبعدده الله من الرحمة معاقبة ولذلك لا يجوز  
لعن البهائم لأنها لا تستوجب العقوبة والطراد عن الرحمة . ( وقال لا تخذن  
من عبادك نصيبا مفروضا )<sup>(١)</sup> أى مقداراً معلوماً .

قيل<sup>(٢)</sup> فى التفسير من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للشيطان  
وواحد لله .<sup>(٣)</sup>

وأصل الفرض الجز والقطع ومنه فرض القوس وهو شق الذى يجعل  
فيه الخيط .

ومنه فرضه البحر وهو المشرع على سببة القوس يجعل فيه الوتر .

ومنه فرضه السماك وهو الموضع الذى يجعل فيه الخيط ومنه فرضة

البحر وهو المشرع الذى توقف اليه السفينه .

والفرض نوع من التمر يكون بيمان<sup>(٤)</sup> قال الشاعر<sup>(٥)</sup> :

إذا أكلت سمكا وفرضا ذهب طولا ذهب عرضا

(١) النساء آيه ١١٨ .

(٢) هو قول لمقاتل . زاد المسير (٢ / ٢٠٤) .

(٣) قال القرطبي : وهذا صحيح معنى ، يعضده قوله تعالى لآدم يوم

القيامة : " ابعت بعت النار ، فيقول : وما بعت النار ؟ فيقول :

من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين " .

أخرجه مسلم ، وبعث النار : هو نصيب الشيطان .

الجامع لأحكام القرآن (٥ / ٣٨٨) .

(٤) راجع التفسير الكبير .

(٥) لم أجده .

قوله تعالى ( ولأضلنهم ) أى لأغويهم فان قال قائل كيف نسب اليه الاضلال وليس اليه الضلاله ؟ قلنا معناه التزيين والدعوة الى الضلاله . وقد قال صلى الله عليه وسلم " بعثت داعيا وليس اليّ من الهداية شىء " وبعث الشيطان مزينا وليس اليه من الضلالة شىء " (١) . ( ولأضلينهم " قيل : (٢) معناه أضلينهم ركوب الأهواء .

وقيل (٣) معناه أضلينهم طول العمر فى النعيم ليؤثروا الدنيا على الآخرة .

وقال الزجاج : معناه أضلينهم أدراك الآخرة مع ركوب المعاصى (٤) . ( ولأمرنهم فليتبكن أذان الأنعام ) أراد به البحيره التى تأتى فى سورة المائدة . والبتك القطع والمراد به شق الأذان (٥) .

( ١ ) عزاه السيوطى فى جمع الجوامع لابن عدى فى الكامل وابن عساكر وابن النجار والد يلى عن عمر ولفظه عنده : بعثت داعيا ومليفا وليس الي من الهدى شىء ، وخلق ابليس مزينا وليس اليه من الضلالة شىء ( ١ / ٤٦٠ ) .

( ٢ ) هو قول لابن عباس . زاد المسير ( ٢ / ٢٠٤ ) .

( ٣ ) رواية أخرى لابن عباس . زاد المسير ( ٢ / ٢٠٥ ) .

( ٤ ) قال القرطبى : هذا لا ينحصر الى واحد من الأمانة ، لأن كل واحد فى نفسه انما بمنّيه يقدر وغية وقرائن حاله . الجامع لأحكام القرآن ( ٥ / ٣٨٩ ) .

( ٥ ) قال الراغب : البتك يقارب البشت لكن البتك يستعمل فى قطع الأعضاء والشعر يقال بتك شعره وأذنه - أى قطعها أو شقها - ومنه سيف ياتك أى قاطع للأعضاء . . . وأما البت فيقال فى قطع الحبل . . .

انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى ( ٢٦ ) .



ويحتمل أن يكون المراد به تغيير الأنساب وذلك أن ينتقل من نسب  
الى نسب .

ويحتمل أن يكون المراد به الخضب بالسواد وهو منهي عنه وإنما  
الخضب المباح بالحمرة والصفرة (١) .

(ومن يتخذ الشيطان وليا ) من دون الله أي يواليه باتباعه  
( فقد خسر خسرا مبينا ) (٢) .

قوله تعالى ( يعدهم ) وعده قد يكون بالتخويف كما قال الله  
تعالى " الشيطان يعدكم الفقر " (٣) .

وقيل أنه يتمثل في صورة الآدمي فيمد ويمنى . وكان قد ظهر يوم  
بدر في صورة سراقه بن مالك بن جمشم .

وظهر في اليوم الذي اجتمع قريش وتشاوروا في اخراج النبي صلى الله  
عليه وسلم في صورة شيخ من نجد .

---

(١) فلتزجح الامام ابن جرير أن المراد بتمبير خلق الله : تغيير دين الله  
فقال ما ملخصه : " وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك قول من  
قال : معناه : ولا أمرينهم فليغيرن خلق الله ، قال دين الله .  
وذلك لدلالة الآية الأخرى على أن ذلك معناه وهي قوله " فطرة  
الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم .. " .  
وإذا كان ذلك معناه دخل في ذلك فعل كل ما نهى الله عنه  
من خصاء ما لا يجوز خصاؤه ، ووشم ما نهى عنه وشمه ، وغير  
ذلك من المعاصي .

انظر تفسير الطبري ( ٢٨٥ / ٥ ) .

(٢) النساء آية ١١٩ .

(٣) البقرة آية ٢٦٨ .

قوله " ويمنيهم " قد ذكرنا ومن ذلك يعنى الانسان قضاء الشهوات .  
وأعلم أن الانسان لا يؤخذ بغلبة الشهوة واشتها الشهوات لأن ذلك  
شىء جيل عليه ويؤخذ بالتمنى وذلك أن يتمنى خمر البشرية أو امسرة  
ليزنى بها فذلك من المعصية ويؤخذ به . ( وما يعدهم الشيطان الا  
غرورا ) (١) الفرور ايها الوصول الى النفع من موضع الصبر . (٢)

( أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا ) (٣) أى معدلاً (٤) .

قوله تعالى ( والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات  
تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ) فان قيل  
ما الفائدة في تكرار الوعد والوعيد في القرآن ؟ قيل فائدته التوكيد  
قطعا من سوء التأويل .

(١) النساء آية ١٢٠ .

(٢) قال القرطبي : قال ابن عرفة الفرور ما رأيت له ظاهرا تحته وفيه باطن  
مكروه والشيطان فرور ، لأنه يحمل على مجاب النفس وورا ذلك  
مايسوء .

(٣) النساء آية ١٢١ .

(٤) المحيين : المهرب والطفأ ، وهو اسم مكان أو مصدر ميمي يقال  
خاس عنه يحيى حيصا وحيوصا وحيصا أى : عدل  
وحاد .

راجع الطبرى ( ٢٢٦ / ٩ ) .

وقيل انما كرر الوعد على تفاصيل الايمان وكرر الوعيد على تفاصيل

(١) الكفر .

( ومن أصدق من الله قيلا ) (٢) أى قيولا .

(١) قال ابن جرير الطبري " وقوله : " وعد الله حقا " يعنى : وعده من الله لهم ذلك فى الدنيا : " حقا " يعنى : يقينا صادقا ، لا كعدة الشيطان الكاذبة التى هى غرور من وعدها من أوليائه ، ولكنها عدة ممن لا يكذب ولا يكون منه الكذب ، ولا يخلف وعده ، وانما وصف جل ثناؤه وعده بالصدق والحق من هذه ، لما سبق من خيره جل ثناؤه عن قول الشيطان الذى قصه فى قوله : " وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ، ولأضلنهم ولأمننهم ولأمرنهم فلينفكن آذان الانعام " ، .

ثم قال جل ثناؤه : " يعدهم ويضنهم وما يعدهم الشيطان الا غورا " ، ولكن الله يعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنه سيدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ، وعدا منه حقا ، لا كون الشيطان الذى وصف صفته .

فوصف جل ثناؤه الوعد بين والواعدين ، وأخبر بحكم أهل كسل وعد منهما تنبيها منه جل ثناؤه خلقه على ما فيه مصلحتهم وخلاصتهم من الهلكة والمعطية لينزجروا عن معصيته ويعملوا بطاعته فيفوزوا بما أعد لهم فى جناته من ثوابه .

تفسير الطبري ( ٢٢٧ / ٩ ) .

(٢) النساء آية ٢٢ .

قوله تعالى ( ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ) .  
قال مسروق : هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني (١) : أراد  
به ليس بأمانيكم أيها المسلمون ، ولا أمانى أهل الكتاب وهم اليهود  
والنصارى .

وقال مجاهد : أراد بقوله " ليس بأمانيكم " شركى الصرب " ولا أمانى  
أهل الكتاب " يعنى اليهود والنصارى .

فعلى القول الأول معنى الآية أن اليهود قالوا نحن أولى لأن ديننا  
أقدم وكتابنا أقدم .

وقالت النصارى نحن أولى لأننا على دين عيسى وهو روح الله  
وكلمته ، وكان يحيى الموتى .

وقال المسلمون نحن أولى لأن نبينا خاتم النبيين وكتابنا ناسخ الكتب ،  
وقد آتانا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا (٢) . قال الله تعالى ليس بأمانيكم ولا أمانى  
أهل الكتاب يعنى ليس الأمر بالأمانى وإنما الأمر بالعمل الصالح وقد قال  
صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالثمنى ولا بالثعلى " الخبير " (٣) .

وأما على القول الثانى (٤) معنى الآية أن اليهود والنصارى قالوا نحن  
أهل الجنة وذلك قول الله تعالى " وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا  
أو نصارى (٥) " .

( ١ ) وكذا روى عن قتاده والسدى والصماك وأبى صالح وغيرهم . ابن كثير  
٠ ( ٣٦٩ / ٢ )

( ٢ ) رواه ابن جرير الطبرى ( ٢٣٠ / ٩ ) .

( ٣ ) رواه السيوطى فى الدر المنثور ( ٩٦٥ / ٢ ) وقال أخرجه ابن أبى شيبه عن  
الحسن .

( ٤ ) زاد المسير ( ٢٠٦ / ٢ ) .

( ٥ ) البقره آيه ١١١ .

وقال المشركون : لاجنة ولا نار ولا يمث . قال الله تعالى " ليس بأمانيتكم ولا أمان أهل الكتاب " أن ليس كما قال المشركون ولا كما قال اليهود والنصارى (١) .

( ١ ) سار الامام ابن كثير في تفسيره على أن الخطاب لجميع الدوائف فقال : " والمعنى في هذه الآية أن الدين ليس بالتحلى ، ولا بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال ، وليس كل من ادعى شيئاً حصل له بمجرد دعواه ، ولا كل من قال انه هو على الحق سمع قوله بمجرد ذلك حتى يكون له من الله برهان . ولهذا قال ليس بأمانيتكم ولا أمان أهل الكتاب . . . " .

أى ليس لكم ولا لهم النجاة بمجرد التمنى ، بل العبرة بطاعة الله سلبحانه واتباع ما شرعه على السنة رسله ولهذا قال بعده " من يمثل سوء يجزيه كقوله " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره " .

وقد رجح الامام ابن جرير الطبري أن الخطاب موجه للمشركين فقال ما ملخصه : " وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما قاله مجاهد من أنه عنى بقوله ليس بأمانيتكم . . . " مشركى قريش ، وانما قلنا ذلك أولى بالصواب .

لأن المسلمين لم يجز لأمانيتهم ذكر فيما مضى من الأى قبل قوله " ليس بأمانيتكم . . . " وانما جرى ذكر أمانى تصيب الشيطان المفروغى في قوله قبل ذلك " ولأضنيهم ولأمرتهم . . . " وقوله " ويعددهم ويعنيهم " فالهاتى معنى قوله تعالى " ليس بأمانيتكم " بما ذكره قبله ، أحق وأولى من ادعاء تأويل فيه لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ، ولا من أثر عن الرسول على الله عليه وسلم .

قلت ومع وبجاءة هذا الرأى الذى سار عليه ابن جرير ، الا أنا نوثر عليه ما ذهب اليه ابن كثير من أن الآية تخاطب الناس جميعاً سواء أكانوا مؤمنين أم مشركين أم من أهل الكتاب ، لأن الآية تمنع لهم جميعاً قاعدة عامه وهى أن الوصول الى ثواب الله ورضاه لا ينال بالأمانى والأهلام وانما ينال بالايمان والعمل الصالح .

انظر تفسير ابن كثير ( ١ / ٥٠٧ ) وتفسير الطبري ( ٩ / ٢٣٤ ) .

( من يعمل سوءاً يجزيه ) .

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتاده وجماعة المفسرين أن الآية

على الموم في حق كل عامل .

وقال الحسن : أراد به أهل الشرك وفي حديث أبي هريرة أن هذه

الآية لما نزلت قالت الصحابة أينما لم يعمل سوءاً وشق ذلك عليهم الآية ،

فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال ما منكم من أحد

تصيه مصيبة إلا كفر عنه حتى الشوكه يشاكها والنكبة ينكبها (١) .

وروى أن أبا بكر (٢) دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له

رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أقرئك آية أنزلت عليّ قال نعم قال " من

يعمل سوءاً يجزيه " .

قال أبو بكر فوجدت انقطاعاً (٢) في ظهري فقال عليه الصلاة والسلام

مالك يا أبا بكر فقلت كيف النجاة بعد هذه الآية هلكتنا وأينما لم يعمل

سوءاً ؟ فقال صلى الله عليه وسلم أما أنت يا أبا بكر والمؤمنين تجزون به

في الدنيا . فليقون الله تعالى وما عليهم نوب .

(١) الحديث : رواه الامام أحمد (٢٤٨/٢) ومسلم من كتاب البر : (١٦/٨) وتحفة الاحوذى . تفسير سورة النساء (٤٠٠/٨ ، ٤٠١) .

(٢) في سنن الترمذى (٣١٤/٤) " فوجدت اقتصاصاً " ويكنى به عن شدة الألم .

تحفة الاحوذى (٤٠٢/٨) .

وأما الكافرون يجمع عليهم ثم يجزون به في الآخرة (١) .

وفي رواية قال له عليه الصلاة والسلام ألسنت تنصب ؟ ألسنت تحزن ؟  
ألسنت تمرغى ؟ ألسنت يصيبك الأواء ؟ فذلك الذي تجزون به فهذا معنى  
قوله تعالى " من يعمل سوءً يجزيه " (٢) .

( ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ) (٣) .

قوله تعالى ( ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن  
فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ) (٤) أي مقدار النقيير وذلك أن  
الله تعالى لما أحال الخلق على العمل بين العمل في هذه الآيات  
وجزاء العمل .

---

(١) أخرجه الترمذي من أبواب التفسير ، تفسير سورة النساء .

حديث رقم ( ٥٠٣٠ ) ( ٣١٤ / ٤ - ٣١٥ ) وقال هذا حديث

غريب . وفي أسناده مقال .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک في کتاب معرفة الصحابة ( ٣ / ٧٤ - ٧٥ ) والامام

أحمد في مسنده ( ١١ / ١ ) . والأداء : المشقة .

(٣) النساء آية ١٢٣ .

(٤) النساء آية ١٢٤ .

قوله تعالى ( ومن أحسن دينا من أسلم وجهه لله ) أى أخلص عبادته لله .

وقيل وجه عبادته الى الله .

والوجه يذكر بمعنى الدين والعبادة ومنه قول المصلى وجهت وجهي  
أى ديني وهو الصلاة . ( وهو محسن واتبع طلة ابراهيم حنيفا ) وإنما خص  
ابراهيم لأنه كان مقبول الاسم أجمع .

وقيل لأنه صلى الله عليه وسلم همت على طلة ابراهيم وزيد له أشياء  
( واتخذ الله ابراهيم خليلاً )<sup>(١)</sup> أى حببها لاخلل فى حبه . والخلصة  
صفاوة المودة فمعناه أنه اتخذها حببها وجعله صفيه وخاص نفسه كما يكون  
الحبيب مع الحبيب قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سى الخليل خليلاً

وقيل : المحتاج من الخلة وهى الحاجة ، يعنى جعل حاجته الى

نفسه دون غيره .

قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :

وان أتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالى ولا حرم

يعنى وان أتاه محتاج .

( ١ ) النساء آيه ١٢٥ .

( ٢ ) البيت فى الجامع لأحكام القرآن ( ٤٠٠ / ٥ ) وتفسير الخازن ( ٦٠٣ / ١ )  
منسوبا لبشار وروايته فيه .

قد تخللت مسلك الروح منى وبه سى الخليل خليلاً

( ٣ ) البيت لزهير بن أبى سلمى يمدح هرم بن سنان .

وهو فى مختار الشعر الجاهلى ( ٢٦٠ / ١ ) والجامع لأحكام القرآن

( ٤٠٠ / ٥ ) .



والأول أصح لأن قوله " واتخذ الله إبراهيم خليلاً " يقتضى الخلق من  
الجانبين ، ولا يتصور النجاسة من الجانبين .<sup>(١)</sup>

وفى الخبر قال صلى الله عليه وسلم " ان الله اتخذنى خليلاً كما اتخذ  
إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر ولكن ودوا أخاء  
إيمان وان صاحبكم خليل الله<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل  
شىء محيطاً<sup>(٣)</sup> ) المحيط هو العالم بالشىء ، يجمع ما يتصور العلم به .

وقوله تعالى ( ويستفتونك فى النساء ) أى يطلبون فتواك فى  
النساء .

قيل هذا فى أمكمه وقد بينا قصتها<sup>(٤)</sup> وان أهل الجاهلية

---

(١) قال القرطبي : قال الزجاج : ومعنى الخليل : الذى ليس فى  
محبته خلل ، فجائز أن يكون سمي خليلاً لله بأنه الذى  
أحبه واصطفاه محبة تامه .

وجائز أن يسمى خليل الله أى فقيراً الى الله تعالى ، لأنه لم  
يجعل فقره ولا فاقته الا الى الله تعالى مخلصاً فى ذلك .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٤٠٠ / ٥ ) .

(٢) أخرجه الحاكم وصححه .

(٣) النساء آية ١٢٦ .

(٤) انظر تفسيره للآية (٧) من نفس السورة .

وقرى أن يصلحاً<sup>(١)</sup> ( بينهما صلحا ) يعنى بين الزوجين .  
واختلفوا فيمن نزلت الآية .  
قال بعضهم<sup>(٢)</sup> نزلت في امرأة رافع بن خديج<sup>(٣)</sup> فانها كبرت وتزوج رافع  
عليها شاهه وخافت أن يعرض عنها فنزلت الآية<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : " يصلحها بينهما " بفتح  
الباء والتشديد ، والأصل يتصلحها ، فأدغمت التاء في الصاد .  
وقرأ عاصم وحمزة والكسائي : " يصلحها " بضم الياء والتخفيف .  
النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٤٤ ) .

( ٢ ) رواه الزهري عن سميد بن المسيب . زاد المسير ( ٢ / ٢١٧ ) .

( ٣ ) رافع بن خديج بن رافع بن عدي بن يزيد بن جشم بن حارثة بن الحارث  
ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأوسى الحارثى .  
أبو عبد الله أو أبو خديج .  
عرغى على النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر فاستصغره وأجازه يوم  
أهد . وشهد ما بمدها .  
قال البخارى : مات في زمن معاوية عندما انتفضت جرحه الذي أصيب  
به في أحد من سهم .  
الاصابة ( ١ / ٤٩٥-٤٩٦ ) .

( ٤ ) الموطأ ( ٢ / ٥٤٨ ) عن ابن شهاب عن رافع بن خديج .  
ورواه الحاكم في المستدرک ( ٢ / ٣٠٨ ) من طريق اسحاق بن ابراهيم  
عن عبد الرزاق مرفوعا الى رافع بن خديج .  
وقال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقوله " أن يصلحها بهنهما صلحا " يعنى أن يترك شيئا من القسم وترضى بأن يكون القسم للشابه أكثر .

وقيل هو الصلح عن المهر وبالابراء ونحوه .  
والقول الثانى أن الآية نزلت فى سودة بنت زممة<sup>(١)</sup> أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلقها فقالت لا تطلقنى قد وهبت ليلتى لمائشة فلما يطلقنى حتى أحشر يوم القيامة فى زمرة نساءك<sup>(٢)</sup> .<sup>(٣)</sup>

( والصلح خير ) .  
قيل<sup>(٤)</sup> أراد به الصلح خير من الفرقة . وقيل<sup>(٥)</sup> أراد به الصلح خير من النشوز والاعراض . ( وأحضرت الأ نفس الشح ) والشح البخل .

---

( ١ ) سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس القرشية الممازية .  
أمها الشموس بنت قيس بن زيد الأنصارية من بنى عدى بن النجار . . . كان تزوجها السكران بن عمرو أخو سهيل بن عمرو فتوفى عنها ، وتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكانت أول امرأة تزوجها بعد خد يجه توفيت فى آخر زمان عمر بن الخطاب ويقال ماتت سنة أربع وخمسين ورجعه الواقدي .

الاصابة ( ٤ / ٣٣٨ - ٣٣٩ ) .

( ٢ ) أخرجه أبو داود ( ١٧ / ٢ ) والترمذي ( ٩٤ / ٤ ) وقال هذا حد يث حسن صحيح .

( ٣ ) قلت : ظاهر الآية أنه تجوز المصالحة عند مخافة النشوز والاعراض .  
والا اعتبار بموم اللفظ لا بخصوص السبب .

( ٤ ) ذكره مقاتل والزجاج . زاد المسير ( ٢ / ٢١٨ ) .

( ٥ ) ذكره الماوردى . زاد المسير ( ٢ / ٢١٨ ) .

وقيل أفتح البخل وحقيقته العرص على منع الخير وأراد به شح الزوجين  
على حقهما<sup>(١)</sup> .

( وأن تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيراً )<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ولن تستطيحوا أن تبدلوا بين النساء ولو حرصتم ) قال  
عمر وعطى وابن عباس : أراد بالمعدل المحبة في القلب .

( فلا تميلوا كل الميل ) يعني ان طتم في المحبة فلا تميلوا فسى  
القسم .

وقد قال صلى الله عليه وسلم " اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا توه اخذني  
فيما لا أملك"<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) قال الشوكاني " هذا " اخبار منه سبحانه بأن الشح في كل واحد منهما  
بل في كل الأنفس الانسانية كائن وأنه جمل كأنه حاضر لها لا يفتيب  
عنها بحال من الأحوال وأن ذلك يحكم الحيلة والطبيمة فالرجل يشح  
بما يلزمه للمرأة من حسن المشرة وحسن النفقة ونحوها ، والمرأة تشح على  
الرجل بحقوقها اللازمة للزوج فلا تترك له شيئاً منها ، وشح الأنفس :  
محلها بما يلزمها أو يحسن فعله بوجه من الوجوه " .  
فتح القدير ( ١ / ٥٢١ ) .

( ٢ ) النساء آية ٢٨ .

( ٣ ) رواه ابو داود كتاب النكاح ( ٢٤٢ / ٢ ) والترمذي تحفة الأحسنوى  
كتاب النكاح ( ٢٩٤ / ٤ ) .

( ١ ) فتذروها كالمعلقة ) يعنى لا أيتها ولا ذان بعل . وقيل كالمحبوسة .  
( ٢ ) ( وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان عفورا رحيفا ) .

قوله تعالى ( وان يتفرقا يفن الله كلا من سمته ) يعنى الزوجين اذا  
تفرقا فالزوج يجد الزوجه ، والزوجه تجد الزوج . ( وكان الله واسعا  
حكيفا ) ( ٣ ) أى واسع الفضل والرحمة والقدرة .

قوله تعالى ( ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا  
الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله ) هذا وصية الله العباد بالتقوى . ( ٤ )

( ١ ) قال القرطبي : وقوله " فتذروها كالمعلقة " أى : لاهى مطلقة ولا ذات  
زوج . وهذا تشبيه بالشئ المعلق من شئ ، لأنه لا على الأرض استقرار  
ولا على ماعلق عليه انحمل ، وهذا مطرد فى قولهم فى المثل : " أرغى من  
المركب بالتمليق " .

وفى حديث أم زرع : زوجسى العشنق - أى الطويل الممتد القامه -  
ان أنطق أطلق ، وان أسكت أغلق أى أهمل وأترك حتى لكأنسى  
بدون زوج " .  
انظر تفسير القرطبي ( ٥ / ٤٠٢ - ٤٠٨ ) .

( ٢ ) النساء آيه ١٢٩ .

( ٣ ) النساء آيه ١٣٠ .

( ٤ ) قال ابن جرير " وانما ذكر - جل ثناؤه - ذلك " يعنى هذه الآية -  
يعقب قوله " وان يتفرقا يفن الله كلا من سمته " تنبيها منه لخلقسه  
على موضع الرهبه عند فراق أحد هم زوجه ليفزعوا اليه عند الجزع من  
الحاجة والفاقة والوحشه بفراق سكنه ، وتذكيرا منه له أنه الذى له الأشياء  
كلها ، وان من كان له طك جميع الأشياء فخير متمذر عليه أن يغنيه ويفنى  
كل ذى فاقه وحاجة ويونس كل ذى وحشه " .

انظر تفسير الطبرى ( ٥ / ٣١٨ ) .

( فتذروها كالمملقة ) يعنى لا أيا ولا ذان بعمل . وقيل كالمحبوسة .  
( وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان عفورا رحيفا ) .

قوله تعالى ( وان يتفرقا يفن الله كلا من سمته ) يعنى الزوجين اذا  
تفرقا فالزوج يجد الزوجه ، والزوجه تجد الزوج . ( وكان الله واسعا  
حكيفا ) (٣) أى واسع الفضل والرحمة والقدرة .

قوله تعالى ( ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا  
الكتاب من قبلكم وأياكم أن اتقوا الله ) هذا وصية الله المباد بالتقوى .

(١) قال القرطبي : وقوله " فتذروها كالمملقة " أى : لاهى مطلقة ولا ذات  
زوج . وهذا تشبيه بالشئ المعلق من شئ ، لأنه لا على الأرض استقرار  
ولا على ماعلق عليه انحمل ، وهذا مطرد فى قولهم فى الحثل : " أرغى من  
المركب بالتمليق " .

وفى حديث أم زرع : زوجى العشنق - أى الطويل المصد القامه -  
ان أنطق أطلق ، وان أسكت أغلق أى أهمل وأترك حتى لكأنسى  
بدون زوج " .

انظر تفسير القرطبي ( ٥ / ٤٠٧ - ٤٠٨ ) .

(٢) النساء آيه ١٢٩ .

(٣) النساء آيه ١٣٠ .

(٤) قال ابن جرير " وانما ذكر - جل ثناؤه - ذلك " يعنى هذه الآية -  
يعقب قوله " وان يتفرقا يفن الله كلا من سمته " تنبيها منه لخلقته  
على موضع الرهبه عند فراق أحدهم زوجته ليفزعوا اليه عند الجزع من  
الحاجة والفاقة والوحشه بفراق سكنه ، وتذكيرا منه له أنه الذى له الأشياء  
كلها ، وان من كان له ملك جميع الأشياء ففير متعذر عليه أن يفنيه ويفنى  
كل ذى فاقه وحاجة ويونس كل ذى وحشه " .

انظر تفسير الطبرى ( ٥ / ٣١٨ ) .

( وان تكفروا فان الله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنيا

حميدا (١) .

( ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً ) (٢) فان قيل أى فائدة

فى تكرار قوله " ولله ما فى السموات وما فى الأرض " ؟ قيل كل واحد منها وجه

أما الأول فمعناه (٣) ولله ما فى السموات وما فى الأرض وهو يوصيكم بالتقوى

فاتقوه واقبلوا وصيته .

وأما الثانى يقول فان لله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله غنيا حميدا

فاطلبوا منه ما تطلبون .

وأما الثالث يقول ولله ما فى السموات وما فى الأرض " وكفى بالله وكيلاً "

أى اتخذوه وكيلاً ولا تتكلموا على غيره (٤) .

---

( ١ ) النساء آية ١٣١ .

( ٢ ) النساء آية ١٣٢ .

( ٣ ) ما بين القوسين ساقط من ب .

( ٤ ) قال القرطبى : فان قال قائل : ما فائدة هذا التكرار ؟ فمعه جوابان :

أحدهما : أنه كرر تأكيدا ليتنبه العباد وينظروا ما فى ملكوته وأنه غنى

عن العالمين .

الجواب الثانى : أنه كرر لفوائد : فأخبر فى الأول أن الله تعالى يعنى

لكلا من سمته لأن له ما فى السموات وما فى الأرض فلا تنفد خزائنه .

ثم قال : أوصيناكم وأهل الكتاب بالتقوى وان تكفروا فانه غنى

عنكم لأن له ما فى السموات والأرض ، ثم أطم فى الثالث بحفظ

خلقه وتدبيره اياهم بقوله " وكفى بالله وكيلاً " لأن له ما فى

السموات وما فى الأرض . . . . .

انظر الجامع لأحكام القرآن ( ٤٠٩ / ٥ ) .

قوله تعالى ( ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين ) روى أن  
النبي صلى الله عليه وسلم كان يضرب بيده على كتف سلمان <sup>(١)</sup> ويقول " ويأت بآخرين "  
ويقول سلمان وأصحابه ( وكان الله على ذلك قديرا ) <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة )  
أراد به الكفار فانهم ( يعطون ) <sup>(٤)</sup> ابتغاء ثواب الدنيا وطلبها لتعديمها  
ولا يطلبون ثواب الآخرة . ولا يؤمنون بها فقال الله تعالى ( من كان يريد  
ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة " ( وكان الله سميعا بصيرا ) <sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) سلمان ، أبو عبد الله الفارسي ، ويقال له سلمان بن الإسلام وسلمان الخير .  
أصله من رام هرمز وقيل من أصبهان وكان قد سمع بأن النبي صلى الله  
عليه وسلم سييمت فخرج في طلب ذلك فأمر وبيع بالمدينة فاشتغل  
بالرق حتى كان أول مشاهدته الخندق ، وشهد بقية المشاهد  
وفتوح العراق وولى المدائن .  
وقال ابن عبد البر يقال انه شهد بدر .  
وكان عالما زاهدا .  
مات سنة ست وثلاثين في قول أبي عبيد أو سبع في قول خليفة .  
الاصابة ( ٢ / ٦٢ - ٦٣ ) .

( ٢ ) الحديث : أخرجه السيوطي في الدر المنثور ( ٦ / ٦٧ ) ونسبه لابن جرير  
( ٩ / ٢٩٩ ) وسعيد بن منصور وابن المنذر ، وابن أبي حاتم وابن مردويه .

( ٣ ) النساء آية ٣٣ .

( ٤ ) في النسخ " يعلمون " والصحيح ما أثبتناه .

( ٥ ) النساء آية ١٣٤ .



قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط ) القوام مبالغة  
من القائم والقسط العدل . ومعناه كونوا قاطنين بالعدل <sup>(١)</sup> .

( شهداء لله ) لأنهم إذا شهدوا بالحق وقاموا بالعدل كانوا شهداء  
لله . ( ولو على أنفسكم ) فان قيل كيف يشهد على نفسه ؟ قيل شهادته  
على نفسه ، هو الاقرار ، وهو معنى ما روى عن ابن عباس <sup>(٢)</sup> " قولوا الحق  
ولو على أنفسكم " ( أو الوالدين والأقربين ) أي قولوا الحق ولو على  
الوالدين والأقربين .

( ١ ) قال صاحب المنار : وهذه العبارة وهي قوله تعالى :- " كونوا قوامين  
بالقسط . . . " أبلغ ما يمكن أن يقال في تأكيد أمر العدل والعناية به ،  
فالأمر بالعدل والقسط مطلقا يكون بمبارات مختلفة بعضها أكد من  
بعضى تقول : اعدلوا أو اقسطوا . وتقول : كونوا عادلين أو مقسطين .  
وهذه العبارة أبلغ ، لأنهما أمر بتحصيل الصفة لا بمجرد الاتيان  
بالقسط الذى يصدق بمرّة .

وتقول : أقيموا القسط ، وأبلغ منه : كونوا قائمين بالقسط . وأبلغ  
من هذا وذاك كونوا قوامين بالقسط . أي : لتكن المبالغة والعناية  
باقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم ، بأن تتحروه بالدقة التامة  
حتى تكون ملكة راسخة في نفوسكم والقسط يكون فى العدل كالقيام  
بما يجب من العدل بين الزوجات والأولاد ويكون فى الحكم بين الناس . .  
انظر تفسير المنار ( ٤٥٦ / ١٥ ) .

( ٢ ) رواه السيوطى فى الدر المنثور ( ٢٣٤ / ٢ ) وقال : أخرجه ابن جرير  
( ٣٠٤ / ٩ ) وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى سننه عن ابن عباس .

وقيل نزلت الآية في رجل كانت عنده شهادة على أبيه فهم أن يحتج عنها  
فنزل قوله " أو الوالدين والأقربين <sup>(١)</sup> ) ( وان يكن غنيا أو فقيرا ) .

قال السدي : نزل ذلك في رجلين اختصما الى النبي صلى الله  
عليه وسلم أحدهما غني والآخر فقير ، وكان صلى الله عليه وسلم الى الفقير  
وكان عنده ان الفقير لا يخاصم بالباطل وكان الحق للغني في الباطن  
فنزلت الآية <sup>(٢)</sup> " ان يكن غنيا أو فقيرا <sup>(٣)</sup> .

قال ابن عباس : معناه لا تحابوا الغني لغناه ، ولا ترحموا الفقير  
لفقره .

وقال عطاء لا تحيفوا على الفقير ولا تعظموا الغني فهذا معني  
الآية .

وحقيقة المعنى قوموا بالشهادة سواء كان المشهود عليه غنيا أو فقيرا ،  
وسواء كان المشهود له غنيا أو فقيرا ولا تحتموا عن الشهادة للغني لغناه  
ولا عن الشهادة على الفقير لفقره .

وقوله " ان يكن غنيا أو فقيرا " يعني ان يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا .  
( قاله أولى بهما ) أن كلوا أمرهما الى الله .

قال الحسن : معناه فالله أعلم بهما . ( فلا تتبعوا الهوى أن تمدلوا )  
قبل معناه فلا تتبعوا الهوى لأن تمدلوا أي لتكونوا عادلين كما يقال لا تعصى  
فترضى ربك .

( ١ ) راجع تفسير الطبري ( ٣٠٤ / ٩ ) .

( ٢ ) رواه الواحدى في أسباب النزول ( ١٢٨ ) .

( ٣ ) انظر تفسير الطبري ( ٣٢١ / ٥ ) .

وقيل معناه : لا تتبعوا الهوى لتميلوا من الحق الى الباطل . ( وان

تلوا ) وهى من اللى (١) . وقال الشاعر (٢) :

وكنت دانيت به حسنا  
مخافة الافلاس والديان

وفى معناه قولان :

أحدهما : أنه خطاب للحكام . ومعنى " ان تلوا " أى تميلوا الى  
أحد الخصمين أو تعرضوا عنه .

والثانى : وهو قول أكثر المفسرين أنه خطاب للشهود واللى منهم تحريف  
الشهادة ، والاعراض كتمان الشهادة . والأول قول ابن عباس .

وأما القراءة الثانية (٣) ( وان تلوا ) فيه قولان ان أصله " وان تلوا "

(١) قال القرطبي : " من لويت فلانا حقه ليا اذا دفعت به ، والفعل منه  
" لوى " . والأصل فيه " لوى " قلبت الياء ألفا لحركتها وحركة ما قبلها ،  
والمصدر " ليا " والأصل لويا ، وليانا ، والأصل لويانا ، ثم ادغمت  
الواو فى الياء .  
وقال القنبي : " تلوا " من اللى فى الشهادة والميل الى أحد الخصمين .  
الجامع لأحكام القرآن (٤١٤/٥) .

(٢) البيت فى الجامع لأحكام القرآن (١٢١/٤) غير منسوب .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم والكسائى : تلوا ، بواو يسن ،  
الأولى وهمومه والام ساكنه . من لوى يلوى . والأصل تلويوا :  
هدفت الضمة عن الياء لثقلها ، ثم الياء لالتقاء الساكنين وضمت الواو  
من أجل واو الضمير ، هذه القراءة الأولى .

وأما ما ذكره بقوله " وأما القراءة الثانية " فهى قراءة الأعمش وحمزة  
وابن عامر : " تلوا " بواو واحدة ، والام مضمومة ، والمعنى أن تلسوا  
أمر الناس أو تتركوا ، فيكون الخطأ بالحكام .

النشر فى القراءات المشرفة (٢٤٤/٢) .

فادخلت احدى الواوين في الأخرى تخفيها ، والمعنى ما بينا .  
والثاني أنه من الولاية بمعنى وان تلوا القيام بأداء الشهادة " أو تعرضوا "  
فتركوا أداء الشهادة . ( فان الله كان بما تمطون خبيراً ) ( ١ ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله ) أكثر المفسرين  
على أنه في المؤمنين ومعناه يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي اثبتوا على الإيمان  
كما يقال قف حتى ارجع اليك للرجل الواقف أي اثبت واقفا .

وقال مجاهد : هو خطاب للمنافقين ومعناه يا أيها الذين آمنوا باللسان  
آمنوا بالقلب .

وقال الضحاك وهو رواية الكلبى عن ابن عباس : هو خطاب لأهل الكتاب  
ومعناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ( ٢ ) . ( والكتاب الذى  
نزل على رسوله ) يعنى القرآن ( والكتاب الذى أنزل من قبل ) يعنى الكتاب  
المنزله من قبل القرآن . ( ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر فقد  
ضل ضلالا بعيداً ) ( ٣ ) أى بعيداً عن الحق .

( ١ ) النساء آية ١٣٥ .

( ٢ ) قلت : هو خطاب لجميع المؤمنين والمعنى يا أيها الذين صدقوا أقيموا  
على تصد يقموا واثبتوا عليه .

قال ابن كثير : " يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالدخول فى  
جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه ، وليس هذا من باب تحصييل  
الحاصل ، بل من باب تكميل الكامل وتقريره وتشبيته والاستمرار عليه ، كما  
يقول المؤمن فى كل صلاة : " اهدنا الصراط المستقيم " أى : بصرنا فيه ،  
وزدنا هدى ، وشبتنا عليه . فأمرهم بالإيمان به وبرسوله كما قال تعالى  
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله " .

تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣٨٥ ) .

( ٣ ) النساء آية ١٣٦ .

قوله تعالى ( ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا )  
قال قتاده : هذا في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا به بمهادة المجمل .  
ثم آمنوا بموسى بالتوبة ثم كفروا بميسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد .

وقيل <sup>(١)</sup> هو في جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بنبيهم  
ثم كفروا به وأمنوا بكتابتهم ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد .

وقال مجاهد : هو في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم  
ارتدوا .

ومثل هذا هل تقبل توبته ؟ .

قال علي : لا تقبل توبته . فانه اذا آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر ظنوا  
أراد أن يؤمن لا تقبل منه ويقتل لقوله تعالى " لم يكن الله ليغفر لهم " . وأكثر  
أهل العلم على أنه تقبل توبته .

ويحتمل أن تكون الآية في المنافقين وقوم من أهل الكتاب كانوا يؤمنون  
باللسان ثم يرجعون الى الكفر ثم يأتون فيؤمنون ثم يرجعون الى الكفر <sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) رواه شيبان عن قتاده وهو قول الحسن .

زاد المسير ( ٢ / ٢٢٥ ) .

( ٢ ) والذي نراه أولى من بين هذه الأقوال هو قول مجاهد ، لأن الغاظة الآية  
عامة ولم تخصص قوما دون قوم ، فكل من تكرر منهم الارتداد واستمروا  
في ضلالهم حتى ماتوا ، ينطبق عليهم الوعيد الذي بينته الآية الكريمة ،  
سواء أكان أولئك الذين حدث منهم هذا الارتداد المتكرر من  
المنافقين أم من غيرهم .

( لم يكن الله ليغفر لهم ) فان قيل ايش معنى قوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم ومعلوم أن الله لا يغفر الكفر ؟ قيل أجاب النقاش في تفسيره أن معناه : أن الكافر اذا أسلم يغفر له كفره السابق فهذا الذى أسلم ثم أسلم ثم كفر لا يغفر كفره السابق الذى كان يغفر لو ثبت على الاسلام (١) .

( ولا ليهديهم سبيلاً ) (٢) أى طريقاً الى الحق .  
قوله تعالى ( بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ) (٣) فان قيل ما معنى البشارة بالمذاب الأليم ؟ .

قيل أصل البشارة : كل خير تتغير به بشرة الوجه سارا كان أم مكروها لكنه فى الغالب انما يستعمل فى الخبر السار فاذا استعمل فى الخبر السيء كان على الأصل .

---

(١) قال الأوسى : والقول المشهور الذى عليه الجمهور أن المراد من نفى المصفرة والهداية ، نفى ما يقتضيها وهو الايمان الخالص الثابت ، ومعنى نفيه : استبعاد وقوعه ، فان من تكرر منهم الارتداد وازداد الكفر والاصرار عليه صاروا بحيث قد ضربت قلوبهم بالكفر ، وصار الايمان عندهم أدون شئ وأهونه فلا يكادون يقربون منه قيد شبر ليتأهلوا للمصفرة وهداياه سبيل الجنة ، لا أنهم لو أخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم .

انظر تفسير الأوسى ( ١٧١ / ٥ ) بتصريف وتلخيص .

( ٢ ) النساء آيه ١٣٧ .

( ٣ ) النساء آيه ١٣٨ .

وقيل أراد به ضغ هذا موضع البشارة كما تقول المرء تحميتك السوط  
وعقابك السيف يعنى وضمت السوط مع التحية . (١) قال الشاعر : (٢)

وخيل قد دلفت بها لخيل تحية بينهم ضرب وجيـــــــــــــــــع

قوله تعالى ( الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين )  
هذا فى المناقنين كانوا يوالون الكفار ويظنون أن النصر والغلبة  
لهم .

(أيبتغون عندهم العزة ) يعنى أيتطلبون عندهم القوة والغلبة  
( فان العزة لله جميعا ) (٣) أى القوة والغلبة كلها لله تعالى . (٤)

فان قال قائل قد نرى فى بعض الاحوال الغلبة للكفار فما معنى قوله  
" فان العزة لله جميعا ؟ "

قيل معناه أن المقوى هو الله تعالى فى الأحوال كلها .

وقيل معناه الغلبة بالحجة لله جميعا .

---

(١) النظر المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٤٨) .

(٢) الكتاب لسيبويه (١/٣٦٥-٤٢٩) الخزانه (٤/٥٣) ، وقال البغدادي :  
وهذا البيت نسبته شراح أبيات الكتاب وغيرهم الى عمرو بن معد يكرب  
الصحابى ولم أره فى شعره .

(٣) النساء آيه ١٣٩ .

(٤) قال الفخر الرازي : وأصد الضر في اللغة الشده ، ومنه قيل للأرض الصلبة  
الشديدة ، عزاز . ويقال : قد استمرز المرعى على المريض اذا اشتد  
ظهره به وشاة غرور التي يشتد حلبها ويصعب ، والعزة : القسوة  
منقولة من الشده لتقارب معنييهما ، والعزير القوى المنيع بخلاف  
الدليل .

انظر التفسير الكبير (١١/٨٠) .

قوله تعالى ( وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزءوا بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ) .

هذا اشارة الى ما أنزل في سورة الأنعام " واذ رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم " الآية (١) . نهى عن القعود معهم وما حكم القعود معهم .

أما أن قعد معهم ورضى بما يخوضون فيه فهو كافر مثلهم وهو معنى قوله انكم اذا مثلهم وان قعدوا ولم يرض بما يخوضون فيه فالأولى أن لا يقعدوا ولكن لو قعد كارها فلا يكفر وهذا هو الحكم في كل بدعة ومخاض فيها فلو تركوا الخوض فيه وخاضوا في غيره فلا بأس بالقعود معهم وان كره لقوله " حتى يخوضوا في حديث غيره " .

قال الحسن : وان خاضوا في غيره لا يجوز القعود معهم لقوله في سورة الانعام " واما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين " (٢) والأكثرون على أنه يجوز (٣) وآية الانعام مكية وهذه الآية مدنية والمتأخر أولى ( ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ) (٤) .

(١) آية ٦٨ .

(٢) آية ٦٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٤١٨/٥) .

(٤) النساء آية ١٤٠ .



( الذين يترصدون بكم ) يمدنى المنافقين ينتظرون أمركم ( فان كان لكم فتح من الله ) يمدنى غفر وغنيمة . ( قالوا ألم تكن معكم ) يمدنى كنا معكم فاجعلوا لنا نصيباً من الغنيمة ( وان كان للكافرين نصيب ) يمدنى وان كانت القوة للكافرين ( قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ) الاستحواذ الاستيلاء والغلبة<sup>(١)</sup> ومنه قوله تعالى " استحوذ عليهم الشيطان<sup>(٢)</sup> " .

قال المبرد : معنى هذا قالوا ألم نغلبكم على رأيكم ونمنعكم من المؤمنين والدخول في جملتهم وتخذ يسئل المؤمن عنكم<sup>(٣)</sup> .

وقال غيره<sup>(٤)</sup> ممناه : ألم نستول عليكم بالنصرة لكم من جهة مراسلتنا اياكم بأخبار المؤمنين وأموالهم وتخذ يلنا اياهم عنكم ( فإله يحكم بينكم بسوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً<sup>(٥)</sup> ) .

قال علي وابن عباس : أراد به في القيامة .

( ١ ) استحوذ على كذا أي غلب عليه .

وقيل : أهمل الاستحواذ الموطأ ، حاذه يحوزه حوزاً اذا حاطه ، وهذا الفعل جاء على الأصل ، ولو أعلّ لكان ألم نستخذ والفم نسل على الاطلاق استحاذ يستحيد ، وعلى غير الاعلال استحوذ يستحوذ . الجامع لأحكام القرآن ( ٤١٩ / ٥ ) .

( ٢ ) المجادل آية ١٩ .

( ٣ ) زاد المسير ( ٢٢٩ / ٢ ) .

( ٤ ) وهو قول للزجاج . زاد المسير ( ٢٢٩ / ٢ ) .

( ٥ ) النساء آية ١٤١ .

وقيل<sup>(١)</sup> هو سبيل الحجة أى لا تكون الحجة للكافرين على المؤمني<sup>(٢)</sup> أبداً .

قوله تعالى ( ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ) أى يعاطيهم  
معاطة المخادعين<sup>(٣)</sup> وذلك على وجهين :-

( ١ ) هو قول السدى . النكت والميون ( ١ / ٤٣٠ ) .

( ٢ ) قلت : والذي نراه والله أعلم أن تكون الجملة الكريمة عامة فى نفسى  
أن يكون هناك سلطان للكافرين على المؤمني مادام المؤمنون متممين  
تعاليم د بينهم وآخذين فى الأسباب التى تجعل النصر حليفا لهم .

وإذا كان الكافرون فى بعض الأزمان والأحوال قد صارت لهم الغلبة  
على المسلمين فذلك قد يكون نوعاً من الابتلاء أو التأديب أو التمحيص  
حتى يعود المسلمون الى د بينهم عودة تجعلهم يستجيبون لتوجيهاته ،  
ويذعنون لأحكامه ، ويطيعون أوامره ونواهيه ، وهما يحالفهم نصر الله  
الذى لا يقهر ووعده الذى لا يتخلف .

( ٣ ) " يخادعون " من الخداع وهو أن يظهر الشخص من الأفعال  
ما يخفى أمره ، ويستتر حقيقته .

قال الراغب . الخداع : انزال الخير عما هو بصدده يأمر بهديه على  
خلاف ما يخفيه ..

ويقان طريق خداع وخيدع . أى مضل كأنه يخدع سالكه . . .

وفى الحديث : " بين يدي الساعة صنون خداعه " أى محتاله  
لتلونها بالجذب مرة وبالخصب مرة .

مفردات القرآن صفحه ( ١٤٤ ) .

أحدهما : أنه حكم بإيمانهم في الظاهر وكفرهم في الباطن كما فعلوا هم  
والثاني : أنه في القيامة يمد عليهم نورا كما يمد على المؤمنين ثم إذا  
كانوا على الصراط طفي نورهم وذهب المؤمنون بنورهم وهذا  
معنى قوله وهو خادعهم .

وقيل معناه : يخادعون رسول الله وهو خادعهم أي يجازيهم على  
مخادعتهم الرسول وسمى الثاني خداعا على الأزد واج<sup>(١)</sup> كما قال " وجزاء سيئه  
سيئة مثلها<sup>(٢)</sup> .

وفي حديث عدي بن حاتم<sup>(٣)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بناس  
من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستشفوا راعحتها ورأوا  
فيها من النعيم بأمر الله تعالى يصرفهم عنها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون  
والآخرون بمثلها فيقولون يا رب لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أرينا كان أهون

(١) قال ابن كثير : " لاشك أن الله تعالى لا يخادع ، فإنه المالم بالسرائر  
والضماير ، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم يمتقدون أن أمرهم  
كما راج عند الناس وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهرا ، فكذلك يكون  
حكمهم يوم القيامة عند الله ، وأن أمرهم يروج عنده كما أخبر عنهم  
تعالى أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسادات ،  
ويمتقدون أن ذلك نافع لهم عنده ، فقال تعالى : " يوم يمشهم الله  
جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم " .  
تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣٨٩ ) .

(٢) الشورى آية ٤٠ .

(٣) عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشخ بن امرئ القيس بن  
عدي الطائي .

ولد الجواد المشهور أبو طريف . . أسلم في سنة تسع وقيل سنة عشر وكان  
نصرانيا قبل ذلك ، وثبت على إسلامه في الردة ، وأحضر صدقة قومه التي  
أبى بكر ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة ، وشهد صفين مع علي  
ومات بعد الستين ، وقد أسن .  
قيل بلغ عشرين ومائة سنة وقيل مائة وثمانين .  
الاصابة ( ٢ / ٤٦٨ - ٤٦٩ ) .

علمنا فيقول الله تعالى ذلك أردت بكم وكنتم اذا خلوتهم بارزتموني بالمظالم  
واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين هبتم الناس ولم تهابوني أحللتهم الناس  
ولم تجلوني ، تركتم للناس ولم تتركوا الي فاليوم أذيقكم العذاب م  
ما حرصتم من الثواب <sup>(١)</sup> .

وقوله [واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ] يعنى متثاقلين وهذا  
دأب المنافقين لقلة الدواعى لهم .

وأما المؤمنون ينشطون الى القيام الى الصلاة لكثرة الدواعى لهم  
( يراءون الناس ) أى يعطون ما يعطون مرأة للناس لا اتباعاً لأمر الله .

وأعلم أن الزنا لا يوجب الكفر وهو عيب عظيم وأما النفاق كفر محض .  
( ولا يذكرون الله الا قليلاً ) <sup>(٢)</sup> .

قال الحسن : لأنه لما لم يتقبل عطيم كان قليلاً .

---

( ١ ) الحديث فى الاتعافات السننية فى الأُحاديث القدسيه صفحه  
( ٣٠٢ ) وفيه " أخرجهُ الطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى  
شعب الايمان وابن عساكر وابن النجار عن عدى ابن حاتم " .

( ٢ ) النساء آيه ١٤٢ .

( مذبذبين بين ذلك ) أى مذبذبين وكذلك قرأ أبى بن كعب  
ومعناه مضطربين ومضجرين . ( لا الى هو لا \* ولا الى هو لا \* ) بمعنى  
الى الكفار بالتصريح بالشرك ، ولا الى المؤمنين باعتقاد الايمان .

وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " مثل الضافق  
كمثل الشاة المائره بين الربيضين ان جاءت الى هذه نضحتها وان جاءت  
الى هذه نطحتها . ( ٣ ) ( ومن يضل الله ظن تجد له سبيلا ) ( ٤ ) أى ومن يضلله  
الله ظن تجد له طريقا الى الحق .

---

( ١ ) قال القرطبي : المذبذب : المتردد بين أمرين . والمذبذبة : الاضطراب  
يقال : ذبذبه فتذبذب . ومنه قول النابغة فى مدح النعمان بسن  
المنذر :

ألتر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملكدونها يتذبذب  
أى : يضطرب .

وقال ابن جنى : المذبذب : المهتز القلق الذى لا يثبت ولا يتمهل .  
انظر الجامع لأحكام القرآن ( ٤٢٤ / ٥ ) .

( ٢ ) الربيضين : مشى وبمضى وهو الضم بنفسها ، ويروى بين الربيضين ، مشى ربيض  
وهو الموضع الذى تربض فيه .  
النهاية .

( ٣ ) رواه الامام أحمد ( ١٢٩ / ١ ) وصلى ( ٢١٤٦ / ٤ ) والشاة المائره هسى  
المترددة بين قطيعين لا تدرى أيها تتبع ، من قولهم : عار الفرس والكلب  
وغيرهما يعير عيارا : اذا ذهب كأنه منفلت من صاحبه ، فهو يتردد هنا  
وهنا .

( ٤ ) النساء ١٤٣ .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ) في الآية نهى عن موالاة المؤمنين مع الكفار . ( أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً )<sup>(١)</sup> .

السلطان : الحجبه .

ومنه يقال للأمر سلطان لأنه ذو الحجبه<sup>(٢)</sup> ومعناه أتريدون أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة في عذابكم بحيث لا يقع لكم عذر عنده .

قوله تعالى ( ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ) ويقرأ في السدر بحزم الراء<sup>(٣)</sup> .

قال أبو عبيدة والأخفش : النار دركات ، والجنة درجات<sup>(٤)</sup> .

قال أهل الملم : يجوز أن يكون فرعون وهامان أشد عذاباً من المنافقين وان كان المنافقون في الدرك الأسفل .

قال ابن مسعود : الدرك الأسفل تاهوت من حديد مقل علىهم<sup>(٥)</sup> .

(١) النساء آ٤٤ .

(٢) راجع تفسير الطبري (٢٧٩/٧) .

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر : بفتح الراء ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بحزم الراء .

النشر في القراءات المشرقة (٢٤٤/٢) .

(٤) مجاز القرآن (١٤٢/١) .

(٥) قال السيوطي : رواه ابن أبي شيبه وهناد وابن أبي الدنيا وابن جرير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم في صفة النار عن ابن مسعود . السدر المنشور (٢٣٦/٢) .

قال محقق زاد المسير : وفي مسنده انقطاع لأن خيشمة بن عبد الرحمن الراوي عن ابن مسعود لم يسمع منه .

وقيل<sup>(١)</sup> تابوت من النار .

وقال أبو هريرة والدرك الأسفل بيت مطبق عليهم يتوقد النار فيه من فوقهم ومن تحتهم .<sup>(٢)</sup> ( ولن تجد لهم نصيراً )<sup>(٣)</sup> مانعاً من العذاب .

قوله تعالى ( الا الذين تابوا ) أى أسلموا ( وأصلحوا ) أى داموا على التوبة . ( واعتصموا بالله ) الاعتصام هو الامتناع بالشيء مما يخاف .

أما الاعتصام بالله هو الامتناع بطاعته من كل ما يخاف عاجلاً وأجلاً<sup>(٤)</sup> . ( وأخلصوا دينهم لله ) شرط الاخلاص بالقلب لأن الآية فى المنافقين ، والنفاق كفر القلب فزواله بالاخلاص<sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) رواية عن ابن مسعود .

تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣٩٣ ) .

( ٢ ) تفسير ابن كثير ( ٢ / ٣٩٣ ) .

( ٣ ) النساء آية ١٤٥ .

( ٤ ) راجع معنى الاعتصام عند الطبرى ( ٨ / ٦٢ - ٦٣ - ٧٠ ) ( ٩ / ٣٤١ ) .

( ٥ ) قال الفخر الرازى ما ملخصه :-

اشترط سبحانه فى ازالة العقاب عن المنافقين أموراً أربعة :-

أولها : التوبة ، وثانيها اصلاح العمل ، فالتوبة عبارة عن ترك

القبيح ، واصلاح العمل عبارة عن الاقدام على الحسن .

وثالثها : الاعتصام بالله ، وهو أن يكون غرضه من التوبة واصلاح العمل

طلب مرضاة الله .

ورابعها : الاخلاص : بأن يكون طلب مرضاة الله خالصاً وأن لا يمتزج به

غرض آخر . . . . "

انظر التفسير الكبير ( ١١ / ٨٨ ) .

( فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً )<sup>(١)</sup> وإنما لم يقل فأولئك هم المؤمنون وسوف يؤت بهم الله أجراً عظيماً غيظاً على المنافقين .<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى ( وما يفعل الله بمذايكم ان شكرتم وأنتم ) هذا استفهام بمعنى التقدير ، ومعناه لا يعذب الله المؤمن الشاكر .<sup>(٣)</sup> وتقدير قوله " ان شكرتم وأنتم " أى ان أنتم وشكرتم .<sup>(٤)</sup>

---

(١) النساء آ٤٦ .

(٢) قلت : ربما يكون المقصود بالمعنى فى قوله " مع المؤمنين " التشریف والتكريم بصحة الاختيار .

(٣) ما استفهامية عند بعض المفسرين ، وقد أشار صاحب الكشاف الى هذا المعنى بقوله : قوله " ما يفعل الله بمذايكم . . . " أيتشفي به من الغيظ ؟ أم يدرك به الثأر ؟ أم يستجلب به نعمة ؟ أم يستدفع به ضرراً ؟ كما هو شأن الطوك . وهو الفنى المتعالى الذى لا يجوز عليه شئ من ذلك . وإنما هو أمر اقتضته الحكمة أن يعاقب المسيء . فان قصم بشكر نعمته وأنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب .

انظر تفسير الكشاف (١ / ٥٨١) .

(٤) قلت : قدم الشكر على الايمان ، لأن الشكر سبب فى الايمان ، اذ الانسان عندما يرى نعم الله ، ويتفكر فيها ويقدرها حق قدرها ، يسوقه ذلك الى الايمان الحق فالشكر يؤدى الى الايمان ، والايمان متى رسخ واستقر فى القلب ارتفع بصاحبه الى أسنى ألوان الشكر وأعظمها فعداف الايمان على الشكر من باب عطف المسبب على السبب .



والشكر ضد الكفر ، والكفر ستر النعمة ، والشكر اظهار النعمة ( وكان  
الله شاكرا عليهما <sup>(١)</sup> ) الشكر من الله قبول للمعمل ومعناه وكان الله قابلا  
للطاعات عليهما بالنيات .

قوله تعالى ( لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ) .  
قال ابن عباس معناه الا من ظلم يجوز له أن يجهر بالسوء بالاخبار عن  
ظلم الظالم ، والدعاء عليه <sup>(٢)</sup> .

قال الحسن : دعاه عليه أن يقول اللهم أعني عليه ، اللهم استخرج حقي  
منه <sup>(٣)</sup> .

وقيل <sup>(٤)</sup> يجوز له أن يشتم لكن بمثل ما شتم لا يزيد عليه بما لم يكن قدفا .  
وقد ورد في الحديث " السيتان بالسيئة ربا <sup>(٥)</sup> " .  
قال مجاهد : هو في الضيف يأتي قوما ظم يقروه ولم يحسنوا ضيفته .  
يجوز له أن يجهر بالسوء لهم <sup>(٦)</sup> . ويقرأ <sup>(٧)</sup> الا من ظلم " بفتح الظاء

(١) النساء آية ١٤٧ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٣٤٤/٩) .

(٣) ابن جرير الطبري (٣٤٤/٩) .

(٤) رواية عن ابن عباس والسدي . الجامع لاحكام القرآن (٢/٦) .

(٥)

(٦) تفسير الطبري (١٤٧/٩) .

(٧) قرأ الجمهور بضم الظاء وكسر الهمزة ، وقرأ عبد الله بن عمرو والحسن  
وابن الصديق . وأبوجاه . وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك وزيد بن أسلم  
بفتحهما .

النشر في القراءات المشرقة (٢/٢٤٤) .

والام .

قال الزجاج : معناه الا من ظلم فاجهر قوله بالسوء .  
 قيل هو راجع الى الآية المتقدمة وتقديره ما يفعل الله بمذابكم ان  
 شكرتم وامنتم الا من ظلم .

وقيل هو استثناء منقطع بمعنى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول  
 لكن يجهر بالسوء من ظلم (١) .

( وكان الله سميعا عليما (٢) سميعا لأقوالكم عليما بنياتكم .

قوله تعالى ( ان تبدوا خيرا أو تخفوه ) معناه ان تبدوا شيئا  
 من الصدقات ليفتدى لكم . " أو تخفوه " مخافة الربا .

---

( ١ ) قلت : وقول السوء بدون مقتضى يبينه الله سواء كان هذا القول سرا  
 أو جهرا الا أنه سبحانه خص الجهر بالذكر لأنه أشد فحشا ، ولأنه أكثر  
 جليا للمداوة بين الناس ، وأشد تأثيرا في اشاعة الجرائم في المجتمع ،  
 فان كثرة سماع الناس للكلام السيء وللقول الماجن ، يغرى الكثير منهم  
 بترديد ماسمعه ويحاكيه في أول الأمر بشيء من الحياء ثم لا يلبث هذا  
 الحياء أن يزول بسبب الف الناس للكثير من الألفاظ الثابتة والأقوال  
 السيئة .

وأنت تقرأ القرآن فتراه في عشرات الآيات يأمر أتباعه بالمداممة  
 على النطق بالكلام الطيب حتى تنتشر بينهم المحبة والمودة . . ومن ذلك  
 قوله تعالى " وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، ان الشيطان ينزع بينهم  
 ان الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا " الاسراء آية ٥٣ .

( ٢ ) النساء آة ١٤٨ .

( أو تعفوا عن سوء ) تصابون به <sup>(١)</sup> . ( فان الله كان عفوا قديرا ) <sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ان الذين يكفرون بالله ورسوله ) أراد به اليهود لما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم - فكانهم كفروا بالله . ( ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ) يريدون أن يؤمنوا بالله ، ويكفروا بالرسول <sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) قلت : والآية عامة تدعو الناس الى الاكثار من فعل الخير سواء أكان سرا أو جهرا ، كما تدعو الى العفو عن المسيئين .

قال الفخر الرازي : " اعلم أن معاقبة الخير على كثرتها محصورة في أمرين صدق مع الحق وخلق مع الخلق ، والذي يتعلق بالخلق محصور في مسمين ايصال نفع اليهم ودفع ضرر عنهم .

فقوله : " ان تبدوا خيرا أو تخفوه " اشارة الى ايصال النفع اليهم وقوله : " أو تعفوا عن سوء " اشارة الى دفع الضرر عنهم ، فدخل في هاتين الكلمتين جميع أنواع الخير وأعمال البر .  
انظر التفسير الكبير ( ٩٠ / ١١ ) .

( ٢ ) النساء آية ١٤٩ .

( ٣ ) قال القرطبي : " نص سبحانه على أن التفريق بين الايمان بالله والايمان برسوله كفر وانما كان كفرا لأن الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على السنة الرسل ، فاذا جحدوا رسالة الرسل فقد ردوا عليهم شرائعهم ولم يقبلوها منهم ، فكانوا مقتنعين من التزام الصبودية التي أمروا بالتزامها ، فكان الجحد الصانع سبحانه وجحد الصانع كفرا لما فيه من ترك التزام الطاعة والصبودية ، وكذلك التفريق بين رسله في الايمان بهم كفر " .

انظر الجامع لأحكام القرآن ( ٤ / ٦ ) .

(ويقولون نوع من بعض ونكفر ببعض) يؤمنون بموسى ويكفرون بعيسى  
ومحمد . ( ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا<sup>(١)</sup> ) أى مذهباً يذهبون  
اليه .

( أولئك هم الكافرون حقا ) انما حقق كفرهم ليعلم أنهم كفار مطلقا  
لئلا يظن ظان أنهم لما آمنوا بالله وبعض الرسل لا يكون كفرهم مطلقا .  
( وأعدنا للكافرين عذابا مهينا<sup>(٢)</sup> ) .

قوله تعالى ( والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم  
أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ) انما سماه أجرا مجازا لأنه ذكره بازاء العمل  
لأن العمل يوجبه .

وهذا نحو قوله تعالى فى قصة موسى " ان أبى يدعوك ليجزيك أجرا ما سقيت  
لنا<sup>(٣)</sup> " سماه أجرا على مقابلة العمل لأن موسى عمل ليؤجر عليه .  
( وكان الله غفورا رحيما<sup>(٤)</sup> ) .

قوله تعالى ( يستذك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء ) هم  
اليهود قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - لن نوع من لك حتى تنزل علينا كتابا من  
السماء حطة كما أنزل التوراة على موسى<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) النساء آية ١٥٠ .

( ٢ ) النساء آية ١٥١ .

( ٣ ) القصص آية ٢٥ .

( ٤ ) النساء آية ١٥٢ .

( ٥ ) أسباب النزول للواحدى صفحه ( ١٧٩ ) وراجع تفسير ابن كثير ( ٣٩٧/٢ ) .

قال الحسن : ولم يكن ذلك سوءا ل انقياد ، وانما ذلك سوءا ل تحكم  
واقترح فانهم لو أنزل عليهم جملة كما سألوا لم يؤمنوا ، والله تعالى لا ينزل  
الآيات على اقترح العباد وانما ينزلها على مشيئته . ( فقد سألوا  
موسى أكبر من ذلك ) أى أعظم من ذلك .

فقالوا أرنا الله جهرة ) أى عيانا . وذلك أن المرء كانت تعدد  
الملم بالقلب رؤية فقال جهرة ليعلم أنه أرد العيان .

قال أبو عبدة <sup>(٢)</sup> : معناه فقالوا جهرة أرنا الله .

( فأخذتهم الصاعقة بنظلمهم ثم اتخذوا المجمل ) يعنى الهاء ( من بعد  
ما جاءتهم الهيئات فمفونا عن ذلك ) فيه استدعاء للتوبة ومعناه أن أولئك  
الذين اجترموا تلك الاجرام عفونا عنهم وتوبوا أنتم حتى يعفوا عنكم . ( وآتينا  
موسى سلطانا مبينا <sup>(٢)</sup> ) حجة بينة من المعجزات <sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) مجاز القرآن ( ١ / ١٤٢ ) .

( ٢ ) النساء آيه ١٥٣ .

( ٣ ) قلت : وما حكمة هذه الآية الكريمة من جرائم بنى اسرائيل بصورة مجمل  
قد جاء مفضلا فى مواطن أخرى ومن ذلك قوله تعالى : - " وان قال  
موسى لقومه انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم المجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا  
أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم .

وان قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم  
الصاعقة وأنتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ."  
انظر سورة البقرة الايات من ٥٤ - ٥٦ .

قوله تعالى ( ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم ) الطور جبل الطور .  
وقيل كل جبل ينبت شيئا فهو طور ، فان لم ينبت لا يسمى طورا .  
والميثاق : العهد الموكل باليمين ؛ ( ١ )  
وقلنا لهم ادخلوا المساب  
سجدا ) .

قيل انهم سجدوا على انصاف وجوههم حتى دخلوا الباب .  
وفي القصة انهم قالوا بهذا السجود رفع العذاب عنا فلا نترك هذا  
السجود . وكانوا يسجدون بعد ذلك على انصاف وجوههم . ( ٢ )  
وقلنا لهم  
لاتمدوا في السبت ) وقرأ نافع برواية قالون لاتمدوا بجزم المسين  
مشددة الدال .

---

( ١ ) قال ابن كثير : " ذلك انهم حين امتنعوا على الالتزام بأحكام التوراة ،  
وظهر منهم اباء عما جاء به موسى عليه السلام رفع الله على رؤوسهم جبلا .  
ثم الزموا فالتزموا ، وسجدوا وجعلنا ينظرون الى ما فوق رؤوسهم خشية  
أن يسقط عليهم . كما قال تعالى " واذا نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلسه  
وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما أتيناكم به . . . الآية .  
انظر تفسير ابن كثير ( ١ / ٥٧٣ ) .

( ٢ ) قلت : تحدث القرآن عن قصة أمرهم بدخول هذه القرية ساجدين بصورة  
أكثر تفصيلا في سورتي البقرة والأعراف ، فقال تعالى في سورة البقرة :  
" وان قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا ، وادخلوا  
الباب سجدا ، وقلوا حطة نخفر لكم خطايكم وسنزيد المحسنين ( ٥٨ )  
فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم ، فأنزلنا على الذين ظلموا  
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ( ٥٩ ) .

( ٣ ) قالون : هو أبو موسى عيسى بن مينا النحوي ، ولقب بقالون لجودة  
قراءته لأن قالون معناه الجيد في أصل وضمها ،  
قرأ على نافع واختص به كثيرا وقال قراءات على نافع غير مرة وكتبت  
عنه .  
توفي سنة ٢٢٠ عشرين ومائتين .  
طبقات القراء .

وفي رواية ورش<sup>(١)</sup> عنه لا تعدوا بفتح العين مشددة الدال<sup>(٢)</sup> ومعنى  
الكل لا تعدوا في السبت<sup>(٣)</sup> . ( وأخذنا منهم ميثاقا غليظا )<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) ورش : هو عثمان بن سعيد المصري ، يكنى أبا سعيد ويلقب بسورس  
لشدته بياضه . رحل الى المدينة فقرأ على نافع حتى مات سنة ١٥٥  
خمس وخمسين ومائه ، ثم رجع الى مصر فانتهت اليه رئاسة القراء بها ،  
وكان حسن الصوت جيد القراءة .  
توفي سنة ١٩٧ سبع وتسعين ومائة .  
طبقات القراء لابن الجزري .

( ٢ ) وقرأ الباقون " تعدوا " خفيفة ، وكلهم ضم الدال .  
النشر في القراءات المشر ( ٢ / ٢٤٤ ) .

( ٣ ) قلت : وقصة اعتداء اليهود على محارم الله في يوم السبت قد جاء  
ذكرها في كثير من آيات القرآن الكريم ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة  
البقرة : " ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم :  
كونوا قردة خاسئين ( ٦٥ ) فجعلناها نكالا لما بين يديها  
وما خلفها وموعظة للمتقين ( ٦٦ ) .

وقال تعالى في سورة الأعراف : " واسألهم عن القرية التي  
كانت حاضرة البحر ان يعدون في السبت ، ان تأتيهم حيث انهم  
يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبئون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا  
يفسقون . . . " . ( ١٦٣ ) .

( ٤ ) النساء آية ١٥٤ .

قوله تعالى ( فبما نقضتهم ميثاقهم ) وما للصلة وانما يدخل في الكلام لتضخيمه وتجزيليه (١) وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف ( قد ذكرنا كل هذا ) بل طبع الله عليها بكفرهم الطبع الختم .

وقال الزجاج : جعل قلوبهم كالمطبوع لا تصلح ولا يصلح أبدا ولا يدخلها خير (٢) فلا يؤمنون الا قليلا (٣) .

( ويكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما (٤) أراد به نسبتهم مريم الى الزنا .

قوله تعالى ( وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ) قيل ان الله تعالى ألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه فقتلوه .

وقيل انهم كانوا حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيقا فألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فقتلوه .

وقيل انهم ربما كانوا لا يعرفون عيسى بمينه وكانوا يعرفونه باسمه وكانوا يطلبونه فقال لهم يهودا أو هودا واحد من أصحاب عيسى أعطونسي

( ١ ) المعنى فينقضهم ميثاقهم ، وهو أن الله أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا ما أنزل عليهم من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم - وغيره ، والجالب للبا' المعامل فيها .

زاد الصبير ( ٢ / ٢٤٣ ) .

( ٢ ) معجم مقاييس اللغة ( ٣ / ٤٣٨ ) .

( ٣ ) النساء آيه ١٥٥ .

( ٤ ) النساء آيه ١٥٦ .



شيئا أدلكم على عيسى فأعطوه ثلاثين درهما فدلهم على غيره فقتلوا ذلك النكير<sup>(١)</sup> فهذا قوله " ولكن شبه لهم " .

( وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ) وذلك أن الرجل الذي قتلوه على ظن أنه عيسى كان يشبهه بوجهه ولا يشبهه بجسده فوق فهم الاختلاف فقال بعضهم الذي قتلناه كان عيسى ، وقال بعضهم لم يكن عيسى .

وقيل هو الاختلاف بين علمائهم وأغنامهم ، فان علمائهم كانوا يملسون أنهم لم يصلبوا عيسى ، وكان عند جهالهم وأغنامهم أنهم قتلوا عيسى<sup>(٢)</sup> .

( مالهم به من علم ) يعني من حقيقة علم ( الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا )<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) قال الشيخ أحمد شاکر :

"والذي نوّه من به موقنين هو ما أخبرنا الله به في كتابه نسا أنهم ما قتلوه وما صلبوا ولكن شبه لهم دون أن نذكر في تفصيل كيف شبه لهم وطى من من الناس ألقى شبهه ؟ فهذا التفصيل لم نكلف الايمان به ، ان لم يملنا الله ولا رسوله بشئ من ذلك التفصيل .  
عمدة التفسير ( ٣١ / ٤ ) بهامشه .

( ٢ ) قلت : والذي يجب اعتقاده بنص القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب ، وانما رفعه الله اليه ، ونجاه من مكر أعدائه ، أما الذي قتل وصلب فهو شخص سواه .

( ٣ ) النساء آية ١٥٧ .

قال الأنباري : قوله " وما قتلوه " كلام تام ، وقوله " يقينا " راجع الى ما بعد وتقديره " بل رفعه الله اليه يقينا .

قال الفراء : معناه وما قتلوا الذي ظنوا أنه عيسى " يقينا " أنه عيسى .  
( ١ )

وقيل<sup>( ٢ )</sup> الهاء كناية عن عيسى ، أي وما قتلوا عيسى يقينا ( بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكما )<sup>( ٣ )</sup> .

قوله تعالى ( وان من أهل الكتاب الا ليو منن به قبل موته ) معناه وان من أهل الكتاب أحد الا ليو منن به وهو مثل قوله " وان منكم الا واردها<sup>( ٤ )</sup> أي وان منكم أحد<sup>( ٥ )</sup> .

واختلفوا في قوله " قبل موته " أن الهاء كناية عن من ؟ .

قال الحسن : وهو أحدى الروايتين عن ابن عباس : أنه كناية عن الكتابي . وقال مامن كتابي من اليهود الا وهو يوء من بعيسى قبل موته فسي وقتالبأس حين لا ينفعه حتى قيل لابن عباس وان مات حرقا أو غرقا أو هدا ؟ .

قال نعم .

وقال قتادة وهو رواية أخرى عن ابن عباس أن الهاء كناية عن عيسى .

( ١ ) معاني القرآن ( ١ / ٢٩٤ ) .

( ٢ ) هذا قول الحسن . زاد المسير ( ٢ / ٢٤٦ ) .

( ٣ ) النساء آية ١٥٨ .

( ٤ ) مريم آية ٧١ .

( ٥ ) زاد المسير ( ٢ / ٢٤٧ ) .

يعنى ما من كتابى الا وبوه من بعيسى قبل موت عيسى وذلك حين ينزل  
(١)  
من السماء .

وقال عكرمة : هذا فى محمد - صلى الله عليه وسلم - ما من كتابى الا  
وبوه من به قبل الموت . وهذا قول ضعيف لأنه لم يجر ذكر محمد فى الآية - (٢) .

(١) راجع تفسير ابن كثير (٢/٤٠٤-٤١٩) .

(٢) إنتصر لقول قتادة كثير من المفسرين وعلى رأسهم شيخهم ابن جرير .  
فقد قال بمد سرد الأ أقوال فى الآية - وأولى الأ أقوال بالصحة  
والصواب قول من قال تأويل ذلك : وان من أهل الكتاب الا ليوه من  
بعيسى قبل موت عيسى . . .

وقد علق ابن كثير على ما رجحه ابن جرير بقوله : ولا شك أن الذى  
قاله ابن جرير هو الصحيح . لأن المقصود من سياق الآيات بطلان  
ما زعمته اليهود من قتل عيسى وصلبه وبطلان تسليم من سلم لهم من  
النصارى الجهلة ذلك ، فقد أخبر الله تعالى أن الأمر لم يكن  
كذلك ، وانما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم ان الله  
تعالى رفع اليه عيسى وانته باق حى ، وانته سينزل يوم القيامة .

وقد صدر صاحب الكشاف كلامه بذكر التأويل الأول - وهو قول  
الحسن - فقال ما ملخصه :-

والمعنى : وما من اليهود والنصارى أحد الا ليوه من قبل موته  
بعيسى ، وبأنه عبد الله ورسوله ، يعنى : اذا عاين قبل أن ترهق  
روحه حين لا ينفعه ايمانه . . . فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم  
بعيسى قبل موتهم ؟ قلت : فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم  
لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعايضة ، وأن ذلك لا ينفعهم  
بعثا لهم وتنبئها على معالجة الايمان به فى وقت الانتفاع به ، وليكون  
الزماما للمحجة لهم .

والذى نراه أولى أنه لا تعارض بين التأويلين . فان كلا منهما حق فى  
ذاته فكل كتابى عندما تحضره الوفاة يعلم أن عيسى كان صادقا فى نبوته ،  
وأنه عبد الله ورسوله ، وأنه قد دعا الناس الى عبادة الله وحده ، وكذلك  
كل كتابى يشهد نزول عيسى فى آخر الزمان سيوه من به ويتبعه ويشهد بأنه  
صادق فيما بلغه عن ربه .

انظر تفسير الطبرى (٦/٢٣) وانظر تفسير ابن كثير (١/٥٧٧) بتصرف  
يسير ، وانظر تفسير الكشاف (١/٥٨٩) .

يعنى ما من كتابى الا ويؤمن بميسى قبل موت عيسى وذلك حين ينزل  
من السماء (١) .

وقال عكرمة : هذا فى محمد - صلى الله عليه وسلم - ما من كتابى الا  
ويؤمن به قبل الموت. وهذا قول ضعيف لانه لميجر ذكر محمد فى الآية (٢) .

(١) راجع تفسير ابن كثير (٢/٤٠٤-٤١٩) .

(٢) إنتصر لقول قتادة كثير من المفسرين وعلى رأسهم شيخهم ابن جرير .  
فقد قال بعد سرد الأ قول فى الآية - وأولى الأ قول بالصحة  
والصواب قول من قال تأويل ذلك : وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن  
بميسى قبل موت عيسى . . .

وقد علق ابن كثير على ما رجحه ابن جرير بقوله : ولا شك أن الذى  
قاله ابن جرير هو الصحيح . لأن المقصود من سياق الآيات بطلان  
ما زعمته اليهود من قتل عيسى وصلبه وبطلان تسليم من سلم لهم من  
النصارى الجهلة ذلك ، فقد أخبر الله تعالى أن الأمر لم يكن  
كذلك ، وانما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم ان الله  
تعالى رفع اليه عيسى وانه باق حى ، وانه سينزل يوم القيامة .

وقد صدر صاحب الكشاف كلامه بذكر التأويل الأول - وهو قول  
الحسن - فقال ما ملخصه :-

والمعنى : وما من اليهود والنصارى أحد الا ليؤمنن قبل موته  
بميسى ، وبأنه عبد الله ورسوله ، يعنى : اذا عاين قبل أن ترهبق  
روحه حين لا ينغمه ايمانه . . . فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم  
بميسى قبل موتهم ؟ قلت : فائدته الوعيد وليكون علمهم بأنهم  
لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة ، وأن ذلك لا ينغمهم  
بعثا لهم وتنبئها على معالجة الايمان به فى وقت لا نتفاع به ، وليكسبون  
الزماما للحجة لهم .

والذى نراه أولى أنه لا تمارح بين التأويلين . فان كلا منهما حق فى  
ذاته فكل كتابى عندما تحضره الوفاة يعلم أن عيسى كان صادقا فى نبوته ،  
وأنه عبد الله ورسوله ، وأنه قد دعا الناس الى عبادة الله وحده ، وكذلك  
كل كتابى يشهد نزول عيسى فى آخر الزمان سيؤمن به ويتبعه ويشهد بأنه  
صادق فيما بلغه عن ربه .

انظر تفسير الطبرى (٢٣/٦) وانظر تفسير ابن كثير (١/٥٧٧) بتصرف  
يسير ، وانظر تفسير الكشاف (١/٥٨٩) .

( ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا <sup>(١)</sup> ) يعنى عيسى .

قوله تعالى ( فبئلم من الذين هادوا ) يعنى ما ذكر من اجرامهم  
( حرصنا عليهم طيبات أحلت لهم ) هو ما ذكرنا فى سورة الانعام \* وعلى  
الذين هادوا حرصنا كل ذى ظفر <sup>(٢)</sup> الآية على ما سيأتى .  
( وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ) <sup>(٣)</sup> .

( وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ) يعنى  
الرشا ( وأعدنا للكافرين منهم عذابا أليما ) <sup>(٤)</sup> .

قوله تعالى ( لكن الراسخون فى العلم منهم ) لكن قلاضرا بعن عن كلام  
والدخول فى كلام آخر .

والراسخون المبالغون فى العلم أولو البصائر فيه <sup>(٥)</sup> ، وأراد الذين  
أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام ويامين بن يامين وأسد وأسييد  
ابنى كعب وجماعة ( والمؤمنون ) أراد به المهاجرين والأنصار . ( يؤمنون  
بما أنزل اليك ) يعنى القرآن ( وما أنزل من قبلك ) يعنى سائر الكتب  
المنزلة ( والمقيمين الصلاة ) فى هذا اشكال من حيث النحو .

( ١ ) النساء آية ١٥٩ .

( ٢ ) الانعام آية ١٤٦ .

( ٣ ) النساء آية ١٦٠ .

( ٤ ) النساء آية ١٦١ .

( ٥ ) الراسخ فى العلم هو المتحقق فيه ، الذى لا تؤثر فيه الشبهات ،

المتقن لما يعلمه اتقاناً يبعده عن الميل والانحراف عن الحق .

الجامع لأحكام القرآن ( ١٣ / ٦ ) .

قيل ان هذا ذكر لعائشه وابان بن عثمان<sup>(١)</sup> فادعيا الفلظ على  
الكاتب وقالا ينهضى أن تكتب والمقيمون الصلاة<sup>(٢)</sup> وليس هكذا بل هو صحيح  
في النحسو وهو نصب على المدح وتقديره واذكروا المقيمين الصلاة ، أو أعنى

---

( ١ ) ابان بن عثمان بن عفان الاموى . أبو سعيد ، ويقال أبو عبد الله .  
قال عمرو بن شبيب مارأيت أعلم بحدِيث ولا فقه منه .  
وعده يحيى القطان من فقهاء المدينة .  
وقال المجلى : ثقة من كبار التابعين .  
وقال ابن سعد : مدنى تابعى ثقة وله أحاديث وكان به صمم  
روضح واصابة الفالج قبل أن يموت بسنه .  
مات فى خلافة يزيد بن عبد الملك .  
تهذيب التهذيب ( ١ / ٩٧ ) .

( ٢ ) قال القرطبى : قال القشيرى : وهذا المسلك باطل لأن الذين  
جمموا الكتاب كانوا قدوة فى اللغة فلا يظن بهم أنهم يدرسون  
فى القرآن ما لم ينزل .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ١٥ ) .

وقال الشوكانى فى فتح القدير : " ويجاب عن القشيرى بأنه قد  
روى عن عثمان بن عفان أنه لما فرغ من المصحف وأتى به اليه قال :  
أرى فيه شيئاً من لحن ستقيمه العرب بألسنتها " أخرجـه  
عنه ابن أبى داود من طريق " ( ١ / ٥٣٧ ) .

قال السخاوى فى الرد على الأثر هذا : " وهذا الأثر  
ضعيف والاسناد فيه اضطراب وانقطاع لأن عثمان - رضى الله عنه -  
جمل للناس اتماما يقتدون به ، فكيف يرى فيه لحنا ويتركه لتقيمه  
العرب بألسنتها ؟ وقد كتب صاحب سبعة ، وليس فيها

---

٠٠/٠٠

اختلاف قط الا فيما هو من وجوه القراءات واذا لم يقيه هو ومن باشر  
الجمع ، كيف يقيه غيرهم !!؟ .

وقد نقل ابن هشام في شرح شذوذ الذهب : . . عن الامام تقي الدين  
أبي المباسم أحمد بن تيميه رحمه الله أنه قال : وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ  
" ان هذان " لحن ، وأن عثمان رضى الله عنه قال : ان في المصحف لحننا  
ستقيه العرب بألسنتها ، وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه :-  
أحدها : أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا يتسارعون الى انكار أدنى المنكرات ،  
فكيف يقرون اللحن في القرآن مع أنهم لا كلفة عليهم في ازالته .

والثاني : أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقبح في الكلام ، فكيف  
لا يستقبحون بقاءه في المصحف .

والثالث : أن الاحتجاج بأن العرب ستقيه بألسنتها غير مستقيم لأن المصحف  
الكريم يقف عليه العربي والمجسي .

والرابع : أنه ثبت في " الصريح " أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب " التابوت "   
بالحاء على لفة الأ نصار ، فضعوه من ذلك ، ورفعوه الى عثمان رضى  
الله عنه ، فأمرهم أن يكتبوه بالطاء على لفة قريش .

المقيمين الصلاة وهم الموءتون الزكاة ومثله قول الشاعر<sup>(١)</sup> :-

النازليين بكل معترك . والطيبون معاقبـ الاُزر  
أنا أعنى النازليين بكل معترك وهم الطيبون معاقب الاُزر نصبا على المدح .

وقيل تقد يره وما أنزل على المقيمين الصلاة<sup>(٢)</sup> .

قوله ( والموءتون الزكاة ) رجوع الى نسق الأُول ( والموءنون بالله  
واليوم الآخر أولئك سنوئتهم أجرا عظيما<sup>(٣)</sup> ) .

---

( ١ ) مجاز القرآن ( ١٤٣ / ١ ) الكامل ( ٧٥١ / ٢ ) القرطبي ( ١٤ / ٦ ) والبيت  
لخرنق بنت عفان . وقيل هفان من بني قيس .

( ٢ ) قال صاحب الكشاف : وقوله " والمقيمين الصلاة " نصب على المدح  
ليبيان فضل الصلاة وهو باب واسع ، وقد كسره سيويه على أمثلة وشواهد ،  
ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في حذ المصحف . وربما التفقت  
اليه من لم ينظر في الكتاب ، ولم يعرف مذاهب العرب ، وما لهم في النصب  
على الاختصاص من الافتنان ، وغبى عليه أن السابقين الأولين الذين  
مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا أبعد همة في الغيرة على  
الاسلام ، وذب المطاعن عنه ، من أن يتركوا في كتاب الله ثلثة ليسدّها  
من بعدهم . وخرقا يرفوه من يلحق بهم .

وقيل : هو عطف على " بما أنزل اليك " أي يؤنون بالكتاب وبالمقيمين  
الصلاة وهم الأنبياء ، وفي مصحف عبد الله : " والمقيمون " بالواو ، وهي  
قراءة مالك بن دينار ، والجحدري ، وعيسى الشقفي .  
انظر الكشاف ( ٥٩٠ / ١ ) .

( ٣ ) النساء آيه ١٦٢ .



قوله تعالى ( انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ) هذا بناء على ما سبق من قوله " يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء " يقول الله تعالى قد جعلناك رسولا بالطريق السبى جعلنا سائر الأنبياء رسلا وهو الوحي (١) .

( وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ) ذكر عدة من الرسل الذين أوحى اليهم . فان قال قائل لم قدم ذكر عيسى وهو متأخر ؟ قيل الواو لا يوجب الترتيب وانما هي للجمع .

وقيل ذكره اهتماما بأمره وكان أمر عيسى أهم .

( وأتينا داود زبوراً ) (٢) وقرأ حمزة زبوراً بضم الزاى فالزبور فعول بمعنى المفعول وهو الكتاب الذى أنزل الله تعالى على داود فيه التحميد والتمجيد وثناء الله تعالى والزبور الكتاب والزبرة قطعة الحديد ويقال ماله زيرا أى ماله عقد . وأما الزبور جمع الزبر (٣)

(١) قال الامام الفخر الرازى : " اعلم أنه تعالى لما حكى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم كتابا من السماء ، وذكر سبحانه بعد ذلك أنهم لا يسألون لأجل الاسترشاد ولكن لأجل المناد واللجاج وحكى أنواعا كثيرة من فضائحهم وقياسهم . . . شرع سبحانه بعد ذلك فى الجواب عن شبهاتهم فقال : انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده . . . " .  
انظر التفسير الكبير (١٠٨/١١) .

(٢) النساء آية ١٦٣ .

(٣) غريب القرآن صفحة (٣٧) .

قوله تعالى (ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ) وأرسلنا رسلا قد  
قصصناهم عليك من قبل ( رسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً )<sup>(١)</sup>  
انما كلمه بنفسه من غير واسطة ولا وحي .

وفيه دليل على من قال ان الله خلق كلاما في الشجره فسمعه موسى وذلك  
لأنه قال " وكلم الله موسى تكليماً " .

قال الفراء وشعلب : ان العرب تسمى ما توصل الى الانسان كلاما بأى  
طريق وصل اليه ولكن لا يحققه بالمصدر فاذا حقق الكلام بالمصدر لم يكن  
الا حقيقة الكلام<sup>(٢)</sup> . وهذا كالأرادة يقال أراد فلان ارادة فيكون حقيقة  
الارادة ، ولا يقال ارادة الجدار أن يسقط ارادة وانما يقال أراد الجدار من  
غير ذكر المصدر لأنه مجاز فلما حقق الله كلامه موسى بالتكليم عرف أن حقيقة  
الكلام من غير واسطة .

قال شعلب وهذا دليل من قول الفراء أنه ما كان يقول بخلق القرآن .  
فان قال قائل بأى شىء عرف موسى أنه كلام الله ؟ .

(١) النساء آية ١٦٤ .

(٢) قال القرطبي : قال النحاس : أجمع النحويون على أنك اذا أكدت  
الفعل بالمصدر لم يكن مجازا وأنه لا يجوز في قول الشاعر :  
أستلأ العوض وقال قطني .

أن يقول : قال قولا ، فكذا لما قال : " تكليماً " وجب أن يكون  
كلاما على الحقيقة من الكلام الذى يعقل .  
الجماع لأحكام القرآن (٦ / ١٨) .

قبل بتعريف الله تعالى اياه وانزال آية عرف موسى بتلك الآية أنه  
كلام الله تعالى وهذا مذهب أهل السنة أنه سمع كلام الله حقيقة بلا  
كيف (١).

وقال وايل بن داود (٢) : معنى قوله " وكلم الله موسى تكليماً " .  
أي مرارا كلاما بعد كلام .

قوله تعالى ( رسلا مبشرين ومنذرين ) أي أرسلنا رسلا ( لئلا يكون  
للناس على الله حجة بعد الرسل ) وهذا دليل على أن الله تعالى لا يعذب  
الخلق قبل بمئة الرسل وهذا معنى قوله " وما كنا معذبين حتى نبعث  
رسولا " (٣) . وقال تعالى " ولو أنا أهلكتناهم بعد آياتنا لقالوا ربنا لولا  
أرسلنا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى " (٤) (٥)

( ١ ) راجع شرح الطحاوية ( ١٠٦ - ١٢٨ ) .

( ٢ ) وايل بن داود التيمي أبو بكر الكوفي . والد بكر بن وائل .

قال أحمد : وقد سمع وائل بن ابراهيم النخعي وهو ثقة ، وقات

وقال البزار : صالح الحديث .

وقال الخليلي : ثقة .

تهذيب التهذيب ( ١١١ / ١٠٩ - ١١٠ ) .

( ٣ ) الاسراء آية ١٥ . ( ٤ ) طه آية ١٣٤ .

( ٥ ) ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا أحد أغبر من الله ، ومن أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ،

ولا أحد أحب إليه المدح من الله ، ومن أجل ذلك مدح نفسه ، ولا أحد

أهبط إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين "

وفي لفظ آخر : " ومن أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه " .

انظر تفسير ابن كثير ( ١ / ٥٨٨ ) .

( وكان الله عزيزا ) أى معتدرا على معاونة الخلق . ( حكيميا )

ببعث الرسل .

وفى حديث أبى الدرر<sup>١</sup> أنه قال سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عدد الأنبياء فقال مائة وأربع وعشرون ألفا فقلت كم الرسل فقال ثلاثمائة وخمسة عشر جم غفير . ( ٢ )

قوله تعالى ( لكن الله يشهد بما أنزل اليك ) سبب نزول الآية أن قوما من علماء اليهود حضروا عند النبی صلى الله عليه وسلم فقال لهم : انكم تعلمون أنى رسول الله فقالوا لا نعلم ذلك فنزل قوله " لكن الله يشهد بما أنزل اليك " ( ٣ ) ( أنزله بعلمه ) أى مع علمه كما يقال جانى فلان بسيفه أى مع سيفه وفيه دليل على أن الله علما هو صفته خلاف قول المعتزلة - خذلهم الله - ( والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ) ( ٤ ) .

( ١ ) النساء آيه ١٦٥ .

( ٢ ) قال ابن كثير رواه ابن مردويه رحمه الله فى تفسيره . ثم قال : وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي فى كتاب " الأنواع والتناسيم " وقد وسمه بالصحة وخالفه أبو الفرج بن الجوزى ، فذكر هذا الحديث فى كتابه الموضوعات ، واتهم به ابراهيم بن هشام هذا ، ولاشك أنه قد تكلم فيه غسير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث ، قاله أعلم . تفسير ابن كثير ( ٢ / ٤٢٣ ) .

( ٣ ) تفسير الطبرى ( ٩ / ٤٩ ) عن ابن عباس قال : دخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جماعة من يهود ، فقال لهم : " انى لا أعلم والله انكم لتعلمون أنى رسول الله " فقالوا : ما نعلم ذلك ، فأنزل الله عز وجل ( لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ) . وراجع الدر المنثور ( ٢ / ٢٤٨ ) .

( ٤ ) النساء آيه ١٦٦ .

فان قيل اذا شهد الله له بالرسالة فأي حاجة الى شهادة  
الملائكة ؟ .

قيل لأن الذين حضروا عند النبی صلى الله عليه وسلم - كان عندهم  
علما الأرض فقالوا نحن علماء الأرض ونحن ننكر رسالتك فقال الله تعالى  
ان أنكره علماء الأرض يشهد به علماء السماء وهم الملائكة على مقابلة زعمهم  
وظنهم ، لا حاجة الى شهادتهم فانه قال ( وكفى بالله شهيدا ) .

قوله تعالى ( ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ) صدهم عن  
سبيل الله كان بكتمان نعت محمد ( قد ضلوا ضلالا بعيدا )<sup>(١)</sup> أي هلكوا ،  
والضلال الهلاك .

قوله تعالى ( ان الذين كفروا وظلموا ) فان قال قائل أي معنى لقوله  
" وظلموا " وقد قال كفروا ، وظلمهم كفرهم ؟ قيل معناه كفروا باللله ،  
وظلموا محمد بكتمان لفته .

وقيل ذكره تأكيدا . ( لم يكن الله ليغفر لهم ) في هذا اشارة الى  
أن الله تعالى لو غفر للكافرين أجمع كان يسع ذلك رحمته لكنه قطع القول  
بأن لا يغفر لهم . ( ولا ليهديهم طريقا )<sup>(٢)</sup> يعني الاسلام . ( الا طريق  
جهنم ) يعني اليهودية ( خالد بن فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) النساء آية ١٦٧ .

( ٢ ) النساء آية ١٦٨ .

( ٣ ) النساء آية ١٦٩ .

قوله تعالى ( يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم ) فقد يبره يكن الايمان خيرا لكم . ( وان تكفروا فان لله ما فى السموات والأرض وكان الله عظيما حكيمًا )<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ) الغلو مجاوزة الحد<sup>(٣)</sup> . والآية فى النصارى .

قال الحسن : يجوز أن يكون فى اليهود والنصارى فانهم غلوا فى أمر عيسى . أما اليهود بالتقصير فى حقه .

وأما النصارى بمجاوزة الحد فيه . والغلو غير محمود فى الدين .  
روى ابن عباس عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال " اياكم والغلو فى الدين وانما أهلك من كان قبلكم بالغلو"<sup>(٤)</sup> . ( ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ) وقد بينا أقوال الملمة فى كونه كلمة<sup>(٥)</sup> جمته ثلاثة أقاويل :-

( ١ ) مجاز القرآن ( ١ / ١٤٣ ) .

( ٢ ) النساء آية ١٧٠ .

( ٣ ) الغلو كما يقول القرطبي - التجاوز فى الحد ، ومنه غلا السمر يفلو غلا ، وغلا الرجل فى الأمر غلوا . وغلا الجارية لحمها وعظمها ، اذا أسرعت الشباب فجاوزت لذاتها أى : أتربها .  
انظر تفسير القرطبي ( ٦ / ٢١ ) .

( ٤ ) ن مناسك ٢١٢ ، وابن ماجه من كتاب المناسك ( ٦٣ ) باب قدر حصى الرصى ، حديث رقم ( ٣٠٢٨ ) ( ٢ / ١٠٠٨ ) والامام أحمد فى مسنده ( ١ / ٢١٥ ، ٢٤٧ ) .

( ٥ ) راجع تفسيره للآية ( ٤٥ ) من نفس السورة .

أحدها : أنه بكلمته وهى قوله كن فكان .

والثانى : أنه يهتدى به كالمهتدى بكلمة الله .

والثالث : كلمته بشارته التى بشر بها فى الكتب يكون عيسى فهذا .

معنى قوله ( وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ) وفى تسميته روحا

ثلاثة أقاويل :-

أحدهما (١) : أنه كان له روح كسائر الأرواح الا أن الله تعالى أنمأه الى نفسه

تشريفا .

والثانى (٢) : أنه تحيا به القلوب كما تحيا الابدان بالروح .

الثالث (٣) : أن الروح هو النفخ الذى نفخ فى مريم جبريل باذن الله فسمى

ذلك النفخ روحا .

( فأمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ) وكانت النصارى يقولون بالثلاثة

كانوا يقولون ابن وأب وروح القدس وهذا معنى قوله تعالى " لقد كفر

الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة (٤) .

وقوله ( انتهوا خيرا لكم ) تقديره يكن الانتهاء خيرا لكم ) انما الله

اله واحد سبحانه أن يكون له ولد ) واعلم أن الله تعالى كما لا يجوز له أن

يتخذ ولدا لا يجوز عليه التبني فان التبني انما يكون حيث يكون الولد فاذا لم

يتصور لله ولدا لم يميز عليه التبني ( له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى

بالله وكيفا ) (٥) .

(١) هو قول ابى بن كعب . زاد السير (٢/٦٢١) .

(٢) ذكره القاضي أبو يعلى . زاد السير (٢/٢١٦) .

(٣) هذا قول ابن روق . زاد السير (٢/٢١٦) .

(٤) المائدة آيه ٧٣ .

(٥) النساء آيه ١٧١ .

قوله تعالى ( لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ) الاستنكاف : التكبر مع الألف . ومعناه لن يأنف المسيح أن يكون عبداً (١) . ( ولا الملائكة المقربون ) استدل بهذه الآية من ذهب الى تفضيل الملائكة على البشر بأن الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة . وليس في الآية مستدل وانما قال " ولا الملائكة المقربون " لا متناع مكانهم ومقامهم على مقام البشر وانما قال ذلك على ما عند النصارى ولعله كان عندهم أن الملائكة أفضل من البشر فقال ذلك على ما في زعمهم . (٢)

(١) أصل " يستنكف " كما يقول القرطبي : تكف ، فالياء والسين والتاء زوائد .

يقال : نكفت من الشيء واستنكفت منه وأنكفته أي : نزهته عما يستنكف منه ، ومنه الحديث : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن " سبحان الله " فقال : " انكاف الله من كد سوء " يعني تنزيهه وتقديسه عن الانداد والأولاد .

وقال الزجاج : استنكف أي : أنف مأخوذ من نكفت الدمع ، اذا تحيته باصبعك عن خدك ، ومنه الحديث " ما ينكف المرق عن جبينه " أي : ما ينقطع .

وقيل هو من النكف وهو العيب ، يقال : ما عليه في هذا الأمر من نكف ولا وكف ، أي عيب ، أي : كن يمتنع المسيح ولسن يتنزه عن العبودية لله تعالى ، ولن ينقطع عنها ، ولن يعاب أن يكون عبدا لله تعالى .

انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن (٢٦/٦) بتصرف يسير .

(٢) تفسير ابن كثير (١/٥٩١) .



وقوله ( ومن يستنكف عن عبادتي ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا )<sup>(١)</sup>  
الفرق بين الاستنكاف والاستكبار أن الاستنكاف هو التكبر مع الأنف  
والاستكبار : هو الفلو والتكبر من غير أنفه .

( فأما الذين آمنوا وعللوا الصالحات فيوفيهـم أجورهم ويزيدهم من  
فضله ) .

قبل زيادة فضله ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب  
بشر .

وقيل هو الشفاعة .

وفي الحديث " يشفع الصالحون يوم القيامة من يعرفون " .<sup>(٢)</sup>

( وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعد بهم عذابا أليما ولا يجدون  
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا )<sup>(٣)</sup> .

(١) النساء آية ١٧٢ .

(٢) في الدر المنثور أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم ، والطبراني وابن مردويه ،  
وأبو نعيم في الحلية والاسماعيلي في معجمه بسند ضعيف عن ابن مسعود .  
رضي الله عنه قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قول الله  
" فيوفيهـم أجورهم ويزيدهم من فضله " قال أجورهم : يدخلهم الجنة ،  
ويزيدهم من فضله : الشفاعة فيمن وجبت لهم النار ممن صنع اليهم  
المعروف في الدنيا ( ٢٤٩ / ٢ ) .

وذكره ابن كثير عن ابن مردويه ، ثم قال : وهذا اسناد لا يثبت  
وإذا روى عن ابن مسعود موقوفا فهو جيد .  
تفسير ابن كثير ( ٤٣٣ / ٢ ) .

(٣) النساء آية ١٧٣ .

قوله تعالى ( يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ) قيل هو محمد صلى الله عليه وسلم . على هذا أكثر المفسرين .

وقيل هو القرآن . والبرهان في اللغة هو الحجّة ( وأنزلنا اليكم نورا مبينا<sup>(٢)</sup> ) هو القرآن .

قوله تعالى ( فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فسي رحمة منه وفضل ) يعني الجنة ( ويهديهم إليه صراطا مستقيما<sup>(٣)</sup> ) .

قوله تعالى ( يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله ) روى الجراء بسن عازب<sup>(٤)</sup> أنه قال : آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءه .

---

( ١ ) قال الفخر الرازي والجرهان : هو محمد - صلى الله عليه وسلم - وإنما سماه برهانا ، لأن حرفته إقامة البرهان على تحقيق الحق ، وإبطال الباطل ، والنور المبين هو القرآن الكريم . وسماه نورا ، لأنه سبب لوقوع نور الايمان في القلب . . . .  
انظر التفسير الكبير ( ١١٩ / ١١ ) طبعة عبد الرحمن محمد .

( ٢ ) النساء آيه ١٧٤ .

( ٣ ) النساء آيه ١٧٥ .

( ٤ ) الجراء بن عازب بن الحارث بن عبد بن جشم بن مجدعه بن حارثة

ابن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأ نصاري ، الأوسى ، يكنى

أبا عمارة ويقال أبا عمرو ، استصغره الرسول - صلى الله عليه وسلم -

يوم بدر وروى عنه أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أربع

عشرة غزوة وفي رواية خمس عشرة .

روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - جطة من الأحاديث .

مات سنة اثنين وسبعين .

الاصابة ( ١٤٢ / ١ - ١٤٣ ) .

وآخر آية أنزلت هذه الآية (١).

وسبب نزول الآية ماروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على جابر وهو مريض وكان قد أغشى عليه فدعا بهما وتوضأ ثم رشه عليه وأفاق . فقال جابر يا رسول الله ماذا أضع في مالي وإنما يوشى كلاله (٢) فنزلت الآية (٣).

وقد سبق الكلام في الكلاله (٤).

وتلك الآية في توريث الأخوة والأخوات من الأم ، وهذه الآية في توريث الأخوة والأخوات من الأب والأم ومن الأب .

---

( ١ ) أخرجه البخارى في صحيحه من كتاب التفسير ، تفسير سورة النساء

• ( ١٨٥/٥ )

قلت : وهذا القول المروى عن الجراء بن عازب ليس على الإطلاق ، بل هو محمول على ان الآية آخر ما نزل في المواريث ، وأن السورة آخر ما نزل في شأن تشريع القتال والجهاد ، فكلاهما آخر اضا في لا حقيقى .  
راجع فتح البارى ( ٢٠٥/٨ ) ( ٧٣٣/٨-٧٣٤ ) ومناهل المرفان في علوم القرآن ( ٨٩/١-٩٣ ) .

( ٢ ) أخرجه البخارى في صحيحه من كتاب التفسير . تفسير سورة النساء • ( ١٨٥/٥ ) وأبو داود من كتاب الفرائض ، تحفة الاحوذى ( ٢٧٣/٦ ) .

( ٣ ) قلت : يبدو أن عددا من الصحابة قد سألوا النبي صلى الله عليه وسلم في شأن ميراث الكلاله في أزمه متفرقة فنزلت هذه الآية للاجابة عن أسئلتهم المتعلقة بها .

( ٤ ) انظر تفسيره للآية ( ١٢ ) من نفس السورة .

( ان امره هلك ليس له ولد ) وتقديره ليس له ولد ولا والد على هذا أكثر العلماء ان الكلالفة هذا ، وان الاخوة والاخوات لا يرثون مع الأب ، الا ما يحكى عن عمر - رضى الله عنه - أنه ورثهم مع الأب . وقد سبق قوله تعالى \* ليس له ولد أراد به الذكر وعلى هذا أكثر العلماء أن الاخوة والاخوات انما لا يرثون مع الدين ويرثون مع البنت .

وحكى عن ابن عباس وبه قال داود وأهل الظاهر أن الاخوة والاخوات لا يرثون مع البنت تمسكا بظاهر الآية .

وقد بينا أن المراد به الابن والآية في نفي الغرض مع الولد .

---

( ١ ) الكلالفة كما يقول الراغب اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكلالفة فقال : من مات وليس له ولد ولا والد فجعله اسما للميت . وقال ابن عباس : هو اسم لمن عدا الولد . . . . \*

وقال ابن كثير ما ملخصه : وكان - رضى الله عنه - يقول الكلالفة من لا ولد له ، وكان أبوبكر - رضى الله عنه - يقول الكلالفة ما عدا الولد والوالد .

ثم قال : وعن عمر أنه قال : انى لأستحي أن أخالف أبا بكر وهذا الذى قاله الصديق ، هو الذى طيه جمهور الصحابة والتابعين والأئمة فى قديم الزمان وحديثه وهو طهبالأئمة الأربعة ، والفقهاء السبعة ، وقول طما الأصار قاطبة وهو الذى يدل عليه القرآن .

انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٤٣٧ ، وانظر تفسير ابن كثير ( ١ / ٥٩٥ ) .

وعندنا انما يرثون بالتمصيب فان الأخوات مع البنات عصبه (١) .

قوله " وله أخت ظمها نصف ماترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان ما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فلهذا مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تزلوا ) .

قال القراءه معناه : يبين الله لكم ان لا تزلوا وهو قول أبي عبيدة (٢) .

قال أبو عبيدة (٣) : وذكر الكسائي حديثا فى معناه فأعجبه ذلك ، وذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا يدعون أحدكم على ابنه ان يوافق قدرا (٤) أى لا يوافق قدرا .

وقال البصريون معناه : يبين لكم كراهية ان تزلوا (٥) . ( والله بكل شىء

عليم (٦) ) والله اعلم .

صدق الله ، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله

أجمعين .

(١) قلت : والمختار الذى عليه المحققون من العلماء أن الولد هنا عام يتناول الذكر والأنثى ، لأن الكلام فى الكلاله وهو من ليس له ولد أصلا لا ذكر ولا أنثى وليس له والد أيضا الا أنه اقتصر على ذكر الولد ثقة بالنهر الأخر ، ولأن الولد مشترك معنوى وقع نكرة فى سياق النفى فيعم الابن والبنت .

(٢) معانى القرآن (٢٩٧/١) .

(٣) فى القرطبي أبو عبيد (٢٩/٦) .

(٤) الحديث : فى القرطبي (٢٩/٦) .

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٢٩/٦) .

(٦) النساء ٢٠٤ ١٧٦ .

٤

( ٥٦٤ )

### القول في تفسير سورة الطائفة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام الأجل - رضى الله عنه - : سورة الطائفة مدنية كلها الا قوله تعالى ( اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً )<sup>(١)</sup> فانه نزل بمصرقات على ماسنين<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن البصرى : كلها محكمة لم ينسخ منها شىء .

وقال الشعبي : لم ينسخ منها شىء الا قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله )<sup>(٣)</sup> على ماسنين .

وروى عن أبي ميسرة<sup>(٤)</sup> أنه قال أنزل الله تعالى فى هذه

السورة ثمانية عشر حكماً لم ينزلها فى سائر القرآن<sup>(٥)</sup>.

(١) الطائفة آية ٣ .

(٢) قلت : هى مدنية باتفاق العلماء بناء على القول الذى رجحه العلماء من أن القرآن المدني هو الذى نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد الهجرة ولو كان نزوله فى غير المدينة .

(٣) الطائفة آية ٢

(٤) أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمدانى الكوفى .

قال عاصم بن بهدله عن أبى وائل ما اشتطت همدانية على مثل أبى ميسرة قبل له ولا مسروق فقال ولا مسروق .

ذكره ابن حبان فى الثقات وقال كان من العباد وكانت ركبتيه كركبة البصيرة من كثرة الصلاة .

مات فى الطاعون سنة ثلاث وستين .

تهذيب التهذيب (٤٧/٨) .

(٥) ونقل القرطبى عن أبى ميسرة قوله وهى : ( والمخنقة والموقودة والقرديه والنطايحة وما أكل السبع ) ( وما ذبح على النصب ،

.../...

وأن تستقسموا بالأزلام ( وما علمت في الجوارح مكسب ) ( واطعام  
الذين أتوا الكتاب ) ( والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من قبلكم  
وتعام الظهور ) ( وإذا أقمتم إلى الصلاة ) ( والسارق والسارقة )  
ولا تقتلوا المبيد وأنتم حرم ) إلى قوله ( عزيز ذو انتقام ) و ( ما جعل  
الله من عبادة ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا هام ) .

وقوله تعالى ( شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت . . . ) الآية  
قال القرطبي : قلت : وفريضة تاسعة عشرة وهي قوله جل وعز  
( وإذا نادى اليتيم إلى الصلاة ) ليس للأذان ذكر في القرآن إلا في هذه  
السورة .

أما طجاء في سورة الجمعة فمخصوص بالجمعة ، وهي في هذه  
السورة عام لجميع الصلوات ا . ه .

راجع القرطبي ( ٦ / ٣٠-٣١ ) وراجع تفسير المغوى ( ٢ / ٢ ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ) قد ذكرنا  
أن كل ما في القرآن من قوله " يا أيها الذين آمنوا " فانما نزل بالمدينة  
، وكل ما نزل من قوله " يا أيها الناس فانما أنزل بمكة (١) .

وعن ابن مسعود أنه قال : اذا سمعت الله تعالى يقول يا أيها  
الذين آمنوا فأرعه سمعك فانه خيرتوه مر به أو سوه تنهى عنه .

وقوله " أوفوا بالعقود " يقال أوفى ووفى بمعنى واحد (٢) .

(١) ما ذكره الشارح ثابت للسرور المكية ، ومميز أغلبي للمدنية حيث ورد

- فيها يا أيها الناس سبع مرات )
- ١ - ( يا أيها الناس اعبدا ربكم ) .
  - ٢ - ( يا أيها الناس كلوا مما في الأرض هلالا طيبا ) ككثاهما بالمقرة .
  - ٣ - ( يا أيها الناس اتقوا ربكم ) .
  - ٤ - ( ان يمشأ يذهبكم لأيها الناس ) .
  - ٥ - ( يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم ) .
  - ٦ - ( يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم ) النساء .
  - ٧ - ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ) الحجرات .
- فقوله ( كل ما في القرآن . الخ ) ليس على إطلاقه والله أعلم .  
راجع تاريخ التشريع للشيخ محمد الخضري بك ( ص ١٧ ) .

(٢) يقال وفى بالعهد وأوفى به اذا أدى ما التزم به .

وقوله " أوفوا " من الايفاء . ومعناه الاتيان بالشئ " وافيا تاما  
لا نقض فيه ، ولا نقض معه .

قال صاحب الانتصاف : ورد في الكتاب العزيز " وفى " بالتضميف  
في قوله تعالى : ( وابراهيم الذي وفى ) وورد ( أوفى ) ككثيرا ،  
ومنه ( أوفوا بالعقود ) . وأما ( وفى ) ثلاثيا فلم يرد الا قوله  
تعالى : ( ومن أوفى بمعهده من الله ) لأنه بنى أفضل التفضيل  
من ( وفى ) ، ان لا يبنى الا من ثلاثي .  
حاشية ابن المنير على الكشاف ( ٦٠٠ / ١ ) .



وأما المقود قال علي بن أبي طلحة الوالي<sup>(١)</sup> عن ابن عباس أنه قال : أراد بالمقود ما أهل الله وحرّم وفرض وحده .

وقال مجاهد : أراد بالمقود : المهد<sup>(٢)</sup> .

وقيل : الفرق بين المقود والمهد أن المهد هو الأمر بالشئ ، يقال عهدت إلى فلان كذا أي أمرته به . والمقود هو الأمر مع

---

( ١ ) علي بن أبي طلحة واسمه سالم بن المخارق الهاشمي يكنى أبا الحسن وقيل غير ذلك .

أصله من الجزيره وانتقل إلى حوض .

قال النسائي : ليس به بأس .

وقال دحيم : لم يسمع التفسير من ابن عباس .

وذكره ابن حبان في الشقات .

مات سنة ثلاث وأربعين ومائة .

تهذيب التهذيب ( ٧ / ٣٣٩ - ٣٤٠ ) .

( ٤ ) المقود : جمع عقد - بفتح العين - وهو المهد الموثق .

قال الرابع : المقود : الجمع بين أطراف الشئ . ويستعمل

ذلك في الاجسام الصلبه كعقد الحبل ، وعقد البناء . ثم

يستعمل ذلك للمعاني نحو عقد البيع والمهد وغيرهما ، فيقال :

عاقده ، وعقدته ، وتماقدتا .

وهو مصدر استعمل اسما فجمع نحو " أفوا بالمقود " .

المفردات في غريب القرآن ( ١ / ٣٤١ ) .

قال ابن جرير الطبري مرجحا قول ابن عباس : وأولى الأقوال

عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس أن معناه أفوا يا أيها المؤمنون

بمقود الله التي أوجبها عليكم وعقدها فيما أهل وحرّم عليكم وألزكم

فرضه وبين لكم حدوده . وإنما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب

لأن الله تعالى أتبعه بالبيان عما أهل لعباده وحرّم عليهم فقال

تعالى ( أحلت لكم بهيمة الأنعام ) وهو خطاب للمؤمنين

خاصة ) .

تفسير الطبري

الاستيثاق<sup>(١)</sup> ، وتدخل في العقود النذور وسائر العقود الآزمة يجب الوفاء لكل ، الا اليمين على شئ ، مباح لا يجب الوفاء به للسنه وهى ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فذكفر عن يمينه وليأت الذى هو خيرا<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( أحلتكم بهيمة الأنعام ) .

قال الحسن : أراد به الابل والبقر والغنم .<sup>(٣)</sup>

وحكى قطرب عن يونس : هو الابل والبقر والغنم والخمسل

والبراذين .

وروى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس أنه قال " بهيمة الانعام "

وهى بقر الوحش وحمر الوحش وطلباء الوحش .

---

( ١ ) وفي الطبرسى فرق بمضهه بين العقد والمهد فقال : " والعقد

جمع عقد وهو بمعنى المقود ، وهو أوكد المهود .

والفرق بين العقد والمهد أن المقود فيه معنى الاستيثاق

والشد ، ولا يكون الا بين متعاقدين .

والمهد قد ينفرد به الواحد فكل عهد عقد ولا يكون كل عقد

عهدا . . . . "

تفسير الطبرسى ( ٧/٦ ) دار مكتبة الحياة . ١٣٨٠ هـ .

( ٢ ) أخرجه البخارى فى صحيحه من كتاب الايمان ، باب " لا تحلفوا بآبائكم "

( ٧/٢٢٢ ) ومسلم فى صحيحه من كتاب الايمان باب ندب من خلف

يمينا فرأى غيرها خيرا منها أن يأتى الذى هو خيرا ويكفر عن يمينه

( ٥/٨٢-٨٤ ) والامام أحمد فى مسنده ( ٥/٦١-٦٣ ) .

( ٣ ) راجع قول الحسن بسنده فى تفسير الطبرى . ١/

وسميت البهيمة بهيمة لاستبها م فيها حيث لا نطاق لها يفهم ،  
وبذلك سميت عجا أيضا .

والمراد بهيمة الأنعام هي الأنعام لكن أضافه الى نفسه كما يقال  
نفس الانسان وحق اليقين ونحو ذلك (١) .

وروى قابوس بن أبي ظبيان (٢) عن ابن عباس : أنه قال : بهيمة

---

( ١ ) قال الفخر الرازي : " الأنعام جمع نعم - بفتح تين - وأكثر ما يطلق  
على الابل ، لأنها أعظم نعمة عند العرب ، والمراد بالأنعام  
هنا : ما يشمل الابل والبقر والغنم ، ويلحق بها كل حيوان أو  
طير يتغذى من النبات ، ولم يرد نص بتحريمه فيدخل الطيبى  
وحمار الوحش وغيرهما من أكلات المشب ، كما تدخل الطيور غير  
الجارحة وإضافة البهيمة الى الأنعام إضافة بيانية من إضافة الحبس  
الى ما هو أخص منه كشجر الأراك وثوب الحر .

( ٢ ) قابوس بن أبي ظبيان الجنى الكوفى .  
قال ابن سعد : فيه ضعف ولا يحتج به .  
وقال النسائى ليس بالقوى ضعيف .  
وقال ابن عدى : أرجو أنه لا بأس به .  
وقال يعقوب بن سفيان ثقة .  
وعين ابن معين أنه ثقة .  
وقال المعجلى : كوفى لا بأس به .  
مات فى خلافة مروان بن محمد ، وقيل : فى خلافة أبى المباس .  
تهذيب التهذيب ( ٨ / ٣٠٥ - ٣٠٦ ) .

الأنعام هي الأجنة<sup>(١)</sup> ( الا ما يتلى عليكم ) يعني ما ذكر في قوله  
" حرمت عليكم الميتة<sup>(٢)</sup> ( غير محلي الصيد ) وقيل هو نصب على  
الاستثناء .

وقيل على الحال ويعنى لا محلي الصيد كما قال تعالى " غير  
ناظرين اناه " أى لا ناظرين اناه " ( وأنتم حرم ) فيه تحريم الصيد في  
حالة الاحرام ان الله يحكم ما يريد<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) وهو قول الامام الشافعى ، ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر  
وابن عباس .

قال القرطبي : " وفيه بحد " لأن الله تعالى قال ( الا ما يتلى عليكم )  
وليس في الأجنة ما يستثنى .  
قال الطبري : " وأولى القولين بالصواب قول من قال عنى بقوله  
" أحلتكم بهيمة الأنعام ، الأنعام كلها أحييتها وسخالها وكبارها ،  
وكبارها ، لأن العرب لاتضع من تسمية جميع ذلك بهيمة وبهاثم ولم  
يخصص الله شيئا دون شئ " .  
راجع تفسير الطبري ٣٤ / ٦ ، وتفسير الطبري ٣٥ / ٢٤ / ٦ .

( ٢ ) قال القرطبي : قوله تعالى : ( الا ما يتلى عليكم ) أى يقرأ عليكم  
في القرآن والسنة من قوله تعالى في الآية الثالثة من السورة  
نفسها " حرمت عليكم الميتة والدم " وقوله صلى الله عليه وسلم  
" كل ذى ناب من السباع فأكله حرام " .

فان قيل : الذى قبلى علينا الكتاب وليس السنة ؟ قلنا :  
كل سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فهى من كتاب الله ،  
والدليل عليه أعران .

أدهما : حديث المسيف ، " لأقسين بينكما يكتب الله " والرحم  
ليس منصوصا عليه في كتاب الله .

الثانى : حديث عبد الله بن مسعود : " ومالى لألمن من يمسف  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو في كتاب الله .

ويحتمل الا ما يتلى عليكم الآن ، أو ما يتلى عليكم فيما بعد من  
مستقبل الزمان على لسان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيكون فيه  
دليل على جواز تأخير البيان عن وقت لا يفتقر فيه الى تمجيد الحاجه .  
الجامع لاحكام القرآن .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ) .

قال أبو عبيدة : الشعائر الهدايا المشمرة وهي المعلمة بالأشعار<sup>(١)</sup> وكانوا ينجسون شيئاً في سنام البعير حتى يتلخخ بالدم فذلك اسمار الهدى وهو سنه<sup>(٢)</sup> .

وقال مجاهد : أراد بالشعائر مشاعر الحرم من الصفار والمسروة وغيرهما والمراد به النهي عن القتل في الحرم<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) مجاز القرآن ( ١ / ١٤٦ ) .

( ٢ ) ويدل عليه ما روى عن عائشة " قتلت قلائد بدن النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أشمرها وقلدها ثم بعث بها الي البيت فما حرم عليه شيء وكان حلالاً أخرجاه في الصحيحين .

وعن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فأشمرها في صفحة سنامها الأيمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته فلما استوت به على البداء أهل بالحج .  
وعند أبي حنيفة لا يجوز اشمار الهدى بل قال يكره ذلك .  
تفسير الخازن ( ٢ / ٤ ) .

( ٣ ) الشعائر : جمع شمره على وزن فميلة ، وهي في الأصل ما جعلت شعاراً على الشيء ، وعلامة عليه من الأشعار بمعنى الاعلام ، وكل شيء أشمر فقد أعلم يقال : شمرت بكذا . أي علمته .

قلت : والمراد بشعائر الله هنا : حدوده التي حددها وفرائضه وأحكامه التي أوجبها على عباده : كما ذكر غير واحد من المفسرين ورجحه الامام ابن جرير الطبري بقوله : وأولى التأويلات بقولسه : " لا يخلوا شعائر الله قول من قال لا تحلوا حرمان الله ، ولا تصنعوا فرائضه . . فبدخل في ذلك مناسك الحج وغير ذلك من حدوده وفرائضه وحلاله وحرامه .

وانما قلنا ذلك القول أولى ، لأن الله نهى عن استحلال شعائره ومعالم حدوده واحلالها ، فهنا عاماً من غير اختصاص شيء من ذلك دون شيء فلم يجوز لا حد ان يوجه معنى ذلك الى الخصوص الا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة بذلك .  
تفسير الطبري ( ٦ / ٥٥ ) .

( ولا الشهر الحرام ) .

وقال عكرمة : أراد به ذى القعدة .

وقال غيره : رجب .

وقيل هو عبارة عن جميع أشهر الحرم .<sup>(١)</sup>

وقوله ( والهدى ولا القلائد ) فالهدى جمع الهدية ،

والمراد به ابل الهدى .<sup>(٢)</sup>

وأما القلائد : هى الأبل المقيدة وكانوا يقدون ابل

الهدى .

وقال عطاء : أراد به أصحاب القلائد وكانت عادة أهل الحرم

أن يقدوا أنفسهم وابلهم بشىء من لحى شجر الحرم اذا

أرادوا الخروج كيلا يتمرن لهم فنهى الشرع عن التمرن لهذه

الاشياء .

---

( ١ ) قلت : " الأولى أن يكون المراد بالشهر الحرام " جميع

الأشهر الحرم ، وهى أربعة : ذى القعدة ، وذو الحجة

والمحرم ، ورجب - ان لا دليل على تحديد واحد من

هذه الأربعة .

( ٢ ) وهى ما يتقرب به الانسان الى الله من النعم ليذبح فى الحرم .

( ولا أمين البيت الحرام ) أى لا يتعرضوا للقاصدين الى

البيت الحرام .

وسبب نزول هذا ما روى أن الحكم بن ضبيمة <sup>(١)</sup> جاء في نفر الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالمدينة فخرج عليهم الاسلام فلم يقبلوا وتمللسوا  
وانصرفوا حتى قال عليه السلام فيه " لقد أقبل بوجهه كافر وأدبر  
بقفا غادر " فذهب واستاق سرح المدينة . فتبعوه فلم يدركوه وهو  
يستاق الابل ويوتجز ويقول :-

قد لفيها الليل بسواق هطم      ليس براعى ابل ولا غنم  
ولا بجزار على ظهره وضم <sup>(٢)</sup>  
.....

(١) الحكم بن ضبيمة : في الطبرى بسنده : الحطم بن هند البكرى ،  
وفي رواية عكرمة عنده : الحطم أخو بنى ضبيمة بن ثعلبة البكرى ،  
وعند القرطبي : شريح بن ضبيمة البكرى - ويلقب بالحطم .  
وفي أسباب النزول للواحد نزلت في الحطيم واسمه شريح بن  
ضبيمة .

قلت : فقول الشارع الحكم لعله وهم أو خطأ من الناسخ والله  
أعلم .

راجع تفسير الطبرى ٣٨/٦ ، وتفسير الطبرى ٤٣/٦ .

(٢) انظر البيت في المراجع السابقة وفيها : ولا بجزار على ظهره الحضم  
عند الطبرى وعند القرطبي : على ظهره وضم :  
والوضم : كل شئ يوضع عليه اللحم من خشب أو حصير يوقى به من  
الأرض .

انظر مختار الصحاح ( ٧٢٧ ) .

وعجز البيت .

باتوا نياما وابن هند لم ينم .....

فلما كان بعد فتح مكة لقيه المسلمون في الموسم حاجا ومعه  
اهل مشمره وقلائد فقصدوه ولقيه النبي - صلى الله عليه وسلم - فأشار  
الى أصحابه وقال دونكم الرجل لتأخذوه فنزلت الآية منعا للتعرض له  
ولشعائره وقلائده . (١)

قال الشمسي : كان هذا كذلك ثم نسخ بقوله " اقتلوا  
المشركين " (٢)

وقوله ( يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ) قال ابن عمر : أراد به  
فضل التجاره . وقيل هو الأجر . (٣)

(١) ذكره الواحد ع في أسباب النزول عن ابن عباس . ورواه السيوطي

في الدر المنثور (٢/٢٥٤) والطبري في تفسيره (٩/٤٧٢) .  
والقرطبي (٦/٤٣) وزاد المسير (٢/٢٧٠) .

(٢) قال صاحب الخازن " الظاهر - ما عطيته جمهور العلماء - من نسخ  
هذه الآية لاجتماع العلماء على أن الله عز وجل قد أهل قتال  
أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها وكذلك أجمعت على أن الشرك  
لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحاء الشجر لم يكن ذلك له أمانا  
من القتل اذا لم يكن قد تقدم له عهد ذمه أو أمان وكذلك  
أجمعت على منع من قصد البيت بحج أو عمره من المشركين  
لقوله تعالى ( انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام  
بعد عامهم هذا ) والله أعلم .

تفسير الخازن (٢/٥-٦) وراجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبي  
(٦/٤٠) .

(٣) الابتغاء شامل للأجر والتجارة .

قال القرطبي " ورضوانا يقول : وأن يرضى الله عنهم بنسكم " ٣٨/٦  
وذلك لتنظيمهم أنهم على شيء فوضعهم الله بطنهم .

راجع تفسير النيسابوري ٤٨/٦ ( ط مع الطبري ) .



(وإذا حملتم فاصطادوا ) هذا أمر أباحه أباح للحمال الاصطياد .

( ولا يجرمنكم شنئان قوم ) .

قال أبو عبيدة : حرم أي كسب .

ويقال فلان جارم أهله أي كاسب أهله<sup>(١)</sup> وأنشدوا .

ولقد طمنت أبا عيينة طمنسة جرمت فزارة بعدما أن يفضحوا<sup>(٢)</sup>

أي كسبت ، وقرأ الأعمش " ولا يجرمنكم " بضم الياء<sup>(٣)</sup> وهو صحيح فسي

المربية يقال جرم وأجرم - بمعنى واحد<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) مجاز القرآن ( ١ / ١٤٧ ) .

( ٢ ) البيت في الكتاب ( ١ / ٤١٨ ) والقرطبي ( ٦ / ٤٥ ) واللسان

والتاج ( حرم ) .

قال ابن السيد في عزو هذا البيت : البيت لأبي أسماء بن الضريه ،

وقيل هبل هو لمطية بن عفيف .

الاقتضاب ( ٣١٣ ) .

( ٣ ) قال الطبري : " واختلفت القراء في قراءة ذلك فقراءه عامة قراء

الأمصار " ولا يجرمنكم " بفتح الياء من جرته أجره ، وقرأ ذلك

بعض قراء الكوفيين وهو يحيى بن وثاب والأعمش . قال : والذي

هو أولى من القراءتين قراء من قرأ ذلك " ولا يجرمنكم بفتح الياء

لاستفاضة القراءة بذلك في قراءة الأمصار ، وشذوذ ما خالفها ،

وأنها اللغة المعروفة السائرة في العرب ، وإن كان مسموعا من

بعضها أجرم يجرم على شذوذه ، وقراءة القرآن ، فصح اللغات

أولى وأحق منها بنفير ذلك " .

وقال ابن منظور : " قال الفراء : القراء قرءوا ولا يجرمنكم ،

وقرأها يحيى بن وثاب والأعمش ولا يجرمنكم " من أهرست ،

وكلام العرب بفتح الياء " .

راجع تفسير الطبري ٦ / ٤٢ ، ولسان العرب ١٢ / ٩٢ ، مادة

( جرم ) .

( ٤ ) انظر لسان العرب ١٢ / ٩٢ مادة جرم .

وقيل معناه ولا يحطنكم شنتان قوم : أى عداوة قوم . ( أن صدوكم ) أى لأن صدوكم .

وقرأ أبو عمرو ( ان صدوكم ) على الشرط (١) .

ومعنى الآية لا يحطنكم عداوة قوم صدوكم . ( عن المسجد الحرام أن تمتدوا ) عليهم ( وتعاونوا على البر والتقوى ) البر : الصدق .

وقيل البر : الاجتناب عن كل منهى .

وفيه قول آخر أن البر : الاسلام .

والتقوى : السنه .

( ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ) الاثم : الكفر . والمدوان :

البدعه .

وقيل : الاثم : الكفر والمدوان الظلم . ( واتقوا الله ان الله

شديد العقاب ) (٢) .

قوله تعالى ( حرمت عليكم الميتة والدم ) فالميتة هى الحيوان

الميت (٣) .

(١) قلت : وهى قراءة أبى عمرو وابن كثير . وقرأ الباقون بفتحها .

انظر الوافى فى شرح الشاطبية ص ٢٥٠ .

انظر النشر فى القراءات المشرفة (٢/٢٤٥) .

(٢) المائدة آية (٢) .

(٣) الميتة كل ماله نفس - أى دم ونحوه - سائله من دواب البر وطيره ،

مدن أباح الله أكلها ، أهل بيها ووحشيتها ، فارقتها روحها بنفوسه  
تذكيه .

وقال بعضهم : الميتة : هو كل ما فارقته الحياة من دواب البر وطيره  
بنفوسه تذكية شرعية مما أحل الله أكله .

تفسير الطبرى (٦/٦٧) .

"والدم" دم الحيوان يراق ويسفح فهو حرام (١).

وكان أهل الجاهلية يجمعون الدم في المباغر ويشوونها ثم يأكلون  
فجاء الشرع بتحريمه .

وسئل ابن عباس عن الطحال فقال كلوه . فقيل أليس بدم ؟  
قال ان الله تعالى انما حرم الدم المسفوح (١) . ( ولحم الخنزير وما  
أهل لغير الله به ) يعنى سمي على ذبحه غير الله . وقيل هو ما يذبح  
على الأصنام (٢) .

(١) قلت هو حرام لقوله تعالى في سورة الأنعام آية ١٤٥ "أو دما  
سفوحا" وهى خاصة ، والآية التى معنا عامة ، والعام يحمل  
على الخاص .

(٢) قلت : أجمع العلماء على حرمة أكل الميتة . وقد استثنى العلماء  
من الميتة المعرفه السمك والجراد فقد أخرج البخارى فى سباب  
أكل الجراد من كتاب الصيد والذبائح (١١٧/٧) ومسلم فى  
باب غزوة سيف البحر من كتاب المغازى (٢١١/٥) من حديث  
ابن أبى أوفى " غزونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سمع  
غزوات فأكل الجراد "

وفىها أيضا من حديث جابر " ان البحر ألقى هوتا ميتتا  
فأكل منه الجيش . فلما قدموا قالوا للنبي - صلى الله عليه  
وسلم - فقال : كلوا رزقا أخرجه الله لكم . أطمعونا منه ان كان  
معكم . فاتاه بعضهم بهشى " منه " .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
أهل لنا ميتتان ودمان . فأما الميتتان فالسمك والجراد . وأما الدمان  
فالكبد والطحال .

(٣) الاهلال : رفع الصوت عند رؤية الهلال . ثم استعطف لرفع الصوت  
مطلقا ، ومنه : اهلال الصبى اى : صراحة بعد ولادته . والاهلال  
بالهج اى رفع الصوت بالتلبية .

وكانوا فى الجاهلية اذا أرادوا ذبح ما قربوه الى آلهتهم ، سموها  
عليها أسماءها - كاللات والمزى - ورفعوا بها أصواتهم ، وسمى ذلك  
اهلالا .

فهذه الأربعة حرام .

وقيل انها ما أبيحت في شرع ما حتى قيل ان آد صلوات الله عليه  
نزل الى الارضى ومعه تحريم هذه الأربعة .

( والمخنقة ) هي الشاة التي تختنق بحبل فتموت ( والموقودة )  
هي التي كانت يضربونها عند الصنم حتى اذا ماتت أكلوها ( والمرتدي )  
التي تتردى من موضع عال فتموت ( والنطيحة ) وهي التي تنطحها  
أخرى فتموت . ( وما أكل السبع ) .

ويقرأ بجزم الباء على التخفيف <sup>(١)</sup> ومعناه ما بقى مما أكل السبع <sup>(٢)</sup> .  
( الا ما ذكيتم ) حرم هذه الأنواع واستثنى المذكاة . وأصل التذكية  
الاتمام . يقال ذكيت النار اذا أتممت ايقادها .

ويقال فلان زكى : اذا كان تام الفهم . والذكاة في الشرع  
معروفة <sup>(٣)</sup> . ( وما ذبح على النصب ) يعنى على الاصنام . والنصب نوع  
من الأصنام . والفرق بينها وبين الأصنام أن الأصنام هي المصورة المنقوشة .

---

( ١ ) هي قراءة ابن عباس وأبو رزين وأبو مجلس وابن أبي ليلى . زاد  
المسبر ( ٢ / ٢٨٠ ) .

( ٢ ) وهذا بناء على أن في الآية حذف ، والتقدير وما أكل منه السبع ،  
لأن ما أكله السبع فقد نفذ ولا حكم له وانما الحكم للباقي .

قلت : والأقسام الخمسة المنخنقة الى ما أكل السبع ،  
داخلة في الميتة دخول الخاص في العام . وافرادها بالذكر لمزيد  
البيان .

( ٣ ) والمراد ما أدركتم فيه الروح من الأشياء المذكورة فذبحتموه الذبح  
الشرعى قبل الموت .  
راجع الطبرى ٩ / ٥٠٢ .

والنضب لا تكون منقوشة ولا مصورة .

وقيل<sup>(١)</sup> كانت لهم أحجار منصوبة حول الكعبة كانوا يفهدون بها  
ويتقربون اليها بالذبايح ويلطخونها بالدماء فحرمه الشرع .

( وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ) . الاستقسام طلب  
النصيب<sup>(٢)</sup> . والأزلام : الأقداح . وأحدها زلم . وقيل زلم أيضا<sup>(٣)</sup> .  
وهي سهام كانت عند سدنة الكعبة وكان على واحد أخرج . وعلى آخر  
لا تخرج وعلى واحد أمرني ربي . وعلى آخر نهاني ربي . وكان فيها  
واحد غفل ويسمى مفتحا ليس عليه شيء مكتوب .

وكان الرجل إذا أراد سفرا يأتي سادن البيت حتى يجتسل  
الأقداح فان خرج المعقل يحمله ثانيا حتى يخرج آخره ، فان خرج الذي  
عليه أخرج خرج الى السفر . وان خرج لا يخرج لم يخرج . فنهى الشرع  
عنه .

ومن ذلك الحكم بالنجوم ، وضرب الحصاه ، والطيرة ، والكهانة .  
وكل ذلك منهي عنه .

( ١ ) ذكره ابن جريج . زاد المسير ( ٢ / ٢٨٤ ) .

( ٢ ) أي طلب ما قسم للإنسان من خير أو شر .

( ٣ ) في زاد المسير ( ٢ / ٢٨٤ ) قال ابن قتيبة : الأزلام : الأقداح ،  
واحدها : زلم وزلنم .

وقال سعيد بن جبير : الأزلام : حصي بيض .

قال صلى الله عليه وسلم " من تطير أو تكهن أو تعرف لم ينظر الى الجنة يوم القيامة <sup>(١)</sup> .

وقال الشعبي وغيره : الأُ زلام للهرب ، والكعاب للمجم <sup>(٢)</sup> .

قوله " ( اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشوني ) وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين الى دينهم حتى فتحت مكة وأظهر الله الاسلام السوى من ذلك فهذا معنى قوله " اليوم ينس الذين كفروا من دينكم " أن يذهب وترجعوا الى دينهم .

---

( ١ ) رواه البغوى ( ٩ / ٢ ) بسند الثعلبى عن ابي الدرداء ، والسيوطى فى الدر المنثور ( ٢٥٧ / ٢ ) وقال : أخرجه الطبرانى وابن مردويه عن ابي الدرداء .

( ٢ ) وقوله تعالى ( ذلكم فسق ) أى تعاطى الاستقسام فسق وخروج عن طاعة الله ، لأنه دخول فى علم الغيب .

وهذا بناء على أن الاشارة عائدة على الاستقسام لعودهما الى أقرب مذكور وهو قول ابن عباس قال أبو حيان " الظاهر أنه اشارة الى الاستقسام بلا زلام إذ كان فيه استخراج شئ من المفيات ، واختار الطبرى عوده على جميع المحرمات .

قال صاحب الكشاف : لأن المعنى حرم عليكم الميتة وكذا وكذا " .

راجع تفسير الطبرى ٥٢ / ٩ ، وتفسير القرطبى ٦٠ / ٦ ، والنهر الطام من البحر لأبي حيان ( ط مع البحر المحيط ٣ / ٤٢٥ ) والكشاف

قوله تعالى ( اليوم اكملت لكم دينكم ) نزل هذا بعرفات ورسول الله صلى الله عليه وسلم - على ناقته المضيباء<sup>(١)</sup> فبركت من شغل الوحي<sup>(٢)</sup> .

وروى أن رجلا من اليهود قال لصم - رضى الله عنه<sup>(٣)</sup> - انكم تقرءون آية لو علمنا أنزلت لاتذنا ذلك اليوم عبدا \* يعنى اليوم الذى أنزلت فيه . فقال عمر : أنا أعلم أنها فى أى يوم أنزلت يوم الجفصمة عشية عرفة وأشار به الى أن ذلك اليوم لنا عيد<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) فى اللسان ( ١٠٥ / ٢ ) والمضيباء اسم ناقه النبى - صلى الله عليه وسلم - اسم لها علم وليس من المضيب الذى هو الشق فى الأذن ، إنما هو اسم لها سميت به .

( ٢ ) أسباب النزول للواحدى صفحه ( ١٨٢ ) .

( ٣ ) عمر بن الخطاب : هو القارون عمر بن الخطاب بن نفيل ، العدوى ، أبو حفص ، ثانى الخلفاء الراشدين ، وأحد فقهاء الصحابة ، وأحد المشركين بالجنة .  
أو من سمى بأسير المؤمنين ، وأول من دون الدواوين ، وأول من اتخذ التاريخ .  
اسلم سنة ست من الهجرة ، وأعز الله به الاسلام ، وهاجر جهارا روى ( ٥٣٩ ) حديثا ، .  
كان شديدا فى الحق .  
ولد قبل الهجرة بثلاثين سنة ، واستشهد فى آخر سنة ( ٢٣ هـ ) مناقبة كثيرة .

انظر : ( الاصابة ٥١٨ / ٢ ، الاستيعاب ٤٥٨ / ٢ ، صفوة الصفوة ٢٦٨ / ١ ) .

( ٤ ) رواء البخارى من كتاب التفسير ، باب قوله اليوم اكملت لكم دينكم ( ١٨٦ / ٥ ) وسلم من كتاب التفسير ( ٢٣٨ / ٥ ) وأحمد فى المسند ( ٢٩٠٢٨ / ١ ) .

ومعنى قوله " اليوم أكملت لكم دينكم " أى فى الشرائع والأحكام لأنها نزلت بعد استقرار الشرائع والأحكام (١).

وقيل لم ينزل بعد هذه الآية شىء من الأحكام حتى قيل قول الله " يستفتونك فى " فى آية الكلالمة انما نزل قبل هذه الآية .

وقيل بعدها .

واعلم أن الشرائع لم تنزل جملة وانما نزلت شيئا فشيئا فان فى الابتداء حين كان بمكة ، كان الواجب الاتيان بالشهادتين والايان بالبعث والجنة والنار وركعتين غدوة ، وركعتين عشية ، وأن يكفوا أيديهم عن القتال ويصبروا على أذى المشركين فلما كان ليلة المعراج وهى قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا فرعى الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة ، ثم ردت الى خمس صلوات كما عرف فى القصة . ثم لما هاجر الى المدينة فرعى الله عليه الجهاد والزكاة ثم الصوم سنة الثالث من الهجرة . وفرعى الحج سنة السابع من الهجرة . ثم فتح مكة فلما حج حجة الوداع أنزلت هذه الآية سنة عشرين للهجرة ولم ينزل بعدها شىء

( ١ ) اختار الطبرى أن المراد باكمال الدين انفرادهم بالبلد الحرام واجلاء المشركين عنه حتى حجه المسلمون ودينهم لا يخالطهم مشرك .

وقد بين القرطبي أنه لم يسبق عليهم من أركان الدين غير الحج فلما حجوا استجمع لهم الدين أداء لأركانه وقيام بفرائضه ، فانه يقول عليه الصلاة والسلام " بنى الاسلام على خمس " الحديث . وقد كانوا تشهدوا وصلوا وزكوا وصاموا وجاهدوا واعتمروا ولم يكونوا حجوا ، فلما حجوا أكمل الله لهم الدين أى أكمل وصفه لهم .

راجع الطبرى ٥٢/٦ - ٥٣ ، القرطبي ٦٣/٦ .



من الاحكام كما بينا وعاش بعد ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
احدى وثمانين ليلة وتوفى اليوم الثانى من ربيع الأول . وقيل توفى  
فى الثانى عشر من ربيع الأول . وهذا أصح وكانت هجرته فى الثانى  
عشر من ربيع الأول أيضا واستكمل عشر سنين وخرج من الدنيا  
- صلى الله عليه وسلم - .

وفيه قول آخر أن معنى قوله " اليوم أكملت لكم دينكم " أى أمتكم  
من المدو وأظهرت دينكم ( ١ ) وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام  
دينا ( روت عائشة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : يقول  
الله تعالى " انى نظرت فى الأديان فارتضيت لكم الاسلام دينا فآكروه  
بالسقاء وحسن الخلق ما صحبتموه فان البخيل بعيد من الله ، بعيد  
من الناس بعيد من الجنة ، قريب من النار ) ( ٢ ) .

( ٣ ) ( فمن اضطر فى مخمصة ) المخمصة : خلا الجوف عن الغذاء .  
وفى المثل البطله بعدد ما المخمصة .

بسطوا ريشه وشارب اليوم الثانى من ربيع الأول .

( ١ ) قلت : لا تمازج بين القولين فهو سلبهانه وتعالى قد أكمل الشرائع  
والاحكام لهم وامهم من عدوهم واظهر دينه .  
( ٢ ) الحديث : البيهقى بسنده عن جابر ( ١ / ٢ ) .

( ٣ ) المخمصة : خلو البطن من الغذاء عند الجوع الشديد ، يقال  
خمصه الجوع خمصا ومخمصة : اذا اشتد به .  
وفى الحديث : " ان الظير تغدو لحمصا " أى جياعا ضامراتا  
البيطون - وتروح بطنانا أى شبعات .  
وقال الاعشى :

بيبتون فى المشقى بلاه بطونهم  
اي وجاراتهم جوعى وقد غمرت بطونهم من شدة الجوع .

بسطوا ريشه وشارب اليوم الثانى من ربيع الأول .

بسطوا ريشه وشارب اليوم الثانى من ربيع الأول .

( غير متجانف لاشم ) أى غير طائل لاشم . وهو مجاوزة الشيع

فى أكل الميتة أو بأكلها تلذذا ( فان الله غفور رحيم ) ( ١ ) .

قوله تعالى ( يستطونك ماذا أهل لهم ) سبب نزول الآية أن زيد  
الخبيل الطائى ( ٢ ) وعدى بن حاتم الطائى سألا رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - وقالوا انا نسطاد فماذا يحل منه ، وما يحرم منه فنزلت  
الآية ( ٣ ) .

وقيل سبب نزول الآية أن النبى - صلى الله عليه وسلم - لما أمر  
بقتل الكلاب قالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الآية التى أمرت  
بقتلها فنزلت الآية ( ٤ ) . والأو أصح .

( ١ ) العائدة آية ٣ .

( ٢ ) زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد بن أقصى بن المجلس  
ابن ثوب بن كنانة بن مالك بن نائل بن عمرو بن الفوث بن طى الطائى .  
وفد فى سنة تسع وسماه النبى - صلى الله عليه وسلم - زيد الخير .  
كان شاعرا خطيبا شجاعا كريما .

قيل : توفى منصرفه من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقيل :  
بل مات فى خلافة عمر .

الإصابة ١/٥٧٢ - ٥٧٣ ) .

( ٣ ) تفسير القرطبى ( ١٦٥/٦ ) وفى الدر المنثور ( ٢٦٠/٢ ) أخرجه

ابن أبى حاتم عن سميد بن جبير .

وانظر اسباب النزول للواحدى صفحه ( ١٨٤ ) .

( ٤ ) رواه الحاكم فى المستدرک ( ٢٠٨/٢ ) وراجع أسباب النزول

لِلواحدى صفحه ( ١٨٣ - ١٨٤ ) .

( قل أهل لكم الطيبات ) فالطيبات كل ما تستطيبه المرء وتستلذه  
من غير أن ورد بتحريمه كتاب أو سنة .

( وما علمتم من الجوارح ) أى الكواسب . يقال جرح واجترح  
إذا كسب ومنه سميت اليد جارحه لأنها كاسبه . (١) قال الشاعر :  
ذات حل حسن ميتسمها  
يذكر الجارح وما كان جـرح  
أى ما كان كسب . ( مكلمين ) وقرئ فى الشوان مكلمين (٢) يقال كلمة  
فهو مكلم وأكلم فهو مكلم وأكلم فهو مكلم إذا كبر كلابه وهو  
مثل قولهم أشى إذا كثرت ماشيته . (٤) قال الشاعر : (٥) :-

( ١ ) انظر تفسير الطبرى .

( ٢ ) البيت للأعشى وهو فى ديوانه وفى الجامع لأحكام القرآن ( ٦٦/٦ )  
وروايته

ذا خيار منضجها ميسمه يذكر الجارح ما كان اجترح

( ٣ ) هى قراءة الحسن وأبو رزين . زاد المسير ( ٢٩٢/٢ ) .

( ٤ ) " مكلمين " : أى مؤد بين ومعوذ بين لها على الصيد . فالكلميم تمليم  
الكلاب وما يشبهها فى الصيد . فهو اسم فاعل مشتق من اسم  
هذا الحيوان المعروف ، لأن التأديب أكثر ما يكون فى الكلاب .  
أو هو مشتق من الكلب بمعنى الضراوة .

يقال كلب الكلب يكلب واستكلم أى : ضرى وتعود نهش غيره وهو حال  
من فاعل علمتم .

راجع اللسان مادة " كلب " .

( ٥ ) البيت فى الجامع لأحكام القرآن ( ٦٨/٦ ) .

وكل فتى وان أشى وأشوى ستخجله عن الدنيا المنسـون

قال الأزهري : ومعنى الكلام " وأهل لكم ما علمتم من الجوارح  
في حال تكليكم وتدريبكم اياها على الصيد .

وأعلم أن حل الصيد لا يختص بصيد الكلب على قول جمهور العلماء .  
وقال دلاووس : يختص به تمسكا بقوله " مكلبين " وهذا خلاف شان .  
ومعنى قوله " مكلبين " أى محرشين ومفرين على الصيد ، ويستوى  
في ذلك كل الجوارح .

( تملكونهن مما علمكم الله ) تؤدونهن مما أدبكم الله .  
( فكلوا مما أمسكن عليكم وانكروا اسم الله عليه ) أباح صيد الجوارح  
إذا أمسكن على الطك . ولا خلاف فيه .

فأما إذا أكل من الصيد هل يكون ممسكا على المالك وهل تحل ؟  
فيه اختلاف بين الصحابة .

قال سمر بن أبي وقاص وسلمان الفارسي (١) : أنه يحل حتى قال  
سمر : كل ما أخذ كلبك وان بقيت منه جديه أى قطمه .

---

(١) سلمان الفارسي : هو الصحابي سلمان الفارسي ، أبو عبد الله ، سلمان  
الخير ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سئل عن نسبه فقال :  
انا سلمان بن الاسلام ، له قصة مشهورة في اسلامه ، أول مشاهدته  
الخندق . ولم يتخلف عن مشهد بدمها ،  
أخى النبي بينه وبين أبي الدرداء ، كان من فضلاء الصحابة وعلمائهم  
سكن العراق ، روى له ستون حديثا .  
توفي بالمداين سنة ٣٦ هـ . وقيل غير ذلك .

انظر ترجمته ( الاصابه ٢ / ٦٢ ، الاستيعاب ٢ / ٥٦ ، تهذيب  
الاسماء ١ / ٢٢٧ ، الخلاصة ع ١٤٧ ، حلية الاولياء ١ / ١٨٥ ،  
٠ ( ٣٦٨ )

وهذا أحد قولى الشافعى - رضى الله عنه - (١) .  
وقال ابن عباس وعدي بن حاتم . أنه لا يخل وهو القول الثانى  
للشافعى (١) وبه قال أكثر المفسرين . (٣)  
وأما الكلام فى التسمية سيأتى فى الأنعام . ( واتقوا الله  
ان الله سريع الحساب ) (٤) .

---

(١) قال القرطبى : وهذا قول مالك وجميع أصحابه وهو القول الثانى  
للشافعى ، وهو القياس " .  
قلت : وقال به الحنفية اذا كان الصيد المعلم خيرا .  
راجع أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٣١٤ ، فما بعدها ، تفسير القرطبى  
٠٦٩ / ٦

(٢) راجع قول الشافعى فى مختصر المزنى ص ٢٨١ ، وهو قول الحنفية  
باستثناء البازى كما سبق .

(٣) وهو قول ابن عباس وأبى هريرة والنخعى وقتادة وابن جبير وعطاء  
وعكرمه والشافعى وأحمد واسحق وأبو ثور كما فى تفسير القرطبى  
٦٦٦ / ٦ ، وتفسير الطبرى ٦ / ٥٨ ، فما بعدها ، وأحكام القرآن  
للجصاص ٢ / ٣١٤ .

(٤) المائدة آية ٤ .

قوله تعالى ( اليوم أحل لكم الطيبات ) ذكر اليوم ها هنا حله<sup>(١)</sup>  
وقد بينا معنى الطيبات وفيه قول آخر أن الطيبات هن طاهرات . وكل  
طاهر حلال .

( وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ) .

قال مجاهد وابراهيم النخعي : أراد به ذبائح أهل الكتاب<sup>(٢)</sup> .

( وطعامكم حل لهم ) فان قال قائل كيف أحل لهم طعامنا وشرع

لهم ذلك وهم كفار وليسوا من أهل الشرع ؟ .

أجاب الزجاج فقال معناه : حلال لكم أن تطعموهم ، فيكون خطاب

الحل مع المسلمين .

قال غيره : وإنما قال ذلك لأنه ذكر عقوبة حكم النساء ولم يذكر حل

المسلمات لهم فكانه قال حلال أن تطعموهم حرام لكم أن تزوجوهم .

---

( ١ ) يصح أن يراد " باليوم " اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية ، فانه يجوز  
أن تكون هذه الآية وما قبلها من قوله تعالى - اليوم ينس الذين  
كفروا من دينكم . . . اليوم أكملت لكم دينكم . . . " قد نزلت جميعا في  
يوم واحد وهو يوم عرفة من عام حج قلوبادع .  
ويصح أن يراد به الزمان الحاضر مع ما يتصل به من الماضي والمستقبل .

( ٢ ) قلت : هذا مذهب جمهور العلماء . قالوا : لأن ما سوى الذبائح  
فهى محللة قبل أن كانت ، وبعد أن صارت لهم ، فلا يبقى  
لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة ، ولأن ما قبل هذه الآية في بيان  
حكم الصيد والذبائح ، فحمل هذه الآية عليه أولى ، لأن سائر  
الطعام لا يختلف من تولاه من كتابي أو غيره . . وإنما تختلف الذكاة  
فقط حصى أهل الكتاب بالذكر ، دل على أن المراد بطعامهم  
ذبائحهم .

والمحصنات من المؤمنات ) هذا راجع الى النسق الأول ومنقطع  
عن قوله وطعامكم حل لهم . ( والمحصنات من الذين أتوا الكتاب من  
قبلكم ) .

قال الحسن : أراد به العفاف ، وقال مجاهد : أراد به الحرائر  
وفيه اباحة الحرة الكتابية للمسلم وفيه تحريم الأمة الكتابية وعليه أكثر  
العلماء وهو قول علماء الكوفة مثل الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير  
وجماعة . وهذا في الكتابية الذميمة .

فأما الحرة الكتابية المبرية فعلى قول أكثر العلماء تحل للمسلم .  
وقال ابن عباس لا تحل ، وقرئ " المحصنات " بكسر الصاد (١) .  
واحصان الكتابية أن تستعف عن الزنا وتغتسل عن الجناحه  
( اذا أتيموهن أجورهن ) أى مهورهن ( محصنين غير مسافحين  
ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ) .

قال مجاهد أراد به من يكفر بالله الذى يؤمن به .  
وقال الكلبي : أراد به ومن يكفر بكلمة الشهادة .  
وقال الربيع بن أنس : أراد به ومن يكفر بالقرآن .  
قال الزجاج : معنى قوله ( ومن يكفر بالايمان ) يعنى بتحليل  
الحرام وتحريم الحلال ، ومن يستحل الحرام ، ويحرم الحلال فقد حبط  
عمله . وهذا أقرب الى نظم الآية فى الاباحات وتحليل المحرمات .

( ١ ) وهى قراءة الشعبي والكسائى .

راجع تفسير القرطبي ٦ / ٧٩ ، البذور الزاهرة ص ٨٢ .

وقوله " فقد حبط عمله " أى بطل عمله ( وهو فى الآخرة ممن  
الخاسرين ) (١) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة )  
يعنى إذا أردتم القيام إلى الصلاة . وذلك مثل قوله " فإذا قرأت  
القرآن فاستمع بالله (٢) " أى فإذا أردت القراءة ، تقول إذا اتجست  
فاتجر فى البر ، وإذا جالست فجالس فلانا ، أى إذا أردت المجالسة (٣) .  
وظاهر الآية يقتضى أنه يجب الوضوء عند كل قيام إلى الصلاة ، ولكن  
بالسنة عرفنا جواز الجمع بين الصلوات بوضوء واحد فان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم جمع بين أربع صلوات يوم الخندق بوضوء واحد  
وجمع بين خمس صلوات يوم فتح مكة بوضوء واحد .

وحكى عن على - رضى الله عنه - أنه قال : الوضوء لكل صلاة مكتوبه (٤) .

( ١ ) الطائفة آيه ٥ .

( ٢ ) النحل آيه ٩٨ .

( ٣ ) راجع الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ( ٦ / ٨٠ - ٨٢ ) .

( ٤ ) راجع قول على بسنده فى تفسير الطبرى ٧٢ / ٦ ، قلت : وليس فى  
روايات الطبرى عن على ما يدل على أن عليه بوى ذلك فرضاً بل ، غاية ما  
أنه كان يتوضأ لكل صلاة ويقرأ الآية ( يا أيها الذين آمنوا .. الآية )  
وبدل على ذلك أنه كان يتجوز فيه . ويقول هذا وضوء من لم يحدث  
كما فى بعض الروايات ، بل روى عنه الطبرى أنه - رضى الله عنه -  
اكتال من حب فتوضأ وضوءاً فيه تجوز وقال هذا وضوء من لسم  
يحدث " .

فهذا ما ينبغى تنزيل قول على عليه وهو أنه يفعله ندباً كما روى  
عن الخلفاء الراشدين أنهم يتوضؤون لكل صلاة ، والله أعلم .  
راجع تفسير الطبرى ٧٢ / ٦ .



وقبل هو على الاستحباب .

وقال زيد بن أسلم : تقدير الآية اذا قتم الى الصلاة من الضاجع يعنى النوم فيكون ايجاب الوضوء بالحدث . لأن النسيوم حدث .<sup>(١)</sup>

( فاعسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق ) يعنى مع المرافق . قال المبرد : اذا ط الى جنسه تدخل فيه الفايه ، واذا ط الى خلاف جنسه لا تدخل فيه الفايه .

قوله " ثم أتوا الصيام الى الليل"<sup>(٢)</sup> ط الى خلاف جنسه فلا يدخل فيه الفايه .

والمرفق سمي بذلك لارتفاق الانسان له كالتكاه عليه . ( وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين ) . قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بالنصب . فيكون تقديره فاعسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم .

وقرأ الباقون وأرجلكم بالكسر .<sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) راجع أحكام القرآن لابن العربي ص ٥٥٩ .  
طت أشار القرطبي الى أن هذا القول من أحسن ما قيل فى  
الآية .

الجامع لأحكام القرآن ( ٨٢ / ٦ ) .

( ٢ ) البقره آيه ١٨٧ .

( ٣ ) انظر البدور المتناثره صفحه ٨٧ والنشر فى القراءات المشر ( ٢٤٥ / ٢ )

( ٤ ) انظر المراجع السابقه والوافى فى شرح الشاطبيه صفحه ( ٢٥٠ ) -

واختلف الملما\* في وجوب غسل الرجل . فأكثر الملما\* وعليه  
الاجماع اليوم أن غسل الرجل واجب ويحكي عن علي أنه قال يجوز المسح  
على الرجل وهو الواجب .

وحكى خلاف عنه . قال الشمصي : نزل القرآن بغسلين ومسحين .  
وقال محمد بن جرير الطبري : يتخير بين المسح والغسل لا اختلاف  
القراءة .<sup>(٢)</sup> والأصح أنه يجب الغسل .<sup>(١)</sup>

( ١ ) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، صاحب التفسير والتاريخ  
المصروف . أحد الأئمة الأعلام ، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيها  
أحد من أهل عصره .  
توفي رحمه الله ببغداد يوم ٢٦ شوال سنة ثلاثمائة وعشره .  
مجم الأذبا\* ( ١٨ / ٢٤٠ ) وفي الأعيان ( ٣ / ٣٣٢ ) .

( ٢ ) تفسير الطبري ( ١٠ / ٦١-٦٢ ) وفي الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ٦١ )  
قال ابن العربي : انقضت الملما\* على وجوب غسلها ، وما علمت  
من رد ذلك سوى الطبري من فقها\* المسلمين والرافضة عن غيرهم  
وتعلق الطبري بقراءة الخفض .

( ٣ ) قلت : وقد ذهب الى صحة ذلك الامام القرطبي فقال : " وهو  
الصحيح ، فان لفظ المسح مشترك ، يطلق بمعنى المسح ويطلق  
بمعنى الغسل .  
قال الهروي : أخبرنا الأزهرى أخبرنا أبو بكر محمد بن عثمان بن  
سميد الدارى عن أبي حاتم عن أبي زيد الأنصارى قال : المسح  
في كلام الصرط يكون غسلا ويكون مسحا ، ومنه يقال للرجل اذا  
توضأ فغسل أعضائه قد تمسح ويقال : مسح الله ما يك اذا غسلك  
وطهرك من الذنوب ، فاذا ثبت بالنقل عن المراب أن المسح يكون بمعنى  
الغسل فترجح قول من قال : ان المراد بقراءة الخفض  
الغسل ، بقراءة النصب التي لا احتمال فيها ، وبكثرة الأحاديث  
الثابتة بالغسل والتوجه على ترك غسلها في أخبار صحاح لا تحصي  
كثرة أخرجها الأئمة " .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ١٢ ) .

وقد دلت السنة عليه فروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :  
ويل للأعقاب من النار<sup>(١)</sup> .

وروى مرفوعاً لا يقبل الله تعالى صلاة أحدكم حتى يضع الطهور  
مواضعه فيغسل وجهه ثم يديه ثم يصح برأسه ثم يغسل رجليه<sup>(٢)</sup>  
وقال صلى الله عليه وسلم " ما من رجل يتوضأ فيغسل وجهه الا خرجت  
خطاياہ التي نظر اليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطرة من  
الماء الى أن قال " واذ اغسل رجليه خرجت خطاياہ التي شت بها  
قدمه مع الماء ، أو مع آخر قطرة من الماء<sup>(٣)</sup> .

---

(١) البخارى من كتاب الوضوء باب غسل الرجلين ، باب غسل  
الأعقاب (٤٩/١) .

ومسلم من كتاب الطهارة باب وجوب غسل الرجلين بكاملهما  
(٤٧-٤٨/١) و .

وأحمد فى المسند (٢/١٩٣) .

(٢) ابن ماجه كتاب الطهارة باب ثواب الطهور (١٠٣/١-١٠٤) .

(٣) رواه الامام مسلم فى صحيحه من كتاب الطهارة ، باب خروج الخطايا  
مع ماء الوضوء (١٤٨/١-١٤٩) .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً توضأً وبقي من رجله قدر ظفره لم يصبه الماء فقال له ارجع فأحسن الوضوء وأمره بالرجوع (١).  
دليل الوجوب.

وأما قوله " وأرجلكم الى الكعبين " من قرأ بالنصب فهو ظاهر فسي وجوب الفسل .

وأما من قرأ بالخفض فقد يره فامسحوا بروءوسكم واغسلوا أرجلكم. ويجوز أن يمدّ يديك على الشيء وان كان يخالفه في الفمائل  
قال الشاعر (٢):

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفاً ورمحاً

أى متقلدا سيفاً، ومنتكبارمها .

وقال آخر (٣):

أعلفتها تيناً وماءً بارداً (٤) .....

أى وسقيتها ماءً بارداً .

(١) مسلم من كتاب الطهارة ، باب وجوب استيماب جميع أجزاء محل الطهارة (١٤٨) وأحمد في سننه (١٩٢/٢) (٢١٦/٣) .

(٢) البيت غير منسوب في الطبري (١٤٠/١) وفي الجامع لأحكام القرآن (٩٥/٦) واللسان مادة قلد ونسبه في حواشي ابن القوطبه على الكامل (٨٩) لعبد الله بن الزيمري .

(٣) البيت في الخزانة (٤٩٩/١) والجامع لأحكام القرآن (٩٥/٦) غير منسوب .

(٤) تامه

حتى شئت همالة عنها

فكذلك قوله تعالى " وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم " أى وأغسلوا  
أرجلكم الا أنه خفض على الاتباع والمجاورة كما قالت العرب جهر ضرب  
حرب ونحو ذلك .

وقال أبو زيد الأنصارى<sup>(١)</sup> وهو امام اللغة : العرب قد تسمى الفسل  
الخفيف مسحا .

تقول العرب تمسح يامسح بهذا يريدون به اغتسل فمدطفه على المسح  
لا ينفى الغسل فيجوز أن يكون المراد بهذا المسح فى الرأس  
حقيقه وفى الرجل الفسل ولأن غسل الرجل على الأغلب لا يخلوا عن  
مسح كذلك . فساغ أن يسمى غسلها مسحا .<sup>(٢)</sup>

وقوله " الى الكمبين " يعنى مع الكمبين كما بينا فى المرافق .  
والكمبان هما المعظمان الناتئان على جانبي القدم .

---

( ١ ) لمله أبو زيد الأنصارى عمرو بن أخطب بن رفاعه الأعرج .

ترجمته فى تهذيب التهذيب ( ٤ / ٨ ) .

( ٢ ) قال ابن العربى : " اتفقت الملمما على وجوب غسلها " يعنى  
الرجلين " . وما علمت من رد ذلك سوى الطبرى من فقهاء  
المسلمين والرافضة من غيرهم . وتملق الطبرى بقراءة الخفض  
- أى مسح الرجلين - .

ثم قال : وقد قيل ان قوله " وأرجلكم " بقراءة الخفض معطوف  
على اللفظ دون المعنى - أى على لفظ الروءوس - وهذا أيضا يدل  
على الفسل ، فان المراعى المعنى لا اللفظ ، وانما خفض للجوار  
كما تفعل العرب . وقد جاء هذا فى القرآن وغيره . قال تعالى  
( يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس ) بالجر لأن النحاس هو الدخان .

.. / ..

ثم قال : والقاطع في الباب من أن فرض الرجلين الغسل ما قدمناه وما ثبت من قوله - صلى الله عليه وسلم - " ويل للأعقاب ويظنون الأقدام من النار " فحرفنا بذكر النار على مخالفة مراد الله .

ومعلوم أن النار لا يعذب بها إلا من ترك الواجب .  
ومعلوم أن المسح ليس من شأنه الاستيعاب ، ولا خلاف بين القائلين بالمسح على الرجلين أن ذلك على ظهورهما لا على بطونهما ، فتبين بهذا الحديث بطلان من قال بالمسح ، إذ لا مدخل لمسح بطونهما عندهم ، وإنما ذلك يدرك بالغسل لا بالمسح .

ونقل الجمهور كافة عن كافة عن نبيهم - صلى الله عليه وسلم - أنه كان يغسل رجله في وضوئه مرة واثنين وثلاثا حتى ينقيهما . وحسبك بهذا حجة في الغسل مع طيبناه فقد وضح وظهر أن قراءة الخفسي المعنى فيها الغسل لا المسح وأن العامل في قوله " وأرجلكم " .

قوله " فاغسلوا " والمرب قد تمطف الشيء على الشيء بفعل بمنفرد به أحدهما : نقول أكلت الخبز واللبن . أي وشربت اللبن " .

قلت : وقد عقد الامام ابن كثير فصلا أورد فيه - عند تفسيره لهذه الآية - كثيرا من الأحاديث التي وردت في غسل الرجلين وجعل عنوانه " ذكر الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه " .

وقوله ( وان كنتم جنبا فاطهروا ) أى فاغتسلوا ( وان كنتم مرضى  
أو على سفر أو جاء أحد منكم من الفئات أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء  
فتيمموا صعيدا طيبا ) وقد بينا الكلام فيه ( فامسحوا بوجوهكم  
وأيدكم منه ) . وقوله " منه " دليل على أن الصعيد هو التراب ليتحقق  
المسح منه .

( ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ) أى حنيف ( ولكن يريد  
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ) ( ٢ ) .

---

( ١ ) ما ذكره السمعاني هو قول فريق من الفقهاء ، ويرى بعض آخر أن  
التيمم يجوز بالتراب بالسجر وبما مثله من كل ما كان من جنس  
الأرض متى كان طاهرا . قالوا : لأن الظاهر من لفظ الصعيد  
وجه الأرض ، وهذه الصفة لا تختص بالتراب .

قال القرطبي : بعد أن ذكر أراء الفقهاء فى ذلك - " وانا  
تقرر هذا فاعلم أن مكان الاجتماع فيما ذكرناه أن يتسم الرجل على  
تراب منبت طاهر غير منقول ولا معصوب ، ومكان الاجتماع فى المنع  
أن يتيمم الرجل على الذهب الصرى والفضة والياقوت والأطعمسه  
كالخبز واللحم وغيرهما ، أو على النجاسات .

واختلف فى غير هذا كالمعادن ، فأجيز وهو مذهب مالك  
وغیره . . ومنع وهو مذهب الشافعى وغيره .  
انظر الجامع لأحكام القرآن ( ٥ / ٢٣٧ ) .

( ٢ ) المائدة آية ٦ .

قال محمد بن كعب القرظي : أراد باتمام النعمة تكفير الخطايا  
بالوضوء على طروينا . وهذا مثل قوله " ليغفر لك الله ما تقدم من  
ذنوبك وما تأخر ويومئذ يمتحنك عليك (١) . يعني يغفران الذنوب .

وفي الوضوء تكفير الخطايا التي ارتكبتها في الدنيا ، ونود بسوم  
القيامة .

قال صلى الله عليه وسلم " أمتي غر محجلون من آثار الوضوء يوم  
القيامة ، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل (٢) .

قوله تعالى ( واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به )  
قال مجاهد : أراد به الميثاق الذي أخذه الله تعالى على ذرية آدم  
قبل كون الخلق .

وقال ابن عباس : أراد به الميثاق الذي أخذه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم على كل من أسلم بالسمع والطاعة في اليسر والمعسر  
والمشط والمكره (٣) .

- 
- ( ١ ) الفتح آية ٢ .  
( ٢ ) البخاري من كتاب الوضوء ، باب فضل الوضوء والفر المحجلون من آثار  
الوضوء ( ٤٣ / ١ ) .  
ومسلم من كتاب الطهارة ، باب استحباب اطالة الغرّة والتججيل في  
الوضوء ( ١٤٩ / ١ ) . وأحمد في المسند ( ٢٨٢ / ١ ) ( ٢٩٦ / ١ ) .  
( ٣ ) ضعف كثير من المفسرين قول مجاهد وأيدوا قول ابن عباس في  
أن الخطاب هنا للمؤمنين وليس للبشر جميعا .



.. / ..

قال ابن جرير ما ملخصه : وأولى الأقوال بالصواب في تأويل ذلك .  
 قول ابن عباس ، وهو أن معناه : وأذكروا أيها المؤمنون - نعمة  
 الله التي أنعمها عليكم بهدايته إياكم إلى الإسلام ، وميثاقه الذي  
 واثقكم به ، يعني : وعهده الذي عاهدكم به حين بايعتم رسوله محمدا  
 - صلى الله عليه وسلم - على السمع والطاعة له في المنشط والمكروه ، والعسر  
 واليسر ، إذ قلتم سمعنا ما قلنا وأخذنا من الميثاق ،  
 وأطمعناك فيما أمرتنا به ، ونهيتنا عنه . . . فأوفوا أيها المؤمنون  
 بميثاقه الذي واثقكم به ونعمته التي أنعم عليكم بها . . . يف لكم  
 بما ضمن لكم الوفاء به ، من اتمام نعمته عليكم ، وبإدخالكم جنته ،  
 وبإنعامكم بالخلود في دار كرامته وانقاذكم من عقوبته .

وانما قلنا ذلك أولى بالصواب من قول من قال المراد بالميثاق  
 ما أخذ عليهم في صلب آدم ، لأن الله يعد أن ذكر المؤمنين بميثاقه  
 الذي واثقهم به ، ذكر يعد ذلك أهل التوراة بالميثاق الذي أخذه  
 الله عليهم . " ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل . . . بينهم ما  
 بذلك المؤمنون على مواضع خطوطهم من الوفاء لله بما عاهدهم عليه  
 ومصرفهم - سوء عاقبة أهل الكتاب في تضييعهم ما ضيعوا من ميثاقه . . ."  
 تفسير الطبري ( ٦ / ١٤٠ ) .

( ١ ) ( ان قلتهم سممنا وأطعنا وأتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور )

أى بما فى الصدور .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط )

أى كونوا قوامين بالعدل ، قوالين للصدق ( ٢ ) . ( ولا يجرمنكم شينتان قوم

على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير

( ٣ )  
بما تعملون ) .

قوله تعالى ( وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة )

قيل هذا فى موضع النصب وفعل الوعد واقع عليه ومثله قول الشاعر ( ٤ )

رأيت الصالحين لهم جزاءً وجنات وعيننا سلسبيلاً

ومنهم من قال : لهم مغفرة ابتداءً كلام . أى لهم مغفرة موعوده وموضع

الرفع لهم مغفرة ( وأجر عظيم ) ( ٦ ) ( والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك

أصحاب الجحيم ) ( ٧ ) .

---

( ١ ) الطائفة آية ٧ .

( ٢ ) " قوامين " جمع قوام . وهى صيغة مبالغة من قائم . والقوام : هو المبالغ

فى القيام بالشئ ، وفى الاتيان به على أتم وجه وأحسنه .

( ٣ ) الطائفة آية ٨ .

( ٤ ) البيت لمبد المرزبى الكلابى وهو فى الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ١١٠ ) .

( ٥ ) ذكره الحسن .

الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ١١٠ ) .

( ٦ ) الطائفة آية ٩ .

( ٧ ) الطائفة آية ١٠ .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم ) المهم : حديث النفس بالفعل .  
ويقال أهم بالشئ \* ، واهتم به اذا عني به .<sup>(١)</sup>

وفى سبب نزول الآية قولان :

قال جابر : سببه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بعضى الأسفار ففرق أصحابه فى المضاهة<sup>(٢)</sup> فى منزل فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة منها وعلق سيفه بها فجاء أعرابى وسل سيفه وقام على رأسه : وقال من يمنعك منى فقال الله تعالى فشام سيفه<sup>(٣)</sup> وذهب فنزلت الآية<sup>(٤)</sup> .

( ١ ) انظر لسان العرب مادة همم ٦٠٩/١٢ - ٦٢٠ .

( ٢ ) فى النهاية ( ٢٥٥/٣ ) المضاهة شجر أم غيلان ، وكل شجر عظيم له شوك الواحده غضة بالتاء .

( ٣ ) شام السيف : أدخله فى غمده .

( ٤ ) رواه الواحد فى أسباب النزول صفحه ( ١٨٥ - ١٨٦ ) والسيوطى فى الدر المنثور ( ٢٦٥/٢ ) وسيرة ابن هشام ( ٢١٥/٣ - ٢١٦ ) .

وقصة هذا الاعرابى ثابتة فى الصحيحين وهو غورث بن الحارث بدون ذكر السبب .

فقد روى البخارى ( ٣٣٠/٧ ) ومسلم ( ٥٧٦/١ ) عن سنان بن أبى سنان الدؤلى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه أخبره أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل نجد فلما قفل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قفل معه ، فأدركتهم الغائله فى واد كغيره الفضاة فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتفرق الناس فى المضاهة يستظلون بالشجر وتزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجره فعلق بها سيفه .

قال جابر : فمنا نومة فاذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعونا فجئناه فاذا عنده أعرابى جالس ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ان هذا اخترط سيفى وأنا نائم ، فاستيقظت وهو فى يده صلتا ، فقال لى : من يمنعك منى ؟ قلت له : الله فيها هو جالس ، ثم لسم يعاقبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجماعة نزلت الآية على سبب آخر .  
 وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان بينه وبين بنى قريظة (١)  
 عهد على أن يستميناها به وهو يستميناها عليهم على المشركين ، فجاء يوماً  
 إليهم ليستميناها بهم في دية العامرين ونزل تحت حائط فهموا أن يفتكوا  
 به ، فقال واحد منهم يقال له عمرو بن جحاش : أنا ألقى عليه حجراً  
 لتستريحوا منه فنزل جبريل وأخبره بذلك (٢) فهذا معنى قوله " إذ هم  
 قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم (٣) ) فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله  
 توكيل المؤمنون (٤) .

( ١ ) في الروايات بنو النضير وليس بنى قريظة .

( ٢ ) رواه الواحد في أسباب النزول صفحته ( ١٨٦-١٨٧ ) والسيوطي في  
 الدر المنثور ( ٢ / ٢٦٦ ) والطبري في تفسيره ( ١٠ / ١٠٤ ) وابن هشام  
 ( ٢ / ٢١١-٢١٢ ) .

( ٣ ) زجح ابن جرير أن تكون الآية قد نزلت بسبب ما أضمره بنو النضير من  
 كيد وسوء للنبي وأصحابه فقال " وأولى الأقوال بالصحة في تأويل ذلك  
 قول من قال عنى الله بالنعمة التي ذكر في هذه الآية نعمته على  
 المؤمنين به ورسوله التي أنعم بها عليهم في استنقاذهم نبيهم - صلى  
 الله عليه وسلم - كما كانت يهود بنى النضير همت به من قبله وقتل من  
 معه يوم سار إليهم في الدية التي كان يحطها على قتيل عمرو بن أمية .  
 وإنما قلنا ذلك أولى بالصحة في تأويل ذلك لأن الله عقب ذكر ذلك  
 يرمي اليهود بسوء صنائعها ، وقبيح أفعالها وخيانتها ربها  
 وأنبيائها " .  
 تفسير الطبري .

( ٤ ) المائدة آية ١١ .

قوله تعالى ( ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبمئتنا منهم  
اثني عشر نقيبا ) . النقيب للقوم مثل الرئيس .

وقال أبو عبيدة : النقيب : الكفيل (١)

وقال غيره (٢) : هو الأمين والنقيب فوق المرئف ، والمنكب عون المرئف . (٣)

وسمي نقيبا للبحث والاستخراج الذي يكون منه (٤)

والقصة في ذلك أن موسى - صلوات الله عليه - جعل على قومه اثني عشر  
نقيبا على كل سبط نقيب .

فروى أن بمشهم الى مدينة الجبارين ليتمرفوا ويستخبروا عن حالتهم ،  
فلما رجعوا خوفوا بنى اسرائيل من قتالهم ، وقالوا أنتم لاتقاومونهم -  
وخالفوا أمر موسى الا رجلا من منهم :  
أهدما يوشع بن نون .

والآخر كالب بن يوقنا وستأتى قصتهم مشروحه (٥)

- 
- (١) مجاز القرآن (١/١٥٦) .  
(٢) ذكره الربيع بن أنس والبيهقي . زاد المسير (٢/٣١١) .  
(٣) تفسير الطبري (١٠/١١٠) .  
(٤) قال أبو السمود : النقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى ( فنقبوا في البلاد ) سمي بذلك لتفتيشه  
عن أحوال القوم وأسرارهم .  
قال الزجاج وأصله من النقب وهو النقب الواسع .  
تفسير أبي السمود ٣/٢١٥ ، وراجع القاموس المحيط ١/١٣٤ مادة نقب .  
(٥) انظر قوله تعالى " وان قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمه الله  
عليكم ، ان جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا . . . " .

( وقال الله اني معكم ) يعنى بالنصر ( لئن أقمت الصلاة وأتيتم  
الزكاة وأمنتهم برسلى وعزرتموهم ) .

قال أبو عبيدة ، معناه عظمتموهم (١) .

وقال غيره (٢) : نصرتموهم والتصمير : التأديب فى اللغىه .  
وأصل التصمير المنع ، ولذلك سى التأديب تصمروا لأنه يمنع  
الموهد ب عن مثل ما أد بطيه .

وعن سعد بن أبى وقاص : أصبحت بنو أسد تفرزنى عن الاسلام  
أى توءبنى (٣) .

( وأقرضتم الله قرضا حسنا ) وهو اخراج الزكاة .

وقال زيد بن أسلم معناه : النفقة على الأهل .

وعن بعض السلف أنه سمع رجلا يقول من ذا الذى يقرض الله  
قرضا فقال سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله  
أكبر .

---

( ١ ) فى مجاز القرآن ( ١٥٦ / ١ ) عزرتموهم : نصرتموهم وأعنتموهم

ووقرتموهم وأيدتموهم كقوله

وكم من ماجد لهم كريم ومن ليث يمتز فى النسدى

( ٢ ) هو قول الحسن ومجاهد .

النكت والميون ( ٤٥٢ / ١ ) .

( ٣ ) انظر اللسان مادة عزز .

( لا كفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل<sup>(١)</sup> ) أى أخطأ طريق الحق .

قوله تعالى ( فيما نقصهم ) ماضيه . أى فبنقصهم<sup>(٢)</sup> ( ميثاقهم لعناهم ) أي بعدناهم عن الرحمة .

( وجعلنا قلوبهم قاسية ) أى حافة غير لينه لا تدخلها الرحمة<sup>(٣)</sup> .

وتقرأ قاسية<sup>(٤)</sup> . وقيل معناه قاسية . فعيل بمعنى فاعل .  
وقيل معناه ان قلوبهم ليست مخالصة الايمان عاشوا بها بين الكفر والنفاق .

---

(١) الطائفة آية ١٢ .

(٢) قال ابو السمود : " الباء سببية ، و " ما " مزيدة لتأكيد الكلام وتمكينه في النفس ، أى بسبب نقصهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر أنت قزلاً أو انضماماً لعناهم " .  
تفسير أبي السمود ١٦/٣ .

(٣) قاسية بوزن فاعله من القسوة بمعنى الصلابة واليبوسة .  
يقال : قسا قلبه يقسو فهو قاس ، اذا غلظ واشتد وصار يابساً صلماً .

(٤) أى بحذف الألف بعد القاف مع تشديد الياء بوزن مايسة وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة وقراء الباقرن بالألف وتخفيف الياء .

راجع الوافي في شرح الشاطبية والبدور الزاهرة ( ٨٨ ) والنشر ( ٢٤٥ / ٢ ) .

ومنه الدراهم القسيه ، وهى المفضوشه . (١) قال الشاعر : (٢)

لها صواهل فى صم الخيل كما صاح القيسان فى كف الصياريف  
شبه صواهل الخيل فى صم الحجارة بصوت الدراهم فى كف الصيوفى .

( يعرفون الكلم عن مواضعه ) تحريفهم الكلم ؛ هو تبدلهم

نعت الرسول .

وقيل المراد به تحريفهم بسوء التأويل ( ونسوا خطأ ما ذكروا به )

أى نسوا نصيباً ما ذكروا به .

والحظ : النصيب . ( ولا تزال تطلع على خائنه منهم ) . قيل :

الخائنه : الخيانه فاعل بمعنى المصدر مثل القايله بمعنى القيلولسه

هذا قول قتاده ؛

وقال مجاهد : فرقة خانمه (٣) لأن الآيه فى ليهود فيستقيم هذا

(١) رجح الاطام ابن جرير الطبري الرأى الأول وهى وأن قسيه بمعنى قاسيه  
غير أن فيها صالفة فقال " وأولى التأويلين عندى بالصواب تأويل مسن  
تأويل فصيله من القسوة كما قيل نفس زكيه وزاكيه ، وأمرأة شاهدة  
وشهيدة ، لأن الله تعالى وصف القومينقسيهم ميثاقهم ، وكفرهم به  
ولم يصفهم بشئ من الايمان ، فتكون قلوبهم موصوفة بأن ايمانهم  
يخالطه كفر كالدراهم القسيه التى يخالط فضتها غش " .  
تفسير الطبري (١٥٥/٦) .

(٢) البيت لأبى زيد الطائى من قصيدته فى رثاء أمير المؤمنين عثمان بن  
عقان والبيت فى اللسان ( سهل ) وتفسير الطبري ( ١٢٧/١٠ )  
والجامع لأحكام القرآن ( ١١٥/٦ ) .

(٣) يشير الى أنه نعت لمحدوف والتقدير فرقة ناجيه .



التقدير ولا تزال تطلع على قوله " خائفة منهم " الا قليلا منهم " يعنى  
الذين أسلموا مثل عبد الله بن سلام وجماعة . ( فاعف عنهم وأصفح ) أى  
أعرض عنهم ، ولا تتعرض لهم .

وقيل (٢) صار هذا منسوخا أيضا بقوله " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله (٣)  
فى سورة التوبة . (٤) ان الله يحب المحسنين (٥) .

(١) راجع الجامع لاحكام القرآن (٦/١١٦) .

(٢) هو قول جمهور العلماء . زاد المسير (٢/٣١٤) .

(٣) آية ٢٩ .

(٤) قلت : وللعلماء فى ناسخ هذه الآيه ثلاثة أقوال :-  
أحدها : أنها آية السيف .

والثانى : ما ذكره المؤلف وهو قوله " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله " .  
والثالث : قوله " واما تخافن من قوم خيانه " الأنفال : ٥٨ .

قال ابن جرير : " والذى قاله قتاده وهو أن الآيه منسوخة  
بقوله : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله . . . " غير مدفوع إمكانه  
غير أن الناسخ الذى لا شك فيه من الأمر ، هو ما كان نافيا كل  
معانى خلافه الذى كان قبله ، فأما ما كان غير نافى جميعه ، فلا سبيل  
الى العلم بأنه ناسخ الا بخبر من الله عز وجل أو من رسوله - صلى  
الله عليه وسلم - وليس فى قوله : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله  
واليوم الآخر . . . " دلالة على الأمر بنفى معانى الصفح والمفو  
عن اليهود .

وانا كان ذلك كذلك وكان جائزا مع اقرارهم بالصفار وأدائهم  
الجزية بعد القتال الأمر بالمفو عنهم فى غدره هموا بها أو مكثه  
عزموا عليها ، ما لم ينصبوا حربا دون أداء الجزية ويمتنعوا من  
الاحكام الا ذمتهم لم يكن واجبا أن يحكم لقوله : " قاتلوا الذين  
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . . . " الآيه ، بأنه ناسخ . قوله :  
" فاعف عنهم وأصفح ان الله يحب المحسنين " .

تفسير الطبرى (١٠/١٣٥) .

(٥) الطائفة آية ١٣ .

قوله تعالى ( ومن الذين قالوا انا نصارى ) ومن اليهود والصحيح  
أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود (١) .

وقال الحسن البصرى - رحمه الله - في هذا دليل على أنهم  
نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله تعالى (٢) .

(أخذوا ميثاقهم ) فنسوا حظا مما ذكروا به ( فلو كما بينا في  
اليهود ( فأغرينا ) أى وافقنا ) بينهم المداوة والبغضاء الى يوم  
القيامة ) والاغراء أصله اللصاق ومنه الغراء ومعناه : ألصقنا بهم  
المداوة حتى صاروا فرقا وأحزابا منهم اليعاقبة (٣)

(١) قلت الآية معطوفة على قوله قبل ذلك " ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل  
والمعنى : وكما أخذنا على بني اسرائيل الميثاق بأن يعبدوا الله وحده  
ويطيعوا أنبياءه ، ويستجيبيوا لمحمد - صلى الله عليه وسلم - الذى  
نشرت به الكتب السماوية ، فقد أخذنا أيضا من الذين قالوا انا نصارى  
الميثاق بذلك .

(٢) نصارى جمع نصران كنداص جمع ندان وقد سموا بذلك نسبة الى نصرانه  
هى قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل وتسمى هذه القرية ناصرة  
ونصورية " .

الأديان والفرق والمذاهب المعاصره عبد القادر شية الحمد .

(٣) اليعاقبية : أصحاب يعقوب ، من النصارى قالوا بالأقنيم الثلاثة ،  
الا أنهم قالوا انظبت الكلمة لهما ودا فصار الاله هو المسيح وهو الظاهر  
بجسده بل هو هو ، ولقد أخبرنا القرآن عنهم بقوله تعالى ( لقد كفر  
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم ) للشهرستاني تفصيلات في  
مذاهبهم الباطلة فراجعها في : الطل والنحل ٢ / ص ٦٦ ط . مع  
الفصل لابن حزم .

والطكاكية<sup>(١)</sup> والنسطورية<sup>(٢)</sup> . ( وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون )<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( يا أهل الكتاب ) والمراد به أهل الكتابين التوراة والانجيل ، لكن ذكر الكتاب هو اسم الجنس فينصرف الى الفريقين ( قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ) بمعنى الذين أخفوا من نعمت محمد ، وآية الرجم ونحو ذلك ( ويعفوا عن كثير ) بمعنى يعرض عن كثير مما أخفوا فلا يتعرض له ( قد جاءكم من الله نـسـور ) قيل هو الاسلام وسمى نورا لأنه يتبين بن الأشياء كما يتبين بالنور .

( ١ ) الطكاكية : هم أصحاب ملكا الذي ظهر بالروم واستولى عليها ، وذهبهم أن الكلمة اتحدت بجسد المسيح عليه السلام كما يمازج الماء اللبن ، وان عيسى عليه السلام أزلها ومريم ولدت لها أزلها التي غيره ذلك من كفرهم .  
راجع في المرجع السابق ص ٦٢ .

( ٢ ) النسطورية : من النصارى أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الانجيل بحكم رأيه وخلصه مذهبهم أن الأتانيم الثلاثة ليست زائدة على الذات ولا هي هو ، واتحاد الكلمة بجسد عيسى عليه السلام ليس بطريق الامتزاج كما عند الطكاكية ولا بالظهور كما عند اليمقوبية ولكنها كاشراق الشمس في كوة .  
تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .  
راجع مذهبهم في المرجع السابق ص ٦٤ .

( ٣ ) المائدة آية ١٤ .

( وكتاب مبين (١) هو القرآن (٢) .

قوله تعالى ( يهدي به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام ) أى يهدي  
به الله سبيل السلام من اتبع رضوانه .

قال السدى : السلام هو الله تعالى . وسبيل السلام طريق الله  
تعالى وقال : السلام هو السلامه كاللذان . واللذان به معنى واحد  
والمراد به طرق السلامه (٣) .

---

(١) المائدة آية ١٥ .

(٢) اختلف المفسرون فى المراد بالنور فى هذه الآية على أقوال :-

الأول : أن المراد به محمد - صلى الله عليه وسلم - فهو نور الأنوار

كما يقول الأئوسى والمراد بالكتاب القرآن الكريم وقد نحا

هذا المنحنى الامام ابن جرير الطبرى فى تفسيره .

الثانى : ويرى بعض المفسرين أن المراد بالنور وبالكتاب هنا القرآن

الكريم وقد اقتصر على هذا التفسير صاحب الكشاف .

الثالث : ويرى فريق آخر أن المراد بالنور هنا الاسلام وبالكتاب

القرآن كما ذكر الامام السمعانى .

ويبدو لى أن ما ذهب اليه الامام ابن جرير أرجح .

(٣) فى زاد المسير (٢/٣١٧) قال الزجاج : وجائز أن يكون "سبيل

السلام" طريق السلامه التى من سلكها سلم فى دينه ، وجائز أن

يكون "السلام" اسم الله - عز وجل - فىكون المعنى : طرق الله

- عز وجل - .

( ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ) يعنى ( من الكفر الى  
الاسلام )<sup>(١)</sup> ، وسمى الكفر ظلماً لأنه يتميز فى الظلمة<sup>(٢)</sup> . وسمى الاسلام  
نوراً لما بينا ، ( ويهدى بهم الى صراط مستقيم )<sup>(٣)</sup> قيل هو الاسلام ،  
وقيل القرآن<sup>(٤)</sup> .

قوله تعالى ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم )  
قيل هذا قول اليمقوبية من النصارى ، قالوا ان المسيح اله . وقيل انهم  
لما قالوا المسيح ابن الله وابن كل أحد يكون من جنسه فكأنهم قالوا  
المسيح هو الله<sup>(٥)</sup> .

( قل فمن يملك من الله شيئاً ) أى فمن يقدر أن يدفع أمر الله  
( ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ولله  
ملك السموات والأرض وما بينهما يخلف ما يشاء والله على كل شىء قدير )<sup>(٦)</sup>  
فيه اشارة الى أن المستحق للألوهية من له ملك السموات ومن له هذه  
القدره فايها فاعبدوا .

( ١ ) فى ب " من الكفر الى الايمان " هكذا .

( ٢ ) فى ب " لأنه يتميز الى الظلمة " .

( ٣ ) المائدة آية ١٦ .

( ٤ ) وهو دين الله القويم الذى لا اعوجاج فيه .

تفسير الطبرى ( ١٠ / ١٤٦ ) .

( ٥ ) لقد سبق ذلك فى الكلام عن اليمقوبية فراجع ص

( ٦ ) المائدة آية ١٧ .

قوله تعالى ( وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبتاؤه )  
يعنى ان الله كالأب لنا فى الحنو والمطف ، ونحن كالأبناء له فى القرب  
والمنزلة .

وقال ابراهيم النخعى : فى اليهود : أنهم وجدوا فى التوراة يا أبناء  
أهبارى فبدلوا وقرأوا يا أبناء أهبارى فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله  
وأحبائوه ، وأما فى النصارى فانهم حكوا عن عيسى أنه قال اذهب  
الى أبى وأبيكم فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله (١) .

( قل فلم يعذبكم بذنوبكم ) يعنى ان الأب لا يعذب ابنه ،  
والحبيب لا يعذب حبيه ، أى فلم يعذبكم الله بذنوبكم وهو على زعمكم  
أبويكم وحبيبتكم ثم قال ( بل أنتم بشر من خلق ) أى آدميون ممن  
جعلنا الخلق . ( يفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ) والله ملك السموات  
والأرض وما بينهما واليه المصير (٢) .

قوله تعالى ( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة  
من الرسل ) أى على انقطاع من الرسل (٣) .

( ١ ) تفسير البغوى ( ٢٩ / ٢ ) .

( ٢ ) الطائفة آيه ١٨ .

( ٣ ) المثرة هى الزمن بين زمنين ، ويكون فيها سكون عما يكون فى هذين  
الزمنين .

قال الراغب : الفتور سكون بعد حدة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد  
قوة .

قال تعالى ( يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من  
الرسل . . ) أى سكون . قال عن مجىء رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - وقوله " يسهون الليل والنهار لا يفترون " أى لا يسكنون عن  
نشاطهم فى العبادة . . . . .  
المفردات فى غريب القرآن ٣٧١ للراغب الأصفهاني .

واختلفوا في زمان الفترة .

قال أبو عثمان النهدي (١) زمان الفترة بين عيسى ومحمد وكان ستعائة

سنه .

وقيل خمسمائة سنة .

وانما سماه زمان الفترة ، لأن الرسل كانوا بعد موسى تترى من غير انقطاع

، ولم يكن بعد عيسى رسول سوى محمد - صلى الله عليه وسلم - ( ان تقولوا

ما جاءنا من بشير ولا نذير ) .

قال الكوفيون معناه : أن لا تقولوا (٢)

وقال البصريون معناه : كراهة أن تقولوا وهو كالقولين في قوله

" يبين الله لكم أن تضلوا " (٣) . فقد جاءكم بشير منذر والله على كل شئ

(٤)

قد ير .

(١) أبو عثمان النهدي : عبد الرحمن بن طل بن عمرو بن عدي بن وهب

ابن ربيعة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن رفاعه بن مالك بن نهدي .

سكن الكوفة ثم البصرة .

أدرك الجاهلية وأسلم على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

وصدق اليه ولم يلقه .

تهذيب التهذيب (٦/٢٧٧ - ٢٧٨) .

(٢) وهو اختيار الطبري : قال رحمه الله " أن لا تقولوا وكى لا تقولوا . .

فمضى الكلام : قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل كسى

لا تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ، يعلمهم عز ذكره أنه قد قطع

عذرهم . بتصرف يسيو الطبري (٦/١٠٧) ، قال أبو حيان : قدره

الفراء لئلا تقولوا يعني يوم القيامة على سبيل الاحتجاج .

البحر المحيط ٣/٤٥٢ .

(٣) انظر النقد عن البصريين في البحر المحيط ٣/٤٥٢ ، وهو اختيار

القرطبي وأبي السمود وغيرهما .

راجع القرطبي ٦/١٢٣ ، وتفسير أبي السمود ٣/١٥٠ .

(٤) المائدة آية ١٩ .

قوله تعالى ( وان قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم  
ان جعل فيكم انبياء ) أى منكم انبياء ( وجعلكم طوكا ) .

قال ابن عباس : يعنى أصحاب خدم وحشم .  
قال قتادة : لم يكن لمن قبلهم خدم وحشم ، فلما كان لهم خدم  
كانوا طوكا .

قال مجاهد : لا يدخل عليكم الا باذنكم ، ومن لا يدخل عليه الا  
بإذنه فهو طوك !

وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال  
" من كان له فى بنى اسرائيل خادم وامرأة ودابة كان طوكاً (٢) .

وروى أن رجلاً جاء الى عبد الله بن عمرو بن العاص وقال أنا مسن  
فقراء المهاجرين فقال " ألك سكن تأوى اليه فقال نعم ، فقال ألك امرأة  
تسكن اليها قال نعم ، فقال أنت من الأغنياء .

قال الرجل ولى خادم يخدمنى فقال أنت من الطوك (٣) .

وقال السدى : فى المتقدمين معناه : وجعلكم طوكا تطكون أمر  
أنفسكم ، وخلصكم من استعباد فرعون .

( ١ ) راجع تفسير الطبرى ( ١٠ / ١٦٠ - ١٦٥ ) .

( ٢ ) ذكره البغوى فى تفسيره ( ٣٠ / ٢ ) بخبر سند .  
ورواه السيوطى فى الدر المنثور ( ٢ / ٢٦٩ ) وقال أخرجه  
ابن أبى حاتم .

( ٣ ) رواه الامام مسلم فى صحيحه ( ١٨ / ١١٠ ) مسلم بشرح النسوى  
وابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١٠ / ١٦١ ) .



وقال المورج : أراد به : وجعلكم أخبارا ، والملوك الأحياء  
بلفظة هذيل وكنانه (٢)

وأناكم مالم يوءت أحدا من المالمين (٣) يعني من المن والسلوى  
وانفجار الحجر ، وتظليل الضمام ونحو ذلك .

قوله تعالى ( يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم )  
قيل (٤) هو دمشق وفلسطين وعض الأردن .

وقال قتاده : هو جميع الشام .

وقيل (٥) هو بيت المقدس وأرض الطور (٦)

وقوله " كتب الله لكم " أي وهب الله لكم (٧) وقيل قرض الله لكم أن

تدخلوها (٨) ( ولا ترتدوا على أذباركم فتنظبوا خاسرين ) (٩)

(١) المورج :

(٢) لم أجد هذا القول في كتب التفسير التي اطلعت عليها .

(٣) الطائفة آيه ٢٠ .

(٤) رواه أبو صالح عن ابن عباس . زاد المسير (٢/٣٢٣) .

(٥) رواه مجاهد عن ابن عباس . زاد المسير (٢/٣٢٣) .

(٦) قال ابن جرير : وهي لا تخرج عن أن تكون من الأرض التي ما بين  
الفرات وعرش مصر لا جماع أهل التأويل والسير والملماء والأخبار على ذلك .

(٧) هو اختيار القرطبي قال : " أي فرض دخولها عليكم ووعدكم دخولها  
وسكنها لكم " .

تفسير القرطبي ٦/١٢٥ ، ومن قبله ابن جرير في تفسيره (٦/١١٠) .

(٨) قال أبو السمود : " أي كتب في اللوح المحفوظ أنها تكون مسكنا لكم

ان آمنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا ( فانها محرمة عليهم )

تفسير أبي السمود ٣/٢٣ .

(٩) الطائفة آيه ٢١ .

قوله تعالى ( قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ) الجبار كل  
عاقب يجبر الناس على مراده .

والله تعالى جبار يجبر الخلق على مراده ، وذلك منه وله مدح ،  
وأما الجبروت للخلق ذم .

وأصل الجبار : المتمم الممتنع عن الذل والقهر .  
ومنه يقال نخلة جباره اذا كانت طويلة ممتنعة على وصول الأيدي  
اليها .

وسمى أولئك القوم جبارين لطولهم وامتناعهم بقوة أجسامهم . ( ١ )  
والقصة في ذلك أن هؤلاء كانوا في مدينة أريحا بالشام وكان فيها  
ألف قرية في كل قرية ألف بستان ، وكان فيها المملقة وبقية من قوم عاد  
وهي مدينة الجبارين .

روى عكرمة عن ابن عباس أن موسى صلوات الله عليه كان قد بعثت  
أولئك النقباء وهم اثنا عشر نقيبا الى تلك المدينة ليتعرفوا أحوالهم

---

( ١ ) قال القرطبي في تفسيره ( ١٩ / ٦ ) : " جبارين " أي عظام الأجسام  
طوال ، يقال نخلة جبارة أي طويلة ، والجبار المتمم الممتنع من  
الذل والفقر .

وقال الزجاج : الجبار من الأدمين المامي ، وهو الذي يجبر الناس  
على ما يريد ، فأصله على هذا من الجبار وهو الاكراه ، فانه يجبر غيره  
على ما يريد ، وأجبره أي أكره ، وقيل مأخوذ من جبر العظم ، فأصل  
الجبار على هذا المصلح نفسه .

وراجع المعاني المذكورة في لسان العرب مادة جبر ١٢ / ١١٣ - ١١٤ .

فلما وصلوا اليها لقيهم رجل منهم فأخذهم جملة في كفه وأتى بهم  
الى الطك ونشرهم بين يديه وقال هو هؤلاء الذين جاءوا ليقاتلونا فقال  
الطك ارجعوا وأخبروهم بما لقيتم فرجعوا .

فى بعض التفاسير أنهم أخذوا منهم عنقودا من العنب ، وجعلوه  
على عمود بين رجلين حتى قدزوا على حمله وأخذوا رمانتين وحملوهما  
على دابة كادت تعجز عن حملها فلما رجعوا الى بنى اسرائيل  
خوفوهم وقالوا انكم لا تقاومونهم الا الرجلين منهم يوشع بن نون  
وكالب بن يوقنا وذكرهما فى الآية الأخرى .

وأما الباقون من بنى اسرائيل خالفوا وامتنعوا من قتالهم وقالوا  
" يا موسى ان فيها قوما جبارين <sup>(١)</sup> انا لن ندخلها حتى يخرجوا  
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) وردت هذه القصة فى كتب التفسير والتاريخ .

وقد حشا بعض المفسرين كتبهم بأوصاف الجبارين الذين ورد ذكرهم  
فى الآيات الكريمة - كالتى أتى ببعضها السمعاني - لا تقبلها  
المقول السليمه ، وليس لها أصل يعتمد عليه بل هى مما يستحى  
من ذكره كما قال ابن كثير .

( ٢ ) الطائفة آية ٢٢ .

قوله تعالى ( قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ) هما  
يوشع وكالب ( أدخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم خالدون )  
وذلك باب كانوا عرفوه أنهم إذا دخلوا من ذلك الباب غلبوا .

ويقراً في الشواذ قال رجلان من الذين يخافون بضم الياء فيكون  
معناه : رجلان من أولئك الممالقة .

قيل أسلم رجلان منهم وقالوا هذه المقالة<sup>(٢)</sup> وعلى الله فتوكلسوا  
ان كنتم مؤمنين<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( قالوا يا موسى ان لن ندخلها أبدا ما داموا فيها )  
وهذا معلوم \* فاذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون<sup>(٤)</sup> .

قال الحسن : كفروا بهذه المقالة .

وقال غيره بل فسقوا بمخالفة أمره وتقديره بقوله \* فاذهب

قوله \* فاذهب أنت وربك فقاتلا \* اي فاذهب أنت وليمنك ربك

على القتال .

---

( ١ ) قال القرطبي : " وقرأ مجاهد وابن جرير " يخافون " بضم الياء ،

وهذا يقوى أنها من غير قوم موسى .

قلت : وقد نقل القرطبي عن الضحاك أنها رجلان كانا في مد ينة  
الجبارين على دين موسى ، والمراد بالخوف على هذا الخوف من  
الممالقة لئلا يظلموا على ايمانهم فيفتنوهم ولكن وثقا بالله .

راجع تفسير القرطبي ٦ / ١٢٧ .

( ٢ ) قلت لم يرد نص يعتمد عليه في أن أحد الجبارين قد آمن وحرى بنى اسرائيل

على قتال قومه ، بينما وردت الآثار في بيان اسنى الرجلين وأنها كانا من  
الاشنى عشر نقيبا كما ذكر الامام السمعاني .

( ٣ ) الطائفة آية ٢٣ .

( ٤ ) الطائفة آية ٢٤ .

وفيه قول آخر : أن معنى قوله فاذهب أنت وربك "أى وكبيرك  
وأرادوا أخاه الأكبر هارون .

والمرب تسمى الكبير ربا . قال الله تعالى فى قصة يوسف " انه  
ربى أحسن مثواى (١) أى كبيرى وأراد به عزيز مصر .

ويحتمل أنهم قالوا ذلك لموسى جهلا وغباوة ففسقوا به (٢) .

وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لما خرج يوم بدر  
قال له المقداد بن عمرو : ولا نقول لك ما قالت بنو اسرائيل لموسى  
" اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون " ولكن نقول سر أنت  
حيث شئت فانا معك سائرون (٣) .

---

(١) يوسف آية ٢٣ .

(٢) قال الزمخشري : والظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله  
وظة مبالاة بهما واستهزاء ، وقصدوا ذهابهما حقيقة لجهلهم  
وقسوة قلوبهم التى عبدوا بها المجل وسألوا بها روية الله عز  
وجل جهرة ، والدليل عليه مقابلة ذهابهما بمقودهم اه .  
راجع الكشاف ٦٠٥/١ .

(٣) رواه البخارى فى صحيحه ( ٢٢٣/٧ ) ( ٢٠٥/٨ ) والامام  
أحمد فى المسند ( ٢٥٩/٥ ) ( ٦٥/٦ ) والحاكم فى المستدرک  
٠ ( ٣٤٩/٣ )

وروي أن الأنصار قالوا يارسول الله " لو ضربت بأكبادها الى  
برك الفطاد سرنا معك " يعنى بأكباد الابل الى برك الفطاد<sup>(٢)</sup> .  
وهو موضع .<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى ( قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى ) معناه لا أملك  
الا نفسى وأخى لا يملك الا نفسه .

وقيل معناه : لا تطيعنى الا نفسى ولا يطيعنى الا أخى<sup>(٣)</sup> .  
( ما فرق بيننا وبين القوم الفاسقين )<sup>(٤)</sup> أى فافصل بيننا .  
وقيل معناه فاقض بيننا وبين القوم الفاسقين<sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) رواه مسلم فى صحيحه كتاب الجهاد ، باب غزوة بدر ( ١٧٠ / ٥ ) ،  
وأحمد فى المسند ( ١٠٥ / ٣ ) ( ١٨٨ ) .

( ٢ ) فى النهاية برك الفطاد بفتح الباء وتكسر ، وتضم الفين وتكسر وهو  
موضع باليمن ، وقال السهيلي فى الروض الأنف ( ٦٥ / ٢ ) وجدت  
فى بعض كتب التفسير أنها مدنيه السبسة .

( ٣ ) زاد المسير ( ٣٢٨ / ٢ ) .

( ٤ ) الطائفة آية ٢٥ .

( ٥ ) قال صاحب الكشاف : فان قلت : أما كان معه الرجلان المذكوران ؟  
قلت كأنه لم يشق بهما كك الوثوق ، ولم يطمئن الى ثباتهما  
لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه ، وتلوتهم  
وقسوة قلوبهم ، فلم يذكر الا النبى المصوم الذى لا شبهة فى أمره  
ويجوز أن يكون قال ذلك لفرط صخره عندما سمع منهم تقديلا لمن  
بواقفه .

ويجوز أن يريد من بواخينى على دينى " .

قلت : والاحتمال الأخير ضعيف .

تفسير الكشاف ( ٦٢٣ / ١ ) .

قوله تعالى ( قال فانها محرمة عليهم ) قيل تم الكلام .  
ومعناه أن الأرض المقدسة محرمة عليهم أبدا ولم يرد به تحريم  
تعبد وانما أراد به تحريم منع فانهم منعوا عنها فلم يدخلوها أبدا ،  
وانما دخلها أولادهم .

وقيل الآية متصلة بمضها بالبعض وانما حرمت عليهم أربعين سنة  
كما قال " فانها محرمة عليهم أربعين سنة يبتهون في الأرض ) وقد أوقفهم  
الله تعالى في التيه عقوبة لهم على ما خالفوا (١) .

وقيل ان أرض التيه التي تاه فيها بنو اسرائيل كانت ستة فراسخ  
في طول اثني عشر فرسخا .

وكان عدد التائهين فيها ستمائة ألف تاهوا فيها وكانوا كلما  
أمسوا من موضع للمسلمين ، فاذا أصبحوا أصبحوا على ذلك الموضع ، وكلما  
أصبحوا من موضع للمسلمين فاذا أمسوا أمسوا على ذلك الموضع وهكذا  
كل يوم الى أن ماتوا فيها .

وقيل كان موسى وهارون فيهم وانما توفيا في التيه (٢) .

( ١ ) راجع تفسير الطبري ( ١٠ / ١٩٠ - ١٩٢ ) .

( ٢ ) الذين قالوا بهذا القول قالوا : ان الله سهل عليهم الصواب  
كما سهل النار على ابراهيم فجعلها بردا وسلاما . . . وانهما قد  
ماتا في التيه وبقي يوشع بن نون - وكان ابن أخت موسى ووصيه  
بعد موته - وهو الذي فتح الأرض المقدسه بعد انقضاء مدة  
التيه .

وقيل لم يكونا فيهم ، وإنما كان ذلك عقوبة عليهم فلما ماتوا في التيه ونشأ أولادهم أقبل يوشع بن النون بأولادهم الى الأرض المقدسة (١) وحارب الممالقة ونصره الله تعالى عليهم حتى فتح تلك المدينة وكان يوم الجمعة وضاق النهار بهم فحبس الله تعالى الشمس ساعة حتى فتح المدينة ثم غربت الشمس من ليلة السبت ان ما كان يجوز لهم عمل في السبت ففرغ الله قلوبهم يوم الجمعة فهذا جملة الكلام في قوله "أربعين سنة يبتهون في الأرض" ( فلا تأس ) أى فلا تحزن ( على القسوم الفاسقين ) ( ٢ ) .

فقوله تعالى ( واتل عليهم نبأ بني آد مهالقي ان قربا قربانا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد : أراد به ابني آد من صلبه هابيل وقابيل .

وقال الحسن : أراد به رجلين من بني إسرائيل (٣) . والأصح هو الأول .

- 
- ( ١ ) وقيل بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم وأخذ الأرض المقدسة .  
انظر التفسير الكبير ( ١١ / ١٩٩ ) .
- ( ٢ ) المائدة آية ٢٦ .
- ( ٣ ) يعنى ليس من صلبه .
- ( ٤ ) فى الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ١٣٣ ) .  
قال ابن عطية : هذا وهم وكيف يجهل صورة الدفن أحد من بني إسرائيل يقتدى بالفراب ، والصحيح أنهم ائناه لصلبه .  
هذا قول الجمهور من المفسرين وهما قابيل وهابيل .



والقصة في ذلك قيل ان حواء كانت تلد كل بطن غلاما وجارية  
فولدت بطنا هابيل وأخته . وولد تبطننا قابيل وأخته . فأمر الله  
تمالي آدم أن يزوج أخت هابيل من قابيل ، وأخت قابيل من هابيل ،  
ولم يرض قابيل وقال أنا أحق بأختي ، وكانت أحسن من أخت هابيل .  
وفي بعض التفاسير ان قابيل قال أنا أحق بأختي لأنى من نسل  
الجنه وهابيل من نسل الأرض .

وقيل ان حواء علقته به في الجنه فمن ذلك قال انى من نسل  
الجنه ، فأمرها آدم أن يقربا قربانا فكل من يقبل قربانا فهو أولى  
بتلك الأخت وكان هابيل صاحب غنم ، وقابيل صاحب زرع . فعمد  
هابيل الى كبت من أحسن غنمه وعمد قابيل الى أخبث زرعه ووضعاه  
موضعا فجاءت النار وأكلت قربان هابيل ، وكان ذلك علامة القبول  
يومئذ ولم تأكل قربان قابيل .

فهذا معنى قوله " ان قربا قربانا فتقبل من أحدهما " يعنى  
هابيل " ولم يتقبل من الآخر " يعنى قابيل .<sup>(٢)</sup>

( قال لأقتلنك ) حسده قابيل وقصده ليقتله ، فأجاب هابيل  
وقال ( انما يتقبل الله من المتقين )<sup>(٢)</sup> . عن المعاصي<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) انظر البحر المحيط ٤٦١ / ٣ .

( ٢ ) الطائفة آية ٢٧ .

( ٣ ) رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ابن جرير الطبرى ( ٢٢٣ / ١٠ ) ،  
وابن كثير ( ٤٢ / ٢ ) عن ابن أبي حاتم وزاد السيوطى فى الدر المنثور  
( ٢٧٣ / ٢ ) نسبه الى عبد بن حميد وابن المنذر وابن عساكر .

قال الشيخ أحمد شاكر : وهو خير - كما ترى - ليس من السنة  
النبوية ، بل ظاهره يدل على أنه ما أخذه ابن عباس من كتب أهل  
الكتاب .

وعن أبي الدرداء أنه قال لأن أعلم أن الله تعالى قبل صلاة  
من صلاتي أحب إليّ من الدنيا وما فيها لأن الله تعالى يقول  
( إنما يتقبل الله من المتقين ) ( ١ ) .

قال قتادة : المتقون أهل لا اله الا الله .

قوله تعالى ( لئن بسطتالي يديك لتقتلنني ما أنا بهاسط يدي اليك  
لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين ) ( ٢ ) .

قال الحسن ومجاهد كان من شرع آدم أن من قصد بالقتل فواجب  
عليه الكف عن الدفع والصبر على الأذى وكذا كان في شرع نبينا - صلى الله  
عليه وسلم - في الابتداء .

فأما قوله ما أنا بهاسط يدي اليك " يعني بالدفع .  
وقيل لم يكن ذلك شرعا وإنما قال ذلك استسلاما للقتل وطلبها للأجر .  
وهذا جائز لكل من يقصد قتله أن يستسلم وينقاد .

---

( ١ ) رواه السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٤ ) وقال أخرجه

ابن أبي حاتم .

( ٢ ) الطائفة آية ٢٨ .

وكذا فعل عثمان<sup>(١)</sup> - رضى الله عنه - وهو أحد قولى الشافعى<sup>(٢)</sup> . وفيه قول ثالث أن المراد به لئن ابتدأت بقتلى ما أنا بصمدى\* بقتلك<sup>(٣)</sup> .

---

(١) عثمان بن عفان بن أبى المصعب ، القرشى الأوى ، أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين أبو عبد الله ذو النورين . من السابقين للإسلام ، هاجر للحبشة ثم للمدينة . روى له (١٤٦) حديثا . .  
بويح بالخلافة سنة ٢٤ هـ وفتح في عهد شمال إفريقيا وفارس .  
أحد المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى .  
قتل شهيدا سنة ٣٥ هـ ومناقبه كثيرة .

انظر ترجمته فى : (الإصابة ٢/٤٦٢ ، الاستيعاب ٣/٦٩ ، تهذيب الاسماء ١/٣٢١ ، شذرات الذهب ١/٤٠ ، تاريخ الخلفاء للسيوطى ١٤٧) .

(٢) قال القرطبى : " قال مجاهد : كان الفرغى عليهم حينئذ ألا يستل أحد سيفا ، وألا يمتنع ممن يريد قتله .  
قال علماؤنا : وذلك مما يجوز ورود التقيد به ، إلا أن فى شرعنا يجوز دفعه أجماعا ، وفى وجوب ذلك عليه خلاف ، والأصح وجوب ذلك لما فيه من النهى عن المنكر ، وفى الحشوية قوم لا يجوزون للموصول عليه الدفع " ١٣٦/٦ .

(٣) قال الجصاص : " قال ابن عباس معناه : لئن بدأتنى بقتل لم أبدأك به ، ولم يرد أنى لا أدفعك عن نفسك إذ قصصت قتلى .

فروى أنه قتله غيلة بأن ألقى عليه صخرة وهو نائم فشدقه بها " .

أحكام القرآن ٢/٤٠١ ، وراجع أدلة الجصاص على وجوب الدفع نفس المرجع (٤٠١-٤٠٣) .

والصحيح أحد القولين (١).

قوله تعالى ( انى أريد أن تبوأ بائى واشمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ) (٢).

قال ابن عباس ، وابن سمود : معناه أن ترجع بائم قتلى واشم مصاصيك التى سبقت .

فان قابيل كان رجل سوء .

وقيل : كان كافرا . وقيل أحد الذين ذكرهما الله تعالى فى حم السجدة " وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس (٣) فالذى من الجن ابليس . والذى من الانس قابيل .

---

( ١ ) قلت : واختار الطبرى ، أن الله تعالى كان حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما ، وانما قال لأخيه " ( ما أنا بباسط يدي اليك . . . ) لأنه كان حراما عليه قتل أخيه مثل الذى كان حراما على أخيه القاتل من قتله .

أما الامتناع عن قتله فليس فى الآية ما يدل عليه بسـل ذكر جماعة من أهل العلم أنه قتله غيلة .

قال الطبرى " فاذا كان ذلك ممكنا ولم يكن فى الآية دلالة على أنه كان مأمورا بترك منع أخيه من قتله لم يكن جائزا ادعاء ما ليس فى الآية الا يدها " يجب تسليمه ا . هـ .  
راجع تفسير الطبرى ٦ / ٢٤٠ .

( ٢ ) الطائفة آيه ٢٩ .

( ٣ ) فصلت آيه ٢٩ .

وقال مجاهد<sup>(١)</sup> : معنى قوله أن تبوأ بأسمى وأثمك " أن ترجع بأسمى قتلى ، وأثم مصيبتك التي لم يتقبل لأهلها قربانك ، أو أثم جسدك أياى .

وهذا اختيار الزجاج .

وقال ابن كيسان : إنما قال ذلك عن طريق التشليل . يعنى لو قتلت أهما كان عليّ الأثم .

ولو قتلت أنت كان عليك الأثم فأنا لا أقتل حتى تقتل أنت متبوءً بالأثمين فتكون كلسى الأثمين عليك<sup>(٢)</sup> .

فإن قال قائل كيف قال " أريد أن تبوأ بأسمى وأثمك " وأرادة القتل والممصية لا تجوز ؟ .

أجابوا عنه من وجوه .

أحدهما : قالوا ليس ذلك بحقيقة ارادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة ، ووطن نفسه على الاستسلام طلبا للشواب فكأنه مرید لقتله مجازاً ، وإن لم يكن مرید حقيقة<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) قال ابن جرير : والصحيح عن مجاهد القول الأول ( ٢١٤/٠ ) .

( ٢ ) قال القرطبي : قال الثعلبي : هذا قول عامة أكثر المفسرين وأيد القرطبي هذا القول واستشهد عليه بلا حديث ، ويقوله تعالسى : ( وليحطس أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم ) وذكر أقوالا أخرى وصفها . فراجع تفسير القرطبي ١٣٨/٣ .

( ٣ ) ذكر هذا الجواب الفخر الرازى فى تفسيره . انظر ( ٢٠٧/١ ) .

وقيل معناه : انى أريد أن تبوء بعقاب قتلى وعقاب قتلك فتكون ارادة على موافقة حكم الله تعالى فيه ، ولا يكون ارادة للقتل ، بسبل لموجب القتل من الاثم والعقاب .

وفيه قول ثالث : ان معناه " انى أريد أن تبوء باثني واثمك " فكأنه كان يضمنه عن القتل ، وأراد ترك القتل كيلا يبوء بالاثم (١).

قوله تعالى ( وطوعت له نفسه قتل أخيه ) . قال مجاهد فشجعت له نفسه .

وقال قتادة زينته نفسه .

وقيل (٢) : سهلت وانقادت له نفسه . ومنه يقال : هذه طينة أطاعت لها أصول الشجره : أى انقادت لاكلها (٣) . ( فقله فأصبح من الخاسرين ) (٤) أى خسر بقتله الدنيا والآخرة . أما الدنيا لأنسه أسخط والديه ، وبقي بلا أخ ، وأما الآخرة ، لأنه أسخط ربه واستوجب النار .

(١) ذكر هذا الجواب صاحب الانتصاف . انظر حاشية تفسير الزمخشري (٦٢٥/١) .

(٢) ذكره أبو الحسن الأخصى ( زاد المسير ٢/٣٣٧ ) .

(٣) قلت : وهذه المعانى كلها متقاربة . قال القرطبي : قولسه : " فطوعت له نفسه . . " أى سولتوسهلت نفسه له الأمر ، وشجعتته وصورت له أن أخيه طول سبل ، يقال : طاع الشئ " يطوع أى : سهل وانقاد ، وطوعه فلان له أى سهله " .  
الجامع لأحكام القرآن (٦/١٣٨) .

(٤) المائدة آيه ٣٠ .

والقصة في قتله اياه أنه لما أراد قتله لم يصرف كيف يقتله فجاء  
ابليس بحجر وقال أشدخ به رأسه .

ففي رواية أنه رماه بذلك الحجر وهو مستسلمه فشدخ رأسه ،  
وفى رواية أخرى أعتاله في النوم وشدخ رأسه فقتله وشربت الأرض دمه  
فلما جاء الى آدم قال له ابن هابيل ؟ فقال أجعلتنى رقيباً عليه  
ما أدري .

قال له آدم ان الأرض تصخ بدمه الى ثم لمن الأرض التي  
شربت دمه فلا تشرب الأرض بعد ذلك دماً الى يوم القيامة ، وبكى  
آدم عليه كثيراً وانشأ يقول :-

تغيرت البلاد ومن عليها  
تغير كل ذي كيون وطعم  
ووجه الأرض مفسر قبيح  
وقل بشاشة الوجه الطيِّح (١)

وهذا أول قتل جرى في بني آدم . وفى الخبر " ما من رجل يقتل الى  
يوم القيامة ، الا ولى ابن آدم كفل منه فانه أول من سن القتل " (٢) .

(١) تفسير الطبرى (٢٠٩/١٠) وهو مروى عن على بن أبى طالب عن  
غياث بن ابراهيم عن ابن اسحاق الهذلي .  
قال الشيخ شباكر : غياث بن ابراهيم النخعي الكوفي قال يعنى  
ابن معين : " كذاب خبيث " .  
وقال خالد بن الهياج : سمعت أبى يقول رأيت غياث بن ابراهيم ،  
ولو طار على رأسه غراب لجاء فيه بحديث ! وقال انه كان كذاباً  
يضع الحديث من ذات نفسه .

(٢) رواه من كتاب الجنائز ، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -  
يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه ( ١/٢٩٦-٨٠ ) .  
ومسلم من كتاب القصاص ، باب بيان اثم من سن القتل ( ٥/١٠٦ -  
١٠٧ ) .  
وأحمد ( ١/٦١-٦٢ ) .

قوله تعالى ( فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ) في القصص  
أن قابيل لما قتله رجع اليه وأخذه وجعله في جراب وحطه على عاتقه  
أربعين يوما .

وقال ابن عباس : سنة كاملة .

قال مجاهد : مائة سنة حتى أنتن على عاتقه وما كان يعرف  
مواراته فبعث الله غرابين فاقتلا فقتل أحدهما الآخر ثم ان القاتل  
منهما بحث في الأرض لبواري الثاني ، وقيل كان طكا على صورة غراب  
يبحث في الأرض .

( ليريه كيف بواري سوءة أخيه ) . ( أى جيفة أخيه ) (١) .

وقيل عورة أخيه لأنه كان قد سلبه ثيابه . (٢)

( قال ياويلتى ) وهذه كلمة دعاء الهلاك . ( وأعجزت أن أكون )

أضفت أن أكون . ( مثل هذا الضراب فأواري سوءة أخى فأصبح

من النادمين ) (٣) .

فان قال قائل هلا كان ندمه على القتل توبة منه ؟ .

قيل لم يكن ندم على القتل ؛ وإنما معناه أنه أصبح من النادمين على

حطه على عاتقه ، والتطوف به ، وما لحقه من التعب فيه .

وقيل انما ندم لظنة النفع بقتله فانه أسخط والديه ، وما نفع بقتله

شيئا فندم لذلك ، لا أنه ندم على القتل .

( ١ ) ما بين القوسين ساقط من أ .

( ٢ ) زاد المسير ( ٢ / ٣٣٨ ) .

( ٣ ) المائدة آية ٣١ .



وفي القصة أنه لما قتل استوحش من الناس وكان كلما لقسى  
انسانا ظن ( أنه )<sup>(١)</sup> يأتي ليقبله فهرب منه وكان هكذا أبدا حتى  
قتله بعض أولاده .<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى ( من أجل ذلك ) أى من خيانة ذلك<sup>(٣)</sup> كتبنا على  
بنى اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض ) .

قرأ الحسن " أو فسادا فى الأرض"<sup>(٤)</sup> وتقديره بغير نفس ، وبغير أن  
عمل فسادا فى الأرض .

والمعروف " أو فساد فى الأرض " وتقديره بغير نفس وبغير فساد  
فى الأرض من كفر أو زنا ونحوه يوجب اباحة قتله على ما قال صلى الله  
عليه وسلم " لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث ، كفر بعد ايمان ،  
أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير نفس"<sup>(٥)</sup> ( فكأنما قتل الناس جميعا )

( ١ ) ساقطة من أ .

( ٢ ) زاد المسير ( ٣٣٩ / ٢ ) .

( ٣ ) أصل معنى الأجل : الجناية التى يخشى منها أجلا . يقال : أجل  
الرجل على أهله شرا يأجله - بضم الجيم وكسرهما - أجل اذا جنناه  
أو أثاره وهيجه ، ثم استعمل فى تعليل الجنايات كما فى قولهم :  
من أجلك فعلت كذا ، أى بسببك ، ثم اتسع فيه فاستعمل فى  
كل تعليل .

راجع الجامع لأحكام القرآن ( ١٤٥ / ٦ ) .

( ٤ ) السنجام لأحكام القرآن ( ١٤٦ / ٦ ) .

( ٥ ) رواه الامام مسلم فى كتاب القصاص ، باب ما يباح به دم المسلم  
١٠٦ / ٥ ) .

وأحمد فى المسند ( ٦١ / ١ - ٦٢ ) .

قال ابن عباس معناه : من قتل نفسا بغير نفس فقد أوبق نفسه  
كما اذا قتل الناس جميعا ( ومن أحيائها فكأنما أحيى الناس جميعا )  
أى ومن امتنع عن قتل واحد من الناس فيكون كأنه أحيى الناس  
جميعا .

وقال قتادة معناه : من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا فى  
الأثم .

" ومن أحيائها " أى تعفف وامتنع عن قتلها " فكأنما أحيى الناس  
جميعا " فى الثواب .

وقيل<sup>(١)</sup> معناه من قتل نفسا " فكأنما قتل الناس جميعا " على معنى  
أن جميع الناس خصاؤه فيه . " ومن أحيائها فكأنما أحيى الناس جميعا "  
على معنى أنهم يشكرونه ويحمدونه على العفو وترك القتل<sup>(٢)</sup> .

( ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك فى  
الأرض لمسرفون )<sup>(٣)</sup> .

( ١ ) ذكره القاضى أبو يعلى . زاد السير ( ٢ / ٣٤٠ ) .

( ٢ ) قال ابن كثير فى تفسيره للآيه أى من قتل نفسا بغير سبب من قصاص  
أو فساد فى الارض واستحل قتلها بلا سبب ولا جنايه فكأنما قتل  
الناس جميعا ، لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس ، ومن  
أحيائها ، أى حرم قتلها واعتقد ذلك فقد سلم الناس  
كلهم بهذا الاعتبار ، ولهذا قال " فكأنما أحيى الناس  
جميعا " .

( ٣ ) المائدة آيه ٣٢ .

ويدخل في جملتهم كل العصاة ، وقطاع الطريق وغيرهم .  
وقوله " أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم " اختلفوا فيه .  
أنه على الترتيب ، أم على التخيير ؟ .

قال ابن عباس في رواية وهو قول الحسن وقواده وإبراهيم  
النخعي ومجاهد . أنها على التخيير . فيتخير الإمام في فصل  
هذه الأشياء (١) .

والقول الثاني وهو الرواية الثانية عن ابن عباس ، وبه قال أبو مجلز  
لاحق بن حميد (٢) : أنه على الترتيب . فان قتلوا قتلوا وصلبوا .

---

(١) وهو مذهب المالكية . مستند هذا القول أن ظاهر " أو " للتخيير  
كما في نذائر ذلك من القرآن كما في قوله تعالى في كفارة الغديه :  
" فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة  
أو نسك . . . " فأوهنا للتخيير ، وكذلك في الآية التي معنا . . . .  
تفسير ابن كثير (٥١ / ٢) ملخصا .

والقول بالتخيير هو أحد قولي الإمام مالك ونسبه القرطبي  
لأبي ثور وسعيد بن الصيب وعمر بن عبد العزيز ومجاهد والضحاك  
والنخعي قال : وهو مروى عن ابن عباس .

انظر تفسير القرطبي ٦ / ١٥٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي  
(٢ / ٥٩٩-٦٠٠) .

(٢) لاحق بن حميد بن سعيد ويقال شعيب بن خالد بن كثير بن حبيش  
ابن عبد الله بن سدوس السدوسي أبو مجلس البصري .  
قال المعجل : بصري تابعي ثقة .  
تهذيب التهذيب : (١١ / ١٧١-١٧٢) .

وان أخذوا المال قطعوا من خلاف ، وان جمعوا بين الأخذ  
والقتل قطعوا وقتلوا .

وان أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال ولم يقتلوا ينفون من الأرض (١)  
ثم اختلفوا في النفي .

قال الزهري : ان الاطام يطلبه في كل بلد يؤخذ وينفى عنه  
وهكذا يذكر به يطلب فينفى عنه .

وهذا قول الشافعي (٢) . وقال عمر بن عبد العزيز : انه ينفى من  
جميع بلاد الاسلام (٣) .

وقال أهر الكوفي : النفي من الأرض هو الحبس (٤) . والحبس نفي  
من الأرض (٥) .

قال الشاعر يصف قوما محبوسين :-

(١) وبهذا الرأي قال قتادة والاوزاعي ، وهو مذهب الشافعيه والحنابلة  
راجع مختصر المزني ص ٢٦٥ ، لكن قال الشافعي اذا قتلوا ولم  
يأخذوا فالأقتلوا ولم يصلحوا وبه قال الحنابلة .  
راجع المصنفين ٢٨٨/٨ ، ٢٨٩ ، وللحنفية تفصيل راجع في أحكام  
القرآن للجصاص ٣٩٩/٢ ، وبدائع الصنائع (٩٣/٧) .

(٢) وهو قول الحنابلة أيضا . راجع قال الشافعي في الامه " أو ينفوا  
في الأرض " وذلك التقى أن يطلبوا فيمتنعوا فقتلوا عليهم  
أقيم عليهم حد الله تبارك وتعالى الا أن يتوبوا قبل أن يقدر  
عليهم فيسقط عنهم حق الله ، وثبت عليهم حقوق الآدميين " .  
راجع الأم ١٤٦/٦ .

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس  
القرشي الأموي . أبو حفص المدني ثم الدمشقي أمير المؤمنين أمه أم عاصم  
بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب . كان اما ما عادلا . ومناقبه وفضائله كثيره  
جدا . قال في غير واحد ما تفي رجب سنة احدثا ومائة .

تهذيب التهذيب (٤٧٥-٤٧٨) .

(٤) وهو قول الحسن وابراهيم النخعي في رواية . بدائع الصنائع ٩٥/٧ .

(٥) راجع بدائع الصنائع (٩٥/٧) .

خرجننا من الدنيا ونحن من أهلها      فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى  
إذا جاءنا المسجان يوما لحاجة      عجبنا وقتنا جاء هذا من الدنيا (١)

( ذلك لهم خزي في الدنيا ) أى فضيحة ونكال (ولهم في الآخرة  
عذاب عظيم) . (٢)

( الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ) قال ابن عباس

معناه : الا الذين أسلموا لأنه حمل الآية الأولى على المشركين .

وقيل هو حقيقة التوبة فإذا تاب قذاع الطريق قبل الظفر بهم  
أمنهم الامام وهذا محكى عن على - رضى الله عنه - فانه أمن حارث بن بسدر  
لما قطع الطريق ثم تاب قبل قدرته عليه .

( وقيل ) (٣) انما تنفعه التوبة من حقوق الله تعالى ، فأما حق  
الآدمى من القود والمال فلا يسقط بالتوبة .

وهذا قول الشافعى (٤) .

وقوله " من قبل أن تقدروا عليهم " خطاب للأئمة . أى من قبل

الظفر بهم . ( فاعلموا أن الله غفور رحيم ) (٥)

( ١ ) البيتان فى الجامع لأحكام القرآن ( ١٥٣ / ٦ ) غير منسوبين .

( ٢ ) المادة آيه ٣٣ .

( ٣ ) ما بين القوسين ساقط من ب .

( ٤ ) قال الخرقى : فان تابوا من قبل أن يقدر عليهم سقطت عنهم حدود  
الله تعالى به وأخذوا بحقوق الآدميين من الأنفس والجراح والأموال  
الا أن يعفى لهم عنهم .

قال ابن قدامة لانعلم فى هذا خلافا بين أهل العلم وبه قال مالك

والشافعى وأصحاب الرأى وأبو ثور .

زاد المسير ( ٣٤٧ / ٢ ) بهاضمه .

( ٥ ) المادة آيه ٣٤ .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة )  
الوسيلة القربة . وقيل هو معنى ما ورد في الخبر ، والوسيلة درجة فسى  
الجنة ليس فوقها درجة (١) .

وقال زيد بن أسلم : أراد به تحببوا الى الله تعالى . فالوسيلة  
بمعنى المحبة (٢) وجاهدوا فى سبيله لعلكم تظفون (٣) .

قوله تعالى ( ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الأرض جميعا ومثله  
معه ليفتدوا به ) أى لو كانوا مفقدين به ( من عذاب يوم القيامة ماتقبل  
منهم ولهم عذاب أليم ) (٤) .

وفى الخبر يقول الله تعالى للكافرين يوم القيامة " لو كان لك مثل  
الأرض ذهباً أكنت مفقداً به اليوم ، فيقول بلى يارب ، فيقول الله تعالى  
سئلت أهون من هذا (٥) .

---

( ١ ) هو جزء من حديث فى صحيح مسلم من كتاب الصلاة ، باب القول  
مثل قول المؤمن ( ٤ / ١ ) .

( ٢ ) قال الراغب : الوسيلة : التوصل الى الشئ برغبة وهى أخص من  
الفضيلة لتضمنها معنى الرغبة .

وحقيقة الوسيلة الى الله مراعاة سبيله بالملم والمباداة وتجري  
مكارم الشريعة وهى كالقربة ، والواصل : الراغب الى الله تعالى .  
المفردات فى غريب القرآن ( ٥٢٣ ) .

( ٣ ) المائة آية ٣٥ .

( ٤ ) المائة آية ٣٦ .

( ٥ ) رواه الامام البخارى فى كتاب الرقاق ، باب " من نوقش الحساب  
عذب " ( ١٣٩ / ٨ ) .

قوله تعالى ( يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها  
ولهم عذاب مقيم )<sup>(١)</sup> .

فان قيل : اذا لم يكونوا خارجين منها كيف يريدون الخروج ؟ .

قيل : يريدون ذلك جهلا ظنا أنهم يخرجون .

وقيل يتمنون ذلك . فهي ارادة بمعنى التمني ، وليس بحقيقة

الارادة .

قوله تعالى ( والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ) في مصحف

ابن مسعود فاقطعوا أيماهما \* وهو معنى القراءة المعروفة .

فان قال قائل كيف قال أيديهما والمذكور اثنان ولم يقل أيديهما ؟

قيل لم يرد به سارقا واحدا أو سارقة واحدة ، وانما ذكر الجيش فلذلك

ذكر الأيدي .

قال الفراء والزجاج : كل ما يؤخذ في الانسان فاذا ذكر ثمة

اثنان يجمع يقول الله تعالى \* ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما<sup>(٢)</sup> .

وتقول العرب \* ملأت ظهرهما بطونهما ضربا \* ولكل واحد ظهر

وبطن واحد فكذلك اليمين للانسان واحد فجمع عند التنبيه<sup>(٣)</sup> . ( فان قيل

قد أمرها هنا<sup>(٤)</sup> ) بقناع آلة السرقة ولم يأمر في الزنا بقطع آلة الزنا

فما الحكمة فيه ؟ قيل كلاهما ثبت شرعا ، غير معقول بالمعنى .

( ١ ) المائدة آية ٣٧ .

( ٢ ) التحريم آية ٤ .

( ٣ ) معاني القرآن ( ١ / ٣٠٦ - ٣٠٧ ) .

( ٤ ) في ب \* فان قيل ها هنا قد أمر \* هكذا .

وقيل الحكمة فيه أن من قطع الذكر قطع النسل وليس ذلك في

قطع اليد .

ولأن اليد اذا قطعت وانزجر عن السرقة تبقى له اليسار عوضا

عن اليمين .

أما الذكر اذا قطع وحصل الانزجار لا يبقى له عوض عن الذكر ،

فكذلك افتراقاً (١) .

( وجزاء بما كسبنا نكالا من الله ) النكال : كل عقوبة تمنع

الانسان عن فعل ما عوقب عليه (٢) . ( والله عزيز حكيم ) (٣) . ومعناه مقدر

على معاقبة الخلق ، حكيم فيما أوجب من العقوبة .

وحكى عن الأصمعي (٤) أنه قال " قد كنت أقرأ هذه الآية ويجنسبى

أعرابى فقرأت نكالا من الله والله غفور رحيم ) . فقال الأعرابى :

---

(١) النكت والمعيون ( ٤٦٣/١ ) .

(٢) يقال : نكل فلان بفلان تنكيلا أى ج . صنع به صنيعا محذرا غيره .

والاسم النكال وهو ما نكلتبه غيرك . وأصله من النكل - بالكسر - وهو القيد الشديد ، وحديدة اللحام لكونهما مانعين ، وجمعه أنكال .

وسميت هذه العقوبة نكالا ، لأنها تجعل غير من نزلت به

يخاف من ارتكابها حتى لا ينزل به ما نزل بمرتكبها من قطع ليدته ،  
وفضيحة لأمره .

الجامع لأحكام القرآن (٦/١٧٤) .

(٣) الطائفة آية ٣٨ .

(٤) الأصمعي : عبد الطوك بن قريب ، أبو سعيد الباهلي البصرى امام اللغة

وأحد الأعلام فيها وفى الصربية والشعر والأدب وأنواع العلم .

مات سنة ست عشرة أو خمس عشرة ومائتين عن احدى وتسعين سنة .

غاية النهاية (١/٤٧٠) طبقات المفسرين ( ٣٥٤ ) .



هذا كلام من ؟ فقلت كلام الله . فقال الأعرابي ليس هذا من  
كلام الله . فتنهيت وقراءت \* نكالا من الله والله عزيز حكيم \* فقال  
الأعرابي : هذا كلام الله .

ثم سألته عن ذلك فقال ان الله لا يذكر العقوبة على المبد ثم  
يقول " والله غفور رحيم " وانما يليق بذكر العقوبة " المذنب الحكيم " (١)

قوله تعالى ( فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه  
ان الله غفور رحيم ) (٢)

قال مجاهد : قطع السارق توبته ، فاذا قطع فقد حصلت التوبة .  
والصحيح أن القاطع للجزاء على الخيانه كما قال " جزاء مما كسب " فلا يد  
من التوبة بعده وتوبته الندم على ما مضى ، والمزم على تركه في المستقبل (٣)

(١) زاد المسير ( ٣٥٤ / ٢ ) .

(٢) الطائفة ٣٩ .

(٣) قلت : وما ذهب اليه المؤلف هو الراجح لما رواه أحمد في المسند  
( ١٨٥ / ١ ) عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقته على عهد رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - فجاء بها الذين سرقتهم فقالوا يا رسول الله :  
ان هذه المرأة سرقتنا ، قال قومها فنحن نغديها فقال رسول الله  
- صلى الله عليه وسلم - اقطعوا يديها فقطعت يديها اليمنى .  
فقلت للمرأة : هل لي من توبه يا رسول الله ؟ قال نعم . أنت  
اليوم من خطيبتك كيوم ولدتك أمك فانزل الله عز وجل : ( فمن  
تاب من بعد ظلمه وأصلح فان الله يتوب عليه ) .

وقوله تعالى ( أليم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض ) والخطاب مع الرسول والمراد به الجميع .

وقيل معناه : أتم تعلم أيها الانسان فيكون خطابا لكل واحد من الناس .

( يعذب من يشاء ويفغر لمن يشاء ) .

قال ابن عباس : " يعذب من يشاء " على الصغيره ، ويفغر لمن يشاء الكبيره .

وقال غيره : " يعذب من يشاء " من مات مصرا " ويفغر لمن يشاء " من مات تائباً ( ١ ) . ( والله على كل شيء قدير ) ( ٢ ) .

---

( ١ ) قال الفخر الرازي : " وأعلم أنه تعالى لما أوجب قطع اليد وعقاب الآخرة على السارق قبل التوبة ، ثم ذكر أنه يقبل توبته إن تاب أردفه ببيان أن له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فيمضد من يشاء ويفغر لمن يشاء ، وإنما قدم التمذيب على المغفرة لأنه في مقابلة تقدم السرقة على التوبة .

قال الواحدى : الآية واضحة للقدرية في التمديد والتجويز وقولهم بوجوب الرحمة للمطيع ، ووجوب المذاب للمعاصي على الله ، وذلك لأن الآية دالة على أن الرحمة مفوضة إلى المشيئة والوجوب ينافي ذلك " .

التفسير الكبير ( ٦ / ٢٣٦ ) .

( ٢ ) الطائفة آية .

قوله تعالى ( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين ، يسارعون في الكفر )  
أى لا يحزنك مسارعهم في الكفر .

فان قيل كيف لا يحزنه كفرهم ، والانسان يحزن على كفر الفسير  
ومعصيته شفقة على الدين ؟ .

قيل معناه : لا يحزنك فعل الذين يسارعون في الكفر على معنى  
أن فعلهم لا يضرك ( من الذين قالوا آما بأفواههم ولم تؤمن  
قلوبهم ) يعنى المنافقين . ( ومن الذين هادوا سماعون للكذب )  
يعنى اليهود سماعون للكذب . أى وهم سماعون للكذب . أى قائلون  
للكذب كقول المصلى سمع الله لمن حمده : أى قيل الله لمن حمده . ( ٢ )

وقال الزجاج : معناه سماعون لأجل الكذب فانهم كانوا  
يسمعون من الرسول ويخرجون ويكذبون . ( ٣ )

---

( ١ ) قلت : وفى هذه الجملة الكريمة تسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم -  
وتأنيس نصبه ، وارشاد له الى ما سيقع له من أعدائه من شرور  
حتى لا يتأثر بها عند وقوعها .

قال الفخر الرازى : " أعلم أنه تعالى لما بين بعض التكليف  
والشرائع ، وكان قد علم من بعض الناس كونهم متسارعين الى الكفر  
لاجرم صبر رسوله على تحمل ذلك ، وأمره بأن لا يحزن لأجل ذلك ،  
فقال " يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر " .  
التفسير الكبير ( ٢٣٧ / ٦ ) .

( ٢ ) زاد المسير ( ٣٥٧ / ٢ ) .

( ٣ ) التفسير الكبير ( ٢٣٨ / ٦ - ٢٣٩ ) .

( سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ) أى جواسيس لقوم آخرين لسم  
يأتوك . وهم أهل خيبر يصف المنافقين واليهود .

وأما المنافقون كانوا جواسيس اليهود ، وأما اليهود كانوا  
جواسيس لأهل خيبر ، .

وسؤال سفيلان<sup>(١)</sup> هل فى القرآن للجاسوس ذكر ؟  
فقال بلى وقراً هذه الآية<sup>(٢)</sup> ( يحرفون الكلم من بعد مواضعه )  
أى من بعد ما وضعه الله مواضعه وتحريفهم الكلم هو : كتمان آية  
الرجم .

( يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فأحذروا )  
سبب نزول الآية هذا ان يهود يمين زنبلا من أشراف اليهود فكرهوا  
رجمهم فقالوا نبعث الى محمد نسأله فان أفتى بالجلد وتحميم الوجه  
نأخذ به ، وان أفتى بغيره لا يأخذ به فهذا معنى قوله " ان  
أوتيتم هذا " يعنى ما توافقوا عليه من الجلد والتحميم " فخذوه ان  
لم تؤتوه فأحذروا " أى ان أفتى بالرجم فلا تأخذوا به .

وقيل ان هذا كان فى يهود خيبر فبعثوا الى يهود المدينة حتى  
يسألوه فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفتى بالرجم .

( ١ ) هو سفيلان بن عيينه .

( ٢ ) الجامع لأحكام القرآن ( ١٨١ / ٥ ) .

وتمام القصة أنه عليه السلام دعا ابن صوريا الأعور وقال أنشدك  
بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما حد الزنا في كتابكم ؟ .

فقال أما انك ان أنشدتني بالله فحد الزنا في كتابنا الرجم .  
لكن كثر الزنا في أشرافنا فكنا اذا زنى الشريف منا تركناه ، واذا زنى  
الوضيع رحمناه . ثم اتفقنا على أمر يستوى فيه الشريف والوضيع  
وهو الجلد والتحميم .

فقال صلى الله عليه وسلم " أنا أهدى بايحاء سنة أماتوها " ودعا  
باليهود بين اللذين زنيا وأمر برجمهما .

والحديث في صحيح مسلم . ( ١ )

وفي الآية قول آخر : أنها في القتل .

والقصة في ذلك أن بنى النضير كان لهم قتل على بنى قريظة .  
كان القرظي اذا قتل يسأل محمدا فان أفتى بالدية يأخذ به ،  
وان أفتى بغيرها تحذره . فسأله فأفتى بالقود فهذا معنى قوله  
ان أوتيتم هذا فخذوه ، وان لم تؤتوه فأخذوا ( ٢ ) .

---

( ١ ) من كتاب الحدود ، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى

• ( ١٢٢/٥ - ١٢٣ )

( ٢ ) تفسير ابن جرير الطبري ( ٣٠٢/١٠ ) .

والأول أصح (١) .

( ومن يرد الله فتنته ) .

قال السدي : ضلالته .

وقال الحسن : عذابه .

وقال الزجاج : فضيحتته (٢) .

---

(١) قلت : وما ذهب إليه المؤلف بقوله " والأول أصح " هو الراجح لصحة الرواية في ذلك .

قال ابن كثير : - بعد أن ساق الأحاديث التي تؤيد الرواية الأولى - فهذه الأحاديث دالة على أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حكم بما يوافق حكم التوراة ، وليس هذا من باب الأكرام لهم بما يعتقدون صحته ، لأنهم طأمورون باتباع الشرع المحمد عملاً محالاً ولكن هذا بوحى خاص من الله - تعالى - إليه بذلك وسوءالهم إياه عن ذلك ليقررهم على ما بأيديهم مما تواطوا على كتمانهم وجموده وعد المصل به تلك الدهور الطويلة .

فلما اعترفوا به مع علمهم على خلافه ظهر زيفهم وعنادهم وتكذيبهم لما يعتقدون صحته من الكتاب الذي بأيديهم وعدولهم إلى تحكيم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما كان عن هوى منهم وشهوة لموافقة آرائهم ، لا لاعتقادهم صحة ما يحكم به ، ولهذا قالوا : " ان أوتيتم هذا فخذوه " أي : ان حكم بالجلد والتحميم فاقبلوا حكمه " وان لم تؤتوه فاحذروا " أي : وان لم يحكم بذلك فاحذروا من قبوله واتباعه " .

تفسير ابن كثير ( ٥٩ / ٢ ) .

(٢) قلت : لا تعارض بين الأقوال المذكورة .

( فلن تطك له من الله شيئا ) أى فلن تقدر على دفع أمر الله

فيه .

( أولئك الذين لم يرد الله أن يظهر قلوبهم ) وفيه دليل على

من ينكر القدر .

( لهم في الدنيا خزي ) ويرجع هذا الى المنافقين واليهود .

وأما خزي المنافقين أنه أظهر نفاقهم في الدنيا . وأمّا

خزي اليهود أنه بين تحريفهم . ( ولهم في الآخرة عذاب عظيم ) ( ١ ) .

قوله تعالى ( سماعون للكذب ) ذكره ثانيا مبالغة وتأكيذا ( ٢ ) .

( أكلون للسحت ) .

قال ابن مسعود : هو الرشوة . والسحت : الحرام ( ٣ ) .

---

( ١ ) الطائفة آية ٤١ .

( ٢ ) الجامع لأحكام القرآن ( ١٨٢/٦ ) .

( ٣ ) السحت في اللفظة - كما يقول القرطبي - أصله الهلاك والشدة ،

قال الله تعالى " فيسحتكم بعذاب " . . . ويقال للحالِق

أسحت أى استأصل ، وسمى المال الحرام سحتا لأنه يسحت

الطاعات أى يذهبها ويستأصلها .

وقال الفراء : أصله كلب الجوع ، يقال رجل مسحوت المعسده

أى أكوب ، فكأن بالمسترشى وأكل الحرام من الشره ، الى ما يعطى

مثل الذى بالمسحوت الممدة من التهم .

وقيل : سمي الحرام سحتا لأنه يسحت مروءة الانسان " .

الجامع لأحكام القرآن ( ١٨٢/٦ - ١٨٣ ) .

قال صلى الله عليه وسلم \* كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به (١) .

وأصل السحت : الاستئصال . فالحرام سحت لأنه مستأصل  
البركة .  
قال الشاعر (٢) :-

وغنى زمان بابن مروان لم يدع من المال الا سحتنا أو محلّس

يعنى الا مال لبركة فيه وأشياء قلائل .

( فان جأوك فاحكم بينهم أو أعرس عنهم ) .

قال ابن عباس : هو منسوخ بقوله \* وأن أحكم بينهم بما أنزل

الله \* .

وبه قال مجاهد وعكرمة (٣) .

---

(١) رواه السيوطى فى الدر المنثور (٢/٢٨٤) وعزاه الى عبد بن حميد وابن مردويه عن ابن عمر وتام الحديث قيل يارسول الله وما السحت قال الرشوة فى الحكم .

(٢) البيت للفردق ، النقائض (٢/٥٥٦) وفيها : أو مجرف ، وهو فى معانى القرآن (٢/١٨٣) وفى اللسان " جلف " وفى الخزانة (٢/٣٤٧) والنكت والمعيون (١/٤٦٧) والجامع لأحكام القرآن (٦/١٨٣) .

(٣) قال أبو جعفر النحاس فى " الناسخ والمنسوخ " (١٢٩) : وهو الصحيح من قول الشافعى ، قال فى كتاب " الجزية " : ولا خيار له اذا تحاكموا اليه ، لقوله عز وجل : ( حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون التوبة ٢٩ . وهذا من أصلح الاحتجاجات ، لأنه اذا كان معنى : " وهم صاغرون " أن تجرى عليهم أحكام المسلمين ، وجب ألا يردوا الى أحكامهم ، فانما وجب هذا فالآية منسوخة ، وهو أيضا قول الكوفيين : أبى حنيفة وزفر وأبى يوسف ومحمد ، لاختلاف بينهم اذا تحاكم أهل الكتاب الى الاماكنه ليس له أن يصرغ عنهم ، غير أن أبى حنيفة قال : اذا جاءت المرأة والنزوح فعليه أن يحكم بينهما بالمدل ، فان جاءت المرأة وحدها ولم يوزن النزوح لم يحكم . . وقال الباقر : بل يحكم .



وقال الشعبي والنخعي وهو قول الحسن : انها ليست بمنسوخة<sup>(١)</sup> .  
قال الحسن : ليس في المائدة آية منسوخة .

وقالوا معنى قوله " وأن أحكم بينهم بما أنزل الله"<sup>(٢)</sup> .  
يعنى ان حكمت واحترت الحكم وليس بأمر حتم .  
ثم هذا التخيير بين الحكم الاعراضى فيما اذا تحاكم  
ذميان .

فأما اذا تحاكم مسلم وذمى يجب الحكم .  
وقيل هذا التخيير فى الحكم بحقوق الله تعالى .  
وأما فى حقوق الآدميين فلا بد من الحكم .  
( وان تمرغى عنهم ظن يضررك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم  
بالقسط ) أى بالعدل . ( ان الله يحب المقسطين )<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) وقد أفتى بهذا القول عطاء عن أبى رباح ومالك بن أنس والقرطبي  
( ١٨٤/٦ ) واليه ذهب قتاده ، وهو اختيار ابن جرير الطبري  
.( ٣٣٠/١٠ )

( ٢ ) المائدة آية ٤٩ .

( ٣ ) المائدة آية ٤٢ .

قوله تعالى ( وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله )  
هذا تصحيح للرسول يعنى كيف يتحاكمون اليك وفي زعمهم أن عندهم  
التوراة وهى الحق وانك كاذب . ( ثم يتوبون من بعد ذلك )  
أى لا يرضون بحكمك ( وما أولئك بالمؤمنين <sup>(١)</sup> ) أى بمصدقين لك .

قوله تعالى ( انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها  
النبيون الذين أسلموا ) أى أسلموا لأمر الله كما قال لبراهيم أسلم  
قال أسلمت لرب العالمين <sup>(٢)</sup> أى سلمت لأمر رب العالمين .

وأراد به النبيين الذين بعثوا بعد موسى ليحكموا على حكم  
التوراة .

وقوله ( للذين هادوا ) فيه تقديم وتأخير وتقديره فيهما هدى  
ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين أسلموا <sup>(٣)</sup> .

( والريانيون ) وقيل هو على موضعه . ومعناه يحكم بها  
النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا وهو مثل قوله " أولئك لهم  
اللعنة " أى عليهم اللعنة .

---

( ١ ) الطائفة آيه ٤٣ .

( ٢ ) البقره آيه ١٣١ .

( ٣ ) هو قول الزجاج . زاد المسير ( ٢ / ٣٦٤ ) .

وقال صلى الله عليه وسلم لعائشه " اشترطى لهم الولا (١) أى  
عليهم الولا " .

وكذا قال النحاس .

وقيل فيه حذف كأنه قال للذين هادوا . على الذين هادوا  
فحذف أحدهما اختصارا .

" والريانيون " . قال أبو رزین : هم الملماء والحكماء .  
وأصل الريانى ربّ العلم فزيد فيه الألف والنون للمبالغة .  
وقيل الريانيون من النصارى ، والأخبار من اليهود .  
وقيل كلاهما من اليهود ، والريانيون فوق الأخبار (٣) .  
وقال المبرد : والأخبار مأخوذ من التحبير وهو التحسين .

---

( ١ ) رواه البخارى من كتاب المكاتب ، باب استمالة المكاتب وسوءاله الناس  
( ١٢٧ / ٣ ) ومن كتاب السرقة ، باب السرقة فى الولا ( ١٧٧ / ٣ )  
والامام مسلم من كتاب المعتقد ، باب انما الولا لمن أعتق ( ٢١٤ / ٤ ) .

( ٢ ) أبو رزین مسمود بن مالك الأسدى أسد خزيمه مولى أبى وائل  
الأسد الكوفى .  
قال ابن أبى حاتم سئل أبو زرعه عن أبى رزین فقال اسمه مسمود  
كوفى ثقة .  
وكان عالما فهما . ذكره ابن حبان فى الثقات .  
توفى سنة خمس وثمانين .  
تهذيب التهذيب ( ١١٨ / ١٠ - ١١٩ ) .

( ٣ ) الريانى : كما يقول ابن جرير : الملماء والحكماء ، البصراء  
بسياسة الناس وتدبير أمورهم والقيام بمصالحهم .

وقال القرطبى ما ملخصه : الحبر والحبر - بالفتح والكسر -  
الرحل العالم وهو مأخوذ من التحبير بمعنى التحسين والتزيين ،  
فهم يميزون العلم . أى : بينونه يزينونه ، وهو محير فسى  
صدورهم .

تفسير الطبرى ( ٣٩ / ٦ ) تفسير القرطبى ( ١٨٩ / ٦ ) .

ومنه الحديث " يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسيره <sup>(١)</sup> .  
أى حسنه وجماله .

وقيل هو من التحبير بمعنى التأشير .  
ومنه الحبر فسمى المالم حبرا لتأثير علمه فيبه .  
وفى غيره كأنه المالم المامل والحبر والحبر واحد وجمعه  
الأخبار .

وقال الفراء : وأكثر ما سمعت الحبر يكسر الحاء وجمعه  
أخبار .

( بما استحفظوا ) أى بما استودعوا ( من كتاب الله وكانوا عليه  
شهداء فلا تخشوا الناس وأخشوني ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا  
ومن لم يحكم بما أنزل الله وأولئك هم الكافرون ) <sup>(٢)</sup> .

قال البراء بن عازب وهو قول الحسن : الآية فى المشركين <sup>(٣)</sup> .  
قال ابن عباس الآية فى المسلمين . وأراد به كفر دون  
كفر .

---

( ١ ) لم أجده .

( ٢ ) المائدة آية ٤٤ .

( ٣ ) قلت : لا دليل على هذا الخصوص ان العبرة بمموم اللفظ لا بخصوص  
السبب كما أن الكلام أدخل فيه كلمة " من " فى معرض  
الشرط فيكون للمموم .

.. / ..

قال القرطبي : " قال ابن سمعون والحسن : هي عامة في كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أي معتقدا ذلك ومستحلا له ، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه راكب محرم فهو من فساد المسلمين ، وأصره إلى الله تعالى أن شاء عذبه وإن شاء غفر له " .

الجامع لأحكام القرآن (٦ / ١٩٠) .

وقال عكرمة : قوله " ومن لم يحكم بما أنزل الله " إنما يتناول من أنكر بظنه وجحد بلسانه ، .

أما من عرف بظنه كونه حكم الله وأقر بلسانه كونه حكم الله ، إلا أنه أتى بما يضاده فهو حاكم بما أنزل الله تعالى ، ولكنه تارك له ، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية " .

التفسير الكبير ( ٧ / ١٢ ) .

وأعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية ويقولون من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر<sup>(١)</sup>.

وأهل السنة قالوا لا يكفر بترك الحكم<sup>(٢)</sup>.

(١) قال الألوسي مالم يخصه ؛ واحتجت الخوارج بهذه الآية على أن الفاسق كافر غير مؤمن ، ووجه استدلالهم بها أن كلمة " من " في قوله : " ومن لم يحكم . . . " عامة شاملة لكل من لم يحكم بما أنزل الله ، فيدخل الفاسق المصدق أيضا لأنه غير حاكم وغير عامل بما أنزل الله .

وأجيب عن شبهتهم بأن الآية متروكة الظاهر ، فان الحكم وان كان شاملا لمعقل القلب والجوارح لكن المراد به هنا عمل القلب وهو التصديق ، ولا نزاع في كفر من لم يصدق بما أنزل الله تعالى . . . .  
تفسير الألوسي ( ١٤٥ / ٦ ) .

(٢) قلت : ما ذكره المؤلف بقوله " وأهل السنة قالوا لا يكفر بترك الحكم " ليس على إطلاقه إذ أنهم يمتدنون أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الله ، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة ، ويكون كفرا أصغر ، بحسب حال الحاكم فانه ان اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه ، أو استهان به بمد تيقنه أنه حكم - فهذا كفر أكبر .

وان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله ، وعلمه في هذه الواقعة ، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للمقوبه فهذا عاص ، ويسمى كفرا أصغر .

وان جهل حكم الله فيها مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم واخطأ ، فهذا مخطئ ، له أجر على اجتهاده ، وخطؤه مفسور .

راجع شرح الطحاوية ( ٢٦٣ - ٢٧٠ ) .

وللاية تأويلان :-

أحدهما : معناه : ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا واحدا " فأولئك هم الكافرون " .

والثاني : معناه : ومن لم يحكم بكل ما أنزل الله " فأولئك هم الكافرون " والكافر هو الذي يترك الحكم بكل ما أنزل الله دون المسلم .

قوله تعالى ( وكتبتنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والمدين بالمدين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ) ويقرأ بقراءتين من قوله " والمدين بالمدين " فيقرأ والنصب السى آخره .

ويقرأ بالرفع (١) ، شرع القصاص في النفس والأطراف في هذه الآية وأشار إلى أنه كان حكم التوراة .

( فمن تصدق به ) يعني بالعفو عن القصاص ( فهو كفارة له ) اختلفوا في أن كتابة الهاء راجعة إلى من .

---

(١) قرأ الكسائي بالرفع في الخمسة ووافق في الجروح خاصة ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر وابن عامر وقرأ الباقيون بالنصب .

النشر في القراءات العشر ( ٢ / ٢٤٥ ) وانظر الكشف ( ٤٠٩١ ) .

قوله تعالى ( وأنزلنا اليك الكتاب بالحق ) بمعنى القرآن ( مصدقا  
لما بين يديه من الكتاب ) بمعنى سائر الكتب المنزلة قبله ( ومهيئنا عليه ) .

قال ابن عباس : أى أمينا عليه .

قال المبرد : أصله مؤمينا فقلبت الهمزة هاء كما يقال أرقى

الماء وهرقته : ومعناه : الأيمن .

وقيل<sup>(١)</sup> : معناه : شاهدا عليه . وقال أبو عبيد : أى رقيبا وحافظا<sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) هو قول قتاده والسدي . النكت والميون ( ٤٧١ / ١ ) .

( ١ ) فى مجاز القرآن ( ١٦٨ / ١ ) " ومهيئنا عليه " أى مصدقا مؤتمنا  
على القرآن وشاهدا عليه .

قلت : وهذا القول نسبه صاحب زاد المسير ( ٣٧١ / ٢ )  
للخليل .

قال ابن جرير : وأصل الهمينه الحفظ والارتقاب ، يقال :  
إذا رقب الرجل الشئ وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه ،  
فهو يهيمن هيمنة ، وهو عليه مهيمن .

تفسير الطبرى ( ٢٦٦ / ٦ ) .



والمعاني متقاربة<sup>(١)</sup> . ومعنى الكل ان كل الكتاب يصدق القرآن  
ويشهد بصدقه فهو كتاب الله ومالا فلا .

وقرأ مجاهد : مهيمنا - بفتح الميم - يعنى محمد موثعنا عليه<sup>(٢)</sup> .  
وفى الأثر أن عمر - رضى الله عنه - قال " اذا دعوت الله فهيمنا " أى  
أمنوا . قال الشاعر<sup>(٣)</sup> :-

---

(١) قال ابن كثير : " وهذه الأَقوال متقاربة المعنى ، فان اسـم  
" المهيمين " يتضمن هذا كله فهو أمين وشاهد وحاكم على كل  
كتاب قبله ، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذى أنزله أخطر  
الكتب وخاتمها وأشطبها وأعظمها حيث جمع فيه محاسن  
ما قبله وزاده من الكلمات ما ليس فى غيره ، ولهذا جعله شاهدا  
وأميना وحاكما عليها كلها ، وتكفل تعالى حفظه بنفسه الكريمه ،  
فقال : " انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " الحجر آيه ٩ .  
تفسير ابن كثير (٢/٦٥) .

(٢) قال ابن جرير الطبرى بمد حكايته هذا القول عن مجاهد : " وهذا  
التأويل بعيد من المفهوم فى كلام العرب ، بل هو خطأ ، وذلك  
أن " المهيمين " عطف على " المصدق " فلا يكون الا صفة  
لما كان المصدق صفة له .

قال : " ولو كان الأمر كما قال مجاهد لقال : وأنزلنا اليك  
الكتاب بالحق مصداقا لما بين يديه من الكتاب مهيمنا عليه .  
يعنى : من غير عطف " .  
تفسير الطبرى (٦/٢٩٧) .

(٣) البيت فى اللسان مادة همن (١٣/٤٣٧) غير منسوب وروايته فيه :  
ألا ان خير الناس بعد نبيه مهمنة التالىه فى العرف والنكسر

ألا ان خبر الناس بعد محمد مهيمنة تالية في العرف والنكسر  
أراد أبا بكر أمينه وحافظه يتلوه في الأمر بالمعروف والنهي  
عن الضكر .

( فأحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من  
الحق ) أي لا تعرض عما جاءك من الحق وتتبع أهواءهم ( لكل جعلنا  
منكم شريعة ومنهاجا ) .  
فالشريعة : الطريق الواضح . وكذلك المنهاج .

قال الصمد : الشريعة ابتداء الطريق . والمنهاج : الطريق  
ال مستمر .  
( ١ )

وأعلم أن الشرائع مختلفة ولكل قوم شريعته فلاهل التوراة شريعة ،  
ولأهل الانجيل شريعته . ولأهل الاسلام شريعة .

وأما الدين في الكل واحد ، وهو التوحيد . ( ولو شاء الله  
لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم ) أي ليختبركم ( فيما أتاكم فاستبقوا  
الخيرات ) فبادروا الى الخيرات ( الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم  
بما كنتم فيه تختلفون ) ( ٢ ) .

---

( ١ ) راجع الجامع لأحكام القرآن ( ١ / ٢١١ ) .

( ٢ ) الطاعة آية ٤٨ .

قوله تعالى ( وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ) .

وقيل سبب نزول الآية : أن قوما من رؤساء اليهود جاءوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لو أننا بك أمن بك غيرنا ولنا خصومات بين الناس فناقضنا لنا عليهم نوء من بك ويتبعنا غيرنا<sup>(١)</sup> . ولم يكن قصدهم الايمان به وإنما قصدوا التلبيس ودعوتهم الى الحكم بالميل فنزلت الآية . ( واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا ) يعنى فان عرضوا ( فأعلم أننا يزيد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ) .

وقيل معناه : بكل ذنوبهم فعبر بالبعض عن الكل .  
وقيل تصيبهم بمعنى ذنوبهم فى الدنيا<sup>(٢)</sup> . ( وان كثروا من الناس لفاسقون )<sup>(٣)</sup> .

---

(١) رواه ابن جرير الطبرى ( ٣٩٣/١٠ ) والسيوطى فى الدر المنثور ( ٢٩٠/٢ ) والقرطبى فى تفسيره ( ٢١٣/٦ ) والواحدى فى أسباب النزول ( ١٦١ ) .

(٢) عبر سبحانه عما يصيبهم من عقاب بأنه بسبب ارتكابهم لبعض الذنوب للإشارة بأن لهم ذنوبا كثيرة بعضها كاف لانزال العقوبة الشديدة لهم .  
الكشاف ( ٦٤١/١ ) .

(٣) المائدة آيه ٤٩ .

وقوله ( أفحكم الجاهلية بيغنون ) يقرأ بالياء والتاء<sup>(١)</sup> . ومعناها .

واحد .

يعنى انهم اذا لم يرضوا بحكم الله ، وأرادوا خلاف حكم الله

فقد طلبوا حكم الجاهلية .

وقرأ الحسن وقتادة والأعمش والأعرج " أفحكام الجاهلية " يعنى

الحاكم " بيغنون " يظلمون ( ومن أحسن من الله حكما لقوم

( ٢ )

يوقنون ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

أولياء بعضهم أولياء بعض ) .

قيل نزلت فى عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن سلول ، اختصاصا

فقال عبادة : أنا أتبرأ من اليهود ولا أتولاهم .

وقال عبد الله بن أبي : أنا أتولاهم ، ولا أتبرأ منهم ، فأنى أخشى

الدوائر فنزلت الآية<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) قرأ ابن عامر بالتاء على الخطاب . وقرأ النباقون بالياء .

الكشف ( ٤١١ / ١ ) والتشر ( ٢ / ٢٤٥ ) .

( ٢ ) الطائفة آية . . .

( ٣ ) رواه الواحد فى أسباب النزول ( ١٩١ ) والسيوطى فى الدر المنثور

( ٢ / ٢٩١ ) وابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١٠٠ / ٣٩٥ ) .

وقيل<sup>(١)</sup> نزلت في أبي لبابه بن عبد المنذر ، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم - الى بني قريظة حين حاصره . فاستشاروا في النزول ، وقالوا ماذا تصنع بنا اذا أنزلنا فأشار اليهم بالقتل وجعل اصبعه على حلقه ، يعني بقتلكم متضمنا لهم .<sup>(٣)</sup>

وقيل<sup>(٤)</sup> نزلت في يوم أحد . فانه لما انقضى حرب أحد ، وأصاب المسلمين ما أصابهم قال بعض أهل المدينة : نحن نتولسى اليهود . وقال بعضهم : نتولى النصارى ، فانا نخشى أن لا يتم أمر محمد وأن يدور الأمر علينا فنزلت الآية<sup>(٥)</sup>

- 
- ( ١ ) رواه أبو صالح عن ابن عباس ، وهو قول عكرمة . زاد المسير ( ٣٧٧/٢ ) .  
 ( ٢ ) أبو لبابه بن عبد المنذر الأنصاري مختلف في اسمه فقيل اسمه بشير وقيل : رفاعه ، وقيل : مروان .  
 قال ابن اسحاق : زعموا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - رد أبا لبابه والحارث بن حاطب بعد أن خرجا معه الى بدر فأمر أبا لبابه علسي المدينة وضرب لهما بسهميهما وأخبرها مع أصحاب بدر . وقالوا كان أحد النقباء ليلة الموقعة .  
 يقال مات في خلافة علي .  
 وقال خليفه : مات بعد مقتل عثمان ويقال عاش الى بعد الخمسين .  
 الاصابه ( ١٦٨/٤ ) .

- ( ٣ ) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ٣٩٨/١٠ ) .  
 ( ٤ ) هو قول السدي ومقاتل . زاد المسير ( ٣٧٨/٢ ) .  
 ( ٥ ) الطبري ( ٣٩٧/١٠ ) .

" لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض " (١) (ومن يتولهم منكم فإنه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين ) (٢) .

قوله تعالى ( فترى الذين في قلوبهم مرض ) أى نفاق ( يسارعون فيهم ) يمدنى فى معونتهم ومولاتهم . وفيه حذف ، كما قال الله تعالى " وأسأل القرية (٣) أى أهل القرية ( يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ) .

قال ابن عباس معناه : نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا . وقال غيره معناه : نخشى أن يكون قحط . فلا يتفضلوا علينا بالشار وإذا كانت اليهود أصحاب النخيل والثمار . والأول أصح .

( فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ) .

(٥) قيل أراد به فتح مكة . وقيل هو فتح قري اليهود مثل خيبر وفدك وتيما ووادي القري . " أو أمر من عنده " قيل هو اتمام أمر محمد . (٨) وقيل هو اجسلا بنى النضير . وقيل بنى قريظة وقيل هو الاخبار

(١) قلت : وعلى كل فالخطاب فى قوله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء " للمؤمنين جميعا فى كل زمان ومكان . ان المبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

(٢) الطائفة آية ٥١ .

(٣) يوسف آية ٨٢ .

(٤) رواه أبو صالح عن ابن عباس . زاد المسير ( ٢ / ٣٧٩ ) .

(٥) ذكره ابن عباس والسدى . زاد المسير ( ٢ / ٣٧٩ ) .

(٦) قول الضحاك . زاد المسير ( ٢ / ٣٧٩ ) .

(٧) ذكره قتادة والزجاج . الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ٢١٨ ) .

(٨) قاله ابن السائب . الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ٢١٨ ) .

بأسماء المنافقين ليفضحوا<sup>(١)</sup> . ( فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم  
نادمين<sup>(٢)</sup> .

( ويقول الذين آمنوا ) يعنى اليهود حين انكشف حال المنافقين<sup>(٣)</sup>  
( أهولاً<sup>٤</sup> الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم أنهم لممكم حبطت  
أعمالهم فأصبحوا خاسرين<sup>(٤)</sup> ) .

( ١ ) قلت الفتح يطلق بمعنى التوسمه بعد الضيق كما فى قوله " ولو  
أن أهدى القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء " . " ويطلق  
بمعنى الفصل بين الحق والباطل . ومن ذلك قوله تعالى : " ربنا  
افتح بيننا وبين قومنا بالحق " ويطلق بمعنى الظفر والنصير  
كما فى قوله تعالى " أنا فتحنا لك فتحا مبينا " ولفظ الفتح هتتا  
يشمل هذه الأمور الثلاثة فهو سعة بعد ضيق ، وفصل بين  
حق وباطل ، ونصر بعد جهاد طويل .

( ٢ ) الطائفة آيه ٥٢ .

( ٣ ) قال صاحب الكشاف " فان قلت : لمن يقولون هذا القول ؟ قلت :  
إما أن يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم ، واعتباطا بما من الله  
عليهم من التوفيق فى الاخلاص " أهولاً<sup>٥</sup> الذين أحسنوا " بأغظ  
الايان أنهم أولياؤكم ومماخذكم على الكفار ، واما أن يقولوا  
للبيهود لأنهم أى المنافقون حلفوا لهم بالمعاذة والبصيرة ،  
كما حكى الله عنهم " ولئن قوتلتم لننصرنكم " ثم خذلوهم " .

تفسير الكشاف ( ١ / ٦٤٣ ) .

( ٤ ) الطائفة آيه ٥٣ .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ) وقرأ  
أهل المدينة والشام : " من يرتد (١) والممنى واحد ( فسوف يأتسى  
الله بقوم يحبهم ويحبونه ) .

قال علي والحسن : نزل هذا في أبي بكر وأصحابه .  
وكان الحسن يحلف على هذا أنه نزل في أبي بكر وأصحابه . ( وذلك )  
أن النبي - صلى الله عليه وسلم لما خرج الى رحمة الله ارتدت العرب ولم  
يبق الاسلام الى في ثلاثة مساجد .

مسجد مكة ، ومسجد المدينة ، ومسجد البحرين ، فهم أبوبكر  
بالمقاتل وكره الصحابة ذلك وقالوا ان بعضهم منع الزكاة ، ولم يتركوا  
الصلاة .

وقال أبوبكر \* والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة \* . وقيل  
انه سل سيفه وخرج وحده وقال أقاتل وحدي . ثم رافقه الصحابة .

---

( ١ ) في النشر ( ٢٤٦ / ٢ ) قرأ المدنيان وابن عامر بدالين الأولى  
مكسورة والثانية مجزومة وكذا هو في مصحف أهل المدينة  
والشام .

وقرأ الباقر بدال واحدة مفتوحه شديدة وكذا هو في  
مصحفهم \* .

( ٢ ) طابن القوسين ساقتا من ب .



قال ابن مسعود : كرهنا ذلك في الابتداء ، ثم حمدناه عليه في

الانتها .

قال أبو بكر بن عياش<sup>(١)</sup> : سمعت أبا حصين يقول " ما ولد مولود  
بعد النبيين أفضل من أبي بكر لقد قام مقام نبي من الأنبياء " .  
يعني في قتال أهل الردة ، ووردهم الى الاسلام<sup>(٢)</sup> .

وروى عياض الأشعري<sup>(٣)</sup> أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه  
الآية " فسوف يأتي الله بقوم " وأشار الى أبي موسى الأشعري

---

( ١ ) أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الخياط المقرئ مولى واصل  
الأجدب .

ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن عدي : أبو بكر هذا كوفي مشهور  
وهو يروى عن أجلة الناس وهو من مشهورى مشايخ الكوفة وقرائهم .  
مات سنة اثنتين وتسعين وقيل : ثلاث وقيل أربع وتسعين .  
تهذيب التهذيب ( ١٢ / ٣٤-٣٧ ) .

( ٢ ) قال الألويسي ما ملخصه : هذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها  
القرآن قبل وقوعها وقد وقع المخبر به على وقتها فيكون معجزا .  
وقد روى أنه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة .  
تفسير الألويسي ١٦٠ / ٦ .

( ٣ ) عياض بن عمرو الأشعري مختلف في صحبته . روى عن النبي - صلى  
الله عليه وسلم - وعن أبي موسى وعن امرأة أبي موسى .  
قال ابن أبي حاتم عن أبيه روى عن النبي - صلى الله عليه وسلم -  
مرسلا وروى عن أبي عبيدة يعني ابن الجراح .  
تهذيب التهذيب ( ٨ / ٢٠٢ ) .

وقال : هذا وأصحابه<sup>(١)</sup> ، وكانوا من أهل اليمن . ولأهل اليمن أمر  
عظيم في الفتوح التي وقعت في الاسلام .

وقد صح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال " الايمان يمان  
والحكمة يمانية<sup>(٢)</sup> .

وقيل<sup>(٣)</sup> : أراد بالآية قوما كان أكثرهم من أهل اليمن فتحسبوا  
القادسية في زمان عمر - والأول أصح<sup>(٤)</sup> .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤١٥/١٠) والحاكم في  
المستدرک (٣١٣/٣) وقال : حديث صحيح على شرط مسلم  
ولم يخرجاه .

وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦/٧) ، وقال رواه الطبراني  
ورجاله رجال الصحيح ، ورواه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٢/٢)  
وزاد نسبه لابن أبي شبيه في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي  
وابن أبي حاتم وأبي الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في الدلائل .

(٢) البخاري من كتاب المناقب ، باب قول الله تعالى " انا خلقناكم من ذكر  
وأُنثى (١٥٤/٤) ومن باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (١٢٢/٥)  
ومسلم من كتاب الايمان ، باب تفاضل أهل الايمان فيه ورجحان أهل  
اليمن فيه (٥١-٥٢/١) وأحمد في المسند (٢٢٥/٢) .

(٣) رواه الضحاك عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد ( زاد المسير ٢/٣٨١) .

(٤) قلت : والذي نراه أنهم قوم ليسوا مخصوصين بزمن معين أو بلد  
معين ، أو أشخاص معينين وانما هم كل من تنطبق عليهم هذه  
الصفات الجليلية ، فكل من أحب الله وأحبه الله ، وتواضع للمؤمنين  
وأغلظ على الكافرين ، وجاهد في سبيل الله دون أن يخشى أحدا  
سواه فهو منهم ، أما ذواتهم فيعلمها الله وحده لأنه لم يرد  
نص صحيح يعتمد عليه في بيان المراد بهؤلاء القوم .

( أدلة على المؤمنين ) ليس من الذل ، وإنما هو من الذلة ،  
وهي اللين .<sup>(١)</sup>

وقوله . ( أعزة على الكافرين ) ليس من العز ، وإنما هو من  
العزة وهي الشدة يعني ان جانهم ليس على المؤمنين ،  
شديد على الكافرين .

وقرأ ابن مسعود ، أدلة على المؤمنين غلظة على الكافرين  
وهي معنى القراءة المصروفة .

( يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ) يعني  
لا يخافون في الله لوم الناس .

وروى ابن مسعود عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال من  
أراد الجنة لا شك فلا يخف في الله لومة لائم .<sup>(٢)</sup>

( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم )<sup>(٣)</sup>

---

( ١ ) أدلة جمع دليل وأما ذلول فجمعه ذلل ، وليس المراد يكونهم أدلة  
هو أنهم مهانون بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب ،  
فان من كان ذليلاً عند انسان فانه البتة لا يظهر شيئاً من التكبير  
والترفع ، بل لا يظهر الا الرفق واللين فكذا ها هنا .  
التفسير الكبير ( ٢٦ / ١٢ ) .

( ٢ ) لم أجده .

( ٣ ) الطائفة آية ٥٤ .

قوله تعالى ( انما وليكم الله ورسوله ) هذا راجع لقوله " لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء " لما ضمهم من موالاة اليهود والنصارى ، دعاهم الى موالاة الله ورسوله ( والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتوا الزكاة وهم راكعون )<sup>(١)</sup> يعني يصلون الا أنه خص الركوع تشريفاً .

وقيل<sup>(٢)</sup> معناه : خاضعون<sup>(٣)</sup> .

وقال السدي وهو رواية عن مجاهد : أن هذا في علي ابن أبي طالب كان في الركوع وسكين يطوف في المسجد فنزع خاتمه ودفع اليه<sup>(٤)</sup> .

---

(١) المائدة آية ٥٥ .

(٢) قلت : والأولى أن يكون أنهم يعطون ما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وهم خاشعون خاضعون لله تعالى ان الركوع قد يطلق بمعنى الخضوع لله تعالى .  
قال الراغب : الركوع : الانحناء وتارة يستعمل في الهيئة المخصوصة في الصلاة ، وتارة يستعمل في التذلل والتواضع ، أما في العبادة وأما في غيرها " .  
انظر المفردات في غريب القرآن ٢٠٢ .

(٣) راجع زاد المسير ( ٣٨٤ / ٢ ) .

(٤) ذكره ابن كثير ( ٧١ / ٢ ) وقال رواه ابن مردويه من حديث علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - نفسه وعمار بن ياسر وأبي رافع وليس يصح شيء منها بالكيفية لضعف أسانيدھا وجهالسة رجالها .

فهذا معنى قوله " ويؤتون الزكاة وهم راكمون " .  
وعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر أنه قال : نزلت الآية  
في المؤمنين .

ف قيل له ان قوما يقولون ان الآية نزلت في علي بن أبي طالب .  
فقال أبو جعفر علي من المؤمنين .<sup>(١)</sup>

وقوله " انما وليكم الله ورسوله " : أراد به الولاية في الدين  
لا ولاية الاماره والسلطنة ، وهم فوق كل ولاية .

قال أبو عبدة : وكذلك معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - من كنت  
مولاه ، فعلى مولاه<sup>(٢)</sup> . يعنى من كنت وليا له أعينه وأنصره فعلى يمينه  
وينصره في الدين .

---

( ١ ) قلت : والراجح أن المراد بالذين آمنوا عامة المؤمنين وليس فرادا  
مدينا منهم .

قال تمالى ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعضهم يأمرون بالمعروف  
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأيمون بالله  
ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ) التوبة آية ٧١ .

وما ورد من آثار تقييد ان المراد بالذين آمنوا شخصا مدينا وهو  
علي ابن أبي طالب - رضى الله عنه - لا يعتمد عليهما ، لأنهما كما يقول  
ابن كثير : " لم يصح شئ " منهما بالكيفية لضعف أسانيدها وجهالة  
رجالها " .

( ٢ ) رواه السيوطى في الدر المنثور وقال رواه الطبرانى في الأوسط .  
وابن مردويه عن عمار بن ياسر .

قوله ( ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم  
الغالبون )<sup>(١)</sup> أى جند الله هم الغالبون .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا  
دينكم هزوا ولعبا ) هذا فى اليهود ، كانوا اذا سمعوا المؤمن  
ضحكوا وتغامزوا بينهم .<sup>(٢)</sup> ( من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم )  
يعنى اليهود ( والكفار ) سائر الكفرة ( أولياء ) أى لا تتخذوا  
هؤلاء أولياء .

وقرأ الكسائى وأبو عمرو " والكفار بكسر الراء"<sup>(٣)</sup> . يعنى ومتن  
الكفار .

وكذا فى حرف أبى بن كعب " ومن الكفار أولياء " ( واتقوا  
الله ان كنتم مؤمنين )<sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) الطائفة آيه ٥٦ .

( ٢ ) تفسير ابن جرير الطبرى ( ٤٢٩ / ١٠ ) .

( ٣ ) قرأ البصريان والكسائى بخفض الراء ، وقرأ الباقر بنصبها ومن  
خفض فهو على أصله فى الإمالة والفتح وقفا ووصلا .  
التشر فى القراءات المشر ( ٢٤٦ / ٢ ) .

( ٤ ) الطائفة آيه ٥٧ .

( وإذا ناديتهم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولحبا ) هذا بيان لاتخاذهم الدين هزوا في الآية الأولى . ( ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ) ( ١ ) .

وفي الحكايات أن واحدا من المنافقين يقال له صخرة سمع المؤذن يؤذن فقال حرق الله الكاذب . فجاءه خادمه بسراج في بعض تلك الليالي ، فوقف استمراره من السراج ولم يعلم به باحترق هو وما في البيت . ( ٢ ) .

قوله تعالى ( قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا ) أى هل تكرهون منا ( الا أن آمننا بالله وما أنزل علينا وما أنزل من قبله وأن أكثركم فاسقون ) ( ٣ ) . أى هل تنقمون منا الا بايماننا وفسقكم . قال الشاعر : ( ٤ )  
ما نقموا من بنى أمية  
الا أنهم يحلمون ان غضبوا .  
أى ماكرهوا من بنى أمية .

( ١ ) الطائفة آية ٥٨ .

( ٢ ) رواه ابن جرير ( ٤٣٠ / ١٠ ) وزاد المسير ( ٣٨٦ / ٢ ) .  
وقال القرطبي : كان اذا أذن المؤذن وقام المسلمون الى الصلاة قالت اليهود : قاموا لا قاموا ، وكانوا يضحكون اذا ركع المسلمون وسجدوا ، وقالوا في حق الأذان : لقد ابتدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم . فمن أين لك صياح مثل صياح الصير ؟ فما أصبحه من صوت ، وما أسمعته من أمر . . . . .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٢٢٤ / ٦ ) .

( ٣ ) الطائفة آية ٥٩ .

( ٤ ) البيت لعبد الله بن قيس الرقيان وهو في ديوانه ٦٧ ، وتفسير الطبري ( ١٦٧ / ٦ ) والجامع لأحكام القرآن ( ٢٣٤ / ٦ ) واللسان  
نقم .

قوله تعالى ( قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوية عند الله )  
 أى قل أخبركم بشر من ذلك ثوابا وعاقبة عند الله<sup>(١)</sup> . ( من لعنه الله  
 وغضب عليه ) يعنى اليهود ( وجعل منهم القردة والخنازير ) .

قيل جعل القردة من اليهود ، والخنازير من النصارى ، فالذي يسم  
 جعلهم قردة من اليهود أصحاب السميت ، والذي يسم خنازير  
 من النصارى أصحاب المائدة .

وقيل كلاهما من اليهود . فجعل شبانهم قردة ، وشيوخهم  
 خنازير<sup>(٢)</sup> .

( وعبد الطاغوت ) أى ومن عبد ( الطاغوت أى من لعنه الله ومن  
 عبد الطاغوت . وقرأ<sup>(٣)</sup> حمزه " وعبد الطاغوت " بضم الباء فى عبد وكسر

( ١ ) المثوية : مصدر ميمي بمعنى الثواب الثابت على العمل ، وأكثر  
 استعمالها فى الخبر ، وقد استعملت هنا بمعنى المقوية على  
 طريقة التهكم بهم كما فى قوله تعالى " فبشرهم بعذاب أليم " .

وأصل مثوية مفعولة فألقيت حركة الواو على التاء فسكنت الواو  
 وبعدها واو ساكنة فحذفت احدهما لذلك بومثله مقوله ومجوزه ،  
 ومضوفه على معنى المصدر كما قال الشاعر :-

وكفت اذا جارى دعا لمضوفه أشمر حتى ينصف الساق مشزى  
 وقيل : مفعله كقولك مكرمه ومعظه .

الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ٢٣٤ ) .

( ٢ ) زاد الصير ( ٢ / ٣٨٧ - ٣٨٨ ) .

( ٣ ) ما بين القوسين ساقط من أ .



التاء في الطاغوت (١) . والمبد واحد . قال الشاعر (٢) :  
أننى لبينى ان أمكم أمه وان أباكم عمه  
أى كما عهد .

وقيل هذا خطأ من حمزة . والأول أصح (٣) .  
ويقرأ في الشوان " عباد الطاغوت (٤) " ويقرأ " وعبيدة  
الطاغوت (٥) " وتقديره وجعل منهم عباد الطاغوت . والكل فى  
المنى سواء . ( أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل (٦) ) أى  
عن طريق الحق .

---

( ١ ) وقرأ الهاقون بالفتح والنصب . النشر فى القراءات المشسر  
٠ ( ٢٤٦ / ٢ )

( ٢ ) الميت لأوسين حجر وهو فى اللسان " عهد " ( ٢٧٣ / ٣ ) والبحر  
المحيط ( ٥٢٠ / ٣ ) .

( ٣ ) قلت وما رجحه المؤلف بقوله : " والأول أصح " وهو الراجح لأن  
القراءة سنة متعمه متواتره عن النبى - صلى الله عليه وسلم - .

( ٤ ) هى قراءة أبو حبة وابن حذلم ، وعمرو بن فائد .  
زاد المسير / ٢ / ٣٩٠ .

( ٥ ) وهى قراءة قتاده وهذيل بن شرحبيل . زاد المسير ( ٣٨٩ / ٢ ) .  
قلت : وقد تمددت القراءات فى قوله " وعبد الطاغوت " حتى  
ذكر صاحب زاد المسير والكشاف فيها أكثر من عشرين قراءة إلا أن  
مانظها الحجة من القراءة هو الذى تجوز القراءة به دون ط سواء .

( ٦ ) المادة آبه ٦ .

قوله تعالى ( واذا جاؤكم قالوا آمنا ) قيل<sup>(١)</sup> نزلت الآية في قوم من اليهود دخلوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - وقالوا انا آمنا بك وصدقناك فيما قلت ، وهم يسرون الكفر فنزلت الآية<sup>(٢)</sup> " واذا جاؤكم " يعني أولئك " قالوا آمنا " وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به ( يعني دخلوا كافرين ، وخرجوا كافرين ) والله أعلم بما كانوا يكتمون<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( وترى كثير منهم يسارعون في الاثم والعدوان ) قيل الاثم : المماصي . والعدوان : الظلم<sup>(٤)</sup> . وقيل الاثم : كتمان أسرار محمد صلى الله عليه وسلم ، وما كتموا من التوراه<sup>(٥)</sup> .

- 
- ( ١ ) هو قول قتاده والسدي وابن زيد . زاد المسير ( ٢ / ٣٩٠ - ٣٩١ )  
وتفسير الطبري ( ١٠ / ٤٤٥ ) .
- ( ٢ ) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره ( ١٠ / ٤٤٥ ) والسيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٢٩٥ ) وزاد نسبه الى ابن أبي حاتم وعبد ابن حميد وابن المنذر .

( ٣ ) الطائفة آيه ٩١ .

( ٤ ) تفسير البغوي ( ٢ / ٧٠ ) بهامش الخازن .

( ٥ ) تفسير البغوي ( ٢ / ٧٠ ) بهامش الخازن .

والعدوان : ما زادوا في التوراة<sup>(١)</sup> . ( وأكلهم السحت ) قد بينا معنى  
السحت والسحت<sup>(٢)</sup> لفتيان<sup>(٣)</sup> ، وقيل أراد به أكلهم الربا . ( لبس  
ما كانوا يعطون )<sup>(٤)</sup> .

قوله تعالى ( لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم  
السحت ) يعني هلا ينهاهم الربانيون .<sup>(٥)</sup> وقد ذكرنا معنى الربانيين .<sup>(٦)</sup>

( ١ ) قلت : لا خلاف بين القولين المذكورين ، إذ الاثم هو كل قول  
أو عمل لا يرضاه الله تعالى ، فيكون كمان أمر محمد - صلى الله  
عليه وسلم - وما كنتموا من التوراه داخل فيه .  
والعدوان : هو مجاوزة الحد في الظلم والتقوى فيكون زيادتهم  
في التوراه داخل فيه .

قال ابن جرير الطبري : " فإن الذي هو أولى بتأويل  
الكلام : أن يكون القوم موصوفين بأنهم يسارعون في جميع  
معاصي الله ، لا يتحاشون من شيء منها ، لا من كفر ولا من  
غيره ، لأن الله تعالى ذكره عم في وصفهم بما وصفهم به ممن  
أنهم يسارعون في الاثم والعدوان ، من غير أن يخص بذلك اثما  
دون اثم .

الطبري ( ١٠ / ٤٤٧ ) .

( ٢ ) راجع الآيه ( ٤٢ ) من نفس السور .

( ٣ ) راجع اللسان " سحت " .

( ٤ ) الطائده آيه ٦٢ .

( ٥ ) قال صاحب زاد المسير ( ٢ / ٣٩١ ) : " وهذه الآيه من أشد الآيات  
على تاركى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لأن الله تعالى جمع بين  
فاعل المنكر وتارك الانكار في الذم .  
قال ابن عباس : ما في القرآن آيه أشد توبيخا من هذه الآيه " .

( ٦ ) راجع تفسيره للآيه ( ٧٩ ) من آل عمران والآيه ( ٤٤ ) من نفس  
السوره .

وقيل هو منسوب الى الرب كالبحراني منسوب الى البحرين . والبحراني  
منسوب الى بحرانه . ( لبئس ما كانوا يصنعون )<sup>(١)</sup> .  
وفي حرف ابن مسعود " يعطون " وكلاهما واحد .

قوله تعالى ( وقالت اليهود يد الله مغلولة ) سبب هذا أن اليهود  
كانوا في خصب وسعة ورزق قبل هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما  
هاجر الى المدينة ضيق الله الرزق عليهم فقالت اليهود النبي يد الله  
مغلولة " أي ممسكة لا ينفق كأنهم نسبيوه الى البخل " .<sup>(٢)</sup>

وقال الحسن : أرادوا به يد الله مغلولة لا يمد بنا<sup>(٣)</sup> ( بها<sup>(٤)</sup> )  
( غلت أي يدهم ) يجيبهم الله تعالى فقال أنا الجواد وهم البخلاء ،  
وأيد يدهم هي المغلولة الممسكة . قال الزجاج .

وقيل : معناه : أنهم يمدون يوم القيامة ( ولمنوا بما قالوا )  
فمن لمنهم أنهم مسخوا قرده وخنازير ومن لمنهم أنهم ضرب عليهم  
الذلة والجزية ( بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ) يعسني  
يد الله مبسوطتان يرزق وينفق على مشيئته كيف يشاء .

( ١ ) المائدة آية ٦٣ .

( ٢ ) تفسير البغوي ( ٧٠ / ٢ ) وزاد المسير ( ٣٩٢ / ٢ ) .

( ٣ ) تفسير الطبري ( ٤٥٢ / ١٠ - ٤٥٣ ) .

( ٤ ) ما بين القوسين ساقط من ب .

( ٥ ) ذكره الحسن . النكت والميون ( ٤٧٥ / ١ ) .



قوله تعالى ( ولو أن أهل الكتاب آمنوا ) بمحمد ( واتقوا )  
يعنى عن المعاصي<sup>(١)</sup> لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأد خلناهم جنات النعيم<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم  
من ربهم ) يعنى ولو أنهم قاموا وعطوا بما فى التوراة وما فى الانجيل  
وما فى القرآن<sup>(٣)</sup> . ( لاأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ) .

قيل<sup>(٤)</sup> من فوقهم من مطر السماء ، ومن تحت أرجلهم من نبات الأرض .

---

( ١ ) قال الفخر الرازى : وأعلم أنه سبحانه لما بالغ فى ذمهم وفى تهجين  
طريقهم عقب ذلك ببيان أنهم لو آمنوا واتقوا لوجدوا سعادات  
الآخرة والدنيا أما سعادات الآخرة فهى مضمورة فى نوعين .  
أحدهما : رفع العقاب .  
والثانى : إيصال الثواب .

أما رفع العقاب فهو المراد بقوله " بكفرنا عنهم سيئاتهم " .  
وأما إيصال الثواب فهو المراد بقوله : " ولأد خلناهم جنات  
النعيم " .

أما سعادات الدنيا فقد ذكرها فى قوله بعد ذلك : " ولو  
أنهم أقاموا التوراه . . . " .  
راجع التفسير الكبير ( ٤٦ / ١٢ ) .

( ٢ ) المائدة آية ٦٥ .

( ٣ ) قلت : المراد باقامة التوراة والانجيل : العمل بما فيها من بشارات  
بصدق النبى صلى الله عليه وسلم - وحضهم على الايمان به عنسند  
ظهوره ، وتنفيذ ما اشتعلا عليه من أحكام أيديها تعاليم الاسلام .

( ٤ ) مروى عن ابن عباس ومجاهد وقتاده . زاد المسير ( ٢ / ٣٩٥ ) .

وقيل من فوقهم ومن تحت أرجلهم معناه : أنه يوسع عليهم  
الرزق قاله الزجاج . وهو نظير قول القائل فلا في الخير من  
الفرق الى القدم . أى وسع عليه الحيز . (١)

وقيل يحتمل أن يكون المراد من بقوله " من فوقهم " من كسب  
أبائهم . " ومن تحت أرجلهم " من كسب آبائهم . فهذا نظير  
قوله تعالى " ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من  
السماء والأرض " (٢) . ونظير قوله تعالى " وأن لو استقاموا على الطريقة  
لأسقيناهم ماء عذقا " (٣) . ( منهم أمة مقصدة ) أى عادلة ( وكثير  
منهم ساء ما يعطون ) (٤)

قوله تعالى ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك )  
قالت عائشه : من قال ان محمد كتم شيئا من الوحي فقد أعظم  
الفرية . ومن قال ان محمدا رأى ربه ليلة المعراج فقد أعظم الفرية ،  
فان الله تعالى يقول " لا تدركه الأبصار " (٥) والخبر في الصحيح . (٦)

(١) رد الامام ابن جرير الطبرى هذا القول لمخالفته أقوال السلف .  
الطبرى (٤٦٤/١) .

(٢) الأعراف آيه ٩٦ .

(٣) الجن آيه ١٦ .

(٤) المائدة آيه ٦٦ .

(٥) الانعام آيه ١٠٣ .

(٦) البخاريفى صحيحه من كتاب التفسير متفسر سورة المائدة " يا أيها  
الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك (٦٦/٦) ، وتفسر سورة النجم  
(٦/١٧٥، ١٧٦) ، ومن كتاب التوحيد ، باب قول الله " يا أيها  
الرسول بلغ . . . " (٩/١٩٠) وأخرجه الامام مسلم من كتاب  
الايان ، باب قول الله عزوجل : " ولقد رآه نزلة أخرى " .

( وان لم تفعل فما بلغت رسالته ) فيه معنيان :  
أحدهما معناه : أن لم تبلغ الجميع وتركت واحدا ، فما بلغت شيئا  
يعنى جرمك في ترك التبليغ في واحد كجرمك في تركه الكل .  
وقيل معناه : بلغ ما أنزل اليك أى تبليغه . وهذا مثل  
قوله تعالى " فاصدع بما تؤمر " (١) . وان لم تفعل " يعنى وان لم تظهر  
تبليغه . " فما بلغت رسالته " . ( والله يعصمك من الناس ) قالت  
عائشه - رضى الله عنها : " كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل نزول  
هذه الآية يأتيه قوم يحرسونه فلما نزلت هذه الآية أخرج رأسه وقيل  
انصرفوا فان الله يعصمني (٢) .

( ١ ) تفسير البغوى ( ٧٤ / ٢ ) .

( ٢ ) الحجر آية ٩٤ .

( ٣ ) رواه الترمذى ( ٩٦ / ٤ ) والطبرى فى تفسيره ( ٤٦٩ / ١٠ ) والحاكم  
فى المستدرک ( ٣١٣ / ٢ ) وقال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم  
يخرجاه .

( ٤ ) لقد تضمنت هذه الجملة الكريمة معجزة كبرى للرسول صلى الله عليه  
وسلم فقد عصم الله تعالى حياة رسوله عن أن يصيبها قتل أو اهلاك  
على أيدي الناس مهما دبروا له من مكر وكيد .

لقد نجاه من كيدهم عندما اجتمعوا لقتله فى دار النسيوة  
ليلة هجرته الى المدينة ونجاه من كيد اليهود عندما هموا بالقاء  
حجر عليه وهو جالس تحت دار من دورهم ونجاه من مكرهم عندما  
وضعت احدى نساءهم السم فى طعام قدم اليه صلى الله عليه  
وسلم ، الى غير ذلك من الأحداث التى تصرخ لها النبى - صلى  
الله عليه وسلم - من أعدائه ، ولكن الله تعالى نجاه منهم " .  
راجع كتاب " اعلام النبوه " للماوردى .



قال محمد بن كعب القرظي : نزلت الآية في كافر سل سيفه  
وهم بقتله - صلى الله عليه وسلم - فسقط السيف من يده وجعل يضرب  
رأسه على شجرة حتى انتشر دماغه<sup>(١)</sup> . ( ان الله لا يهدي القوم الكافرين )<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا  
التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم ) أي تعطوا بالكسل .  
( وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ) هو  
ما ذكرنا ( فلا تأس ) فلا تحزن ( على القوم الكافرين )<sup>(٣)</sup> .

---

(١) رواه ابن جرير الطبري ( ١٠٦/١٠ ) ( ٤٧٠/١٠ ) وابن كثير

(٢) ( ١٤٥/٢ ) وراجع تعليق الشيخ محمود شاكر عليه . الاثر

٠ ( ١١٥٦٦ )

(٢) الطائفة آيه ٦٧ .

(٣) الطائفة آيه ٦٨ .

قوله تعالى ( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى )

قال الكسائى ونحاة الكوفة : تقديره : هم والصابئون .

وقال سيوييه : فى الآية تقديرهم وتأخير وتقديره ان الذين

آمنوا والذين هادوا والنصارى ( من آمن بالله واليوم الآخر وعمسـل

صالحا فلا خسوف عليهم ولا هم يحزنون )<sup>(١)</sup> والصابئون كذلك<sup>(٢)</sup> .

وقوله " من آمن بالله " يعنى الذين آمنوا باللسان من آمن منهم

بالقلب .

وقيل ان الذين آمنوا " على حقيقة الايمان .

وقوله " من آمن بالله " أى من ثبت على الايمان بالله .

وأما فى حق اليهود والنصارى والصابئين فهو محمول على حقيقة

الايمان .

قوله تعالى ( لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ) قد ذكرنا الميثاق<sup>(٣)</sup>

( وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم ففريقا

كذبوا ) يعنى عيسى ومحمد ( وفريقا يقتلون )<sup>(٤)</sup> يعنى زكريا ويحيى .

( ١ ) المائدة آيه ٦٩ .

( ٢ ) يشير المؤلف الى رفع " الصابئين " فى الآية وكان حقه النصب .

راجع حاشية الجمل على الجلالين ( ١ / ٥١١ ) والتفسير الكبير ( ٥٥ / ٨٢ )

وزاد المسير ( ٢ / ٣٩٨-٣٩٩ ) .

( ٣ ) راجع تفسيره للآيه ( ٨١ ) من آل عمران والآيه ( ١٨٢ ) .

( ٤ ) المائدة آيه ٧٠ .

وقوله ( وحسبوا ألا تكون فتنة ) أى عذاب ( ففموا  
وصموا ثم تاب الله عليهم ) يعنى عموا وصموا بمد موسى ثم تاب الله  
عليهم ببعث عيسى ( ثم عموا وصموا كثير منهم ) بالكفر بمحمد ( ١ )  
( ٢ )  
( والله بصير بما تعبطون ) .

---

( ١ ) قلت : الآية تدل على أن عماهم وصممهم عن الهداية الى الحق  
حصل مرتين .

واختلف المفسرون فى المراد بهاتين المرتين على وجوه مختلفة  
الا أننا نرى أن تحديد عماهم وصممهم وتوبتهم بزمان معين أو  
بجريمة أو جرائم معينة تابوا بمدها ، هذا التحديد غير  
مقتنع ولا يقوم على دليل .

ولعل الأحسن منه أن نقول ان القرآن الكريم يصور ما عليه  
بنو اسرائيل من صفات ذميمة ، وطباع مدمجة ، ومن نقض للصهيود  
والمواثيق ، فهم أخذ الله عليهم العهد فنقضوها ، وأرسل  
اليهم الرسل فاعتدوا عليهم ، وظنوا أن عدوانهم هذا شىء  
هين ولن يصيبهم بسببه عقاب دنيوى ، فلما أصابهم العقاب  
الدنيوى كالحفظ والمعناة والهزائم بسبب مفاسد هم تابوا الى الله  
فقبل الله توبتهم ورفع عنهم عقابه ، فعادوا الى عماهم وصممهم  
الا قليلا منهم وارتكبوا ما ارتكبوا من منكرات يتصميم وتكرار  
بما صابهم سبحانه بتفنن لم يثبت عليهم منها . \* وما كان اللسب  
ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون \* .

( ٢ ) الطائفة آية ٧١ .

قوله تعالى ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم )  
قد ذكرنا معنى المسيح .<sup>(١)</sup>

قال النخعي : سمي مسيحا لأنه كان يمسخ الأرض .

وأما الدجال يسمى مسيحا وقد ورد الخبر بكونه مسيحا مطلقا  
فانه عليه السلام قال : " يعقل المسيح من قبل المشرق وهمته بالمدينه<sup>(٢)</sup> .

وورد في الخبر المسيح الدجال وقال عليه السلام : " لا يدخل  
رعب المسيح الدجال المدينه أبدا<sup>(٣)</sup> .

( وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه ممن  
يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وطأواه النار ) .

روى أبو سفيان طلحة بن نافع<sup>(٤)</sup> عن جابر أن النبي - صلى الله عليه  
وسلم - سئل بالموجبتان فقال : " من وحد الله لا يشرك به شيئا وجبت له

---

( ١ ) راجع تفسيره للآية ( ٤٥ ) من آل عمران .

( ٢ ) رواه الامام مسلم في صحيحه من كتاب الحج باب رقم ٤٨٦ .

والامام أحمد في مسنده ( ١٩٧ / ٢ ) ( ٤٥٧ / ٢ ) .

( ٣ ) رواه الامام البخاري من كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ( ١٠٢ / ٨ ) .

( ٤ ) طلحة بن نافع القرشي مولا هم أبو سفيان الواسطي ويقال المكسي  
الاسكافي .

قال أحمد : ليس به بأس .

وقال النسائي : ليس به بأس .

وذكره ابن حبان في الثقات وروى له البخاري مقرونا بغيره .

قال ابن حجر : له لم يخرج له البخاري سوى أربعة أحاد يث عن  
جابر .

تهذيب التهذيب ( ٢٦ / ٥ - ٢٧ ) .

الجنة ، ومن أشرك بالله وجبت له النار<sup>(١)</sup> ) وما للظالمين من  
أنصار<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى ( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة )  
فيه حذف . أى ثالث ثلاثة آلهه ، ولا بد من هذا التقدير لأنه يجوز  
أن يقال هو ثالث ثلاثة كما قال<sup>(٣)</sup> " ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو  
رابصهم<sup>(٤)</sup> .

وقوله " ثالث ثلاثة " هو قولهم أب وابن وروح القدس وهذا  
قول اليعقوبية منهم .

وقالوا روح القدس لا هو ولا غيره ، وكذلك الابن ، والله مجموع  
الكل . ( وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين  
كفروا ) أى ليصين الذين كفروا ( منهم عذاب أليم )<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) رواه الامام مسلم في صحيحه من كتاب الايمان ، باب من مات لا يشرك  
بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات شركاً دخل النار ( ٦٥-٦٦ )  
والامام أحمد في مسنده ( ٤٧٢/٣ ) ( ٣٩٤-٣٩٥ ) .

( ٢ ) المائدة آية ٧٢ .

( ٣ ) دل على المحذوف قوله " وما من اله الا اله واحد " .  
قال الزبيح : ومعنى ثالث ثلاثة : أنه أحد ثلاثة . ودخلت  
" من " في قوله : " وما من اله " للتوكيد .  
زاد المسير ( ٣٠٤/٢ ) .

( ٤ ) المجادلة آية ٧ .

( ٥ ) المائدة آية ٧٣ .

قوله تعالى ( أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه ) أرشدهم الى التوبة والاسلام ( والله غفور رحيم ) .<sup>(١)</sup>

قوله تعالى ( ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله ) أى مضت وسميت الأيام الماضية ( الخالية لخلوها )<sup>(٢)</sup> ومعنى هذا اننا أرسلنا غيره ، وأعطينا من المعجزات ما أعطينا غيره من (الرسول ) وأمه صديقة ) والصديق : كثير الصدق وهو للصانفة .<sup>(٣)</sup> ومنه سمي أبوبكر الصديق -رضى الله عنه - صديقا . وقيل سمي صديقا لأنه قيل له ان صاحبك يقول : اسرى بي الى السماء فقال : ان هو قال ذلك فقد صدق .<sup>(٤)</sup>

---

( ١ ) المائدة آية ٧٤ .

( ٢ ) ساقدة من أ .

( ٣ ) فى التمسك بفضيلة الصدق مثل شرب مسك ومسك صانفة فى الشرب والمسك .

قال الراغب : والصديق من كثر منه الصدق ، وقيل : بل يقال لمن لم يكذب قط .

وقيل : بل لمن لا يأتى منه الكذب لتعوده الصدق . .

وقيل : لمن صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله .

قال تعالى " أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . . . " فالصدقون هم قوم دون الأنبياء فى الفضيلة .

( ٤ ) سيرة ابن هشام .

( كانا يأكلان الطعام ) أى يتفذيان بالطعام ، ومعناه ان من يتفذى  
بالطعام لا يكون اليها يعبد .

وقال ابن قتيبه : هو كناية عن الحدث ، يعنى انهما يأكلان  
ويشربان ويتبولان ويتغوطان . ومثل هذا لا يكون اليها يعبد<sup>(١)</sup> .

( انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون )<sup>(١)</sup> .

قال ابن قتيبه : وهذا من ألطف البيان . وقوله " يؤفكون " .  
أى يصرفون ومنه سعى الكذب افكا لأنه مصروف عن الحق .

قوله تعالى : ( قل أتعبدون من دون الله مالا يهلك لكم ضرا

ولا نفعنا ) يعنى عيسى ومثله ( والله هو السميع العليم )<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) زاد المسير ( ٤٠٤ / ٢ ) .

( ٢ ) الطائفة آيه ٧٥ .

( ٣ ) الطائفة آيه ٧٦ .

قوله تعالى ( قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق )  
الغلو : مجاوزة الحد وهو مذموم ، وكذلك التقصير ، ود بين الله وبين  
الغلو والتقصير ( ١ ) ولا تتبعوا أهواء قوم ( الأهواء جمع الهوى وهو مقصور .  
وأما الهواء الممدود فهو الجو . والهوى : كل ما تدعو اليه  
شهوة النفس لا الحجة ( ٢ ) . قد غلوا من قبل وأضلوا كثيرا وغلوا عن  
سواء السبيل ( ٣ ) فان قيل ما معنى هذا التكرير . قال الزجاج معنى  
قوله " وغلوا عن سواء السبيل " يعني بالاضلال ، والأول من الضلاله .  
وقيل ضلوا من قبل الاضلال وغلوا بعد الاضلال فكأنهم ضلوا

مرتين .

( ١ ) روى الامام أحمد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
اياكم والفلو في الدين فانما هلك من كان قبلكم بالفلو في الدين  
" مسند الامام أحمد ج ٢ رقم ٢٢٥ طبعة الحلبي .

وروى البخاري عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قال " لا تطروني كما أطرت الناس ابن مريم ، انما أنا عبد  
فقولوا عبد الله ورسوله . " صحيح البخاري باب واذكر في الكتاب  
مريم من كتاب الأنبياء ( ٤ / ٢٠٤ ) .

وروى مسلم عن ابن مسعود أن رسول الله - صلى الله عليه  
وسلم - قال هلك المتنطمون قالها ثلاثا " صحيح مسلم كتاب  
الملم ( ٥٨ / ٨ ) والمتنطمون هم المشددون المتجاوزون للحدود  
التي جاءت بها تعاليم الاسلام .

( ٢ ) قال الفخر الرازي الأهواء ههنا المذاهب التي تدعو اليها الشهوة  
دون الحجة .  
قال الشعبي : ما ذكر الله لفظ الهوى في القرآن الا انه . قال " ولا تتبع  
الهوى فيضلك عن سبيل الله " وقال " واتبع هواه فتردى " وقال " وما  
ينطق عن الهوى " وقال " رأيت من اتخذ الهه هواه " .  
التفسير الكبير ( ١٣ / ٦٣ ) .

( ٣ ) المائدة آية ٧٧ .



قوله تعالى ( لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ) فالذين لعنوا على لسان داود هم أصحاب السبت ، والذين لعنوا على لسان عيسى أصحاب المائدة وأولئك الذين جعلهم الله قردة ، وهو لاء الذين جعلهم خنازير ( ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ) (١) .

قوله تعالى ( وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ) (٢) التناهى تفاعل من النهى (٣) والمنكر : كل ما أنكره الشرع .

وفي الخبر قال صلى الله عليه وسلم - أول ما دخل النقص فسى بني اسرائيل أن الرجل منهم كان اذا نهى صاحبه عن منكر كان لا يعضمه بعد ذلك أن يكون جليسه وأكيله وشريبه فضرب الله تعالى قلب بعضهم بالبعثى وعمهم بالعقاب . ثم قال صلى الله عليه وسلم - والذي نفسى بيده حتى تأخذوا على يدي الظالم فتأطروه على الحق أطراً (٤) أى تمطفوه (٥) .

(١) المائدة آية ٧٨ .

(٢) قال الفخر الرازى : وللتناهى ههنا معنيان ؛ أحدهما : وهو الذى عليه الجمهور - أنه تفاعل من النهى أى : كانوا لا ينهاه بعضهم بعضاً ، والمعنى الثانى : فى التناهى انه بمعنى الانتهاى عن الأمر ، وتناهى عنه اذا كف عنه .

التفسير الكبير (٢ / ٦٤) .

(٣) المائدة آية ٧٩ .

(٤) رواه الامام أحمد فى مسنده (١ / ٣٩١) .

(٥) النهاية لابن الاثير (٣ / ٥٣) .

قوله تعالى ( تترى كثير منهم يتولون الذين كفروا ) أى يوالونهم  
( لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى المصناب  
هم خالدون ) ( ١ )

( ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء )  
يعنى الكفار ( ولكن كثيرا منهم فاسقون ) ( ٢ )

فان قيل لم سماهم فاسقين وهم كفرون :  
قيل معناه : خارجون عن أمر الرب : والكفار خارجون عن  
كل أمره :

وقيل معناه : متمردون أى هم مع كفرهم متمردون : ( ٣ )  
قوله تعالى ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود  
والذين أشركوا ) يعنى شركى مكه :

( ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى )  
قيل ( ٤ ) ان الآية فى قوم من النصارى أريمنين نقرا : اثنان وثلاثون  
من الحبشه ، وثمانيه من رهبان الشام جاءوا الى النبي صلى الله  
عليه وسلم - وأسلموا وفيهم نزلت الآية : لا فى النصارى الكفرة  
لأنهم فى عداوة المسلمين مثل اليهود .

( ١ ) المائدة آيه ٨٠ .

( ٢ ) المائدة آيه ٨١ .

( ٣ ) تفسير الخازن ( ٢ / ٧٩ ) .

( ٤ ) ذكره السدى : تفسير الطبرى ( ١٠ / ٥٠١ ) .

وقيل<sup>(١)</sup> ان الذين أسلموا من الحبشة كان فيهم النجاشي .  
 فقدم جعفر الطيار<sup>(٢)</sup> الحبشة فدعا النجاشي فقرأ عليه سورة مريم  
 وعنده الأسافقه والرهبان فبكوا حتى أفضلوا لحاهم وأخذ النجاشي  
 داه سيده وقال لم يعد عيسى ماظت ولا قدر هذا وأسلموا<sup>(٣)</sup> .  
 وقيل<sup>(٤)</sup> نزلت الآية في قوم من النصارى كانوا متمسكين بدين  
 بدين عيسى لم يحر فوا فأمنوا بمحمد<sup>(٥)</sup> .

( ١ ) فهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير .

النكت والمعيون ( ١ / ٤٧٩ ) .

( ٢ ) جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن  
 قصي . أبو عبد الله ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأحمد  
 السابقين الى الاسلام وأخو علي شقيقه .  
 كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكنيه أبا الماسكين .  
 وقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - أشبهت خلقي وخلقى .  
 هاجر الحبشة فأسلم النجاشي ومن تبعه على يديه .  
 استشهد بموته من أرض الشام مقبلا غير مدبر مجاهدا للروم  
 في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - سنة ثمان في جمادى الأولى  
 وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - رأيت جعفرا يطير في الخيمة  
 مع الملائكة .

الاصابة ( ١ / ٢٣٧-٢٣٨ ) .

( ٣ ) أسباب النزول للواحدى ( ١٩٦-١٩٧ ) .

( ٤ ) ذكره قتاده . النكت والمعيون ( ١ / ٤٧٩ ) .

( ٥ ) مروى عن قتاده وهو قول الزجاج .

تفسير الطبري ( ١٠ / ٥٠١ ) وزاد المسير ( ٢ / ٤٠٨ ) .

وقيل هو في كل النصارى ومعناه أنهم ألين عداوة من اليهود<sup>(١)</sup> .

( ذلك بأنهم منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون )<sup>(٢)</sup> .

قال قطرب : القسيس المابد بلغة الروم ، وهو التمام في اللفظة<sup>(٣)</sup> .

قال الشاعر<sup>(٤)</sup> :

تمسين من قسي الحديث غوافلا لا جمبرات ولا مطسامللا

---

(١) قال ابن جرير يمد أن ساق الروايات في سبب نزول هذه الآيات .

" والصواب في ذلك من القول عندي ، أن الله تعالى

وصف صفة قوم قالوا انا نصارى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يجدهم أقرب الناس مودة لأهل الايمان بالله ورسوله ، ولم يسم لنا أسماءهم ، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى فأدركهم الاسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن ، وعرفوا أنه الحق ، ولم يستكبروا عنه . . . " ( ١٠ / ٥٠١ - ٥٠٢ ) .

قلت : وهذا القول من ابن جرير الطبري هو الذي تطمئن اليه النفس إذ لا دليل على تعيين فريق من النصارى .

(٢) المائدة آية ٨٢ .

(٣) راجع النسيان مادة " قسس " .

قال الطبري : والقسيسون جمع " قسيس " وقد يجمع " القسيسيس "

قسوسا \* لأن القس والقسيس بمعنى واحد .

تفسير الطبري ( ١٠ / ٥٠٢ ) .

(٤) الرجز لرواية بن المجاج يصف نساء عفيفات لا يتبمن النائم .

والرهبان جمع الراهب . (١)

وروى سلمان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ " ذلك بسأَن  
منهم صد يقين ورهبانا " وهذا في الضرايب .

قوله تعالى ( وإذا ما أنزل الى الرسول ) يعنى القرآن .  
فان النبي صلى الله عليه وسلم كان قرأ عليهم القرآن فبكوا وأسمعوا  
فذلك معنى قوله ( ترى أعينهم تفيض من الدمع ما عرفوا من الحق  
يقولون ربنا آمنة فاكتبنا مع الشاهدين ) (٢) . يعنى من أمة محمد فانهم  
الشاهدون على سائر الأمم .

(١) كركبان وراكب . قال التاليفه :

لو أنها عرضت لأشمط راهب      عبد الاله ضرورة متمسك  
لرنا لروءيتها وحسن حد يثها      ولخاله رشدا وان لم يوشد

والفعل منه رهب الله يرهبه أى خاف رهبا ورهبا ورهبة،  
والرهبانية والترهب التمديد فى صومعه .

قال أبوهبيد : وقد يكون " رهبان " للواحد والجمع .

قال الفراء : ويجمع " رهبان " اذا كان للمفرد رهابنه ورهابين كقربان  
وقزابين .

الجامع لأحكام القرآن (٦/٢٥٧-٢٥٨) .

(٢) الطائفة آية ٨٣ .

قوله تعالى ( وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ) وذلك  
أن اليهود قالوا لم آمنتم فأجابوا ( وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا  
من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ) ( ١ )  
الطمع هو : تعلق النفس بالشئ مع قوة ( ٢ ) .

قوله تعالى ( فأثابهم الله بما قالوا جنات ) أى أعطاهم الله  
بما قالوا جنات ( تجرى من تحتها الأنهار خالدون فيها وذلك جزاء  
المتقين ) ( ٣ ) .

فان قيل هذا أول قوله " فأثابهم الله بما قالوا " على أن  
الايان قول فرد ؟ . قيل قد ذكر في الآية الأولى بما عرفوا من  
الحق فذكر المعرفسة في تلك الآيه والقول في هذه الآية  
ومجموعها ايمان ( ٤ ) . ( والذين كفروا وكذبوا بأياتنا أولئك أصحاب  
الجحيم ) ( ٥ ) .

( ١ ) الطائفة آية ٨٤ .

( ٢ ) قلت : وهذا يدل على قوة ايمانهم ، وصدق يقينهم لأنهم مع هذا  
الاقبال الشديد على الدين الحق والمصارعة الى العمل الصالح ،  
لم يحرفوا بحسن عاقبتهم بل التمسوا من الله تعالى الطمع فى  
مغفرته ، وفى أن يجعلهم مع القوم الصالحين من أمة محمد صلى  
الله عليه وسلم .

( ٣ ) الطائفة آية ٨٥ .

( ٤ ) قلت : رتب الثواب المذكور على القول ، لأنه قد سبق وصفهم بما  
يدل على اخلاصهم ، وعلى صدق يقينهم ، والقول اذا اقتصر  
بذلك فهو الايمان .

( ٥ ) الطائفة آية ٨٦ .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ) .

قال ابن عباس وعطاء\* وسميد بن جبير والسدي : سبب نزول الآية أن عليا وابن مسعود وعثمان بن مضمون تشاوروا في أن يترهبوا ويلبسوا المسوح<sup>(١)</sup> ، ويقطعوا المذاكير ، ويصوموا الدهر فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أما أنى أنام وأقوم ، وأفطر ، وأصوم وأكل وأشرب وأنكم فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت الآية<sup>(٢)</sup> لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم .

وروى أن عثمان بن مظعون قال : يارسول الله ائذن لى فى الرهبانية فقال : رهبانية أمتى الجلوس فى المساجد . فقال ائذن لى فى السياحه فى الأرضى فقال سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله تعالى ،

( ١ ) المسوح : جمع مسح بكسر فسكون : وهو كساء من شعر يلبسه الرهبان .

( ٢ ) رواه ابن جرير فى تفسيره ( ١٠ / ٥١٨ ) وابن كثير ( ٣ / ١٦٠ ) وقال رواه ابن أبي حاتم ثم قال : وروى ابن مردويه من طريق الموفى ، عن ابن عباس نحو ذلك .

ثم قال : " وفى الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - أن ناسا من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سألوا أزواج النبى - صلى الله عليه وسلم - عن عظه فى السر ، فقال بعضهم : لا أكل اللحم وقال بعضهم : لا أتزوج النساء . وقال بعضهم لا أنام على فراشى فبلغ ذلك النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال ما بال أقوام يقول أحد هم كذا وكذا ، لكنى أصوم وأفطر ، وأنام وأقوم ، وأكل اللحم ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى . "

راجع البخارى من كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح ، وصحيح الامام مسلم كتاب النكاح ( ٤ / ١٢٩ ) .

فقال ائذن لي في الاخصاء فقال اخصاء أمتي الصوم (١).

وقيل سبب نزول الآية أن رجلا قال يا رسول الله انى ( ان ) (٢)

أصبت اللحم فانتشر واشتهى النساء ، فحرمت اللحم على نفسى " فنزل (٣)

قوله " لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم " ( ولا تعتدوا ان الله لا يحب

المعتدين ) (٤) رواه عكرمه عن ابن عباس .

والاعتداء هو : مجاوزة ماله الى ما ليس له .

( وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى أنتم به

مؤمنون ) (٥) . أكد ذلك النهى بهذا الأمر .

قوله تعالى ( لا يؤءخذكم الله باللغو فى أيمانكم ) انما عقب تلك

الآية بهذه لأن القوم الذين تشاوروا أن يترهبوا كانوا قد حلفوا فبين

حكم الأيمان (٦) .

(١) الحديث : رواه البخوى فى تفسيره ( ١٨٤ / ٢ ) بسنده عن

سعد بن مسعود .

(٢) الزيادة من ب .

(٣) أخرجه الترمذى فى سننه ( ٩٧ / ٤ ) وقال : هذا حديث حسن

غريب .

(٤) الطائفة آيه ٨٧ .

(٥) الطائفة آيه ٨٨ .

(٦) أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : لما نزلت " يا أيها الذين آمنوا

لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم . . . " فى القوم الذين كانوا حرموا

على أنفسهم النساء واللحم ، قالوا يا رسول الله . كيف يصنع يا أيها

الذى حل لنا عليها ؟ فأنزل الله تعالى قوله " لا يؤءخذكم الله

باللغو فى أيمانكم ولكن يؤءخذكم بما عقدتم الأيمان . . الآية " .

تفسير الطبرى ( ١٣ / ٧ ) .



واللفو : هو المطرح الذي لا يعبأ به (١)

وعن عائشة أن لفو اليمين قول الانسان لا والله ويلي والله

واختاره الشافعي .

وقال ابن عباس وأبو هريره : لفو اليمين هو أن يحلف على شيء

على ظن أنه كذلك فإذا هو على خلافه (٢)

واختلف العلماء في وجوب الكفارة في يمين اللفو .

قال ابراهيم النخعي : تجب فيها الكفاره ، .

وقوله لا يؤخذكم يميني في القيامة .

وسائر العلماء على أن لا كفارة في يمين اللفو (٣) لظواهر

القرآن .

---

(١) قال الراغب : اللفو من الكلام ما لا يمتد به فيه ، وهو الذي يورد

لا عن رؤيته وفكره فيجرى مجرى اللفا وهو صوت المصافير ونحوها

من الطيور . . . وقد يسمى كل قبيح لفظا .

قال تعالى : " وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه " .

المفردات في غريب القرآن صفحته ٤٥١ .

(٢) قلت : وهو مذهب الامام أبو حنيفة وأحمد ، ورجح الامام ابن كثير

القول الأول حيث قال بعد عرض المذاهب في ذلك " والصحيح

أنه اليمين من غير قصد بدليل قوله " ولكن يؤخذكم بما عقدتم

الايمان " .

تفسير ابن كثير ( ٨٩/٥ ) .

(٣) راجع المفنى ٦٨٧/٨ ، وحاشية المدوى ٢٠/٢ ، وبدائيس

الصنائع ١٧/٣ .

( ولكن يؤخذكم بما عقدتم الايمان ) بثلاث قراءات .

عقدتم بالتخفيف . قرأ الكسائي وهمزة وأبو بكر .<sup>(١)</sup>

"عقدتم" بالتشديد قراءة أبو عمر ، ومن بقي غير ابن ذكوان .

وعقدتم قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان<sup>(٢)</sup> .

قال الكسائي : عقدتم أى أوصيتهم .

وقال أبو عمرو : عقدتم أى وكدتهم .

واختلفوا فى هذا التوكيد قال ابن جريح سألت عطاء عن

قوله عقدتم أنه ماذا فقال : هو قول القائل والله الذى لا اله

الا هو . كأنه فسر التوكيد به .

وروى نافع عن ابن عمر أن توكيد اليمين بالتكرار .

قال نافع : وكان ابن عمر اذا وكد اليمين اعتق رقبه واذا

لم يؤكد أطعم المساكين فى كفارته .

( فكفارته اطعام عشرة مساكين ) على قول النخعي يرجع هذا

الى يمين اللغو وعلى قول الباقرين يرجع الى اليمين المعقود ، وهى

المقصود .

وعقد اليمين هو القصد بالقلب والذكر باللسان . ( من أوسيط

ما تطعمون أهليكم ) . قال ابن عمر الأوسط هو الخبز والزيت أو

( ١ ) وشعبة وابن ذكوان الوافى فى شرح الشاطبية ص ٢٥٣ .

( ٢ ) تراجع قراءة "عقدتم" وقراءة ابن ذكوان فى المرجع السابق فان له  
قراءة بان اثبات الألف وتخفيف القاف .

الخبيز والتمر .

وقال عبدة السلطاني : هو الخبيز والسمن .

وقال أبو رزين هو الخبيز والخل .

وأما الأعلى هو الخبيز واللحم والأدنى هو الخبيز البحت ،

والكل مجزئ . والأوسط في القدر .

قال زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر - رضی الله عنهم - هو

المد . وبه قال الشافعي وذلك رطل وثلاث (١) .

وقال عمر وعلي وهو رواية عن ابن عباس : أنه مدان ونصف صاع

وبه قال (٢) المراقبيون . (٣)

( أو كسوتهم ) قال عطاء وطاووس : لكل مسكين ثوب .

وقال مجاهد : ما ينطلق عليه اسم الكسوة .

وقال ابراهيم : لكل مسكين ثوب جامع يصلح للليل والنهار

مثل الكساء والطحفة ونحوهما .

---

(١) وبه قال الحنابلة اذا كان المخرج برا . المفتح (٣٦٩/٧) وراجع

قول الشافعي في الأم (٢٨٤/٥) والمالكية حاشية المدوى ٢/٢١ .

(٢) وهو قول الحنابلة اذا كان المخرج تمرا أو شمبرا ( المرجع السابق )

وانظر بدائع الصنائع (٩٦/٥) .

(٣) يرى بمعنى الملطاء أن كلمة "أوسط" بمعنى الأمثل والأحسن لأن

لفظ الأوسط كثيرا ما يستعمل بهذا المعنى ومنه قوله تعالى " وقال

أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون " أي قال أحسنهم عقلا وأمثلهم

فكرا ونظرا .

ويرى آخرون أن الأوسط هاهنا بمعنى المتوسط لأن هذا هو

الفالب في استعمال هذه الكلمة أي يطعمهم لا من أخرج انسواع

الطعام ، ولا من أردى من الطعام الذي يطعم منه أهله فسي

الفالب .

وقال ابن عمر : ثلاثة أثواب .

وقيل : ثوبان وهو قول الحسن وابن سيرين مثل ازار ورداء ،

أو رداء وعطامه .

وقيل ما يستر العموره وتجري به الصلاة<sup>(١)</sup> .

والصحيح أن الواجب لكل مسكين ما يصلح به الكسوة في العرف<sup>(٢)</sup> .

( أو تحرير رقبة ) هو عتق الرقبة وفيه كلام في الفقه<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) وهو قول الحنابلة وبه قال مالك . راجع المصنف ( ٧٤٢ / ٨ ) وعند المالكية يكفي الثوب السائر . راجع حاشية المدوى ( ٢٣ / ٢ ) .

( ٢ ) وهو قول الشافعية معنى المحتاج ( ١٧٣ / ٨ ) .

قال ابن قدامة في الرد على هذا القول : ان الكسوة أحمد أنواع الكفار فلم يجز فيه ما يقع عليه الاسم كالأطعام والاعتاق ولأن التكفير عباده تعتبر فيها الكسوة فلم يجز فيها أقل مما ذكرناه - يعنى ما يستر وتجزي به الصلاة - ولأنه مصروف إلى المساكين ففى الكفارة فيتمذر كالأطعام ، ولأن الأيس ما لا يستر عورته انما يسمى عريانا لا مكتسبا ، وكذلك لا يس السراويل وحدة أو مؤنزا يسمى عريانا فلا يجزئه لقوله تعالى أو كسوتهم \* .

المصنف ( ٧٤٢ / ٨ ) .

( ٣ ) اشترط المالكية والشافعية والحنابلة فى الرقبة المعتبرة أن تكون

مؤمنة ، وعند أحمد فى رواية أن الذمية تجزى وهو قول عطام وأبن ثور وأصحاب الرأى . ولكل تفصيلات ستنظر فى محالها .

راجع المصنف ٧٤٣ / ٨ ، حاشية المدوى ٢٣ / ٢ ، معنى المحتاج

١٧٢ / ٨ ، بدائع الصنائع ٥ / ١١٠ .

( فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ) ظاهره أنه يجوز متفرقا وهو الأصح<sup>(١)</sup> .  
وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب " ثلاثة أيام متتابعات " فعلى هذا  
يجب التتابع فيه وبه قال مالك والأوزاعي وهو أحد قولي الشافعي<sup>(٢)</sup> .  
( ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ) .

قبل الحنث مضمرة فيه بمعنى إذا حلفتم وحنثتم .  
ولا تجب الكفارة إلا بعد الحنث وأما جواز التكفير قبل الحنث  
عرفنا بالسنة .

( وأحفظوا أيمانكم ) ظاهره النهي عن الحنث . وقيل أراد به  
حفظ اليمين لأن يحلف والأول أصح . ( كذلك يبين الله لكم آياته  
لعلكم تشكرون )<sup>(٣)</sup> .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ) أما  
الخمر فقد سبق الكلام فيه . وكذلك الميسر<sup>(٤)</sup> .

- 
- ( ١ ) وهو الأظهر عند الشافعية . نهاية المحتاج ١٧٤/٨ .  
( ٢ ) وهو ظاهر مذهب الحنابلة وبه قال أصحاب الرأي ، وعند  
الطالكية يتابع استحبابا .  
انظر المفني ٧٥٢/٨ ، انظر شرح أبي الحسن على رسالة  
أبي زيد ٢٣/٢ ط . مع العدوى ، بدائع الصنائع ١١١/٥ .  
( ٣ ) العائده آية ٨٩ .  
( ٤ ) تفسير سورة البقرة آية ( ٢١٩ ) .

قال الأصمى (١) : كان ميسرهم على الجزور فكانوا يشترون  
جزورا وينحرونه ويجعلونه على ثمانية وعشرين سهما .

وقيل على عشرة أسهم ثم يقامرون عليه فكل من خرج عليه مدر نصيبه  
مجانا ويكون الثمن على الباقيين وهكذا يقامرون على كل سهم منه السى  
أن يبقى واحد فيكون كل الثمن عليه ويفوز الآخرون بسهامهم مجانا .

وسئل القاسم بن محمد (٢) عن النرد والشطرنج أهو من الميسر ؟  
قال كل ما صد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر .

---

(١) الأصمى : عبد الملك بن قرين ، أبو سعيد الباهلى البصرى .

امام اللغة وأحد الأعلام فيها وفى العربية والشعر والأدب وأنواع  
العلم .

مات سنة ست عشرة أو غمسة عشرة ومائتين عن أحد وتسعين سنة .  
غاية النهاية (١/٤٧٠) طبقات المفسرين (٣٥٤) .

(٢) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق ، أبو محمد ، ويقال أبو عبد الرحمن .

كان ثقة رفيعا عالما فقيها اما ما ورعا كثير الحديث .  
قال البخارى : قتل أبوه وبقي القاسم يتيمًا فى حجر عائشه - رضى  
الله عنها - .

وقال الزبير : ما رأيت أبيا بكر ولد ولدا أشبه من هذا الفتى .  
وقال عبد الله ابن شاذب عن يحيى بن سعيد : ما أدركنا بالمدينة  
أحدًا نفضله على القاسم .

وقال ابن وهب عن مالك كان القاسم من فقهاء هذه الأمة قال وكان  
ابن سيرين يأمر من يحج أن ينظر الى هدى القاسم فيقتدى به .  
مات بعد عمر بن عبد العزيز سنة احدى أو اثنتين ومائة ، وقيل :  
سنة ست أو أول سنة سبع وقيل غير ذلك .

تهذيب التهذيب (٨/٣٣٣-٣٣٦) .

وقوله ( والأُنصاب والأزلام رجس ) أما الأُنصاب والأزلام  
فقد بينا (١) .

وقوله رجس أى خبيث مستقدر . (٢)

وفي الخبر " أعوذ بالله من الرجس النجس " (٣) ( من عمل الشيطان )  
أى من تزوين الشيطان ( فاجتنبوه لعلكم تظفون ) (٤) .

قوله تعالى : ( انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة  
والبغضاء فى الخمر والميسر ) .

أما وقوع العداوة فى الخمر أن شاربه اذا سكروا عربدوا وتشاجروا  
وتشاجحوا .

وأما العداوة فى الميسر قال قتادة : هو أنهم كانوا يقامرون  
على الأهل والمال ثم اذا لم يبق له شىء جلس حزينا سلوبا مفتاظا  
على قرناك .

---

(١) راجع الآيه (٣) من نفس السورة .

(٢) قال الفخر الرازى : والرجس فى اللفه كل ما استفدر من عمل . يقال :  
رجس الرجل رجسا اذا عمل عملا قبيحا ، وأصله من الرجس - بفتح  
الراء - وهو مشدة الصوت - يقال سحاب رجاس اذا كان شديد  
الصوت بالرعد ، فكأن الرجس هو العمل الذى يكون قوى الدرجه  
كامل الرتبته فى القبح " .  
التفسير الكبير (٢٩/١٢) .

(٣) لم أجده .

(٤) المائده آيه ٩ .

( ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ) بمعنى الشيطان يمنعكم  
بهما عن ذكر الله ( فهل أنتم منتهون ) معناه انتهوا .

قال الفراء : سمعت بعض الأعراب يقول لضيقه هل أنت ساكت  
، هل أنت ساكت يريد به أسكت . وهذا كلام المرء العاربه .

وسبب نزول الآيه أن عمر - رضي الله عنه - قال " اللهم بين  
لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل في سورة البقره " يسألونك عن الخمر  
والميسر " فدعا عمر وقرأ عليه .

فقال ثانيا " اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل قوله  
تعالى في سورة النساء " لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى (١) فقرأى عليه  
فدعا ثالثا وقال : " اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت  
هذه الآيه فدعى وقرأ عليه فلما بلغ قوله " فهل أنتم منتهون "   
قال انتهينا يارب (٢) .

وقيل سبب نزول الآيه أن قدامة بن مظعون اتخذ دعوة وشوى  
رأس يحمير ودعى سعد بن أبي وقاص وجماعة فأكلوا وشربوا فلما سكروا  
تفاخروا فقام رجل من الأنصارى الى لحي الحمير وضرب به وجه سعد  
فضرب أنفه فذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنزلت هذه الآيه في

---

(١) النساء آيه ٤٣ .

(٢) رواه أحمد في المسند (٣١٦/١) وأبو داود (٤٤٤/٣) والنسائي

(٢٨٦/٨) والترمذي (٦٨/٤) .



( ١ )  
قبيلتين من الأنصار تخاصمتا في حال السكر .

وقد ورد في الخمر أخبار منها قوله - صلى الله عليه وسلم - " مد من  
الخمر كما بهد الوثن " ( ٢ ) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - " الخمر أم البخايات من شربها لم يقبل  
الله له صلاة أربعين يوماً من مات في بطنه شيء من الخمر حرم الله  
عليه الجنة " ( ٣ ) .

قوله تعالى ( وأطيعوا الله ) وأطيعوا الرسول واحذروا ( لما  
حرم الخمر وأمر بالاجتناب عنها نههم الى طاعة الله تعالى  
والرسول والتوخي ( فان توليتهم فانا على رسولنا البلاغ المبين ) ( ٤ ) .

---

( ٢ ) رواه البيهقي من كتاب الأشربة ، باب طاجنا ، في تحريم الخمر

• ( ٢٨٧-٢٨٦/٨ )

( ٢ ) رواه السيوطي في الدر المنثور ( ٣١٨/٢ ) وقال أخرجه أبو الشيخ  
وابن مردويه عن ابن عباس ولفظه قال رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - لا يبعث مد من خمر الا لقي الله كما بهد وثن " .  
ثم قرأ " انما الخمر والميسر . . . . الآية .

( ٣ ) رواه السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٢/٢ ) وعزاه لعبد السرزاق

والحاكم والبيهقي عن ابن عمر .

( ٤ ) الطائفة آيه ٩٢ .

قوله تعالى ( لستين على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح  
فيما طعموا ) سبب نزول الآية هذا أن الصحابة قالوا لما ورد تحريم  
الخمير يارسول الله كيف حال من مات منا وهو يشرب الخمر (١) فنزلت الآية .

وقيل انهم قالوا ان حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير (٢) استشهدا  
يوم أحد وكانا يشربان الخمر فكيف حالهما ؟ فنزلت الآية .

وبين الله تعالى أنه لا جناح عليهم فيما طعموا في حال الاباحة  
( ان ما اتقوا وأمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وأمنوا ثم اتقوا وأحسنوا )  
في هذا مقدم معنى مؤخر أقوال :-

---

( ١ ) الطبري في تفسيره ( ١٠ / ٥٧٩ ) والترمذي ( ٤ / ٩٨ ) وقال : هذا  
حديث حسن صحيح . وخرجه السيوطي في الدر المنثور ( ٢ / ٣٢ )  
وزاد نسبه الى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان  
وأبو الشيخ وابن مردويه .

( ٢ ) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف المبدري أحد السابقين الى  
الاسلام ويكنى أبا عبد الله .  
أسلم قديما والنبى صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم وكنتم اسلامه  
ثم هاجر الى الحبشة والمدينة .  
شهد بدرًا وأحد وسه اللواتي فاستشهد فيها رضى الله عنه .

راجع الاصابة ١ / ٤٢١ ، الاستيعاب ١ / ٢٥١ - ٢٥٣ ،  
أسد الغابة ٥ / ١٨١ - ١٨٤ ، الجرح والتعديل ٨ / ٣٠٣ .

أحدهما : أن معنى الأول \* إذا ما اتقوا الشرك وأمنوا أى صدقوا  
وعطوا الصالحات " ثم اتقوا " أى داوموا على ذلك التقوى  
" وأمنوا " أى ازدادوا إيماناً " ثم اتقوا وأحسنوا " أى  
اتقوا بالاحسان ، وكل محسن ، وكل مطلع متقى .

والقول الثانى : أن التقوى الأول اجتناب الشرك . والتقوى الثانى  
اجتناب الكبائر ، والتقوى الثالث اجتناب الصغائر ،  
وهذان قولان معروفان .

وفى الآية قول ثالث أنه أراد به إذا ما تقوا قبل تحريم  
الخمير ، ثم اتقوا بعمد تحريم الخمير .

وقيل هذا لا يصح لأن قوله " إذا ما اتقوا انما  
يصلح للمستقبل لا للماضى . فان حرف اذا للمستقبل (١)

---

( ١ ) كثرت أقوال المفسرين فى تكرار التقوى مرة مع الايمان والمعمل  
الصالح ، ومرة مع الايمان ، ومرة مع الاحسان ؟ .

وقد جمعها القرطبي فى أربعة أقوال فقال :-  
الأول : أنه ليس فى ذكر التقوى تكرار ، والمعنى : اتقوا  
شربها وأمنوا بتحريمها أو دام اتقوا وهم وإيمانهم ،  
أو على معنى إضافة الاحسان الى الاتقاء .

والثانى : اتقوا قبل التحريم فى غيرها من المحرمات ، ثم  
اتقوا بعمد تحريمها شربها ، ثم اتقوا فيما بقى لمن  
أعمالهم وأحسنوا المعمل .

.../...

الثالث : اتقوا الشرك وأمنوا بالله ورسوله ، والمعنى الثاني شتم  
اتفقوا الكبائر وازدادوا إيماناً ، والمعنى الثالث ،  
ثم اتقوا الصفائر وأحسنوا أى يتقلوا .

الرابع : قال ابن جرير : الاتقاء الأول : هو الاتقاء يتلقى أمر الله  
بالقبول والتصديق والدينونة له فى الممل ، والاتقاء  
الثانى : الاتقاء بالشبات على التصديق ، والثالث  
الاتقاء بالاحسان والتقرب بالنوافل .

تفسير القرطبي ( ٢٩٦ / ٦ ) .

والذى يبدو لنا أن ما قاله ابن جرير أقرب الى الصواب ، وأن  
تكرير التقوى إنما هو لتأكيد وجوب ابتلاء قلب المؤمن بهيئته ،  
واستمراره على ذلك حتى يلقي الله ، فان المؤمن بمداومته على  
خشيتيه - سبحانه - يتدرج من الكمال الى الأكمل حتى يصل فسى  
إيمانه وتقواه الى مرتبة الاحسان التى ترفعه الى أعلى عظيم ، والتسى  
عرفها النبى - صلى الله عليه وسلم - بقوله : " الاحسان أن تعبد الله  
كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك " .

( ١ )  
والله يحب المحسنين .

وروى أن قدامة بن مظعون<sup>(٢)</sup> شرب الخمر فدعا عمر ليحده فقال  
أليس يقول الله " ليس على الذين آمنوا وعطوا الصالحات جناح فيما  
طمعوا " فقال أخطأ التأويل . لقد قال " اذا ما اتقوا وأمنوا " .  
وأنت لم تتق النبي .

وروى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ هذه الآية ثم قال  
ابن مسعود وأينا من هو<sup>(٣)</sup> لا .

---

( ١ ) المائدة آية ٩٣ .

( ٢ ) قدامة بن مظعون بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي أخو عثمان  
يكنى أبا عمرو .  
كان أحد السابقين الأولين .  
هاجر الهجرتين وشهد بدرا ، استعمله عمر على البحرين ، وتوفى  
رضي الله عنه سنة ٣٦ هـ . وقيل سنة ٥٦ هـ .

راجع ترجمته في : الاصابة ١/٢٢٩ ، سير أعلام النبلاء  
١/١٦١-١٦٢ ، التاريخ الكبير ٧/١٧٨ ، الاستيعاب ٩/١٤٦-  
١٥٠ ، أسد الغابة ٤/٣٩٤-٣٩٦ .

( ٣ ) رواه الامام مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل  
عبد الله بن مسعود ( ٤٧/٧ ) ، والترطى من كتاب التفسير ،  
تفسير سورة المائدة ( تحفة الاحوذى ٨/٤١٩-٤٢٠ ) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء مسن الصيد ) أي ليختبركم الله بشيء من الصيد .

وفائدة البلوى والاختيار اطهار المطيع من المعاصي والا فلا حاجة الى البلوى .<sup>(١)</sup>

وسبب هذا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما نزل بالحد بيعة مع أصحابه وكانوا محرمين كان يدنو منهم الطيور والوحوش فهموا بالأخذ فنزلت الآية<sup>(٢)</sup> . ( تنالسه أي يكم ) يعني من صغار الطيور ( ورماحكم ) يعني من كبار الوحوش .

قال مجاهد : تناله أي يكم يعني : الفرخ والبيض . \* ورماحكم يعني الطيور الكبار . ( ليعلم الله من يخافه بالغييب ) .

قيل<sup>(٣)</sup> معناه : ليعلم فيعامل معاملة من يطلب العلم للمعمل اظهارا للعدل .

وقيل<sup>(٤)</sup> معناه : لسوى الله من يخافه بالغييب .

---

( ١ ) قال القرطبي : كان الصيد أحد معاش العرب الماربه ، وشائعا عند الجميع منهم مستعملا جدا فابتلاههم الله فيه مع الاحرام والحرم كما ابتلى بني اسرائيل في ألا يمتدوا في السبت .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٢٩٩ / ٦ ) .

( ٢ ) نسبه السيوطي في الدر المنثور ( ٣٢٧ / ٢ ) الى ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان .

( ٣ ) قاله الكلبي . النكت والمعيون ( ٤٨٦ / ١ ) .

( ٤ ) ذكره مقاتل . زاد المسير ( ٤٢٢ / ٢ ) .

وقوله من يخافه بالذبيح هو أن يخاف الله وهو لا يسراه (١) . فمن

اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (٢) .

---

(١) قلت : المعنى لقد اختبرناكم أيها المؤمنون بما اختبرناكم به لتمييز قوى الايمان من ضعيفه ، فمن بعدى منكم حدود الله بعد هذا البيان والاعلام فله عذاب شديد الألام ، عظيم الالهابة ، لأن التمدي بعد الانذار ، دليل على عدم المبالاة بأوامر الله ، ومن لم يبال بأوامر الله ساءت عاقبته ، وقبيح مصيره .

هذا ولقد نجحت الأمة الإسلامية - وخصوصا سلفها الصالح - في هذا الاختيار فقد تجنب أبنائها وهم محرمون أو نسي الحرم وصيد البر مما أغراهم قربة منهم وحبهم له على صيدة والانفاع به .

بينما أخفق بنو اسرائيل فيما يشبه هذا الاختيار فقد نهاهم الله تعالى عن الصيد في يوم السبت ، فكانت الأسماك تظهر لهم في هذا اليوم امتحانا من الله لهم ، فما كان بينهم الا أن تحايلوا على صيدها ، بأن حبسوها في يوم السبت ليصيدوها في غيره . . . فاستحقوا من الله اللعنة والصيغ . . . واستحققت الأمة الإسلامية أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم )  
 سبب هذا أن رجلاً يقال له أبو اليسر<sup>(١)</sup> شد على حمار وحشى فقتله  
 وهو محرم فنزلت الآية " لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم"<sup>(٢)</sup> والحرم يكسبون  
 من الاحرام كما ويكون من دخول الحرم .

يقال أحرم اذا عقد الاحرام ، وأحرم اذا دخل فى الحرم .  
 ويقال أيضا لمن أدرك الشهر الحرام محسباً<sup>(٣)</sup> .  
 ( ومن قتله منكم ممتدا ) ذكر حالة العمد لبيان الكفارة .  
 واختلف العلماء :

قال سعيد بن جبير : لاتجب الكفارة الصيد فى قتل الخطأ  
 بل يخسر بالمد .

( ١ ) أبو اليسر الأنصارى اسمه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن سواد  
 ابن غنم بن كعب بن سلمة مشهور باسمه وكنيته .  
 شهد العقبة وبدرا وله فيها آثار كثيرة وهو الذى أسر العباس  
 كان قصيرا دحداجا عظيم البطن .  
 مات بالمدينة سنة خمس وخمسين .  
 الاصابه ( ٤ / ٢٢١ ) .

( ٢ ) تفسير الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ٣٠٢ ) .

( ٣ ) قال ابن جرير الطبرى " الحرم جمع حرام ، والذكر والأنثى  
 فيه بلفظ واحد .

تقول : هذا رجل حرام ، وهذه امرأة حرام ، فاذا قتل محرم  
 قيل للمرأة محرمة ، والاحرام : هو الدخول فيه ، يقال : أحرم  
 القوم : اذا دخلوا فى الشهر الحرام ، أو فى الحرم ، فتأويل  
 الكلام ، لا تقتلوا الصيد وأنتم محرمون .  
 تفسير الطبرى ( ٧ / ٤٠ ) .



وبه قال داود وسائر الملما على أنها تجب في الحالين (١).  
قال الزهري : على الصمد بالكتاب ، وعلى المخطئ بالسنة (٢).

---

(١) قال الكاساني : ويستوى فيه العمد والخطأ والذكر والنسيان  
عند عامة العلماء وعامة الصحابة رضي الله عنهم أ.هـ.

راجع بدائع الصنائع ٢/٢٠١ ، ونهاية المحتاج ٣/٣٣٢  
المعنى ٣/٥٠٥.

(٢) بيدولي أن قول الزهري والذي قال به الأئمة أبو حنيفة  
والشافعي ومالك أقرب إلى الصواب ، لأن تخصيص الممسد  
بالذكر في الآيه لأجل أن يرتب عليه الانتقام عند الموت ،  
لأن العمد هو الذي يترتب عليه ذلك دون الخطأ ، ولأن  
جزاء الخطأ معروف من الأدلة التي قررت التسوية في ضمان  
المتلفات ، إذ من المعروف أن من قتل صيد انسان عمدا أو  
خطأ في غير الحرم فعليه جزاؤه ، فهذا حكم عام في جميع  
المتلفات ..

ومادام الأمر كذلك كان الجزاء ثابتا على المحرم متى قتل  
الصيد سواء أكان قتله له عمدا أم خطأ .

( فجزاء مثل ما قتل من النعم ) . قرأ الأعمش : فجزاؤه

مثل ما قتل من النعم .

والمعروف فيه قرأتان : " فجزاء مثل " على الاضافة (١)

وقرأ بعضهم : " فجزاء مثل " بتنوين الجزاء ورفع اللام من المثل (٢)

ومعنى الكل واحد .

والمثلية معتبره في الجزاء فيجب فيما قتل مثله من النعم شيها .

ففيجب في النعامة بدنه ، وفي الأروى بقرة ، وفي الطير والضبغ والحمامة

شاة ، وفي الأرنب عناق ، وفي اليربوع حفرة ، وكل هذا مروى عن الصحابة (٣)

( ١ ) وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي والكوفيون . راجع الواقي في

شرح الشاطبية ص ٢٥٣ .

( ٢ ) وهي قراءة الباقرين . المرجع السابق .

( ٣ ) اختلف العلماء في المراد بالمثل هنا .

فجمهور الفقهاء يرون أن المراد بالمثل النظير ، أي أن الجزاء

يكون بالمماثلة بين الصيد المقتول وبين حيوان يقاربه في الحجم

والمنظر من النعم وهي الأبل والبقر والخنم ، بينما أوجب الامام

أبو حنيفة القيمة سواء أكان الصيد المقتول مثليا أو غير مثلي .

قال ابن كثير : وفي قوله تعالى " فجزاؤه " مثل ما قتل مسن

النعم دليل لما ذهب اليه مالك والشافعي وأحمد من وجوب

الجزاء من قبل ما قبله المحرم اذا كان له مثل من الحيوان الأنسي ،

خلافا لأبي حنيفة حيث أوجب القيمة سواء أكان الصيد المقتول

مثليا أو غير مثلي . قال : وهو مخير ان شاء تصدق بثمنه ، وان

شاء اشترى به هديا .

والذي حكم به الصحابة في المثل أولى بالاتباع ، فإنهم

حكموا في النعامة ببدنه ، وفي بقرة الوحش ببقره . وفي الضراب

بعتري ، وأما اذا لم يكن الصيد مثليا فقد حكم ابن عباس فيه

بشمن يحمله الى مكة .

تفسير ابن كثير ( ٢ / ٩٩ ) .

( يحكم به ذوا عدل منكم ) وفيه دليل على جواز الاجتهاد في الأحكام  
( هديا بالغ الكعبه ) نصب على التمييز .

قوله " بالغ الكعبه " يقتضى أن يكون اعطاء الهدى فى الحرم يفرق  
على مساكين الحرم وهو الواجب . ( أو كفارة اطعام مساكين ) وذلك  
أن يقوم المنفل بالدرهم ويشترى بالدرهم طعام مساكين . وبه قال  
الشافعى ( ١ ) .

وقال أبوحنيفة يقوم بالصيد المقتول أبداً ( ٢ ) .  
( أو عدل ذلك صياما ) قرأ عاصم الجحدري وطلحة بن مصرف : ( ٤ )  
" أو عدل ذلك " بكسر العين . ثم قال بعضهم : فرق بينهما ومعناه  
الضل ( ٥ ) !

( ١ ) راجع نهاية المحتاج ( ٣ / ٣٤٠ - ٣٤١ ) .

( ٢ ) راجع بدائع الصنائع ( ٢ / ٢٠٣ ) .

( ٣ ) عاصم بن أبى الصباح المعجاج وقيل : ميمون ، أبوالمجشر الجحدري  
البصرى . قراءته فى الكامل والايضاح فيها مناكير ولا يثبت سندها .  
والسند اليه صحيح فى قراءة يعقوب بن قرائته على سلام بن سليمان عنه  
قال خليفه بن خياط وغيره : مات قبل الثلاثين ومائه .  
وقال المدائنى سنة ثمان وعشرين ومائه .  
غاية النهايه ( ١ / ٣٤٩ ) .

( ٤ ) طلحة بن مصرف بن عمرو بن كعب أبو محمد ويقال أبو عبد الله  
البهطانى اليمى الكوفى تابعى كبير .

له اختيار فى القراءه ينسب اليه .  
قال المجلسى : اجتمع قراء الكوفه فى منزل الحكم بن عيينه  
فأجمعوا على أنه أقرأ أهل الكوفه فبلغه ذلك فعدا الى الأعشى  
فقرأ عليه ليذهب عنه ذلك .  
مات سنة اثنتى عشرة ومائه .  
غاية النهايه ( ١ / ٣٤٣ ) .

( ٥ ) وبه قال الزجاج كما فى لسان العرب مادة عدل .

وفرق الفراء بينهما فقال : المعدل بالكسر المثل من جنسه ،  
والمعدل المشل من غير جنسه .<sup>(١)</sup>

وقد قيل المعدل بالفتح هو المثل ، والمعدل بالكسر الحمل<sup>(٢)</sup> . والأول  
أصح .

وصوم المعدل ان يصوم بدل كل مد<sup>(٣)</sup> يوما ، وقيل يومان . ثم  
هذا على التخيير أم على الترتيب ؟ .

قال الشمسي والخمسي وهو رواية عن مجاهد : أنه على الترتيب<sup>(٤)</sup> .  
وقال غيره وبه قال ابن عباس : أنه على التخيير<sup>(٥)</sup> لأنه قال " أو  
كفارة طعام ساكين " أو عدل ذلك صياما " وكلمة أو على التخيير

---

(١) انظر قول الفراء في لسان المرء مادة عدل ٤٣٣/١١ .

(٢) حكاه ابن منظور عن سيبويه من قوله " المعدل من عادلك من الناس  
والمعدل لا يكون الا للمتاع خاصة " .  
٤٣٢/١١ المرجع السابق .

(٣) وبه قال المالكية الفوائد الدواني ( ٤٣٧/١ ) والحنابلة وعن أحمد  
عن كل نصف صاع يوما .  
المفنى ( ٥١٩/٣ ) .

(٤) وهى رواية عن الامام أحمد . المفنى ( ٥١٩٩٣ ) .

(٥) رواية عن الامام أحمد . المفنى ( ٥١٩/٣ ) وبه قال الحنفية  
بدائع الصنائع ( ٢٠٢/٢ ) والمالكية . الفوائد الدواني ( ٤٣٧/١ ) .

(ليذوق وبال أمره ) أى شدة أمره<sup>(١)</sup> عفا الله عما سلف ) يعنى  
فى الجاهليه .

( ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام )<sup>(٢)</sup> واختلف العلماء  
فى العائد الى قتل الصيد ثانيا هل تجب عليه الكفاره ثانيا أم لا ؟ .

قال ابن عباس : لا تجب ويقال له أسأت وبينتقم الله منك . وعامة  
العلماء على أنه تجب الكفاره ثانيا .

وقوله " فينتقم الله منه " يعنى فى الآخيره .

---

(١) الوبال فى الأصل : النقل والشدة والوخامة . ومنه طعام وميل  
إذا كان ثقيلًا على الممددة ، ومرعى وسيل وهو الذى يتأذى به  
يمد أكله . والمراد به هنا : سوء عاقبة فعله .

قال الامام الرازى : وانما سمي الله تعالى ذلك وبسالا ،  
لأنه خيره بين ثلاثة أشياء : اثنان منهما توجب تنقيص المال  
وهو ثقيل على الطبع - وهما : الجزاء بالمثل والاطعام .  
والثالث : بوجب ايلام البدن وهو الصوم ، وذلك أيضا ثقيل  
على الطبع .

والمعنى أنه تعالى أوجب على قاتل الصيد أحد هذه الأشياء  
التي كل واحد منهما ثقيل على الطبع حتى يجترز عن قتل  
الصيد فى الحرم وفى حال الاحرام " .

التفسير الكبير (٣ / ٩٦) .

(٢) العائده آيه ٩٥ .

قوله تعالى ( أهل لكم صيد البحر وطعامه ) قال عمرو بن عبد العزيز : صيد البحر ما صيد منه وطعامه ما قذف . وهو رواية عن ابن عباس .

وعنه رواية أخرى أن طعامه ما نصب عنه الماء .

وقال مجاهد : صيده الطير ، وطعامه المالح . وهو مروى عن ابن عباس أيضاً (١) .

( متاعا لكم ) أى منفعة لكم ( وللسيارة ) .

قال ابن عباس : متاعا لكم خطاب مع أهل القرى والسيارة أهل الأضرار .

وقال مجاهد : السيارة : المسافرون ( وحرّم عليكم صيد السب ) ما دام حراماً ( حرم الاصطياد على المحرم وقد ذكرنا ) واتقوا الله الذى اليه تحشرون (٢) واختلف العلماء فى صيد الحلال هل على المحرم أن يأكل منه ؟ قال عمر وعثمان يحل وبه أخذ أكثر الفقهاء وقال على وابن عباس أنه لا يحل وبه قال جماعة من التابعين (٣) .

---

(١) رجح الامام القرطبي القول الأول المروى عن عمرو بن عبد العزيز قال : " الطعام لفظ مشترك يطلق على كل ما يطعم ، ويطلق على مطعموم خاص كالما ، وحده ، والبر وحده ، والتمر وحده ، واللبن وحده ، وقد يطلق على الثوم . . . وهو هنا عبارة عما قذف به البحر وطافا عليه " .  
الجامع لأحكام القرآن (٦/٣١٨) .

قلت : والأقوال الأخرى لا تعارض هذا القول بل هى فى هذا المعنى .

(٢) المائدة آية ٩٦ .

(٣) راجع الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٢١-٣٢٣) فقد بسط الامام القرطبي الكلام فى هذه المسألة .

قوله تعالى ( جعل الله الكعبة البيت الحرام ) قال ثعلب أبو العباس  
أحمد بن يحيى (١) : انما سميت كعبة لتربيعها . البيت الحرام هو  
الكعبة (٢) .

وفي الخبر أن الله تعالى حرم مكة منذ خلق السموات والأرض (٣) .  
( قبا ما للناس ) القيام والقوام واحد (٤) .

قال الله تعالى ( أموالكم التي جعل الله لكم قبا ما (٥) أي قواصا  
لعماسكم .

---

(١) أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولا هم ، البغدادي ، الامام  
أبو العباس ثعلب . امام الكوفيين في النحو واللفظة .  
ولد سنة مائتين ، عني بالنحو أكثر من غيره فلما أتقنه أكب على  
الشعر والمعاني والفريغ .  
مات يوم السبت لمشر نعلون - وقيل لثلاث عشرة بقية - من جمادى  
الأولى سنة احدى وتسعين ومائتين .  
بفنية الوعاة (١/٣٩٦-٣٩٨) .

(٢) يشير الى أن البيت الحرام بدل من الكعبة أو عطف ببيان جي به  
على سبيل المدح والتعظيم .

(٣) رواه ابن ماجه من كتاب المناسك (١٣) باب فضل مكة حديث رقم ٢١٠٩  
(٢/١٠٣٨) .

(٤) القيام والقوام ما به صلاح الشيء ، كما يقال : الملك العادل قوام رعيته  
لأنه يدبر أمرهم ويردع ظالمهم ، ويحجز قلوبهم عن ضميرهم ، وسيئهم  
عن محسنهم .

(٥) النساء آيه ٥ .

وقال الشاعر<sup>(١)</sup> يمدح النبي - صلى الله عليه وسلم - .

ونشهد أنك عبد المليك أتيت بشرع ود بين قسيم .

وأراد به أن البيت الحرام قوام للناس لذيتهم ومعايشهم .

أما في الدين لأن به تقوم المناسك والحج .

وأما في المعاش فلأن الحرم كانوا يأمنون فيه أهل الغار حتى

كان يغير بعضهم على بعض ثم لا يتعرضون لأهل الحرم ويقولون لأهل

الحرم ويقولون هم أهل الله . ( والشهر الحرام ) أراد به جنس الأشهر

الحرم وهو أربعة أشهر ثلاثة سرد وواحد فرد كما سبق والمراد به أنه

جمل الشهر الحرام قواما للناس يأمنون فيه القتال فانهم كانوا يكفون

عن القتل والقتال في الأشهر الحرم ( والهدى والقلائد ) وقد بيننا

كيف تكون القلائد والهدى<sup>(٢)</sup> ، وكونه قواما للناس يأمنون بتقليد الهدى ،

فكان أهل الحرم يتميشون بالهدى والقلائد . ( ذلك لتعلموا أن

الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم )<sup>(٣)</sup> . فإن

قال قائل أي اتصال لهذا بما سبق من الكلام في الآية ٤ .

( ١ ) البيت لحسان بن ثابت وهو في ديوانه ( ٥٨ / ١ ) وفيه :-

فتشهد أنك عبد الطيبك أرسلت نورا بد بين قسيم

وفي اللسان مادة قوم ( ٥٠٣ / ١٢ ) ولغظه فيه :-

ونشهد أنك عند الطيبك أرسلت حقاً بد بين قسيم

( ٢ ) راجع تفسيره للآية ( ٢ ) من نفس السورة .

( ٣ ) الطائفة آية ٩٧ .



قال المبرد أبو العباس محمد بن يزيد معناه : ألهمهم ذلك الاحترام ، وأن لا يتعرضوا لأهل الحرم ، فكأنه يعين في الآية صنيمه مع أهل الحرم . قال ذلك لتعلموا أن كل ذلك يعلمي والهامسي إياهم .

وقال الزجاج : قد سبق في هذه السورة من الله تعالى سماعون للكذب ، والكسوف عن الأسرار مثل قوله " سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك " ومثل اخباره يتحريفهم الكتب ونحو ذلك فقوله " ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض راجع إليه (١) .

قوله تعالى (أولموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم) (٢) وفي الخبر ولو يعلم المؤمن ما عند الله من العذاب لم يذم في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عنده من الرحمة لم يقنط من حنته أحد (٢) .

(١) قلت : وقول المبرد هو الأولى والألصق بالآية لأن تشريع هذه الشرائع المستتبمه لدفع المضار ولجلب المصالح الدينيه والدنيويه دليل على أنه سبحانه يعلم ما في السموات وما في الأرض ، وعلى أنه بكل شيء عليم دون أن تخفى عليه خافية مما في مسند الكون .

(٢) الطائفة آية ٩٨ .

(٣) الحديث : أخرجه الاطام مسلم من كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٩٧/٨) والترمذي من كتاب الدعوات ، باب (٩٩) وأحمد في مسنده (٣١٤/٢) (٣٩٧/٢) .

وقوله ( ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون )<sup>(١)</sup>

معلوم المعنى .

قوله تعالى ( قل لا يستوى الخبيث والطيب ) . قال السدي : يعنى

الكافر والمؤمن . وقال غيره<sup>(٢)</sup> : الخبيث الحرام ، والطيب الحلال<sup>(٣)</sup> .

وفى الخبر " حلوان الكاهن خبيث ، ومهر الجفى خبيث<sup>(٤)</sup> أى حرام .

( ولو أعجبك ) معناه ولو سرك ( كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الألباب

لملكم تفلحون )<sup>(٥)</sup> وفى المثل حرام بأتى جزفا ، والحلال بأتى موتسا

---

( ١ ) المائدة آية ٩٩ .

( ٢ ) ذكره ابن عباس والحسن ( زاد المسير ٢ / ٤٣٣ ) .

( ٣ ) الخبيث - كما يقول الراغب - ما يكره رداة وحساسة محسوسا كان أو معقولا وأصله الردىء الدخلة الجارى مجرى هنت الجدىء كما قال الشاعر :

سبكتاه ونحسبه لجينا فأبدى الكير عن خبيث الحديد  
وذلك يتناول الباطل فى الاعتقاد ، والكذب فى المقال ، والقبیح  
فى الفعال . . .

المفردات فى غريب القرآن ( ١٤١ ) .

( ٤ ) أخرجه الامام مسلم فى صحيحه من كتاب البيوع ، باب فى سمسة  
رحمة الله تعالى وأنهما سبقت غضبه ( ٩٧ / ٨ ) والامام أحمد فى

سنده ( ٣٣٤ / ٢ ) ( ٤٨٤ / ٢ ) .

( ٥ ) المائدة آية ١٠٠ .

وعن أبي هريرة أنه قال " درهم من الحلال خير من مائة ألف درهم  
وقر من الحرام (١) .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد  
لكم تسوءكم ) سبب نزول الآية أن الصحابة أكثروا السؤال على  
النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى غضب وقام خطيبا وقال " انكس  
لاتسألوننى عن شىء فى مقامى هذا الا أنبأتكم به . فقال رجل يارسول  
الله من أبى وكان السائل عبدالله بن حذافه السهمى (٢) وكان يقال فى  
نسبه شىء فلما قال من أبى ؟ قال عليه السلام أبوك حذافه . فقينام  
آخر وقال من أبى فنسبه الى غير أبيه كأنه كان من حرام . وسأله رجل  
فقال أين أكون غدا فقال فى النار ، فقنم آخر وقال أين أكون غدا  
فقال فى الجنة . فبكوا وقال عمر أستر علينا يارسول الله فاننا  
حديث عهد بالجاهلية وجئنا على ركبته وقال رضينا بالله ربنا وبالإسلام  
دينا ونزلت الآية (٣) .

- 
- ( ١ ) رواه السيوطى فى الدر المنثور ( ٢ / ٣٤٤ ) وعزاه لابن أبى حاتم .  
( ٢ ) عبدالله بن حذافه بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشى السهمى .  
أبو حذافة أو أبو حذيفه .  
من السابقين الأولين .  
مات فى خلافة عثمان حكاة البنىوى ، وقال أبو نعيم توفى بمصر فى خلافة  
عثمان .  
قال ابن بونس : توفى بمصر ودفن بمقبرتها .  
الاصابه ( ٢ / ٢٩٦ - ٢٩٧ ) .  
( ٣ ) رواه الإمام البخارى فى صحيحه ( ١٣ / ٢٣٠ ) ومسلم ( ٤ / ١٨٣٤ ) ،  
وابن جرير الطبرى فى تفسيره ( ١١ / ٧٩ ) بألفاظ مقاربه وخرجه السيوطى  
فى الدر المنثور ( ٢ / ٣٣٤ ) وزاد نسبه الى ابن حميد وابن المنذر ،  
وابن أبى حاتم ، وأبى الشيخ وابن مردويه .

وروى أبو البخترى <sup>(١)</sup> عن علي - رضى الله عنه - أنه قال " لما نزلت قوله " ولله على الناس حج البيت <sup>(٢)</sup> قام رجل وقال أفى كل عام يا رسول الله فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولم تطيقوه . ثم قال صلى الله عليه وسلم نرونى ما تركتكم فانما هلك من قبلكم بكثرة سوء لهم واختلافهم على أنبيائهم فما أقرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا <sup>(٣)</sup> ونزلت الآية <sup>(٤)</sup> . ( وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم ) معناه وان صرتم

( ١ ) سعيد بن فيروز وهو ابن أبي عمران أبو البخترى الطائى مولا هم الكوفى .

قال ابن معين : أبو البخترى الطائى واسمه سعيد وهو ثبت ولم يسمع من علي شيئا .

وقال أبو حاتم : ثقة صدوق كان من أفضل أهل الكوفة .

مات فى الجماجم سنة ( ٨٣ ) وقيل قتل " بد جبل " .

تهذيب التهذيب ( ٧٢ / ٤ - ٧٣ ) .

( ٢ ) آل عمران آية ٩٧ .

( ٣ ) رواه الامام أحمد فى مسنده ( ٥٠٨ / ٢ ) والامام مسلم فى صحيحه

( ٢ / ٩٧٥ ) .

( ٤ ) قلت ذكر الامام القرطبى سببا آخر فى نزول الآية عن مجاهد عن ابن عباس

أنها نزلت فى قوم سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن البحيرة والسائبة والوصيلة والحمام .

ثم قال القرطبى : ويحتمل أن تكون الآية نزلت جوابا للجميع ،

فيكون السؤال قريبا بعبارة من بعض .

والآية الكريمة - كما يقول ابن كثير - تأديب من الله لعباده

المؤمنين ونهى لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم فى

السؤال والتنقيب عنها لأنها ان ظهرت لهم تلك الأمور وبما ساءت لهم

وشق عليهم سماعها كما جاء فى الحد يث أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم - قال " لا يبلغنى أحد عن أحد شيئا ، فانى أحب أن أخرج

اليكم وأنا سليم الصدر " .

تفسير الجامع لأحكام القرآن ( ٢٣٠ / ٦ ) ، تفسير ابن كثير

( ٣ / ١٩٨ ) .

حتى ينزل القرآن وجدتم فيه بيان ما تحتاجون إليه ( عفا الله عنهما  
والله غفور رحيم ) ( ٢ ) .

( قد سألتها قوم من قبلكم ثم أعجبوا بها كافرين ) ( ٣ ) . قال بعضهم  
أراد به أصحاب المائدة وسألوا المائدة ثم كفروا .  
وقال بعضهم أراد به قوم صالح سألوا الناقة ثم كفروا بها .  
وقال بعضهم : أراد به الكفار في الجاهلية سألوا رسول الله صلى الله عليه  
وسلم أن يجعل الصفا ذهباً ( ٤ ) .

---

( ١ ) قال الفخر الرازي : السؤال على قسمين ،

أهدهما : السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة بوجه  
من الوجوه ، فهذا السؤال منهي عنه بقوله "   
عن أشياء ان تبد لكم تسوءكم . . . " .  
والنوع الثاني : من السؤال : السؤال عن شيء نزل في القرآن  
لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي فهنا السؤال واجب ، وهو  
المراد بقوله " وان تسألوا عنهم حين ينزل القرآن تبد لكم " .

والقاعدة في ذكر هذا القسم ، أنه لما منع في الجملة الألسن  
من السؤال ، أوهم أن جميع أنواع السؤال ممنوع منه ، فذكر ذلك  
تمييزاً لهذا القسم عن ذلك القسم .

التفسير الكبير ( ١٢ / ١٠٧ ) .

( ٢ ) المائدة آية ١٠١ .

( ٣ ) المائدة آية ١٠٢ .

( ٤ ) قلت : والذي نراه أن لفظ " قوم " يشمل هؤلاء الأقوام الذين  
ذكرهم كما يشمل غيرهم ممن سألوا عن أشياء لا خير من السؤال  
عنهما ، فلما أجيئوا عما سألوا عنه لم يمتطوا بها أخبروا به بسل  
كفروا به وهجروه وأنكروه .

قوله تعالى ( فأجمل الله من بحيرة ولا سائبه ولا وصيلة

ولا حام ) .

قال سعيد بن جبيرة كان سوء الهم الذي يقدم عن هذه الأوضاع .

وهذه الآية لبيان ما سألوا ردا عليهم .

وقال ابن عباس في بيان هذه الأوضاع الأربعة قال : البحيرة :

هي الناقة كانت اذا ولدت خصية أبطن شقوا أذنبا وتركوها ولم يعطوا عليها ولم يمنموها الكلاء ، وبذلك سميت بحيرة من البحر وهو الشق ،

ثم نظروا الى خامس ولدها ، فان كان ذكرا نحروه وأكله الرجسال دون

النساء ، وان كانت أنثى تركوها كالأم ، وان كانت ميتا أكله الرجسال

والنساء فهذا معنى البحيرة .

وأما السائبه كان الرجل من أهل الجاهلية اذا مرض له مريض أو

غاب له قريب يقول ان ردّ الله غائبي وان شفى الله مريضى فناقستلى

هذه سائبه ثم يسيبها تذهب حيث تشاء . أو يقول ان كان كذا

فعبدى عتيق سايب يعنى من غير ولا ولا ميراث فهذا معنى السائبه .

وأما الوصيلة فكانت فى الغنم : كانت الشاة اذا ولدت سبعة

أبطن نظروا الى البطن السابع فان كان ذكرا ذبحوه وأكله الرجسال

دون النساء ، وان كانت أنثى تركوها . وان كان ميتا أكله الرجال

والنساء وان كان ذكرا أو أنثى فى بطن واحد تركوهما وقالوا وصلت أخاها

فهذه هي الوصيلة .

وأما الحمام : فان بعضهم اذا ولدت ناقته عيشه أبطن تركوها  
ولم يركبوها وقال حمى طرها وكذلك اذا ركب ولد ولدها يقولون حمى  
طرها وتركوها ، وربما تركوها لألتهتهم على ما سيأتى فى سورة الأنعام  
فهذا هو الحمام .

وهذه أوضاع وضمها أهل الجاهلية على آرائهم فجاء الشرع يرفقها<sup>(١)</sup>  
وقد ثبت عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " رأيت النار  
فأريت فيها عمرو بن لحي يجر قنبيه فى النار " أى أمعاءه . وكان أول  
من سبب السوائب ( ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم  
لا يعقلون )<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) قلت : هناك روايات كثيرة مختلفة وردت فى تفسير هذه الألفاظ ،  
ويبدو أن الخلاف فى حقيقة هذه الألفاظ مرجعه الى اختلاف  
القبائل فى بلاد العرب ، واختلاف الأماكن التى يفتنون فيها ،  
والعادات الباطلة التى شبوا عليها وألفوها .

هذا وقد ذكر ابن كثير بعض الروايات التى وردت فى تفسير  
هذه الألفاظ كما ذكر أول من أدخل هذه العادات الباطلة فى  
بلاد العرب فارجع اليه .

انظر تفسير ابن كثير ( ١٠٧ / ٢ ) .

( ٢ ) الحدِيث : رواه البخارى من كتاب التفسير ، تفسير سورة المائدة  
( ٦٨ - ٦٩ ) والامام مسلم من كتاب الجنة باب النار يدخلها  
الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ( ١٥٥ / ٨ ) .  
والقصب - بنم فسكون - الأمعاء كلها .

( ٣ ) المائدة آية ١٠٣ .

( واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ) يعنى  
اذا دعوا الى الكتاب والسنة ( قالوا حسبتنا ما وجدنا عليه آباءنا ) يعنى  
كفانا دين آباءنا ( أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون )<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ) يعنى  
بتخليصها من النار ( لا يضركم من غل اذا اهتديتم ) فان قال قائل  
كيف يقول " عليكم أنفسكم " وقد أمرنا بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ .

قيل قال مجاهد وسعيد بن جبیر الآية فى اليهود والنصارى يعنى  
عليكم أنفسكم لا يضركم من غل من اليهود والنصارى " اذا اهتديتم " .  
فخذوا منهم الجزية ولا تترضوا لهم واتركوهم وما يزعمون فانفسه  
لا يضرونكم .

وعن أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - أنه خطب وقال تقسروا  
هذه الآية " عليكم أنفسكم لا يضركم من غل اذا اهتديتم وانى سمعت  
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : اذا رأى ظالم فخذوا على  
يديه أو يوشك أن يعممكم الله بعقاب " <sup>(٢)</sup> .

( ١ ) المائدة آية ٤٠ .

( ٢ ) رواه الامام أحمد فى مسنده ( ١ / ٢٠٥ ، ١٧٠ ، ٣٣ ، ٥٢ ) ، وأبو داود  
من كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهى ( ٤ / ١٢٢ ) ، والترمذى من أبواب  
الفتن ، باب ما جاء فى نزول المذاب اذا لم يغير المنكر ، وثفسير  
سورة المائدة ، وابن ماجه من كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر .



وعن ابن مسعود أنه قال في هذه الآية مروا بالمعروف وانهبوا  
عن المنكر فان قيل منكم فذاك، وان رد "عليكم أنفسكم" وبوءيد هذا  
ماروى عن أبي أمية الشعماني<sup>(١)</sup> أنه قال : سألت أبا ثعلبة الخشني<sup>(٢)</sup> فقلت  
ان الله تعالى يقول عليكم أنفسكم وقد أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي  
عن المنكر فقال لقد سألت عنها خبيراً سمعت رسول الله - صلى الله  
عليه وسلم - وقد سئل عن هذه الآية يقول مروا بالمعروف وانهبوا  
عن المنكر فإذا رأيت شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة  
واعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك تحويضة نفسك ودع أمر العالم<sup>(٣)</sup>

(١) أبو أمية الشعماني الدمشقي اسمه محمد بضم الياء وكسر الميم

وقيل بفتح الياء . وقيل اسمه عبد الله بن أخامر .

روى عن معاذ بن جبل وأبي ثعلبة الخشني وكعب الأحمار .

وعنه عمرو ابن جارية اللخمي وعبد الطك بن سفيان الثقفى وعبد السلام  
ابن مكلية .

ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال أبو حاتم : أدرك الجاهلية .

تهذيب التهذيب (١٢ / ١٥) .

(٢) أبو ثعلبة الخشني اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً .

قال ابن سميع : بلغني أنه كان أقدم أسلاماً من أبي هريرة ، ولم

يقاتل مع علي ولا مع معاوية ومات في أول امرة معاوية .

تهذيب التهذيب (١٢ / ٤٩-٥١) .

(٣) رواه أبو داود من كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي (٤ / ١٢٣)

والترمذي من كتاب التفسير ، تفسير سورة المائدة ، وابن ماجه

من كتاب الفتن باب قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا علمكم

أنفسكم .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب .

.. / ..

قال ابن جرير الطبري بعد أن أورد الآثار في معنى الآية  
 "وأصح التأويلات عندنا بتأويل هذه الآية ما روى عن أبي بكر الصديق  
 -رضي الله عنه- فيها ، وهو " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم " ألزموا  
 العمل بطاعة الله ، وبما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم الله عنه " لا يضركم  
 من غل إذا اهتديتم " يقول : فإنه لا يضركم ضلال من غل إذا أنتم  
 لزمتم العمل بطاعة الله ، وأدبتم فيمن غل من الناس ما ألزمكم الله  
 به فيه من فرض الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر الذي يركبه ، أو  
 يحاول ركوبه ، والأخذ على يديه إذا لم يظلموا لمسلم أو معاهدا ،  
 ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك ، ولا خير عليكم في تماديه في غيه وضلاله ،  
 إذا أنتم اهتديتم ، وأدبتم حق الله - تعالى ذكره - فيه .

وانما قلنا ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب ، لأن الله  
 تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ، ويتعاونوا على البر والتقوى ،  
 ومن القيام بالقسط الأخذ على يدي الظالم ، ومن التعاون على البر  
 والتقوى ، الأمر بالمعروف ، وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله  
 -صلى الله عليه وسلم- من أمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولو كان  
 للناس ترك ذلك لم يكن للأمر به معنى إلا في الحال التي رخص فيها رسول الله  
 -صلى الله عليه وسلم- ترك ذلك ، وهي حال المجز عن القيام به بالجوارح  
 الظاهرة فيكون مرخصا له تركه ، إذا قام حينئذ بأداء فوضي الله عليه في  
 ذلك بقلبه .

( الى الله مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون )<sup>(١)</sup> .  
( فان عثر على أنهما استحقا اثما ) يعني فان اطالع وأظهر خيانتهم<sup>(٢)</sup>  
( فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان ) يقرأ  
هذا على ثلاثة أوجه :-  
أحدها من الذين استحق عليهم الأوليان .  
وقرأ عاصم عن حفص من الذين استحق بنصب التاء والحاء عليهم  
الأوليان .  
وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزه من الذين استحق بضم التاء وكسر الحاء عليهم  
الأولين<sup>(٣)</sup> .

فأما معنى القراءة الأولى فقوله " استحق عليهم " يعني استحق  
فيهم أو استحق منهم كقوله " لأصلبنكم في جذوع النخل"<sup>(٤)</sup> أي على جذوع  
النخل . يعني الذين وقعت الخيانة في حقهم وهم أولياء الميت  
والأوليان تثنية الأولى . والأولى هو الأقرب ومعناه ان عشر  
على خيانة الحالفين يقوم الأوليان من أولياء الميت فيحلفان .

---

(١) الطائفة آيه ١٠٥ .

(٢) يقال : عثر الرجل على الشيء عشورا اذا اطالع عليه . ويقال عثرت  
منه على خيانة أي : اطلعت .

(٣) راجع النشر في القراءات المشرفة (٢/٢٤٧) والكشف عن وجوه  
القراءات السبع (١/٤١٩-٤٢٠) .

(٤) طه آيه ٧١ .

وأما قوله " من الذين استحق عليهم " أى حق ووجب فيهم  
ومعناه معنى القراءة الأولى سوا .

وأما القراءة الثالثة " من الذين استحق عليهم الأولين " فهو  
يدل من الذين أو عن الاسم المضمرة تحت قوله " عليهم " فيكون المراد به  
أيضا أولياء الميت ويكون المعنى ما بينا . ثم بين كيفية قسمها فقسم  
( فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدنا انا اذا لمن  
الظالمين ) (١)

( ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها ) بمعنى ذلك  
أقرب وأحرى أن تؤدوا الشهادة على وجهها ( أو يخافوا أن ترد ايمان  
بعد ايمانهم ) بمعنى وان تخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعيين  
فلا يحلفون على الكذب خوفا من أن ترد اليمين عليهم ويكون يمينهم  
أولى . ( واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين ) (٢)

قال النخعي وشرع في الآية منسوخة وقوله " أو أخران ممن  
غيركم " (٣) لقد كانت شهادة أهل الذمة مقبولة على الوصي ثم نسخ .  
وقد جوز بعضهم شهادة أهل الذمة في الوصية خاصة ممن  
لا يرى نسخ الآية منهم .

( ١ ) الطائفة آيه ١٠٧ .

( ٢ ) الطائفة آيه ١٠٨ .

( ٣ ) الطائفة آيه ١٠٦ .

وقال الحسن : الآيه محكمه .

وقد حط قوله " أو آخران من غيركم " على غيركما <sup>(١)</sup> .

( ١ ) اختلف الملمط في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :-

#### الأول :-

أن الكاف والميم في قوله " اثنان ذوا عدل منكم " ضمير للمسلمين ، وأن الكاف والميم في قوله " أو آخران من غيركم " للكافرين ، فعلى هذا تكون شهادة أهل الكتاب على المسلمين جائزة في السفر اذا كانت وصية ، وهو الأشبه بسياق الآية ، مع ما تقر من الأحاديث .

وهو قول ثلاثة من الصحابة الذين شاهدوا التنزيل وهم أبو موسى الأشمري وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومنهم في ذلك جميع من التابعين .

واختاره أحمد بن حنبل وقال : شهادة أهل الذمة جائزة على المسلمين في السفر عند عدم المسلمين ، كلهم يقولون : " منكم " من المؤمنين ، ومعنى " من غيركم " يعني الكفار .

#### القول الثاني :-

أن قوله - سبحانه - " أو آخران من غيركم " منسوخ وهذا قول زيد بن أسلم ، والنخعي والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من الفقهاء .

واحتجوا بقوله تعالى : " ممن ترضون من الشهداء " ، ويقولون " واشهدوا ذوى عدل منكم " فهو لا زعموا أن آية الدين من آخر ما نزل وأن فيها " ممن ترضون من الشهداء " ، فهو ناسخ لذلك ، ولم يكن الاسلام يومئذ الا بالمدينة فجازت شهادة أهل الكتاب ، وهو اليوم طبق الأرض فسقطت شهادة الكفار وقد أجمع المسلمون على أن شهادة الفساق لا تجوز ، والكفار فساق فلا تجوز شهادة تهم .

.../...

قال القرطبي : قلت : ما ذكرتموه صحيح الا أنا نقول بموجبه ،  
وأن ذلك جائز في شهادة أهل الذمة على المسلمين في الوصية في السفر  
خاصة للضرورة بحيث لا يوجد مسلم ، وأما مع وجود مسلم فلا .

ولم يأت على ما أذعتموه من النسخ عن أحد ممن شهد التنزيل  
وقد قال بالاول ثلاثة من الصحابة ، ومخالفة الصحابة الى غيرهم  
ينفر عنه أهل العلم .

ويقوى هذا أن سورة العائدة من آخر القرآن نزولا ، حتى قال  
ابن عباس والحسن وغيرهما : انه لا منسوخ فيها ، وما ادعوه من النسخ لا يصح ،  
فان النسخ لا بد فيه من اثبات الناسخ على وجه يناقض الجمع فيهما مع تراخي  
الناسخ فما ذكروه لا يصح أن يكون ناسخا ، فانه في قصة غير قصة الوصية لمكان  
الحاجة والضرورة ولا يمتنع اختلاف الحكم عند الضرورات .

### القول الثالث :-

أن الآية لا نسخ فيها قاله الزهري والحسن وعكرمة ، ويكون معني  
قوله " منكم " أي من عشيرتكم وقرابتكم ، ومعني " أو أخران من غيركم " أي : من  
غير القرابة والعشيرة .

وهذا ينبني على معني غامض في العربيه ، وذلك أن معني " آخر "  
في العربيه من جنس الأول ، تقول : مرت بكريم وكريم آخر ، ولا تقول مرت  
بكريم وخسيس آخر . . . فوجب على هذا أن يكون قوله " أو أخران من غيركم "  
أي من غير المسلمين . . . " .

الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ٣٤٩ ) .

قوله ( يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا )  
 فان قال قائل كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا ما أجابوا ؟ <sup>(١)</sup> قيل أن جهنم  
 تزفر زفرة تذهل فيها عقولهم فيقولون من شدة الفزع لا علم لنا  
 ثم يود الله تعالى عليهم عقولهم فيخبرون بالجواب ،

وقيل <sup>(٢)</sup> معناه : لا علمنا الا : المعلم الذي أنت أعلم به منا ،  
 أو الا ما علمتنا ،

وقيل <sup>(٣)</sup> معناه : لا علم لنا بوجه الحكمة في سوءالك ايانا عن أمر  
 أنت أعلم به منا ،

وقيل <sup>(٤)</sup> معناه لا علم لنا بعامة أمرهم ، ربما أحدثوا من بعدك ،  
 وان أمرهم على ماذا خنتهم ، وعلى هذا دل شيطان :  
 أحدهما <sup>(٥)</sup> : من الآية قوله ( انك أنت علام الغيوب ) <sup>(٦)</sup> :

- ( ١ ) رواه أبو الضحى عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد والسدي .  
 زاد المسير ( ٢ / ٤٥٣ ) .  
 ( ٢ ) رواه ابن الجهم عن ابن عباس . زاد المسير ( ٢ / ٤٥٣ ) .  
 ( ٣ ) ذكره ابن جرير . النكت والميون ( ١ / ٤٩٦ ) .  
 ( ٤ ) اختيار ابن الأنباري . زاد المسير ( ٢ / ٤٥٣ ) .  
 ( ٥ ) قلت : وهذا القول الذي ذهب اليه المؤلف وهو الذي اختاره  
 ابن جرير الطبري وابن كثير .  
 قال ابن كثير - بعد أن ذكر هذا القول - : " رواه ابن جرير ، ثم  
 اختاره على هذه الأقوال الثلاثة ، ولا شك أنه قول حسن ، وهو  
 من باب التأديب مع الرب عز وجل أي لا علمنا بالنسبة الي علمك  
 المحيط بكل شيء ، فنحن وان كنا قد أجيبنا وعرفنا من أجابنا  
 ولكن منهم من كنا ندفع على ظاهره ، لا علم لنا بباطنه ، وأنت  
 المليم بكل شيء ، المطلاع على كل شيء ، فعلمنا بالنسبة الي علمك  
 كلاً علم ، فانك أنت علام الغيوب " .

والثاني : ما روى صحيحا عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال  
يسلك به ائففة من أصحابي ذات الشمال " يعني يوم القيامة "  
فأقول يارب أصحابي أصحابي فيقول الله تبارك وتعالى انك  
لا تدري ما أحدثوا بعدك انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم  
منذ فارقتهم فأقول ما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا  
ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل  
شيء شهيد ( ١ ) ( ٢ )

قوله تعالى ( ان قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك  
وعلى والدتك ) أمره بشكر النعمة ، ثم عد عليه نعمه فقال ( ان أيدتك  
بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وان علقت الكتاب والحكمة  
والثورة والانجيل ) وقد ذكرنا الكلام فيه ( ٢ ) وان تخلق من الطين  
كهيفة الطير بانى فتنفخ فيها فتكون طيرا بانى ٥ وقد بينا فيما  
سبق كيفية ( ٤ ) وتبرى الأكمة والأبرص بانى وان تخرج الموتى بانى  
وان كفت بنى اسرائيل عنك ان جنتهم بالبنيان فقال الذين كفروا منهم  
ان هذا الا سحر مبين ( ٥ )

( ١ ) المائدة آية ١١٧ .

( ٢ ) المائدة آية ١١٧ .

( ٣ ) راجع تفسيره للآية ( ٣ ) من سورة آل عمران .

( ٤ ) راجع تفسيره للآية ( ٤٩ ) من سورة آل عمران .

( ٥ ) المائدة آية ١١٠ .



قوله تعالى ( وان أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي )

هذا الوحي بمعنى الالهام أو بمعنى الأمر أي ألهمتهم وأمرتهم .

قال الزجاج : " الحمد لله الذي استعملت به السماء فطمأنت أوهي

لها القرآن فاستقرت " أي أمرها بالقرآن<sup>(١)</sup> ) قالوا آمنوا وأشهد بأننسا

مسلمون<sup>(٢)</sup> وقد ذكرنا معنى الحواريين<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) يرى كثير من المفسرين أن المراد بهذا الوحي الالهام ومنهم الامام

ابن كثير فقد قال " والمراد بهذا الوحي الالهام كما في قوله :

" وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه " وكما في قوله : " وأوحى ريك الى النخل . . . " .

وقال بعض السلف في هذه الآية وان أوحيته الى الحواريين .:

أي : ألهموا ذلك فامثلوا ما ألهموا " .

ومن المفسرين من يرى أن المراد بقوله " وان أوحيت الى

الحواريين أي أمرتهم في الانجيل علي لسانك أو أمرتهم على السنة

رسلي .

قال الأوسى معرزا هذا الرأي : فقد جاء استعمال الوحي

بمعنى الأمر في كلام العرب ، كما قال الزجاج وأنشد :

الحمد لله الذي استقلت باذنه السماء واطمأنت

أوهي لها القرار فاستقرت

أي : أمرها أن تقر فامتثلت .

تفسير ابن كثير ( ٢ / ١١٤ ) ، تفسير الأوسى ( ٧ / ٥٨ ) .

( ٢ ) المائدة آية ١١١ .

( ٣ ) راجع تفسيره للآية ( ٥٢ ) من آل عمران .

قوله تعالى ( ان قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك )  
 وقرأ الكسائي هل تستطيع بالتاء " ربك " بفتح الهاء<sup>(١)</sup> وهذه قراءة  
 على ومعان وعائشه . وكانت عائشه تحلف أن الحواريين أعرف بالله  
 من أن يقولوا " هل يستطيع ربك " . ولقراءتهم معنيان :  
 أحدهما : أن المراد به هل تسأل ربك .  
 والثاني : معناه هل يستدعي طاعة ربك باجابته سواء لك آياه<sup>(٢)</sup> .

( ١ ) وقرأ الباقر بالفيب والرفع . النشر في القراءات المشـ

٠ ( ٢٤٧ / ٢ )

( ٢ ) وحجة من قرأ بالتاء أنه أجزاء على مخاطبة الحواريين لميسى ،  
 وفيه معنى التعميم للرب جل ذكره ، على أن يستفهم عيسى عن  
 استطاعته ، إذ هو تعالى مستطيع لذلك ، فانما معناه هل تفعل ذلك  
 على معنى افعل ذلك . وقد يكون هل تستطيع سؤالا ربك فسي  
 انزال فائدة علينا ، والمعنى هل تفعل لنا ذلك ، وقد علموا أن عيسى  
 يستطيع السؤالا ، ولا بد من اضممار السؤالا ، ان لا يجوز أن يقال :  
 هل تستطيع أن يفعد غيرك كذا ، " فأن " مفعول بالمصدر المهدوف  
 وهو السؤالا ، وهذا كما تقول للرجل : هل تستطيع أن تكلمني ، وقد  
 علمت أنه مستطيع لذلك ، فانما معناه : هل تفعل ذلك على معنى  
 افعل ذلك .

وقد روى عن عائشه رضي الله عنها أنها قالت : كان القوم أعلم  
 بالله عز وجل من أن يقولوا : هل يستطيع ربك ولكن : هل يستطيع ربك .  
 وروى عنها أنها قالت : كان الحواريون لا يشكون أن الله يقدر على انزال  
 ما نده عليهم ، ولكن قالوا : هل يستطيع ذلك .  
 الكشف عن وجوه القراءات السبع ( ١ / ٤٢٢ ) .

وأما القراءة المعروفة ففي معناها أقوال :-

أحدها معناه : هل يفعل ربك .

وقال الفراء : يقول الرجل لغيره هل يستطيع أن يفعل كذا يريد

به هل تفعل كذا (١) .

والثاني : معناه : هل يطيع ربك . استطاع بمعنى أطاع كقولهم سم

استجاب بمعنى أجاب فيكون معناه : هل يطيعك ربك باجابهة

سوءالك .

وفي الآثار " من أطاع الله ، أطاعه الله " أى يجيب دعاه .

وقيل ان الحواريين قالوا ذلك قبل استحكام المعرفة . وأراد به

القدرة ولو استحكمت معرفتهم لم يقولوا ذلك .

والصحيح أحد القولين الأولين وهذا لأن الاستطاعة لا تنسب

الى الله غالبا ، وانما يوصف بالقدرة .

وأما الاستطاعة تكون للمبد .

وقوله ( أن ينزل علينا مائدة من السماء ) أعلم أن المائدة اسم لما

يكون يكون عليه طعام ، فاذا لم يكن عليه طعام لا يسمى مائدة .

واختلفوا في اشتقاق المائدة . منهم من قال هو : من المبد بمعنى

الاعطاء . ومنه قالوا الى أمير المؤمنين الممتاز بمعنى الذى يطالسب

---

(١) معانى القرآن (١/٣٢٥) .

عطاؤه فعلى هذا سميت مائدة لأنها تعدلنى من عليها الطعام .

وقيل هو من الميل بمعنى الحركة فعلى هذا سميت مائدة لأنها تتحرك بما عليها من الطعام .<sup>(١)</sup> ( قال اتقوا الله ان كنتم موهمين )<sup>(٢)</sup> نهاهم عن اقتراح الآيات بمد الايمان .

وقيل أراد به أى اكتفوا بطعام الأرض عن طعام السماء . قوله تعالى ( قالوا نريد أن يأكل منها ) بمعنى أكل تبرك السى أكل حاجة ( وتطمئن قلوبنا ) أى يزدادوا ايمانا . هو مثل قوله " ولكن ليطمئن قلبى"<sup>(٣)</sup> ( ويعلم أن قد صدقنا ) أى نزداد ايماننا بصدقك .

وفى بعض التفاسير<sup>(٤)</sup> أن عيسى - صلوات الله عليه - كان قد أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما لما سأله أن يسأل المائدة . قال لهم صوموا ثلاثين يوما فانما أفذرتم لا تسألون الله شيئا الا أعطاكم ففعلوا ذلك فلما أعطوا المائدة عرفوا صدقه فذلك معنى قوله " ونعلم أن قد صدقنا " ( ونكون عليها من الشاهدين )<sup>(٥)</sup> .

(١) راجع اللسان مادة " ميد " .

(٢) المائدة آيه ١١٢ .

(٣) البقرة آيه ٢٦٠ .

(٤) تفسير الطبرى ( ١١ / ٢٢٢ ) .

(٥) المائدة آيه ١١٣ .

قوله تعالى ( قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا ) .

قيل انه لما أراد سؤال المائدة اغتسل وصلى ركعتين فتأطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال " اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً ( لأولنا وآخرنا ) والمعيد المراد به يوم السرور لهم (١) وأية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين (٢) .

قوله تعالى ( قال الله انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ) (٣) أى جنس عذاب ، لم أعذبه به أحداً .

وقيل ان ذلك العذاب أنه مسخهم خنازير على ماسبين فى القصة ، ثم اختلفوا .

قال الحسن ومجاهد أن المائدة لم تنزل أصلاً فان الله تعالى لما أوعد على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا عن انزال المائدة فملى هذا تقدير قوله انى منزلها عليكم يعنى ان سألتهم الا أنها استعفوا فلم تنزل .

( ١ ) قال القرطبي : والمعيد واحد الأعياد ، وأصله من عاد يعود أى : رجس وقيل ليوم الفطر والأضحى عيداً ، لأنهما يعودان كل سنة ، وقال الخليل : العيد كل يوم يجمع الناس فيه كأنهم عاد واليه ، وقال ابن الأنبارى : سمي عيداً للعود الى المرح والفرح فهو يوم سرور .  
الجامع لأحكام القرآن ( ٦ / ٣٦٧ ) .

( ٢ ) المائدة آيه ١١٤ .

( ٣ ) المائدة آيه ١١٥ .

والصحيح والذي عليه الأكثرون أنها منزله لأن الله تعالى لا يعبد شيئاً . يخلف ، وقد قال " انى منزلها عليكم (١) والقصة فى ذلك أن عيسى لما سأل المائدة نزلت من السماء سفرة حمراء بين غمامتين كانوا يورونها بسطت بين أيديهم وكانت مغطاة فقام عيسى اليها ، ورفع عنها الفطاء ، فاذا فيها أرغفه وسبحة أخوات .

وفى رواية كان عليها خمسة أرغفه وسفحة مشويه ليس فيها فلسوس ولا شوك كما يكون فى سمك الأرض ، وكان حولها من كل بقل الا الكراث وكان عنده رأسها الطح ، وعند نيلها الخل ، وكان عليها خمس رمانات وخيوات .

وقيل كانت الأرغفه من خبز الأرز .

وقال عطية : كانت عندها سمكة لها طعم جميع الأرض .

وقيل كان عليها ممر من ثمار الجنة ، وفى بعض الروايات أن عيسى

سئل هذا من طعام الجنة فقال لا هو من طعام الجنة ، ولا من طعام

الأرض ، انما هو طعام خلقه الله تعالى لكم .

( ١ ) رجع الامام ابن جرير رأى الجمهور فى كون المائدة منزلة فقال ما يخصه ، والصواب من القول عندنا فى ذلك أن يقال :

ان الله أنزل المائدة . . لأن الله لا يخلف وعده ، ولا تقص فى خبره الخلف وقد قال تعالى مخبراً فى كتابه عن اجابة نبيه عيسى حين سألته ما سأله من ذلك " انى منزلها عليكم " وغير جائز أن يقول الله انى منزلها عليكم ثم لا ينزلها ، لأن ذلك منه تعالى حيز ، ولا يكون منه خلاف ما يخبر .

وقد علق ابن كثير على ما رجحه ابن جرير فقال : وهذا القول هو - والله أعلم بالصواب ، كما دلت عليه الأخبار ، والآثار عن السلف وغيرهم .

تفسير الطبرى ( ٧ / ١٣٥ ) تفسير ابن كثير ( ٢ / ١١٦ ) .

وفي القصة ان هذه المائدة لما نزلت دعى عيسى لها الفقراء  
والمساكين حتى يأكلوا وكانت تنزل عليهم أربعين يوما يأكل منه أربعة آلاف  
أو خمسة آلاف نفر فكانوا يأكلون ولا ينقص منها شيء ثم تصد ثم تنزل .  
هكذا كل يوم حتى خانوا فيها فسخوا قرده وخنازير ورفعت  
المائدة .

ثم اختلفوا في تلك الخيانة فروى عمار بن ياسر عن النبي - صلى الله  
عليه وسلم - أنه قال أنزلت عليهم المائدة وعليها الخبز واللحم وأصروا أن  
لا يدخروا منها للغد فادخروا وخانوا فأصبحوا قرده وخنازير .

وفي رواية أصبحوا خنازير .

وقيل كانت هيابهم أن اليهود قالوا لهم ان عيسى سحركم بالمائدة  
ولم يكن ثم مائدة فشكوا فنه فسخوا خنازير . وقيل كانت خيانتهم  
أن في الابتداء كان يأكل منها الأغنياء والفقراء فأمرهم الله تعالى  
أن يدعوا إليها الفقراء دون الأغنياء وابتلاهم فأكل الأغنياء وخالفوا فأصبحوا

( ٢ )  
خنازير .

( ١ ) تفسير الطبري ( ٢٢٨ / ١١ ) وابن كثير ( ٢٢١ / ٣ ) .

( ٢ ) قلت : أوردت كتب التفسير كلاما كثيرا عما كان على المائدة من أصناف  
الطعام وعن كيفية نزولها ومكانه ، وعن كيفية استقبالها ، وكشف  
غطائها والأكل منها ، والباقي عليها بعد الأكل . . وهذا الكلام الكثير  
ينبغي أن يضرب عنه صفحا ، لضعف أسانيد ، ولأنه لا يخلو عن  
غرابة ونكارة - كما قال ابن كثير - .

ويمجبن في هذا المقام قول ابن جرير : وأما الصواب من القول  
فيما كان على المائدة . فان يقال كان عليها ما أكل ، وجائز أن يكون  
هذا المأكول سمكا وخبزا ، وجائز أن يكون كان تمر الجنة ، وغير نافع  
المدم به ، ولا ضار الجهل به ، ان أقرتالي الآيه بظاهرها احتمله  
التنزيل .

انظر تفسير ابن كثير ( ١١٩ / ٢ ) تفسير الطبري ( ١٣٥ / ٧ ) .

قوله تعالى ( وان قال الله يا عيسى بن مريم ) اختلفوا أن هذا القول متى يكون .

قال السدي : انما قال ذلك حين رفعه الى السماء لأن قوله ان للماضي .

والصحيح أنه يكون في القيامة<sup>(١)</sup> . والقيامة وان لم تكن بعد ولكنها في علم الله بما كانت كائنه لا محالة فهي كالكائنة فصح قوله " وان قال الله " .

وقيل ان بمعنى اذا ويجوز مثل ذلك قال الشاعر<sup>(٢)</sup> :

لم يجزبه الاله اذا جرى جنات عدن في السموات الملى  
بمعنى اذا جرى .

(أنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله ) قيل هذا سؤال توبيخ وتقريع والمراد به قومه وكانت الحكمة في سؤاله عنه حتى يسمع قومه انكاره لأنهم كانوا يدعون أن يعسى أمرهم باتخاذ الهها .

---

(١) رجح القرطبي كون هذا القول في يوم القيامة كما ذهب اليه السمعاني فقال " والأول أصح ما يدل عليه ما قبله من قوله " يوم يجمع الله الرسل . . . الآية " كما يدل عليه ما بعده وهو قوله : " هذا يوم ينفخ الصادقين صدقهم . . . " .  
الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٧٤) .

(٢) البيت لأبي النجم وهو في اللسان : " طها " والأضداد لابن الانباري (١١٩) وتفسير الطبري (١١/٢٣٥) والجامع لأحكام القرآن (٦/٣٧٥) .



فان قال قائل هم لم يتخذوا أمة الها فما معنى قولسه  
" اتخذوني وامى الهين من دون الله " قبل انه جل وعز لما أراد  
ذكر عيسى مع أمه قال الهين وهذا كما يقال عند ذكر أبى بكر وعمير  
مما عمران . وقالوا هذا سنة عميرين ، ويقال للشمس والقمر قمران .  
قال الفرزدق :  
( ١ )

..... لنا قراها والنجوم الطوالع  
بمعنى الشمع والقمر .

وقيل أن عيسى كان يمضا لمريم فلما اتخذوه الها فكأنهم اتخذوا  
أمة الها فقال الهين من دون الله .  
( ٢ )

( ١ ) ديوانه ( ٤١٩ / ١ ) و صدر البيت :

أخذنا بأفاق السماء عليكم  
.....  
من قصيدة مطلعها :

منا الذى اختير الرجال سماحة وخيرا اذا هتن الرياح الزعازع

( ٢ ) قال الألوسى : واستشكلت الآيه بأنه لا يعلم أن أحدا من النصارى  
اتخذ مريم الها .

وأجيب عنه بأجوبة الأول : أنهم لما جعلوا عيسى الها لزمهم  
أن يجعلوا والدته أيضا كذلك لان الولد من جنس من يلده ، فذكر  
" الهين " عن طريق الالزام لهم .

والثانى : أنهم لما عظموها تعظيم الاله أطلق عليها اسم الاله  
كما أطلق اسم الرب على الأخبار والرهبان فى قوله : " اتخذوا أهباهم  
ورهبانهم أربابا من دون الله . . . " .

والثالث : أنه يحتمل أن يكون فيهم من قال بذلك : ويمشده هذا  
القول ما حكاه أبو جعفر الامامى عن بعض النصارى أنه قد كان فيما مضى  
قوم يقال لهم المريميه يعتقدون فى مريم الألوهيه ، وهو أولى الأوجه  
عندى .

( قال سبحانه ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق أن كنت

ظنه فقد علمته ) . اشتغل أولاً بالثناء عليه والتنزيه ونسبته  
والطهاره ( تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ) .

قال الزجاج : تفسر الشىء جطته وحقيقته فمعناه تعلم ،  
حقيقته أمرى ولا أعلم حقيقة أمرى .

وقيل معناه : تعلم ما فى عيني ، ولا أعلم ما فى عينك وعليه  
دل قوله ( انك أنت علام الغيوب ) وهو معنى الأول .

( ما ظلت لهم الا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربي وربكم وكنت  
عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى ) أى رفعتنى ( كنت أنت  
الرقيب عليهم ) وقد بينا معنى التوفى فيما سبق ( وأنت على  
كل شىء شهيد ) ( ٣ ) .

قوله تعالى ( ان تعد بهم فأنهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت  
المميز الحكيم ) ( ٤ ) فان قال قائل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار ؟  
وكيف قال " وان تغفر لهم فانك أنت المميز الحكيم " وهذا لا يليق  
بسؤال المغفرة ؟ .

قيل أما الأول فمعنى قوله " وان تغفر لهم " يبنى بمد الايمان ،

( ١ ) الطائفة آيه ١١٦ .

( ٢ ) راجع تفسيره للآيه ( ٥٥ ) من آل عمران .

( ٣ ) الطائفة آيه ١١٧ .

( ٤ ) الطائفة آيه ١١٨ .

وهذا انما يستقيم على قول السدى لأن الايمان لا ينفع  
في القيامة . والصحيح أحد القولين .

قال بعضهم هذا في فريقين منهم فقله ان تعد بهم فانهم  
عبادك " يعنى من كفر منهم " وان تغفر لهم " يعنى من أمن منهم .  
وقال أهل المعاني من أرباب النحو ليس هذا على وجه طلب  
المغفرة ، وانما هذا على تسليم الأمر اليه وتفويضه الى مراده ،  
يقول " فانك أنت العزيز الحكيم " ولو كان على وجه طلب المغفرة لقال  
فانك أنت الغفور الرحيم .

وأما السؤال الثانى أعلم أن فى مصحف ابن مسعود " وان تغفر لهم  
فانك أنت الغفور الرحيم " .

وكان ابن شنبود<sup>(١)</sup> يقرأ كذلك زمانا ببغداد فضع عنه .  
وفى قصته ، وقيل فيه تقديم وتأخير وتقدير الآية ان تغفر  
لهم فانهم عبادك وان تعد بهم فانك أنت العزيز الحكيم .

وقيل معناه أن تغفر لهم لا ينقص من عزك شىء ولا يخرج من حكمتك  
ويدخل فى حكمه الله تعالى وسمة رحمته ان يغفر للكفار لكنه أخبر أن  
لا يغفر وهو لا يخلف خبره ، ومن قال انه على تسليم الأمر لا على وجه  
(١) هو محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت ، ومنهم من يقول : ابن الصلت  
بن أيوب بن شنبود البغدادي شيخ الاقراء بالعراق مع ابن مجاهد .

كان ثقة صالحا دينا متبحرا فى القراءه .  
توفى فى صفر سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .  
معرفة للقراء الكبار ( ٢٧٦ / ١ - ٢٧٩ ) .

المغفرة استقام النظم على قوله كما بينا<sup>(١)</sup> .

قوله تعالى ( قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ) يقرأ بالرفع على الابتداء ويقرأ " يوم " بالنصب<sup>(٢)</sup> كأنه أراد في يوم فحذف في ونصب يوم<sup>(٣)</sup> . فان قال قائل كيف ينفع الصادقين صدقهم بالقيامة ، وليست بدار النفع ؟ قيل معناه : ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا لا صدقهم في القيامة .

وقيل ينفعهم بالصدق في القيامة انهم لو كذبوا نطقت جوارحهم فافتضحوا ، فاذا صدقوا لم يفتضحوا ( لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالد ين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم )<sup>(٤)</sup> ( لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شىء قدير )<sup>(٥)</sup> والله أعلم بالصواب .

( ١ ) مع وجاهة الوجوه الذى ذكرها السمعاني الا أننا نرى أن الآية الكريمة حكما يقللتفويض المطلق الذى فوضه عيسى الى ربه - سبحانه - فى شأن قومه ، ولهذا قال ابن كثير :

هذا الكلام يتضمن رد المشيئة الى الله تعالى فانه الفعـال لما يشاء الذى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ويتضمن التجربى من النصارى الذين كذبوا على الله . وكونوا على رسوله ، وجعلوا لله ندا وصاحبة وولدا .

تفسير ابن كثير ( ٢ / ١٣١ ) .

( ٢ ) قرأ نافع بالنصب ، وقرأ الباقون بالرفع . النشر فى القراءات العشر ٢ / ٢٤٧

( ٣ ) راجع الكشف فى القراءات للمسج ( ١ / ٤٢٣ ) .

( ٤ ) الطائفة آيه ١١٩ .

( ٥ ) الطائفة آيه ١٢٠ .

- الفهارس -

- ١ - فهرس الآيات التي استدل بها في غير موضعها من التفسير .
- ٢ - الأحاديث .
- ٣ - الآثار .
- ٤ - الأسماء .
- ٥ - الأعلام .
- ٦ - المراجع .
- ٧ - الموضوعات .

- فـهـرس -

الآيات التي استدلت بها في غير موضعها من التفسير

=====

## - فهرس الآيات -

| الصفحة | الآية                                                          | السورة             |
|--------|----------------------------------------------------------------|--------------------|
| ٥٠٦    | وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى البقرة آيه - ١١١ |                    |
| ٧٤١    | ولكن ليطمئن قلبى .                                             | البقره آيه - ١١٢   |
| ٦٤٨    | قال أسلمت لرب العالمين                                         | البقره آيه - ١٣١   |
|        | فلا جناح عليهما أن يتراجعا .                                   | البقره آيه - ٢٣٠   |
|        | من ذا الذى يقرئ الله قرضا حيناً .                              | البقره آيه - ٢٤٥   |
| ١٠٧    | أسلمت لرب العالمين .                                           | آل عمران آيه - ٦٧  |
|        | وما عند الله خير للأبرار .                                     | آل عمران آيه - ١٩٨ |
| ٢٦٠    | ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها                     | النساء آيه - ٥٨    |
| ١٩٥    | فان حزب الله هم الغالبون                                       | المائدہ آيه - ٥٦   |
| ٥٤٧    | لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة                         | المائدہ آيه - ٧٣   |
| ٣٦٥    | والله ربنا ما كنا مشركين                                       | الأنعام آيه - ٢٣   |
| ٥١٧    | وانا رأيت الذين يخضون فى آياتنا فاعرض عنهم .                   | الأنعام آيه - ٦٨   |
| ٥١٧    | وأما ينسبك الشيطان فلا تقم بعد الذكوى                          |                    |
|        | مع القوم الظالمين .                                            | الأنعام آيه - ٦٨   |
| ٦٨٠    | لا تدركه الأبصار .                                             | الأنعام آيه - ١٠٣  |
| ٤٠٧    | يجعل صدره ضيقا حرجيا                                           | الأنعام آيه - ١٢٥  |
| ٢٩٤    | ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق                       |                    |
|        | ذلكم وصاكم به .                                                | الأنعام آيه - ١٥١  |
| ٤٢٦    | تطيروا بموسى ومن معه .                                         | الأعراف آيه - ١٣١  |

## - تابع فهرس الآيات -

| الصفحة | الآيات                                                                                                            | السورة                                 |
|--------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------|
| ٣٣٤    | ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم .                                                                        | الأعراف آيه ١٥٧                        |
| ٣٩٥    | فاضربوا فوق الأعناق .<br>وان يريكموهم ان التقيتم في أعينكم ظهرا ويقتلكم<br>في أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا . | الأنفال آيه - ١٢<br>الأنفال آيه ف - ٤٤ |
|        | وأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض .                                                                                   | الأنفال آيه - ٧٥                       |
| ٦٠٧    | قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله .                                                                                    | التوبة آيه - ٢٩                        |
| ٤٠٥    | وليحلفن ان أردنا الا الحسنى                                                                                       | التوبة آيه - ١٠٧                       |
| ٤١٧    | فيقتلون ويقتلون                                                                                                   | التوبة آيه - ١١١                       |
|        | وما كان المؤمنون لينفروا كافة                                                                                     | التوبة آيه - ١٢٢                       |
| ٣١٠    | حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت<br>الآن .                                                                     | يونس آيه - ١                           |
|        | الر كتاب أحكمت آياته .                                                                                            | هود آيه - ١                            |
| ٦٦٣    | واسأل القرية                                                                                                      | يوسف آيه - ٨٢                          |
| ٦٨١    | فاعدع بما توءم                                                                                                    | الحجر آيه - ٩٤                         |
| ٤٢٦    | اتطينا بك وبمن معك                                                                                                | النحل آيه - ٤٧                         |
| ٥٩٠    | فاذا قرأت القرآن فاستمع بالله                                                                                     | النحل آيه - ٩٨                         |
| ٥٤٣    | وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا                                                                                     | الاسراء آيه - ١٥                       |
| ٢٣٩    | لتنذر بأسا شديدا .                                                                                                | الكهف آيه - ٤                          |
| ٣٧٢    | صعيدا رليقا .                                                                                                     | الكهف آيه - ٤٠                         |



## - تابع فهرس الآيات -

| الصفحة | الآيات                                                                                                                                  | السورة             |
|--------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------|
| ٧٧     | ثلاث ليال سويًا .                                                                                                                       | مريم آية - ١٠      |
| ٨٣     | انى عبد الله                                                                                                                            | مريم آية - ٣٠      |
| ٥٣٥    | وان منكم الا واردها                                                                                                                     | مريم آية - ٧١      |
| ٧٣٢    | لأصلبكم فى جذوع النخل                                                                                                                   | طه آية - ٧١        |
| ٣٤٧    | ولا تمجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك<br>وحيه .                                                                                          | طه آية - ١١٤       |
| ٥٤٣    | ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبل فقالوا ربنا لو<br>أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل<br>أن تذل وتخزي .                                  | طه آية - ١٣٤       |
| ٣٣٧    | والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون<br>النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون .                                                | الفرقان آية - ٦٨   |
| ٤٤٩    | ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق<br>ولا يزنون ومن يفعل ذلك أثاما يضاعف له<br>العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من<br>تاب . | الفرقان آية ٦٨، ٦٩ |
| ١١٢    | قل عسى أن يكون ردف لكم .                                                                                                                | النمل آية - ٧٢     |
| ٥٢٩    | ان أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا                                                                                                     | القصص آية - ٢٥     |
| ٤٢٦    | انا تطيرنا بكم .                                                                                                                        | يس آية - ١٨        |
| ٥٨     | وآية لهم أن حطنا نريتهم فى الفلك المشحون                                                                                                | يس آية - ٤١        |

## - تابع فهرس الآيات -

| <u>الصفحة</u> | <u>الآيات</u>                               | <u>السورة</u>     |
|---------------|---------------------------------------------|-------------------|
| ١٩٥           | وان جندنا لهم الغالبون                      | الصافات آيه - ١٧٣ |
|               | والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها           | الزمر آيه - ١٧    |
|               | الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها          | الزمر آيه - ٢٣    |
| ١٥١           | أنك ميت وانهم ميتون .                       | الزمر آيه - ٣٠    |
| ٣٨١           | ان الله يفر الذنوب جميعا .                  | الزمر آيه - ٥٣    |
| ١٧٥           | وجعل فيهما رؤاسى من فوقهما وبارك فيهما وقدر |                   |
|               | فيهما أقواتهما فى أربعة أيام .              | الزمر آيه - ٥٣    |
| ١٧٥           | بالذى خلق الأرض فى يومين .                  | فصلت آيه - ٩      |
| ١٧٥           | فقتضاهن سبع سموات فى يومين .                | فصلت آيه - ١٢     |
| ٦٥٦           | وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من  |                   |
|               | الجن والانس .                               | فصلت آيه - ٢٩     |
| ٤٢٧           | وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيدىكم        | الشورى آيه - ٣٠   |
| ٥٢٠-٩٠        | وجزاء سيئة سيئة مثلها .                     | الشورى آيه - ٤٠   |
| ٥٩٨           | ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم  |                   |
|               | نعمته عليك .                                | الفتح آيه - ٢     |
| ١٨٥           | وفى السماء رزقكم وما توعدون                 | الذاريات آيه - ٢٢ |
| ٤٣٩           | يوءتكم كفلين من رحمته                       | الحديد آيه - ٢٨   |
|               | ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم         | المجادله آيه - ٢٨ |
| ٥١٨           | استحوذ عليهم الشيطان                        | المجادله آيه - ١٩ |

## - تابع فهرس الآيات -

| الصفحة | الآيات                                                            | السورة            |
|--------|-------------------------------------------------------------------|-------------------|
| ٥٢     | لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله . | المجادلة آية - ٢٢ |
| ٦٣٨    | ان تتوبا الى الله فقد صفت قلوبكما                                 | التحریم آية - ٤   |
| ١٢٥    | ملك عنى سلطانيه .                                                 | الحاقة آية - ٢٩   |
| ٤٨٨    | بالكم لا ترجون لله وقارا .                                        | نوح آية - ١٣      |
|        | وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا .                                 | الجن آية - ١٥     |
| ٢٤١    | فلا يظهر على غيبه أحدار الا من ارتضى من رسول .                    | الجن آية - ٢٦، ٢٧ |
| ٣٦٤    | ويقول الكافر يا ليني كنت ترابا .                                  | النبأ آية - ٢٠    |
| ١٥٥    | وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة                                            | عبس آية ٣٨-٣٩     |
| ٤٤٤    | يوم يقوم الناس لرب العالمين                                       | المطففين آية - ٦  |



## - فهرس الأحاديث -

| الصفحة | الحديث                                               |
|--------|------------------------------------------------------|
| ٣٥٥    | ١ - أتدرى ما حق الله على العباد .                    |
| ٣٩٦    | ٢ - اد الأمانة الى من ائتمنك .                       |
| ٣٠٦    | ٣ - اد أتى الرجل الرجل فهما زانيان .                 |
| ٣٣١    | ٤ - اذا زنت أمة احدكم فليجدها .                      |
| ١٥     | ٥ - اذا رأيت الذين يجادلون في الآيات .               |
| ٧٢٩    | ٦ - اذا رأيتم الظالم فخذوا على يديه .                |
| ٢٣٢    | ٧ - أرواح الشهداء في حواصل طير خضراء .               |
| ٥٩٤    | ٨ - ارجع فأحسن الموضوع .                             |
| ٤٣٩    | ٩ - اشفعوا توءجروا .                                 |
| ٤٢     | ١٠ - أشد الناس عذابا يوم القيامة .                   |
| ٦٥٠    | ١١ - اشترطي لهم الولاء .                             |
| ٧٠٤    | ١٢ - أعوذ بالله من الرجس النجس .                     |
| ٥٣     | ١٣ - أفضل الجهاد كلمة حق .                           |
| ٨٠     | ١٤ - أفضل الصلاة طول القنوت .                        |
| ١٥٩    | ١٥ - أفضل الشهداء بعد شهداء أحد .                    |
| ١٣٩    | ١٦ - أقسمه بين الفقراء وقرايتك .                     |
| ٣٦٢    | ١٧ - اقرأ عليّ القرآن .                              |
| ٣٣٧    | ١٨ - اكبر الكبائر الاشرار بالله .                    |
| ٥٠٨    | ١٩ - أما أنت بأبو بكر .                              |
| ٥٩٨    | ٢٠ - أمتي غر محجلون من آثار الموضوع .                |
| ٢٦٦    | ٢١ - أنا الرحمن خلقت الرحم واشتققنلها اسما من اسمي . |

## - تابع فهرس الأحاديث -

| الصفحة  | الحديث                                            |
|---------|---------------------------------------------------|
| ٦٣      | ٢٢ - أنا وكافل اليتيم .                           |
| ٩٦      | ٢٣ - أنا أولى بعيسى بن مريم .                     |
| ٢٦٣     | ٢٤ - ان المرأة خلقت من ضلع أعوج .                 |
| ٢٦٦     | ٢٥ - ان الله تعالى يعمر الديار .                  |
| ٢٦٩     | ٢٦ - ان طلاق ام أيوب لحوب .                       |
| ٢٩٩     | ٢٧ - ان في الجنة يكون الأب على الدرجة العاليه .   |
| ٣٥٧     | ٢٨ - ان لى جارين فالي أيهما أهدى .                |
| ٥٣      | ٢٩ - ان أفضل الشهداء بعد شهداء أهد .              |
| ٣٥٩     | ٣٠ - ان رجلا كان يتبختر في حمله                   |
| ٤٤٢     | ٣١ - ان رجلا جاء وسلم على النسبي                  |
| ٥٤      | ٣٢ - ان الله اتخذني خليلا                         |
| ١٠      | ٣٣ - ان النطفة اذا وقفت في الرحم                  |
| ٣٢-٣١   | ٣٤ - ان أهل الجنة اذا دخلوا الجنة                 |
| ٤٠      | ٣٥ - ان لعبدى هذا عندى عهدا                       |
| ١٤٧     | ٣٦ - ان الله كتب عليكم الحج                       |
| ٤٣٦     | ٣٧ - انه يبعث أنه على حده                         |
| ٥٨٣     | ٣٨ - انى نظرت في الأريان فارتضيت لكم الاسلام دينا |
| ٦٩٠     | ٣٩ - أول ما دخل النقص في بنى اسرائيل              |
| ١٤٢-١٤١ | ٤٠ - أى المساجد وضع أولا .                        |

## - تابع فهرس الأحاديث -

| الصفحة | الحديث                             |
|--------|------------------------------------|
| ٦٥٠    | ٤١ - الايمان يمان والحكمة يمانيه . |
| ٣٥٧    | ٤٢ - ألا ان الجدان أربعمون دارا    |
| ٤٩٥    | ٤٣ - الا أدلك على صدقته            |

## ( ب )

|     |                                    |
|-----|------------------------------------|
| ٣٣٤ | ٤٤ - بمثت بالسمة السهله الحنيفيه . |
|-----|------------------------------------|

## ( ت )

|     |                                              |
|-----|----------------------------------------------|
| ٤٦٣ | ٤٥ - التانى من الله والمجلة من الشيطان       |
| ١   | ٤٦ - تجيبى البقرة وآل عمران                  |
| ١٥٥ | ٤٧ - تسود وجوه الخوارج                       |
| ٢٦١ | ٤٨ - تعلموا سورة البقره والنساء والمائدة     |
|     | ٤٩ - تعلموا البقره وآل عمران                 |
| ٢٥٣ | ٥٠ - تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق . |

## ( ث )

|     |                                          |
|-----|------------------------------------------|
| ١٢٠ | ٥١ - ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم |
| ٢٢٣ | ٥٢ - ثلاثة لا يفل عليهم                  |

## ( ج )

|     |                                                             |
|-----|-------------------------------------------------------------|
| ٣٣٩ | ٥٣ - الجمعة الى الجمعة والصلوات الخمسة كفارة لنا<br>بينهن . |
|-----|-------------------------------------------------------------|

- ثابع فهرس الأحاديث -

| الصفحة | الحديث                                         |
|--------|------------------------------------------------|
|        | ( ح )                                          |
| ٧٢٣    | ٥٤ - حلوان الكاهن خبيث .                       |
|        | ( خ )                                          |
| ٣٠٤    | ٥٥ - خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا   |
| ٣٩٨    | ٥٦ - خذوها يا بني طلحة خالدة تالده             |
| ٧٠٦    | ٥٧ - الخمر أم الخبائث                          |
| ٣٥٣    | ٥٨ - خير النساء من اذا دخلت عليها سرتك         |
|        | ( د )                                          |
| ٧٠٤    | ٥٩ - درهم من الحلال خير من ماء                 |
|        | ( ذ )                                          |
| ٢٩٢    | ٦٠ - الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر |
|        | ( ر )                                          |
| ٩٤     | ٦١ - رأيت ابني الخاله عيسى ويحيى               |
| ٩٤     | ٦٢ - رأيت المسيح ابن مريم يطوف بالببيت         |
| ٧٢٨    | ٦٣ - رأيت النار فرأيت فيهما عمرو بن لحي        |



## - تابع فهرس الأحاديث -

| <u>الصفحة</u> | <u>الحديث</u>                                          |
|---------------|--------------------------------------------------------|
|               | ( س )                                                  |
| ٥٤٤           | ٦٤ - سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عدد الأنبياء |
| ١٧٨           | ٦٥ - سوموا فان الملائكة قد سومت                        |
| ٤٤٣           | ٦٦ - السلام سنة وردة فريضه                             |
| ١٩٢           | ٦٧ - سنوا بهم سنة أهل الكتاب                           |
| ٥٢٦           | ٦٨ - السيئتان بالسيئة رسا                              |
| ١٤٦           | ٦٩ - سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحله              |
| ١٤٦           | ٧٠ - سئل أى الحاج                                      |

## ( س )

|     |                                        |
|-----|----------------------------------------|
| ٤٧٩ | ٧١ - صدقة تصدق الله بها عليكم          |
| ٣٥٨ | ٧٢ - الصلاة وما طمكت أيمانكم           |
| ٤٧٩ | ٧٣ - صلى صلاة الخوف فجعل أصحابه فرقتين |
| ٢٥٣ | ٧٤ - صلى قائما فان لم تستطع فقاعد      |

## ( ن )

|     |                         |
|-----|-------------------------|
| ٣٥٨ | ٧٥ - الضيافة ثلاثة أيام |
|-----|-------------------------|

## ( ع )

|     |                                       |
|-----|---------------------------------------|
| ١٣٩ | ٧٦ - عليكم بالصدق فانه يهدى الى السبر |
|-----|---------------------------------------|

## - تابع فهرس الأحاديث -

| <u>الصفحة</u> | <u>الحديث</u>                                 |
|---------------|-----------------------------------------------|
|               | ( ق )                                         |
| ٤٧١           | ٧٧ - فاتحة الكتاب وآية الكرسي                 |
| ٤٩            | ٧٨ - في الجنة مائة درجة                       |
| ١٥١           | ٧٩ - القرآن حبلى مطود                         |
|               | ( ك )                                         |
| ٤٤٠           | ٨٠ - كفى بالمرء اثماً أن يضيع من يقوت         |
| ٤٩٤-٤٩٥       | ٨١ - كل عمل ابن آدم عليه الا ثلاثه            |
| ٦٤٧           | ٨٢ - كل جسم نبت من سحت النار أولى به          |
| ٦٧٨           | ٨٣ - كلتا يديه يمين                           |
| ١٢٢           | ٨٤ - كونوا علماء حكماً                        |
|               | ( ل )                                         |
| ١٥٩           | ٨٥ - لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر        |
| ٤٦٠           | ٨٦ - لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا |
| ٥١٦           | ٨٧ - اللهم هذا قسمي في ما أملك                |
| ٢٠            | ٨٨ - اللهم فقهه في الدين                      |
| ٢٦٣           | ٨٩ - لما خلق آدم ألقى عليه الندم              |
| ٣٥٣           | ٩٠ - لو جاز أحد أن يسجد لأحد                  |

## - تابع فهرس الأحاديث -

| الصفحة | الحديث                                              |
|--------|-----------------------------------------------------|
| ١٠٣    | ٩١ - لو تلاعنوا لصاروا قردة وخنازير                 |
| ١٠٣    | ٩٢ - لو تلاعنوا لم يبق في الدنيا نصراني ولا نصرانيه |
| ٥٠٦    | ٩٣ - ليس الدين بالتمنى                              |
| ٩٢     | ٩٤ - ليهبطن عيسى بن مريم                            |

## ( ٢ )

|     |                                                          |
|-----|----------------------------------------------------------|
| ٣٣٩ | ٩٥ - ما من مسلم يصديه وصب أو نصب .                       |
| ٣٥٦ | ٩٦ - ما زال جبريل يوعيني بالجار                          |
|     | ٩٧ - ما الدنيا في الآخرة الا كما يفص أحدكم المخيط فسي    |
| ٤٢٥ | البحر                                                    |
| ٥٠٨ | ٩٨ - ما من أحد تصيه مصيه                                 |
| ٦١  | ٩٩ - ما من ولد يولد الا ويظعن                            |
| ١٩٠ | ١٠٠ - ما أصبر من استغفر                                  |
| ١٩١ | ١٠١ - ما من عبد يذنيغيتوضاً                              |
| ٢٣٢ | ١٠٢ - مالي أراك حزينا                                    |
| ٥٩٣ | ١٠٣ - ما من رجل يتوضأ فيفسل وجهه الا خرجت خطايا          |
|     | ١٠٤ - ما من رجل يقتل الى يوم القيامة الا وطى ابن آدم كفل |
| ٦٢٩ | منه .                                                    |
| ٥٢٢ | ١٠٥ - مثل المنافق كمثل الشاه                             |

## - تابع فهرس الأحاديث -

| الصفحة  | الحديث                                              |
|---------|-----------------------------------------------------|
| ٧٠٦     | ١٠٦ - مد من الخمر كعابد الوثن                       |
| ٢٦١     | ١٠٧ - من قرأ سورة البقره وآل عمران والنساء          |
| ٢٩٣     | ١٠٨ - من أكسى يتيما فحق على الله أن يكي عينيه       |
| ٣٠٩-٣٠٨ | ١٠٩ - من تاب قبل موته بستة تاب الله عليه .          |
| ٣٥٧     | ١١٠ - من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم خديفه   |
| ٤٠٠     | ١١١ - من عصى أمرى فقد عصانى                         |
| ٤٣٢     | ١١٢ - من أشراط الساعه ولا يأتون الصلاة الا دبرا     |
| ٤٣٩     | ١١٣ - من شفع فى حد من حدود الله                     |
| ١١٩     | ١١٤ - من حلف على يمين كان به ليقطع بهما             |
| ١٨٧     | ١١٥ - من أملاً غيظاً وكظمه خيره الله فى الحور العين |
| ٢٤٢     | ١١٦ - من ماز أذى من الطريق                          |
| ٢٤٢     | ١١٧ - من منع الزكاة جاء يوم القيامة                 |
| ٢٤٩     | ١١٨ - من سؤل عن ظم فكنمه ألجم بلجام من نار          |
| ٥٦٨     | ١١٩ - من حلف على يمين فرأى غيرها                    |
| ٥٧٠     | ١٢٠ - من تطير أو تكهن أو تعرف لم ينظر الى الجنه     |
|         | ١٢١ - من كان له فى بنى اسرائيل خادم وامرأة          |
| ٦٧٠     | ١٢٢ - من كنت مولاه فعلى مولاه                       |
| ٢١٩     | ١٢٣ - الموءنون ميسون لينون                          |

## - تابع فهرس الأحاديث -

| الصفحة | الحديث                                              |
|--------|-----------------------------------------------------|
| ( ن )  |                                                     |
| ٢٠٥    | ١٢٤ - نصرت بالربح مسيرة شهر                         |
| ( هـ ) |                                                     |
| ٣٦٣    | ١٢٥ - هذا يارب فيمن رايت                            |
| ٨٩     | ١٢٦ - هو ابن عمي وحواري من أمتي                     |
| ( و )  |                                                     |
| ٦٢٧    | ١٢٧ - الوسيلة درجة في الجنة ليس فوقها درجة          |
| ٥٩٣    | ١٢٨ - ويل للأعقاب من النار                          |
| ( لا ) |                                                     |
| ٣٩٦    | ١٢٩ - لا ايمان لمن لا امانة له                      |
| ٢٢٣    | ١٣٠ - لا ألقين أحدكم يأتي يوم القيامة               |
| ٤٣٢    | ١٣١ - لا تدابروا                                    |
| ٥٤٦    | ١٣٢ - لا يدعون أحدكم على ابنه                       |
| ٦٣١    | ١٣٣ - لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاثه           |
| ٥٩٣    | ١٣٤ - لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه |
| ٦٨٥    | ١٣٥ - لا يدخل رعب المسيح الدجال الجنة أبدا          |
|        | ١٣٦ - لك مثل الأرغى ذهبيا                           |

## - تابع فهرس الآيات -

| الصفحة | الحديث                                        |
|--------|-----------------------------------------------|
| —      | —                                             |
|        | ( ي )                                         |
|        | —                                             |
| ٥٢٠    | ١٣٧ - يجاء بالذى خان الأمانه يوم القيامه      |
| ٣١٩    | ١٣٨ - يحرم من الرضاع ما يحرم بالنسب           |
| ٢٩٢    | ١٣٩ - يخرج لهب النار من جوفهم يوم القيامه     |
| ٦٥١    | ١٤٠ - يخرج من النار رجل ذهب حيره وسيره        |
| ٣٩٥    | ١٤١ - يصير جلد الكافر فى النار أربعون ذراعاً  |
| ٦٨٥    | ١٤٢ - يقبل المسيح من قبل المشرق وحمته الحدينه |
| ٣٨     | ١٤٤ - يقول الله تعالى للكافرين يوم القيامه    |
| ٣٩٥    | ١٤٥ - يكون عليه مائه جلد بين لون من العذاب    |
| ٥٢     | ١٤٦ - يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك .       |
| ٥٢٠    | ١٤٧ - يؤتى بناس من الناس يوم القيامه          |
| ٣٨     | ١٤٨ - يؤتى بالأعمال يوم القيامه               |

- فهرس الأسماء -

## - فهرس الآشعار -

| الصفحة | الأثر                                        |
|--------|----------------------------------------------|
| ٢٠١    | أبو بكر امام الشاكرين                        |
| ٣٢١    | أبهموا ما أبهمه الله                         |
| ٥٥٠    | آخر سورة أنزلت براءه                         |
|        | إذا سمعت الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا |
| ٥٦٩    | قارعه سمعك .                                 |
| ٦٥٧    | إذا دعوت الله فهيمنوا                        |
| ٢٧٧    | إذا مرض أحدكم فليفرغ من امرأته               |
| ٢٨٢    | إذا كان الولي فقيرا                          |
| ٢٨٢    | أنا في هذا المال كولي اليتيم                 |
|        | أن الله تعالى خلق الرجل من التراب فنهمنه فسي |
| ٢٦٤    | التراب .                                     |
|        | أنزل القرآن على أربعة أوجه .                 |
| ٣٠١    | انما يرثني كلالا                             |
| ٤٨٩    | أملك والرأى                                  |
| ٢٥٦    | البر لا يؤذى الذر                            |
| ٣٨٥    | الجيت السحت والطاغوت الشيطان                 |
| ٣٨٥    | الجيت الساحر بلغة الحبشه                     |



## - تابع فهرس الآثار -

| الصفحة | الأثر                                                        |
|--------|--------------------------------------------------------------|
| ٣٠٠    | خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يمين لنا<br>ثلاثه . |
| ٤٦٣    | الدنيا عروى حاجز                                             |
| ٥٧٧    | سئل ابن عباس عن الطحال فقال كلوه                             |
| ٣٣٨    | شتتم أبي بكر وعمر من الكبائر                                 |
| ١٨٩    | صليت خلف عثمان فلما انصرف من صلاته                           |
| ٤٨٠    | فرغى الله الصلاة على لسان نبيه                               |
| ٣٣٨    | الكبائر سبعة                                                 |
| ٣٣٧    | الكبائر أربعة                                                |
| ٣٣٨    | الكبائر تسعة                                                 |
| ١٨٤    | كثرة الريا الى قلبه                                          |
| ٤١٨    | كنت أنا وأمي من المستضعفين                                   |
| ٦٦١    | لأن أعلم أن الله تعالى قبل صلاة من صلاتي                     |
| ٤٣٢    | ليس في القرآن تناقض أو تفاوت                                 |
| ٢٤٠    | ما من أحد الا والصوت خير له                                  |
| ١٨٤    | ماهلك قوم الا وقد فشى فيهم الريا                             |
| ٧٤٠    | من أطاع الله أطاعه الله                                      |

- تابع فهرس الأثار -

| <u>الصفحة</u> | <u>الأثر</u>                      |
|---------------|-----------------------------------|
| ٦٨٠           | من قال ان محمد كتم شيئاً من الوحي |
| ٣٣٨           | هن الى السبعين أقرب               |
| ٥٩٠           | الوضوء لكل صلاة مكتسبه            |
| ٣٢٠           | لا تحرم أم الزوجه الا بعد الدخول  |

( ٧٧٢ )

- فهرس الأشعار -

## - فهرس الأَشعار -

| الصفحة | الأشعار                          |
|--------|----------------------------------|
| ٥١     | عدى بن الرعلاء                   |
| ١٠٤    | زهير بن أبي سلمى                 |
| ١٣٠    | عبد الله بن قيس الرقيات          |
| ٤٣١    | الحارث بن حلزة                   |
| ٢٠١    | جرير                             |
| ٤٧٧    | النايفه الجمدي                   |
| ٢٣١    | لم أجده                          |
| ٦٥     | الكميت بن زيد                    |
| ٣٥٢    | لم أجده                          |
| ٤٤٠    | الزبير بن عبد المطلب             |
| ٣٠٣    | لم أجده                          |
| ٥٨٥    | الأعشى                           |
| ٥٩٤    | عبد الله بن الزمصرى              |
| ٩٠     | أبو جلدة بن عبيد بن منقذ اليشكرى |
| ٢٠٧    | جرير                             |
| ١٨٠    | الأعشى                           |
| ٦٧٢    | أوس بن حجر                       |

## - تابع فهرس الأشجار -

| الصفحة | الأشجار                         |         |
|--------|---------------------------------|---------|
| ٤٦٢    | لم أجده                         | موعدي   |
| ٤٨٨    | الهذلي                          | واحد    |
| ٥٤٠    | خرنق بن عفان                    | الأرز   |
| ١٦٢    | لم أجده                         | حر      |
| ٤٠٧    | طرفه                            | شجير    |
| ١٦٢    | لم أجده                         | صر      |
| ١٨٢    | امروء القيس                     | فتعدرا  |
|        | سواده بن الرعلاء وقيل لأمية بسن | الفقيرا |
| ٥٧     | أبي السلت .                     |         |
| ١٠٤    | الربيع بن زياد                  | نهار    |
| ٦٥٩    | الفرزق                          | والنكر  |
| ٥٠٠    | لم أجده                         | عرضا    |
| ٢٢٢    | الحويدره                        | الخروع  |
| ١٦٢    | النايفه زياد بن معاويه          | طائع    |
| ٧٤٦    | الفرزق                          | الطوالع |
| ٣٤٨    | لم أجده                         | واتبع   |

## - تابع فهرس الأشعار -

| الصفحة | الأشعار                         |
|--------|---------------------------------|
| ٥١٦    | عمرو بن معد يكرب وجميع          |
| ٦٠٦    | أبو زيد الطائسي الصيارييف       |
| ٦٤٧    | الفرزدق محلف                    |
| ٥١٠    | بشار خديلا                      |
| ٣٣١    | كثير عزة سبيل                   |
| ٦٠٠    | عبد العزيز الكلابي سلسبيلا      |
| ٢٢٦    | ابن هرمة ابراهيم بن علي السسيول |
| ٧٤٥    | أبو النجم العلي                 |
| ١٠٢    | لبيد بن ربيعة فابتهل            |
| ٣٨٤    | الناخسه فتيل                    |
| ٣٥٨    | أنس بن الساهق المبدى فخل        |
| ٤٨٨    | غير منسوب فشل                   |
| ٣٢٦    | امروء القيس معول                |
| ٣٠٤    | عمرو بن أبي ربيعة المفضلا       |
| ٢٦٢    | لم أجده الكمال                  |
| ٦٥٣    | روءبه بن المعجاج ولا هطاملا     |
| ٧١     | عنتره العيسسي الأسمم            |

## - تابع فهرس الأسماء -

| الصفحة | الأسماء                           |            |
|--------|-----------------------------------|------------|
| ٤٤٨    | الأعشى                            | رواغم      |
| ٦٤     | وضاح اليمين عبد الرحمن بن اسماعيل | السلما     |
| ٨٠     | الأحوس                            | السلام     |
| ٧٢١    | حسان بن ثابت                      | قيم        |
| ٣١٧    | الغورزق                           | كسرام      |
| ٥٧٣    | لم أجده                           | لم ينم     |
| ٨٣     | رشيد بن رميض المعنزي              | مسوح القدم |
| ٥١٠    | زهير بن أبي سلمى                  | ولا حرم    |
| ٥٧٣    | الحكم بن ضبيصه                    | ولا غنم    |
| ٣٧١    | الأعشى بن ثعلبه                   | ذى شزن     |
| ٤٤١    | بشاهمه بن جزء النهشلى             | فاسقينسا   |
| ٣٩٢    | أبورد هبل الجمعى                  | الكانون    |
| ٥١٢    | غير منسوب                         | اللياتا    |
| ٣٤٣    | الفضل بن عباس                     | مد فونا    |
| ٥٨٦    | لم أجده                           | المنون     |
| ٢٧٤    | لم أجده                           | الموازن    |
| ٢٣١    | المثقب المبدى                     | ود بنى     |

## - تابع فهرس الأشعار -

| الصفحة | الأشعار                              |              |
|--------|--------------------------------------|--------------|
| ٢٥٣    | أبو محمد الثقفي                      | أن لا أذوقها |
| ١٤٣    | لم أجده                              | بكنه         |
| ١٥٢    | الأعشى                               | حبالها       |
| ٨٧     | لبيد بن ربيعة                        | حمامها       |
| ٢٤٧    | أميه بن العلت                        | ذاثقها       |
| ٥٩٤    | لم أجسده                             | عيناها       |
| ٤٦٢    | لم أجسده                             | مانعه        |
| ٦٥٩    | عبد الله بن قيس الرقيات              | غضبوا        |
| ٤٨٨    | غير منسوب                            | قتلوا        |
| ٥٧٥    | أبو أسماء الضريبه وقيل لعطية بن عفيف | يفضبوا       |
| ١٩٢    | سليمان بن قتبه                       | النأسيا      |
| ٦٣٦    | غير منسوب                            | ولا الموتى   |
| ٤٥     | زهير بن أبي سلمى                     | يفغرى        |
| ٣٦٠    | عدي بن زيد                           | يقصدى        |



( ٧٧٨ )

فهرس الأعلام

## - فهرس الأعـــلام -

| الصفحة    | المعلم                              |
|-----------|-------------------------------------|
| ٥٣٨       | ابان بن عثمان                       |
| ٢٦٥       | ابراهيم النخعي                      |
| ١٥٥       | أبو امامة بن ثعلبه                  |
| ٢٦٩       | أبو أيوب الأنصاري                   |
| ١٩٠       | أبو بكر الصديق                      |
| ٢٦٦       | أبو بكر بن عياش الزرقى              |
| ٧٣٠       | أبو ثعلبة الخشني                    |
| ٣٨٩       | أبو جعفر محمد بن علي الباقر         |
| ٣٤٩ - ٤٦٣ | أبو جعفر الطائي يزيد بن القمقاع     |
| ١٩        | أبو حاتم : سهل بن محمد              |
| ٣٠٥       | أبو حنيفة النعمان                   |
|           | أبو البختری : سميد بن فيروز         |
| ١٤١       | أبو نذر الخفاري : جندب بن جنادة     |
| ٦٥٠       | أبورزيـــــن : سمود بن مالك الأسيدي |
| ٥٩٥       | أبو زيد الأنصاري                    |
| ٣٢٤       | أبو سميد الخدري                     |
| ١٦٦       | أبو سفيان جنهر بن حرب               |

## - تابع فهرس الأعلام -

| الصفحة    | العلم                                     |
|-----------|-------------------------------------------|
| ٦٨٥       | أبو سفيان طلحة بن نافع                    |
| ٢١٣ - ١٣٩ | أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل              |
| ٧١٣       | أبو اليسر الأنصاري : كعب بن عمرو بن عمار  |
|           | ابن جريج : عبد الملك بن عبد العزيز        |
| ٢٥        | ابن شنيون : محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت |
| ٣٧٢       | ابن الأعرابي : محمد بن زياد               |
| ١٩١       | ابن المصنف                                |
| ١٨        | أبي بن كعب                                |
| ١٩        | الأخفش سعيد بن مسعدة                      |
| ٢٧٤ - ٩٩  | الأزهري محمد بن أحمد                      |
| ٤٦٤       | أسامة بن زيد                              |
| ١٩٥       | أسماء بن الحكم الفيزاري                   |
| ٢٤٥       | الأسود بن يزيد النخعي ، أبو عمرو          |
| ١١٩       | الأشعث بن قيس                             |
| ٢٥٨       | أصحمة النجاشي                             |
| ٦٣٩       | الأصمعي : عبد الملك بن قريب               |
| ٣٩        | الأعمش : سليمان بن مهسران                 |

## - تابع فهرس الأعلام -

| الصفحة   | العلم                        |
|----------|------------------------------|
| ٢٦٥      | أم أيوب الأنصاريه            |
| ٢٨٥      | أم كجسه                      |
| ٣٢٦ - ٨٢ | امروء القيس بن حجر           |
| ٢٢       | أم سلحه هند بن أميه          |
| ٢٣       | أنس بن مالك                  |
| ١٩٩      | أنس بن النضر                 |
| ٢٨٥      | أوس بن ثابت الأنصاري         |
| ٥٥٠      | البراء بن عازب               |
| ٤٠٩      | ثابت بن قيس بن شماس          |
| ٧٢٠      | ثعلب أبو العباس أحمد بن يحيى |
| ١٥٢ - ١٢ | جابر بن عبد الله الأنصاري    |
| ٤٩       | جعفر بن محمد الصادق          |
| ١٣٠      | الحارث بن أوس بن الصامت      |
| ٤٥٥      | الحارث بن زياد               |
| ٧٠       | حسان بن ثابت                 |
| ١٠٠      | الحسن بن علي بن أبي طالب     |
| ١٠٠      | الحسين بن علي بن أبي طالب    |

## - تابع فهرس الأعلام -

| الصفحة    | الملي               |
|-----------|---------------------|
| ٧٠        | الحويذره            |
| ٥٧٣       | الحكم بن ضبيعه      |
| ٣٠٠       | الحكم بن عتبه       |
| ٢٩١       | حنظله بن الشمردل    |
| ١٤٢       | خالد بن عرعره       |
| ٢٠٩       | خالد بن الوليد      |
| ٤٨٤       | خوات بن جبير        |
| ٣٢٥       | خلاس بن عمرو        |
| ٩٣        | الربيع بن أنس       |
| ٣٢٦       | الربيع بن سيره      |
| ٣٣        | زيد بن أسلم         |
| ٤٤٤       | زيد بن ثابت         |
| ٢١٣ - ٨٩  | الزبير بن العوام    |
| ١٣٩       | الزجاج              |
| ٥٨٤       | زيد الخيل الطائى    |
| ٤٣٦       | زيد بن عمرو بن نفيل |
| ٢٧٠ - ١٨١ | الزهري              |

## - تابع فهرس الأعلام -

| الصفحة    | العلم                                           |
|-----------|-------------------------------------------------|
| ١٠٤       | زهير بن أبى سلمى                                |
| ٣٢٢       | زينب بنت جحش                                    |
| ١٨١       | سالم بن عبد الله بن عمرو                        |
| ١٦٧ - ٥٤  | السدى اسماعيل بن عبد الرحمن                     |
| ٢١٥ - ١٠٠ | سعد بن أبى وقاص                                 |
| ٤٩٤       | سعد بن الربيع                                   |
| ١٧٢       | سعد بن عباد                                     |
| ٧١ - ٣٠   | سعيد بن جبير                                    |
| ٧٢ - ٢٨   | سعيد بن المسيب                                  |
| ٢٨١       | سفيان الثوري                                    |
| ٥١٩       | سلمان الفارسي                                   |
| ٤٥١       | سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستاني النهوي |
| ٥١٥       | سودة بنت زمعه                                   |
| ٢٧٨       | الشعبي                                          |
| ٧٣        | الشافعي محمد بن ادريس                           |
| ٣٩٨       | شيبه بن عثمان بن أبى طلحه                       |
| ٤٨٢       | صالح بن خوات                                    |

## تتابع فهرس الأعلام -

| الصفحة     | المليح                              |
|------------|-------------------------------------|
| ٧١٠ ٢٨٠ ١١ | الضحاك                              |
| ٤٢٢        | طلحه بن عبد الله                    |
| ٧٥         | طلحه بن مصرف                        |
| ١٨         | ط' ووس بن كيسان                     |
| ٢٠٨        | عبد الله بن جبير الأنصاري           |
| ٧٢٤        | عبد الله بن حذافة السهمي            |
| ٢٣٢ - ٢٣١  | عبد الله بن حرام أبو جابر           |
| ٤١١        | عبد الله بن رواحه                   |
| ٤٠٨        | عبد الله بن الزبير                  |
| ٤١٣        | عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري |
| ١١٧ - ٣٦   | عبد الله بن سلام                    |
| ٢٠٠ ١٨٠ ١٠ | عبد الله بن عباس                    |
| ٦٥٥        | عبد الله بن عمرو بن العاص           |
| ٤٧١        | عبد الله بن محيريز بن جنادة         |
| ٢١٠ ١٠٤ ٥  | عبد الله بن مسعود                   |
| ٣٦٦ - ٢١٣  | عبد الرحمن بن عوف                   |
| ٤٢٨        | عبد الوهاب بن مجاهد                 |

- تابع فهرس الأعلام -

| الصفحة    | العلم                            |
|-----------|----------------------------------|
| ٧١٦       | عاصم الجحدري                     |
| ٣٠٩       | عباد بن الصامت                   |
| ٣٩٧       | العباس بن عبد المطلب             |
| ٤١٩       | عثمان بن أسيد                    |
| ٣٩٧       | عثمان بن طلحة                    |
| ٦٢٥       | عثمان بن عفان                    |
| ٥٢٠       | عدس بن حاتم                      |
| ٢٣٤ - ٢٧٠ | عروة بن الزبير                   |
| ١١٧ - ٧١  | عطاء بن أبي رباح                 |
| ١٠٥٠١١    | عكرمة الجبري أبو عبد الله المدني |
| ٢٦١       | علقمة                            |
| ٢٧٧٠٤٩٠٢٦ | علي بن أبي طالب                  |
| ٥٦٧       | علي بن أبي طلحة الواسي           |
| ٢١٥٠٥     | عمر بن الخطاب                    |
| ٦٣٥       | عمر بن عبد العزيز                |
| ٢٥٤       | عمران بن الحصين                  |
| ٤١٠       | عمار بن ياسر                     |



## - تابع فهرس الأعلام -

| الصفحة    | المعلم                             |
|-----------|------------------------------------|
| ٤٦١       | عمرو بن عبيد                       |
| ٧١        | عنتره العبسي                       |
| ٤٧٢       | عيسى بن أبي مريم النحوي            |
| ٤٥٥       | عياش بن أبي ربيعة                  |
| ٦٦        | عياض بن عمرو الأشعري               |
| ٣٩        | غالب القطان                        |
| ١٠٠       | فاطمة الزهراء                      |
| ٢٦٨       | الفراء                             |
| ٣٤٣       | الفضل بن عباس                      |
| ٧٠٣       | القاسم بن محمد                     |
| ٥٦٩       | قابوس بن أبي ظبيان                 |
| ٧٨ ، ٢٨   | قادة بن دعامه السدوسي              |
| ٧١٠ ، ٤١١ | قدامة بن مظعون                     |
| ٤٦١       | قريش بن أنس                        |
| ٩٨        | قطرب محمد بن المستنير              |
| ٣٦٥       | القيسي علي بن محمد مكي بن أبي طالب |
| ٣١٢       | كبيشه بنت معن الأنصاريه            |

## - تابع فهرس الأعلام -

| <u>الصفحة</u> | <u>المضم</u>              |
|---------------|---------------------------|
| ٣٧٠ ١٩        | الكسائي على بن حمزة       |
| ٢٠٠           | كعب بن مالك               |
| ٥٦٨ - ٢٣٧     | الكلبي محمد بن السائب     |
| ٣٨٥           | مالك بن أنس               |
| ١١٢ - ٦٥٠ ٥١  | المهرد : محمد بن يزيد     |
| ٢٠٠ ١٤٠ ١١    | مجاهد بن جبر              |
| ٥٩٢           | محمد بن جرير الطبري       |
| ١٤٠           | محمد بن جعفر الزبير       |
| ١٢٢           | محمد بن الحنفية           |
| ٢٥٥ - ٢٢٢     | محمد بن كعب القرظي        |
| ٢٥٢           | مروان بن الحكم            |
| ٥٠٦ - ١٣٨     | مسروق بن الأجدع أبو عائشه |
| ٤٠١           | مسلمة بن عبد الملك        |
| ٧٠٧           | مصعب بن عمير              |
| ٣٥٥ ، ٢٨      | معاذ بن جبل               |
| ١٨٩           | معبد بن صبيح              |

## - تابع فهرس الأعلام -

| الصفحة  | المعلم                          |
|---------|---------------------------------|
| ٣٣٨     | المفيرة بن مقسم الضبي           |
| ٢٥      | مقاتل بن حيان                   |
| ٤١١-١٧٢ | المقداد بن الأسود               |
| ٧٠٧     | مصعب بن عمير                    |
| ٢٥٤     | ميمونته بنت الحارث              |
| ١٦٢     | النايفة الذبياني                |
| ٢٦٠     | النحاس أحمد بن محمد بن اسماعيل  |
| ٢٣٨     | النخعي ابراهيم بن يزيد          |
| ٤٤٦     | النضر بن شمير                   |
| ٤١٢     | النقاش : محمد بن الحسن          |
| ٥٤٣     | وايل بن داود                    |
| ٥٣٢     | وريش : عثمان بن سعيد المصري     |
| ٤٣٦     | ورقه بن نوفل                    |
| ٣٣٤     | وكيع بن الجراح أبو سفيان الكوفي |
| ٤٧٥     | الوليد بن الوليد بن المفيرة     |

- تابع فهرس الأعلام -

| <u>الصفحة</u> | <u>المعلم</u>          |
|---------------|------------------------|
| ٩٣            | وهب بن منبه            |
| ٦٣٤           | لاحق بن حميد           |
| ٤٥١           | يمقوب بن اسحاق الحضرمي |
| ٤٧٩           | يعلى بن أمية           |

( ٧٩٠ )

- فهرس المراجع -

- فهرس المراجع -

- تفسير البغوى المعروف بمعالم التنزيل لأبى محمد الحسين بسن مسعود الفراء البغوى .  
مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي مصر بمهامن تفسير الخازن .
- تفسير البحر المحيط :
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل لعلاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادي الشهير بالخازن .  
مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي .
- تفسير الطبرسي . دار مكتبة الحياة . ١٣٨ هـ .
- تفسير القرآن العظيم عماد الدين أبوالفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ط . الشعب القايره .
- التفسير الكبير للفخر الرازى .
- تفسير المنار أو تفسير القرآن الحكيم .  
ط . دار المنار بمصر الطبعة ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .
- التفسير الوسيط :
- د . محمد السيد طنطاوى .
- جامع البيان عن تأويل القرآن :
- لمحمد بن جرير الطبرى . دار المعارف بمصر تحقيق محمود وأحمد شاكر .

- تايح فهرس المراجع -

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن :  
لمحمد بن جرير الطبري . ط . مصطفى الباي الحلبي . القاهرة  
الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ .
- أحكام القرآن :  
لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي .  
ط . دار المعرفة للطباعة بيروت . تحقيق علي محمد الجاوي .
- أحكام القرآن :  
لأبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص . ط شركة مطبعة عبد الرحمن  
ابن محمد القاهرة .
- أحكام القرآن :  
لعماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي . ط . دار  
الكتاب الحديثه .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل :  
للبيضاوي . ط . مصطفى الباي الحلبي . الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ  
٠١٩٦٨ .
- أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن :  
لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي .  
دار الأصفهاني وشركاه جدة .

- تابع فهرس المراجع -

- الجامع لأحكام القرآن :  
لأبى محمد عبد الله بن أحمد الأنصارى القرطبي .  
ط . دار الكتاب العربى القاهره ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م .
- حاشية ابن المنير على الكشاف السماه كتاب الانصاف فيما تضمنه الكشاف  
من الاعتزال :  
للامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الاسكندرى المالكي .
- الدر المنثور فى التفسير بالمأثور :  
لجلال الدين السيوطى ط . دار المعرفه - بيروت .
- دقائق التفسير الجامع لتفسير الامام ابن تيميه :  
جمع دكتور محمد السيد الجلنيد .  
ط . دار الأنصار القاهره - الطبعة الأولى ٩ صفر ١٣٩٨ هـ - ١٨ يناير  
١٩٧٨ م .
- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم :  
ط . دار احياء التراث العربى - بيروت .
- زاد المسير فى علم التفسير :  
لأبى الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن على بن محمد الجوزى القرشى  
البغدادى . ط المكتب الاسلامى .
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان :  
لنظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمى النيسابورى .  
ط . مصطفى البابى الحلبي - الطبعة الأولى ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م القاهره .



- تابع فهرس المراجع -

- فتح القدير :
- محمد بن علي بن محمد الشوكاني .
- الفتوحات الالهيه :
- لسليمان بن عمر المعجيلي الشافعي الشهير بالجهل .
- المكتبة الاسلاميه .
- في ظلال القرآن :
- سيد قطب .
- دار الشروق الطبعة العاشره .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل لأبي القاسم جار اللسه
- محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ط . دار المعرفه - بيروت .
- مجاز القرآن:
- لأبي عبيده معمر بن المشني .
- مؤسسة الرساله . بيروت . الطبعة الثانيه .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز :
- للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي .
- ط . المجلس الأعلى للشؤون الاسلاميه - القايره .
- معاني القرآن :
- لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء . عالم الكتب . بيروت الطبعة الثالثة

- تابع فهرس المراجع -

- معاني القرآن ::  
للأخفش الأوسط . أبو الحسن سعد بن مسعود المجاشعي البلخي  
البصري ط . المطبعة المصرية الكويت .
- النكت والعيون تفسير الماوردي أبي الحسن علي بن حبيب البصري .  
نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية . الكويت . الطبعة الأولى  
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- النهر الماد من البحر المحيط : بهامش تفسير البحر المحيط - ط . دار  
الفكر للطباعة . الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ .
- ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم :  
لأبي السعود محمد بن محمد العمادي . دار المصنف - القاهرة .
- الاتقان في علوم القرآن :  
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .  
الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- أسباب النزول للواحدي :  
دار القبله للثقافة . الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- البرهان في علوم القرآن :  
لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ط . عيسى البابي الحلبي  
وشركاه .

- تابع فهرس المراجع -

- البدور الزاهره فى القراءات العشر المتواتره :  
عبدالفتاح القاغى ط. مصطفى البابى الحلبي .
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وطلبها :  
لابى مكى بن أبى طالب القيسى .  
مطبوعات مجمع اللغة العربيه دمشق - تحقيق الدكتور محى الدين  
رضان .
- المحتسب فى تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها :  
لابى عثمان بن جنى .  
ط. المجلس الأعلى للشئون الاسلاميه القايره ١٣٨٦ هـ .
- مسائل الرازى وأجوبتها من غرائب التنزيل :  
لمحمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى .  
ط. مصطفى البابى الحلبي .
- مناهل العرفان فى علوم القرآن :  
لمحمد عبدالعظيم الزرقانى .
- النشر فى القراءات العشر :  
لابى الخير محمد بن محمد الدمشقى الشهير بابن الجزرى .  
طبع مطبعة التوفيق بدمشق فى ٥ جمادى الثانيه سنة ١٣٤٥ هـ .
- الوافى فى شرح الشاطبيه :  
الاتحافات السنيه فى الأحاديث القدسيه .

- تابع فهرس المراجع -

- الأُدب المفرد :  
للبخارى - المكتبة السلفية - القاهرة .
- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف :  
للحافظ أبى محمد زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى .  
المكتبة التجارية الكبرى . مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى  
١٣٨٠ - ١٩٦٠ م .
- تحفة الأُحوزى بشرح جامع الترمذى :  
للإمام الحافظ أبى العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى  
ط . مطبعة المدنى القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى .  
لأبى عيسى بن محمد الترمذى - مصطفى البابى الحلبي .
- الجامع الصحيح وهو صحيح مسلم :  
لأبى الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم . تصوير مؤسسة الطباعة  
لدار التحرير - القاهرة من طبعة استانبول المطبوعة عام ١٣٢٩ هـ .
- جمع الجوامع أو الجامع الكبير :  
للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى .  
نسخه مصورة عن مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٩٥ - الهيئة المصرية  
العامة للكتاب .
- دلائل النبوه :  
للبيهقى .

- تابع فهرس المراجع -

- سنن ابن ماجه :  
للمحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني . ط . عيسى البابي الحلبي .
- سنن ابن ماجه :  
ط . دار احياء التراث العربي ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- سنن أبي داود :  
للمحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي .
- سنن الدارقطني :  
دار المحاسن للطباعة - القاهرة .
- سنن الدارمي :  
للمحافظ الامام أبي عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي - دار الكتب  
العلمية - بيروت .
- السنن الكبرى :  
للبيهقي لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي . دار المعرفة -  
بيروت .
- سنن النسائي :  
للمحافظ أبي عبدالرحمن بن شعيب النسائي . ط . مكتبة مصطفى البابي  
الحلبي .
- صحيح البخاري :  
لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري . ط . المكتبة الاسلاميه - استانبول .

- تابع فهرس المراجع -

- عمل اليوم والليله :  
لأبي بكر بن السني .  
ط . دار المعرفه - بيروت ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩ م - تحقيق عبد القادر  
أحمد عطا .
- عون المعبود شرح سنن أبي داود :  
الناشر المكتبة السلفية . دار الفكر . تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان .
- فتح الباري لشرح صحيح البخاري :  
للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . ط دار الفكر .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :  
للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - مكتبة القدس بالقاهرة .
- سند الامام أحمد بن حنبل :  
المكتب الاسلامي للطباعة - بيروت .
- المطالب العاليمه بزوائد المسانيد الثمانية :  
لابن حجر العسقلاني .
- المعجم الصغير :  
للطبراني - دار النصر للطباعة بالقاهرة ١٣٨٨ هـ .
- المعجم الكبير :  
للطبراني - الدار العربية للطباعة بغداد .

- تابع فهرس المراجع -

- نصب الراية لأحاديث الهداية :  
لجمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف الحنفى الزيلعى .  
الناشر : المكتبة الاسلاميه للحاج ريانى الشيخ ط ١٣٩٣هـ .
- النهاية فى غريب الأحاديث :  
لابن الأثير - المكتبة الاسلاميه .
- الأم :  
للإمام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعى .
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد :  
لأبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القوطىبى  
الناشر مكتبة الكليات الأزهرية .
- بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع :  
لعماد الدين أبى بكر بن مسعود الكسانى الحنفى .  
الناشر : زكريا على يوسف - مطبعة الامام .
- المحلى :  
لابن حزم الأندلسى الظاهرى .  
مطبعه الامام القاهره .
- المغنى :  
لابن قدامة أبى محمد عبد الله بن أحمد بن محمد . مكتبة القاهره .

- تابع فهرس المراجع -

- تاج العروس :
- للسيد محمد مرتضى الزبيدي . ط . المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٦ هـ .
- الأضداد في اللفظة :
- لمحمد بن القاسم الأنباري ط . الكويت ١٩٦٠ م .
- الأغاني :
- لأبي فرج الأصفهاني .
- الأملى الشجرية :
- لأبن الشجري - دار المعرفة .
- أمالي المرتضى . غرر الفوائد ودرر القلائد :
- للشريف الرضي علي بن الحسن الملوى .
- ط . عيسى البابي الحلبي ١٣٧٣ هـ .
- جواهر الأدب في أدبيات وانشاء لغة العرب :
- للسيد أحمد الهاشمي - المكتبة التجارية ط ١٣٨٤ هـ .
- حماسة ابن الشجري :
- ضياء الدين أبي السعادات هبة الله علي بن محمد بن حمزة الملوى الحسيني .
- ط . مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدر أباد الدكن ١٣٤٥ هـ .
- خزانة الأدب :



- تابع فهرس المراجع -

- الخصائص :  
لابن جنى ط. دار الهدى - بيروت .
- ديوان أمية بن أبي الصلت :  
دار صادر - بيروت .
- ديوان الأعشى :  
دار صادر - بيروت .
- ديوان امرؤ القيس :  
دار المعارف . القاهرة ١٩٦٤ .
- ديوان جرير بن عطية :  
دار صادر - بيروت .
- ديوان حسان بن ثابت :  
دار صادر - بيروت ١٣٨٦ هـ .
- ديوان زهير بن أبي سلمى :  
دار صادر - بيروت .
- ديوان طرفة بن العبد :  
دار صادر - بيروت .
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري :  
دار صادر بيروت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م .

- تابع فهرس المراجع -

- ديوان النابغة الجعدي :  
الشركة اللبنانية - بيروت ١٩٦٩ م.
- شرح ابن عقيل :  
لقاضي العضادة بهاء الدين عبدالله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني  
دار الاتحاد العربي للطباعة - القاهرة .
- شرح جمل الزجاجي لابن عصفور :
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات :  
لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري - دار المعارف - مصر .
- شرح المفضليات :  
للتبريزي . ط . دار النهضة - تحقيق علي محمد البجاوي .
- الشمر والشمرء :  
لابن قتيبة . دار الثقافة - بيروت ١٩٦٤ م.
- الصحاح للجوهري :  
ط . دار الكتاب العربي - بصرى .
- المعقد الفريد :  
لأبي عمراًحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي . لجنة التأليف والترجمه  
والنشر - القاهرة ١٣٧٥ هـ .
- القاموس المحيط :

- تابع فهرس المراجع -

- لسان العرب :-
- لابن منظور . جنال الدين محمد بن مكرم الأنصارى ط . بولاق .
- مختار الشعر الجاهلى :-
- معجم الأدياء :-
- لياقوت الحموى . ط . عيسى البابى الحلجى - القاىره .
- الأمثال :-
- لأبى عبيد القاسم بن سلام .
- دار المأمون للتراث - الطبعة الأولى . ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م تحقيق
- د . عبدالمجيد قطامش .
- جمهرة الأمثال :-
- لأبى هلال المسكوى .
- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب :-
- لأبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ط . مكتبة النهضة
- مصر - تحقيق على محمد البجاوى .
- أسد الغابه فى معرفة الصحابه :-
- لعز الدين بن الأثير أبى الحسن على بن محمد الجزرى ط . الشعب .
- الاصابة فى تمييز الصحابة :-
- لابن حجر العسقلانى - ط . دار نهضة مصر - القاىره .

- تابع فهرس المراجع -

- بلفية الوعاة :
- لجلال الدين السيوطي . ط . مطبعة السعادة مصر ١٣٢٦ هـ .
- تقريب التهذيب :
- لابن حجر - ط . مطبعة دار الكتاب العربي - مصر .
- تهذيب التهذيب :
- لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
- ط . مجلس دائرة المعارف النظامية . حيدرآباد الهند ١٣٢٧ هـ .
- الطبعة الأولى .
- الجرح والتعديل :
- لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر  
التيبي الحنظلي الرازي . ط . دار الكتب العلمية - بيروت .
- جمهرة أنساب العرب :
- لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي . دار نهضة مصر .
- سير أعلام النبلاء للذهبي :
- مؤسسة الرساله - بيروت .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب :
- لعبد السهي بن العماد الحنبلي - المكتب التجاري - بيروت .
- طبقات الشافعية للأسنوي :
- ط . وزارة الأوقاف . بغداد .

- تابع فهرس المراجع -

- طبقات فحول الشعراء :  
لمحمد بن سلام الجمحي - مطبعة المدني - القاهرة .
- طبقات المفسرين :  
لداودي .
- غاية النهاية في طبقات القراء :  
لشمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن الجزري .  
ط . مكتبة الخانجي بمصر ١٩٣٢ م .
- اللباب في تهذيب الأنساب :  
لعز الدين بن الأثير الجزري - مكتبة المشني - بغداد .
- مشاهير علماء الأقطار :  
لابن حيان .
- المعارف لابن قتيبة :  
دار المعارف - بمصر .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال :  
لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - ط دار المعرفسة  
بيروت ١٣٨٢ - ١٩٣٣ م .
- الوافي بالوفيات :  
للصفدي .
- وفيات الأعيان :

- تابع فهرس المراجع -

- تاريخ التشريع :  
للشيخ محمد الخضوي بك .
- تاريخ الطبري :
- تاريخ اليهود في جزيرة العرب :  
لاسرائيل ولفنسون .
- الكامل في التاريخ :  
لابن الأثير - ط. دار نهضة مصر .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :  
لشيخ الاسلام ابن تيمية :  
مطابع المجد التجارية .
- شرح العقيدة الطحاوية :  
لابن أبي العز الحنفى .  
تحقيق أحمد محمد شاكر .
- مرويات غزوة بدر :  
أحمد العليمى .

- تابع فهرس المراجع -

- الأَنساب :  
لأبي سعد السمعاني - حيدرآباد ١٣٨٣هـ . الطبعة الأولى .
- البداية والنهاية :  
لابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ .
- التاريخ الاسلامي العام :  
دكتور علي ابراهيم حسن - مكتبة النهضة .
- تاريخ بغداد :  
للخطيب البغدادي - دار الكتاب - بيروت .
- تاريخ دولة آل سلجوق لعماد الدين الأصفهاني .  
دار الآفاق - بيروت .
- التحبير في المعجم الكبير :  
لأبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني .  
مطبعة الارشاد بغداد ١٣٩٥هـ .
- تذكرة الحفاظ للذهبي :  
دار احياء التراث العربي - بيروت .
- سلاجقه ايران والمراق :  
للذكتور عبد المنعم حسنين - مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٨٠ :  
شذرات الذهب في أخبار من ذهب :  
لعبد الحمى بن عماد الحنبلي . دار المسيره بيروت - الطبعة الثانيه .

- تابع فهرس المراجع -

- طبقات الحلفاظ :
- للسيوطي - مكتبة وهبه - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ .
- طبقات الشافعية :
- لأبي بكر بن هداية الله الحسيني - دار الأفاق - بيروت ١٩٧١ م .
- طبقات الشافعية :
- لابن قاضي شهبة الدمشقي - حيدر أباد - الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .
- طبقات الشافعية :
- للأسنوي - مطبعة الأرشاد - الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ .
- طبقات المفسرين للداودي :
- مكتبة وهبه - القاهرة - الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ .
- المبر في خير من غير :
- للذهبي - دائرة المطبوعات والنشر - الكويت ١٩٦١ م .
- الفهرس :
- لابن النديم - دار المعرفة - بيروت .
- الكامل في التاريخ :
- لأبي الحسن بن الأثير - دار الفكر - بيروت ١٣٩٨ هـ .
- كشف الظنون عن أساس الكتب والفنون :
- مكتبة المثنى - بغداد .
- اللباب في تهذيب الأنساب :
- لعز الدين بن الأثير - مكتبة المثنى - بغداد .
- شاهير علماء الأمصار :
- لأبن حيان - مطبعة لجنة التأليف - القاهرة ١٣٧٩ هـ .



- تابع فهرس المراجع -

- معالم التنزيل :
- للبيهقي بهامش الخازن - مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ.
- معجم الأدباء :
- للياقوت - دار احياء التراث العربي - بيروت .
- معجم البلدان :
- للياقوت الحموي - دار صادر - بيروت ١٣٧٦ هـ .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم :
- لأبي الفرج ابن الجوزي - دار المعارف المشثانية حيدرآباد - الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال :
- للذهبي - دار المعرفة - بيروت ١٣٨٢ هـ .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة :
- لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بزدى الأتابكي : وزارة الثقافة - مصر :
- نظام الوزارة في الدولة العباسية :
- دكتور محمد سفر الزهراني - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ .
- الوافي بالوفيات :
- للصفدي .
- وفيات الأعيان :
- لابن خلكان - دار صادر - بيروت ١٩٧٠ م .

فهرس الموضوعات

الصفحة

الموضوع

١

تفسیر سورة آل عمران

٢٦٠

تفسیر سورة النساء

٥٦٤

تفسیر سورة المائدة

٧٥١

الفهارس .